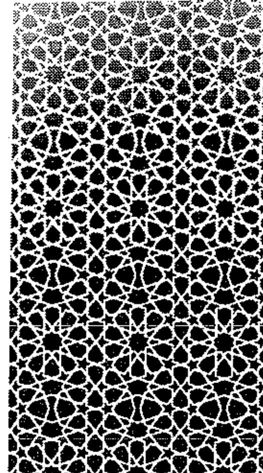


بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

أعيان العصر وأعوان النصر/ لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي؛ حققه علي أبو زيد. . . [وآخرون]؛ قدم له مازن عبد القادر المبارك. - دمشق: دار الفكر، ١٩٩٧ . - ٢ج (٧٥٢ص)؛ ٢٤سم.

١- ٩٢٠ ع ص ف د أ ٢- العنوان ٣- الصفدي

٤- أبو زيد

مكتبة الأسد

ع: ١٩٠٧/١٠/١٩٩٧

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي



أعيان العصر وأعوان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة　　الدكتور محمد موعد　　الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية





الرقم الاصطلاحي: ١-١١٠,٠١١٥٠
الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-433-6
الرقم الموضوعي: ٩١٠
الموضوع: التراجم والسِّيَر والأنساب
العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر
التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدي
التحقيق: د. علي أبو زيد، ود. نبيل أبو عمشة، ود. محمد موعد، ود. محمود سالم محمد.
قدم له: مازن عبد القادر المبارك.
الصف التصويري: دار الفكر - دمشق
التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق
التجليد الفني: علي الحمصي وشركاه-بيروت
عدد الصفحات: ٧٥٢ ص
قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم
عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق
برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد
ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية
برقياً: فكر
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
http://www.fikr.com/
E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى

1418هـ = 1998م

بسم الله الرحمن الرحيم

أخذ مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي على عاتقه ومنذ قيامه أن يسهم في خدمة التراث بما يقدر عليه من خلال أقسامه المتعددة خدمة للعلم والباحثين ؛ ذلك أنه كثر في السنوات الأخيرة نشر الكتب التراثية على أيدي غير المتخصصين ، الذين لم يلتزموا في تحقيقهم أسلوباً علمياً منهجياً ، فظهرت في الأسواق طبعات سقيمة لأسفار جليلة المضمون ، تطاول أعمال المجلين من المحققين ، أدت إلى اختلاط الغث بالسمين وأساءت إلى المكتبة العربية .

ومن هنا كلّف المركز لجنة من الأساتذة الخبراء أوكل إليها الإشراف على شؤون التحقيق والنظر فيما يقدمه المحققون الأكفياء من أعمال وتقديم الصالح منها للنشر .

ويوالي اليوم بالتعاون مع دار الفكر المعاصر نشر إصداراته فيقدم كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .

نسأل الله أن يوفق المركز لخدمة التراث وأهل العلم إنه نعم المسؤول .

لجنة التحقيق والنشر في المركز

تقديم

مازن عبد القادر المبارك

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وينيلني رضوانه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، تلقّى وحي ربه، وفيه قصص عن أنبيائه، وأخبار عن أمم ماضية، وأحاديث عن رجال ونساء، منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، وفيه توجيه من ربّ العالمين ﴿لَقَدْ كانَ في قَصَصِهم عِبْرةٌ لأُولي الألْباب﴾ [يوسف ١٢/ ١١١].

وما أخبار الرجال وصنائعهم وأحداث حياتهم بمعنىً من معانيها إلا تاريخهم، وما تراجمهم إلا صورة لذلك التاريخ؛ تنشر معناه، وتبعث ذكراه بعد أن طوتهم القرون وغيّبتهم المنون.

ولقد اعتاد الناس في كل زمان أن يهتموا بالبارزين من رجالهم، يتناقلون أخبارهم، ويروون مآثرهم. ويزداد اهتمامهم بسيرة الرجل إذا اتصلت حياته بحدث عظيم.

وما من رجل اهتم الناس بحياته، وتابعوا سيرته، ورووها وحفظوها وحفّظوها أبناءهم، كما اهتم المسلمون بحياة رسول الله وسيرته صلى الله عليه وسلّم؛ فلم يتركوا أمراً يتصل بحياته أو سيرته، صغيراً كان أو كبيراً، بعيداً كان أو قريباً، إلا جاؤوا به على حقّه، رواية وتثبتاً وتوثيقاً.

لقد تابعوا سلسلة نسبه صلى الله عليه وسلم وصلات قرابته، ورصدوا حركاته وسكناته، ودوّنوا كلماته، فما نطق صلى الله عليه وسلم بكلمة حدّث بها أحداً من الناس أو من أهله أو من أصحابه، أو رفع بها صوته في صلاته أو دعائه، أو ناجى بها ربّه، إلا كانت عند المسلمين حديثاً يدوّن ويتلى ويوثّق، وإن اختلفت رواياته وتعددت أسانيده.

لقد حفظ المسلمون سيرة نبيّهم بأحداثها وتواريخها وأسمائها، وحفَّظوها أولادهم حتى قال قائلهم: كنا نحفّظ أولادنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازيه كما نحفّظهم السورة من القرآن.

ولا شك أن تدوين أطراف من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قد بدأت منذ عصر مبكّر، وإن ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري نقلوا عمّن سبقهم من أمثال عروة بن الزبير والشعبي وغيرهما.

ولم يلبث اهتمام المسلمين بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياته، وأفعاله وأقواله، أن اتّسع حتى شمل أصحابه، وكل من نقل أو روى عنه، لا لأنه نبي الله فحسب، ولا لأنهم صحابته ومرافقوه فحسب، ولكن لأن ما يصدر عنه صلى الله عليه وسلم جزء من دينهم، لا بدّ فيه من الدقّة والأمانة والتثبّت، ولم يلبث أن أصبح الاهتمام بالرجال وتدوين تراجمهم علماً مستقلاً قائمًا بنفسه، ككل تلك العلوم التي بدأت بادئ أمرها بدافع ديني، وظل بعضها ينمو ويتسع في إطار تلك الصلة، لأنه متصل بالدّين نفسه، وثيق الصلة بكتاب الله أو سنة نبيّه، كالتفسير والفقه وعلوم القرآن وعلوم الحديث، كما اتسع بعضها وتشعّبت فروعه، ثم استقلّ بنفسه، كعلوم البلاغة التي نشأت في كنف البحث عن الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن، ثم أصبحت عنصراً من عناصر النقد الأدبي عامة، ثم استقلت بنفسها، وكعلم النحو الذي نشأ بدافع المحافظة على اللغة عامة، ولغة القرآن خاصة، ثم لم يلبث أن أصبح علمًا قائمًا بذاته.

وكذلك اهتم العلماء بـ(الرجال)، من صحابة وقرّاء ومفسّرين ومحدّثين وفقهاء، كما اهتموا بالشعراء والأدباء واللغويين والنحاة والحكماء والأطباء والوزراء، بل لقد شمل اهتمامهم (الرجال والنساء) عامّة؛ فدوّنوا أخبار المشهورين منهم، أيّـاً كان ميدان شهرته، كما في كتب التراجم العامة.

ونمت الشجرة الطيبة التي غرسها الدين والحرص عليه في نفوس العلماء، حتى أصبحت فروعها نامية باسقة تشمل بلاد المسلمين كافة، وأصبحت علمًا برزت فيه أمتنا، يترجم العلماء فيه كل علَم من ذكر أو أنثى، أيّـاً كان مجال شهرته، وفي أي أرض عاش.

وكان للمكتبة العربية من ذلك ثروة لم تحظ بها في هذا العلم مكتبة أمة من الأمم، وكان لها في هذا العلم فنون ومناهج.

يترجم بعضها لأهل علم من العلوم.

ويترجم بعضها لأهل قرن من القرون.

ويترجم بعضها لرجال مدينة من البلدان.

ويترجم بعضها لعامّة الناس من أقدم الأزمنة حتى عصر المؤلف.

ويترجم بعضها لأهل عصر المؤلّف.

ولقد أقبلتُ على كتب التراجم منذ زمان تجاوز العقدين، كنت أقتصر قبلهما على قراءة كتب طبقات اللغويين والنحاة، ككتب السيرافي والزبيدي والقفطي والسيوطي، ثم انتقلت بعد ذلك إلى صحبة الرجال من كل فنّ؛ أقرأ الكتاب، لا أقرأ بحثًا عن ترجمة أحد، ولكني أقرأ الكتاب من أوله إلى آخره، كما أقرأ ديوان الشعر. ولست أكتم أنني لم أجد أحلى للنفس متعة، ولا أبعد عنها سأمًا، ولا أجدى عليها عائدة، ولا أبلغ فيها عبرة من كتب تراجم الرجال؛ تعيش معهم، تستمتع بطرائفهم، وتتنقّل بين طبقاتهم، وتفيد من تجاربهم، وتعتبر بما حدث لهم، ولا تملّ النظر في سلسلة من حياة الناس تعرضها أمامك مرآة أصدق من مرآة عصرك، وأبعد عن الزيف والخداع والمداهنة والرياء.

وحين وضعت لجنة التحقيق والنشر في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي عددًا من الكتب المخطوطة بين يديّ، وطلبت ترشيح أحدها للنشر، وقع اختياري على كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي، لأسباب منها:

(١) أن الكتاب - كما رأيت - مصدر من أهم مصادر القرن الثامن للهجرة (٦٩٦ - ٧٦٤هـ)، بما ضمّ من تراجم أهل ذلك القرن، وبما ورد في تراجمهم من أخبار وأحداث نثرها الصفدي، مجملة في حين، ومفصَّلة في حين آخر، وبما نقل المؤلف فيه من كلام الناس وألفاظهم وألقابهم وتعبيراتهم، كما سمعها، وما نقل من تراجم بعض العلماء الذين استكتبهم تراجمهم، وما ذكره عن علماء عصره الذين عرفهم واتصل بهم.

والقرن الثامن للهجرة قرن غنيّ بمن عاش فيه من الرجال الذين تركوا آثاراً جليلة في كثير من ميادين الحكم والعمران والثقافة واللغة والأدب والنحو والفقه والتاريخ.

(٢) أن الكتاب مصدر توثيق لكثير من المعلومات التاريخية والاجتماعية والثقافية عن القرن الثامن؛ فلقد كان الصفدي يهتم بالمنزلة الاجتماعية لمن يترجم له، وبمكانته بين أقرانه، كما يهتم بتوثيق ما يقدّمه وضبط ما ينقله؛ من اسم ولقب وتحديد سنة الوفاة إذا ثبتت عنده، وذكر الشيوخ الذين لقيهم المترجَم أو أخذ عنهم، وذكر تلاميذه الذين أخذوا عنه، وتسمية مؤلَّفاته. . .

وإذا كان المترجَم من أصحاب المناصب وأولي النفوذ والسلطان، كالأمراء والحكام والولاة، أصبحت الترجمة الصفديّة أقرب إلى التاريخ ووصف أعمال المترجم، وذكر الأحداث التي وقعت في عهده.

(٣) أن الكتاب موسوعة للتراجم والتاريخ والاجتماع واللغة والأدب وغير ذلك. . ؛ ففيه أخبار الرجال وسيرهم لمن أراد التراجم، وفيه الوقائع والأحداث لمن أراد التاريخ، وفيه العادات والتقاليد لمن أراد الاجتماع، وفيه النصوص الأدبية من شعر ونثر ومحاورات ومخاطبات، إلى جانب اللغة المحكيّة والأحاديث اليوميّة وما دار فيها من مصطلح ودخيل وعامّي. وفيه إشارات توثق بعض آثار ذلك القرن من مساجد وقلاع وسواها. وإنّ في كل ذلك لجديداً لا تجده في غيره.

(٤) أن الصلاح الصفدي، مؤلف (أعيان العصر وأعوان النصر)، إمام في الفقه واللغة والأدب والنقد والشعر والتاريخ، أخذ عن أعلام عصره كالحافظ المزي وابن جماعة وابن نباتة وأبي حيان والذهبي وابن سيد الناس. . وأنه على كثرة ما جمع من العلوم، يكاد يكون مختصّاً بعلم تراجم الرجال؛ وأن كتابه (الوافي بالوفيات) لجدير بأن يمتاز به من بين نظرائه ويعليه بين أصحاب التراجم، وهو صاحب المقدمة التي قال فيها الأستاذ محمد كرد علي - رحمه الله - : «هذه المقدمة وحدها كتاب علم برأسه، تنم على فضل كاتبها. وإن تاريخه جعبة من الفوائد والأوابد، فهي أشبه بمقدمة ابن خلدون لتاريخه. ومقدمة الصلاح الصفدي تعلي منزلة تاريخه الوافي الشافي».

(٥) أن الصفدي - رحمه الله - نشر في كتابه (أعيان العصر) صفحة من صفحات الحضارة الإسلامية في القرن الثامن للهجرة، ولم يكن في كتابه مجرد ناقل لتراجم الرجال،

يسرد أخبارهم بعيداً عنهم، لقد كان الرجل ذا حسّ إنساني تاريخي يرى في تراجم الرجال، والكتابة عنهم تاريخًا ممتعًا ومفيداً، ويرى في التاريخ مرآة للزمان.

لقد كان الصفدي يستروح إلى مطالعة أخبار من تقدّم، ومراجعة آثارهم، لأن الاطلاع على أخبار الماضين ووقائعهم ومآثرهم يجعلك معاصراً لهم وكأنهم لذاتك وأترابك، من ساءك منهم عدوّك، ومن سرّك صديقك، ولكنهم درجوا قبلك وأنت على أثرهم. . فكيف إذا كان الذين يترجم لهم معاصرين له، قريبين منه. يقول الصفدي: «إن التاريخ للزمان مرآة، وتراجم العالم للمشاركة في المشاهدة مرقاة، وأخبار الماضين لمن عاقر الهموم ملهاة».

وهكذا يطل علينا الصفدي من خلال كتاباته عالمًا ثاقب النظرة، واضح الفكرة، يرى في ذكر تراجم الرجال تاريخًا يصوّر العصور الماضية، ويعكسها كما تعكسها المرآة، ويرى في الاطلاع على تراجم الرجال مرقاة إلى المشاركة في مشاهدتهم، ويرى في أخبارهم عزاء وسلوى. . ويرى في ذلك كله تاريخًا يفيد حزمًا وعزمًا، وموعظة وعلمًا، وهمّة تذهب همًّا، وبيانًا يزيل وهْنًا ووهمًا. لذلك كله جمع الصفدي تراجم أعيان عصره، ونشر أخبارهم شأن من يرى في ذلك بعثًا لهم، قال: «والتاريخ فنّ لا يملّه طرف مطالع، ولا يسأمه سمع مصغٍ ولا مراجع. ولا يخلو من يقف على التاريخ من فائدة. . . . فإذا راجع التاريخ كان كمن شاهد من مضى، وعاين ما جرى به القدر عليه وقضى، وأنا أرى التاريخ والترجمة مَعاداً ثانيًا في المعنى لا في الوجود».

(٦) أن المؤلف قريب ممن يكتب عنهم، فليست أحكامه عليهم ولا أوصافهم التي يعدّدها منقولة كتلك التي ينقلها المؤلفون جيلاً عن جيل، ولكنها بنت المشاهدة والمشافهة. فما في أعيان العصر إلا ترجمة لمن أدركه المؤلف، أو لقيه، أو كان في زمانه ولم يره، ولكن نقل الأثبات إليه خبره، على نحو ما قال في مقدمته، وختم بقوله: «وأبتدئ ذلك من سنة ٦٩٦هـ وهي سنة مولدي».

(٧) أني عرفت الصفدي صاحب منهج واضح؛ يبسط منهجه بين يدي قارئه؛ فلقد رأيته في (الوافي) يفصل الحديث في مقدمته عن طرق المؤرخين في ترتيب مصنفاتهم، ثم يذكر ما يراه الأليق بالتاريخ، وما يراه الأليق بالتراجم، وكذلك يختار الأليق من أنواع ترتيب

الحروف، ويذكر طريقته في ضبط الأسماء والألقاب، وترتيب تتابعها، ويشير إلى ما ينبغي أن يكون المؤرخ عليه من الصدق والأمانة والدقة، وما ينبغي أن يكون من يترجم الرجال متصفاً به، من الاعتدال، والبعد عن الهوى، والاطلاع على أحوال الرجال، والقرب منهم. كما رأيته يدقق في تواريخ الوفيات، وآية ذلك أنه ترك عدداً من المترجمين لم يذكر سنوات وفياتهم؛ وهو لم يتركها سهواً ولا نسياناً، ولم يتركها لأنه وضع كتابه مسوّدة على عزم العودة إليه وتبييضه واستكمال نقصه كما ذهب إليه المحقّقون، ولكنه تركها لأنه ألزم نفسه ألاّ يذكر إلاّ ما تحقّق منه وثبت عنده، وقد سبق له أن قال في مقدمة كتابه الوافي: «ولم أخلّ بذكر وفاة أحدٍ إلاّ فيما ندر وشذّ، لأني لم أتحقّق وفاته».

(٨) ونضيف إلى ما سبق، أن كتاب (أعيان العصر) يعدّ بأسلوبه اللغوي، وتعبيره الأدبي، مثالاً من أمثلة الكتابة في عصره، وأنه يلقي الضوء على حياة مؤلفه بما فيه من إشارات كثيرة إلى شيوخه ومساجلاته وأشعاره، وتأريخ بعض مراحل حياته، وهو واحد من أشهر أعلام عصره، وأكثرهم آثاراً، وتأليفاً، درس القرآن والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، وجوّد الخطّ، ونظم الشعر، وألّف في التاريخ والرجال والأدب والنقد واللغة والبلاغة.

(٩) أن كتاب (أعيان العصر) ليس كما يُظن مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات)؛ ولقد قال مؤلفه في مقدمته «كنت أنفقت مدة من العمر في جمع تاريخي الكبير الذي سميته الوافي بالوفيات، إلاّ أنه جاء مطوّلاً، فأردت بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصر، وأجمع تاريخاً لمن أدركه عصري، أو كان في زماني ولم أره، أو نقل الرواة الأثبات خبره، وابتدأت ذلك من سنة ست وتسعين وست مئة، وهي سنة مولدي..». ولكن الكتاب الجديد ليس في حقيقته مختصراً من (الوافي) وذلك على عادة القدماء حين يعيدون تأليف كتابهم مرتين أو ثلاثاً، أو يخرجون منه نسخة كبرى ونسخة وسطى أو صغرى، أو حين يختصرون، فإذا في الكتاب الجديد جديد لم يحوه القديم، يؤيد ذلك:

١ً - أن في أعيان العصر تراجم لا ذكر لها في (الوافي).

٢ً - أن في كثير من التراجم المكرّرة في الوافي وفي الأعيان توسّعاً وتفصيلاً لا اختصاراً وإجمالاً. يقول الدكتور فؤاد سزكين صاحب الفضل في الطبع التصويري للمخطوطة التي

أصدرها معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية من كتاب الأعيان سنة ١٤١٠ هـ = ١٩٩٠ م: «إن المؤلف يسرد في كتابه هذا أيضاً - يعني الأعيان - عدداً من تراجم الوافي بالوفيات، وذلك دون اختلاف بيّن بين الصيغتين في عدد من الحالات، بينما يلاحظ في كثير من التراجم المشتركة توسّع كبير في كتاب الأعيان مقارنة بما في الوافي. هذا بصرف النظر عمّا يسرده من تراجم أعيان عصره الواردة في كتاب الأعيان فقط».

ويؤيد هذا الاختلاف بين الكتابين، والتوسّع في كتاب الأعيان أيضاً ما ذكره الدكتور عدنان درويش في كتاب (صفي الدين الحليّ) الذي استخرجه من كتاب (الأعيان) للصفدي حيث يقول: «وعلى الرغم مما يبدو من احتفال بعض هؤلاء المؤرخين بالحلي وإطلاقهم العنان لأقلامهم في مدحه، وبسطهم القول في إطرائه والثناء على شعره وفضله في غيره من فنون الأدب من الكتابة والإنشاء والترسّل، على الرغم مما نجده من ذلك كله في كتبهم فإنهم لم يبلغوا شأو الصلاح الصفدي في إيلاء الصفي الاهتمام الوافي والاحتفال الزائد حين ترجمه في كتابيه (الوافي بالوفيات) و(أعيان العصر وأعوان النصر)، إلاّ أنه بسط الكلام بمدحه في الثاني بسطاً عريضاً، وأفاض بالإعجاب به إفاضة واسعة، ولا غرو في ذلك فأبو الصّفاء الصفدي معاصر للحلّي ورصيفه وأديب مثله، ينظم الشعر ويتذوّقه، وبينهما مطارحات شعرية ومعارضات، كل ذلك نراه مبسوطاً في (أعيان العصر وأعوان النصر)، هذا الكتاب الجليل الحفيل الذي لا يزال يرقد بكنوزه بين ذخائر المخطوطات العربية، لم ترفق به يد محقّق تجلو عنه غبار الإغفال، وتخرجه إلى ناس عالم الأدب منشوراً».

وبعد فهذا كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للإمام الصفدي، تولى مسؤولية تحقيقه الدكتور علي أبو زيد، واختار للعمل معه ثلاثة من زملائه في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق، وهم الدكتور محمود سالم محمد، والدكتور نبيل أبو عمشة، والدكتور محمد موعد. ولقد عرفتهم جميعاً وعرفت ما قدّموه في مجال التأليف والتحقيق؛ عرفت (المدائح النبوية) للدكتور محمود سالم وعرفت (غنية الأريب عن شروح مغني اللبيب) و(شرح الشافية) للجاربردي بتحقيق الدكتور نبيل، وعرفت (المجيد في إعراب القرآن المجيد) للسفاقسي بتحقيق الدكتور موعد.

وأما الدكتور أبو زيد فقد عرفت مشاركته في تحقيق أجزاء من (سير أعلام النبلاء)، و(البداية والنهاية)، و(الحلّة السيراء)، و(تفسير الباقيات الصالحات)، و(مختصر لآلىء العرب) وغيرها.

وكان من محاسن التحقيق الذي رافقتهم في مراحله الأولى أنهم صدروا جميعاً عن منهج واحد تواضعوا عليه والتزموه، وأنهم على قيام كل منهم بتحقيق نصيبه من الكتاب، قام الدكتور أبو زيد بالتنسيق بين أعمالهم حتى جاء الكتاب وكأنه صدر عن قلم واحد. وقد بذلوا في ذلك جهوداً طيّبة، واستطاعوا التغلّب على كثير من العقبات التي اعترضت العمل حيناً، وأخّرته حيناً آخر، وضاق الصدر عن قليل منها فتركوه، حتى جاء على هذا الشكل الذي أضفت عليه الدار الناشرة - وهي دار الفكر بدمشق - كثيراً من دقّتها وذوقها في الإخراج.

جزى الله مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، صاحب الفضل في إخراج هذا الكتاب خير الجزاء، لما يقوم به من إحياء التراث وبعث نفائسه وتشجيع نشره، فلقد استطاع في زمن قصير أن ينشر عدداً من الكتب الجليلة في الفقه والتاريخ والنحو والأدب. وأثاب الله المحققين كفاء ما بذلوا من جهد ووقت. وأمدّ الدار الناشرة بالعون والسَّداد لمتابعة النشر العلمي الأمين. ورحم الله الصلاح الصفدي، الذي كان ابن واحد من المماليك فرفعه الله بإيمانه وعلمه درجات، بلغ بها مرتبة الإمامة؛ ﴿وإذا قيل انشُزوا فانشزوا يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ [المجادلة ٥٨ : ١١] والحمد لله رب العالمين.

مازن عبد القادر المبارك

دبي في ٢٠ من شعبان سنة ١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

كلمة أولى :

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ،

فإننا ما زلنا نكتشف كنوزاً جديدة من تراثنا كانت حبيسة الرفوف ، ثم قيَّض الله لها أن ترى النور وتخرج للناس وينتشر ما فيها من علم بينهم .

وكتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) للصفدي واحد من أهم مصادر القرن الثامن ، كانت أجزاؤه متناثرة في عدد من مكتبات العالم ، ولم يُقيَّض له من يجمعه ويخرجه ، إلى أن قام البحّاثة الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين بتصوير مخطوط الكتاب ونشره كما هو ، فنبَّه الناس عليه ، ودلَّهم على ما فيه .

ومنذ أن وقفتُ على هذا المخطوط واطَّلعتُ على ما فيه وَقَرَ في نفسي أن أقوم بتحقيقه ، بيد أن الأمر وقتها كان صعباً ، والظروف لا تعين عليه .

وقد شاء الله تعالى أن يعينني على تحقيق ما كنت أصبو إليه ، ويقيض لي من سبل التيسير ما لم يكن بالحسبان . فتضافرت جهود كثيرة ، ونوايا طيبة مخلصة هيأت لهذا الكتاب أن يرى النور محققاً على وجه نسأل الله أن يكون مقبولاً .

فقد رغب إلي الأخ الفاضل محمد عدنان سالم مدير عام دار الفكر العامرة أن أتولى تحقيق الكتاب والإشراف على إنجازه ، تاركاً لي اختيار من يعينني على هذا الأمر . فتخيرت لذلك من توسمت فيهم الخير والمقدرة ، ووضعت منهجاً للتحقيق يتناسب

ومضمون هذا الكتاب وحجمه ، وشرعنا بالعمل ، وها هو اليوم قد انتهى على أتمّ وجه نستطيعه ، والله نسأل أن ينفعنا به جميعاً .

ولا بدَّ في هذا المقام من شكر أهل الفضل الذين كان لهم أياد بيض على هذا العمل ، والاعتراف بجميلهم وحسن صنيعهم .

ففي مقدمة هؤلاء أستاذنا الجليل المفضال الأستاذ الدكتور مازن المبارك ، أمدَّ الله في عمره ، وبارك له فيه ، فقد كان وراء هذا العمل يحثنا على إنجازه ، ويوجهنا بآرائه السديدة ونظراته الصائبة ، نلوذ به كلما حزبنا أمر أو أشكلت علينا قضية ، أو فترت لنا همّة ، فنجده أباً حنوناً ، وأستاذاً عطوفاً ، وعالماً خبيراً ، يفيض علينا بنصائحه وتوجيهاته التي نهتدي بها حتى أُنجز هذا الكتاب ، فله منا الشكر أتمه وأجزله ، والعرفان بفضله ، ضارعين إلى الله عزّ وجلّ أن يديمه ذخراً للعلم وأهله .

ومنهم الباحثون الأفاضل والقيمون على مركز جمعة الماجد بدبي ، إذ كان لهم فضل البحث والتنقيب عن مخطوطات الكتاب وتصويرها من شتى مكتبات العالم ، فجزاهم الله خيراً ، وأعانهم على فعل الخير دوماً .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أسجل الشكر والامتنان للأخ الفاضل الأستاذ محمد ناصر العَجْمي ، الذي قدم لي بكل نفس رضية عدداً من الأجزاء المخطوطة للكتاب كانت في مكتبته . أثابه الله عنا كل خير .

وها هو كتاب (أعيان العصر وأعوان النصر) يرى النور من جديد بعد أن ران عليه غبار نحو سبعة قرون ، وقد بذلنا فيه من الجهد ما أعاننا الله عليه ، مع الحرص على خدمة هذا الكتاب وتحقيقه تحقيقاً علمياً يعين القارئ على الإفادة والنفع منه ، راجين الله تعالى أن يتقبله منا ، وأن يغفر لنا زلاتنا ، فما نحن إلا بشر من البشر ، نخطئ ونصيب ، والله المستعان ، هو حسبنا ونعم الوكيل .

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ
آذار ١٩٩٦ م

علي أبو زيد

الصفحة الأولى من الجزء الثاني (نسخة الأصل)

٣٢٠

حرف الضاد

الضفدع الخياط محمد ابن يوسف ٥
ضياء الدين العبدي الشيخ المشهور بالديار المصرية كان حسن الشكل ظريفا فيه
عفة وديانه وتنديبه ظريف وتنديره حلو وكانت له مكارم ووجاهه قال يوما وقد
راى الشيخ محمد القصار وهو في سماع يرقص فقال له يا قصار لبست الخرقه فقال
له القصار سريعا من دكك الخارج واضافهم يوما انسان واحضر لهم نوتا فلما اكلوه عن
الضيافه فقال الشيخ ضيا الدين يا جماعه توبه توبه فرغت الحدوته قال
شيخنا العلامه تقي الدين قاضي القضاه السبكي هو الذي كان السبب في ولاية الشيخ تقي الدين
ابن دقيق العيد قضا الديار المصريه وحلف عليه بالطلاق من زوجته ابنة ... واخذه
وطلع به الى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقال له جبتك بسفين بن عيينه او
الثوري كما قال وتوفي الشيخ ضيا الدين رحمه الله تعالى في جمادى الاخرة سنة تسع وعشرين
وسبع مئة بالقاهرة بزاويه بالقرب من جامع السلطان ٥
رضي الدين ابن خطيب بيت الابار محتسب القاهره وناظر البيمارستان المنصوري
اسمه يوسف ابن ابي بكر ٥

حرف الطاء

مهملة طابطا بالطاء المهمله وبعدها الف وباء موحدة وطاء ثانية والف الامير سيف الدين
ولد الامير سيف الدين يلبغا اليحيوى احد امرا الدين مقدمي الالوف بحلب ودمشق
كان رجلا امياه عن اعجميا . لا يعرف ما الناس فيه . ولا يدري الفرق بين الظلم والسنه
ذاق فقد مثل ذلك الولد . وعدم الصبر عليه والجلد . فالعجب كل العجب حياته بعده .
وكونه ما سكن فيه لحده . لم يزل على حاله الى ان قضى بالموت . وتعذر عليه الفوت
وتوفي رحمه الله تعالى بحلب في صفر سنة خمسين وسبع مايه . وقدم على البلاد لما طلوع
عند الملك الناصر محمد هو ووالده الامير سيف الدين استدمر والامير سيف الدين قراكوز
ولم يزل الى ان خرج والده يلبغا الى حماة نايبا فخرج هو واولاده ولما توجه يلبغا الى حلب
نايبا توجهوا معه وصار هو امير منه مقدم الف واولاده امرا ولما جا يلبغا نايبا الى
دمشق حضر معه وما جرى له ما جرى وهرب هو معه ولما امسك بجماه امسكا
وقيد هو ووالده يلبغا وجهزا الى مصر فلما وصلا الى قاقون تلقاهما الامير سيف الدين
منجك فاطلعهما الى قلعة قاقون وافرد كل منهم عن الاخر ثم انه ركب الامير سيف الدين
على البريد وجهز الى مصر فاما والده يلبغا فخنق وحز راسه وجهز بعده ثم ان طابطا
للظفر جهز الى الاسكندرية ولما تولى الملك الناصر حسن بعدها فرج عنه واطلقه وكان مدة
مقامه في الحبس ثلاثة اشهر تقريبا وافرج عنه في شهر رمضان سنة ثمان واربعين
وسبع مايه ثم انه جهز اميرا الى حلب فاقام بها الى ان توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المتقدم
طاجار بالطاء المهملة وبعد الالف جيم والف بعدها راء الامير سيف الدين
الدوادار المارداني الناصري كان شكله مليحا . ووجهه صبيحا . مستعمل شعر
الذقن في سواد . خفيف الحركة لا يلحقه الجواد . وكان يغلب عليه اللعب واللهو
والانشراح والزهو . لا يوثر على الرقص شيا . ولا يتخذ غير ظله فيا . على انه ملكه تمكنا
تمكينا كثيرا . واحله من الدوله محلا اثيرا . ركبه في البريد الى الشام مرات وتلقاه
الناس بالتقادم والتقدمات . وحصل ما الجزيلا في مدة قريبه . واقتنا اشيا من كل صنف عجيبه

٩٠ سم ٨

ساورت في العلياء حتى صرت شهوة كل شهوه
لا استجيب لغير مد ح الشيخ شمس الدين دعوة

يونس ابن عيسى بن جعفر بن محمد القاضي شرف الدين الهاشمي الارمنتي كان من الفضلاء النبلاء قليل الكلام كثير الاحتشام واسع الصدر بشاشا كا سمع من ابي العباس احمد بن محمد القرطبي واشتغل بالفقه على خاله العلامة الرضي الارمنتي وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي وتولى الحكم بعدة اماكن منها دشنا وادفو واسنا وابنود وقمولا وما معها من النواحي ونقاده وناب بقوص قريبا من ثلثين سنه في اهلها راضون عنه وله معرفه بالفرايض والحساب والوراقه ودرس بالمدرسة العزيه ظاهر قوص واعاد بالمدرسة النجيبية مدة قال لي كمال الدين الادفوي وكان حلو الملتقى ينبسط ويتبسم وفيه تعدد وعليه مهابة فقيه النفس يتكلم على الوسيط كلاما حسنا ولما حج اخر حجة اجتمع بقاضي القضاه بدر الدين ابن جماعه وتحدث معه فاعجبه سمته واحسن اليه واضافه ضيافة حسنه كبيره وخطر له ان يوليه الشرقية فذكرت له فقال انا في اخر العمر ما اخرج من وطني وايضا فانا في قوص اي من ولي اقرني على حالي والكل على غيري وقع من علو فمات رحمه الله تعالى بعد سنه سنه اربع وعشرين وسبع مايه

اليونيني الشيخ شرف الدين علي بن محمد . وقطب الدين موسى بن محمد

تم الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه
نهار الجمعه الثالث والعشرين من شهر ربيع الاول
سنه ٩٧٣ من الهجرة النبويه على صاحبها
افضل الصلاة والسلام بخط
العبد الفقير المعترف بالذنب والتقصير الراجي عفو ربه القدير
ابو بكر عبد الرحمن ابن ابو بكر العواجي نزيل مكه المشرفه
عفا الله عنه بمنه وكرمه امين
امين



الصفحة الأولى من الجزء الثاني (نسخة ق)

بسم الله الرحمن الرحيم　　عفوك اللهم

ادريس

بن علي بن عبد الله الامير عماد الدين الحسني الحمزي اليمني　　عماد الدين اليمني

كان زاهداً امرا اليمن في دولة الملك المؤيد جميعاً وكان فارساً لا
فارساً مقداماً ذكر انه اتقن علوما وانشا شعرا ومنظوما وكان
زيدي المذهب ناشر العلم المذهب هم اهل مذهبه بتلك البلاد
ان يقلدوه الزعامة ويرشحوه للامامة لانه جمع بين الشجاعة
والكرم ونبع من السيادة في صغره فامتنع ونزع يده فعرف له
ذلك الملك المؤيد وادناه ولم يزل على حاله الى ان تم امره وتم
عليه قبضه وتوفي رحمه الله لسنة ثلاث عشرة وثمانمائة　ومن شعره

عوجا على الرسم من سلمى بذي قار　　واستوقفا العيس في ساحة الدار
وسائلاها عسى تنبيكما خبراً　　يشفي فؤاداً قطعتني لبعض اوطار

مشطها

يا راكباً بلغاً عني بني حسن　　وخص منهم فتى ترمي عنه الجار

الصفحة الأولى من الجزء السابع (نسخة ق)

١

علي بن عيسى

علي بن عيسى بن سليمان بن رمضان بن أبي الكرم الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل
المعتمد بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه شرف الدين ناظر الأوقاف وصهر الوزير
بهاء الدين ابن حنا التغلبي المصري يعرف بابن القيم سمع من ابن النحاس العارسي وعبد العزيز
ابن باقا وضبط التلقي وتردد مدة عن الفارسي وكان فيه قوة ورحمة وخشوع
يركب الخيل ويصرف مصالحه ويسعى في مناجحه وعنده دين وافر
وعقل كاف ولطف في ملتقاه وتواضع وصعد أعلى مرقاه ولم تزل حاله
إلى أن انصرم حبله وبان انصرام حبله وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشر القعدة
سنة عشر وسبعمائة ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة وسمع منه الدمياطي والحارثي
وشيخنا البرزالي [illegible] وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي والواني والنويري
[illegible] وابن المنذر والشيخ رافع [illegible] الشيخ [illegible] حضوريا وابن النحاس وابن [illegible]
وقرأ الشيخ الذهبي الأول من عوالي ابن عيينة للرئيس التقي وكان يركب الخيل
ويقوم لكل من يدخل عليه ويمشي أمور [illegible] الأصحاب [illegible]
[illegible] الصاحب بهاء الدين ابن حنا

الصفحة الأولى من النسخة (خ)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حرف الهمزة أياجي الأمير سيف الدين النائب بقلعة دمشق أولاً [illegible]
[illegible] من ترجمته أنه كان في عدد أمراء حلب وصار بعد ذلك [illegible] إلى دمشق [illegible]
[illegible] إلى دمشق بعد موت الأمير علاء الدين مغلطاي [illegible] وذلك في سنة تسع و[illegible]
وسبعمائة وضبط أمر القلعة [illegible] خصوصاً [illegible]
ومن [illegible] الدروس [illegible] وصار [illegible]
[illegible] وزاد في القلوب احترامه [illegible] الأمير
سيف الدين [illegible] وكان شيخاً [illegible] وقراءة [illegible]
[illegible] ووصل إلى [illegible] على حاله إلى أن
[illegible] وتوفي رحمه الله يوم [illegible] عشر
شعبان سنة خمس وخمسين وسبعمائة إبراهيم القاضي برهان الدين الزرعي الحنفي
[illegible] القاضي [illegible] بدمشق مولده سنة ثمان [illegible] وستمائة
وتوفي في نصف شهر رجب الفرد يوم الجمعة سنة [illegible] وأربعين وسبعمائة [illegible]
من [illegible] الناس [illegible] الفروع [illegible] من الشروح
[illegible] أصول الفقه [illegible] الناس [illegible] الإلباس [illegible]
[illegible] الفرائض [illegible]
[illegible] وكتب [illegible]
وكان الناس يأتون إليه [illegible]
حسن خطه [illegible]
على [illegible] والطرائق التي [illegible]
[illegible]
[illegible] الشرعية [illegible]
[illegible] وكان حسن الشكل [illegible]
شمس الدين [illegible] وكان [illegible] الفتوى [illegible]
الأحكام [illegible] من الذكاء والفطنة [illegible] الغوامض التي [illegible]
[illegible] التي [illegible] والاشتراك
[illegible] في سوق الكتب [illegible] الدور والدارس [illegible]
اللغة التركية من جواريه [illegible] مع [illegible] في عبارته [illegible]
في كلامه وبلاغة في إشارته أخذ الأصول عن العلامة كمال الدين بن الزملكاني وقاضي القضاة
جلال الدين القزويني [illegible] خطيباً [illegible] برهان الدين المذكور [illegible]
حضر دروس العلامة ابن تيمية كثيراً ويأخذ من فوائده [illegible]
[illegible] ويرى أنه يتعلق [illegible] إلى أن قضى نحبه [illegible]
ربه رحمه الله تعالى وكان قد درس بالوقف الجديد الذي أوقفه الأمير سيف الدين [illegible]

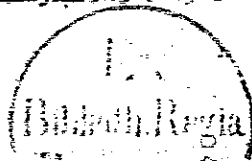
برهان الدين الزرعي الحنفي

الصفحة الأخيرة من النسخة (خ)

علاء الدين بن الأثير طلبه السلطان الملك الناصر محمد ليكتب بين يديه شيئاً في السر على أن يجعله كاتب سر فلما أخذ الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار يده ودخل به في دهليز القصر أخذت في سراويله تاعق من الدخول وللكبرة سنه غورت عينه وانبعث لركانه قواه وهو ملازم القدمة فكنت أقول له لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً لكان يقول أخاف أنهم يقطعون معلومي ولم يكن أحد يقدم على ذلك لتقدم هجرته وثبوت قدمه في الخدمة ولكن كل ذلك من ضعف نفسه وكان يكتب خطاً رديّاً ضعيفاً ولم يزل على حاله حتى توفي في سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وأُثبت معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رسم به للقاضي شهاب الدين محمود ولم يزل عليه إلى أن خرج إلى دمشق كاتب سر فأعطي المعلوم للقاضي صلاح الدين المذكور ولما توفي رسم بالمعلوم للقاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود / يوسف بن محمد بن أحمد بن صالح بن صارم بن مخلوف القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي العزي القوصي اجتمعت به بالديار المصرية ثم إنه ورد إلى صفد وكان في ديوان نائبها الأمير سيف الدين طشتمر الساقي ثم توجه معه إلى حلب ثم إنه عاد إلى مصر واجتمعت فيها به سنة خمس وأربعين وسبعمائة وكتب هو إلي لما قدمت القاهرة في هذه السنة وجدنا النفس مولانا قلنا ووجدنا الأنس إذ نزوره بذاكا وهام الطرف مني في انتظار وبرد من الصبابة أن يراكا بحرت عن المزار فكنت ممن تواك به إنما من فواكا ولا عتب على شيخ ضعيف إذا ما قام لم يملك حراكا تعش بمسرة الأحباب إنا إذا ما عشت عشنا في ذراكا وكان قد كتب إلي بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة أبياتاً جيدة صاغت من يدي وكتبت إليها الجواب في وزنها ورويها وهو هدية لي من نظمك الناضر زهر يا فديه بالناظر نظمته شعراً فاقني الورق عن كل معنى حسن نادر وفيا في لطف نسيم الصبا إذا سرى وهنا على خاطر يكاد من رقة ألفاظه يشرب في كأس الطلا الدائر من كل معنى قلقني لم يدر في فكر نظام ولا ناثر من أين أبدعت المعاني التي فيه وما مرت على خاطر لو كان في عصر مضى ما رأى الناس البكا في الأول الداثر ولا روى العشاق مع وجدهم تشبيب مجنون بني عامر ولا رأى الناس غزال الحمى برق فيه غزل الحاجري وإنما بصوت لفظه شواهد في المثل السائر كانت أولى الناس فينا بأن تعرف بالساحر لا الشاعر علوت نور الدين في ذروة تسمو على الواقع والطائر والآن ما تنظمه لم يكن لأول فينا ولا آخر شعر متى أنشأته يفلس بنفسه لم يك بالخاسر لله قد بالغت في وصف ما يتل في الباطن والظاهر لا تني في أدبي قاصراً سيح في بحر التقى الزاخر وليس بالجمع مستحسناً في أدب النادي ولا الحاضر وإنما أختار مولاي أن يكون من دون الورى جابري قاسم ودم بالتشبيب روضة يكفي لها جفن الحيا الماطر وأنشدته يوماً الغزا نظمته في قصب السكر وهو حبيبة لمعسول الرضاب مهفهف يعاني أنا بجب القنا عند نبته يناقض معناه الغريب قبوله على الرأس رأس والقرار في أسنة فأنشدني هو من لفظه لنفسه فيه في حلبا بصرت أعجوبة تحرج أذكى الناس من عقله شخصاً رشيق القد عذب اللما لا ينفذ الروم على مثله وهو لا يغفل جرح الحشا والود لا يشبع من أكله لا يبرح البول على رأسه والقيد لا ينفك من رجله يا من سما بين الورى قدره اكشف لنا عنه وعن أصله وأنشدني من لفظه لنفسه في العصفر أشبه عصفراً في الروض بزهر وتشبيهي لهن مقارب

آخر التاريخ والحمد لله وحده وذلك في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وثمان مائة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

القاضي ... نور الدين بن ...



الصّفدي

هو خليل بن أيبك بن عبد الله الألْبَكي ، الغـاري ، صلاح الـدين ، أبو الصفـاء ، الصفدي الأصل ، الدمشقي الدار والوفاة[1] .

كان والده عز الدين أيبك من أمراء المماليك في صفد ، وفيها وُلد ابنـه خليل سنـة ست وتسعين[2] وست مئة للهجرة .

وكان لمكانة أبيه الاجتماعية أثر في نشأته التي نشـأهـا بين العرب ، فتشرب الثقـافـة والفصاحة منهم ، كما تمتع بحياة سعيدة مترفة في كنف أبيه ، مما أعانه على إشباع رغباتـه وتنميـة مواهبـه ، فحفـظ القرآن صغيراً ، وكان أبـوه شـديـد العنـايـة بـه ، فمنعـه « من الاشتغال حتى استوفى عشرين سنـة ، فطلب بنفسـه وقـال الشعر الحسن ، ثم أكثر جـداً من النظم والنثر والتَّرسل والتواقيع »[3] .

ويبدو أنه كان في بداية أمره ميالاً إلى إتقان الخـط والرسم ، فبرع في ذلـك ، قـال ابن حجر : « وتعانى صنـاعـة الرسم فمهر فيهـا ، ثم حبب إليـه الأدب فولع بـه ، وكتب الخط الجيد »[4] .

---

(١) ترجمته في : الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبـة : ٢٢٧/٣ ، ووفيـات ابن رافع : ٢٦٨/٢ ، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه : ٢٦٨/٣ ، وبـدائع الزهور : ٧/٢/١ ، والبـدر الطـالع : ٢٤٤/١ ، والـذيـل على العبر لابن العراقي : ١٣٤/١ ، والنجـوم الـزاهرة : ١٩/١١ ، والمنهـل الصـافي : ٢٤١/٥ ، والسلوك : ٨٧/١/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .

(٢) وقيل : ولد سنة (٦٩٧ هـ) . انظر البدر الطالع : ٢٤٣/١ . وفي تـذكرة النبيـه أنـه رأى ولادتـه بخـط الصفدي سنة (٦٩٦ هـ) .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، والبدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٤) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

ولم يكتف الصفدي بما أخذه عن علماء بلده ، إذ « كانت له همة عالية في التحصيل » ، فبدأ يتنقل بين المدن ، ويأخذ عن علمائها ، فارتحل إلى دمشق ، وحلب ، والقاهرة ، وغيرها من حواضر العلم ، وأخذ عمن لقيه فيها من العلماء .

وبدأ ذكر الصفدي يبرز بين علماء عصره وأدبائه ، وعُرف عندهم وعند أولي الأمر ، وأخذ يتسنم المناصب والوظائف المهمة في الدولة ، « وأول ما ولي كتابة الدرج بصفد ، ثم بالقاهرة »[(١)] . وولي « كتابة بيت المال بدمشق ، وكتابة الإنشاء بها وبالديار المصرية ، ثم ولي كتابة السِّر بحلب ، وباشر وظائف جليلة »[(٢)] . قال ابن حجر : « وباشر كتابة السِّر بحلب وقتاً ، وبالرحبة وقتاً ، والتوقيع بدمشق ، ووكالة بيت المال . وكان محبباً إلى الناس ، حسن المعاشرة ، جميل المودة . وكان في الآخر قد ثقل سمعه ، وكان قد تصدى للإفادة بالجامع »[(٣)] .

ويبدو أن الصفدي الذي أكثر من كتب التراجم لم ينسَ نفسه ، فقد أشار ابن العراقي إلى أن الصفدي ترجم نفسه بترجمة ، وكتب في أولها :

ترجمت نفسي جهلاً وذاك مني عجيب
لكن أمرك أضحى ومقتضاه الوجوب[(٤)]

شيوخه :

تتلمذ الصفدي على معظم علماء عصره ، وأخذ عنهم ، وقد صرح بذلك في أثناء ترجمته لهم في كتابه هذا الذي جعله لتراجم علماء عصره ومشاهيره ، فكثيراً ما كان يذكر

---

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .
(٣) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .
(٤) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .

أخذه عن المترجم له وإجازته له ، وما إلى ذلك . ولا نريد أن نحصي كل شيوخه في هذه المقدمة ، بل يكفي أن نذكر أبرزهم ، الذين أسهموا في تكوينه الثقافي المتنوع .

فقد أخذ الأدب عن شهاب الدين محمود بن سليمان (ت ٧٢٥ هـ) ، ولازمه في حياته .

وأعجب بابن نباتة محمد بن محمد المصري (ت ٧٦٨ هـ) ، ونمّى موهبته الشعرية عليه .

وأخذ النحو عن أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) .

وأخذ التاريخ والمغازي والسير عن فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) ، والحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .

وفي الحديث والرجال تتلمذ على الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢ هـ) .

وأخذ الفقه الشافعي عن القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة (ت ٧٣٣ هـ) .

وقرأ على الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) ، والشيخ علي بن محمد البندنيجي (ت ٧٣٦ هـ) ، وسمع من يونس الدبوسي .

كما أنه حصّل كثيراً من العلوم بنفسه ، فقرأ « شيئاً من الحديث ، وكتب بعض الطباق »[١] .

وقال ابن تغري بردي : « وكان بينه وبين علماء عصره وأدبائه مكاتبات ومراسلات »[٢] .

(١) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

(٢) المنهل الصافي : ٢٤٢/٥ .

وقد تنامت شهرة الصفدي بين علماء عصره ، وشهد لـه بـالفضل والتقـدم تلاميـذه وشيوخه ، حتى إن عدداً من شيوخه أخـذ عنـه ، قـال ابن حجر : « وقـد سمع منـه من أشياخه : الذهبي ، وابن كثير ، والحسيني ، وغيرهم »[(١)] .

مكانته وأقوال العلماء فيه :

استطاع الصفدي أن يحصّل علوماً مختلفة ، وأن يبدع فيها ويتقدم بين الناس على أترابه ، إضافة إلى موهبة فذة ، وذكاء حاد ، ومقدرة كبيرة على التتبع والحفظ ، وحسن المعاشرة للناس . وقد شهد له بذلك كل من ترجم لـه ، فقـد نقل ابن حجر عن الـذهبي قوله في الصفدي : « الأديب البارع الكاتب ، شـارك في الفنون ، وتقـدم في الإنشـاء ، وجمع وصنف »[(٢)] . كما نقل عن الحسيني قولـه : « كان إليـه المنتهى في مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم »[(٣)] .

ـ ونقل ابن قاضي شهبة عن الـذهبي قولـه في (معجمـه المختص) : « الإمـام العـالم الأديب البليغ الأكمل ، طلب العلم ، وشارك في الفضائل ، وساد في علم الرسـائل ، وقرأ علم الحـديث ، وكتب المنسوب ، وجمع وصنّف ، والله يمـده بتوفيقـه . سمع مني وسمعت منه ، وله تواليف وكتب وبلاغة »[(٤)] .

ـ وقال ابن إياس : « كان عالماً فاضلاً شاعراً ناظماً »[(٥)] .

ـ وقـال ابن كثير : « كتب الكثير من التـاريـخ واللغـة والأدب ، ولـه الأشعـار

---

(١) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ .

(٢) الدرر الكامنة : ٨٧/٢ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٨/٣ .

(٣) الدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

(٤) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٨/٣ .

(٥) بدائع الزهور : ٧/٢/١ .

الفائقة ، والفنون المتنوعة ، وجمع وصنف وألف ، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات »[١] .

- وقال ابن حبيب : « كان عالماً فاضلاً ، كاتباً مجيداً ، رئيساً جليلاً ، إماماً في معرفة الأدب ، رأساً في صناعة الإنشاء ، بارعاً في النظم والنثر »[٢] .

- وقال ابن العراقي : « الإمام الأوحد ... وله نظم فائق ونثر رائق . وكان رأساً في صناعة الإنشاء »[٣] .

- وقال ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً »[٤] .

- وكان لابن أبي حجلة رأي آخر في الصفدي نقله ابن إياس قال : « قال الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة : كان الصلاح الصفدي يسرق من معاني الناس في الأدبيات وينسبها إلى نفسه ، وقد وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة ما ذكره في كتاب (خبز الشعير) ، وأظهر سرقات الصلاح الصفدي فيه ، فلما أن تزايد هذا الأمر من الصلاح الصفدي قلت في معنى ذلك : وهو قولي :

إن ابن أيبك لم تزل سرقاته ... تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه ... جهلاً فراح كلامه في الريح »[٥]

شعره :

لم تتوقف موهبة الصفدي عند التأليف والتَّرسل والتاريخ واللغة ، وما إلى ذلك

---

(١) البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ .
(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .
(٣) الذيل على العبر : ١٣٥/١ .
(٤) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .
(٥) بدائع الزهور : ٨/٢/١ .

من فنون القول والمعرفة التي أتقنها وصنف فيها المجلدات الكثيرة ، بل كان شاعراً فحلاً من شعراء عصره ، نظم في أغراض الشعر كلها وأجاد ، وله القصائد المطولة ، والمقطعات ، والأبيات المفردة ، وكثيراً ما كان يسمع الأبيات لغيره فيعجب بالمعنى ، ويدرك تقصير القائل عن الوفاء به ، فينظم هو في المعنى ذاته ما يراه أفضل مما قيل .

ولم يقتصر نظمه على الشعر ، بل له مشاركة جيدة في الفنون الشعرية المستحدثة ، فله الموشحات ، والأزجال ، والمواليا ، والألغاز والأحاجي ، وغير ذلك مما اشتهر في زمانه فأدلى بدلوه فيه .

وقد أكثرت كتب الأدب والتراجم من إيراد الأمثلة من شعره ونظمه ، ويكفي القارئ ما أورده الصفدي لنفسه في أثناء هذا الكتاب (أعيان العصر) من أشعار قالها في بعض من ترجم لهم مادحاً أو راثياً أو مجيباً أو مستجيزاً أو ملغزاً أو حالاً للغز سُئل عنه ، أو مقلِّداً أو معارضاً أو مبتدعاً .

ومرَّ بنا بعض الإشارات إلى شعره ذكرها معاصروه في الحديث عن مكانته ، ومنها أيضاً ماقاله ابن تغري بردي : « كان إماماً بارعاً كاتباً ناظماً ناثراً شاعراً ، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس ، وهو من المكثرين »(١) . وقال ابن حبيب : كان « بارعاً في النظم والنثر ، ونظمه حسن كثير »(٢) .

ولعل ابن تغري بردي قد أنصف الصفدي عندما تحدث عن شعره قائلاً :

« وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير ، وفضله غزير ، وهو شاعر مجيد ، على أن جيده يزيد على رديئه . ولولا أنه كان ضنيناً بنفسه ، راضياً بشعره ، لكان يندر له الرديء ، ويكثر منه الجيد . فإنه كان غوّاصاً على المعاني ، مبتكراً للنكتة البديعة ، عارفاً بفنون الأدب . لكن رأيت من نظمه بخطه عندما يعارض بعض من تقدمه من

(١) النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .

(٢) تذكرة النبيه : ٢٦٨/٣ .

مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة ، فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة فينظمها في بيتين ويجيد فيهما بحسب الحال ، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين أخر ، ثم بيتين ، ثم بيتين ، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى وهو يقول : وقلت أنا ، إلى أن يمله النظر وتسأمه النفس ويمجه السمع ، فلو ترك ذلك ، وتحرى في قريضه لكان من الشعراء المجيدين لما يظهر لي من قوة شعره وحسن اختراعه »[1] .

وأشار الشوكاني إلى اجتراء الصفدي على بعض معاني شيخه ابن نباتة فقال : « وكان يختلس معاني شعر شيخه ابن نباتة وينظمها لنفسه ، وقد صنف ابن نباتة في ذلك مصنفاً سمّاه : (خبز الشعير المأكول المذموم) وبين سرقاته لشعره »[2] .

مؤلفاته :

أثرى الصفدي المكتبة العربية بعدد كبير من الكتب في فنون شتى ، وأتى فيها بعلم غزير ، أخذه عن السابقين والمعاصرين ، ولوّنه بذَوب نفسه وفكره ، وبإنشائه الرائع وأسلوبه البديع .

وقد نقل عن الصفدي أنه قال : كتبت بخطي أزيد من ست مئة مجلدة ، أو ثمان مئة مجلدة[3] ، وهذا يدلنا على سعة علم الشيخ وغزارة إنتاجه ومشاركته العظيمة في ثقافه عصره .

كما أكثرت كتب التراجم من الحديث عن مؤلفاته ووصف مضمونها وأسلوبه فيها ، ولست هنا صددَ إحصائها ، بل سأكتفي بذكر أهمها :

---

(١) المنهل الصافي : ٢٥٧/٥ .

(٢) البدر الطالع : ٢٤٤/١ .

(٣) انظر : تاريخ ابن قاضي شهبة : ٢٢٩/٣ ، والبداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ومفتاح السعادة ، والدرر الكامنة : ٨٨/٢ .

١ ـ الوافي بالوفيات :

وسمّاه الصفدي مراراً في (الأعيان) باسم : (التاريخ الكبير) . وهو من أوسع كتب التراجم في المكتبة العربية ، وتميزت تراجمه في الغالب بالاختصار . وربما رأى بعض الباحثين أن كتابه (أعيان العصر) اختصار لكتابه (الوافي) ، وهذا غير صحيح ، لأنه لكل كتاب مزية وغاية ، وإن كنا نرى كثيراً من التراجم مكررة في الكتابين ، إلا أن هناك فروقاً واضحة تُدرك لأدنى مقابلة بين العملين .

وقد قامت على تحقيق الكتاب ونشره الجمعية الاستشراقية الألمانية في بيروت ، وأشرف الكتاب على نهايته .

٢ ـ الغيث المسجم في شرح لامية العجم :

عمد الصفدي في هذا الكتاب إلى شرح قصيدة الطغرائي المعروفة باسم (لامية العجم) فجاء الكتاب معبّراً خير تعبير عن ثقافة الصفدي المتنوعة إذ تضمن إشارات كثيرة وفوائد متنوعة في فنون مختلفة ، ولم يقتصر على الشرح فحسب ، بل كان الشرح وسيلة لإبراز علمه وثقافته وتصيد شوارد الأشعار والأخبار والقضايا النحوية واللغوية ، وغير ذلك .

وقد طبع الكتاب في مجلدين ، غير ما طبعة .

٣ ـ تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون :

ويقع الكتاب في مجلد كبير ، شرح فيه رسالة ابن زيدون الجدية ، فكشف غوامضها ، وأوضح رموزها وإشاراتها ، وفصل في أخبارها ، وشرح غريبها ، فجاء الكتاب حافلاً بالفوائد الأدبية واللغوية والتاريخية .

طبع الكتاب بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم .

٤ ـ نَكْت الهَميان في نُكَت العميان :

أورد فيه تراجم وأخباراً لكثير من علماء الأمة ومشاهيرها من العميان .

وهو جزء واحد طبع بعناية أحمد زكي بك ، في مصر .

٥ ـ نصرة الثائر على المثل السائر :

ألّفه ردّاً ونقداً لما جاء في كتاب (المثل السائر) لابن الأثير .

طبع بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ، في مجمع اللغة العربية بدمشق .

٦ ـ فض الختام عن التورية والاستخدام :

مطبوع . ومضمونه واضح من عنوانه .

٧ ـ جنان الجناس :

طبع غير مرة .

٨ ـ تشنيف السمع بانسكاب الدمع :

طبع في القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

٩ ـ تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب :

طبع في وزارة الثقافة بدمشق (١٩٩١ م) بتحقيق إحسان بنت سعيد خلوصي ، وزهير حميدان الصمصام .

١٠ ـ كشف السّر المبهم في لزوم ما لا يلزم :

وهو أبيات ومقطعات شعرية ، مخطوط .

قدمه أحد الطلبة رسالة ماجستير في جامعة دمشق ، منذ سنوات .

١١ ـ ألحان السواجع بين المبادي والمراجع :

وهو كتاب جمع فيه رسائله إلى بعض معاصريه . أحال عليه غير مرة في (أعيان العصر) . وهو مخطوط .

١٢ ـ التذكرة :

وهو مجموع في الأدب والشعر كبير ، رتَّبه حسب الموضوعات ، وقسَّمه إلى أبواب في أنواع الفضائل والرذائل ، وفيه فوائد تاريخية واجتماعية ، وتراجم كثيرة لشعراء عصره وأدبائه جمع فيه كثيراً من أشعارهم وأخبارهم .

وهو مخطوط .

١٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر :

وسأفرده بحديث مستقل .

وفاته :

توفي خليل بن أيبك الصفدي بالطاعون في دمشق ليلة الأحد العاشر من شوال ، سنة (٧٦٤ هـ) .

أعيان العصر وأعوان النصر :

١ ـ اسم الكتاب :

ثمة خلاف يسير في اسم هذا الكتاب في بعض المصادر ، إلا أنه لا يثير فيه شكّاً ، ولا يحتاج إلى كبير مناقشة أو تحقيق ، لأن هذا الخلاف انبنى على تقديم وتأخير أسهم فيه اسم الكتاب نفسه وسجعته التي تحتمل الوجهين . ففي بدائع الزهور[١] ، والنجوم الزاهرة[٢] ، والسلوك[٣] : (أعوان النصر في أعيان العصر) .

وفي البدر الطالع[٤] ، والدرر[٥] : (أعوان النصر وأعيان العصر) .

---

(١) ١/٢/٧ .

(٢) ١١/١٩ .

(٣) ٣/١/٨٧ .

(٤) ١/٢٤٣ .

(٥) ٢/٨٧ .

وفي المنهل الصافي[1] : (أعيان العصر في أعوان النصر) .

بينما ورد اسمه صحيحاً في تاريخ ابن قاضي شهبة[2] : (أعيان العصر وأعوان النصر) .

٢ ـ موضوع الكتاب :

يقوم كتاب (**أعيان العصر وأعوان النصر**) على تراجم الأعلام الذين أدركهم الصفدي ، أو لقيهم في حياته ، أو أخذ عنهم ، أو كانوا في زمنه في جميع أنحاء الخلافة الإسلامية . وهذا يعني أنه تناول سير (الأعيان) منذ سنة ست وتسعين وست مئة (٦٩٦ هـ) حتى سنة أربع وستين وسبع مئة للهجرة .

ولم يقتصر حديثه على الشعراء والأدباء والعلماء ؛ بل تناول كل من كان له شأن ما ، ولذلك نراه يترجم للسلاطين ، والأمراء على جميع مستوياتهم ، ولقادة الجند ، أو من يقوم على خدمة المساجد ودور العلم ، إضافة إلى الشعراء والأدباء والكتاب والقضاة ، ومن هنا جاء اسم الكتاب (أعيان العصر) ، وقد ضمَّ بين دفتَيْه أزيد من ألفي ترجمة بقليل .

٣ ـ منهجه في تأليف الكتاب :

رتَّب الصفدي تراجم الكتاب ترتيباً هجائياً ، فبدأ بحرف الألف وانتهى بالياء . وقد حافظ ـ من حيث الشكل ـ على هذا الترتيب . ثم حاول ترتيب التراجم ضمن الحرف الواحد ناظراً إلى الحرف الثاني ، وهنا نجده يقع في شيء من الخلل ، فأحياناً يقدم ما حقه التأخير ، ويؤخر ما حقه التقديم ، إلا أنه في الغالب يلتزم الترتيب الصحيح .

---

(١) ٥/٢٤٤ .

(٢) ٣/٢٢٩ .

ولم يفرد الصفدي النساءَ في باب مستقل ، مثل كثير من المترجمين ، بل جاءت تراجمهن في مواضعها من الأحرف . ويلاحظ القارئ قلة من ترجم لهن من النساء .

وفي نهاية كل حرف يتوقف الصفدي عند (الأنساب والألقاب) ، فيذكر الأعيان الذين اشتهروا بأنسابهم أو ألقابهم التي تبدأ بهذا الحرف ، ثم يذكر أسماءهم موحياً للقارئ أن تراجمهم في موضعها في ترتيب الأسماء ، وكان في معظم الأحيان يبدأ هذا القسم بعنوان (اللقب والنسب) أو (الألقاب والأنساب) ، وأحياناً قليلة لا يذكر هذا العنوان ، فكنا نستدركه ونضيفه .

٤ ـ منهجه في الترجمة :

يبدأ الصفدي بذكر اسم العلم كاملاً (الاسم والنسب واللقب والكنية) ، ثم يصفه بأوصاف تليق به وتبيِّن مكانته العلمية والاجتماعية ومنزلته بين أقرانه وعند الصفدي ، فيتأنق في عبارته ، وينفث فيها أحسن ما عنده من أساليب الإنشاء وأجمل ما يتيسر له من السجعات . وهذا القسم من الترجمة كان يطول أو يُختَصَر حسب العلَم المترجَم له ومنزلته .

فإذا فرغ من ذلك تحدَّث عن نشأته ، وأبرز أحداث حياته ، وأعماله ، وذكر شيوخه وتلاميذه ، وأشار إلى مؤلفاته إن وجدت ، وتحدث عن أشعاره وانتقى منها أمثلة ، وربما عقَّب على هذه القطعة أو تلك الأبيات مستحسناً أو منتقداً أو معارضاً أو مقلداً ، وكثيراً ما كان يورد ما دار بينه وبين المترجم له من مساجلات أو معارضات أو مساءلات أو ألغاز ، وربما استغرق ذلك منه قسماً كبيراً من الترجمة ، فإذا كفَّ عنه أحال القارئ المستزيد إلى كتابه (ألحان السواجع) أو أشار إلى أنه فصَّل أكثر في كتابه (التذكرة) .

وإذا كان العَلَم من الولاة أو الأمراء أو أولي الشأن ؛ فإنه يفصِّل في الحديث عما جرى في أثناء حكمه أو ولايته ، حتى تصبح الترجمة أحياناً تأريخاً يومياً أو شبه

يومي لأحداث حياة هذا العَلَم (انظر مثلاً ترجمة محمد بن قلاوون) ، وهنا تلين عبارة الصفدي ، ويتخلى عن أسلوبه الإنشائي العالي إلى أسلوب السرد التاريخي المبسَّط ، وكثيراً ما كان ينقل في هذه المواضع عبارات الناس كما هي ، أو كما تلفَّظوا بها في حواراتهم ، ولذلك تشيع الكلمات العامية وجمل العوام البسيطة أو الركيكة ، وكأنَّ الصفدي في هذه الحالة ينقل نقلاً أميناً ما جرى وما قيل دون أن يتدخل في ذلك ، ولعل حرصه هذا على النقل الدقيق الأمين هو الذي جعله يتخلى عن أسلوبه الرفيع الذي يبدأ به الترجمة عادة .

ومن عادة الصفدي أنه يؤرخ لولادة المترجَم له ولوفاته ، ولكنه يتخلى أحياناً عن أحد هذين الأمرين ، أو عنهما معاً ، وسكوته هذا لا يعني أن التاريخ مجهول ، لأن بعض المصادر أوردته ، فإما أن يكون الصفدي غير متثبت من ذلك ـ ولذلك نجده في بعض المواضع يقول : « ومولده .. » و« وتوفي .. » ثم يترك فراغاً ولا يذكر السنة ، وكأنه ينتظر التثبت من الأمر ، فبقي الفراغ كما هو ولم يستدرك التاريخ ـ وإما أن يكون سها عنه .

وقد اتَّبع سنة في ذكر الوفيات لم يُسبَق إليها ، إذ كان يقدم لذلك بعبارة مسجوعة يستخلصها من اسم الرجل أو لقبه توحي بانقضاء أجله ، وكل عبارة تختلف عن الأخرى من أول الكتاب إلى آخره ، وهو بذلك يحاول مجاراة ابن زيدون الذي وقف يرد على معزيه بوفاة ابنته ، فلم يُجب أحداً بعبارة قالها لمن سبقه .

وقد أعجب الصفدي بسرعة بديهة ابن زيدون ، ومقدرته وبيانه ، وأكبر فيه ذلك لا سيما أن ابن زيدون كان في حالة من الحزن لا تسمح له بالإبداع واختيار الأجود ، ولذلك حاول الصفدي مجاراته وتقليده في وفيات أعيانه ، وقد عبَّر عن ذلك في مقدمة هذا الكتاب ، ومع أنه التزم بهذا الأسلوب وألزم نفسه به ، إلا أنه لم يفعله في عدد لا بأس به من التراجم .

وثمة ظاهرة في عدد من التراجم لا بد من الإشارة إليها ، إذ كان من عادته أن يأتي

بشيء من شعر العَلَم في أثناء الترجمة فيقول : « ومن شعره » ، مورداً بعض الأبيات . وقد لا تسعفه الذاكرة أحياناً ، أو أنه لم يكن حافظاً لشيء من شعر بعض المترجمين ، فيترك فراغاً في ظنه أنه سيستدرك ذلك فيما بعد ، وبقيت الفراغات كما هي دون استدراك ، وسيلاحظ القارئ هذا الأمر في أثناء الكتاب . ولعل هذا الأمر مع ما ذكرته من النقص في ذكر بعض الولادات أو الوفيات يحملنا على الظن أن يكون الصفدي قد كتب الكتاب دون أن يبيضه .

ويلاحظ القارئ أن هناك بعض الأخبار أو الأحداث تتكرر في الترجمة الواحدة ، في البداية والنهاية ، مما يحمل على الظن أيضاً أن الصفدي كتب هذه الترجمة على مدة متراخية ، أو أنه أخذ عن أكثر من مصدر ، بيد أن هذه الظاهرة تكاد تكون نادرة ، (انظر مثلاً ترجمة علي بن أحمد بن زفر) .

ومن النادر في تراجم هذا الكتاب أن بعضها كان يكرر دون أن يتضح لنا سبب ذلك ، كما فعل في ترجمة (محمد بن محمد بن عبد الرحمن القزويني) ، و (يوسف بن محمد بن منصور بن عمران) . ولا يشترط في هذا التكرار المطابقة في العبارة والأسلوب .

وربما كان هذا التكرار من مصادر الصفدي ، فيدركه وينبه عليه ، كما فعل في ترجمة (يوسف بن هبة الله) و (يوسف بن هلال) ، إذ قال في ترجمة الأخير : « قلت : الظاهر أنه هذا الذي تقدم آنفاً ، وإنما وهم أثير الدين في اسم أبيه » .

ومن النادر أيضاً أن الصفدي قد ترجم في هذا الكتاب لبعض الأعلام الذين ماتوا بعده ، ولكنهم عاشوا معظم حياتهم في حياته ، (انظر ترجمة عبد الله بن سعد بن مسعود) .

٥ ـ مصادر الكتاب :

استمدّ الصفدي مادة كتابه من مشاهداته وما سمعه وعلم به في المقام الأول ، فهو يترجم لأعيان عصره ، بيد أن ذلك لا ينفي أن يكون أخذ من مصادر أخرى مما يثري

الكتاب ويرفع من قيمة مضمونه ، وربما لجأ إلى ذلك في تراجم شيوخه أو من هم في منزلتهم ، أو في تراجم العلماء والأعيان الذين بعدوا عنه أو شحّت معلوماته عنهم .

وأبرز المصادر التي نقل عنها ، وصرح بذلك :

١ ـ الوافي بالوفيات ، له : نقل عنه وسمّاه : (التاريخ الكبير) .

وكثيراً ما تتطابق عبارة (الأعيان) وعبارة (الوافي) ، وإن كان يزيد في (الأعيان) ويأتي فيه بما لم يذكره في (الوافي) ، وهذا متوقع لأن طبيعة الكتابين ـ وإن تشابهت في الظاهر ـ إلا أنها مختلفة ، لأن (الوافي) أقرب إلى الاختصار لاتّساع مضمونه ، و (الأعيان) يحتمل التفصيل والتطويل ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نعد كتاب (أعيان العصر) مختصراً لكتاب (الوافي بالوفيات) وإن كانت معظم تراجم الأول موجودة في الثاني .

٢ ـ تاريخ البرزالي : يعدُّ كتاب البرزالي (شيخ الصفدي) مصدراً بارزاً لكثير من المؤرخين ، كابن كثير ، وابن حجر ، والذهبي وغيرهم ، لا للصفدي وحده ، فقد أخذوا عنه جميعاً وأكثروا كما أخذ الصفدي ، ونصَّ على ذلك في مواضع كثيرة .

٣ ـ الذهبي : ويبدو أن أكثر نقوله عنه كانت من كتابه تاريخ الإسلام ، وقد صرّح بالأخذ عنه مراراً .

٤ ـ الطالع السعيد للأدفوي : صرح مراراً بالأخذ عنه ، وقد اتّكأ عليه في تراجم علماء صعيد مصر وأعيانهم ، ويلاحظ القارئ أن الصفدي كان يأخذ الترجمة منه حرفياً في الغالب ، وينص على ذلك أحياناً ، ويسكت أحياناً أخرى .

٥ ـ ابن سيِّد الناس .

وقد صرّح الصفدي بالأخذ عن هؤلاء وغيرهم مراراً ، إلا أن هذه المصادر كانت أكثر شيوعاً في (أعيان العصر) .

٦ ـ الأعيان أنفسهم : صرَّح الصفدي غير مرة أنه أخذ هذه الترجمة أو تلك الأخبار من صاحبها ، أو سمعها منه مباشرة (انظر مثلاً ترجمة علي بن الحسين بن قاسم بن منصور ، وترجمة علي بن داود) .

وربَّما نصَّ على أنه طلب من الرجل نفسه أن يكتب ترجمة عن حياته كي يودعها الصفدي في كتابه ، فكان ذلك مزية له . (انظر مثلاً ترجمة علي بن داود بن يحيى) .

كما أنَّه صرَّح أن ابن العوينة هو الذي أملى ترجمته على الصفدي .

٦ ـ تاريخ تأليف الكتاب :

ليس بين أيدينا ما يشير بوضوح إلى زمن محدد بدأ به الصفدي في تأليف هذا الكتاب ، إلا أنه يغلب على الظن أنه ألفه في مدة متراخية من الزمن تقترب من ثلاثة عقود على الأقل ، إن لم تزد عليها ، انتهت قبل وفاته بأيام ، ولذلك أكاد أقول أيضاً إن الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة ولم يبيضه .

ومن دواعي هذا التخمين بعض الإشارات التي وردت في أثناء التراجم ، ففي ترجمة (أيدغمش علاء الدين أمير آخور الناصري) أشار إلى أنه كتبها سنة ست وخمسين وسبع مئة للهجرة ، وهذا يحملنا على التوقع أن يكون بدأ هذا الكتاب قبل هذا الزمن ، أو أنه بدأ بجمع تراجمه أولاً .

وامتدَّ العمل في الكتاب حتى وفاة الصفدي تقريباً ، فقد ترجم لأعلام ماتوا قبيل وفاته بشهر أو أقل (انظر ترجمة أحمد بن بلبان ، وعلي بن أيبك ، وعلي بن أبي بكر بن محمد) ، بل إنه ترجم لعلي بن إسماعيل بن جعفر الذي توفي يوم عيد رمضان ، أي قبل وفاة الصفدي بعشرة أيام فقط . ولذلك قدّرتُ أن يكون الصفدي كتب الكتاب مرة واحدة دون أن يبيضه .

٧ ـ منزلة الكتاب ومزاياه :

يعدُّ كتاب (أعيان العصر) من أوثق مصادر القرن الثامن على الإطلاق ،

فالصفدي عاش حياته كلها تقريباً في هذا القرن ، وهو من أبرز أدبائه ، ومن أكثرهم علماً وخبرة ، إضافة إلى مكانته الاجتماعية ونشأته في بيت أمير ميسور أعانه على الرحلة في طلب العلم والأخذ عن معظم علماء عصره ، يعينه في ذلك حافظة جيدة ، وذاكرة قوية ، وموهبة مبدعة ، وهمة لا تعرف الفتور ولا التواني .

وأستطيع القول إن الصفدي سنَّ للناس بعده سنة التأليف في هذا الفن (تراجم المعاصرين) ، فأنشأ بعده ابن حجر العسقلاني كتابه (إنباء الغمر بأبناء العمر) ، وتمه إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) في كتابه (إظهار العصر لأسرار أهل العصر) ، وترجم (بالتأريخ للأعيان من ٨٥٥ ـ ٨٨٥ هـ) . كما تمَّمه أيضاً أحمد بن محمد الأنصاري ، ابن الحمصي الشافعي ، في كتابه (حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران) ، ترجم فيه لمعاصريه من سنة (٨٥١ هـ) حتى (٩٠٠ هـ) .

ولست بناسٍ في هذا المقام ما كتبه الثعالبي في (يتيمة الدهر) ، والباخرزي في (دمية القصر) ، لأن هذه الكتب جنحت إلى تراجم الشعراء والأدباء ، والصفدي لم يترك علماً مشهوراً ، أو من كان له أدنى شأن يذكر إلا وترجم له ، فحوى بين دفتيه تراجم السلاطين والأمراء والقضاة والولاة والعلماء والأدباء والشعراء ، حتى إنه ترجم لبعض مؤذني المساجد .

وثمة أمور وقضايا مهمة نثرها الصفدي في ثنايا تراجمه تعدُّ من مزايا هذا الكتاب ، وتعلي من قيمته ، ومن أبرزها ؛ إضافة إلى مضمونه :

١ ـ يعدُّ الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر حياة الصفدي نفسه ، ففيه إشارات كثيرة إلى تواريخ أحداث مهمة في حياته ، كتسلمه لبعض المناصب ، أو لإجازاته التي أخذها من العلماء ، أو لرحلاته ، وما إلى ذلك . ففي ترجمة محمد بن أحمد بن محمد الشيرازي يقول : « وفي هذا اليوم [الخميس ١٨ ربيع الأول سنة ٧٣١ هـ] دخلت أنا في ديوان الإنشاء بدمشق » .

وفي ترجمة محمد بن أحمد بن تمام يشير إلى أنه أخذ منه إجازة سنة (٧٢٩ هـ) .

وذكر في ترجمة محمد بن أبي بكر بن محمد بن طرخان أنه أجازه سنة (٧٢٨ هـ) .

والأمثلة على ذلك كثيرة في الكتاب .

٢ ـ والكتاب أيضاً مصدر مهم لشعر الصفدي وأدبه : فقد أورد فيه قدراً كبيراً من أشعاره ومساجلاته ومعارضاته وألغازه وموشحاته ورسائله وتوقيعاته .

٣ ـ كما أنه بثَّ فيه كثيراً من آرائه النقدية وملاحظه على الشعراء والأدباء ، مما يُظهر منهجه النقدي ويكشف بعض جوانبه .

٤ ـ ويَظهر في الكتاب جانب مهم من جوانب ثقافة الصفدي من خلال تقييداته التي نثرها بين التراجم وضبط فيها الأعلام والألقاب والأماكن .

٥ ـ ويعدُّ هذا الكتاب مصدراً أساسياً من مصادر الشعر والأدب لرجال القرن الثامن .

٦ ـ كما يستطيع الباحث أن يجد فيه كثيراً من القضايا الاجتماعية ، والعادات ، والتقاليد ، والأزياء ، والأسلحة ، التي كانت شائعة في عصر الصفدي ، إضافة إلى تواريخ بناء عدد من المساجد ودور العلم والقلاع وما إلى ذلك .

٧ ـ وفي الكتاب كثير من المصطلحات التي كانت مستخدمة في ذلك الوقت تتكشف للباحث .

٨ ـ يضاف إلى ذلك كثير من الفوائد اللغوية الفصيحة والعامية والأعجمية ، فهو مصدر مهم ورد فيه ألفاظ ومسميات وأساليب مختلفة ، ولا سيما التي جاءت بلهجاتها العامية في سياق الحوار والأزجال الشعبية ، مما يفتح الباب لعلماء اللغة وتطور الدلالة ليخرجوا منها بدراسات ونتائج ذات قيمة بارزة .

وفوق ذلك كله الكتاب وثيقة تاريخية مهمة لكاتب معاصر وشاهد عيان لأحداث القرن الثامن الهجري .

مخطوطات الكتاب :

لم نستطع الحصول على نسخة كاملة من الكتاب غير النسخة التي نشرها مصورةً الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، وقد سعى القائمون على مركز جمعة الماجد بدبي جهدهم للحصول على نسخ أخرى من الكتاب ، فحصلنا على أجزاء متفرقة منه كانت تعيننا في أثناء التحقيق على حلِّ بعض المشكلات أو سدِّ بعض الثغرات ، وبقيت بعض أجزاء الكتاب مقتصرة على النسخة الوحيدة التي صورها د . سزكين ، وهي التي قام عليها تحقيق هذا الكتاب ونشره .

١ ـ نسخة الأصل :

قال د . سزكين مقدماً لهذه النسخة يصف الكتاب ومخطوطه : « لعل حجم الكتاب الذي ننشره بهذه الطبعة التصويرية كان عبارة عن (١٢) مجلداً بخط يد المؤلف .

بقي بخطه المجلد (١٢) في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٢٦٢١) ، والرابع في مكتبة لاله لي (١٩٩٦) .

والخامس في آيا صوفيا (٢٩٩٦) .

والسابع في الإسكوريال (١٧٢٢) .

والثامن والتاسع في آيا صوفيا (٢٩٦٨ و ٢٩٦٩) .

والثاني عشر في طوبقابوسراي أحمد الثالث (٣٠١٠) .

كما بقيت عدة مجلدات أخرى من الكتاب بغير خط المؤلف في مكتبات إستانبول وغيرها .

فالنسخة التي اعتمدناها أصلاً لطبعتنا التصويرية هذه ، والمحفوظة في مكتبة عاطف أفندي في إستانبول تحت رقم (١٨٠٩) كان هلموت ريتر قد أشار إلى وجودها في مقالته عن بعض كتب الصفدي التي نشرها سنة (١٩٢٩ـ١٩٣٠ م) ، وهي مستنسخة سنة (٩٧٢ هـ) شاملة جميع الكتاب في مجلد ضخم . وأكملنا خمس صفحات كانت تنقص منها (ج ٣٢٦/٢ـ٣٣٠) من الجزء الثامن الذي بقي بخط المؤلف في آيا صوفيا (٢٩٦٨) كما ذكر آنفاً » .

وقد أخرج سزكين هذه النسخة في ثلاثة أجزاء :

ـ الجزء الأول : يبدأ بمقدمة المؤلف ثم بترجمة (أباجي) وينتهي بترجمة (صرغتمش) . وعدد صفحاته (٣٥٠) صفحة .

ـ الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (الضفدع) وينتهي بترجمة (محمد بن حسينا) ، وعدد صفحاته (٣٤٤) صفحة .

ـ الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (محمد بن الحشيشي) حتى آخر الكتاب ، وعدد صفحاته (٣٦٩) صفحة .

ـ في كل صفحة من المخطوط (٣٧) سطراً ، وفي كل سطر (١٦) كلمة .

ـ كتب المخطوط بخط نسخي مقروء .

ـ نسخ المخطوط عبد الرحمن بن أبي بكر العواجي نزيل مكة المشرفة ، وقد فرغ من نسخه نهار الجمعة ، الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وتسع مئة للهجرة النبوية الشريفة .

وقد ترك الصفدي عدداً من المواضع في الكتاب فارغة على أمل أن يملأها فيما بعد ، ولم يفعل ، وأبقى الناسخ على هذه الفراغات ، وهي في الغالب عندما يريد

أن يورد شيئاً من شعر المترجم له ، وأحياناً قليلة عند ذكر ولادة المترجم له أو وفاته كما أسلفتُ .

٢ ـ النسخة (ق) :

وهي بخط الصفدي ، إلا أنها ناقصة ، واجتمع لدينا أجزاء منها هي :

ـ الجزء الثاني : يبدأ بترجمة (إدريس بن عبد الله عماد الدين اليمني) وينتهي بترجمة (بهادر بن عبد الله السنجري) .

يقع هذا الجزء في (١٨٣) ورقة . في كل صفحة (١٧) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة . وهناك بعض الفراغات فيه .

كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في مكتبة طوبقابوسراي تحت رقم (٢٢٦٢١ A) .

ـ الجزء الخامس : يبدأ بأول حرف العين ، وينتهي بترجمة (عبد المحمود بن عبد الرحمن بن محمد) .

أوراقه (١٥٣) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، وفي كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آيا صوفيا ، تحت رقم (٢٩٦٦) .

ـ الجزء السابع : يبدأ بترجمة (علي بن عيسى بن سليمان بهاء الدين) . وينتهي بترجمة (عيسى بن يحيى بن أحمد بن محمود ضياء الدين الأنصاري) . أوراقه (١٣٥) ورقة ، في كل صفحة (١٤) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

الجزء من محتويات مكتبة الإسكوريال تحت رقم (١٧٢٢) .

ـ الجزء الثامن : يبدأ بترجمة (غازان بن أرغون) ، وينتهي بترجمة (محمد بن أحمد بن يعقوب) .

أوراقه (١٥١) ورقة ، في كل صفحة (١٦) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة آياصوفيا تحت رقم (٢٩٦٨) .

ـ الجزء الثاني عشر : يبدأ بترجمة (محمود بن علي بن مقبل تقي الدين الدقوقي) حتى آخر الكتاب .

أوراقه (١٥٤) ورقة ، في كل صفحة (١٧) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء ، وفيه بعض الفراغات .

هذا الجزء في مكتبة طوبقابي‌سراي ، تحت رقم (٣٠١٠) A ، مجموعة أنقروي .

٣ ـ النسخة (خ) :

يبدو أن هذه النسخة اختيارات من الكتاب ، فهي كاملة من حيث البداية والنهاية ، إلا أنها لا تحتوي على جميع التراجم ، بل اقتصرت على المشاهير منهم في الغالب .

وهي نسخة جيدة ، كتبت بخط نسخي مقروء سنة (٨٣٣ هـ) .

عدد أوراقها (١٧٩) ورقة من القطع الكبير . في كل صفحة (٣٣) سطراً ، في

كل سطر (١٤) كلمة . ورقمها (٢٩٨) . وهي من النسخ التي زودنا بها مركز جمعة الماجد بدبي .

٤ ـ النسخة (أ) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على مجلدين منها :

ـ المجلد الأول يضم كل التراجم التي تبدأ بحرف الألف . ويقع في (١٧٠) ورقة ، في كل صفحة (٢٥) سطراً ، في كل سطر اثنتا عشرة كلمة .

ـ المجلد الثاني : يضم التراجم التي تبدأ بحرف العين . ويقع في (٢١٦) ورقة .

كتب المجلدان بخط نسخي جيد . وهذه النسخة جيدة ودقيقة عالية ، إلا أنها غير كاملة .

٥ ـ النسخة (س) :

هي نسخة ناقصة ، حصلنا على جزأين منها :

ـ الجزء الثالث : يبدأ بترجمة (سليمان بن حمزة المقدسي الجماعيلي) ، وينتهي بترجمة (عطية بن إسماعيل اللخمي) .

أوراقه (٢٢٦) ورقة ، في كل صفحة (٢١) سطراً ، في كل سطر (١٢) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء .

هذا الجزء في الأستانة تحت رقم (٥٨٧) .

ـ الجزء السابع : يبدأ بترجمة (محمد بن محمود) حتى آخر الكتاب .

عدد أوراقه (٤٠٣) ورقة . في كل صفحة (٢١) سطراً . في كل سطر (١٢) كلمة .

كتب بخط نسخي مقروء .

موجود في الأستانة ، تحت رقم (٥٧٨) .

هـذان الجـزءان مصـوران عن نسخـة وقف السيـد مصطفى رئيس الكتـاب بالأستانة ، موجودان في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٠٩١) .

٦ ـ النسخة (ط) :

نسخة ناقصة ، حصلنا على ثلاثة أجزاء منها :

ـ الجزء السابع والجزء الثامن : يبدأان بترجمة (علي بن عبد الكريم بن طرخان) وينتهيان بترجمة (محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي) .

عـدد الأوراق (٢٢٦) ورقـة . في كل صفحـة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

هما في مكتبة طوب قبوسراي تحت رقم (١٢١٦ ، H ، E) .

ـ الجزء الثاني عشر : يبـدأ بترجمـة (محمـد بن محمـد بن عبـد الرحمن بن يوسف بن القوبع) حتى آخر الكتاب .

عـدد أوراقـه (١٢٥) ورقـة . في كل صفحــة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٦) كلمة .

وهو في مكتبة طوب قبوسراي ، تحت رقم (١٢١٧) .

هذه النسخة تتطابق مع نسخة الأصل إلا في بعض المواضع . وقد نسخهـا أحمـد بن مسعود النابلسي سنة (٨٧٠ هـ) .

٧ ـ النسخة (ز) :

نسخة ناقصة ، وقفنا على جزء واحد منها ، يبدأ بترجمة (عبد الملـك بن أحمـد بن عبد الملك الأنصاري) ، وينتهي بترجمة (علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن شيخ العوينة) .

عـدد أوراقـه (١٢٨) ورقـة ، في كل صفحــة (١٥) سطراً ، في كل سطر (١٣) كلمة .

كتب هذا الجزء بخـط نسخي دقيق مقروء ، وهو في مكتبـة آيـا صوفيـا ، تحت رقم (١٥١٥) .

عملنا في التحقيق :

ـ اتَّخذنا النسخة الخطية الموجودة في مكتبة عـاطف أفنـدي أصلاً ، وهي النسخـة الوحيدة الكاملة التي صورها الـدكتور فؤاد سزكين ، ثم نسخنـا متنهـا ، وقـابلنـا أجزاء النسخ الأخرى التي حصلنا عليها مبيِّنين الفروق بينها ، وقد أثبتنا في المتن ما قدّرنا أنـه الصواب .

ـ كما عارضنا تراجم الكتاب بما في (الوافي) وأثبتنا الفروق بين الكتابين .

ـ ذكرنا بعض مصادر تراجم الكتاب في الحواشي ، ولم نحـاول الإكثـار من ذلـك ، إذ اكتفينا بأبرز المصادر .

خرَّجنـا الآيـات ، والأحـاديث ، والأشعـار ، والأمثـال ، مـا استطعنـا إلى ذلـك سبيلاً .

ـ وثَّقنا بعض الحوادث التاريخية والأخبار المهمة .

ـ شرحنا مصطلحات العصر الواردة في الكتاب .

ـ شرحنا من الألفاظ ما اعتقدنا أنه يحتاج إلى ذلك .

ـ عرَّفنا بمواضع الأماكن وحدَّدناها .

ـ قمنا بترقيم التراجم من أول الكتاب إلى آخره .

ـ صنعنا فهارس عامة للكتاب .

وقد حرصنا في هذا العمل على توخِّي الدقة في إخراج النص على أفضل وجه ممكن وتوثيق ما فيه ، وتجنبنا إثقاله بالحواشي المطولة ما وسعنا ذلك فطبيعة الكتاب لا تحتمل التطويل .

وكما هو مطلوب في نشر النصوص العلمية ، أبقينا كلام المؤلف على حاله في تراجم الأعلام ، وفي المختارات التي حلّى بها تراجمه من الشعر والنثر والأخبار ، التزاماً منا بالمنهج العلمي الذي رسخت قواعده عند المستشرقين وعند المحققين العرب معاً ، لأن هذه النصوص هي وثائق علمية ولغوية وتاريخية تعبر عن مرحلتها التي كتبت فيها ويمكن للباحثين أن يفيدوا منها في دراساتهم .

ومما لا شك فيه أنه قد واجهتنا صعوبات كثيرة وظروف معقدة في هذا العمل ، لم ندخر جهداً نستطيعه للتغلب عليها وتجاوزها ، فما وُفِّقنا فيه هو من فضل الله وتوفيقه وتيسيره ، وما تقاصرت هممنا عن إدراكه فمن أنفسنا ، ونسأل الله العفو المغفرة ، ولعل أهل العلم والخبرة يلتمسون لنا عذراً ويرشدوننا إلى ما فيه الخير والصواب لنا وللغتنا وتراثنا العظيم .

﴿ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا ذُنوبَنا وإسْرافَنا في أمرِنا وثَبِّتْ أقْدامَنا ﴾

﴿ رَبَّنا افْتَح بَيْنَنا وبينَ قَومِنا بالْحَقِّ وأنتَ خيرُ الفاتِحينَ ﴾

الكويت في : رمضان المبارك ١٤١٦ هـ

آذار ١٩٩٦ م

علي أبو زيد

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب[(١)]

الحمدُ لله الذي حَكَم على أهْلِ الوجود بالعَدَم ، وقَدَّرَهُ عليهم بالقـدم[(٢)] ، وقضى بـه على الخلق فما أفاد معه محاذاةُ حذرٍ ولا مناداةُ ندم ، وأورد الموت على فِناء أعمارهم فانهدّ وبناءِ أبشارهم[(٣)] فانهدم . نحمـده على نعمـه التي فسحت مـدّة الأجل ، ومنحت تراخي المهلـة ولم تؤثر العَجَل ، ونَـزَحت[(٤)] القلـوب إلاّ من الأمن ، ودفعت مـا عَظُم وجـلَّ من الوَجَلْ .

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً هي الذخر يوم الفـاقـة ، والحق أن لا تُردَّ يوم الْمُحَاقَّة[(٥)] ، والفارطُ الذي قدّمناه ونحن نرجو لحاقَه .

ونشهد أنّ سيدنا محمداً عبده ورسوله الـذي حـذّر معـاطب الغرور ، وبصَّر عواقب السرور التي تليهـا الشرور ، وأظهرَ كـواكب الحـقّ فهي في فلـك البـدور تـدور ، فهـو الذي :

لم أُجْرِ غـايـةَ فكْري منـه في صِفَـةٍ … إلاّ وَجَـدْتُ مـداهـا غـايـةَ الأَبَـد

(١) هذه المقدمة خلت منها : (خ) .

(٢) (أ) ، (ك , : « في القِدَم » .

(٣) جمع بَشَرة ، وهو ظاهر الجلد .

(٤) نزحت القلوب : فرغت أو كادت تفرغ .

(٥) (أ) ، (ك) « يوم الحاقة » ، والحاقة : القيامة . والتحاقُّ : التخاصم ، وحاقَّه : خاصمه .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا شجًى في لَهوات من كَفَرْ ، وكان الباطل بهم دجًى حتى جَلَوا الحقّ فلاحَ صباحُ الفلاحِ بهم وسَفَر ، وراضُوا الزمان فاستقاد لهم من بعد ما تقاعسَ ونَفَر ، ورآهم الزمان جَمال هذه الأرض في الحياة ، وبعد الممات جمال الكتب والسِّيَر ، فهم الذين سَجَع الحمام بمدحهم وصَدَح ، وشرح الخاطرَ وصفُهم[١] لمّا جال في سرد مناقبهم وسَرَح ، وإيّاهم أراد ابنُ الرومي لا مَنْ خاطبه ومدّ المدى لمّا مَدَحَ ، إذ يقول[٢] :

آراؤكُم ووُجوهُكُم وحُلُومكم ... في الحادثاتِ إذا دَجَوْن نُجومُ
مِنْها معالمُ للهُدَى ومصابحٌ ... تجلو الدُّجَى والأُخْرَيات رُجُومُ

صلاةً لا يُمَلُّ الزمانَ دوامُها ، ولا يُرى الدهرَ انصرافُها[٣] وانصرامها ، ما نبتَ في رياض الدياجي نرجسُ نجوم ، وراحت أطيار الدراري على نهر المجرّة وهي تحوم[٤] ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد : فإن الوقوف على أخبار من تقدّم ، وخَرب ربعُ عُمره بالموت وتَهَدَّم ، ووُصِف في حياته أو غادر للشعراء في رثائه لَمّا تردَّى ما تردّم[٥] ـ ممّا تتشوَّقُ النفوس إلى الوقوف عليه ، وتتشوّف بجملتها إليه ، فإنّه : « في الذاهبين الأوَّلين لنا بصائر »[٦] ، وفي آثار مَن درج وأخبارِه أدلّةٌ للتأسّي وأمائر ، وفي التفكّر في مصارعهم

(١) (أ) ، (ك) : « واصفهم » .
(٢) ديوانه : ٦/٢٣٤٥ .
(٣) ليست في (أ) ، (ك) .
(٤) (أ) ، (ك) : « وهي على نهر المجرة تحوم » .
(٥) تلميح إلى مطلع معلقة عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٦) هو أول الأبيات التي أنشأها قس بن ساعدة في خطبته المشهورة في سوق عكاظ ، وروايته :

في الذاهبين الأوليـ ... ـن من القرون لنا بصائر

ما يُصلح الظواهر والضمائر . وقد حضّ القرآن على مثل هذا وحثّ ، ورمّ[١] بوعظه ما رقّ من القسوة ورثّ . والتاريخ فنٌّ[٢] لا يملّه طرف مُطالع ، ولا يسأمه سَمْعُ مصغٍ ولا مُراجع ، ولا يخلو من يقف على التواريخ من فائدة ، ولا يطوي صُحُفَها إلاّ وقد حصل منها على صِلَةٍ وعائِدَة ، ولا تمرّ به كائنة إلاّ تنبّه لها وأجراها على ما في ذهنه من القاعدة ، وما كان التراجم في/التواريخ إلاّ كتاب وردَ من غايب ، أو خبر جاء به نجّابٌ إما بالمحاسن أو بالمعايب :

فلا تبخلوا مَعْ بُعدكم بوجوهكم ... علينا ألاَ إنَّ الوجوهَ هي الكُتْبُ

فكم قد سمعنا بموجودٍ ولم نتبيّن حالَه ، ولا عرفنا حقّه ولا مِحَالَه[٣] ، ولا علمنا ما اتصف به من ذمّ أو مدح ، ولا ما التحف به من موجب شكر أو قدح ، وربّما كان للإنسان قريبٌ وقد دَرَج ، أو لَزَمٌ[٤] وقد دخل هذه الدارَ وخرج ، ولا عِلْمَ له بما عامله به زمانه ، ولا ما أحدث[٥] له حَدَثانُه :

وقد فارق الناسُ الأحبةَ قَبْلَنَا ... وأعْيَا دواءُ الموت كلَّ طبيب[٦]

فإذا راجعَ التواريخَ كان كمَن شاهَدَ مَن مضى ، وعاينَ ما جرى به عليه القَدَرُ وقضى . وأنا أرى التأريخ والترجمة مَعَاداً ثانياً في المعنى لا في الوجود ، ونشراً أوّلَ قبل نشر الرُّفَات إلاّ أنها لم يُفضّ عنها خَتْمُ اللُّحود .

وكنت قد أنفقت مدّةً من العمر[٧] ما وجدت لها عوضاً ، ولا حسبتها إلاّ لمعةَ برقٍ

(١) (أ) ، (ك) : « ورام » . والرم : الإصلاح .
(٢) (أ) ، (ك) : « فنٌّ فَذّ » .
(٣) محاله : فساده وكيده ومكره .
(٤) أي ملازم .
(٥) (أ) ، (ك) « حدث » . وحِدْثان الدهر : نُوَبه وحوادثه .
(٦) « دواء » مطموسة في الأصل ، ثابتة في أ ، ك .
(٧) (أ) ، (ك) : « التي » .

أومضَ لي وَمَضى ، في جمع تاريخي الكبير الذي سميته : (**الوافي بالوفيات**) ، وسقت فيه ذِكْرَ جُمَلٍ من الأعيان من زمن النبيّ ﷺ وإلى زماني ، ونَصَبتُ فيه نفسي دَريئةً لمن طعن فيَّ أو رَمَاني ، إلاّ أنّه جاء مُطَوّلاً ، وأصبح وجه مَضمونه عن الاقتصار والاختصار مُحَوَّلاً ، فأردت بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصر ، وأختارَ ممّا أمتار وأختصّ وأختصر ، وأجمع تاريخاً لمن أدركه عصري وجنى ثَمَرَ غُصْنِه هَصْري ، وضمتني وإياه دائرةُ وجودي أو نُقْطة مِصْري ، أو كان في زماني ولم أره ، أو نقلَ الرواة الأثبات خبره :

ألَيسَ الليلُ يَجْمعُ أمَّ عمروٍ ... وإيانا فذاك لنا تَداني
وتَنظُرُ للهلالِ كما أراهُ ... ويَعلوها النهارُ كما علاني (١)

وما أحسنَ قولَ الآخرَ :

قال لي قائلٌ لأيّة حالٍ ... ترقب البدرَ ثمّ تَهْوَى سِواهُ
قلت إمّا لِشِبْهِهِ من حجبوهُ ... أو لأنّي أراه وَهْوَ يراهُ

وابتدأت ذلك من سنة ستّ وتسعين وست مئة ، وهي سنةُ مولدي ، ونَهْلَةُ مَوْرِدي ، وجَذْوة مَوْقِدي ، وبَدْأة (٢) موعدي .

ورتَبتُ أسماء مَن فيه على حروف المعجم ، وأدَمْتُ غيث فوائده الذي انسجم (٣) وجَعْجَعْتُ بفارسِ الإطناب فيه ، فكَرَّ وما فَكَّرَ ، وحَجَّ وما أحْجَم . وهو شيءٌ جمعتُه لنفسي لا لأحدٍ من أبناء جنسي ، وجعلتُهُ لي رأسَ مال ، وبضاعةً ضَمّت الحلل المرقومة

---

(١) البيتان من قصيدة لجحدر بن مالك قالها لمّا سجنه الحجّاج الثقفي ، وهي في أمالي القالي : ٢٧٧/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب : ٢٠٨/٣ .

(٢) (أ) ، (ك) : « بداءة » ، وهما بمعنىً .

(٣) في الأصل و (ك) : « أنجم » ، وأثبتنا ما في أ وهي أشبه .

والبرود الأسمال[١] ، فمن رآه كثيراً ، ومـا حَلّ من قبلـه مَحّلاً أثيراً ، أو قـابـل صَفَحـاتِ وجهه بالإعراض ، أو أرسل سهام نَظَرِهِ فما أصـابت منـه الأغراض ؛ فـذاك أمرٌ بـه عليَّ قضى البـاري ، وشيء جرى بـه القلم ومـا هو إلاّ كالجبّـانـة أزور فيهـا قبـور أصحـابي ، وأتردد منها إلى أجداث أترابي وأحبابي ، وألتف في أكفان شيبي الـذي نزل بي وأقْسَم أنّه ما يرحل إلاّ بي ، فقد ذكرت فيه جماعة رأيتهم وما راءيتهم ، ودانيتهم حقَ الصحبة وما داينتهم[٢] ، ورّثت حبـالُ صَبْري التي ورثتهـا لَمـا رثيتهم ، ممّن انتفعت بعلـومهم ، ورُفعت بين نجومهم ، وشركت بعضهم في ماله ، وتركت النظر إلى البـدر لأنـه مـا فـاز بمثل جماله ، ولا حاز مثل كماله :

ومعـاذَ الإلـه أن أتعـزّى ... عنـه طـول الـزمـان أو أتسلّى

فكَمْ فيَنْ ذكرته مَن جرّعَني مـا غصّص ، وجرَّ عَنّي رداء[٣] الصبر وقلَّص ، وتقـدّم أمـامي وهو يقودني إلى حفرتي بزمـامي ، وغـادرني بعـده وحيـداً ، وأخـذ حظي معـه وراح . وأهل هذا العصر يريدون شيئاً جديداً ، ولله أبو عبادةَ البحتري حيث يقول في رثاء المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان[٤] :

أأطلبُ أنصـاراً على الـدهر بعـدمـا ... ثوى منهما في التُرْب أَوْسي وخَزْرجي
مَضَـواً أُمَماً قبلي وخُلّفتُ بعـدهم ... أخـاطِبُ بـالتـأمير والِيَ مَنْبـجِ[٥] /

واللهَ أسألُ أن يجمعنا في دار كرامته ، ويَمُدَّ علينا ظلّ لطفه ورحمتـه ، ويُجْرينـا على ما ألِفناه وألّفناه من نعمته :

وإن أستطع في الحشر جئتـك زائـداً ... وهيهـات لي يـومَ القيـامـة أشغـالُ

(١) (أ) : « والأسمال » . وسمل الثوب : أخلق .
(٢) (أ) ، (ك) : « لمّا دانيتهم » .
(٣) في الأصل « دواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .
(٤) ديوان البحتري ٤١٨/١ .
(٥) منبج : من قرى الشام ، شمال مدينة حلب ، وهي بلدة البحتري .

اعترضت بهذه الجملة ، وزدتُ همّ القلب هذه الحَمْلَة ، فإنها من المصدور نَفْثة ، واستراحة في نصف الطريق ممّن أعيا ولَبْثة .

وأعود إلى ما كنت فيه ، وأفي له بحقه وأوفّيه ، فأقول : وقد[1] كنت رأيت فيما وقفت عليه من أخبار الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون المغربي أنّه لمّا كان بقرطبة وزيراً توفيت ابنته ، ولمّا فرغ من دفنها وقف للناس عند مُنْصَرَفِهم من الجنازة ليتشكر لهم ، فقيل : إنّه ما أعاد في ذلك الموقف عبارةً قالها لأحد[2] .

قلت : وهذا من التوسّع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمرٌ صعبٌ إلى الغاية ، وأراه أنّه أشقّ ممّا يُحكى عن واصل بن عطاء وأنّه ما سُمع[3] منه كلمةٌ فيها حرف راء ، لأنّه كان يلثغ بحرف الراء لثغةً قبيحة ، والسبب في تهوين هذا الأمر وعدم تهويله ؛ أنّ واصل بن عطاء كان يعدل إلى ما يرادف تلك الكلمة في معناها وليس فيها راء ، وهو كثيرٌ في كلام العرب ، فإذا أراد العدول عن لفظ : (فرس) قال : (جواد) أو (سابح) أو (صافن) ، أو العدول عن لفظ : (رمح) قال : (قناة) أو (صعدة) أو (يَزَنيّ) أو غير ذلك ، أو العدول عن لفظ : (صارم) قال : (حسام) أو (لهذم) أو غير ذلك ، وأمّا ابن زيدون فأقول في حقّه : إنّه أقلّ ما كان في تلك الجنازة ، وهو وزير[4] ، ألف رئيس ممّن يتعيّن عليه أن يتشكّر له ، ويضطرّ إلى ذلك فيحتاج في هذا المقام إلى ألف عبارةٍ مضمونها التشكّر ، وهذا كثيرٌ إلى الغاية ، لا سيّما من محزونٍ فقدَ قطعةً من كبده :

ولكنّه صوبُ العقول إذا انبرتْ سحائبُ منه أعقبت بسحائب[5]

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) نفخ الطيب : ٥٦٥/٣ ، وقد نقل المقري كلام الصفدي الآتي عن كتابه (الوافي) .

(٣) (أ) ، (ك) : « لم تُسْمَع » . وانظر الأغاني : ١٤٦/٣ .

(٤) « وهو وزير » ليست في (أ) ، (ك) .

(٥) البيت لأبي تمام من قصيدة مدح بها أبا دلف العجلي ، مطلعها :

على مثلها من أربُعٍ وملاعب أذيلت مصونات الدموع السواكب

(ديوان أبي تمام : ٢١٤/١) .

وقد استعمل الحريري ـ رحمه الله تعالى ـ هذا في (مقاماته) ، فهو في كلّ مرّة يجتمع فيها الحارث بن هَمّام بأبي زيد ويحتاج إلى أن يقول : (فلمّا أصبح الصبح) ، تراه[١] يعبّر بعبارةٍ عن هذا المعنى بغير عبارته الأولى ، فتارةً قال : (فلمّا لاح ابن ذكاء ، وألحفَ الجوَّ الضياء) ، وتارة قال : (إلى أن أطلّ التنوير ، وحسر الصبح المنير) ، وتارةً قال : (حتى إذا لألأ الأفق ذَنَب السرحان ، وآنَ انبلاج الفجر وحان) ، وتارةً قال : (إلى أن عطس أنف الصباح ، ولاح داعي الفلاح) ، وتارةً قال : (فلمّا بلغ الليل غايته ، ورفع الصبح رايته) ، وهذا كثيرٌ في مقاماته ، وهو من القدرة على الكلام . وأرى الخطيب ابنَ نباتة[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ ممّن لا يُلحق في هذا الباب ، فإنّه أملى مجلدةً معناها من أولها إلى آخرها : (يا أيها الناس اتقوا الله واحذروه ، فإنّكم إليه راجعون) . وهذا أمرٌ بارعٌ مُعْجز ، والناس يَذْهلون عن هذه النكتة فيه ، وقد خطر لي أنا مِثْلُ ذلك عند ذِكْر وفاة كلٍّ من الأعيان الذين أذكرهم في هذا التأريخ ، فإن اتفق لي مثلُ هذا فهو بحول الله وقوّته ، وإنقاذِ الجبان من دحض هُوّته ، وإلاّ فَعَذْرُ المَزَلَّة[٣] في هذا المقام واضح ، والإقالَةُ من عَثْرَته أمرٌ راجح ، وأعوذ بالله من إعجاب المَرْء بنفسه ، وجَرِّه رداءَ الخُيَلاء وهو حَقيرٌ في نوعه وجنسه .

وقد سمّيتُ الكتاب[٤] عندما أردتُ وضعه ، وقصدت تأليفه وجمعه (**أعيان العَصْر وأعوان النَّصْر**) ، وبالله الاستغاثة والاستعانة ، وطلبُ الإنابة إليه في الإعانة على الإبانة ، والعياذة مّما نحن به في هذا الزمان من الزّمَانة ، إنّه وليّ الخيرات في الدنيا والآخرة سبحانه ، عليه توكلت وإليه أنيب .

---

(١) (أ) ، (ك) : « فتراه » .

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي (ت ٣٧٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٢٨٣/١ .

(٣) (أ) ، (ك) : « المرء » ، وهي أشبه .

(٤) (أ) ، (ك) : « هذا الكتاب » .

حرف الهمزة

١ ـ أباجي*

الأمير سيف الدين ، النائب بقلعة دمشق .

أول ما عرفته[١] من شأنه وألفته من ترفع مكانه أنّه كان في أعداد[٢] أمراء حلب ، وصار بعدَ ذلك مآله إلى دمشق والمنقلب . أظنّه جاء إلى قلعة[٣] دمشق بعد موت الأمير علاء الدين مُغَلْطَاي المرتيني[٤] نائبها ، وذلك في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة ، وضبطَ أمرَ القلعة ضبطاً تامّاً[٥] ، وحفظ أمرها حفظاً عامّاً ، خصوصاً في وقعة بَيْبغاروس[٦] ومَن بغى معه مِن[٧] تلك الروس ، لأنّه حصَّنها ، وجمّلها بآلات الحصار وحسَّنها ، وصابَرَ أولئك الغاوين ، ولم يتحيّز إلى فئة الباغين ، فشُكِر لذلك مقامُه ، وزاد في القلوب احترامه . وهو زوج أخت الأمير سيف الدين طَشْبَغَا الدوادار[٨] ، وكان شيخاً طُوالاً ذا رُوَاء ، وقوامٍ يحاكي القناةَ في الاعتدالِ والاستواء . قد قَرُبَ منه الأجلُ

---

* النجوم الزاهرة ٣٠٠/١٠ ، والذيل التام ١٤٢ وفيه : إياجي . وذكر ابن كثير بعض أخباره في البداية والنهاية : ١٤٥/١٤ و٢٥٦ .

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « عرفت » .

(٢) (أ) ، (ك) : « عداد » ، خ : « عدد » .

(٣) خلت منها (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « أمراً تامّا » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) ، (خ) : « واقعة » . وفي الأصل ، و (أ) ، و (خ) : « بيبغاروس » ، تحريف ، وستأتي ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٧) (أ) ، (ك) ، (خ) : « في » .

(٨) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الطاء . والدوادار : حامل دواة الحبر .

وتَدَلّى ، ووصل إلى النقا ولم يبق إلاّ المُصَلّى ، ولم يزل على حاله إلى أن نزل من القلعة على ظهره ، وانحطّ بعد الرفعة إلى قعر قبره .

وتوفي رحمه الله تعالى يومَ السبت عاشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢ ـ إبراهيم بن أحمد بن هلال*

القاضي برهانُ الدين الزُّرْعِي الحنبلي ، ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المُنَجَّا[(١)] الحنبلي بدمشق .

مولده سنة ثمانٍ وثمانين وست مئة[(٢)] ، ووفاته في نصف شهر رجب الفرد يوم الجمعة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

لم يحصد الموت مِنْ زرعٍ له نظيراً ، ولا اجتلى الناس من حوران مِثْلَه قمراً منيراً ، أتقن الفروع ، وبهر فيها من الشروع ، وجوّدَ أصول الفقه وشغل فيها الناس ، وأوضح لهم فيه ما حَصَل من الإلباس ، وبرع في النحو وظهر ، ومارس غوامضه ومَهَر ، وقرأ الفرائض ، وأتى فيها وحده[(٣)] بما لم يأتِ به ألف رائض ، واشتغل في الحساب[(٤)] ، وغنِيَ بذهنه الوقّاد عن الاكتساب ، وكتب المنسوب الفائق ، وسلك فيه أحسن الطرائق ، وكان الناس يأتون إليه بالمجلدات ليكتب عليها أسماءها ، ويُزَيِّنَ بكواكب حروفه سماءها ، رغبةً في حُسْنِ خطّه[(٥)] ليقوم مَقَامَ الفواتح المُذَهَّبة ، والأعمالِ التي هي لأهل الصنائع مُتْعِبَة . ولقد كان قادراً على حكايات الخطوط المنسوبة ، والطرائق التي هي عند أرباب هذا الفن محسوبة ، فكم قد كَمَّلَ من مجلد انخرم ، وأخْمَدَ من نار

* الوافي : ٣٠٨/٥ ، والدرر : ١٥/١ ، والشذرات : ١٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢/١ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٢) (أ) : « ثمان وست مئة » .

(٣) (أ) ، (ك) : « حذوه » ، ولا وجه لها .

(٤) (أ) ، (ك) ، (خ) : بالحساب » .

(٥) في الأصل : « حظّه » . تصحيف .

صاحبه الضَّرَم ، فإذا رآه العارف لم يُنكر شيئاً من أمره ، ولا علم فاسده[1] ولو بحث فيه مُدَّة عمره ، والمكاتيبُ الشرعيّة إلى الآن تشهد له بحُسْن العلائم ، وتَمُدّ لعيون الكُتّاب منها موائدَ وتعمل لهم فيها ولائم .

وكان حَسَن الشكل والعِمَّة ، وافرَ العقل عاليَ الهِمّة ، نُدِبَ في أيّام الصاحب شمس الدين غبريال[2] لنظر بيت المال ، فأبى وفكّر في العُقْبَى والمآل ، وكان بصيراً بالفَتْوى ، جيِّدَ الأحكام لا يقع منها في بَلْوى ، يتوقَّدُ ذهنه من الذكاء والفطنة ، ويدرك الغوامض التي مضى الأوائل وفي قلوبهم منها إحْنَةً ، وكان يميل إلى التسرّي بالأتراك ، ويقع معهنّ في الحبائل[3] والأشراك ، فكنت أراه جُمعةً في سوق الجواري ، وجمعةً في سوق الكتب ليجمع بذلك بين الدُرِّ والدَّراري . وتعلّم اللغة التركيّة من جواريه ، وتكلّم بها ، فقلّ من يؤاخذه فيها لّما يجاريه . هذا مع براعة في عبارته ، وفصاحة في كلامه ، وبلاغة في إشارته .

أخذ الأصول عن العلاّمة كمال الدين بن الزَّمْلَكَاني[4] ، قاضي القضاة ، وجلال الدين القَزْويني[5] لّما كان خطيباً ، وغُصْن برهان الدين المذكور من الشباب رطيباً . ورأيته يَحْضر دروسَ العلاّمة ابن تيمية كثيراً ، ويأخذ من فوائده ما شادَ به مجداً أثيلاً أثيراً ، يجلس مُنْصِتاً لا يتكلّف لبحث[6] ولا يتكلّم ، ويَرَى أنه يَتَعَلّقُ بأهدابه ويَتَعَلّم ، إلى أن قضى نَحْبَه وسكن تُرْبَه ، ولقي ربّه ، رحمه الله تعالى .

---

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) عبد الله بن صنيعة القبطيّ الوزير ، (ت ٧٣٤ هـ) . انظر الأعلام ٣١٠ ، وذيل العبر : ١٨٢ ، والدرر : ٢٦٢/٢ .

(٣) (ك) ، (خ) : « تلك الحبائل » .

(٤) ستأتي ترجمته في حرف الميم .

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر ، (ت ٧٣٩ هـ) . الدرر : ٣/٤ .

(٦) ليست في (أ) ، (ك) .

وكان قد دَرّس في الوقف الجديد الذي أوقفه الأمير سيف الدين بَكْتَمُر[١] والي الولاة بمدرسة الشيخ أبي عمر[٢] بالصالحيّة ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان في خامس عشري شوال[٣] سنة تسع عشرة[٤] وسبع مئة ، ودرّس بالحنبليّة[٥] داخل باب الفراديس عاشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحضره القضاة والفضلاء ، وأُوْلِيَ[٦] نيابة الحكم في مستهل جُمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وأعاد بالمدرسة الصدريّة[٧] وبالجوزيّة[٨] والمسماريّة .

٣ ـ إبراهيم بن أحمد بن عُقْبَة بن هبة الله بن عطاء*

القاضي صَدْر الدين بن الشيخ مُحيي الدين البَصْرَوي الحنفي .

درّس وأفتى وأعاد [وأعان][٩] الطلبةَ وأفادَ ، ولِيَ قضاءَ حلب ، وأقام بها مدّةً يسيرة ، فما بلغ ما طلب ، ثُمَّ توجَّهَ إلى مصر وسعى[١٠] سعياً شديداً ، وحصَّلَ بقضاء

(١) المعروف بالحسامي ، وستأتي ترجمته في موضعها من حرف الباء .

(٢) واقفها وبانيها الشيخ أبو عمر المقدسي ، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، توفي بدمشق (٦٥٨ هـ) ، الدارس : ٧٧/٢ ، وما بعدها .

(٣) قوله « في ... شوال » ليس في (أ) .

(٤) في الأصل : « تسع وعشرين » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) ، (خ) . بدليل ما سيأتي .

(٥) الدارس : ٥٠/٢ ، وما بعدها .

(٦) الفضلاء : ليست في (أ) . وفيها : « تولى نيابة .. » .

(٧) واقفها صدر الدين بن المنجّا . الدارس : ٦٧/٢ .

(٨) (أ) ، (خ) : « والجوزيّة » . والمدرسة الجوزيّة بسوق القمح بالقرب من الجامع الأموي ، أنشأها محيي الدين ابن الشيخ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . الدارس : ٢٣/٢ .
والمسمارية : قبلي القيميريّة الكبرى داخل دمشق ، بالقرب من مئذنة فيروز ، واقفها الشيخ مسمار ، وهو الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني المقرئ التاجر . الدارس : ٨٩/٢ .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ ، والمنهل الصافي : ٣١/١ ، وعقد الجمان : ٤١٥ ، وفيات سنة ٦٩٧ .

(٩) زيادة من (أ) و (ك) .

(١٠) (أ)، (ك) : « وسعى بها » .

حلب تقليداً ، وعاد فأدركه الأجل بدمشق ، وبطل قلم حياته من الخط والمَشْق ، وتعجّب الناس من حرصه الذي بلغ النهاية مع ما كان له بدمشق من الكفاية .

وولد بصرى سنة تسع وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبعٍ وتسعين وست مئة ، في حادي عشر رمضان .

٤ ـ إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن عليّ*

الفقيه أبو إسحاق البعلبكي الحنبلي[(١)] ، شيخ بعلبك .

أجاز له نصر بن عبد الرزاق[(٢)] ، وابن رُوْزَبة[(٣)] ، وابن اللَّتي[(٤)] ، وابن الأواني[(٥)] وابن القُبَّيْطِي[(٦)] ، وعدّة .

وسمع من سليمان الإسْعَرْدي[(٧)] ، وأبي سليمان بن الحافظ ، وخطيب مَرْدَا[(٨)] . واشتغل على الفقيه اليُونيني[(٩)] ، وصحبَهُ .

* الوافي : ٣١١/٥ ، والدرر : ٨/١ ، والشذرات : ٢٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩/١ .

(١) ليست في (أ) ، (ك) .

(٢) (ت ٦٣٣ هـ) . الشذرات : ١٦١/٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي العطار الصوفي ، (ت ٦٣٣ هـ) . السير : ٣٨٧/٢٢ ، والشذرات : ١٦٠/٥ .

(٤) عبد الله بن عمر بن علي الحريمي ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٥/٢٣ .

(٥) في الأصل ، و (أ) و (ك) : « الأوني » ، وأثبتنا ما في الوافي : وهو إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الحنبلي الأواني ، (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٣٠٥/٢٣ والأواني : نسبة إلى أوانا ، بليدة كثيرة البساتين والشجر ، نزهة ، من نواحي دجيل بغداد . (معجم البلدان) .

(٦) أبو طالب عبد اللطيف بن أبي الفرج ، محمد بن علي ، (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٨٧/٢٣ ، والعبر : ١٦٨/٥ .

(٧) (أ) ، (ك) : « سلمان » ، تحريف . وهو سليمان بن إبراهيم بن هبة الله ، (ت ٦٣٩ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٥ .

(٨) محمد بن إسماعيل بن أحمد المقدسي النابلسي الحنبلي ، (ت ٦٥٦) . السير : ٣٢٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٣/٥ . ومردا : قرية قرب نابلس بفلسطين .

(٩) محمد بن عبد الله ، (ت ٦٥١ هـ) ، الشذرات : ٢٥٤/٥ .

كانت له وظائف ، ونَسَخَ من العلم صحائف ، كتب (المغني)[١] بقلمه ، وأدخله بنسْخِه تحت عَلَمه ، وتَفَقَّه لابن حنبل ، وكان يرى أنه في مذهبه من غيره أنبل ، مع تواضع ، لا يترفّع ، ولا يتعرّف إلى الكبر ولا يتفرّع ، يبدأ من يلقاه بالكلام ، ويعامل الناس بالانقياد لهم والاستسلام ، إلى أن وافاه حِمَامه وانمحق من بدره تمامه .

وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين وست مئة [٢] ، ووفاته ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

٥ ـ إبراهيم بن أحمد بن عيسى بن يعقوب*

العلاّمة ، شيخ القراء والنحاة ، أبو إسحاق الإشبيلي الغافقي .

شيخ سَبْتَة ، حُمل صغيراً إلى سبتة ، وسمع (التيسير)[٣] من محمد بن جوبر[٤] الراوي عن [ابن][٥] أبي جَمْرَة ، وسمع (الموطأ) و (الشفا)[٦] وأشياء . وأكثر عن

(١) أغلب الظنّ أنه المغني في الأصول لابن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي (ت ٦٢٠) وهو في عشر مجلدات ، السير : ١٦٥/٢٢ ، والكشف : ١٧٥٠/٢ ، ووقع في مطبوعة الوافي بلفظ « المنتقى » مصححاً على مطبوعة الدرر : ٨/١ ، وأشار محقق الوافي في الحاشية [٤] إلى أنّه في الأصل : « المغنى » .

(٢) وفيه نظر ، لأنّ مَنْ أجازوا له وسمع عنهم توفّوا قريباً من هذا التاريخ ، والأرجح أنّه ولد قبل ذلك .

* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٣/١ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٢/١ .

(٣) في الأصل ، و (خ) : « اليسير » . تصحيف . والتيسير هو كتاب أبي عمرو الداني في القراءات . وهو مطبوع .

(٤) محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جوبر ، أبو عبد الله الأنصاري البلنسي (ت ٥٥٦) . غاية النهاية : ١٦٠/٢ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي ، والدرر ، والمنهل .
وفي الأصل و (أ) : « حمزة » تصحيف ، وكذا وقع مصحفاً في أصل الوافي ، ونبّه محققه على ذلك .
وابن أبي جَمْرة هو محمّد بن أحمد بن عبد الملك راوي التيسير ، (ت ٥٩٩) . غاية النهاية : ٦٩/٢ ، والشذرات : ٣٤٢/٤ .

(٦) الشفا في تعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض . الكشف : ١٠٥٢/٢ ، وهو مطبوع .

أبي عبد الله الأزدي[١] سنة ستين ، وقرأ بالروايات على أبي بكر بن مشليون[٢] ، وقرأ كتاب سيبويه على أبي الحسين بن أبي الربيع[٣] .

ساد أهل الغرب في لسان العرب ، وبلغ من النحو غاية الأمل وأقصى الأرب ، وألّف كتاباً في شرح (الجمل) ، وانتهى فيه إلى ما رامه من الأمل ، ووضع مصنفاً في قراءة نافع ، ونفع بذلك كلّ كهل[٤] ويافع ، وأصبح قلبُ أهل الشرق وهو خافق من التطلّع إلى شيخ غافق ، وسكن لما ظعن من بلده في مدينة سبتة ، وقطع بها جمعة عمره وسَبْتَه ، حتى قضى نحبه ، وكدَّر الموت من الحياة شُرْبَه .

وولد سنة إحدى وأربعين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست عشرة[٥] وسبع مئة .

٦ ـ إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن بن أحمد*

الشيخ الفقيه ، الإمام الصالح ، الخيّر المُعَمّر ، عزّ الدين العَلَويّ الحُسَيني الغَرَّافي[٦] ، ثم الإسكندري ، الشّافعي الناسخ .

---

(١) عبارة الوافي : « وأكثر عن أبي هريرة ، عن أبي عبد الله الأزدي » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ك) : « سلبون » ، تصحيف وتحريف ، وابن مشليون هو محمد بن محمد بن أحمد بن مشليون ، أبو بكر بن أبي عبد الله الأنصاري البلنسي ، أستاذ مقرئ كبير ، توفي في حدود (٦٧٠ هـ) ، غاية النهاية : ٢٣٨/٢ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن عبيد الله ، (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

(٤) في الأصل : « نهل » . تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) .

(٥) في المنهل الصافي : « توفي سنة عشرة وسبعمئة » .

* الوافي : ٣١٢/٥ ، والدرر : ١٠/١ ، والشذرات ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٠/١ .

(٦) الغرّافي : نسبة إلى (غرّاف) ، نهر بين واسط والبصرة .

سمع بدمشق سنة اثنتين وخمسين من حَليمة حفيدةِ جَمَال الإسلام [(١)] ، ومن الباذرائي [(٢)] ومن الزين خالد [(٣)] .

وسمع بحلب من نقيب الشرفاء ، وأجاز له الموفق بن يعيش النحوي [(٤)] ، وابن رَوَاج [(٥)] ، والجُمَّيزي [(٦)] ، وجماعة .

وحدَّث وهو ابن بضعٍ وعشرين سنة ، وأخذ عنه الوجيه السبتي [(٧)] .

كان يرتزق بالنَّسْخ ، وعنده في ذلك ثُبُوتٌ ورَسْخٌ ، مع زهد ونزاهة ، وتقدّم عند أهل الخَيْر ووجاهة . وكان أصغرَ من أخيه الشيخ تاج الدين الغرّافي [(٨)] بعشر سنين . ولمّا توفي أخُوه صار هو في المشيخة مكانَه ، وأسمع الحديث وشَيَّد أركانه ، وولي مشيخة دار الحديث النبهيّة [(٩)] مكان أخيه ، وسلك طريقه في تأنّيه وتراخيه .

قيل : إنّه حفظ (وجيز) الغزالي [(١٠)] ، وأحرز ما فيه من اللآلي ، وحفظ

---

(١) أبو الحسن علي بن مسلم بن محمد السلمي ، (ت ٥٣٣ هـ) . والشذرات : ١٠٢/٤ .

(٢) أبو محمّد عبد الله بن أبي الوفاء ، (ت ٦٥٥ هـ) . السير : ٣٣٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) خالد بن يوسف بن سعد ، أبو البقاء النابلسي ، (ت ٦٦٣ هـ) . الشذرات : ٣١٣/٥ .

(٤) (ت ٦٤٣ هـ) . البغية : ٣٥١/٢ .

(٥) في الأصل : « رواح » وكذلك في المنهل . وفي « أ » : « دراج » ، تصحيف . وابن رواج هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح الإسكندراني (ت ٦٤٨ هـ) . سير أعلام النبلاء : ٢٣٧/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٦) في الأصل « الجميري » ، وفي « أ » : « الحميري » ، تصحيف ، والجمّيزي هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي شيخ الديار المصرية ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٥٣/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٦/٥ .

(٧) عبد الرحمن بن حسن السبتي ، وجيه الدين ، (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٣/٧ .

(٨) عليّ بن أحمد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٩) في الوافي ، والمنهل : « النبيهيّة » ، وفي حاشية المنهل : « دار الحديث النبيهية بالإسكندرية ، وبها توفي ودفن صاحب الترجمة » .

(١٠) هو كتاب الوجيز في الفروع ، وهو عمدة في مذهب الشافعي ، الكشف : ٢ : ٢٠٠٢ .

(إيضاح) أبي عليّ[١] ، وأصبح يَسْرُدُ ما فيه وهو مليّ ، وكان معين الدين المصغوني[٢] يقوم بمصالحه ، ويعينه بقضاء حوائجه ودفع[٣] جوائحه ، إلى أن فرغ مدى عمره ، ووصل نهايةَ أمره .

ولد بالثغر سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشر المحرّم سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وهو من ذريّة موسى الكاظم رضي الله عنه .

٧ ـ إبراهيم بن أحمد بن محمّد بن معالي*

الشيخ الإمام القدوة الْمُذَكِّر القانت ، أبو إسحاق الرّقي الحنبلي / ، نزيل دمشق .

تلا بالروايات على الشيخ إبراهيم القُفصي[٤] ، وصحب الشيخ عبد الصمد ابن أبي الجيش[٥] ، وعني بالتّفسير والفقه والتذكير ، وبرع في الطب ، وشارك في المعارف ، وله بالوعظ إلى القلوب أيادٍ وعوارف ، وكان يشير في كلامه إلى لطائف مُحرِّكة ، ويُهدي بعبادته إلى السامعين فوائد بين النفوس والتقوى مُشَرِّكة[٦] ، طالما أجرى دمعاً ، وخَرَق بالموعظة سمعاً ، وجَرَّ لمن انتصب له رَفْعاً ، يهزّ الأعطاف إذا لفظ ، ويحرّك القلوب الغافلة إذا وعظ ، على رأسه طاقية وخِرْقة صغيرة ، ونفسه غنيّة

(١) هو كتاب الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ، في النحو ، وهو مطبوع .

(٢) (أ) : « الصغوني » ، وفي هامش نسخة للدرر ـ بخط المؤلف : « صوابه : الصفوئي » ولم نقف على ترجمته .

(٣) (أ) : « ورفع » .

* الوافي : ٣١٣/٥ ، ومرآة الجنان : ٢٢٨/٤ ، وذيل العبر : ٢٣ ، والدرر : ١٤/١ ، والشذرات : ٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٤/١ .

(٤) لم يترجم له ابن الجزري في غاية النهاية ، وجزم محقق الوافي أنّه يوسف بن جامع القفصي ، شيخ القرّاء ببغداد (ت ٦٨٢ هـ) ، وكذلك في المنهل وانظر غاية النهاية : ٣٩٤/٢ .

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي ، (ت ٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٦) (أ) ، (ك) : « مشتركة » ، تحريف .

عن الملوك وإن كانت حالته فقيرة ، صُنع لـه منزلٌ[١] تحت المِئذنة الشرقية بالجامع الأموي من دمشق ، فلازمه إلى أن شالت نَعَامَتُه[٢] ، وسكنت بعد ذاك التذكار نَامَتُه[٣].

وله نظمٌ يترقرق ، ونثرٌ بالبلاغة يتدفق ، وربما كان يحضر السماع ، ويجد الناسُ به مزيد انتفاع ، وحضوره بأدب ووقار ، وسكون لا تحرّكه نشوة العقار . وألّف تفسيراً للفاتحة ، وأتى فيه بكلّ فائدةٍ سانحة ، وله تواليفُ ومختصرات ، وتصانيف على المحاسن مُقْتَدِرات .

ولد سنةَ نيّفٍ وأربعين وست مئة ، وتُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنةَ ثلاثٍ وسبع مئة في خامسَ عشرَ المحرّم ، ومِنْ نَظْمه :

يَزُورُ فَتَنْجَلِي عَنّي هُمُومي ... لأنّ جَلاءَ هَمِّي في يَدَيْه
ويَمْضِي بالْمَسَرَّة حين يَمْضي ... لأنَّ حِوالتي فيها علَيْه
ولـولا أنّه يَعِدُ التّلاَقي ... لكنتُ أموتُ مِنْ شوقي إليه

ومنه أيضاً :

لولا رجاءُ نَعيمي في ديارِكُم ... بالوَصْلِ ما كنتُ أَهْوَى الدارَ والوطنا
إنّ المساكن لا تحلـو لساكنها ... حتى يشاهِدَ في أَثْنَائها السَّكَنَا[٤]

(١) (أ) ، (ك) : « صنع منزلاً » .

(٢) في الأصل : « سالت نعامته » ، تصحيف . وشالت نعامته : ارتحل ، وهو كناية عن الموت .

(٣) في اللسان : « أسكت اللهُ نأمته ، وهو من النئيم : الصوت الضعيف ، أي نغمته وصوته ، ويقال : نامّته ، بتشديد الميم » اهـ .

(٤) في الوافي : « لا تخلو » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٨ ـ إبراهيم بن أحمد بن ظافر*

القاضي بُرْهَان الدّين البُرَلّسي ، بضمّ الباء الموحدة والراء وتَشْديد اللام وبعدها سينٌ مهملة[(١)] .

كان فَقيهاً وبَيْنَ أهلِ العلم وَجيهاً ، يُعين في قَضَاء القُضَاة ، ويُحبّه كلٌّ من أَهَلَ مذهبه ويَرْضاه ، تَجمَّل به مذهب مالك ، وتكَّل[(٢)] به نور القمر في الليل[(٣)] الحالك .

وكان ناظِرَ بيت المال بالقاهرة ، ونجوم أموال النجوم به زاهرة ، ولم يزل على حاله إلى أنْ لقي ربّه ، ونوّله ما أحبه .

ووفاته في شهرِ صَفر سنةَ ثمانٍ وسبع مئة ، ووَلِي مكانَه في نظر بيت المال القاضي نور الدين الزواوي نائب المالكي .

٩ ـ إبراهيم بن أحمد بن أبي الفتح بن محمود**

القاضي الصدر[(٤)] شرف الدين ابن الشيخ العالم الكاتب كال الدين ابن العطار .

كان قد باشر جهاتِ أخيه عِنْدَ موته ، وهي نظر الأشراف ، ونظر البيمارستان

---

* الدرر : ٩/١ .

(١) وفي معجم البلدان : « بَرَلُّس : بفتحتين وضمّ اللام وتشديدها : بُلَيْدَة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية » . ٤٠٢/١ . وفي القاموس : « بُرُلُّس ، بالضمات » .

(٢) (أ) ، (ك) « وتجمَّل » .

(٣) قوله : « في الليل » خلت منها (أ) ، (ك) .

** لم نقف على ترجمة له .

(٤) ليست في (أ) ، (ك) .

الصغير ، ونظر المدرسة الظاهريّة[(١)] ، وبقي على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى في تاسع المحرّم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالكرك في الجفل سنة سبع مئة ، وكان شَكِلاً حسناً .

١٠ - إبراهيم بن أحمد*

القاضي الرئيس الكبير جمال الدين ، رئيس الأطباء بالديار المصريّة ، المعروف بابن الْمُغْرَبي ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

لم يكن لأحدٍ مكانه عند السلطان الملك الناصر[(٢)] ، ولا عُقِدَتْ على مِثْل سَعَادته الخناصر ، يدخل إلى السلطان في كلّ يومٍ على الشمع ، فيشتمل عليه بالبصر ، ويصغي إليه بالسمع ، ويحكي له ما جرى[(٣)] في بارحته عند الحريم ، وما اتفق له مع آرامٍ وَجْرَة وغزلان الصّريم ، ويُفْضي إليه بأسرارٍ لا يُوْدِعُها سواه ، ويقضي له كل ما وافق آفاق غَرضَه ولاءَمَ ولائِمَ هواه .

وكان فخر الدين ناظرُ الجيش يضيق منه ذَرْعُه ، ويَـذْوِي من سُمِومِ تَعَدِّيه عليه زَرْعُه .

وكانت إشاراته عند سائر أهْل الدولة مقبولة ، وطباعُهم على ما يراه من العزل والولاية مَقْبولة ، وقلَّ أن يكونَ يَوْمُ خِدْمَة وما عليه تشريف ، ولا لَهُ فيه أمْرٌ في تَجَدُّد السعد ولا تصريف .

(١) داخل بابي الفرج والفراديس بينهما ، بناها الملك الظاهر بيبرس (ت ٦٧٦) ، الدارس : ٢٦٣/١ ، وهي الآن مكتبة عامة بدمشق .

* الوافي : ٣١٤/٥ ، والدرر : ١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/١ .

(٢) محمد بن قلاوون ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (خ) : « ما جرى له » .

وحاول جماعة ممّن هو قريب من السلطان إبعادَه ، وتَعِبَ كلٌّ منهم فما بَلَّغه الله[١] / قصده ولا أتمَّ له مراده :

إذا أنت أُعْطِيت السعـادةَ لم تُبَـل ولـو نَظَرَتْ شَزْراً إليـك القبـائـلَ

ولم يَزَلْ على حالِه إلى أنْ حَشْرَج ، ولم يكن له من ذلك الضّيق مَخْرَج ، ووصل الخَبَرُ إلى دِمَشْقَ بوفاته في أواخرِ ذي القِعْدَةِ سنةَ ستٍّ وخمسين[٢] وسبع مئة .

وكان مليحَ الوَجْهِ ظريفَ[٣] اللبـاس ، مُتمكّناً من السّلطـان ، أراد القـاضي شرف الدين النَّشو[٤] أن يُنْزِلَه منْ عَيْن السلطان بكلّ طريق فلم يتّجه له فيه عَمَل ، فعمل أوراقاً بما على الخاصّ من الدّيون من زمان مَنْ تَقَدَّمه ، وذكر فيه جُمَلاً كثيرة باسم القاضي جمال الدين ابن المغربي ؛ مِنْ ثَمَن رَصاصٍ وبُرٍّ وحَرير وغيره ، ودخل وقرأ الأوراق على السلطان ، ليعلم أنّ له أموالاً متّسعة يتكسّب فيها ويتَّجرُ على السلطان ، وأعاد ذِكْرَ جمال الدين مَرّات ، فما زاد السلطانُ على أن قال : هذا القاضي جمالُ الدين ، لا تؤخِّرْ له شيئاً اِطْلع الساعةَ وادفع له جَميع مالِه .

وكان قد توجَّه مع السلطان إلى الكَرَك ، وأقام عنده يخدم حَريمه ، وحظاياه وخواصَّه من مماليكه وجواريه في أمراضهم .

وكان يَدْخل إليه كلّ يوم على الشمع قبل كل ذي وظيفة راتبة[٥] من أرباب الأقلام ، ويسأل عن مزاج السلطان وأحوالِه وأعراضِه في ليلته ، ثُمَّ في بقيّة أمراض

---

(١) (أ) ، (ك) ، (خ) : « بلّغه الله فيه » .
(٢) في المنهل : « سنة نيف وأربعين وسبع مئة تقريباً » .
(٣) (أ) : « طريف » .
(٤) عبد الوهاب بن فضل الله ، ناظر الخاص ، توفي سنة ٧٤٠ هـ » . وستأتي ترجمته .
(٥) عبارة الوافي : « وظيفة برّانيّة » !

الدّور والحريم والأولاد ، ويسأله عن أحوال المدينة وما[١] تَجدَّدَ فيها وما لَعَلَّه لوالٍ[٢] أو أمير أو قاض أو مُحتَسب إلى غيرهم من الرعايا ، فيُطْلعه على ما عِنْدَه ويَسمعه السَّلطانُ منه قَبْلَ الناس كُلِّهم ، وصار لذلك يُخشى ويُرْجَى ، ولا يَقْدِرُ أحد يَرَدُّ له شَفَاعَة ، وقلَ أن يَمُرّ يومُ خدمةٍ وما رأيته قد لبس فيه تشريفاً إمّا من جهة السلطان ، أو من جهة الدّور ، أو من جهة أولاد السلطان ، أو من جهة بنات السلطان ، أو من جهة أمراء الدولة الكبار ، أو من جهة خَاصكيّة السّلطان[٣] ، وهذا أمرٌ زائد عن[٤] الحد ، هذا إلى ماله من المعلوم الوافر ، وأنواع الرواتب ، وكل من يُزَكَّى في الطب بالشام ومصر ، وماله من الأملاك والمتاجر ، ولعلّ هذا لم يتفق لغيره ، لا في المدّة ، ولا في المادّة ، ومع ذلك فكان مُقْتَصِداً في نفقته على نفسه وعلى عِيَاله ، فما كان في مصر إلاّ قارون هذا القرن : ﴿ ورَحْمَةُ ربِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُون ﴾[٥] .

١١ - إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان*

القاضي أمين الدين ابن القاضي شهاب الدين بن غانم

كاتبُ الإنشاء بدمشق ، هو من بيت رياسة وكتابة إنشاء ، وسيأتي ذكر جماعةٍ من أهل بيته في هذا التاريخ ، كلّ واحد منهم في مكانه .

كان هذا أمين الدين ينظم البيتين والثلاثة ، ويُجيد في بعضها لِمَا لَهُ في البلاغة من الوِراثة ، ويَنْدُرُ له النَّصْفَ والبَيْت ، ويُطْربُ به الحيّ والميْت ، لأنه كانت قريحته

(١) (أ) : « بما » .

(٢) أي : وما لعلّه وقع لوالٍ .. وهي قريبة ممّا في الوافي ، والمنهل .

(٣) هم خاصّة السلطان من المماليك ، يلازمونه في كلّ أوقاته .

(٤) (أ) ، (ك) : « على » .

(٥) [الزخرف : ٣٢/٤٣] .

* الدرر : ١٣/١ .

نظّامة ، ومواده من العلم ما خالطت لَحْمَه ولا عِظامه ، وكانت تقع[١] له في أثناء المحاورات ألفاظٌ على طريقِ الاتباع . يخلُصُ من خصومه فيها بالباع والذراع ، وكان خَفيفَ الّروح لدى المجالس ، يَخْلط جدَّ الملائك بمُجون الأبالس ، وله على بلوغ مآربه قُدْرَةٌ وتمكّنٌ ، وفي التوصّل إلى مَقَاصِده ذلّة وتَمَسْكُن ، قد جَبَلَ الله على ذلك طِباعَه ، وأَلِفَ الناسُ في ذلك لُطْفَه وانطباعه ..

ولم يزل على حاله إلى أن خانت[٢] الأمينَ مَنِيَّتُه ، ووارت قامَتَهُ حَنِيَّتُه .

وتوفي ، رحمه الله تعالى ، في بُكْرَةِ الإثنين ثالث جُمادَى الآخرة سنةَ إحْدَى وستّينَ وسبع مئة ، جُوًّا باب الفرج بدمشق ، ودفن بالصالحيّة مِنْ يَوْمِه .

ومَوْلِدُه تَقْرِيباً في سنة سبع وتسعين وست مئة .

دخل إلى ديوان الإنشاء بدمَشْق سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة .

وكان والده في مُدَّةِ مَقَامِه بالديار المصريّة عند القاضي فخر الدين ناظر الجيش[٣] ، يطلبه فيتوجه في كلّ سنة إلى زيارةِ والده ، ويَعُود على البريد بعناية القاضي فخر الدين ، وكان فيه كَيَس ودُعَابَة ، وعنده عَشْرَة ولطف ، وإذا كان له أَرَبٌ في شيء توصَّل إليه بكلّ طريق وناله ، وإذا فرغ أَربُه شَرَد وقَطَع الرَّسن ، وما يعود يَلْوي على إلْفٍ ولا وَطَن ، / فكنّا ـ جَمَاعةَ الديوان ـ نَعْرِف ذلك منه ، وأنّه متلوّنٌ ذو استحالة .

وكنتُ في وقتِ عَزْمي على الحجّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة قد اتَّفَق معي ومع القاضي ناصر الدين كاتب السر[٤] بالشام على أنّه[٥] يحُجّ معنا ، وأعطانا على ذلك

(١) قوله « وكانت تقع » ليست في « خ » .
(٢) (أ) : « خانت » .
(٣) هو مَنْ يتولّى ديوان الجيش ويشرف على عددٍ من الموظفين الذين يتولون أموره الإداريّة .
(٤) هو الذي يوقّع القصص ـ أي الطلبات ـ بدل السلطان ، ويقرأ عليه الرسائل ويتولّى الإجابة عنها .
(٥) (أ) ، (ك) ، (خ) : « على أنْ » .

مواثيق وعهوداً ، فلمّا حقّت النَّهْضَة غاب عنّا ، ولم نَظْفَر به ، فلمّا عُدْت من الحج كَتَبْتُ إليه مِنَ الطّريق :

أَفْدي الذين غَدَتْ محافَظَتي على ... مِيثَاقهم دُوْنَ الوَرَى تُغْريني
قالوا استحلْتَ وخُنْتَ عَهْدَك قلتُ ما ... أنا في مَحَبَّتِكُم أَمينَ الدين
ذاك ابنُ غانِمَ يَسْتَحِيلُ ويَسْتَحِي ... أن لا يَراه الدَّهرُ غَيْرَ خَؤُون

إلاّ أنّه كان فيه كَرَمٌ وجُود وتواضع واعترافٌ بالتَّقصير في فَنِّه ، وكان في وقتٍ قَدْ كَتَب إلى القاضي ناصِر الدين كاتبِ السرّ الشّريف ونحن بِمَرْج الغَسُولة[1] أبياتاً فكتب جوابَهُ القاضي ناصرُ الدين في وَزْنِه ورَوِيِّه ، ومن جُمْلَة الجواب :

أيَا مَنْ غدا يستوعبُ الوقتَ مَدْحُهُ ... لِنَقْص فِعَالٍ وَهْوَ قَوْلٌ مُلَفَّقُ
إذا ما شكَرْتَ اللهَ زاداكَ رِفْعَةً ... فشكْرُك إيّاهُ شِعَارٌ مُوَفَّق
تُسَوِّد أَوْرَاقاً وتكْتُبُ مَأْثَمَا ... ويَظْهَرُ منك القولُ وَهْوَ مُزَوَّق
ونَظْمُك عِنْدي جَوْهرٌ ونظَامُهُ ... بَليغٌ وهذا النَّظمُ بالصِّدق أَلْيَقُ

فَتَأَذّى[2] أمينُ الدين وقال : قَدْ تُبْتُ عَنْ نَظْمِ الشّعر ، فكتبتُ أنا إليه ارْتِجالاً :

تابَ أمينُ الدّين مِنْ نَظْمِه ... وخَلَّصَ الأَقْوَام مِنْ ذَمِّهِ
فقال لا عُدْتُ إلى مِثلها ... فقُلْتُ لَمْ تَهْربُ مِنْ سَهْمِهِ
فقال لي والله لو أنّه ... مِسْكٌ لَمَا مِلْتُ إلى شَمِّهِ
فقد كفى ما نِلْتُه مِنْ أذىً ... وما التقى قَلْبِيَ مِنْ هَمِّهِ

وكتب إليه القاضي ناصرُ الدين أَيْضاً في ذلك :

إن كان قد تاب بلا مِرْيَةٍ ... وأحْسَنَ التَّوْبَةَ مِنْ جُرْمِهِ

(١) من قرى دمشق ، منزلٌ للقوافل فيه خان على يومٍ من حمص ، وقارا . معجم البلدان . ٢٠٤/٤ .
(٢) في الأصل : « فنادى » ، تصحيف .

وقـــدّمَ الإخـــلاصَ في فِعْلِـــهِ ... وقَـــوْلُـــه دَلّ على حَــزْمِـــه

[منها][1] :

وإن أعــــاد القَــوْلَ فيا بـــدا ... منْـــهُ ولاح الـزَّيْف في نَظْمِــه

فـــإنني مُسْتــــأنفٌ هِمّــــةً ... في مَنْعِـــه القَــوْلَ وفي ذمِّـــهِ

وكتبت أنا إليه أيضاً :

إنّ أمينَ الــدّين مُـــذْ تَــابَـــا ... أَغْلَـــق لــلأَبْــواب أَبْــوَابـــا

وكانت الأعْطـــافُ مِنْ نَظْمِـــهِ ... ونَثْره تَهْتَـــزُّ إعْجـــابـــا

وكَيْفَ يَنْسَى لَـــذَّةً طـــالمـــا ... دَارَ لهـــا بـــالكَعْبِ دُوْلاَبـــا[2]

مـــا زَال مُـــذْ شَبَّ على نظمِـــهِ ... حتّى رأينـــا رأسَـــهُ شَـــابـــا

وذِهْنُـــــــــهُ في كلِّ مَعْنىً إذا ... حَـــاوَلَـــهُ يَسْبِــق نشّـــابـــا[3]

فـــإن يكن أمْسَى غَشِيـــاً كَمَا ... يَــزْعُم أَعْطَينـــاهُ ركّـــابـــا

وكتب أمين الدين إليّ ، وقد تَخَلَّفْتُ عنهم في بعض السَّفرات إلى مَرْج الغَسُولة :

خَليليّ مـــا الْمَرْجُ الخصيب بطيّبٍ ... إذا لم يرَ إبراهيمُ وَجْـــهَ خليلـــه[4]

ومـــا هُـــوَ إلاّ مـــارِجٌ بَعْـــدَ بُعْـــده ... ولــو زَارَهُ جَــال النــدى بنخيلــه[5]

وكتب إليّ وقد حَصَل لي يرقان :

حـــاشـــاك مِنْ ألمٍ ألَمَّ بمهجـــة ... قَـــدْ مَسَّهـــا ألَمٌ من اليَرَقـــان

---

(١) زيادة من (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (ك) : « أنسى » « لها باللعب » .

(٣) في الأصل : « النشابا » ولا يستقيم بها الوزن .

(٤) « إبراهيم » هو صاحب الترجمة ، و « خليله » هو المصنّف خليل بن أيبك ، وهذا من التوجيه .

(٥) المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

وكُفِيْتَ كلَّ مُلِمّـةٍ ومَخَـافَـةٍ ... ولَبستَ ثَـوْبَ سَـلامـةٍ وأمـان
مُتَمَتعّـاً مُتَنعماً في جِلّـقِ الْـ ... ـفيحـاء ذاتِ جَنًى وذاتِ جنَـان
وترى بهـا أَتْرَابهـا وكـواعبـاً ... بخـدُودهنّ شقـائـقُ النعمان
يـا أوحـداً في جِيْلِـه بجميلـهِ ... كم في فنـون فِنـاك مِنْ أَفْنَـان
مَنْذا يضارع بحر شعرك في الوَرَى ... يـا حَبْرَ عِلْمٍ مـالَـهُ مِنْ ثـانِ

وكُنْتُ قَدْ كتبتُ أنا إليه جَواباً من رَحْبَة مالكِ بنِ طوق[1] في سنة ثلاثين وسبع مئة :

كتـابـك نُـوْرٌ صُنْتُـه بجفـوني ... وتـاجُ عُـلاً أَعْـدَدْتُـه لجبيني
أتـاني فـلا والله مـا احتجتُ بعـده ... إلى أن تُقِرَّ الحـادثـاتُ عُيـوني[2]
ونَفَّسَ مِنْ ضيْـقٍ برحبـة مـالـك ... أكابـدُه من لـوعـةٍ وحَنين
فمـا الطرفُ إذ أبصرتَـهُ بمسهّـد ... ولا القلبُ إذ عـاينْتَـه بحـزين[3]
تُغَـازلني ألفـاظُـه في سُطـوره ... بسحر معـانٍ من لـواحـظ عِيْنِ
وأنظر في مَنْثُـوره مُتَنَزّهـاً ... فَأَشْهَدَ سجع الـوُرْق فـوق غُصـون
غدَوْتَ أمينَ الـدين بـالفضل باديـا ... وفـزتَ بسَبْـق في العـلاء مُبين
بَعثتَ مثـالاً مـا ظفرتُ بمثلـه ... وحَسْبُـك من حُسْنٍ بغير قرين
فمـا كلُّ حُسْنٍ مثلُـه بمُكَمَّـل ... ولا كلُّ دُرّ مثلـه بثمين
بضـائعـه تجلـو علينـا مَحَـاسنـا ... ولَسْتَ على هـذا لهـا بـزَبُـون[4]
لأنّ الـذي وشَى مَطَـارف حسنهـا ... فتىً حـازَ أشتـاتَ الفضـائل دُوني
أضعتُ أنـا فضلي وأصبحَ حـافظـا ... وكَيْفَ يَضيـع الفضـل عنـد أمين

---

(١) هي بين الرقّة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا ، أحدثها مالك بن طوق بن عتّاب التغلبي في خلافة المأمون ، معجم البلدان : ٣٤/٣ .

(٢) (أ) ، (خ) : « بغدها » .

(٣) (أ) : « منذ أبصرته » .

(٤) (أ) : « تجلو عليّ » .

١٢ ـ إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليُسْر شاكر بن عبد الله*

الشَّيخ الأَصيل تَقِيّ الدّين التنوخي . كان من جُمْلَة الشهود ، وهو كثير السكون ، قليل الكلام .

سَمِعَ من السَّخاوي[١] ، وابن قُمَّيْرَة[٢] ، وعز الدين بن عساكر[٣] ، وتاج الدين القرطبي[٤] ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البِرْزالي[٤] : قرأت عليه مشيخة ابن شاذان الكبيرة[٥] وغيرها .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

١٣ ـ إبراهيم بن منير**

الشيخ الصالح الزاهد العابد البقاعي ، المعروف بابن الصيّاح[٦] .

كان من كبار الصُلَحاء الأخيار ، ومَن يتفتت المِسْك حسداً إذا ذُكرت عنه الأخبار ، له سِيماء الولاية ، وعليه طِلاوة القُرب والعناية ، انعزل عن الناس ، ووجد

* الدرر : ١٨/١ .

(١) علم الدين عليّ بن محمد بن عبد الصمد المقرئ النحوي ، (ت ٦٤٣) ، البداية والنهاية : ١٧٠/١٣ ، والشذرات : ٢٢٢/٥ .

(٢) يحي بن أبي السعود نصر بن أبي القاسم ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٣) محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ٢٤٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الميم .

(٥) تمييزاً لها من مشيخته الصغرى . الكشف : ١٦٩٦/٢ .

** الدرر : ٧٣/١ ، والإعلام : ٣٠٦ .

(٦) (أ) : « المعروف بالصيّاح » .

في الوحشة الإيناس ، انْجمع فامتدت له المعارف ، وانخزل فأُجزلت له العوارف ، وكان متوحشاً من نوعه ، نافراً عن الذي لا يراه في طوعه ، يمشي في الجامع كأنّه مُريب ، ويَنْفِر حتى تقول : هذا غريب ، لا يأنس بإنسان ولا يتألف بإحسان ، من رآه قال : هذا طافح السَّكْرَة ، لافح الجَمْرة ، سافح العَبْرَةَ ، جامح الخَطْرة إلى الحَضْرة ، جانح الفكرة إلى الخلاص من العَثْرَة .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه مولاه فأسرع ، واخضَرّ له القبر فأمرى وأمرع . وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل ليلة الأربعاء مستهلّ المحرم ، سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وحمله الناس على الأعناق والرؤوس والأصابع ، ودفن بمقابر باب الصغير[١] ، وسبب مَوْتِه أنّه استدفأ بمجمرةٍ فاحْتَرق ، ودخل حجابَ المنون واخترق ، وكان له بيت في المئذنة الشرقية يأوي إليه ، وكان كثيراً ما يقول : يادائم المعروف ، يادائم المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يُحْصَى عدداً ، ياألله .

ورثاه الأديب جمالُ الدين محمد بن نباتة بقوله[٢] :

عَلَى مِثْلِها فَلْتَهْمِ أعيُنُنا العَبْرَى ... وتُطْلِق في مَيْدَانِها الشُّهْبَ والجَمْرَا[٣]
فقَدْنا بني الدنيا فلما تَلَفتت ... وجوهُ أمانينا فقدنا بني الأُخْرَى
لفقَدِكَ إبراهيمُ أمْسَت قلوبُنا ... مُؤَجَّجَةً لابَرْدَ في نارِها الحَرَّى[٤]
وأنت بجنّات النعيم مُهَنّأ ... بما كنت تُبْلِي في تطلّبه العُمْرا

(١) (أ) : « الباب الصغير » . وهو أحد أبواب مدينة دمشق من الناحية الجنوبيّة ، سمّي بذلك لأنّه أصغر أبوابها . والمقابر المشار إليها تقابل الباب ، وهي أكبر مقابر دمشق وأشهرها ، خطط دمشق : ١١٦ .
(٢) القصيدة في ديوانه : ٢٢٠ ، بزيادة بيتٍ في آخر القصيدة عمّا ههنا .
(٣) في الديوان : « والجمرا » ، تصحيف .
(٤) في الأصل و (ك) « موجّهة » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) والديوان .

عَريتَ وجَوَّعتَ الفؤاد فحبَّذا مساكنُ فيها لا تجوعُ ولا تعرى[١]
بكَى الجامعُ المعمورُ فَقْدَكَ بَعْدَما لَبِثْتَ على رغمِ الديارِ به عُمْرا
وفارقْتَهُ بَعْدَ التوطّنِ سارياً إلى جنّةِ المأوى فسُبْحانَ مَنْ أسرى
كأنَّ مصابيحَ الظّلامِ بأفْقِه لفَقْدِك نيرانُ الصَّبابةِ والذكرى
كأنّ المحاريبَ القيامِ بصدْرِه لفُرْقَةِ ذاك الصَّدْرِ قد قوّسَتْ ظَهْرا
مضيْتَ وخلّفتَ الدّيارَ وأهلَها بِضَيْعَةٍ تشكو الشدائدَ والوِزْرَا
فَمَنْ لِسهامِ اللّيلِ بعدك إنها مُعَطّلةٌ ليْسَت تُراشُ ولا تُبْرَى
ومَنْ لعفافٍ عن ثراءٍ ثنى الورى عَبيدَ الأماني وانْثَنيت به حُرّا[٢]
سيعلم كلٌّ مِنْ ذوي المالِ في غدٍ إذا نُصِبَ الميزانُ من يشتكي الفقرا
عليكَ سلامُ اللهِ مِنْ مُتَيقّظٍ صَبُورٍ إذا لم يَسْتَطِعْ بَشَرٌ صَبْرا
ومِنْ ضامرِ الكَشْحَيْنِ يَسْبق في غدٍ إلى غايةٍ مِنْ أجْلِها تُحْمَدُ الضُّمْرا
أيَعْلمُ ذو التّسليكِ أنّ جُفُوننا على شخْصِهِ النائي قد انْتَثرت دُرّا
وأنّ الأسى والحُزْنَ قد جالَ جَوْلةً فما أكثرَ القتْلى وما أرْخصَ الأسْرَى[٣]
ألا رُبّ ليلٍ قد حَمَى فيه مِنْ وغى حمى الشامِ والأجفانُ غافلةٌ تكْرَى
إذا ضَحِكَ السّمّارُ حجّبَ ثَغْرَه كذلك يحمي العابدُ الثّغْرَ والثّغْرا
إلى اللهِ قلباً بعده في تغابُنٍ إلى أن أرى صَفَّ القيامةِ والحشْرَا[٤]
لقد كنتُ ألقاهُ وصَدْريَ مُحْرَجٌ فيفتحُ لي يُسْرا ويشرحُ لي صَدْرا
وألثمُ يُمناه وفكْريَ ظامئٌ كأنّيَ منها ألْثَمُ الوابلَ الغمْرا
أمولايَ إنّي كنتُ أرجوك للدُّعا فلا تَنْسَني في الخلدِ للدَّعوةِ الكُبْرَى
سقى القَطْرُ أرْضاً قد حللتَ بتربِها وإن كنتُ أستسقي بتربتك القطرَا[٥]

(١) اقتبس قوله تعالى : ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ﴾ [طه : ١١٨/٢٠] .
(٢) (أ) ، (ك) : « بني » ، وفي الديوان : « عن ثرىً وبني » .
(٣) في الديوان :« كالحزن » .
(٤) في الأصل : « لي الله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ك) والديوان .
(٥) (أ) ، (ك) : « بدعوتك » . وفي الديوان : « برؤيتك » .

١٤ ـ إبراهيم شاه بن بَارنْبَاي*

هو إبراهيم شاه ، وجَدُّه سُوْتَاي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه مِن حرف السين .

لّما قُتِلَ طَغَاي بن سوتاي ، على ما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، قام ابنُ أخيه إبراهيم شاه هذا مَقَامَهُ في الحكْم على ديار بكر من جهة **المُغل**[(١)] ، فتزوّج ابنة الملك الصالح شمس الدين صاحب ماردين[(٢)] ، ومَقَامُهُ بالْمَوْصل ، وكان يُظهر المودة لصاحب مصر ويبوء بخلاف ذلك بالإثم والإصْر مَكْراً منه ودهاءً ، وفخراً بذلك على غيره وبهاءً . وكانت رسله[(٣)] تفد على الأبواب الشريفة ، وتعود إليه[(٤)] بالهدايا والتحف الظريفة ، وهو يدّعي أنّه من جملة من وادَّها ، وقام على من عاداها في وقتٍ أو حادّها ، فتصل إليه التشاريف[(٥)] الثمينة ، والكتب التي تتنزل منها على قلب مثله السّكينة .

وكان قد قُتِلَ عَمُّه طغاي في بعض حُروبه التي اتَّفقت ، وسالت سيول وقعتها واندفقت ، ولّما وَقفَ عليه قتيلاً نزل إليه وبكى ، وحطّ رأسه على حجره[(٦)] واتّكا ، واعتذر إليه ، وذاك[(٧)] يجود بنفسه ، وينظر إلى مكان رَمْسِه . لا جَرَمَ أنَّ إبراهيم شاه

* الدرر : ١٩/١ .

(١) المغل : المغول .

(٢) هو ابن الملك غازي بن قره أرسلان ، تولّى الحكم بعد وفاة والده سنة ٧١٢ هـ ، ودام حكمه ٥٤ عاماً . الدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣٠/٦ .

(٣) مطموسة في الأصل .

(٤) ليست في (أ) ، (ك) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « التصاريف » . وأثبتنا ما في (أ) و (ك) و (خ) ، وهي أشبه .

(٦) (أ) ، (ك) : « وحطّ حجره على رأسه » .

(٧) في الأصل : وذلك » ، ولا وجه لها .

ما تهنّا بعده ، وزار عن قريبٍ لَحْدَه ، لأنه مرض بالفالج وما نجع فيه مداواة طبيب ولا مُعَالج ، وبقي قريباً من سَنَتين على جنبه مُلَقًّى ، لا يَتَرفع إلى عافيةٍ ولا يَتَرّقى / . وقيل : إن الشيخ حسن بن هندو[1] حاكم سِنْجار دسّ عليه من سمّه ، وأعدمه نسيم الحياة وشمّه .

وكانت وفاتُه في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

١٥ - إبراهيم بن بركات بن أبي الفضل*

الشيخ الصالح أبو إسحاق الصّوفي البَعْلَبَكّي الحَنْبَلي المعروف بابن قُرَيْشَة .

أحد الإخوة ، شيخ الخانقاه الأسديّة بدمشق[2] ، وإمام تربة بني صَصْرى[3] . سَمع من ابن عبد الدائم[4] ، وعليّ بن الأوحد[5] ، وابن أبي اليُسْر[6] ، وأبي زكريّا بن الصيرفي[7] وغيرهم .

وروى الكثير ، واشتُهر ، وسمع منه جَماعة ، وأجاز لي بخطّه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بدمشق .

كان شيخاً ذا شيبة مُنَوَّرة ، وشِكَالة بالمهابة مُسَوَّرَة ، حسَنَ المُلْتَقى لمن يعرفه ،

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٣٧/٥ ، والدرر : ٢٠/١ ، والشذرات : ١٢٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٥٨/١ .

(٢) داخل باب الجابية ، أنشأها أسد الدين شيركوه . الدارس : ١٠٩/٢ .

(٣) (أ) : « صرصرى » . تحريف . وهي عند الركنيّة بسفح جبل قاسيون ، الدارس : ١٩٧/٢ .

(٤) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ، مسند الشام وفقيهها ، (ت ٦٦٨) ، البداية والنهاية : ٢٥٧/١٣ ، والشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٥) عبد الله بن محمد بن علي القرشي الزبيري ، ابن الأوحد . (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات ٣٦١/٥ .

(٦) إسماعيل بن إبراهيم بن أبي اليسر التنوخي الدمشقي ، مسند الشام ، (ت ٦٧٢) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) أبو زكريّا يحي بن أبي منصور الحرّاني الحنبلي ، ويعرف بابن الجيشي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٣/٥ ، والإعلام : ٢٨٣/٨ .

كثيرَ الإنصاف لمن اجْتمع به وإن كان ما يُنْصِفه[١] ، حُلْوَ الْمُذَاكرة ، ظريفَ المحاضرة ، قد صحب المشايخَ ورآها ، ودخلَ غابَ أُسْدِهم وعَرَاها ، عليه أُنْسُ الفقراء ، وحِشْمة الأمراء .

روى عنه عَلَمُ الدين البِرْزَالي في حياته ، وغَيْرُه . وعاش هُوَ من بعد ذلك وما انقطع سَيْرُه ، ولم يزل على حاله إلى أن لَبس كَفَنه ، وَلَحدَهُ اللاحِدُ ودَفَنَهُ .

ولد سنة ثمانٍ وأربعين وست مئة ، وتُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة أربعين وسبع مئة بجبل الصالحيّة .

١٦ - إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز*

شمس الدين الكُتبي الجَزَري ، المعروف بالفاشوشة ، ويُعرف بابن شمعون . كان يُذكر أنّه سمع من فخر الدين بن تيميّة[٢] .

كان يتجر بالكتب باللبّادين[٣] ، ويدخر منها كلَّ ما يطلبه مَنْ عاجَ إلى ملّة أو مالَ إلى دين .

وكان يَتَشيَّع ، ويَرى أنّ عَرْفَه بذاك يتضوّع وهو يتضيّع .

احتَرقت كتبه في حَرِيق اللبّادين المشهور[٤] ، وذهب له في ذلك خمسة آلاف مجلّدة على ما هو مذكور ، ولم يبق له إلاّ ما هو في العَرَض ، أو في العاريّة التي رمق منها عَيْشَه على بَرض[٥] .

(١) (أ) : « لا ينصفه » .

* الوافي : ٣٣٨/٥ ، تالي الوفيات : ٢٩ ، والشذرات : ٤٥٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي القاسم الخضر بن محمد ، ت ٦٢٢ ، الإعلام : ٢٥٦ ، والسير : ٢٨٨/٢٢ ، والشذرات : ١٠٢/٥ .

(٣) أشار إليه صاحب الدارس غير مرّة ، انظر مثلاً : ٣٠٠/٢ ، ٣٠٧ .

(٤) قال الذهبي في العبر - أحداث سنة (٦٨١ هـ) : « في ليلة حادي عشر رمضان احترقت اللّبادين وجميع أسواقها الفوقانية والتحتانيّة ، وقواسيرها » ، العبر : ٣٣٣/٥ .

(٥) البَرَض : التبلّغ بالقليل من العيش .

توجّه في أيام الكامل بن العادل[1] إلى مصر في تجارة ، واتفق أن حضرت بنت بُوْري المغنية مَجْلس الكامل وغنّت :

يـــا طَلْعَـــةَ القَمَرِ الْمُنيرِ   مِن جَـــوْرِ هَجْرِك مَنْ مُجيري

فأَعْجبَ السلطانَ ذلك ، وطلب الزيادةَ عليه ، فتوجَّهَتْ إلى شمس الدين المذكور ، وسألَتْهُ الزيادةَ على ذلك ، فنظم لها :

قَسَماً بـــدَيْجُـــور الشُّعـــور   وبصُبْـــح أَسْفَـــارِ الثُّغـــورِ
وبـــأسْمَرٍ حُلْـــوِ الْمعـــا   طِفِ واللُّمَى أمْسَى سَميري
مـــا للصّـــوارم والقَنـــا   فِعْـلُ اللـواحـظِ في الصّـــدور

فَحَضَرَتْ عِنْدَ السلطان وغنّته بالأبيات فأَعْجَبَه ذلك ، وأطلق لها كلّ ما في المجلس ، ثم إنّ شمس الدين عرض له مَرَض ، فنقلته ابنة بُوري إلى دارها وخدمته إلى أن عُوْفِيَ ، فقالت له : كلُّ ما في هذا البيت هو من إحسانك ، وحكَت له ما جَرَى ، ومن شعره :

قـالـوا بـه يَبَسٌ وَفَرْط قَسَـاوةٍ   وكأنّـه في الحـالتين حَـديـدُ
فـأجبتهم : كَـذِبـاً ومَيْنَـاً قُلْتُم   مِنْ أيْنَ يشبـه طَبْعَـه الجُلْمـود
وميـاهُ جلّـقَ كلُّهـا مُنحـازةٌ   في بَعْضِـه فهـو الفتى المحمـود
ألفـاظـه (بردى) وصُورَة جِسْمـه   (ثورا) وأمّا كِذْبه (فيَـزيـد)[2]

ولد سنة اثنتين وست مئة ، وتوفي سنة سبع مئة .

---

(١) هو الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيّوب (ت ٦٣٥) ، السير : ٢٠١/٢٣ ، وبدائع الزهور : ٢٥٨/١/١ .

(٢) (ثورا) و (يزيد) من فروع بردى ، وفي البيت تورية .

١٧ - إبراهيم بن أبي بكر بن أحمد بن يحيي بن هبة الله بن الحسين بن يحيي بن محمد بن علي*

القاضي شمس الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة نجم الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين ، ابن قاضي القضاة شمس الدين بن سنا الدولة .

كان مُدَرِّس الركنيّة بدمشق[١] ، وعنده انقطاعٌ ومحبّة للفقراء .

روى عن خطيب مَرْدا ، وسمع من الفقير محمد اليونيني[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن شهر ربيع الأول / سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٨ - إبراهيم بن حباسة**

القَاضي سَعْدُ الدين ، مُستوفي دِمشق وحَلَب وصَفَد .

كان مَليحَ الشّكالة ، سَديد المقالة ، دَرب صَنَاعة الدِّيوان وخَبرها ، وتَمَّمَ نَقْصَها وجَبَرها[٣] ، وكان - كما كان يُقَال - يَداً وفَكّاً ، ونِحْريراً لا يَرى الناقد فيه شَكّاً .

وليَ استيفاءَ صفد مُدّة ، ورأى فيها من السّعادة ضُروباً عدّة . وتوجَّه إلى باب السلطان في واقعة سنجر الساقي ، وانتصر عليه ، وجَعَل رُوحه في التراقي .

ثم إنّه نُقل إلى استيفاء حلب ، فامترى فيها ضُروع السعادة وحلَب ، ثمّ نَقل[٤] إلى

* الدرر : ٢١/١ .

(١) مدرسة للشافعيّة في زقاق بني مفلح أمام المقدّميّة ، واقفها ركن الدين بن كوس (ت ٦٣١) ، الدارس : ١٩٠/١ .

(٢) تقدمت ترجمة خطيب مردا ، واليونيني ، في ترجمة إبراهيم بن أحمد بن حاتم بن علي .

** لم نقف على ترجمة له .

(٣) (أ) : « حبرها » .

(٤) (أ) : « انتقل » .

استيفاء النظر بدمشق ، وهو على سَعْده مقيم ، وحظُّه الزائد يستغني عن التقويم ، إلى أن فوّز[١] ، وحصل على ما تحوّز .

وتُوفي رحمه الله تعالى ، في ثالث عشر المحرّم سنةَ ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان أوّلاً نَصْرانيّاً ، وباشر عَمالة خان سلاّر لما عمّره الجاولي . قال لي : حصّلت فيه خمسين ألف درهم . ثمّ إنّه أَسْلَم وعَمل استيفاء صفد ، ورأى فيه خيراً كثيراً ، ولمّا وقعت فتنة علم الدين سنجر الساقي[٢] بينه وبين الأمير سيف الدين أرقطاي[٣] نائب صفد ، جهّزه إلى مصر ، فانتصر الساقي عليه قدّام السلطان ، وجهز الجميع إلى عند تنكز[٤] نائب الشام ، فتأخر بعده ولحقه ، ودخل إلى تنكز وحاققه ، فنصره الله عليه . وعاد إلى صفد وأقام مدّة ، ثمّ إنه رُسم له بحلب فتوجّه إليها وأقام مدّة ، ثمّ جهز إلى دمشق مستوفي النظر ، فأقام بها مدّة إلى أن مات .

١٩ ـ إبراهيم بن الحسين بن صدقة بن إبراهيم*

شرف الدين أبو إسحاق البغدادي الْمُخَرِّمي الدمشقي .

سمع من ابن اللّتي ، وأبي نَصْر بن عساكر[٥] ، وأبي الحسن بن مُقَيَّر[٦] ، ومُكْرَم بن أبي الصّقر[٧] ، وجَعْفر الهَمْدَاني[٨] .

---

(١) فوز : مات .

(٢) ت (٧٤٥) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٢/١ ، والشذرات ١٩/٦ وفيها إبراهيم ابن أبي الحسن .

(٥) عبد الرحيم بن محمد بن الحسن بن عساكر ، (ت ٦٣١) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٦) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن منصور بن المقيّر البغدادي ، (ت ٦٤٣) ، السير : ١١٩/٢٣ .

(٧) مكرّم بن محمد بن حمزة القرشي الدمشقي ، (ت ٦٣٥) . الشذرات : ١٧٤/٥ .

(٨) جعفر بن علي بن هبة الله الهَمْداني الإسكندراني أبو الفضل المقرئ ، (ت ٦٣٦) ، السير : ٣٦/٢٣ ، والشذرات : ١٨٠/٥ .

وأجاز له ابن صَبّاح [١] والنّاصح [٢] وأبو الوفاء محمود بن مَنْدَه [٣] .

تفرّد وروى الكثير وعُمِّر دهراً ، وأصْفَت لـه الحيـاة الشهيّـة نهراً ، وكان حَسَن الأخلاق ، تزكو محاسُنه على الإنفاق [٤] ، يَؤُمّ في مَسْجِد ، ويُغِير في التَّسْميع ويُنْجِد ، إلى أن نزل ضريحَهُ ، وسكّن الموتُ رِيحَه .

ولد سنة أربع وعشرين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وسبع مئة .

٢٠ - إبراهيم بن الحسن بن عليّ بن عبد الرفيع الرَّبَعي المالكي*

قاضي تونس .

سمع من محمد بن عبد الجبار الرُّعَيْني سنة خمس وخمسين (كتابَ البخاري) عن أبي محمد بن حوط الله ، وذكر أنّه سمع (الموطّأ) عن ابن حوط الله عن أبي عبد الله بن زَرْقون [٥] ، قال : وسمعت (أربعين السِّلَفي) [٦] على الفقيه عُثْمان بن سفيان التميمي سنة

(١) أبو صادق الحسن بن يحيى بن صبّاح المخزومي المصري نشو الملك ، ت (٦٣٢) . السير : ٣٧٢/٢٢ ، والشذرات : ١٤٨/٥ .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الشامي ناصح الدين (ت ٦٣٤) ، السير : ٦/٢٣ ، والشذرات : ١٦٤/٥ .

(٣) محمود بن إبراهيم بن سفيان بن مندة العبدي الأصبهاني مسند وقته ، (ت ٦٣٢) ، الشذرات : ١٥٥/٥ .

(٤) (أ) : « الآفاق » : تحريف .

* الوافي : ٣٤٣/٥ ، والدرر : ٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ٦٠/١ .

(٥) محمّد بن سعيد بن أحمد ، ت (٥٨٦) . السير : ١٤٧/٢١ ، والشذرات : ٩٦/٥ .

(٦) أبو طاهر أحمد بن محمّد السلفي الأصفهاني ، (ت ٥٧٦) ، ويعرف كتابه باسم « الأربعين البلدانية » ٥٤/١ .

ثمانٍ وخمسين عن الحافظ ابن المفضّل[(١)] ، وسمعت (مقامات الحريري) عليه أنا [و][(٢)] ابن جبير[(٣)] عن الخشوعي .

كان بمدينة تونس قاضياً ، وبما قُسِمَ له في العِلْم راضياً ، يَنْتَقي وينتخب ، ويدّخر أجْرَه عند الله ويَحتسب .

اختصر (كتاب التفريغ) ، وسمّاه (السهل البديع)[(٤)] ، والكتاب المذكور لابن الجلاّب[(٥)] في مَذْهب مالك .

وعُمّر زمناً طويلاً ، ووَجَدَتْ مدّةُ حياته إلى الطّول سبيلاً ، إلى أن اجْتَحَفه سيل المنيّة ، وقطع من السير[(٦)] لَذّته الهنيّة .

ولد سنة ست[(٧)] وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٢١ ـ إبراهيم بن خالد بن عبّاس الأنصاري الدمشقي*

الأمير جمال الدين بن النَّحاس .

كان رجلاً عارفاً بالسَّعْي والتقدّم ، والتَّعْمير والتهدُّم ، قَفَز من سوق النّحاس إلى أن صار تُفدى كَفُّه وتُباس .

---

(١) علي بن المفضل بن علي المقدسي الإسكندراني ، (ت ٦١٢) ، السير : ٦٦/٢٢ .
(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الوافي .
(٣) في الأصل : « أبو جبير » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمراد ههنا رحلة ابن جبير (ت ٦١٤) ، سمعها المؤلف عن صاحب الترجمة عن الخشوعي .
(٤) الكشف : ٤٢٧/١ .
(٥) أبو القاسم بن الجلاّب المالكي ، (ت ٣٧٨) ، السير : ٣٨٣/١٦ .
(٦) (أ) : « العيش » .
(٧) في الأصل « ثلاث » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهي الصحيحة .
* لم نقف على ترجمة له .

وتولّى بدمشق ولايةَ الحَرْب ، وتحدّث في الوَصْل والقَطْع والضَّرْب ، ولم يزل إلى أن ضَعُفَ باصرُه ، وقلّ في ذلك ناصرُه ، وناب عنه وَلَدُه مدّة[1] إلى أن عَمي ، وجاش صدره بالحِقْد وحَمي ، فعُزل عن الولاية ، وذهبت تلك العِناية ، ثمّ إنه لَبث مدّة إلى أن ما حَمَل النحاسُ التطريق ، وغصّ وَهىً في حُلْقُومه بالريق .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر [ذي][1] القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

كان أوّلاً هو وأبُوه من سُوق / النّحاس بدمشق . وكان يخدم الأمراء ، وبالغ في خدمة الأفْرَم[3] قَبْل النيابة ، فلما تولّى النيابة تولّى مدينة دمشق في ولاية الحَرْب ، وكان له ثَرْوَةٌ[4] وأملاك وسَعادة ، ولم يزل إلى أن ضَعُفَ بَصرُه وناب عنه ولده إلى أن عَمِيَ فعُزِل ، ولَزم بَيْتَه إلى أن مات .

٢٣ - إبراهيم بن صابر*

مُقَدَّم الدَّوْلة ، عَهْدي به مُقَدَّمُ الدّولة في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وأظنّه كان فيها من قبل ذلك .

وكان السّلطان الملك الناصر مُحَمّد بن قلاوون يُعَظِّمه ويطلبه وهو في دَسْتة[5] دار العدل ، ويقول : ياإبراهيم تعال ، فيجيء إليه ويُدْنيه حتى يَضعَ فمه في أذنه ، ويُسِرُّ إليه ما يأمره به ، ومِثْلُ الأَمير سيف الدين الأكُوَز الآتي ذكره إن شاء الله[6] واقف ، حتى صار أرفعَ من الحجّاب ومِنْ غيرهم .

(١) ليست في (أ) .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) آقوش نائب دمشق ، ستأتي ترجمته في موضعها من حرف الألف .
(٤) في الأصل : « مروة » ، وأثبتنا ما في (أ) .
* الدرر : ٢١/١ ، وفيه : « إبراهيم بن أبي بكر بن شدّاد بن صابر » .
(٥) الدست كرسيّ من أربعة كراسٍ لكُتَّاب يكتبون بما يريد السلطان ويضعون توقيعهم بدله بإذنه نيابةً عنه ، وتُرسل للتنفيذ ، ويقال : كراسي الدست ، وتوقيع الدست ، أو كتبة الدست .
(٦) في حرف الألف .

وكان ضَخْماً طويلاً ، عارفاً بما يعانيه من التقدمة نبيلاً ، ابتزّ الناسَ أموالَهُم في الْمُصَادرات ، وتناولها في الأوائل والمبادرات . فحصَّل أموالاً جَمَّة ، وأملاكاً ما حَصَّلَها[1] قبله ذو همّة ، ورتبّه السلطان وعشرةً من رجاله يَمْشُون في ركاب شرف الدين النَشْو[2] ناظر الخاص لمّا جُرِحَ تلك الجراحة ، وكان لا يُؤَذّن الفجر[3] إلاّ وهُوَ في رجاله على الباب ، فإذا رَكِبَ كانوا معه إلى أن يدخل القلعة ، وإذا نزل منها مَشَوا في ركابه إلى أن يدخل بيته ، هكذا أبداً في السّفر والحضر ، ولكنّه بعد ذلك تَسلّمه عند غضب السّلطان عليه ، فكان يُعاقبه ويَضْربه ، فيقول : يا مُقدّم إبراهيم ، فيعتذر[4] إليه بأنّه مأمور .

ومات هو[5] وجماعة من أهله وجماعةٌ من الْمُصَادَرين تحت مَقَارِعه ، إلاّ أنّه مع ضخامته وطوله لم يكن فظّاً غليظَ القلب ، بل كان فيه رحمةٌ ورِفْق بالضعيف ، واصطناعٌ للمسكين ، وإيثارٌ للفقير ، ولم يزل على حاله في الوجاهة مدّة حياة السلطان الملك الناصر ، وأقام بعده ، لكنّه ليس في تلك العظمة إلى أن توفي في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، والظاهر أنّه نُكِبَ قَبْلَ مَوْته وصُودر ، والله أعلم .

٢٣ ـ إبراهيم بن سُلَيْمان *

ابن الشيخ الإمام العالم رضي الدين الحموي الآب كرمي .

ـ نسْبَة إلى آب كرم ، بُلَيْدَة صَغيرة قَريبة من قُونْيَه كثيرةُ الفواكه ـ الروميّ الحنفيّ المعروف بالمنطقي .

(١) في الأصل : « ماحَصّله » . وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

(٢) عبد الوهاب ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) و (خ) « المؤذّن » .

(٤) في الأصل : « فيعذر » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٥) في الدرر : توفي سنة (٧٤٢) .

* البداية والنهاية : ١٥٧/١٤ ، والدرر : ٢٧/١ ، والدارس : ٤٤٢/١ ، والشذرات : ٩٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٤/١ ، وقد خلت من ترجمته (خ) .

كان شيخاً عليه وَقار ، ومَهَابةٌ لا يَعْتَريها احْتِقار ، أبيضَ الشَّيبة طويلَها ، حَسَن الطَّلْعة أَسْيَلْها ، يَعْرف المنطق جيّداً ، ويُدْعَى فيه سيّداً ، تفرّد بهذا الفنّ في زمانه ، وكأنّه فيه أرسطو أوانه ، وكان ليّنَ العريكة ، كأنّه من سهولته تَريكة ، محسنٌ[1] إلى الطلبة والتلاميذ والأصحاب ، باذل البشر لمن أمَّه يتلقّاه بالتَّرْحاب . وكان ديّناً ، خيّراً أميناً ، حجّ سبع مرات ، ونال ما قَدَّره الله له فيها من الْمَبَرّات ، ولم يزل على حالة إلى أن خَرَس الْمَنْطِقِي ، وأتاه ما كان يَرْتَقِب ويَتّقي .

وتوفي رَحِمه الله تعالى ليلةَ الجُمعة سادسَ عُشْري[2] شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وحَضَرَ جنازته جماعة .

وقرأ عليه جماعة من الأعيان والأفاضل ، وكان مُدَرّس القايمازيّة التي تحت القَلْعة[3] ، وتولاّها بَعْدَه قاضي القضاة عماد الدين الطرسوسي الحنفي[4] .

٢٤ ـ إبراهيم بن سليمان بن أبي الحَسَن بن ريّان*

القاضي كمال الدين ابن القاضي جَمَال الدين الطائي ، وسيأتي ذكر والده في مكانه إن شاء الله تعالى .

كان من جُمْلَةِ مُوقّعي حلب ، ووقّع في الدّست قَبْل مَوْته بقليل . وكان يكتب الْمَنْسُوب الرائق ، ويراعي فيه الأَصْلَ الفائق ، فتَخالُ طُروسَه حدائق ونباتاً[5] في

(١) (أ) : « محسنا » .
(٢) في المنهل : « خامس عشرين .. » .
(٣) أنشأها صارم قايماز النجمي أستادار صلاح الدين الأيوبي ، الدارس : ٤٣٩/١ ، وفي المنهل : « بالقيمازية » .
(٤) علي بن أحمد بن عبد الواحد ، (ت ٧٤٨) ، وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ .
* الدرر : ٢٦/١ .
(٥) (أ) ، (خ) : « أو نباتا » .

خَدِّي غُلاَم مراهق ، وتظن أنها برود يمانية وليست مهارق ، وكان يُعرب جيداً ويُغْرِب ، ويأتي بما هو أغرب من عنقاء مُغْرِب[١] ، إلاّ أنّ الأجل تحيَّف كَمَالَهْ ، وأدخل على أَلِفِ قَدِّهِ مِن المنون الإمالة . وتوفي رحمه الله تعالى[٢] في يوم الثلاثاء ، ثالث عشري ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة . ومولده بصَفد في حُدود العشرين وسبع مئة فيما أظن .

وكتبت / إلى أخيه القاضي شرف الدين حُسَيْن[٣] أعزّيه فيه ، وأوّل الكتاب قصيدةٌ ، وهي :

تَعَزَّ يا باهر السناء وطيّبَ الأَصْل والثّناء
واصبر لتحظى بخير حَظّ مَن غير حَضٍّ يومَ اللقاء[٤]
واثبتْ لفَقْدِ الكمال يا مَنْ كالُه خافق اللواء[٥]
أَكْرِمْ به من أخٍ كريم قد فاقَ في الفَهم والذّكاء
مُكَمَّل الذات قد تحلّى بالحلم والعلم والوفاء[٦]
يُمْناه كم قد برت يَراعاً كأنّه السيف في الْمَضاء
ووشّعَت طِرْسَها ووشّتْ بالزَّهْر من أحرف الهجاء[٧]
غلطت فيما أراه حقا إذ ليس والزَّهْرُ بالسواء
لأنّ زَهْرَ الرّياض يَذْوي وذا يُرى دائمَ الرّواء[٨]

(١) العنقاء المغرب : طائر عظيم يبعد في طيرانه ، وربما عد من عجائب الدنيا ، وقيل هو طائر خرافي يضرب المثل به في الشيء الذي يُسمع به ولا يُرى ، (ثمار القلوب : ٤٥٠ ، واللسان : غرب) .
(٢) (أ) : « بحلب في » .
(٣) (ت ٧٧٠) ، والدرر : ٢/٥٥ .
(٤) (أ) : « حط » ، (خ) : « حظر » .
(٥) (أ) : « دافق » .
(٦) (خ) : « تحلى » . وفي (أ) : « بالحكم » .
(٧) (أ) : « ورصّعت » .
(٨) (أ) ، (خ) : « وزهر ذا » .

فمـــالــه ابن الــوحيــد ثــانٍ | في صحّـــة الــوضـع والصفـــاء
إعرابـــه ســـاد في البرايـــا | إذ شـــاده مُحْكَم البنـــاء[1]
طـار (ابْنُ عصفـورَ) منـه خـوفـاً | لمّـــا تعرّى منـــه (الكســائي)
وكان غُصْنـــاً رطبـــاً ثنـــاه الـ | ردى إلى روضــــة البَقـــاء
وراح غضّـــاً خفيف حَمْـــلٍ | من الخطـــايـــا يـــوم الجـــزاء
وليس مثـــلَ الـــذي رثـــاه | عَنَيْت نَفْسي ذاتَ الشّقـــاء
ستـون عـــامـــاً كانت أمـــامي | لم أدرِ حتى غَـــدَت ورائي
وأثقَلت بـــالـــذنـــوب ظهري | وأسمَعْتني داعي الفنـــاء
دع ذا فخطبي بـــــه جسيم | جـــلّ وَعُـــدْ بي إلى الرثـــاء
كانَ جميـــلَ الصفـــات فَرْدا | في الجَهْر منـــه وفي الخفـــاء
وجُمْلَـــةُ الأمر فيـــه أني | أقـــولُ قـــولاً بـــلا ريـــاء
إنّ فراقَ الكمـــالِ صعبٌ | حتى على البـــدر في السماء

وكان هو قد كتب إليّ من حلب في أوائل سنة خمس وخمسين وسبع مئة : يُقَبّلُ الأرض التي هي من براعته ويراعته مَجْمَعُ البَحْرين[2] ، ومن لفظه وخطّه مَغَاصُ النفيسين من الدّرين ، فأضحت بذلك في الشام شامَة ، وغدا برقُ فضلها لامعاً لِمَنْ شامَه . ويُنْهِي بَعْدَ أشواق تفيء[3] سطور الطروس في غضونها ، وأثنيةٍ تَسْتَنْزل الوُرْقَ بأطواقها من غصونها .

إنّه مابرح يتذكر مولانا وفوائده ويشاهدها ، ويتعاطى نشوة فضّ الختام ويتعاهدها ، ولم يزل له من أمثلة مولانا[4] الواردة إلى أخي الملوك كؤوسُ مَدَام ، ولها

---

(١) (أ) : « سار » .
(٢) اسم كتابٍ في اللغة للإمام حسن بن محمد الصغاني (ت ٦٥٠) ، وكنّى به ههنا عن الشعر والنثر.
(٣) في الأصل : « تغنى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب .
(٤) ما بين « مولانا » و« مولانا » ساقطٌ من (أ) .

من ميم مسك قصيدته الميميّة ختام ، ومن مخبآت شرح اللامية عرائسُ[١] تُجْلَى على الأفهام ، وإنما فيها أماكنُ تحتاج إلى مُقابلةٍ على النسخة الأصليّة ، ومواطنُ لم تكن مرآتها في قراءتها جليّة ، وتمّات تركت فعَسَلت[٢] مطالُعها إذ كانت من الكتابة خليّة ، فاختار المملوك حيث اسمه إبراهيم أن يَطْرَب بنوبته في نُسخته الخليليّة ، فإن اقتضى رأيُ مولانا أن يُنْعِم بتجهيز النسخةِ الصحيحة الكاملة ليقابل عليها نسخته التي حرمها[٣] الكاتب ما يجب من المقابلة ، ومنعها من جَبْرها بالتصحيح فاستحقّ المقابلة[٤] ، ليُحْكِمَ المملوك جوهريّ معانيها الصّحاح ، ويُزيلَ تعجُّبَه من فساد هذه النسخة المنسوبة إلى الصَّلاح ، وإنْ تعَذّر تجهيزها جملةً فليكن[٥] مجلداً بعد مجلد ليقابلَ عليها ويعيدها[٦] إلى خليله ، و (العَوْدُ أحمد) إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا إليه الجواب ارتجالاً من رأس القلم :

لا يُنْكر النـــاسُ قـــطُّ شـوقي   إلى كَمـــالٍ حـوى المعـــالي[٧] /
فـــالبـــدر أفنى الظـــلام سيرا   ليُرْزَقَ الفَـــوْزَ بـــالكمـــال

يقبّلُ الأرضَ حيثُ ابنُ مُقْلَة لتلك الكتابة شاخص ، والفاضل[٨] لذلك الترسُّل ناقص ، والَميْداني لتلك البلاغة على عَقِبَيْه ناكِص ، تقبيلَ مَنْ زكا ودّه ، وتأكّد في المحبّة عَهْدُه ، وتَجدّد في الثّناء على مرّ الزمان وَرْدُه ، وعَذُب في الدعاء وِرْدُه ، فما نبع إلاّ

(١) في الأصل : « غرائس » ، تصحيف . وشرح لامية العجم للمصنف .
(٢) أي اضطربت .
(٣) (أ) : « خرمها » .
(٤) تورية بالجبر والمقابلة ، من علم الحساب .
(٥) في الأصل و (خ) : « فيكون » ، وهي ضعيفة .
(٦) في الأصل : « ويعيده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٧) في الأصل : « لا ينظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٨) هو القاضي الفاضل وزير صلاح الدين .

وأينع بالإجابة وَرْدُه ، وورود المشرب الذي حلا ، وغلا قَـدْرُه في البلاغـة وعلا ، وشـاع ذكره لمّا ملأت محاسنُه الْمَلاَ ، واتضح معناه في ليل سطوره التي أسْدَفَت فقال « أنـا ابن جلا » ، وضمّه(٧) إلى صـدره فشفى بـه عليل(٨) مهجتـه ، ورفعـه على نـاظره فقَضى لـه بتجديد بَهْجته ، وفَضه عن طروس فِضّة(٩) ، أو الدراري الثابتـة في أوجهـا لا المنقضـة ، فَسَرَّهُ إذْ فَسَّرَه ، وصَدّق بمُعْجز آياتـه لَمّـا تصورّه ، وشنّفـه وقلّـده وسَوّره ، وَوَرَدَ مَنْهَل فضله الْمُصَفّى ، ورأى ما لو رآه الخيـاط(١٠) لمزّق حلل الرفّـا(١١) ، وعلم أنّ الكتـاب من قبلـه في نَقْص وإبراهيمَ الـذي وفّى ، وقـال : هـذا الفن الفـذّ الـذي مـات ، ومـا رآه أبو حيان في جيّان(١٢) ، وهذه الفضائل التي ضوّع رياها بَنُو ريّان ، وهـذا النثر الـذي شكا الفَقْرَ إليه صاحب القلائد(١٣) ، وهذا السجع الذي لا يتطـاول إلى قصوره أصحـاب البيوت ولا أرباب القصائد ، وهـذا البيـان الـذي حَمْلَقَت إليـه عين الجـاحـظ ، وهـذا البديع الذي لاقَ بالأسماع وراق في اللواحظ ، وهذا وهذا وهذا ، إلى أن لم نجـد للوصف هلجأً ولا للعطف ملاذاً .

وانتهى إلي ما أشار إليه مولانـا من شرح اللاميّـة التي في خـدمتـه ، والنسخـة التي أسقمها النـاسخ وساقها إلى حوزته ، وما تحتاج إليه مع جبر مولانا من المقابلـة التي يصحّ مـا بهـا من السقم ، ويسلـك(١) بهـا من الصـواب أرشـد نِعَم(٢) ، وقـابـل المملـوك ذلـك

(١) في الأصل : « وضمّه » ، وأثبتنا ما في (أ)و (خ) .

(٢) (أ) : « غليل » .

(٣) زيادة في (أ) ، و (خ) : « وسجعات ألفاظها في الأدب غضة بضة ، وكلمات كأنها الدرر المنفضة » .

(٤) لقبٌ لغير ما شاعر .

(٥) السريّ الرّفّاء ، شاعر سيف الدولة . وفي العبارة تورية .

(٦) موطن أبي حيان الأندلسي ، من بلاد الأندلس .

(٧) قلائد العقيان في محـاسن الأعيـان ، لأبي النصر الفتح بن عيسى بن خـاقـان ، (ت ٥٣٥) ، الكشف : ١٣٥٤/٢ .

(٨) (أ) : « ويسلك كاتبها » .

(٩) (أ) ، (خ) : « لقم » .

بالامتثال ، وتحقق أنّ ذلك من جملة الإحسان والشفقةِ على المملوك حتى لا يُنْسَبُ إليه جهل ولا نقصان ، والمملوكُ مُعْتَقد[١] في فضائل مولانا ما يغنيه عن ذلك ، ولَوْ أَمْعَنَ النظرَ في أغلاطها ، وأنعم ، بجُودِه ، التأملَ لضوّا ليلها الحالك ، وجعلها في الصّحة مناراً يَهْتَدِي به السالك ، فهو لا يأتي على لحن إلاّ أعربه ، ولا خطأ إلاّ صوّبه ، ولا نقص إلاّ أتَمّه ، ولا مشكل إلاّ ونوّر ليلته المدلهمّة ، على أنّ المملوك ما يَفْرح بأن يرى الأصل عنده كاملاً ، ولا يرى السعد لضمٍّ أجزائه شاملاً ، ولا تزال الأجزاء مفرّقة[٢] في العاريّة جزءاً بعد جزء ، إمّا لجدّ من الطالب وإمّا لهُزْء ، فإن اقتضى الرأي العالي تجهيزَ النسخة التي في خدمته ليتولى المملوك مقابلتها بنفسه ، ويتشرف بخدمة مولانا بين أبناء جنسه فلمولانا علُّو الرأي وشَرَفُه ، وفردوسُ الأمر وغُرَفُه ، إن شاء الله تعالى .

٢٥ ـ إبراهيم بن صالح بن هاشم*

الشيخ عز الدين أبو إسحاق بن العَجَمي الحَلبي الشافعي .

سمع بدمشق مِن خطيب مَرْدَا ، ولم يكن بالْمُكْثِر ، وكان آخرَ مَنْ روى بالسماع ، عن[٣] الحافظ ابن خليل[٤] .

كان مِنْ بيت علم ورياسة ، وحِلْمٍ وسِياسة ، وحدَّث بدمشق وحلب ، وقصده الناس بالسّعي والطَّلب .

وأخذ عنه الشيخ شَمْس الدّين الذهبي وغيرُه ، ولم يَزَل إلى أن نَعَب غُراب بَيْنه ، ونام في القبر ملءَ عَيْنه .

---

(١) في الأصل : « فيعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) وهي أقرب .

(٢) (أ) : « متفرّقة » .

* الوافي : ٢١/٦ ، والدرر : ٢٧/١ ، والنجوم : ٤٩/٢ ، والشذرات : ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٣/١ .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

(٤) شمس الدين يوسف بن خليل بن قرّاجه ، عبد الله الدمشقي الحافظ المحدّث ، (ت ٦٤٨) ، السير : ١٥١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

تُوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان من أبناء التسعين ، كان عنده عن الحافظ ابن خليل ثلاثةُ أجزاء رواها غَيْرَ مَرّة ، وقَدِمَ دمشق غَيْرَ مرّة ، فحدّث بها ، ورحل الناس إليه .

٢٦ - إبراهيم بن عبد الله*

الشَّيْخُ الصّالح الكُرْدي الْمَشْرِقيّ المعروف بالْهُدْمَة ، كان عابداً زاهداً ، صابراً لفَقْره مُجَاهداً ، مُنْجمعاً عن الناس ، مُنْقَطعاً عن مخالطة الأدناس ، ماله مطمعٌ في مَطْعَمَ ، ولا مَطْمَح إلى قُوتٍ وإنْ عَمّ به من أنعم .

انقطع بقريةٍ بَيْن[١] القدسِ ، والخَليل ، ورَضِي بذلّته[٢] بين يَدَي الملك الجليل ، فأصلح لنفسه مكاناً وزَرَعَه ، وغَرس به شَجراً أطْعَمَه من رغبه في ذاك وأطْمَعَه / وتأهل بعد ثمانين وست مئة ، وجاءته الأولاد على كِبَر ، وكان أَمْرُه في ذلك من العِبَرْ ، وقُصِدَ بالزّيارة ، وظَهرت علامة كرامته والأَمارة ، وحكيت عنه كراماتٌ عِدّة ، وجُلِيَتْ مِنْ بركاته ليالٍ مُسْوَدَّة . ولم يزل إلى أن طُفِي مِصْبَاحُه ، وطغا من الموت اجتياحه .

وتوفي رحمه الله سنةَ ثلاثين وسبع مئة .

٢٧ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد**

زين الدين أبو إسحاق بن نجم الدين بن تاج الدين بن[٣] الشيرازي الدمشقي .

---

* الوافي : ٣٨/٦ ، والدرر : ٣٢/١ ، والشذرات : ١٥٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٨/١ .

(١) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .

(٢) (أ) : « بلذّته » .

** الوافي : ٤٢/٦ ، والدرر : ٣٦/١ ، والمنهل الصافي : ٩٨/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ .

(٣) قوله : « تاج الدين بن » ليس في (أ) و (خ) . وفي المنهل : « تاج الدين الشيرازي » .

كان شيخاً جليلاً ، مُسْنِداً نبيلاً ، يَشْهد مع العُدول ، وماله عن الخير عُدول ، له في مَسْجدٍ إمامَة ، والبهاء وراءَه وأَمامَه .

وكان قد سمع من السخاوي ، وكريمة[١] ، وتاج الدين بن حَمُّويه[٢] وجده وعِدة .

وخرَج له الشيخ الإمام صلاح الدين العلائي[٣] مشيخة وتفرد بعدّة أجزاء .

ولم يزل يُسمِع الطلَبة ، وما به من ذلك قَلَبة ، إلى أن سكن الثّرى ، وعَدم من الحياة القِرى .

ولد سنة أربع وثلاثين وست مئة ، وتوفي رحمه الله سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٨ ـ إبراهيم صارم العوّاد*

كان في صِناعة الطَّرَب كاملاً ، وعِلْمُه بدقائقها شاملاً ، لعب بالكَمَنْجَا إلى أن لم يجد الأستاذ[٤] فيها له منه مَنْجَا ، وفاق في فنّها ، فلم يكن كمَنْ رَاحَ ولا كمن جا ، وأمّا الطّار فكلّ قلب طارَ إليه ، وتخيل أنّ[٥] الشمس والبدر في يديه ، ولم ير الناس مِثْلَه مَنْ يُطرب ، ولا ألطفَ من حركاته كلما صَرَخ في يَدَيْه يَضْرب ، وما يرى أحدٌ أنه مَلكٌ فيه غَيْرُه ما مَلَكْ ، ولا أنه سلك في إتقانه ما سَلَكْ ، وأمّا العُود فكان إبراهيمُ فيه إبراهيمَ الموصلي[٦] ، بل لو عاصره لتحقق أنه مِثْلُ بَطْن عُوْدِه فارغٌ غَيْرُ مُمْتَلِي ، يكاد

(١) هي كريمة بنت عبد الوهاب بن علي بن الخضر ، توفيت سنة (٦٤١ هـ) .

(٢) عبد الله بن عبد الله بن حَمّويه الجويني الدمشقي ، (ت ٦٧٨ هـ) ، السير : ٩٦/٢٣ ، والعبر : ١٧٢/٤ ، والشذرات : ٣٦٠/٥ .

(٣) خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي (ت ٧٦١ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمة له . وفي (أ) و (خ) : « إبراهيم بن عبد الرحمن صارم الدين العوّاد » .

(٤) في الأصل : « الإسناد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (أ) : « أنّه » .

(٦) (أ) : « فكان إبراهيم فيه كالموصلي » . والمراد المغنّي المشهور .

لخفّة يده يَجْري[١] الماءُ في عُوده ، ويُرى البَرْقَ مِنْ يَده في العَفَاقات[٢] يلمع في حدوره[٣] وصعوده ، كأنما هو حمامة تَسْجع على عودها ، وتغدو وتروح ، وإذا غنّى هو جاوبه عُوده ، ولم يكن شجر الأراك مع الحمام ينوح :

يَلْعَبُ بالعَقْل شَدْوُه لَعِبَ الْمَزْج ... بمنثور لؤلؤ الحببِ

لو تسمع الوُرْقُ شَدْوَه خَلَعَت ... عليه أطواقها من الطربِ

وجَرَت له مع الناصر أحمد[٤] أمور ، ولو صحّ أمْرُه لكان أميراً كبيراً وغيره المأمور ، ولكن فات ما ذُبِحَ ، وما خَسِرَ الاّ مَنْ ربح ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى البِلى بغُصّته ، ولم يقدر على شرح قِصّته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

كان قد قرّبه الأمير سيف الدين تِنْكز ولازمه في سفره وحضره ، وكان يعلّم عنده جواريَ ، وأعطاه إقطاعاً جيّداً في حَلَقة دمشق ، وألبسه الكَلَفْتَا[٥] ، ولمّا أُمسك تنكز طلبه طاجار الدوادار ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وأقام بمصر تلك المدّة ، ثمّ إنّ السلطان الناصر أحمد أخذه معه إلى الكرك وأقام عنده تلك المدّة ، ووعده[٦] بأمورٍ منها أنه يعطيه أمرة طبلخاناه ، وهذا أقلُّ ما أعتقده في حقه ، وإلاّ من الناس من قال : إنه وعده بنيابة دمشق ، ثم إنه بعد ذلك كلّه أَخذ منه الإقطاع ، واستمر بيده راتبٌ كان له أوّلاً على دار الطُّعْم بدمشق فارتفق به ، وبَطَّل الخدم إلى أن مات رحمه الله تعالى .

(١) (خ) : « يجري على » .
(٢) الذي في اللسان : « عَفَقَهُ عفقات : ضَرَبه ضَرَبات » .
(٣) في الأصل : « صدوره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٤) كذا ، والمشهور : « محمد » ، وهو ابن قلاوون .
(٥) لباس الرأس في عهد المماليك ، يشبه القلنسوة أو الطاقية ، ويسمّى أيضاً (الكلوتة) ، معجم دوزي : ٣١ .
(٦) في الأصل : « وأوعده » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

٢٩ - إبراهيم بن عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد ابن نصر*

القاضي الرئيس ، الكاتب البليغ شمس الدين ابن القاضي جمال الدين ابن الصاحب فتح الدين ابن القَيْسَراني المخزوميّ الخالديّ ، كاتب الإنشاء بالديار المصريّة ، كان شَكِلاً ، تامّاً في خلقه سادّاً[١] لما يسند إليه من الإنشاء من سَعَة خَرْقه ، أشقرَ بوجه أحمر ، قد بدا الشيب في لحيته كالروض إذا أزهر ، يكتب خطّاً تحسده العقود ، ويباهي به الروضَ الْمَجُوْد ، وتزدهي الكواكب بضيائه إذا كانت[٢] في منازل السعود[٣] / ، إنْ أنشأ وشى المهارق ، وأخمل زهر الخمائل والحدائق ، وَحَسَد العِذارُ الجديدُ سطورَه ، وتمنّى الروضُ اليانع لو حوى منثوره ، وودّ الأفق لو استعار من طَرْسه صُبْحَه ، ومِنْ مِداده دَيْجُوره ، يُرشِفُ السّمْعَ كلامُهُ مُدَاماً ، ويتعاطى كؤوسَ فقراته الندامى ، مِنْ بيت كتابةٍ ووزارة ورياسة قديمة وصدارة .

رافقْتُه في ديوان الإنشاء في قَلْعَة الجَبَل[٤] مدّة ، وحَلَتْ برؤيته من الهم شِدَّة الشدّة ، ثم إنه رسم له السلطان الملك الناصر بتوقيع الدّست قبل موته بقليل بسِفارة الأمير سيف الدين تِنكز فيا أظن .

* الدرر ١ : ٣٧ ، وفيه : « إبراهيم بن عبد الرحمن » .
(١) (خ) : « شاذّاً » .
(٢) قوله : « إذا كانت » مطموسة في الأصل .
(٣) (أ) : « الصعود » .
(٤) ويقال لها قلعة القاهرة ، وقلعة صلاح الدين الأيوبي وهو الذي أنشأها ، تشرف على القاهرة ، النجوم : ٥٤/٦ .

قال قاضي القضاة بهاء الدين أبو حامد السبكي[١] : تولّى كتابة الدّست في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة[٢] .

ولم يزل على حاله في توقيع الدّست إلى أن دعاه الله لِلُقْياه ، وأوحشت الدنيا من بُقياه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أحد شهري ربيع من سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وكان عنده مماليك تُرك ، وله تجمّلٌ في مَلْبسه ، وورَّث نعمة طائلة ، وحَصَلت له وجاهةٌ عند النوّاب ، ولو دام له الأمير سيف الدين بَهادُر التمرتاشي[٣] لَرَقى .

وكان قد استعار من القاضي جمال الدين[٤] ابن العلاّمة شهاب الدين محمود جزءاً من (قَلائد العِقْيان) ، وأبطأ رَدّه ، قال جمال الدين ، فكتبتُ إليه :

قُلْ لِرَبّ العُلاَ فَتى القيسراني حين يأتي مَنْشيَّة الْمَهْرَاني
حَلٌ جيدي بالفضل منك فإنّي عَاطِلٌ من قلائد العقيان

فلما وقف عليها القاضي الشريف شهاب الدين الحُسَيْني قال :

يا ابن غيثِ النَّدَى وبَحْر المعاني دُرُّهُ في النّحور والتّيجان
أنت لِلْمُلْكِ زِينةٌ وجَمَال غَنِيَتْ عَنْ قَلائِد العِقْيَان

وكتب لي شمس الدين المذكور توقيعاً بزيادةٍ عن السّلطان الملك الناصر محمّد ، وهو : « رُسِمَ بالأمر الشريف العالي ـ لا زالت أوامره تَزين المناصب بأكْفَائها ، وتَزيد

(١) هو أحمد بن قاضي القضاة تقي الدين أبي الحسن عليّ بن عبد الكافي السبكي ، (ت ٧٧٣ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٥٧/٢ ، والدرر : ٢١٠/١ ، والبدر الطالع : ٨١/١ .
(٢) قوله « قال قاضي » حتى ههنا ليس في (أ) و (خ) .
(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته .
(٤) إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

المراتب وجاهة بمن تريد صلاحه في علائها ، ومراسيمه تَمُنّ بعوارف آلائها لمن جعله عرفانُه من أوليائها ـ أن يزاد المجلسُ السامي القضائي[(١)] فلان الدين على معلومه[(٢)] الذي بيده الْمُسْتَقِرِّ باسمه في الشهر دراهم كذا غلّة كذا ، وفي اليوم خبز كذا ، لحم كذا ، شعير كذا ، وفي السنة كذا زيادة على الجوخة قرطيّة[(٣)] مُغَشّاه لتَفَرُّده في البلاغة عن مناضل[(٤)] أو مناظر ، وتفننه في الكتابة التي تثلج الصدور ، وتبهج النواظر ، وإتيانه بالمعنى[(٥)] البسيط في اللفظ الوجيز ، واعتراف أمثاله بالقصور عمّا ينتجه فكره السليم من التعجيز ، طالما دبّج المهارق بأبوابنا الشريفة برائقِ خطّه وفائق لفظه ، ونظم[(٦)] في تقاليد الوزارة المنيفة[(٧)] من دُرَرِ معانيه ما تتسارَعُ الهمم إلى التقاطه وحفظه ، فليتناول ذلك شاكراً لأنعمنا الشريفة على هذا المزيد ، وليعلم [أن][(٨)] إحساننا إليه ثابت ويزيد ، والله يُبَلّغُه من النعم ما يريد بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى ، فكتبت إليه أتشكر إحسانه ارتجالاً :

كَلِماتُ القَيْسَراني لُطْفُ مَعْناها بَراني
فَهْي في الحُسْن كليلى وإليها قَيْسُ راني

٣٠ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء*

الشيخ الإمام الورع العلاّمة شيخ الشافعيّة ، برهان الدين أبو إسحاق الفَزَاري ،

(١) في الأصل و (خ) : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « علومه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٣) (أ) : « قرضيّة » .
(٤) (أ) : « مناصر » .
(٥) في الأصل « في المعنى » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٦) (أ) : « ونظر » .
(٧) (خ) : « المنيفة » .
(٨) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
* الوافي : ٤٣/٦ ، والفوات : ٣٢/١ ، والدرر : ٣٤/١ ، والشذرات : ٨٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٩/١ .

الصعيديّ الأصل ، الدمشقي الشافعي ، مدرّس البـاذرَائيّـة[١] وابن مدرّسها الشيخ تاج الدين .

سمّعه والده الكثيرَ في صغره من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر والموجودين في ذلك العصر .

قرأ العربيَّة على عمّه شرف الدين الفزاري[٢] ، وتفقّه على والده ، وقرأ الأصول وبعضَ المنطق ، وكان يخالف الشيخ تقي الدين بن تيميّة في مسائل ، وما تهاجرا قطّ ، وكلٌّ / منهما يحترم صاحبه إذا اجتمعا ، ولمّا بلغته وفاته استرجع وشيّع جنازته .

وكان رحمه الله تعالى قد نشأ في صيانَهْ ورقَى في ديانَهْ ، وإكْباب على العِلْم والإفادة طول عمره ، وتواضعٍ وخيرٍ من أوّل حاله إلى خاتمة أمره ، وزاد اشتغالُه بعد أبيه ، وطالعَ ونظر ، وما اقتصر على التنبيه ، يكاد[٣] يستحضر غالب الرافعي في مسائله[٤] ، ويورد لفظه بتقاريره ودلائله ، حتى يقول : هذه المسألة في الصفحة الفلانية من المجلّد الفلاني ، ويكشف عليه فما يخطئ الصواب بل يقارب ويداني ، اشتُهر بذاك ، وعلم جَميع الكِتَاب حتى كأنه باب السواك ، وعلّق على (التنبيه)[٥]

(١) المدرسة البـاذرائية بدمشق ، أنشأها عبد الله بن محمد بن الحسن البـاذرائي البغدادي المتوفى سنة (٦٥٥ هـ) ، الدارس ١٥٤/١ .

(٢) أحمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « فكاد » .

(٤) الرافعي هو الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني ، توفي في حدود سنة (٦٢٣ هـ) ، له كتابان في فروع الشافعيّة « المحرّر » و« فتح العزيز في شرح الوجيز » ، ولعل المراد أوّلهما ، انظر الكشف : ١٦١٢/٢ ، ٢٠٠٢ ، وفوات الوفيات : ٣٧٦/٢ ، والشذرات : ١٠٨/٥ .
وفي المنهل الصافي : « يكاد يقول في مسائل الرافعي : هذه المسألة في المجلد الفلاني في الكراس الفلاني ، في الصفحة الفلانية ، لأنه دربه وأدمن مطالعته » .

(٥) في فروع الشافعيّة ، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، (ت ٤٧٦) ، وأشار في الكشف : ٤٨٩/١ ، إلى الشرح الذي صنّفه صاحب الترجمة .

شرحاً حافلاً ، وأتى به لغوامض المذهب كافلاً[١] ، لو أنصفه الناس لم تُرْفَع لغير الرافعي راية ، وتحققوا أنّ بداية هذا الكتاب مثل النهاية ، ولا بدّ لهذا الشرح من وقت يوفّى فيه حقه ، ويعطيه الطاعة كلّ فاضل ، فما يعوقه عن التقديم على غيره ولا يعقّه ، مع ما في فضله من فضولٍ في بعض الفصول ، وزيادات بيان لا تَعَلُّق لها بالفروع ولا الأصول . وعلّق على (منهاج النووي)[٢] جزءاً لطيفاً فيه نتف ، وكلامه فيه أطرب من حمام الأيك إذا هتف .

وكان صادق اللهجة فيما ينقله ، حاذق المهجة فيما يتروّى فيه أو يتعقّله ، طويلَ الروح على الدرس والإشغال[٣] ، كثيرَ التوغّل في الإيضاح والإيغال ، حريصاً على تفهيم الطالب ، يودّ لو بذل كنوز العلم وما فيه من المطالب ، لا يعجبه مَن يورد عليه تشكيكاً ، ولا مَن يطلب منه تنزيل ألفاظ ولا تفكيكاً ، لأنه هو فيما بعد ذلك يتبرع ، فما يحبّ من غيره أن يسابقه ولا يتسرَّع ، وذلك ليُبْسٍ في مزاجه ، وحدّة تلحقه عند انزعاجه ، وحاجة إلى استعمال خيار الشمبر[٤] لعلاجه ، فقد كان ذلك نَقْلَه[٥] على الدوام ، ولا يُخِلّ باستعماله في يوم من الأيام ، وكان رقيق البشرة ، ظاهرة الوضاءة ، كأن وجهه حِبَره[٦] ، وله حظّ وافرٌ من صدقة وصيام وتهجّدٍ في الليل وقيام ، قلّ أن يخرج الشهر وما يعمل فيه لأهل[٧] مدرسته طعاماً ، ويدخلهم إلى منزله فراداً وتُواماً ، ويقف لهم عند الباب ويدعو لهم ويشكرهم ، ويعرّفهم بالميعاد الثاني وينذرهم .

---

(١) (أ) : « كاملاً » .

(٢) اسمه منهاج الطالبين في مختصر المُحرَّر في فروع الشافعيّة للإمام محيي الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) ، الكشف : ١٨٧٣/٢ .

(٣) (أ) : « والاشتغال » .

(٤) في اللسان : « وخيارُ شنبر ضربٌ من الخرّوب ، شجرةٌ مثل كبار شجر الخوخ » .

(٥) النقل : ما يتنقل به على الطعام .

(٦) الحِبَرَة والحَبَرة : ضربٌ من برود اليمن مُنَمَّر .

(٧) (أ) : « لفقهاء » .

وفتاويه كلها مُسَدَّدة ، واحترازاته وقيوده فيها مشدّدة[١] . قد كفّ لسانه وسمعه عن الغيبة ومنعها من مجلسه دفعه ، منجمعاً عن الناس يجد في الوحشة منهم غاية الإيناس ، وتنجّز من السلطان مرسوماً أن لا يحضر مجلساً إذا عُقد ، ولا يُطلب لذلك إذا فُقد . وطُلب للقضاء بعد ابن صَصْرى فاستعفى لذلك وصَمّم ، وألحّ عليه الأمير سيف الدين تنكز فخصَّص الامتناع وعَمَّم ، وحَجَّ غيرَ مَرَّة ، وتجرَّعَ من التكلّف لذلك كلّ مُرَّة .

وحَدَّث بالصحيحين ، وفاز من الرواية والدراية بالقدحين الربيحين . وخرَّجَ له الشيخ صلاح الدين العلائي مشيخة قُرئت عليه ، وسردها الناس لديه .

وولي الخطابة بالجامع الأموي بعد عمّه الشيخ شرف الدين ، ثمَّ عَزَل نفسه ، وقلع منها ضرسه .

ولم يزل على تلك الطريقة التي أخذها عن السلف ، وتفرّد بارتكابها في الخلف ، إلى أن جاء المحاق لبدره ، وانطبقت على درّته الثمينة صدفتا قبره ، ففجع الناس فيه ، وعَدموا اللؤلؤ الذي كان يقذفه بحرُ علمه مِن فيه ، وراحَ إلى الله على أتمّ سداد ، وأكمل اعتداد[٢] ليوم المعاد . وكانت جنازته مشهودة ، وآلاف مَن حضرها غير معدودة ، فرحم الله روحه ، ونوَّر بالمغفرة ضريحه .

مولده في شهر ربيع الأوّل سنة ستين وست مئة ، ووفاته في يوم الجمعة سابع جمادى الأولى في سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة .

وله نظمٌ ونثرٌ مَتع ، لا ينحطّ في ذلك ولا يرتفع ، ومنه قوله ، وقد ترك الخطابة :

وإنّي لأَسْتحيي منَ اللهِ كُلَّما وَقَفْتُ خَطيباً واعظاً فَوقَ مِنْبرِ /

(١) في الأصل : « مسددة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « اعتداده » .

ولستُ بريئــاً بينَهم فــأفيــدَهم ألا إنّما تشفي مــواعــظُ مَنْ بري

قلت : كذا أنشدنيها الشيخ أمين الدين محمد بن علي الأنفي عن مصنفها ، وكذا رأيتها في (البدر السافر) للفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي رحمه الله تعالى[(١)] ، ولو قال رحمه الله تعالى : « ألاَ إنما تشفي المواعظ مِنْ بَري » لكان ذلك أحسن وأمتن وأتم في الجناس . ورأيتها بعد هذا في ديوان الخطيب يحيى بن سلامة الحصفكي[(٢)] ، وهو بها أحق .

٣١ ـ إبراهيم بن عبد الرحمن بن نوح بن محمد*

الشيخ الأمين العدل بهاء الدين أبو إسحاق ابن الإمام العالم مفتي المسلمين شمس الدين أبي محمّد المقدسي الشافعي .

سمع الحديث من ابن مَسْلمة[(٣)] ، وابن علاّن[(٤)] ، وشرف الدين المرسي[(٥)] ، والمجد الإسفراييني[(٦)] ، وإسماعيل العراقي[(٧)] ، واليلداني[(٨)] ، والكفرطابي[(٩)] ،

(١) البدر السافر .

(٢) (ت ٥٥١ هـ) ، الوفيات : ٢٣٧/٢ ، وطبقات ابن السبكي : ٣٢٢/٤ .

* الدرر : ٣٧/١ ، والشذرات : ٥٤/٦ .

(٣) أبو العباس أحمد بن مفرّج بن علي الدمشقي ، سمع من الحافظ ابن عساكر ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨١/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٩/٥ .

(٤) مكّي بن الْمُسَلَّم بن مكّي بن خلف بن علاّن القيسي الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٨٦/٢٣ .

(٥) أبو عبد الله محمد أبو الفضل الشرف السُّلَمي المرسي الأندلسي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٦) محمد بن محمد بن عمر الصوفي ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٥٨/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٧) أبو الفضل إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقي الأواني ثمّ الدمشقي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٣٠٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٥/٥ .

(٨) الإمام المحدّث أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الفهم اليلداني الدمشقي ، (ت ٦٥٥) ، السير : ٣١١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٣/٥ ، والبداية والنهاية : ١٩٧/١٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٩) أبو الفضل عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطابي ، (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٩٣/٢٣ .

وابن طلحة[١] ، والشريف بهاء الدين النقيب[٢] ، وخطيب مردا ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم ، وخرَّجتُ له مشيخة سنة[٣] حجّ ، وحدَّث بها بالمدينة في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، قرأها عليه الشيخ عليّ الخَتْني[٤] ، ثمَّ رواها بدمشق غير مرّة .

وأجاز له ابن الجُمَّيزي ، والشاوي ، وأحمد بن الحَبّاب[٥] ، وجماعة في سنة سبع وأربعين وست مئة . وأجاز له من بغداد محمّد بن المنّي[٦] ، والأعزّ بن العليق[٧] ، والمؤتمن بن قُمَّيرة[٨] ، وجماعة في سنة ثمان وأربعين .

وتفرَّد في دمشق برواية (كتاب الآداب) للبيهقي[٩] عن الْمُرْسي سماعاً ، وتَفَرَّد بغير ذلك .

---

(١) الكمال أبو سالم محمد بن طلحة القرشي العدوي ، (ت ٦٥٢) ، السير : ٢٩٣/٢٣ .

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني ، نقيب الأشراف ، بهاء الدين علي بن أبي الجنّ ، (ت ٦٦٠) ، العبر : ٢٦١/٥ ، والشذرات : ٣٠٣/٥ .

(٣) في الأصل « منه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٤) علي بن محمد بن عبد الله الفقيه الزاهد التركي ، (ت ٧١٧) ، الدرر : ١١٠/٣ ، ووقع في (أ) : « الحسيني » . تحريف .

(٥) أحمد بن محمد بن عبد العزيز السعدي المصري ، راوي صحيح مسلم عن المأموني ، (ت ٦٤٨) ، السير : ٢٣٤/٢٣ ، والشذرات : ٢٤٠/٥ .

(٦) محمد بن مقبل بن فتيان بن مطر النهرواني الحنبلي ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٥٢/٢٣ ، والعبر : ٢٠٤/٥ ، والوافي : ٥٢/٥ .

(٧) أبو نصر أعزّ بن فضائل بن أبي نصر بن عباسوه بن العليق البغدادي ، ويعرف بابن بندقة ، (ت ٦٤٩) ، السير : ٢٣٨/٢٣ ، والعبر : ٢٠٢/٥ ، والوافي : ٢٩٠/٩ .

(٨) مؤتمن الدين ، أبو القاسم يحيى بن أبي السعود التيمي اليربوعي البغدادي الأزجي ، (ت ٦٥٠) ، السير : ٢٨٥/٢٣ ، والشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٩) أحمد بن الحسين بن علي صاحب السنن ، (ت ٤٥٨) ، وكتابه « الآداب » مخطوط ، كما في الأعلام : ١١٦/١ .

وكان في المباشرات مشكوراً ، وبالأمانة والعفّة مذكوراً ، وفيه خيرٌ وبرّ ، وتعهّدٌ للأصحاب[١] في العَلَن والسّر ، وعنده كِفايةٌ ونَهْضَة ، ومُرُوّة يؤدي بها في الإحسان فَرْضَه ، ووقفَ على جهات البرّ أوقافاً ، جعلت له في أغوار الذكر الجميل أحْقَافاً[٢] ، ولم يزل على حاله إلى أن بَرَّز للرحيل نُوْقَه ، وأقام الموتُ سُوقَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سَلخ جُمادى الآخرة سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة بالشاميّة الجوّانية[٣] بدمشق ، وكان ناظرَ المدرسة الرّواحيّة[٤] بعد أخيه أكثر من ثلاثين سنة ، وباشر وَقْفَ الحرمين وَوَقْفَ جامع العُقَيْبَة[٥] ، وغير ذلك .

٣٢ - إبراهيم بن عَرَفات بن صالح*

القاضي زَيْن الدين بن أبي الْمُنَى القنَائي الشَّافعي .

تَوَلّى الحكم بقِنا[٦] ، والتقى الإعْدَامَ بالبِيْض والقنا ، لأنّه كان يَتَصدَّق في كلّ يوم عاشوراء بألْفِ دِينار على من هو مُحْتاج ويُلْحِقُ الفقير المسكينَ من جوده برَبّ التاج ، مع حُسْن وجهٍ ساعةَ البَذْل ، لا كما يتكلّف الخير وفِعْلَه الساقِطُ النذل .

(١) (أ) : « لأضيافه » .

(٢) جمع حقف : المعوجّ من الرمل .

(٣) هي المدرسة الشاميّة الجوّانية ، تقع قبلي المارستان النوري الذي صار متحف الطب في دمشق اليوم ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب ، الدارس : ٢٢٧/١ .

(٤) شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي ولصيقه ، بناها زكي الدين أبو القاسم التاجر المعروف بابن رواحة ، الدارس : ١٩٩/١ .

(٥) بدمشق ، كان مسجداً فوُسّع وبنيت له مئذنة سنة (٨١٧) ، الدارس : ٣٢٩/٢ ، والعقيبة حي من أحياء دمشق إلى الآن يعرف بهذا الاسم .

* الوافي : ٥٥/٦ ، والدرر : ٤١/١ ، والمنهل الصافي : ١١٩/١ ، والطالع السعيد : ٥٦ ، وفي هذه المصادر خلاف حول زمن وفاته فقيل : « ٧٢٤ هـ » و « ٦٤٤ هـ » .

(٦) قنا : بلدة في صعيد مصر .

قالت امرأة : جئت إليه يومَ عاشُوراء فأعطاني ، وعدت إلى منزلي وأعطاني[١] ، ثمّ صِرْتُ إليه ثانياً فأنالني وخوّلني ، ثمّ رُدِدْتُ إليه ثالثاً فحَبَاني وما حَوّلني ، ثمّ فَعَلْتُ ذلك مَرّاتٍ وهو يَجُودُ عليّ ببرِّه ، ولا يطوي عنّي حُسْنَ بِشْره ، إلى أن تكمّل لي منه ذلك اليوم ست مئة دِرْهَم ، فاشتريت بذلك مَسْكناً ، وأراحني من الهمّ .

وكانت له عقيدةٌ حَسَنة في أهل الصَّلاح ، ويأخذ من أدعيتهم ما هو أوْقَى له من السِّلاح .

ولم يزل على خيرٍ إلى أن فات وعُدَّ من الرُّفَات . ووفاتُه ، رحمه الله تعالى ، في بلده سنة أربعٍ وأربعين وسبع مئة .

٣٣ ـ إبراهيم بن علي الأَجَلّ أبي هاشم*

ابن الصدر الأديب الْمُعَمَّر أبي طالب مُحَمَّد بن مُحَمّد بن مُحَمد بن التامَغَار ، مَجْدُ الدين أبو الفتح بن الخَيَمي الحلّي[٢] .

سمع من والده بسماعه من بِنْتِ سَعْد الخير[٣] ، وسمع من الرشيد العَطّار[٤] مجلسَ (البطاقة) ، ومن ابن البُرْهَان[٥] (صَحيح مسلم) .

---

(١) الأعطان جمع عطن ، وهو موطن الإبل ، ومربض الغنم حول الماء .

* الوافي : ٥٧/٦ ، والدرر : ٤٨/١ .

(٢) في الوافي ، والدرر : « الحلبي » .

(٣) هي فاطمة بنت سعد الخير بن محمد بن عبد الكريم ، ولدت بأصبهان سنة (٥٢٢ هـ) ، سمعت وروت كثيراً ، توفيت بمصر سنة (٦٠٠ هـ) ، السير : ٤١٢/٢١ ، والشذرات : ٣٤٧/٤ .

(٤) الحافظ يحيى بن علي بن عبد الله بن مفرج القرشي ، (ت ٦٦٢) ، الشذرات : ٣١١/٥ .

(٥) رضي الدين إبراهيم بن عمر بن مضر الواسطي التاجر ، (ت ٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

وأجاز له الحافظ المُنْذِري[١] ، ولاحِق الأَرْتَاحي[٢] ، والبهاء زُهَيْر[٣] ، وأبو عليّ البكْري[٤] .

وخرّج له التقيُّ عُبَيْد مَشْيَخة ، وحدَّث قديماً ، وسَلَك طريقاً قويماً .

وأخذ عنه المِصْريون وسَمِعوه ، وارتضَوْه وما دفعوه ، وزانَ بالرواية زمانَه ، ورصّع دُرَّه في تاجها وجُمَانه ، إلى أن أدركته الوفاة ، وختَم الموتُ نُطْقَه وَفَاه . وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة . وولد سنة تسعٍ وأربعين وست مئة / .

٣٤ ـ إبراهيم بن عَليّ بن خليل الحرّاني*

المعروف بَعَيْن بَصَل .

كان على ما اشتُهِر من أمره عامِّيّاً حائكاً أُمّياً ، وله الشعر المقبول ، والطَّبْعُ الذي هو على القَريض مجبول .

أناف على الثمانين من عُمْره ، ولم يَخْمُد تَوقُّد جَمْره . نظر يوماً بعضُ أصحابه إلى امرأة برزت بصفحة بدْر في حُنْدُسٍ ، وغَرست فوق خدِّها زَهرة نَرْجس ، فسأله أن ينظم في ذلك شعراً ، ويُنَفِّسَ به كَرْب قلبه الْمُغْرَى ، فقال بديهاً ، وأنشد الحاضرين فيها :

(١) زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله المنذري الشامي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣١٩/٢٣ ، والشذرات : ٢٢٧/٥ .

(٢) أبو الكرم لاحق بن عبد المنعم بن قاسم الأنصاري الأرتاحي الأصل المصري اللبان ، (ت ٦٥٨ هـ) ، السير : ٣٥٠/٢٣ ، والعبر : ٢٥١/٥ ، والشذرات : ٢٩٦/٥ .

والأرتاحي : نسبة إلى أرتاح ، اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب . (معجم البلدان) .

(٣) بهاء الدين أبو العلاء زهير بن محمد بن علي الأزدي المهلبي المكي ، له ديوان شعر مشهور (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٥٥/٢٣ ، والوفيات : ٣٣٢/٢ ، والعبر : ٢٣٠/٥ ، والبداية والنهاية : ٢١١/١٣ .

(٤) صدر الدين أبو علي الحسن بن محمد ابن الشيخ أبي الفتوح التيمي البكري النيسابوري ثمّ الدمشقي الصوفي ، (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والوافي : ٢٥١/١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٦٩/٧ .

* الوافي : ٧٠/٦ ، والدرر : ٤٤/١ ، وفوات الوفيات : ٣٥/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٠/١ .

غَرَستْ في الخَـــدّ نَرْجِســـة فحكت في أَحْسَن الصــــور
كـــوكبـــاً في الجـــوّ متّقـــداً قـــد بـــدا في جـــانب القَمَر[١]

وذكر لي غيرُ واحدٍ أنّ القاضي شمسَ الدين بن خلكان رَحِمه الله تعالى قصده واستنشده شيئاً مِنْ شعره ، فقال : أمّا القديم فلا يليق ، وأمّا الوَقْتُ الحاضر فنعم ، وأنشده :

ومـا كلُّ وَقْتٍ فيه يَسْمَح خـاطري بنظم قريضٍ فائِقِ اللفظ والمعنى[٢]
وهـــل يقتضي الشَّرْعُ الشريف تيمّماً بتُرْبٍ وهذا البحرُ ياصاحبي مَعْنا

وبَعضُ الناس يحكي أنّ ذلك اتّفق له مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل[٣] رحمه الله تعالى .

قلت : وليس ذلك بصحيح ، فقد ذكر الْمُـؤَرّخون أنّ شَمِيماً الحِلّي[٤] لما قدم إسْعَرْد[٥] ، قَصَده شعراؤها وأنشدوه أشعارهم ، وكان فيهم من أنشده شعراً استكثره عليه وقال : انظم الآن لي شيئاً فأنشده ذلك الرجل في الحال ، وهذا هو الصحيح ، لأنّ شميماً الحلّي توفي بالْمَوْصِل سنة إحدى وست مئة ، ولم يكن عَيْن بصل قد خلق .

وكان عَيْن بصل فقيراً يَهْبُه الناسُ قِماشاً ، وما يكلّفونه معاشاً ، وكان يلبس القطعة مُدّة ، وإذا أفلس باعَها ، ومدّ إليها كفّ نفقته وَباعَها ، فلامه بعضُ الناس على

(١) (أ) : « في الأفق » .
(٢) في الوافي : « رائق » .
(٣) محمد بن عمر بن مكي بن المرحل الشافعي ، (ت ٧١٦ هـ) ، الدرر : ٤/١١٥ ، والنجوم الزاهرة : ٩/٢٣٣ .
(٤) أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلّي الأديب ، (ت ٦٠١ هـ) ، السير : ٢١/٤١٦ .
(٥) اسعرد ، بسكون السين والعين المكسورة : مدينة .

هذا الاعتماد ، وقال : هذا موجب لأنْ يسوء منهم فيك الاعتقاد ، فأنشده ارتجالاً وقال له لا تمتلي مني مَلالاً[١] :

وقـائـلٍ قـال إبراهيمُ عَيْنُ بَصَـلْ أضحى يبيعُ قَبَاً للناس بعد قَبَا
فقلت مَـهْ يـا عـذولي كم تُعَنِّفُني لو جُعْتَ قُدْتُ ولو أفلست بعت قُبَا

وممّا يُنْسَب إليه قَوْلُه في الشّبكة والسّمك[٢] :

كَمْ كَبَسْنا بَيْتاً لكي نُمْسِكَ السكانَ منه في سائر الأوقاتِ
فمسكنا السّكانَ وانهزم البيتُ لَدَيْنا خوفاً من الطاقات

قلت : وقد رأيتها أيضاً لغيره .

ولم يزل في اكتسابه ، وتعاطيه للشعر وانتسابه ، وتوكُّله على برّ الناس له واحتسابه ، يخبط بين الحياكة والحكاية ، وينقلب من الشكر إلى الشكاية ، إلى أن رقَدَ فما انتبه ، وعتب صاحبه الموتَ فيه فما أَعْتَبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره الذي نسب إليه قوله[٣] :

جسمي بسُقْمِ جُفونه قد أُشْقِما رِيمٌ بسَهْمِ لحاظه قلبي رمَى[٤]
كالرّمح مُعتدلُ القِوَام مُهَفْهَفٌ مُرُّ الجفا لكنّه حُلْو اللّمى
رشأ أحَلَّ دمي الحرامَ وقد رأى في شرْعِهِ الوصل الحلالَ محرّما[٥]

(١) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .
(٢) البيتان في الوافي : ٧١/٦ .
(٣) الأبيات في الوافي : ٧١/٦ . وفي المنهل الصافي : ١٢١/١ ، الأبيات السبعة الأولى .
(٤) في المنهل : « جفني » .
(٥) في الوافي : « في شَرْعه وصلي » .

رَبُّ الجمـــال بـوصلـــه وبهَجْره ألقى وأَصْلَى جَنَّـــــةً وجهنّما[1]
عن وَرْد وجنتـــه بـــآس عِـــذاره وبسيف نَرْجسِ طَرْفِه السّاجي حمى[2]
عـاتبتـه فَقَسـا ، وفَيْتُ فخـانني قَرَّبْتُـــه فنـــأى ، بكَيْت تبسّما
حكّمتـــه في مُهْجَتي وحُشَـــاشَتي فجنى وجـــار عليّ حين تحكّما[3]
يـا ذا الـذي فـاق الغصونَ بقَـدّه وسَما بطلعتـــــه على قَمَر السما /
رِفْقـاً بمن لـولا جمـــالُـك لم يكن حِلْفُ الصَّبـــابـــة والغرام مُتَيّماً
أَنَسيت أيـامـاً مَضَت وليـــاليـاً سلفت وعيشـاً بـالصَّريم تصرّمـا
إذ نحن لا نخشى الرّقيب ولم نخف صَرْفَ الزمـان ولا نخـاف اللوّمـا[4]
والعَيْشُ غَضٌ والحـواســدُ نُـوَّمٌ عنّـا وعَيْنُ البين قـد كُحِلَت عَمَا
في روضـةٍ أبـدت ثُغُورَ زُهـورهـا لَمّـــا بكى وبهـــا الغمامُ تبسّما
مـدّ الربيـعُ على الخمـائـل نَـوْرَه فيهـا فـأصْبَـح كالخيـام مُخيِّما[5]
تبـدو الأَقـاحي مِثْـلَ ثغر مُهَفْهَف أضحى الْمُحِبُّ بـه كئيبـاً مُغْرَمـا
وعيـونُ نرجسهـا كأعينِ غـادَةٍ تَرْنـو فترمي بـاللـواحـظ أَسْهُما
وكـذلـك المنثـورُ منثـورٌ بهـا لَمَّـــا رأى وَرْدَ الغُصـــون مُنَظَّما
والطَّيرُ تَصْـدح في فُروع غصـونهـا سَحَراً فتـوقـظ بـالهـديـل النـوّمـا
والراح في راح الحبيب يُـديرهـا في فِتْيَـــة نظروا الْمَسرَّة مَغْنَما
فسقـاتُنـا تحكي البـدورَ ، وراحُنـا تحكي الشُّمـوسَ ، ونحن نحكي الأَنْجُما

قلت : وشِعْرُه كلُّه مِنْ هـذه النّسبـة ـ كما تراه ـ غَيْرُ متلاحمِ النَّسْج ، ولا مُسْتقيمُ النَّهج .

(١) في المنهل : « ألفى وصاله جنة » .
(٢) (أ) : « وآس » . وكذلك في المنهل .
(٣) في المنهل : « فجفا وجار » .
(٤) (أ) ، والوافي : « نطيع » .
(٥) في الوافي : « إلى » .

٣٥ - إبراهيم بن عليّ*

القاضي جمال الدين بن شمس الدين ابن شيخ السَّلاَمية الكاتب .

تصرّف في المباشرات الديوانية ، والوظائف السلطانية ، تارة بجبل صيدا ناظراً ، وتارة ببرّ دمشق ، وإن كان في المدينة حاضراً ، وتارة بحمص في نظر ديوانها ، والتقدم على أعيانها . ثم انتقل إلى الخزانة[١] العالية بالقَلْعَة ، ونَفَّق فيها من العمر سِلْعَه ، إلى أن سكن فما تحرّك ، واطمأنّ في قبره وتورّك .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٣٦ - إبراهيم بن علي بن أحمد بن حمزة بن عليّ**

الشيخ الْمُسْنِد جمالُ الدين ابن الجُنُوبي - نسبة إلى الجُنُوب - التّغلبي[٢] الدمشقي .

كان من بيت عَدَالة ورِوَاية ، وكَلِف بالحديث وعُنِيَ به ، وكان مع ذلك فرّاشاً[٣] مُعْتبراً في هذه الحِرْفة ، والصناعة الصّرفة ، وسكن مصر وروى بها ، ومشى في طرق الرِّوَاية ووَرَى[٤] بها ، وأسمع بدمشق أيضاً[٥] ، فسمع منه الذهبي ومَن عَدَاه ، ولبوا نداءه[٦] وأجابوا صداه .

---

* تالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(١) (أ) : « إلى شهادة الخزانة » .

** الدرر : ٤٦/١ .

(٢) (أ) : « الثعلبي » ، تصحيف ، وانظر في ترجمة والده : الشذرات : ٣٩٦/٥ .

(٣) (أ) : « فراسا » تصحيف ، والفرّاش هو العامل الذي يُعنى بفرش الأثاث والتعهّد برعايته في المساجد وغيرها من الأماكن .

(٤) مِن ورى الزند : قدحه .

(٥) « أيضاً » ليست في (أ) .

(٦) (أ) : « نداه » .

وكان يَرْوي عن ابن اللَّتي ، وبالإجازة عن محمود بن مَنْدَه ومحمد بن عبد الواحد الْمَديني[(١)] . ولَم يزل على حاله إلى أن ضُرِبت خيمة كَفَنِه ، ولم يُغْنِ عنه صِحّة رأْيِهِ[(٢)] ولا أفَنِه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٣٧ - إبراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن علي بن إبراهيم*

قاضي القضاة الحَنَفي ، بُرْهان الدين ابن القاضي كال الدين بن القاضي شهاب الدين الدمشقي ، هو سَبْط الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق[(٣)] الواسطي .

قرأ على والده القرآن ، وتَفَقَّه على الشيخ ظهير الدين الرومي[(٤)] ، والشيخ شرف الدين الفَزَاري[(٥)] والشيخ زين الدين بن المنّجا[(٦)] .

وقرأ العربية على الشيخ مجد الدين التونسي[(٧)] والشيخ نجم الدين بن ملّي[(٨)] .

---

(١) المحدّث المفتي أبو عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٧٨/٢٢ ، والعبر : ١٣٠/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/٦ ، والشذرات : ١٥٠/٥ .

(٢) في الأصل : « رواية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) بدليل السياق . والأفن : ضعف الرأي والعقل .

* الدرر : ٤٦/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٢/١٤ .

(٣) قوله : « بن ... الحق » ليس في (أ) . وفي المنهل : « المعروف بابن عبد الحق » .

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) المنجّا بن المنجّا التنوخي الدمشقي ، (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣٣/٥ .

(٧) أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٧١٨ هـ) ، الدرر : ٤٦١/١ .

(٨) أحمد بن محسن ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وقرأ الأصول على الشيخ صفي الدين الهندي[١] .

ونشأ بدمشق ، ودرَّس بها ، وأَذِنَ له بالإفتاء في رحلةٍ رحلَها إلى مصر سنة ست وتسعين الشيخُ تقي الدين بن دقيق العيد[٢] ، وقاضي القضاة شمس الدين السّروجي[٣] ، وكان قد اشتهر بمعرفة كتاب (الهداية)[٤] وإتقانه ، وتحلّى منه بقلائد عقيانه ، وعُرِف بقيام أدلته وبُرْهانه .

طلب إلى مصر فولاه الملك الناصر محمّد بن قلاوون قضاء القضاة الحنفية بعد شمس الدين بن الحريري[٥] سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فأقام بمصر [حاكماً][٦] عشر سنين متوالية ، ونجومُ سعوده في أفق الكمال مُتلالية ، تُنَفذ / أحكامه في كل أمير ومأمور ، وتسري أوامره في العاطل والْمَعْمور[٧] .

وكان يكلّم السلطان في دَسْته كلاماً خَشِناً[٨] ، وهو يُظهر له احتمالاً حَسَناً ، وصمم عليهم أول مادخل في الجلوس وما تمّ له ما أراد ، ولم يكن المالكيّ ممن يُعَدّ معه في طراد ، ثم إنه خرج[٩] هو وقاضي القضاة جلال الدين القزويني إلى الشام معاً ،

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم الأرموي ثمّ الهندي ، (ت ٧١٥ هـ) ، ذيل العبر : ٨٣ ، والدرر : ١٤/٤ .

(٢) محمد بن علي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في فروع الفقه الحنفي للشيخ برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني الحنفي (ت ٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/٢ ، ومفتاح السعادة : ١٩٣/١ ، ومعجم المؤلفين : ١٤٩/١٢ ، وفي المنهل : « وله التصانيف المفيدة ، من ذلك شرحه على الهداية وضمنه الآثار » .

(٥) (أ) : « الجزري » تحريف ، وهو محمد بن عثمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٧) في الأصل : « والمأمور » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٨) في الأصل : « حسنا » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٩) في المنهل : « إلى أن عزل بالحسام الغوري وعاد إلى دمشق » . والحسام هو الحسن بن محمد بن محمد الغوري ، محتسب بغداد وقاضي الحنفية في القاهرة .

وأصابتها عين الحسود فانصرعا ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وأقام هو بدمشق على حاله من غير حكم ، ولا مُدَاناة لفصحاء ولا بكم ، إلى أن نزل إلى حُفْرَته ، وانهال التراب على وَفْرَته[1]

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء تاسع عشري ذي الحجة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

مولده سنة ثمان وستين وست مئة .

٣٨ ـ إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القُضاة ، نجم الدين أبو إسحاق ابن قاضي القضاة عماد الدين أبي الحسن بن محيي الدين أبي العباس الطَرْسوسيّ الحَنَفي قاضي القضاة بدمشق ، وسيأتي ذكر والده رحمه الله تعالى في مكانه من حرف العين .

مولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . ووفاته رحمه الله تعالى يوم السبت بعد الظهر ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي بعد العصر ، ودفن آخرَ النهار المذكور رابع شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة بالمِزَّة . وكانت جنازة حافلة ، بها الحكام والعلماء والأمراء ، وصلّى عليه ملك الأمراء الأمير علاء الدين أمير علي المارديني[2] إماماً برّا باب النصر ، وعاده في يوم سبت ، وهو بالمزة ضعيف في هذه المرضة .

وكان قاضي القضاة نجم الدين رحمه الله تعالى مِلءَ[3] منصبه ، بالغاً بحسن سعيه نهايةَ أَمله وغايةَ مطلبه ، نافذ الأحكام والقضايا ، عارفاً باستخراج النكت في الوقائع من خَبايا الحنايا ، عليه تُؤَدة وحُسْنُ سَمْت ، وله مهابة وطُول صَمْت ، ولم تَعَدّ له في

(١) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

* الدرر : ٤٣/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٩/١ .

(٢) علي بن عثمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) (أ) : « ملو » .

مدة ولايته هفوة تتعلق بأحكامه ، أو زلّة يؤاخذ بها في نَقْضه وإبرامه[١] وكان النواب يعظمونه ، ويجلّونه ويحترمونه[٢] لسعادة نطقه في المحافل ، وترفّعه في ذرا[٣] المعالي عن الأسافل .

تلفّت فوقَ القائمين فطالهم تشوّف بسّام إلى المجد قاعد[٣]
ولم أرَ أمثالَ الرجال تفاوتوا إلى الفضلِ حتى عُدّ أَلْفٌ بواحد[٤]

وكان قد ناب لوالده قاضي القضاة عماد الدين قريباً من سنتين ، ثم إنه في ذي الحجة سنة ستٍّ وأربعين وسبع مئة نزل له والده عن منصب[٥] القضاء ، وسأل له في ذلك الأمير سيف الدين يَلْبُغا ، فكتب له إلى السلطان ، وحضر تقليده الشريف بذلك .

[وكان قد كتب له قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن عليّ السبكي الشافعي رحمه الله تعالى بأهليّته لذلك وصلاحيّته ، وجهّز خطّه بذلك][٦] وباشر المنصب والتداريس على أتمّ[٧] ما يكون من العفّة والأمانة ، ونازعه قاضي القضاة شرف الدين المالكي في الجلوس ، فأجلس المالكيّ فوقه لكبر سنّه ، وقِدَمِ هجرته ، ولمّا توفي المالكيّ جلس قاضي القضاة نجم الدين إلى جانب قاضي القضاة الشافعي ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد حجّ في صغره ، ثم إنه حجّ في سنة خمس وخمسين ، وعَزمَ على المجاورة ، فلم يتفق له ذلك ، ثم إنه حجّ في سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ثم إنه عزم في سنة ثمان

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) (أ) : « ذوي » .
(٣) (أ) : « تشوق » .
(٤) (أ) : « تفاوتت » .
(٥) (أ) : « منزل » .
(٦) زيادة من (أ) و (خ) .
(٧) في الأصل : « على ما أتم » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

وخمسين وسبع مئة على الحج مع الركب الذي يتوجه في شهر رجب ، فحصل له هذا الضعف الذي مات فيه ، رحمه الله تعالى .

وكان رئيساً نبيلاً فيه مكارمُ وحِشمة ورياسة وقُعْدُد[1] وتؤدة ، ولازم الاشتغال وطالع واجتهد ، ودأب وتعب ، ونظم أبياتاً ذكر فيها الخلاف الذي وقع بين الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه وبين الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، وقرأتها عليه ، فسمعها ولدي أبو عبد الله محمد وفتاي[2] طَغاي بن عبد الله في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مئة بمنزله في باب البريد قبالة المدرسة المسرورية[3] ، وهي :

الحمد للهِ الوليِّ الْمُنْعِمِ ... الْمَلِكِ الحقِّ الجوادِ الْمُكرِمِ[4]
جَلّ عن الشبيهِ والأضْدادِ ... والأهْلِ والأندادِ والأولادِ
سبحانَه مِنْ ملكٍ قديرِ ... أتقن ما أبْدَع بالتدبيرِ
ثم الصلاةُ بالدوامِ السرمديّ ... على النبي الْمُصْطَفى محمّدِ
وآلِه ما غَرّدت قُمْرَيّة ... على غصونِ الأيكِ في البَرِّيَّة
وبَعْدُ قد قال الإمامُ الأعظمُ ... أبو حنيفةَ الرّضى الْمُقَدّمْ
في هذه المسائلِ الْمُهمّه ... قولاً به جلا وجوهَ الغُمّة
والأشعريْ خالفهُ فيها وقدْ ... أساء في خِلافه فيما اعتقدْ
والحقُّ ما قال أبو حنيفه ... أعطاه ربي الرتبةَ الْمُنيفة
أولها مَعْرِفةُ الإلهِ ... واجبةٌ حقّاً بلا اشتباهِ

---

(١) في الأصل : « وتعدّد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٢) في الأصل : « وفتاوي » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .
(٣) (أ) : « السروريّة » تحريف ، وهي بباب البريد في دمشق أنشأها الطواشي شمس الدين الخوّاص مسرور ، وقيل : منسوبة إلى الأمير فخر الدين مسرور المكّي الناصري العادلي ، الدارس : ٣٤٧/١ .
(٤) (أ) : « الأكرم » .

بالعقل لا بَعْدَ الخطاب فاعرفِ وعُذْرُهُ عند الإمام منتفِ[(١)]
معرفة الله على الكمالِ تَحْصَل بالعقل مع استدلالِ
ثالثها قال بأنّ العِصْمَه ثابتةٌ لأنبياء الأمّه
عن الكبير وعَن الصغير والأشعريْ خالفَ في الأخير
ويمكن السَّعيْدُ أن يُنْظمَ في أهل الشقاء والضلال فاعرف
ولا يَرى الشكوك في الإيمان ويَقْطع القول بلا نكران
وكلّ ما قَدْ كَتَبوا في الْمُصْحَف فهو كلام الله حَقّا فاكْتَفِ
وأثبت الرسالة الْمُكَرَّمَه من بعد ما مات النبي فاعلمه[(٢)]
وَهْوَ إلى الآن رَسُولٌ مثلما قد كان في الحياة حَقّاً فافْهمَا
والله يَجْزي العبد في الأعمالِ من خَيْر ما يرجوه في المآلِ
والله عادلٌ فلا يُعَذِّبُ مَنْ لم يكن أذْنَبَ وَهْوَ المذهبُ
ولا يجوزُ القولُ بالتكليفِ في حكمةِ الله بلا توقيفِ
والله لا يختار للعبادِ إتيانهم بالكفرِ والفَسادِ
ونِعْمةُ الله على الكفارِ كسمعهم ونظرِ الأبصارِ[(٣)]
وتّمت المسائلُ الْمُهمّه وتَم ما قالَ سِراجُ الأُمَّه

٣٩ - إبراهيم بن عُمَر بن إبراهيم*

الشيخ الإمام ، العلاّمة ، ذو الفنون ، شيخ القُرّاء برهان الدين الرَّبَعي الجَعْبَريّ الشافعيّ ، ابن مؤذن[(٤)] جَعْبر ، شَيْخ حرم سيّدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه .

(١) (أ) ، (خ) « عند الأنام » .
(٢) (أ) : « أثبتت » .
(٣) (أ) : « لسمعهم » .
* الوافي : ٧٣/٦ ، والفوات : ٣٩/١ ، والدرر : ٥٠/١ ، وطبقات السبكي : ٣٩٨/٩ ، وغاية النهاية : ٢١/١ ، والشذرات : ٩٨/٦ ، والمنهل الصافي : ١٣١/١ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ .
(٤) في الوافي : « الشافعي مؤذن » .

سمع في صباه ابنَ خَليل[١] ، وتلا بالسّبع على أبي الحسن الوُجُوهي[٢] صاحب الفخر المُوصِلّي[٣] ببغداد ، وتلا بالعشر على المُنْتَجب[٤] صاحب ابن كَدّي[٥] ، وأسند القراءات[٦] بالإجازة عن الشريف أبي البدر الداعي[٧] ، وقرأ (التعجيز)[٨] حفظاً على مؤلفه تاج الدين بن يونس ، وسَمع من جماعة ، وقدم دمشق بفضائل ، ونزل بالسُّمَيْسَاطية[٩] ، وأعاد بالغزالية[١٠] ، وباحثَ وناظرَ ، ثم إنه ولي مشيخة حرم الخليل عليه السلام ، فأقام به بضعاً وأربعين سنة .

ومن تصانيفه[١١] كتاب (نزهة البَرَرة في القراءات العَشْرة)[١٢] ، و (شرح

---

(١) (أ) : « من خليل » ، تحريف ، وهو إبراهيم بن خليل الدمشقي ، (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

(٢) علي بن عثمان ن عبد القادر المقرئ . (ت ٦٧٢ هـ) ، غاية النهاية : ٥٥٦/١ ، والشذرات : ٣٣٧/٥ .

(٣) محمد بن أبي الفرج بن معالي ، (ت ٦٢١ هـ) ، غاية النهاية : ٢٢٨/٢ .

(٤) الحسين بن الحسن التكريتي ، (ت ٦٨٨ هـ) . وغاية النهاية : ٢٤٠/١ .

(٥) إسماعيل بن علي بن سعدان بن كدّي الواسطي صاحب منظومة « درّ الأفكار في قراءة العشرة أئمة الأمصار » . (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٦٧/١ .

(٦) (أ) : « القراءة » .

(٧) في الوافي : « ابن البدر » ، تحريف ، وهو محمد بن عمر ، أبو البدر الرشيدي ، (ت ٦٦٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢١٨/٢ .

(٨) التعجيز في مختصر الوجيز ذي الفروع الشافعيّة ، مؤلّفه أبو القاسم عبد الرحيم ، تاج الدين بن محمد المعروف بابن يونس الموصلي ، (في ٦٧١ هـ) ، الكشف : ٤١٧/١ .

(٩) رسمت في (أ) بالشين المعجمة ، تصحيف ، وهي الخانقاه السُّمَيْسَاطيه نسبة للسميساطي أبي القاسم علي بن محمد بن يحيي السلمي ، (ت ٤٥٣ هـ) ، الدارس : ١١٨/٢ .

(١٠) من زوايا الجامع الأموي ، نسبةً إلى الإمام الغزالي ، وتنسب أيضاً إلى الشيخ نصر المقدسي ، الدارس : ٣١٣/٢ .

(١١) ذكر الزركلي في الأعلام بعضاً من مصنفاته المخطوطة : ٥٥/١ ـ ٥٦ .

(١٢) (أ) : « في القرّاء العشرة » .

الشاطبية) كبير ، و (شرح الرائية)[١] ، ونظم في الرسم (روضة اللطائف)[٢] ، وكمّل شرح المصنف (للتعجيز) ، كتاب (الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة) نظم ، وكتاب (يواقيت المواقيت) نظم ، و (السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد) ، و (تذكرة الحفاظ في مُشْتبه الألفاظ) ، و (رسوم التحديث في علم الحديث) ، و (موعد الكرام لمولد النبي عليه الصلاة والسلام) ، وكتاب (المناسك) ، و (مناقب الشافعي) ، و (الشِرعة في القراءات السبعة) ، و (عقود الجمان في تجويد القرآن) ، و (الترصيع / في علم البديع) ، و (حدود الإتقان[٣] في تجويد القرآن) ، و (كتاب الاهتدا في الوقف والابتدا) ، و (الإيجاز في الألغاز) ، و (اختصار مختصر ابن الحاجب)[٤] ، واختصر مقدمته في النحو[٥]. وتصانيفه تقارب المئة مصنف ، وكلّها جيد محرّرٌ .

رأيته غَيْرَ مرة ، وفاتني من الإجازة عنه ألفُ دُرّة ، لكن جالسته وسمعت كلامه ، ورأيته في منزلةٍ يكون الهلالُ عندها قلامَه .

وكان ذا وجهٍ نيّر ، وخُلق خيّر ، وشيبة نوّرها الإسلام ، وحبّرها خدمة العلم الشريف بالأقلام .

ولعبارته رونق وحلاوة ، وعلى إشاراته وحركاته طِلاوة .

حكى لي عن شيخ كان قبله بالحرم حكاية تضحِكُ الشاكلة ، وتصيب من التعجب الشاكلة .

(١) الرائية منظومة في علم الخطّ لأبي الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب ، (ت ٤١٣ هـ) ، وأشار صاحب الكشف : ١٣٣٩/٢ ، إلى شرح الجعبري عليها .

(٢) (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الطرائف » .

(٣) (أ) : « الإمعان » .

(٤) في الأصول . والكتاب المطبوع .

(٥) المسمّاة بالكافية ، وهي مقدّمة مشهورة متداولة .

ولم يزل على حاله حتى صوّح روضه ، وهُدم[1] من الحياة حوضُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود الأربعين وست مئة ، فعاش تسعين سنة .

ومن شعره :

لما أعانَ اللهُ جَلّ بلُطْفِه ... لَمْ تَسْبِني بجمالها البيضاءُ
ووقعت في شَرَك الردى متحبّلاً ... وتَحكّمَتْ في مُهجتي السوداءُ[2]

ومنه :

لما بدا يُوسُف الحسنِ الذي تَلِفَتْ ... في حُبِّه مُهْجَتي استحْيَتْ لواحيه
فقلت للنسوة اللاّتي شُغِفْنَ به ... فذلكنّ الذي لُمْتُنَّني فيه[3]

ومنه :

أضاء لها دُجَى الليل البهيمِ ... وجَدَّدَ وَجْدَها مَرُّ النَّسيم
فراحت تقطع الفلواتِ شَوْقاً ... مكلّفةً بكلّ فتىً كريم
قفارٌ لا ترى فيها أنيساً ... سوى نجم وغُصْنِ نقىً وريم[4]
نياقٌ كالحنايا ضامراتٌ ... يُحاكي لِيلُها ليلَ السليم
كأنّ لها قوائمَ مِنْ حديد ... وأكباداً من الصُّلْد الصميم
لها بقَبا وسَفْحِ مِنىً غَرامٌ ... يلازمها ملازمة الغريم

(١) (أ) : « وتهدّم » .

(٢) (أ) : « أُوْقِعْتَ » . والبيتان في المنهل الصافي .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ قالت فذلكنّ الذي لُمْتُنَّني فيه ولقد راودته عن نفسه ﴾ [يوسف : ٣٢/١٢] .

(٤) (أ) : « قفاراً » .

٤٠ ـ إبراهيم بن عيسى*

الأمير ناصر الدين ابن الملك المعظّم ابن الملك الزاهر[١] داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمّد[٢] بن شيركوه بن شادي .

كان جُنْدِياً من مُقَدمي الحلقة بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بجبل قاسيون ، وقد جاوز الخمسين .

٤١ ـ إبراهيم بن أبي الغَيْث**

الشّيخ جمال الدين ابن الحُسَام البخاري الفَقيه الشّيعي

كان المذكور مُقيماً بنواحي الشقيف من بلاد صفد[٣] بقرية مَجْدَل سليم .

أخذ عن ابن العَوّاد ، وابن[٤] مُقْبل الحِمْصِيّ . ورحل إلى العراق ، وأخذ عن ابن المطهّر .

وكان قد اتخذ في القرية المذكورة مجلسين ، أحدهما للوفود ، والأضياف ، والآخر

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (أ) : « الزاهد » .

(٢) ليست في (أ) .

** الوافي : ٧٩/٦ .

(٣) قال ياقوت : « شَقيف أرنون : قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل » ، معجم البلدان : ٣/٣٥٦ .

(٤) (أ) : « وعن ابن » .

للطلبة وأهل العلم . رأيته أنا في قريته في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ودارَ بيني وبينه بَحْثٌ في الرؤيَة وعدمها . وطال الوقوف على جَبلها[١] ، والطواف بجرمها ، وهو في ناحية الاعتزال واقف ، وأنا عن السنة مجادِل أثاقف ، وهو للحنظل ناقِف ، وأنا للعسل مُشْتارٌ ولاقف . وطال النزاع وامتد ، واحتدم كلٌّ منا الوغى واحتد .

وكان شَكِلاً حَسَناً ، وذا منطق لَسِناً ، قد أدمن مباحث المعتزلة والشيعة . وجعل التأويل له في حلة البحث وشيعة[٢] ، وكان يزور الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، ويحمله في مباحثه على ما عنده من الحميّة ، ويَطير بينهما شَرَرُ تلك النيران ، وتمل من وَخْدهما[٣] في قفار الجدل الأزمَّة والكيران ، ولم يزل في تلك الناحية قائماً بنصرة[٤] مذاهب الشيعة والاعتزال ، دائماً على جَذْب من يستضعفه من أهل السنة بالاقتطاع والاختزال ، إلى أن سكت فما نبس ، وبطل من حركاته واحتبس .

قال لي / القاضي شهاب الدين بن فضل الله[٥] : عهدي به في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره[٦] :

هل عاينت عيناك أعجوبة ... كمثل ما قد عاينتْ عَيْني

مصباح ليل مشرقٌ نورُه ... والشمسُ منه قابَ قوسينِ

(١) في الأصل : « حبلها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) (أ) : « وسيعة » تصحيف . والوشيعة خشبة يلفّ عليها ألوان الغزل ، والقصبة يَجْعَل منها النسّاج لحمة الثوب .

(٣) الوخد : سعة الخطو ، والإسراع .

(٤) (أ) : « لنصرة » .

(٥) أحمد بن يحيى ، وستأتي ترجمته .

(٦) الوافي : ٨٢/٦ .

ومنه[١] :

قـــامَتْ تُـــودّعني فقلتْ لهـــا امْهلي حتّى أوَدِّعَ قبـــلَ ذاكَ حيـــــــاتي
فـــإذا عـزمْت على الرحيـــل تركْتِني رهنَ البلى ومُجَـــــاورَ الأمـــــواتِ

وقال ، وقد عمل مِصْيَدةً من رَحى عَمِلها لنمسٍ كان قد أفسد عليه خلايا نحل[٢] :

ومُقْشَعِرِّ الجِلْـــــدِ مــزورِّ الحـــــدق لا يرهب الليـــلَ إذا الليـــلُ غَســـقْ
مُستترٍ حتى إذا النجمُ بَسَـــــــــقْ عـــدا على النحـــل فـــآذى وَفَســـق
وفتّـــح الأبـــواب منهـــــا وخَرَقْ وكسّر الأصنـــــامَ فيهـــــا ومَحَـــقْ
سقّطتـــــهُ بمستـــــديرٍ كالطبـــقْ كضغطـــــةِ القبر إذا القبرُ انطبـــق
فـــا استقرت فـــوقـــه حتى اختنـــق من صخر حـــوران شـــديـــدِ المتسـقْ
مَنْ لـــجَّ في البحر تغشّـــــاه الغَرَق أو سارعَ الـــدهرَ إلى الحتف التحق[٣]

وقال وقد كُبِس بيته ، وأخذت كتبه[٤] :

لئنْ كانَ حَمْـلُ الفقـــهِ ذنبـــاً فـــإنّني سأُقْلِعُ خوفَ الحَبْس عن ذلك الذنبِ
وإلاّ فـــــا ذَنْبُ الفقيــــــهِ إليكُمُ فيُرمى بـــأنـــواعِ المـــذمّـــةِ والسَّبِّ
إذا كنتُ في بيتي فريـداً عن الـورى فما ضرّ أهل الأرض رفضي ولا نَصْبِي
أُوالي رســولَ الله حقـــــاً وصِنْـــوَه وسبْطَيـه والـزهراء سيـــدة العُرب[٥]
على أنـــــــهُ قـــــــدْ يَعْلَمُ اللهُ أنّني على حُبِّ أصحابِ النبي انطوى قلبي
أليسَ عتيـق مُـؤنس الطهرِ إذ غــدا إلى الغـارِ لم يصحَبْ سـواهُ من الصحب

---

(١) الوافي : ٨٢/٦ .
(٢) الوافي : ٨١/٦ .
(٣) في الوافي : « أختنق » .
(٤) الوافي : ٨٢/٦ .
(٥) في الوافي : « وصفوه » .

وهـاجَرَ قبلَ النـاسِ لا ينكرونها ... بها جاءَتِ الآياتُ بـالنصّ في الكُتْب
وبـالثـاني الفـاروق أظهرَ دينـه ... بمكـةَ لمـا قـام بـالمرهف العضب
وأجهر مَن أمْر الصـلاة ولم تكن ... لتجهر في فرضٍ هنـاكَ ولا نـدب[١]
وقـد فتـحَ الأمصـارَ مـاردُ جَيْشـه ... وجالتْ خيولُ اللهِ في الشرقِ والغرب
وجهّـزَ جيشَ العُسْرةِ الثـالثُ الـذي ... تسمّى بذي النّورين في طاعة الرّب
وإن شئتَ قَـدِّمْ حَيْـدَراً وجهـادَه ... وإطفاءهُ نارَ الشرك بالطعن والضرب
أخو المصطفى يوم المـؤاخـاة والـذي ... بصـارمـه جلّى العظيم من الكرب[٢]
كـذاك بقـايـا آلـه وصحـابـه ... وأكرمْ بهم من خيرِ آلٍ ومن صحب[٣]
أولئـكَ سـاداتي من النـاس كلُّهم ... فسِلْمُهمُ سِلمي وحربُهمُ حربي
وفي بيعـة الرِّضوان عنـدي كفـايـةٌ ... فحسبيْ بهـا مِنْ رُتْبـة لهم حسبي

٤٢ ـ إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم*

الشيخ الإمام العالم المقرئ الزاهد الورع برهان الدين أبو إسحاق .

روى عن ابن عبد الدايم ، وسمع من فَرَج الحبشي[٤] مولى [ابن][٥] القرطبي ، وعماد الدين بن الحرستاني[٦] ، وابن أبي اليُسر ، وجماعة من أصحاب الخُشُوعيّ[٧] وابن طَبَرْزَد[٨] .

(١) في الأصل « أمن » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) (أ) : « من الكذب » .
(٣) (أ) : « أهله وصحابه » .

* الدرر : ٥٣/١ ، وغاية النهاية : ٢٢/١ ، البداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفيات (٧٠٢ هـ) .
(٤) فرج بن عبد الله الحبشي الناصح ، (ت ٦٥٢ هـ) . العبر : ٢١٣/٥ .
(٥) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الدرر .
(٦) جمال الدين أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري الدمشقي ، (ت ٦١٤ هـ) ، السير : ٨٠/٢٢ .
(٧) أبو طاهر بركات بن إبراهيم ، (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٥٥/٢١ .
(٨) عمر بن محمد بن معمر ، مسند العصر ، (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٢٦/٥ .

كان حَسَن الهيئة ، متواضعاً ، عديم الشر وادعاً ، كثير التودد لأصحابه ، غزير التقرب بالإحسان لمن يتعلق بأهدابه ، متين الديانة ، مُبين الصيانة ، خطيباً أديباً ، فصيحاً أريباً ، يهتف على المنبر كأنه حمامه ، ويسجع فيشبه السحرُ كلامَه ، إذا درّسَ أحيا أطلال العلوم الدّوارس ، وجَدّل بجداله أبطال المناظرين والفوارس ، ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن فلاح بالفلا وظفرُ المنيّة للَمّته قد فلا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشري شوال سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان شيخاً مباركاً معروفاً بالعلم والصلاح ، وأقرأ القراءات السبع ، وله تلاميذ وأصحاب .

وباشر نيابة الخطابة عن جماعة مدة طويلة ، واستنابه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة لما توجه إلى مصر للقضاء[١] والخطابة . وكان مدرّساً ومعيداً .

ودفن بمقابر الباب الصغير ، وعمل[٢] عزاؤه تحت النسر[٣] بالجامع الأموي .

٤٣ ـ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن محمد ، الإمام المحدّث ، رضي الدين ، أبو إسحاق الطبريّ الأصل ، المكيّ الشافعيّ ، إمام مقام إبراهيم عليه السلام بمكة .

سمع من ابن الجُمَّيْزي[٤] كثيراً ، ومن شُعَيْب الزَّعْفَراني[٥] ، وعبد الرحمن بن

---

(١) (أ) : « في القضاء » .

(٢) (أ) : « وحمل » .

(٣) أي قبة النسر بالجامع الأموي .

* الوافي : ١٢٦/٦ ، والدرر : ٥٤/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٣/١ .

(٤) علي بن هبة الله بن سلامة بن الجميزي اللخمي . (ت٦٤٩هـ) ، طبقات السبكي : ٣٠١/٨ .

(٥) شعيب بن يحيى بن أحمد ، أبو مدين القيرواني (ت٦٤٥هـ) ، السير : ٢٦٨/٢٣ .

أبي حَرَميّ(١) ، وفاطمة بنت نِعْمَة ، والشرف الْمُرْسِي(٢) وجماعة . وقرأ كتباً كثيرة ، وأتقن المذهب .

حدّث بالبخاري عن عمّ أبيه يَعْقُوب بن أبي بكر ، والعماد(٣) ، وعبد الرحيم بن عبد الرحيم(٤) العجمي ، ومحمد بن أبي البركات بن أبي الخير الراوي(٥) بالإجازة العامة عن أبي الوقت(٦) ، وروى صحيح مسلم عن أبي اليُمْن(٧) بن عساكر .

كان يقول : عُمْري ما رأيت يهودياً ولا نصرانياً ؛ لأنه لم يخرج من الحجاز . ونسخ مسموعاته(٨) ، وخرّج لنفسه سباعيّات .

وكان متواضعاً وقوراً ، مُحِباً للرواية صبوراً ، متألهاً ذا دين متين ، وعزم ثابت . تأَيَّدَ باليقين . لم يكن بين عينيه وبين الكعبة حاجب ، يقوم للصلاة مندوباً وقلبه من الخشوع واجب ، قلَّ أن ترى العينُ مِثْلَهَ ، أو تملَّ النظر إذا رأت شكله ، لازم إمَامة ذلك الْمُقَام ، وَأَمِن بذلك الحرم الشريف حلولَ الانتقام ، تزدحم الصفوف خَلْفَه إذا أمّ ، وتَحْسَب أنه القمرُ في الدجا إذا تمَّ ، ولم يزل على ذلك إلى أن نزل إلى البرزخ ، وأعماله ترقى إلى عِلّيين وتشمخ .

---

(١) فتوح بن بنين المكي الكاتب العطار المسند (ت٦٤٥هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٣ ، والوافي : ٣٥٤/٣ .

(٢) محمد بن عبد الله أبو الفضل السلمي الأندلسي (ت٦٥٥هـ) ، السير : ٣١٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٦٩/٥ .

(٣) الإمام الخطيب عماد الدين داود بن عمر الزبيدي المقدسي ، ثم الدمشقي (ت٦٥٦) ، السير : ٣٠١/٢٣ ، والعبر : ٢٢٩/٥ ، والبداية : ٢١٣/١٣ .

(٤) قوله : « عبد الرحيم » ليست في : (أ) ، ولم نعثر له على ترجمته ، ولعلّه عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن العجمي (ت٦٥٨) ، والسير : ٣٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٤٧/٥ ، والبداية : ٢٢٥/١٣ .

(٥) لم نقف له على ترجمة .

(٦) عبد الأول بن عيسى بن شعيب (ت٥٥٣) ، السير ٣٠٣/٢٠ .

(٧) عبد الصمد بن عبد الوهاب ، أمين الدين المحدّث (ت٦٨٦) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

(٨) (أ) : « مجموعاته » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

٤٤ ـ إبراهيم بن قروينة*

بالقاف والراء والواو والياء آخر الحُروف ، وبعدها نون وهاء . القاضي الكبير ، مكين الدين .

أول ما عرفتُ من حاله أنّه كان مُستوفي الصحبة[١] مع الجَمالي[٢] ، وكان عنده مكيناً إلى الغاية ، لا ينفرد بأمر دونه ، وأظنه توجه معه لكشف البلاد الحلبية ، ثم إنَّ السلطان ولاّه نظر الجيش بالديار المصرية لمّا أمسك القاضي شمس الدين موسى بن التاج إسحاق[٣] ، وتوجّه معه إلى الحجاز ، ولم يزل في نظر الجيش إلى أن تولى نظر الخاص[٤] القاضي جمال الدين جمال الكفاة[٥] ، فجمع له بين نظر الجيش ونظر الخاص ، وبقي القاضي مكين الدين بطّالاً فيما أظن إلى أن حضر إلى دمشق ناظرَ النظار[٦] في زمن الأمير سيف الدين طُقُزْتُمر ، فأقام بها يسيراً ، ولم تَطِب له وحضر عِوضَه القاضي بهاء الدين بن سُكّرة[٧] ، وتوجه مكين الدين إلى مصر عائداً في أوائل

* لم نقف له على ترجمة .

(١) استيفاء الصحبة : وظيفة جليلة القدر ، يحصّل فيها صاحبها أموال السلطان ، ويثبت التواقيع والمراسيم السلطانية في هذا الشأن . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٠) .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (أ) : « موسى أبا إسحاق التاج » ، و (خ) : « موسى بن التاج أبي إسحاق » .

(٤) وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ، وصار صاحبها كالوزير لقربه من السلطان ، وتصرفه ، وصار إليه تدبير جملة من الأمور وتعيين المباشرين ، (صبح الأعشى : ٣٠/٤ ، و ٣١٦/١١) .

(٥) إبراهيم بن عبد الله ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ويسمّى ناظر الدولة ، وهو الذي يقوم مقام الوزير ، أو يشاركه في التصرف في الأمور المالية . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٣٤٤) .

(٧) أبو بكر بن بهاء الدين ، ستأتي ترجمته في موضعها .

شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان خيّراً لا شرَّ فيه . كثير الاحتمال ، وهو من رؤساء الكتاب .

٤٥ ـ إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود*

الشيخ جلال الدين بن القَلانسي .

ورد الديار المصرية ، فقال له العلامة شيخنا أبو الثناء محمود[١] ، والشيخ تقي الدين بن تَمّام[٢] : اقعد أنت في هذه الزواية ، ونحن نذكُرك للناس ؛ فاتخذ زاوية على بِرْكة الفيل[٣] في حكر الخازن مجاورةً لدار الأمير بدر الدين جَنْكِلي[٤] .

وكان قد نشأ في صناعة الكتابة أولاً ، ثم إنه تَرك ذلك ، وتزهَّد بدمشق مدة قبل غازان[٥] بقليل ، ولما انجفل الناس تَوَجَّه إلى مصر ، وقامت له في الصلاح سوق ، وحُمِلَت إليه الصِّلات في وُسُوق[٦] ، وتردد إليه الناس ، وزاد اشتهاره حتى خرج عن الحد ، وتعدّى القياس ، واعتقد فيه أمراء الدولة ، وأمسك هو ناموس الصول والصَّوْلَة ، ومال إليه جماعة من خواصّ السلطان وأحبُّوه محبةَ مَنْ / أدرك الأوطار في الأوطان ، ولكن في أثناء ذلك البخت ، ومُدَّة ذلك الدست والرَّخت[٧] ، رُمي عند

* الوافي : ١٣٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٤٥/١ ، والدرر : ٥٧/١ ، والشذرات : ٥٦/٦ .

(١) محمود بن سلمان بن فهد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في القاموس (برك) : بركة الفيل في مصر .

(٤) جنكلي بن البابا ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) القان غازان التتري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) وسوق : جمع مفرده وسق وهو حمل بعير ، أوستون صاعاً .

(٧) الرخت : لفظ فارسي بمعنى الزينة . معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ٨٢ .

الملك الناصر بحجر خَدَش[(١)] منه غَرْضاً[(٢)] ، وجعل سماءه أرضاً ، فأخرجه إلى القدس خروجاً جميلاً ، ووجد لفراق ما ألفه في مصر عذاباً وبيلاً ، ولم يتغيّر لماليك السلطان فيه عقيدة ، وجزموا بأنَّ ذلك من أعاديهِ مكيدة ، وكانوا يُمدّونه بالذهب ، ويُلزمونه أَخْذَ ذلك وقبولَه بالرَّغَب والرَّهَب ، وكانت نفسه كريمة ، وهمته عند الثريّا مقيمة ، ولم يزل على تلك الحال إلى أن خلا في القبر بعمله ، وانقطعت من الحياة مواد أمله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان قد قدم إلى دمشق في شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة من القدس ، ونزل بمغارة العُزير بالجبل ، وقصده الناس بالزيارة من الأمراء والقضاة والعلماء والصدور ، وحدّث بجزء ابن عَرَفة[(٣)] ، ثم عاد إلى القدس ، وتوفي ثالث القعدة من السنة المذكورة .

ومن شعره ، من قصيدة :

قد كنتُ تبتُ عن الهوى ... لكنّ حُبَّك لم يدعني

ولمّا مات الشيخ جلال الدين رحمه الله تعالى ، رثاه شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى بقصيدة أوّلها :

أيا مقلتي جُودي بدَمْعِك لي جودي ... فما مثلُ مَنْ قَدْ بَان عنك بموجودِ
وإنْ غاض ماء الدمع فابكِ دَماً فما ... يُعَدّ البكا إلا لأكرمِ مفقودِ[(٤)]

---

(١) في الأصل (حدس) تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) الغَرْض : غضروف الأنف .

(٣) الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، مؤدب من رجال الحديث ، كان مسند زمانه ، له جزء مرويّ على العصور (ت٢٥٧) ، الشذرات : ١٣٦/٣ ، والكشف : ٥٨٤/١ .

(٤) (أ) « منك الدمع » .

فمـــا أنتِ إنْ قصّرتِ مني ولاأنـــا إذا لم تسِل روحي دموعــاً بمحمـودِ
بروحيَ أحبـــابٌ مَضَــوا وجــلالُهم يلـوحُ لعَيْني منــه أكمــلُ مشهـودِ
تولّـوا ومـا عُـوّضتُ من قربهم سوى تـــــذكرِ عيشٍ مَرّ لي غيرِ مَرْدودِ
هُمُ وردوا قبلي من المــوت منهــلاً وهـا أنــا صــادٍ وهْـوَ أقربُ مـورودِ
أعـــدّدهم حـــزنـــاً وأبكي معَـــدّداً عليهم فحــالي بين عَــدٍّ وتَعـديــدِ
أولئـك إخـواني الــذين فقــدتُهم كما يَفقْـد الظّـامي المناهلَ في البيـدِ
كأنَّ رَداهم واحــداً بعـــد واحــدٍ على نسـق الأحــزان أسماءُ تــوكيـد
أقـول لأيـــامٍ تقضّت وشمْلُنـــا كعِقْــدٍ على جيــد المسرّة مَعْقــودِ[1]
أأيـــامنـــا عــودي بهم وضَــلالــةٌ مَعــالي لصمٍّ غيرِ ســامعــةٍ عــودي
ولكنهـــا زُورُ الْمُنَى وخِـــداعهــا تُخيِّـل أمراً في الــوَرَى غيْرَ معهــود
كفى حَـزَنــاً أن الأسى مبعث الأسى فـآتيـه في مـاضيــه عِلَّــةُ تجـديـد
أسمّيهم حُــــزْنــــا ليُعْلَمَ أنــــه رثـاءٌ أتى من مُـوْجَـع القلب مَعْمـود
فيا أدمعي سُحّي ويـا صبريَ انْتَقِص ويالَوْعَتي دُومي ويـا حُرَمتي زيـدي
تــولّى ابنُ تمـــامٍ أخي ومُصَـــاحبي وأكرمُ محبـــــوب إليّ ومـــــودود
وقـد كان أحلى في فـؤادي من المنى وأشهى لعيني من كرًى بعد تسهيـد
وقـــــد كان لي في مصر أنسٌ مواصِـلَ فـولّى وقـــد وافى نعيّ ابن عبّــودِ
كريمٌ نمتـه دَوْحَــة الــدين والتقى فطـابَ وسِرُّ الأصل يَظهر في العـودِ
وأنكا مـــــا راعَ الفــوادَ رزيّـــــةٌ أتت عن جلال الـدين أكرمِ ملحـود
تقَي نَقِي طــالمـا طرق الــدجــا بكفٍّ قنـوتٍ كفَّ من هـدبـه السودِ
ومن كان يحيي الليــل لامَــدٌّ دَمْعِــه براق وليس الجَنْب منـــه بمســدود
ويشرق بـــالأسرار آهــلُ قلبــــه فيصبـح بـالعرفـان مـوطنَ تـوحيـد
وأكرمُ مِنْ غيثٍ تـــوالى وليُّـــــه وأرْأفُ من أمّ بـــأضعفِ مــولــود

---

(١) في الأصل : « مفقود » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

عزوف عن الأسباب جذّ حبالها فجذّت بسيف من تقى غير مغمود
تخلّى عن الدنيا وفارَقَ أنسها وما طَرْفُه يوماً إليها بمردود
ومُثْرٍ من التقوى فقير بدانة إلى الله مجذوب بأكمل تجريد
أخي وحبيبي مُؤنسي ومُصاحبي ومن كان عندي يومُ رؤيته عيدي
ومن كنت أتيه فيفرجُ أُنسه إسارَ فؤادٍ في يد الحظّ مصفودِ/
بكيت وما يُجدي البكاءُ وخَطبُه أشدّ ولكن ذاك غايةٌ مجهودي
وذاك لأجلي لا له إذ مدامعي شفاءٌ لما في أضلعي من جوًى مودي
وإلاّ فما أغنى عن الدمع إذ سرى عن المنزل الغاني إلى دار تخليد[1]
وإني لأرجو اللطف بي في لحاقة فلم يبق إلاّ أن أُنادي كما نودي
أمن بعد قربي من ثمانين حجةً يخادعني إخلاء نفسي وتفنيدي
وقد سار قبلي من تقدمتُ عصرَه ونمتُ كأني بالردى غَيرُ مقصود
سقى جَدَثاً قد حَلّه صَوْبُ رحمةٍ يَسحُّ بتكريرٍ عليه وترديد
ولو لم أُسَلِّ القلبَ عنه برؤيتي أخاه لأودى بي بكائي وتسهيد[ي]
ولكنّ لي في أنسه بعد وحشةٍ لما حُرَقٌ في مهجتي أيَّ تبريد
وقد كانت الأيام تبسط لي المُنَى بصحبته قِدْماً فأنجزت مَوْعود[ي]
ولي في ابنه ظنٌّ جميلٌ وإنّه سيخلفُه في الزهد والنّسْك والجُود
فأحْسَنَ ربُّ الناسِ فيه عزاءَهُ وآجَرَه فالأجرُ أفْضَلُ مَوْجود
وجاد ثَرى ذا نوءُ عفوٍ ورحمة وزان ذرى ذا نوءُ عزٍّ وتأييد

٤٦ ـ إبراهيم بن محمد بن سعيد*

الصدر جمال الدين الطّيبّي السفَّار، رئيس العراق، المعروف بابن السَّواملِيّ

(١) (أ) : « من سرى » .

* الوافي : ١٣٦/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٢ ، والدرر : ٥٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٣٨ ، وفيات (٧٠٦هـ) ، والشذرات : ١٣/٦ .
وفي (أ) : « إبراهيم بن سعد » وفي الدرر : « سعدي » .

كان في أوّل أمْره لـه مـالٌ يَسير ، وسـافر وأبعَـدَ في الصّين ، وفتـح اللهُ عليـه ، فاكتسب أموالاً جَمَّةً ، وبلغَ الغاية ، وتِعدَّى في المال مَدَى النهاية ، واستقبلَ مِنْ حـاكم العراق بلاداً كباراً ، وأماكن لا تلْحق الريح لها غباراً .

وكان يؤدي المقرر ، ويَخُصّه باللؤلؤ المدوَّر مع رفقـة بـالرعيـة ، وتخفيف الوطـأة عنهم في كلِّ بليّة ، حتى أحبّه الناس طُراً ، وصار غالبُ أهل تلك البلاد بإحسانـه[١] ، عبـداً ، وإن كان حُرّاً وصـار بنـوه ملـوكاً مُطَـاعين ، مطـاعيم في النـادي وفي الهَيْجَـا مَطاعين .

ولي ابنُه سراج الدين عُمَر نيابةَ الملك بـالْمَعْبَر ، وابنَـه محمد مَلَـك شيراز ، وابنـه عز الدين كافل[٢] جميع الممالك التي لفارس .

وكان جمال الدين المذكور يعتقد في أهل الصلاح والخير ، ويمـدّهم بـالمؤْنـة والمِيْر ، يبعث في كل عام إلى الشيخ عز الدين الفاروثي[٣] ألف مثقال ، ثم إنَّ التتار مـالوا عليـه بـالأخـذ لمـالـه[٤] حتى ضعضعُوه ، وأكلوه بعـدمـا احتلبوه وارتضعوه . وقلّت أمـوالـه ، فانتقل إلى واسط لَمّا دَبَرت[٥] الطِّيْب ، ولم يكن العيش يصفو بها ولا يطيب .

قال ابن منتاب[٦] : قال لي السواملي : ما بقي لي سوى هذا الحبّ[٧] ، وفيه ثمانون

---

(١) (أ) : « لإحسانه » .

(٢) (أ) : « كامل » ، تحريف ، والكافل : من الألقاب المختصة بنائب السلطنة .

(٣) في (أ) : « القادوي » ، تحريف . وعز الدين هو : عز الدين الفاروثي ، أبو العباس أحمد بن إبراهيم المقرئ (ت٦٩٤) ، العبر : ٣٨١/٥ ، والنجوم : ٧٦/٨ ، والبداية والنهاية : ٣٤٢/١٣ .

(٤) (أ) : « من ماله » .

(٥) في (أ) ، والوافي : « دثرت » ، وكلا اللفظين له وجه .

(٦) لم نقف على ترجمته . والخبر عنه في عقد الجمان : (٤٣٩) .

(٧) الحب : الجرة .

ألف دينـار ، وبعث بـه إلى الصّين ، فكسب الـدِّرْهَمْ تسعــة ، ولم يـزل إلى أن نـزل[١] الضريح ، وعلم أنه ما يوجد عليها مستريح .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستّ وسبع مئة في ثاني عشري[٢] جمادى الأولى بشيراز .

والسواميل : هي الطاسات عند أهل السواد بواسط .

٤٧ ـ إبراهيم بن محمد بن قلاوون*

هو الأمير جمال الـدين ، ابن السّلطـان الملـك النـاصر ، محمـد بن السلطـان الملـك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي .

زوَّجَهُ والده بابنة الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا[٣] .

كان أكبر من أخيه الملك المنصور[٤] سيف الدين أبي بكر كان والدهما قـد جهّزهـما إلى الكرك ، لمّا كان أخوهما أحمد[٥] في الكرك ، فـأقـامـا هنـاك مـدة إلى أن تَرَعْرَعـا ، وأقدَمَهُا القاهرة ، فأمَّرَ كُلاً منهما طبْلَخَانة[٦] ، ولم يُلَقّب أحداً منهما بملك ولا غيره ، بل كان الأمراء ومَنْ دونهم يقولون : سيدي إبراهيم ، سيدي أبو بكر .

---

(١) (أ) : « نزل في الضريح » .

(٢) (أ) : « ثاني عشر » .

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٦٦/١ ، والمنهل الصافي : ١٥٤/١ .

(٣) أمير توفي سنة ٧٤٦هـ . (المنهل الصافي : ٢٢/٥) . وستأتي ترجمته .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقا السلطانيـة ، أو بيت الطبل ، ويشتمل على الطبول والأبواق ، وإمرة الطبلخانة منصب للأمراء بعـدد مـا يملكون من ممـاليـك ، فتـدق الطبول أمـامهم لـذلـك . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٢٢٨ ،٤٣) .

وكان إبراهيم هذا قد انتشا ، وقارب أن يكون ليثاً بعد أن كان رشأ ، طُرَّ شاربُه ، وبقل عارضُه[١] ، وكاد يفترس مَن يدانيه أو يُعَارضه ، لكنه جُدِّر ، وجاءه الأجل الذي قُدّر ، فما رآه والده في ضعفه الذي اعتراه ، ولا مكَّن أحداً من إخوانه أن يراه . ولما تكامل/ جُدَرِيُّه نُجوماً ، وصار ذلك لشياطين ناظريه رُجُوماً ، قُصِفَ غُصْنُه ، وخُسِفَ حصْنُه ، فأمر السلطانُ القاضيَ شرف الدين النشّو ناظر الخاص بأن يدفنه عند عمّه الأشرف[٢] خليل ، وألا يَعْلَم ذلك حقيرٌ ولا جليل ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

٤٨ ـ إبراهيم بن مُحَمّد*

الإمام الفاضل بُرهان الدين السفاقسي المالكي

كان هو وأخوه شَمْس الدين محمد[٣] من كِبَار المالكية ، كان هذا برهانُ الدين قائماً بالعربية ، شائماً بُروقَ غوامضها اللامعة بما عنده من الألمعيّة . أعرب القرآنَ العظيم[٤] في أربعة أسفار كِبار ، أعاد بها لهذا الفن ما كان قد خَمُلَ وبَار ، تكلّم فيها على كل غامِض ، وحَسَده عليها غيرُه ممّن لم يَصل إلى ذلك وقال : عُنقودها حامض ، وشرح كتاب ابن الحاجب في الفُرُوع[٥] ، وأتى فيه بفوائد من حسنها تروق ، ومن جزالتها تَرُوع ، إلاّ أنه لم يكمله ، فنقَصَ يسيراً ، وجعل طَرْفَ التطلع لتمامه[٦] حَسيراً .

---

(١) بقل عارضه : خرج شعره .

(٢) صلاح الدين خليل بن المنصور (ت٦٩٣) ، العبر : ٣٧٨/٥ ، والنجوم : ٥٣/٨

* الوافي : ١٣٨/٦ ، والدرر : ٥٥/١ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) واسمه : المَجيد في إعراب القرآن المَجيد ، وحقق الجزء الاول منه ، د . محمّد موعد .

(٥) اسمه بتمامه مختصر في فروع المالكية ، الكشف : ١٦٢٥/٢ .

(٦) أ : « طرف التطلع إليه حسيراً » .

ولم يزل يشتغل وَيدْأَب ، ويشعَبُ صَدْعَ العِلْم ويرْأب ؛ إلى أن وافاه حَيْنُه ، وقُضِيَ من الأجل دَيْنه .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثٍ وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر سنة اثنتين وأربعين .

٤٩ - إبراهيم بن مُحَمد*

الإمام الزاهد

الْمُحدِّث شيخ خراسان ، صَدْر الدين أبو الْمَجامع ابن الشيخ سعد الدين بن المؤيَّد بن حَمُّويه الجُوَيْني الشافعي الصوفي .

سمع من الموفق الأركاني[١] صاحب الْمُؤيَّد الطوسي[٢] ، ومن جماعة بالشام والعراق والحجاز ، وعني بهذا الشأن جداً ، وكتب وحصّل .

قدم الشام سنة خمس وتسعين وست مئة ، وحج سنة إحدى وعشرين وسَبْع مئة ، ولقيه الشيخ صلاح الدين العلائي[٣] ، وخرّجَ لنفسه سُباعيّات[٤] بإجازات .

وسمع مُسْلماً من عُثْمان بن مُوَفّق وسمع ببغداد من الشيخ عَبْد الصمد[٥] ، ومن ابن

* الوافي : ١٤١/٦ ، والدرر : ٦٧/١ ، والمنهل الصافي : ١٥٥/١ .

(١) كذا في الأصل ، وفي الوافي : ابن الموفق الأذكاني .

(٢) المؤيد بن محمد بن علي رضي الدين ، أبو الحسن الطوسي المقرئ ، مسند خراسان (ت ٦١٧ هـ) ، الشذرات : ٧٨/٥ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الدرر : « تساعيات » ، وماهنا يشبه ما في الوافي . والسباعيات : الأحاديث التي تصل إلى الرسول ﷺ بسبعة رواة .

(٥) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش المقرئ النحوي اللغوي (ت ٦٧٦) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

أبي الدِّينة[١] ، وابن الساغوجي[٢] ، وابن بلدجي[٣] ، ويوسف بن محمد بن سرور الوكيل[٤] .

وكانت له صورة إلى تلك البلاد كبيرة ، ومنازِلُهُ في صُدور التتار أثيرة ، تتضاءل النجوم لعلوّ قَدْره ، وتنكشف الشموسُ الضاحيةُ لطُلوع بدره ، لا يصل أحد إلى لمس كُمِّه ، ولا يطمع القان الأعظم في اعتناقه وضمّه . ومما يؤيد هذه الدعوة ، ويحقق هذه الرجوى أن القان غازان أسلم على يده ، وتبرك بملاقاة جسده .

وأخبرني الشيخ شمس الدين الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنبأني الظهير ابن الكازَرُوني[٥] ، قال في سنة إحدى وسبعين وست مئة : اتصلت ابنة علاء الدين صاحب الديوان[٦] بالشيخ صدر الدين أبي المجامع ، إبراهيم بن الجويني ، وكان الصداق خمسة الآف دينار ذهباً أحمر .

وللشيخ صدرُ الدين مجاميعُ وتواليفُ ، وله إجازة من نجم الدين عبد الغفار صاحب الحاوي[٧] .

---

(١) في الأصل : « المدينة » ، تحريف وهو محمد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت٦٨٠) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ ، وفي حاشية المنهل (١٥٦/١) : « توفي سنة ٦٧٠هـ » .

(٢) أ : « ابن أبي الساغوجي » ، ولم نقف على ترجمته .

(٣) في المنهل : « وابن بلدجي يوسف » . ولم نقف على ترجمته .

(٤) لم نقف على ترجمته .

(٥) علي بن محمد بن محمود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) عطا مالك بن محمد الخراساني الجويني ، أخو الوزير الكبير شمس الدين (ت٦٨٣) ، الشذرات : ٣٨٢/٥ .

(٧) هو كتاب الحاوي في الفروع للشيخ نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني الشافعي (ت٦٦٥) ، وهو من الكتب المعتبرة بين الشافعية ، الكشف : ٦٢٠/١ .
وخبر الذهبي نقله ابن تغري بردي في المنهل : ١٥٧/١ .

ولم يزل في تيار عظمته الطافح ، وسيلِ وجاهته السافح ، إلى أن سكن في الرّمس ، وذهب كأمْس .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس المحرم سنة ثلاث وعشرين [1] وسبع مئة .

ومولده سنةَ بِضْعٍ وَأربعين وست مئة .

٥٠ - إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد*

الشيخ برهان الدين ، أبو إسحاق الواني .

بواو بعدها ألف ونون ، رئيس المؤذنين بجامع بني أمية .

سمع من إبراهيم بن عمر بن مُضَر الواسطي[2] ، وأيوب بن أبي بكر بن الفقّاعي[3] ، وابن عبد الدائم .

كان شيخاً حَسَن الشَّيبة ، ظاهر الوقار ، والهَيْبة ، مُطاعاً في قومه ، مراعى في التقديم عليهم في لَيْلِهِ ويومه . أضَرَّ قبل موته بسنوات ، وفَقَد لفَقْد نَظَره من المرئيات الشهوات ، وكان يَطْلِع المئذنة ويؤذن بعد الجماعة وَحْدَه ، ويؤدي الأذان بصوتٍ لا تذكر نَغَمةُ الأوتار عِنْدَه ، والناس يقولون : هو يودّع الأذان ، ويُوْدِع الدرَ صدفَ الأذان .

ولم يزل على هذه الحالة إلى أن رأى الواني من الموت ألواناً ، وجاءه بعدما توانى .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس سادس صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ،

---

(١) في المنهل : « سنة اثنين وعشرين » .

* نكت الهميان : ٨٩ ، البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، الدرر : ٥٦/١ ، الشذرات : ١٠٩/٦ .

(٢) (ت ٦٦٤) ، الشذرات : ٣١٥/٥ .

(٣) لم نقف على ترجمته .

وصلّي عليه ظهر الخميس /بالجامع الأموي ، ودفن بمقبرة باب الصغير ، وأجاز لي سنة ثلاثين وسبع مئة .

٥١ ـ إبراهيم بن محمد بن أبي بكر الخزرجيّ البناني الدمشقي*

الشيخ الصالح العالم برهان الدين .

روى الحديث عن ابن عبد الدايم ، وسمع من ابن النُشِّبي[(١)] ، وابن أبي اليُسر وجماعة ، وكان من طلبة الشيخ يحي المنبجي[(٢)] المقرئ .

انتقل إلى القدس ، وكان إمام قُبة الصخرة بالمسجد الأقصى . وتقدم له اشتغال كثير في الفقه . وكان يبحث ويناظر الفقهاء ، ثم إنه تزهّد ، وصحب ابن هود[(٣)] مدة ، وسافر معه إلى اليمن ، وحج وعاد وأقام بدمشق مدة ، ثم إنه عاد إلى القدس ، وأقام به سنين إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، في يوم الأحد خامس شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٥٢ ـ إبراهيم بن محمد**

الفقيه الفاضل برهان الدين المصري .

كان شاباً ، لم يُكْمِل الثلاثين . توفي في نصف شهر رمضان سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بمقابر الباب الصغير .

---

* لم نقف على ترجمته .

(١) محمد بن علي بن المظفر بن القاسم الدمشقي (ت ٦٧٠) ، العبر : ٢٩٤/٥ .

(٢) (ت ٦٧٦) ، الشذرات : ٣٥٤/٥ .

(٣) بدر الدين حسن بن علي المرسي الصوفي (ت ٦٩٩) ، العبر : ٣٩٧/٥ .

** لم نقف على ترجمته .

وذكر أنه حفظ (الوسيط)[١] ، وعرض منه نحو النصف ، وحفظ (أربعين) الإمام فخر الدين الرازي[٢] .

أقام بالمدرسة الظاهرية مدة ، وكان يلازم النسخ والاستنساخ .

٥٣ ـ إبراهيم بن محمد بن عيسى*

الأمير شمس الدين بن الأمير الكبير بدر الدين بن التركماني .

سمع الحديث ، وحج وتوفي بالقاهرة بداره جُوّا[٣] باب البحر في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان فيه مروءة ومكارم أخلاق ، وصلي عليه بجامع دمشق صلاة الغائب .

٥٤ ـ إبراهيم بن محمد بن يوسف**

القاضي جمال الدين الحُسْبَاني

بضم الحاء المهملة ، وسكون السين المهملة ، وباء ثانية الحروف ، وألف ونون .

نائب الحُكم العزيز بدمشق لقاضي القضاة تقي الدين السبكي[٤] .

لمّا توفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة عن نيف وثمانين سنة ، صلّى نائبُ الشام الأمير علاء الدين المارداني عليه[٥] .

(١) هو الوسيط في الفروع للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥) ، الكشف : ٢٠٠٨/٢ .
(٢) وهو في أصول الدين لمحمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٩) ، الكشف : ٦١/١ .
* لم نقف على ترجمته .
(٣) في الأصل : « جوار » ، والأشبه ما أثبتناه .
** وفيات ابن رافع : ٣٢٦/١ ، والدرر : ٧٠/١ ، وخلَتْ من ترجمته (أ) .
(٤) ستأتي ترجمته .
(٥) الأمير أمير علي المارداني ، وتولّى نيابة دمشق سنة (٧٥٥هـ) ، (البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤) ، وعزل عن النيابة سنة (٧٦٣) ، (البداية والنهاية : ٢٩٥/١٤) .

كان شديداً في أحكامه ، سَديداً في نقضه وإبرامه ، ولا يراعي ولا يداهن مخلوقاً ، ولا يعرف من كان مرموقاً بالأبصار أو مَوْموقاً[١] ، قد تلبّس بالصلابة ، وتأنّس بالتصميم دون اللين ، فلا يجيب مَنْ دَعَا به إلى دُعَابة ، وكان قاضي القضاة يعتمد في الأحكام الْمُعْضِلة على حكمه الْمُسَدَّد ، وتحقق أنه تفرّد في عصره بهذا الخُلْق ، وتفرّد ، إلى أن جاء الحُسْباني ، مالم يكن في حِسَابه ، وانفرد بعمله تحت الأرض وخلا به ولم يُخْلِّف مثله ، ولا من استظل بانَه وأثْلَه ، رحمه الله تعالى .

٥٥ ـ إبراهيم بن محمد بن ناهض*

الشيخ الإمام الأديب تقي الدين أبو إسحاق المعروف بابن الضُّرَيْر ـ تصغير ضَرِير ـ الحلبي

كان إمام الفِرْدَوس بحلب ، ومعه أيضاً وظيفة في البيمارستان الذي أنشأه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي[٢] بحلب . وهذا تقي الدين كان أديبَ حلب ، وأحد من امترى أخلافَ الأدب وحَلَب . وأهدى إلى بني الزمان نفائس القريض وجَلَب ، وسلب الذّهن بعبارته الفصحى وخَلَب . وجدَّ في جمع الدواوين وكتبها ، وذهّبها بخطه وهَذَّبها . كتب مالا يحصى ، ونقب عن مصنفات أهل عصره واستقصى .

ولم يزل يكتب ويجمع ، ويسمو بهمّته إلى تحصيل ما يسمع ، إلى أن فتح الموت لابن الضُّرير عَيْنيه ، وخَرَّ صريعاً لليد والفم بَيْن يديه .

وتوفي رحمه الله تعالى في [عاشر][٣] شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة . ومولده [أول سنة ٦٩٥هـ][٤] .

(١) التومّق : التّودّد .

* الدرر : ٦٨/١ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) زيادة من (أ) (خ) يقتضيها السياق .

(٤) كذا فراغ في الأصول ، والزيادة من الدرر .

كان هـذا تقي الـدين أديب حلب ، ومـأوى من يرد إليهـا من الشعراء والأدبـاء الغرباء .

كتب بخطـه شيئـاً [كثيراً][١] من كتب الأدب ومصنفـات أهل عَصْره ، وكان لـه ذوق في الأدب ، ويحفظ شعراً كثيراً للمقدمين والمتأخرين . ولم أسمع له نظماً .

ولما وَرَدْتُ إلى حلب في سنة ست[٢] وخمسين وسبع مئة كتب بخطـه من تصـانيفي (توشيع التوشيح) ، وكتـاب (نصرة الثـائر على المثـل السـائر) ، وغير ذلـك ، وسمـع كتابي (الروض/الباسم) وغَيْرَه . وعلى الجملة كان فريد زمانه في بابه .

[٣] [ورثاه علي بن الحسين الموصلي[٤] بقوله :

يـــاابن الضُّرَيّر كم عينٍ أضرّ بهـــا مرآكَ فــوقَ سريرِ المـــوت محمـــولا
قضّيتَ عمركَ في الفردوس مشتغــلاً ومــذ قضيت إليــه كنت منقــولا]

٥٦ ـ إبراهيم بن محمود بن سلمان بن فهد الحلبي*

القاضي الرئيس الكاتب البليغ جمال الدين أبو إسحاق

كاتب السّر الشريف بحلب ، أحـدَ مَن كتب المنسوب الفـائق ، وأبرزه وهـو أنقى من الأحداق ، وأنقُ من الحدائق ، كأنّ طُروسَه خمائل ، وسطورَه أعطافُ غِيد موائل ، لا يشبع النـاظر من تـأمّلهـا ، ولا تشكو القلوبُ من تحمُّلِهـا وتجمّلهـا ، إلى أخلاقٍ يتعلم

(١) زيادة من (أ) (خ) .
(٢) في (أ) : تسع .
(٣) ماسيأتي زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) (ت٧٨٩هـ) ، الدرر : ٤٣/٣ .
* الوافي : ١٤٣/٦ ، والدرر : ٧١/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٢/١ ، وفيه : « ابن سليمان » .

منها نسيمُ الصَّبا ، وتُثْني عليها النفحاتُ من زَهْرِ الرّبا ، ومفاكهةٍ ألذّ من مسامرة الحبيبِ ، وأشهى من التشفّي بأذى الحَسود والرقيب .

وكان يستحضر كثيراً من شعر المتأخرين ، وتراجم أهل الآداب[١] والصلاح من المعاصرين ، وله نظم يروق ونثر يفوق .

ولم يزل يتولّى ويُعْزَل من كتابة السر ، ويفعل ما تصل إليه مقدرته من البرّ ، إلى أن حَلّ به الحَيْن ، واتّخذ له من باطن الأرض أينْ[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم عَرفة سنة ستين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة في شعبان .

وكان قد توجّه مع والده إلى الديار المصريّة ، وباشر هناك كتابة الإنشاء ، وسمع من الأبرقوهي[٣] وغيره في ذلك العصر ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير[٤] يألف به ويأنس[٥] ويركَن إليه ، ولمّا عُزِل القاضي عمادُ الدين بن القيسراني[٦] من كتابة سر حلب[٧] ؛ جهّز القاضي جمالَ الدين إليها ، فأقام بحلبَ قريباً من ست عشرة سنة ، وعزله الملك الناصر محمد بن قلاوون بتاج الدين ابن زين[٨] .

حضر في واقعة لؤلؤ مع الحلبيين سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وطُلب إلى القاهرة ، ورُسم عليه في دار الوزارة مُدة مديدة ، ثم أفرج عنه .

(١) (أ) : « الأدب » .
(٢) أين : أراد بها المحلّ والوعاء ، وأين : هي من أسماء الاستفهام التي تكون ظروفاً للمكان وأوعية لها .
(٣) في الوافي ابن الأبرقوهي ، وهو أحمد بن إسحاق ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٤) علي بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) ليست في (أ) ، (خ) .
(٦) إسماعيل بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٧) (أ) ، (خ) : « من كتابة السّر بحلب » .
(٨) في (أ) : « الزين » .

ولّما توجّه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى مصر في بعض سفراته ، طلبه من السلطان ، فرُتّب في جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، وصاحب الديوان إذ ذاك ابن أخيه القاضي شرفُ الدين أبو بكر ، فأقام بها إلى أن عُزل ابن أخيه ، وعُزل هو بعَزْله ، فأقام في بيته بطّالاً إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، فتوجّه إليها ، فأقام هناك بطّالاً في سنة ثمان وثلاثين وما بعدها إلى أن توفي صلاح الدين يوسف بن عبيد الله[1] فرُتب عِوضَه في كُتّاب الإنشاء بمصر ، وسلّم إليه القاضي علاءُ الدين بن فضل الله[2] ديوان الإنشاء بمصر ، فكان ينوبه في ذلك ، ثم إنه رُتب في توقيع الدَّستِ قُدّام السلطان ، وقدّام النائب .

ولّما تولى القاضي ناصر الدين بن يعقوب كتابة السّر بدمشق في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، رُسم للقاضي جمال الدين بعَوْدِه إلى كتابة سرّ حلب ، فتوجّه إليها مرة ثانية ، ولم يزل بها إلى أن عُزِلَ بالقاضي زين الدين عمر بن أبي السفّاح في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ورُتّبَ له ما يكفيه ، ثم عزل ابن[3] السفاح بالقاضي شهاب الدين الشريف ، فأقام قليلاً ، وعزل في جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأعيد القاضي جمال الدين إلى كتابة سر حلب ثالث مرة ، ولم يزل بها وابنه القاضي كمال الدين محمد يَسُدّ الوظيفة إلى أن عُزِل القاضي بدر الدين محمد ناظرُ الجيش بحلب ، وهو ابن[4] القاضي جمال الدين . وطلب هو وابنُه وابن أخيه إلى مصر في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، فرُسم بعزله عن كتابة السر ، ورتب له في كل شهر مبلغَ خمس مئة درهم ، ورُسِمَ لي أنا بالتوجه إلى كتابة سر حلب مكانه ، وأقام هو في بيته على راتبه إلى أن توفي رحمه الله تعالى فكتبت أنا إلى ولده القاضي

---

(١) صلاح الدين (ت٧٤١) ، الدرر : ٤٤٧/٤ .

(٢) تولّى بعد والده سنة (٧٣٦هـ) ، البداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والبدائع : ٤٨٧/١/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « ابن أبي السفاح » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ابن أخي » .

كمال الدين محمد أعزّيه فيه :

مضى مَنْ كانَ للـــدُّنيــا جَمالاً فَعَـــزّوا في مُصيبَتِـــهِ الكَمالا[١]
كمال الـــدين لا تَجْـــزَع وسَلِّم لأمرِ شــاءَهُ البــاري تَعــالى
أبـــوكَ مَضى ولَمْ نَعرِفْ نظيراً لَـــهُ فيما حَــوَاهُ ولا مِثــالا
تعـــالى في منـــاصبــه ولكن تــواضــع عنــد ذاك ومــا تعــالى[٢]
وكان لـــه إلى الفقراء مَيْـــلٌ أنــا لهم بــه جَــاهــاً ومَــالا
فمــا عرفـوا سـؤالاً منــه إذ لم يكن من غيره لهمُ ســـوى لا[٣]
فما يـومـاً نـوى (لا) في نـداهم وبرهم وأولاهم نـــــوالا
ومـــا مــالاً على أحــد رآه عليــه الــدهرُ قــد أخنى ومــالا
وكم والى أخــــا ضَعْفٍ وفقر وأولاه المبرة ثم والى
بـودٍّ مــا تغير قــطّ يـومــاً على من يصطفيــه ولا استحــالا
ولطفٍ كالنسيم أتى ريــاضــاً فهبّ على أزاهرهــــا شمالا[٤]
وعُمّر مــدة يروي حــديث الـ ـرسـول وكان ذاك لــه اشتغــالا
وكم من سيرةٍ للمصطفى قـــد تــأنّـق في كتــابتهــا وطــالا
فـــأبرزَهــا كخــودٍ في حُليّ تهـــاوت في تثنّيهـــا دَلالا
ومـــا بـــالى بَصْرفٍ أو بعَــزْل ولم يشغـل لـــه في ذاك بـــالا
تـوكّـل في الأمــورِ على إلــه يُـــدبّر شـأنـه حــالاً فحــالا
تـولّى السرّ في حلبٍ زمــانــاً فما احتـاجت جِـلاداً أو جـِـدالاً

(١) (أ) ، (خ) : « في الدنيا » .
(٢) (أ) : « ولا تعالى » .
(٣) (أ) : « شيء » .
(٤) في الأصل : أزهارها ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) .

وأغني الجيشَ عن حركاتِ غــــزوٍ | لمــا ركبــوا السهــولــة والجبــالا
ووفّرهم فمــا هــزّوا رمـــاحــا | ورفعهم فمـــا سلّـــوا نصـــالا[١]
وكم قـــد ســـاس في سيس أمــوراً | رأى تكفــورهــا فيهــا الخبــالا[٢]
فينظر يقظـــة خيـــلاً ورجـــلاً | وتغروه مهـــــابتهم خيـــــالا
برأي كالحســـام الغضب مـــاض | أفـــادتـــه تجـــاربـــه صقـــالا
وخـــطٍّ لـــو رآه الـــزهر غَضَـــاً | لجـــوّد تحت أحرفـــه مثـــالا
ونثرٍ تكرَعُ الأسماع فيـــــه | على ظمأ فترشفــــــــه زلالا
وكم نظمٍ ترقرق في انسجـــــام | فلـــولا الطرسُ يمسكـــه لســـالا
فلم نرَ مثـــل هـــاتيـــك السجـــايـــا | ولا أزهى ولا أزكى خـــــــلالا
أفـــاض الله من كرم عليـــه | مـــدى الأيـــام رحمتـــه سجـــالا

وكتبتُ مع هذه الأبيات نثراً ذكرته في الجزء السادس والأربعين من (التذكرة) لي .

وكتب هو إليّ لغزاً ، وأنا[٣] وهو في القاهرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة :

إن اسم من أهـــواه تصحيفـــه | وصَفٌ لقلب المُـــدْنَف العـــاني[٤]
وشطره من قبـــل تصحيفـــه | يقـــاد فيـــه المـــذنب الجـــاني[٥]
وإن أزلت الربـــع منـــه غـــدا | مصحفـــاً لي منـــه ثلثـــان[٦]
وهـــو إذا صحفتـــه ثـــانيـــاً | اسمٌ لمحبـــوب لنـــا ثـــاني

(١) في الأصل : « ورفعهم » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل (سيف) تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) يريد : العليل .
(٥) يريد : الغل .
(٦) يريد : ليل ، وهو ثلثا اسم غليل وهو تصحيف غلبك ، اسم الصفدي .

فكتبتُ أنا الجواب إليه عن ذلك وهو في « غلبك » :

لعـزك يـا من رؤيتي وجْهَـه … تَكْحَـلُ بـالأنـوار أجفـاني
هـذي ضميري لحمي حلّـه … وأيّـد القـول ببرهـاني
إن زال منـه الربـع مَـعْ قلبـه … فـإنـه للْمُـذْنب[1] الجـاني
عليـك تصحيفُ الـذي رمتـه … فـالقلب في تصحيفـه الثـاني[2]

[3]وبيني وبينه محاورات ومكاتبات ذكرتها في كتابي ألحان السواجع[3] .

٥٧ ـ إبراهيم بن هبة الله بن علي*

القاضي نور الدين الحِمْيَري الإسنائي الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً أصولياً ذكيّ الفطرة .

أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطي[4] ، والأصول عن الشيخ شمس الدين محّمد بن محمود الأصبهاني[5] ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس[6] وصنّف في الفقه والأصول والنحو .

---

(١) في الأصل : للمدنف ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمراد من البيت لفظ (كبل) .
(٢) يريد : فالقلب عليل .
(٣) ليس في (أ) ، (خ) .
* الوافي : ١٥٧/٦ ، والدرر : ٧٤/١ ، والبغية : ٤٣٣/١ ، وطبقات السبكي : ٤٠٠/٩ ، والشذرات : ٥٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣/١ ١ ، وأعلام الزركلي : ٧٨/١ .
(٤) (ت٦٩٧ هـ) ، الشذرات : ٤٣٩/٥ .
(٥) (ت٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٩/٥ .
(٦) محمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

ولي القضاء بأقاليم منها قُوص[١] ، وأسيوط ، وإخميم[٢] ، وولي مُنية زِفْتا[٣] ومنية ابن خَصيب[٤] في أوائل عمره . وابتداء أمره .

وكان حَسنَ السِّيرة في حكمه ، مرضي السريرة في طيشه وحلمه . طلب منه كريم الدين الكبير[٥] مالاً من زكاة حاصل الأيتام ، ودَفْعَ شيء من ذلك ليستعين به على تلك المهام ، فلم يعطه شيئاً ، وقال : العادة جرت بأن نصرف ذلك إلى الفقراء دونَ غيرهم ، ومتى عَدَلْنا به عنهم قَصَصْنا جناح طيرهم . ولما عاد كريم الدين إلى القاهرة بالغ في أمره مع قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، وبذل في صَرْفِه جَهْدَ الاستطاعة ، فما وافق على عزله ، ولا نقض بَرْم غَزْلِه ، إلاّ أنه صُرف بعد ذلك بمدّة ، وحضر إلى القاهرة ، وأقام بها لأمرٍ ما أطاق ردّه .

وكان قد قرأ على الشيخ نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف الأصفوني[٦] الجبر والمقابلة ، ومن هذا النوع وماعادله ، وقرأ الطب على شهاب الدين أحمد المغربي[٧] ، واختصر (الوسيط) للغزالي ، وصحح ما صححه الرافعي على التوالي[٨] ، وشرح

---

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر (معجم البلدان) .

(٢) بلد بالصعيد (معجم البلدان) .

(٣) شمالي مصر على فوهة النهر الذي يؤدي إلى دمياط (معجم البلدان) .

(٤) مدينة كبيرة حسنة على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى ، (معجم البلدان) .

(٥) عبد الكريم بن وهبة ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (ت ٧٥٠هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٩٣/١ .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) انظر : الكشف : ٢٠٠٩/٢ ، وفي طبقات السبكي (٤٠٠/٩) : « وقفت له على مختصر الوسيط وهو حسن ، وقد ضمنه تصحيح الرافعي والنووي » .

(المنتخب) في الأصول[١] ، وقرَّب المدخل إليه والوصول . ونثر (ألفية) ابن مالك وشرحها[٢] ، وجعل فيها إطلاق الأذهان وَمَرَحِها .

ولم يزل بالقاهرة مقيماً بعد صَرْفِه ، وصَبْرِ قلبه على الأذى وغضِّ طرفه ، إلى أن حَدَث بعنقه طُلُوع ، عَدِم معه الهجوعَ ، ففارق أترابَه ، واستجنّ[٣] ترابَه ، ووصّى للفقراء بشيء من ماله ، وختم بذلك صالح أعماله ، ووقف وقفاً على جهة البّر ، وتقرّب بذلك إلى عالِم السرّ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٥٨ - إبراهيم بن أبي الوحش*

ابن أبي حُلَيقة ، علم الدين بن الرشيد .

رئيس الأطباء بمصر والشام .

عُيِّن ، ، وهو نصرانيّ قبل أن يُسلم ، أن يكون بطريكاً للنصارى بمصر ، فما وافق على ذلك ، وأسلم .

كان المذكورُ يشارك في فنون الأدب ، ويَنْسلُّ مع مَنْ نسل إليه مِنْ كلّ حَدَب . وهو الذي عَمِل شراب الورد الطريّ بالشام ، ولم يُعْهد ذلك قبله على مرور الأيام .

ولّما مرض الظاهر بيبرس بالخوانيق لازمه علمُ الدين في مرضه ، وأتى إليه بما كان

(١) أي أصول المذهب الحنفي لمؤلفه حسام الدين محمد بن محمد الأخسيكتي الحنفي (ت ٦٤٤هـ) ، الكشف : ١٨٤٨/٢ ، ثم ذكر كتاب الإسنوي المذكور على أنه شرح لكتاب المنتخب في الحديث للمارديني (ت ٧٥٠) ، وهو ظاهر الوهم .

(٢) الكشف : ١٥٤/١ ، وطبقات السبكي ، والمنهل الصافي .

(٣) استجن : استتر ، والجنن أيضاً : القبر ، والميت ، والكفن .

* تالي وفيات الأعيان : ٤٦ ، والدرر : ٥٧/١ .

فوق غرضه ، فاتفق نضج الألم الناتئ في حلقه ، ولم يَجْسر أحدٌ يمدّ يده إليه لشراسة خُلقه ، فمدّ علم الدين يده إلى فيه ، وأدخلها ، وقرصَ الورم ، فانفجر لِوَقْته ، وخرجت المواد التي حار اللبيب في وصْف ألمها ونَعْته ، فعُوفي السلطان من ألمه البَرْح ، ووهبه الأمراء شيئاً يطول في ذِكره[١] الشرح ، فما سمحت نفس السلطان [له][٢] بمجموع ما وَهَب ، وخصّه ببعض ذاك الذي حَصَّل ونهب ، وشال الباقي إلى الخزانة ، وقال : خروج هذا خِفَّةٌ وعَدَمَ رَزَانة .

ولَمْ يَزَل علمُ الدين على حالته إلى أن نَزلت به مصيبة مالها علاج ولارُقى ، ونزل حفرة لا يجد له منها مُرْتقى .

وقيل : إن تَرِكتَه بلغت ثلاث مئة ألف دينار ، وهذا أمر تجاوز الحد والمِقْدار .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٥٩ - إبراهيم بن لاجين بن عبد الله*

الشيخ الإمام العالم الفاضل البليغ برهان الدين الأغرِّي ، بفتح الغين المعجمة ، الرشيديّ الشافعي ، خطيب جامع الأمير شرف الدين أمير[٣] حسين بن جَنْدر بك بحكر جَوهْر النوبي بالقاهرة .

أخذ القراءات عن الشيخ تقي الدين ـ الصائغ[٤] ، والفقه عن الشيخ علم الدين

---

(١) في الأصل : « ذكرها » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٦/١٦٤ ، والدرر : ١/٧٧ ، والمنهل الصافي : ١/١٨٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٠/٢٣٤ ، وغاية النهاية : ١/٢٨ ، والشذرات : ٦/١٥٨ ، وطبقات السبكي : ٩/٣٩٩ .

(٣) في (أ) والوافي : « ليث » .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها . وفي المنهل : « تقي الدين بن الصائغ » .

العراقي[١] ، والأصول عن الشيخ تاج الدين البارنباري[٢] ، والفرائض عن الشيخ شمس الدين الرواندي[٣] ، والنحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والعلم العراقي ، وأثير الدين أبي حيّان[٤] ، والمنطق عن سيف الدين البغدادي[٥] . وحفظ (الحاوي) و (الجزولية) و (الشاطبية) ، وأقرأ الناس في (أُصُول) ابن الحاجب و (تَصْريفه) وفي (التسهيل) . وكان يعرف الطب والحساب وغير ذلك .

ولخطبته في النفوس تأثير ، وللدموع لها[٨] على الخدود جري وتعثير ، تَرقّ له القلوب القاسية ، وتتذكر النفوس الناسية . وعلى قراءته في المحراب مهابة وفصاحة ، ولها إلى الجوانح جنوح وفي الجوارح جراحة . لم أرَ في عمري مثل اتّضاعه على علّو قَدْره ، ولا رأيت[٧] ولا غيري مِثْلَ سلامة صدره ، مطّرح التكلف[٨] ، راضٍ بالقعود عن الدنيا والتخلف ، يحمل حاجته بنفسه ، ولا يحتفل بمأكله ولبسه[٩] .

تخرّج به جماعة وانتفعوا ، ورَدّ بمواعظة أهل الجرائم عن طريقهم[١٠] واندفعوا .

وعُرض عليه سنة خمس وأربعين وسبع مئة قضاءُ المدينة الشريفة وخطابتُها فامتنع ، وانخزل عن قبول ذلك وانجمع .

---

(١) عبد الكريم بن علي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) محمد بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في (أ) ، والوافي ، والمنهل : « الدارندي » ، ولم نقف على ترجمته .

(٤) وستأتي ترجمته في حرف الياء .

(٥) عيسى بن داود أبو الروح البغدادي الخوارزمي الحنفي (ت ٧٠٥هـ) .

(٦) ليست في (أ) ، (خ) .

(٧) في (أ) : « ولا رأت عيني » .

(٨) في (أ) : « يطرح » .

(٩) في (أ) ، (خ) : « ولالبسه » .

(١٠) في (أ) ، (خ) : « عن طريقتهم » .

وله نظم إلاّ أنه ما أظهره ، ولا كلّف خاطرَه أن يؤلف جوهره ، إمّا عَدم رضى بما يأتيه منه ، أو تَوَرُّعاً عن قبوُله[(١)] ونفوراً عنه .

ولم يزل على حاله في أشغاله الطلبة ، والإمامة ، والعمل على ما فيه[(٢)] خلاصه يوم القيامة ، إلى أن سار إلى الآخرة ، وصار بالساهره[(٣)] .

وكانت وفاته بالقاهرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وقلت أرثيه :

ملتُ بَعْــدَ البُرْهَــان للتقليــد ... في انسكاب الـدموع فوق الخُـدود
مـا أنـا واثقـاً بتسفـاح دمعي ... خـان صبري الأمينُ بعـد الرشيـد
كيف لا تَسفـح الـدّموعُ على مَنْ ... كان للطـالبين خيرَ مُفيـد
قـال لّما احتـواهُ طـاعـونُ مصرٍ ... كَمْ قتيـلٍ كما قُتِلْتُ شهيـدِ
فَهْـوَ في قبرِه مـع الحُـورِ يلهـو ... ببيـاضِ الطُلى ووَرْدِ الخُـدود
مـاتَملّت جُفـونُـه بـدور ... قَبْلَهـا في براقـع وعقـود
يـا عـذولي على تَعـذُّرِ صبري ... في مُصـابٍ عَـدِمْتُـه في الـوجـود
كان إن قـام في الأنـام خطيبـاً ... علّم النـاس كَيْفَ نَثْر الفريـد[(٤)]
ثم أجـرى الـدمـوع خـوفاً ولـو ... أنّ قلـوب العُصـاةِ من جلمـود
بكـلام مِثْـل السهـام مصيبـا ... تٍ تَشُـقّ القُلـوبَ قَبْـل الْجُلـود
حُـزْنَ مستعْمَـل الكـلام اختيـاراً ... وتجنّبن ظُلْمَـة التّعقيـد

---

(١) في الأصل : « قوله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٢) قوله : « مافيه » ، ليس في (أ) ، (خ) .
(٣) الساهرة : الأرض .
(٤) (أ) ، (خ) : «العقود » .

مـا على زهـده وفَضْـل تقـاه   وعلومٍ قَـدْ حـازهـا من مـزيـد
أيهـا الـذاهبُ الـذي نحن فيـه   في لظى وهَـوْ في جنـان الخلـود[١]
لاتُرَعْ في المعـاد حيث وجـوه   النّـاس فيـه مـا بين بيض وسُـود
لَـكَ في مَـوْقِف القيـامـة وَجْـهُ   يُخْجِـل البَـدْرَ في ليـالي السّعـود
وثنـاءٌ كأنمـا ضُربَ العنـ   ـبر فيـه بمـاء وردٍ وعُـود
قَنِعت أنفسُ البريـة إذ غبت بعيش مُعَجَّـل التنكيـد
فَسَقى الله تربـةً أنت فيهـا   كلَّ يـوم مضي سَحَـائبَ جُـود

٦٠ - إبراهيم بن يونس*

ابن موسى بن يونس بن علي الغانمي[٢] البعلبكي .

رحل وسمع وعلّق وكان جيّد القراءة فصيحاً ، حَسَنَ الوُدّ صحيحاً .

سمع بالبلاد أشياخ عَصْره ، وعلّق الفوائد[٣] وغيرها من أهل مصْره ، وارتحل إلى الحجاز ، وسمع هناك وفاز ، وجاور بمكّة ، وكتب بها من الفوائد[٤] شكَّه .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّ به غَريم أجله ، وقابل مَهْلَه بعَجَله .

توفي ، رحمه الله تعالى ، في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة . نقلت من خطه له :

---

(١) (أ) ، (خ) : « منه » .

* الوافي : ١٧٣/٦ ، والدرر : ٧٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٧/١ .

(٢) في الأصل : « القاضي البعلبكي » . وهو تحريف .

(٣) (أ) : « الفرائد » .

(٤) (أ) : « الزوائد » .

قـــال لي العـــاذلُ يـومـــا : أنْتَ بَـــــــدْرِيٌّ حُنَيْني
قلتُ : لا ، قـــال : فِمصْرِيْ ، قلت : لا ، إني حُسَيْني

٦١ - إبراهيم بن يحي*

ابن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الشيخ الفقيه الإمام الْمُحَدِّث عمادُ الدين أبو إسحاق الفزاري البَصْروي ، ثم الدمشقي الحنفي .

قرأ القُرآن وسمع الحديث في سنة ثلاث وسبعين وست مئة وبعدها . وقرأ على الشيوخ كثيراً من الكتب والأجزاء ، وكان مشهوراً بحسن القراءة .

ومن شيوخه : ابن عبد الدايم ، وابن أبي اليُسر ، وأيوب الحمّامي[1] ، ومظفر بن الحنبلي[2] ، وابن النُشّي ، وابن عبد[3] .

قال شيخنا علم الدين : وجُمَعت له مشيخة عن نحو ثمانين شيخاً .

ثم إنه بعد ملازمته الطلبة والاشتغال بالعلم ، دخل في الجهات الديوانية ، وخدم بديوان الحشر[4] ، ومَهرَ في ذلك ، وحَصّل أموالاً ، ثم إنه رأى رؤيا أوجبت له التوبة والإقلاع ، فحجّ وترك الديوان ، ولازم المسجد والتلاوة ، وبقي على ذلك نحو عشرين سنة ، وحَصَل له صمم ، وقوي به ، فكان لا يسمع إلاّ بمشقة ، وكان يحدث من لفظه .

---

* الدرر : ٧٦/١ .

(١) أيوب بن عمر بن علي بن مقلّد الحامي الدمشقي المعروف بابن الفقّاعي . (ت٦٦٦ هـ) ، المنهل الصافي : ٢٢٧/٣ .

(٢) مظفر بن عبد الكريم أبو منصور الدمشقي (ت٦٦٧) ، الشذرات : ٣٢٥/٥ .

(٣) لم نتبين المقصود .

(٤) في الدرر : « الجيش » ، تحريف ، والحشر ديوان مختصّ بوراثة من لا وراث له ، أو مَنْ ترك زوجة وبنتاً فقط ، يعطيها مافرض لها ، ويأخذ الباقي ، معجم الألفاظ التاريخية : ٦١ .

ومما قرأه (صحيحُ مسلم) و (الترغيب والترهيب) على ابن عبد الدايم وغير ذلك .

ومما انفرد به أنه قرأ (الكافية الشافية) على ابن مالك .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة خمس وأربعين وست مئة .

٦٢ ـ إبراهيم بن يوسف*

القاضي الرئيس المؤْتَمَن أمين الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان متصفاً بالأمانة المُفْرطة ، مُلتحفاً بالعِفّة التي من لم يَطّلع على أمره يعتقد أنها مغْلِطة[١] .

حاول السلطان الملك الناصر محمد أن يأخذه من أستاذه مَرّات ، وتحيّل عليه بأنواع من وعودِ الإحسان والمبرّات ، فما وافق مخدومَه ، ولا هو على ذاك ، وتحيّد جَهْدَه ، وتحيّل ، ولم يقع في تلك الأشراك .

وكان كاتباً خبيراً ، عارفاً بأمور الديوان بصيراً ، وعنده مشاركة في علوم ، وممارسةٌ لما يتصف به أهل الحلوم[٢] والفهوم ، وفيه سكون مفرط وعدم رَهْج[٣] ، وانجماع سلك به في الدهر فَرْدَ نَهْج ، وله عبارة إذا ترسل ، ومقاصدُ بليغة بها يتوصّل إلى مُرَاده ويتوسّل ، ما خدم عند أحد إلا وسلّم إليه قياده ، ورأى أن بيدِهِ صلاحَه وفساده .

---

* الدرر : ٧٨/١ .

(١) (أ) ، (خ) : « منه مغلطة » .

(٢) (أ) : « العلوم » .

(٣) الرهج : الشغب .

ولي نظر الجيوش بالديار المصرية في أيام الملك الصالح إسماعيل(١) ، فباشره بقُعْدُد وسكون ، وتقرر في ذهن أولياء الأمر أنه مهما رآه هو الذي يكون . وكان محظوظاً في خِدمه(٢) ، والسلام والأمانةُ ، نِعْمَ العونُ لأرباب السيوف والأقلام .

ولم يزل إلى أن بلغ نهاية أمده ، وتفرد في قبره بمعتقده .

وتوفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان في أول أمره يكتب عند الأمير سيف الدين بَكْتُمر الحاجب(٣) بدمشق ، ولمّا توجّه إلى مصر أخذه معه ، وهناك أسلم ، وكانَ أولاً سامرّياً ، وكان يميل إلى عقله ، ويعتمد على تصريفه ، ولمّا أُمسك الحاجب أخذه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصري(٤) ، فمال إليه ، واعتمد عليه . ولما مات أرسلان أخذه الأمير سيف الدين طَشْتُمر حِمصّ أخضر(٥) عنده ، فدخل إليه وعلى الأمير جملة من الديون(٦) ، فما كان عن قليل حتى وفّى ديونه ، وجعل في خزانته جملة من الحاصل ، فأحبّه وزاد في تعظيمه وإكرامه ، ولما عاد الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب إلى الديار المصرية بعد نيابة صفد أراد عَوْدَه إليه ، فتعذر ذلك ، ودخل طشتمر إلى السلطان ، وسأله في إبقائه عنده ، فرسم له بذلك ، ولكن بقي أمين الدين . يتردد إلى باب الحاجب كل قليل ، وما جَسَر على مقاطعته ، وأراد السلطان الملك الناصر مراتٍ أن يأخذه ويستخدمه في نظر الدولة أو غير ذلك من الوظائف ، فيدخل طَشْتمر على الخاصكيّة المقربين في ذلك ، فيسألون له السلطان في ذلك ، وكان طشتمر ما يفارقه ، ولمّا أُخْرِج لنيابة صفد

(١) إسماعيل بن محمد بن قلاوون ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) قوله : « في خدمه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .
(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) في الأصل : « الديوان » : تحريف .

أخذه معه . ولما توجّه إلى حلب أخذه معه . ولما دخل البلاد الرومية أخذه معه إلى الروم . ولما عاد منها عاد معه إلى مصر ، ولمّا مات طشتمر رحمه الله طلبه الأمير سيف الدين قُماري[١] أخو بكتمر الساقي ، وكان في الأيام الصالحية أستاذالدار[٢] فأقبل عليه إقبالاً زائداً ، وعظّمه ، ولمّا مات جمال الكفاة ، ولاّه الصالح إسماعيل نظر الجيش ، فأقام فيه إلى آخرا أيام الصالح . ثم إنه حضر إلى القدس وأقام به ، وأوقف عليه قرية تعمل في السنة بمبلغ ، وحضر في أثناء ذلك إلى دمشق ، ثم توجّه إلى القدس . وأقام به ، ولمّا أفرج عن الأمير سيف الدين شيخو[٣] ، وأعيد إلى مكانه ، طلبه إلى مصر ، وجعله ناظر ديوانه ، وكان عنده في الذروة من الوجاهة ، واستمر عنده إلى أن مات رحمه الله في التاريخ ، والله أعلم بسريرته ، فإنّ الناس كانوا يتهمونه في دينه .

وكتبت إليه وأنا بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة أتقاضاه نجاز منشور بإقطاع لابن أختي :

عجب الناس إذْ جعلتُك قَصْدي ... دُون قومٍ ما فضلهم بمُبين
قلت رأيُ الرّشيد للخير هادٍ ... إذ غدا واثقاً بخير أمين

٦٣ - إبراهيم القاضي جمال الدين جمال الكفاة*

ناظر الدولة والجيوش والخاص ، هو ابن خالة القاضي شرف الدين النَشّو ، والنشّو هو الذي استسلمه واستخدمه مستوفياً[٤] في الدولة ، ثم إنه استخدمه عند الأمير

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « أشاد الدار » ، تصحيف ، وفي (أ) ، (خ) : « أستاذدار » .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ١٨٠/٦ ، والدرر : ٧٩/١ ، والمنهل الصافي : ٩٦/١ .

(٤) المستوفي : موظف من كتاب الأموال بالدواوين . وانظر خبراً عن النشو في البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٢هـ) .

سيف الدين بشتاك الناصري[(١)] ، فلبث عنده مدة ، ثم إنَّ الناس رَمَوا بينه وبين ابن خالته النشّو ، فوقعت بينهما المعاداة الصعبة على سُوء ظَنٍّ من النشّو وزيادة توهم ، ولم يزل الأمر بينهما إلى أن أُمسك النشّو ، ومات هو وجماعته تحت العقوبة على ماسيأتي في ترجمته .

وتولى جمال الكفاة نَظَر الخاصّ ونَظَر الجيش ، ولم يَتَّفق ذلك قبله لغيره[(٢)] ، ولم يزل في عزّ وجاهٍ وتمشيةِ حالِ مَخدومه بشتاك[(٣)] إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وولي الملك ولده أبو بكر[(٤)] ، وخُلع وولي الأشرف كُجُك[(٥)] ، وخُلع وهو على حاله ، وأحبّه قَوْصُون[(٦)] ، وبالغ في إكرامه ، ثم حضر الناصر أحمد من الكرك ، واستمر به على حاله ، وأخذه معه إلى الكرك ، وأقام عنده ، فلما تولّى الملك الصالح إسماعيل وهو في الكرك [بقي][(٧)] مدة ووظيفتاه[(٨)] ليس بهما أحد ، فتولى مكين بن قروينه[(٩)] الجيش ، وبقي أخو جمال الدين ـ الكفاة ـ في الخاص[(١٠)] يسده إلى

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
وفي المنهل الصافي ٣/٣٧٢ : « وبَشْتَك : بفتح الباء الموحدة من تحت وترقيقها ، وسكون الشين المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوق مفتوحة ، وكاف ، ومعناه باللغة التركية : خمسة لاغير ، وصوابه في الكتابة : بش تك ، انتهى » .
(٢) « لغيره » ، ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) ، (خ) : بمخدومه .
(٤) أ : « وولي ولده الملك المنصور ، والمآل واحد » . وستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٧) زيادة يستقيم بها اللفظ ، قريبة مما في الوافي .
(٨) في الأصل : « ووظيفاه » ، تحريف . وعبارة النهل : « وبقي مدة ووظائفه ليس بها أحد لغيبته مع السلطان » .
(٩) انظر خبره البداية والنهاية : ١٤/١٦٥ ، أحداث سنة ٧٣٢هـ .
(١٠) عبارة الوافي : « وجُعِلَ أخو جمال الدين جمال الكفاة في الخاص » . وفي المنهل : « وجعل أخو جمال الكفاة في الخاص ليسده إلى أن يحضر » .

حينِ حضـور أخيـه ، فلمـا حضر جمـال الكفـاه من الكرك تسلم وظيفتيـه في الجيش والخاص ، وبقي كذلـك مُـدّةَ وأضيف إليـه نظر الـدولـة أيضـاً ، وصـار هو عبـارةً عن الدولة ، ثم إنه أُمسـك وحمل شيئـاً من الـذهب تحت الليل وأفرج عنـه ، وخُلع عليـه ، وأعيد إلى وظائفه ، ثم إنه أمسك ، وفَعَل كالمرة الأولى ، ثم أخرج عنه ، وأعيـد ، وتمكّن من السلطـان الملـك الصـالح إسماعيل ، وعَظَم عنـده ، وكتب لـه الجنـاب العـالي ، ولم يُكْتَب ذلـك إلاّ للـوزير ، ثم رُسِم لَـه بـإمْرَة مئـة ، وتقـدمـة ألف[١] ، وأن يلبس الكَلَّوْته[٢] ، ويلعب الكرة[٣] مع السلطـان في الميدان ، فما كان إلاّ وهو في هذا الشـأن ، هل يقبل ذلك أَوْ لا حتى عُمل عليه ، وأُمسك هو وجماعة من مباشري الدولة ، فتوهمها كالواقعة التي قبلها ، فقتل هو بالمقارع[٤] وولده إلى أن مات هو تحت العقوبـة ، ورَمَوْه بأمورٍ اللهُ أعلم بصحتها من فسادها .

وكان في أول أمره عند الأمير علاء الدين طَيْبُغَا القاسمي[٥] كاتباً ، ومدة مبـاشرتـه الخاص وما معه ست سنين .

وكان رحمه الله تعالى حسن الشكل ، مليح القامـة ، حلو الوجـه ظريف العمامـه ، يتحدث بالتركي جيداً ، ونمّ في ذلك اللسان[٦] عن فصـاحتـه متحيـداً ، ومـا كتب أحـدٌ أقوى من عـلامتـه ولا أكبر ولا أحسن ، ولا أقعـد من حروفهـا ولا أمَـدّ ولا أمتن ، بـزتـه مليحة ، وعبارته[٧] فصيحة ، وفكرتـه متسرعـة ، وخبرتـه عن صحـة ذهنـه مُتَفَرِّعَة ،

(١) « وتقدمـة ألف » : ليست في : (أ) ، (خ) . وفي المنهل : « ثم إنـه رسم لـه بـإمرة ألف وتقـدمـة وأن يلبس الكلفتاه » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « الكلفتا » .
(٣) في (أ) بالكرة .
(٤) (أ) ، (خ) : « هو وولده بالمقارع » .
(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) (أ) : « الشأن » .
(٧) في الأصل : « وعبارة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وشجاعته بالإقدام مُتَدَرِّعة ، وهمته عن الرذائل مُتَوَرِّعة ، مع لطف عشرة ، وظرف تنديب[١] يُرْقص إذا أبدى[٢] بِشرَه ، يحبّ الفضلاء ويدنيهم ، ويعينهم بالجود ويُغْنيهم ، يقضي أشغالهم ، ويحمل أثقالهم ، وكان يُوْلَعُ بفنَ التصحيف ، ويأتي فيه بالرائق الظريف ، قال يوماً ونحن جلوس في دار ابن خالته ، وهو ماهو في عظمته وجلالته ، وقد جرى[٣] تصحيف عجيب ، بين مُبْتَدِي ومجيب ، فقال لي : هو بجبل[٤] يُشنق ، فما مَرّت بأذن أحدٍ إلاّ وأطرق ، وغاص في بحرها واستغرق ، وقمت أنا إلى الطهارة لقضاء ما لا بد منه ، ولا غنى لكل أحد عنه ، وخاطري بما قاله متعلق ، وبَرْقُ فَهمها غير متألق ، وفي ذهابي ملتُ إلى قلبها وتصحيفها فظهرت لي فائدة تأليفها ، فعدت إليه قبل ذهابي ، وأسرعت إيابي ، وقلت له ماظهر لي في حلّها ، وسقيته من وَبْلها وطلّها . فقال : يا مولانا ! كنت صبرتَ إلى أن قَضيت شغلك ، وأتيت بما وَسع فَضَاك وفضلك . فقلت : حلاوة الفهم ، أذهلتني عن رشق هذا السهم .

وكان جمال الكفاة رحمه الله تعالى في آخر أمره ، ونفاسة قدره ، قد سلك مسلك كريم الدين الكبير في اقتناء المماليك الأتراك ، وأكثر[٥] من جبّاتها في العقود والأسلاك ، قد تأنق في ملابسهم الفاخرة وتجديدها ، وتحلية مناطقهم التي علائقها يُطرب تغريدُها ، ولما هلك تحت العِقاب ، وحمل فوق الجنوية[٦] على الرقاب ، حزن لذلك أوِدّاؤه وشمت بمصابه أعداؤه ، وذلك في أوائل صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

(١) النَّدْب : الخفيف في الحاجة ، الظريف النجيب .
(٢) (أ) : « بدا » .
(٣) (أ) ، (خ) : « جرى لهم » .
(٤) (أ) ، (خ) : « فقال هو لي » . وفي الأصل : « يحل » تحريف .
(٥) (أ) ، (خ) : « وكثّر » .
(٦) (أ) ، (خ) : « وحمل على الجنوية فوق الرقاب » .

وقلت أنا فيه :

عجبتُ من أمر جمـــال الكفـــاهْ وكـــونِـــه راحَ ثِمال العُفـــاهْ
في ليلـــة زالت سعـــادتـــه عنـــه إلى أن رَحَمْتـــه عِـــداه
تَكَلَّمت أجنـــابـــه وهـو مـــا يقـــول في آلامـــه غيرَ آه
وكيف لا يَصْرُخُ مَنْ جنبـــــه فتّحـــه ضربُ الغـواني شفـــاه(١)

٦٤ - إبراهيم الحايك*

وقيل : المعمار . وقيل : الحجّار ، غلام النوري ، عامّي ظريف ، وشاعر عَرِي من خَلَل النحو والتصريف ، لكنّ قَريحته نظّامة ، وطِبَاعه لبرود الشعر رقّامَة ، لـه ذوق قـد شَبّ عَمْرُه فيـه عن الطّوق(٢) ، وتوريـات تسير الثريـا من تحتهـا وهي من فـوق ، واستخدام له إلى تحريك الأعطاف وهزّها شوق ، ونكتّ أدبية مـا يبلّ الفـاضل(٣) منهـا غلة الشوق ، ومقاصِـدُ غريبـة أحسنُ من رَوْق الشبـاب ومـا أحسنـه من رَوْق إلاّ(٤) أن اللحنّ الخفي يخونـه في بعض الأمـاكن وهـو قليـل ، وتصريف الأفعــال يعرض عنــه بلا دليل ، أما إذا تُرِك وعامّيتـه في الأزجـال والبلاليق(٥) ، ونفض يَـدَه من القريض لَمَ يكُن له فيه تعاليق ، فإنه يأتي بالعجـائب ، ويركب في طريق الإعجـاب ، والإعجـاز مُتُون الصَّبا والجَنَائِب ، فما يلحقه في ذلك مجار ، ولا يُرْهقه مُبار ، ولا يطمع لاحق لـه في شق(٦) غُبار ، ولا أعلم له في ذلك نظيراً ، ولا استجليت في سماء فنه مِثْلَه قمراً منيراً .

---

(١) (أ) : « ضرب العوالي » .

* الوافي : ١٧٣/٦ ، وفوات الوفيـات : ٥٠/١ ، والـدرر : ٤٩/١ ، وبـدائع الـزهـور : ج ١/ق ١/ص ٥٢٧ ، والمنهل الصافي : ١٨٨/١ ، وفيه : « إبراهيم الحائك » .

(٢) في المثل : شب عَمْرو عن الطوق .

(٣) يورّي بالقاضي الفاضل ، وهو صاحب اختراعات أدبية .

(٤) (أ) : «لأن » تحريف .

(٥) البلاليق : من الأنواع الشعرية المستحدثة .

(٦) شق : ليست في (أ) ، (خ) .

وكان فقيراً متخلياً ، وأميراً في نفسه بالخمول مُتَحَلّياً ، يُعْرِض عن الأكابر ، ويعد أهل[١] الدنيا عنده في أهل الْمَقابر[٢] ، قد لزم القناعة ، وأرخى على وجه الصبر قِنَاعَة ، فهو في « باب اللّوق » سابق غير مسبوق ، وفي ساحات المناشر سلطان من ينادم أو يعاشر ، قد هذّبه زَمَانُه ، وأُطلق في الراحة عِنَانُه ، يكتفي بالبلاغ ، ويَجْتزئ[٣] بما لَهُ في الحَلْق مَسَاغ .

ولم يزل في عالم[٤] إطلاقه ووميض برقة وابْتلاقه[٥] ، إلى أن خرب من المعمار رَبْعَ الحياة ، وعفر التراب محيّاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، بعدما نظم في الطاعون قبل موته ، وأنشد قبل فوته :

يا مَنْ تَمنى الموتَ قمْ واغتنم ... هذا أوانُ الموت ما فاتا
قد رَخُصَ الموتُ على أهله ... ومات مَنْ لا عُمْرُه ماتا

وكان قد كتب إليّ لما وردت[٦] القاهرة في خمس وأربعين وسبع مئة في زمن الملك الصالح إسماعيل قدّس الله روحه[٧] :

وافَى صلاح الدين مصراً فيا ... نِعْمَ خليلٌ حَلَّها بالفلاح
فَلْيَهْنِها الإقبالُ إذْ أصبحت ... بالملك الصالح دارَ الصّلاح[٨]

---

(١) (أ) ، (خ) : « أبناء » .
(٢) في الأصل : « مقابر » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) : « يشتري » .
(٤) « عالم » : ليست في (أ) .
(٥) يقال : ابتلق الطريق : وضح .
(٦) (أ) : لما ورد إلى ، وما في الأصل يوافق الوافي .
(٧) ماسيأتي من هذه الأشعار أثبته المؤلف في الوافي .
(٨) وهما في المنهل الصافي : ١٨٩/١ .

فكتبت أنا الجواب إليه :

خليلٌ في الشام هلالٌ بدا وبَدْرٌ إبراهيم في مصر لاح
ذا كامل من حيث ذا ناقص وذاك بُرْهان وهذا صلاح

ومن شعره ، وفيه لحن يسير :

وصاحبٍ أنْزَلَ بي صَفْعَةً فاغتظت إذ ضَيَّع لي حُرْمَتي
وقال في ظهرك جاءت يدي فقلت لا والعَهْد في رقبتي(١)

ومنه :

ومُفَنَّن يَهْوى الصِّفَاعَ ولم يكن إذا ذاك فَنّي
مَلَّكتُه عنقي الدقيق فراح يَنْخَلُهِ بغبن(٢)
ما كان مني بالرضى لكنه من خَلْف أذني
لولا يدٌ سبقت له لأمرته بالكفّ عني

ومنه :

أيري إذا ندبته في حاجة تنزل بي(٣)
قام لها بنفسه ما هو إلا عصبي(٤)

ومنه :

عاتبتُ أيري إذْ جاء مُلتثماً بالخزي من عِلْقه فما اكترثا(٥)

---

(١) البيتان في المنهل : ١/١٨٩ .
(٢) في الوافي : « ينجله » ... وفي الفوات بعجن .
(٣) (أ) ، (خ) : « لحاجة » . وفي المنهل : « لحاجة تختص بي » .
(٤) (أ) ، (خ) : « قام إليها مسرعاً » ، والبيتان في المنهل : ١/١٨٩ .
(٥) (أ) : « بالخرى » .

بـل قـــال لي حين لمتـــه قَسماً ... مــا جـزت حَمّــام قعره عبثــا
كيف وفيهـا طهــارتي وبهـــا ... أقلِب مــاء وأرفـع الحـــدثـــا[١]

وفيه :

لَمّـا جَلَـوا لي عروساً لست أطلبها ... قـالوا لِيهْنِـكَ هـذا العرسُ والـزينـه
فقلت لمـا رأيت النهـد منتفشـاً ... رمّـانـة كُتِبَت يـاليتهـا تينـه[٢]

ومنه :

قـال لي العـاذلـون أنحلـك الحُـ ... ـبّ وأصْبَحْتَ في السّقـام فريـدا
أإذا صِرت من جفـاهم عظـامـا ... أَبِـوصْـلٍ تعـود خَلْقـاً جـديـدا
مـــا رأينـــا ولا سمعنـــا بهـــذا ... قلت ﴿كونوا حجارة أوحـديـداً﴾[٣]

ومنه :

قسماً بمـــا أُوْليتُ من إحســـانــه ... وجميلـه مـا عِشْتُ طُـوْلَ زمـاني[٤]
ورأيت مَنْ يُثْنِي على عليـــائـــه ... بـــالجـود إلاّ كنتُ أوّل ثـــان

ومنه ، وفيه لحن وتحريف[٥] :

كلفي بطبـــاخٍ تنـوَّع حسنـــه ... ومـزاجُـه للعـــاشقين يـوافـق
لكنْ مخـافي من جفـاه وكم غـدت ... منـه قلـوبٌ في الصـدور خـوافـق[٦]

---

(١) في الأصل : « وأدفع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « منتعشاً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، الوافي .
(٣) فيه اقتباس والآية [الإسراء ١٧/٥٠] .
(٤) (أ) ، (خ) : على إحسانه .
(٥) قوله : « وفيه لحن وتحريف » ، ليس في (أ) .
(٦) البيتان في المنهل : ١/١٩٠ .

ومنه وفيه لحن ظاهر[(١)] :

في خـــــدٍّ مَنْ أحببتـــــه ... وردٌ جنيّ أَجْنـــــــــــهُ
وشــــامـــــةٌ ذقت لهـــــا ... حــــلاوةً في صَحْنـــــه

ومنه :

لـــــجّ العـــــذول ولامَني ... فيمن أُحبُّ وعَنَّفـــــــــــا
فهممت أَلطُمُ رأســـــــه ... ممـــا مُلئت تـــأسفـــا[(٢)]
لكنهـــــا زلقت يـــــدي ... نَـــزَلَتْ على أَصْـــل القفـــا

ومنه ، وفيه عيب التضمين[(٣)] :

هَـوِيْتُ طبّـاخـاً سَـلاَني وقـد ... قـلا فُـؤَادي بعـــد مـــا رَدّه
محترِقــاً ولم يــزل بـــالجفـــا ... يَغْرف لي أحمضَ مـــا عنـــده

ومنه :

قـالـوا تَسَبَّبْ في الجنـائـز واكتسب ... رزقـاً تعيش بـه أَجَـلّ حيـاة
فـــأجبتهم رَدّاً على أقـــوالهم ... أرأيتم حَيَّـــاً من الأمـــوات

ومنه :

شكـــــوت للحبّ منتهى حُرَقي ... ومـا ألاقيـه من ضنى جَسَـدي
[قـــال تـــداوى بريقي سحراً ... فقلت يـابردهـا على كبـدي][(٤)]

ومنه :

(١) قوله : « وفيه لحن ظاهر » ، ليس في : (أ) .
(٢) (أ) : « لَمّا ملئت » .
(٣) « وفيه عيب التضمين » ليس في : (أ) .
(٤) البيت من (أ) ، (خ) ، والوافي .

وقــــزّاز يُغَـــــازلني   بحــاشيـــة لهــا رقّـــه
أبيتُ مُسَهـــداً منـــــه   أنيّر مِنْ جَــوَى الحُرْقَـــه
أســـدّي تحت طَـــاقَتــه   كأني حـــارِسُ الشقـــه

ومنه :

يــا أغنيــاء الــزمــان هــل لي   جرائمُ عنـــــدكم عظـــــام
فضّتكم لا تـــــــــزال غَضْبي   فـــلا ســـلامٌ ولا كـــلام
والــــــذهب العَينُ لا أراه   عَيْنِيَ من عينـــــه حرام[1]

ومنه :

يـــا قَلْبُ صَبراً على الفراق ولَــوْ   رُوِّعْتَ من تحبّ بـــــالبين[2]
وأنت يـــا دَمْـعُ إن ظهرت بمـــا   يخفيــــه قَلْبي سقطت من عيني

ومنه :

متى أرى المحبــوبَ وافَى بــالهنــا   ونحن في دار ولا واش لنــــــا
أيّ ثـــلاثُ مــــالهن رابـــع   مثـــالــه الــدّار وزيـــدٌ وأنـــا

ومنه مواليا :

يَقـل لهـا زوجهـا لا تَخْتَشِي مِنْ لُـوم   ولا تقي كل من في الأرض وأنـا الكوم[3]
واتسيّبي واطْعِميني أبْقَ من ذا اليـوم   أنعس وأرقـد ومثلي مـا ترى في النـوم[4]

(١) (أ) : « لا تراه » .
(٢) (أ) : « رُميت » .
(٣) في الوافي : « يقول لها .. ولا تقي » .
(٤) قال ابن تغري بردي (١٨٩/١) : « وما أورده الصفدي هو الرديء من شعره فله أحسن من ذلك » . ثم قـال : « قلت : وديوان شعره مشهـور ، وهـو في غـايـة الظرف والرقـة ، وكان سريـع البـديهـة » ، (١٩١/١) .

الألقاب والنعوت

☆ **الإبراهيمي** : الأمير سيف الدين بلبان الإبراهيمي . توفي بحماة .

☆ **الأمير حسام الدين لاجين** : أمير خازندار . توفي بالقاهرة .

☆ **الأمير علاء الدين طيبغا الإبراهيمي** : توفي بصفد .

☆ **الأبلوج** : الواعظ محمد بن عمر .

☆ **الأبرقوهي** : الشيخ شهاب الدين المسند أحمد بن إسحاق .

☆ **ابن الأثير** : عماد الدين إسماعيل بن أحمد ، وشمس الدين سعيد بن محمد ، وحفيده شمس الدين سعيد بن محمد ، والقاضي علاء الدين علي بن أحمد ، وكمال الدين محمد بن إسماعيل ، وتقي الدين يحي بن عبد الرحيم ، وابن الأثير الواعظ ، شمس الدين الحسين بن أسد . وابن الأثير الأرمنتي ، علي بن عبد الرحيم .

٦٥ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن عبد الضيف بن مصعب الصدر نور الدين أبو العباس الخزرجي الدمشقي .

قرأ القرآن على السَّخاوي ، وروى الحديث عن التقي اليَلْدَاني ، وكان نحوياً لغوياً أديباً ، له فضائل وعَمَلٌ واشتغال ، وكان من أرباب الأموال .

كان فيه رئاسة وحِشْمَة ، وله في المكارم عَزْمَة وهِمّة ، وعنده قوة نفس وزَعَارة[1] ، وشمم سرى فيه من نَفَس الوزارة ، وله أدب وقريض ، وفضل عريض .

---

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٨ .

(١) أي : شراسة .

لم يزل في حاله ، على صحته وانتحاله ، إلى أن هانت من ابن مصعب حياته ، وتسلطت عليه من ثمرة الموت جُناته[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

ومن شعره ما كتبه في كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال :

وكنا عهدنا أرض جِلّق رَوْضَة ... بها الحُسْن يَجْري مُطْلقا في عنانه
خشينا بها عين الكمال تُصيبها ... فما زال حتى ساءها بلسانه

٦٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن*

الشيخ القُدْوَة عماد الدين بن العارف الواسطي الشافعي الصوفي نزيل دمشق .

لقي المشايخ وتَعَبَّد ، وترك الرئاسة وتزهّد ، وقطَعَ العلائق وتجرّد ، وكتب المنسوب حتى أخْمَل الحدائق ، وأتى في طرسه بكل سطر على العقد فائق .

وكان يرتزق بنَسْخه ، ويتبلّغ منه بصَيدِ فَخّه ، ولا يحبّ الخوانق ، ولا الاحتجاز ولو في دانق .

وتفقه للشافعي ، ونظر في (الروضة)[٢] والرافعي[٣] ، وكان عنده أدب يتحلّى بقلائده وتتجلّى محاسنه في فرائده ، واختصر (دلائل النبوة)[٤] ، و (السيرة لابن

(١) (أ) : على ثمرِ من الموت جناته .

* الوافي : ٢٢١/٦ ، وفوات الوفيات : ٥٦/١ ، والدرر : ٩١/١ ، والشذرات ٢٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/١ ، وفيها جميعاً : شيخ الحزاميّة .

(٢) الروضة في الفروع للإمام النووي (ت٦٧٦هـ) .

(٣) في شرحه على الوجيز للغزالي .

(٤) لعلّه للبيهقي ، ولم يشر صاحب الكشف إلى هذا الشرح ، الكشف : ٧٦٠/١ .

إسحاق) مع القدرة والقوّة ، وتسلّك به جماعة ، وألف الضراعة من الرضاعة ، ونابذ الاتحادية(١) وأرباب المعقول ، وقال فيهم ما أحبّ أن يقول(٢) .

عاش بضعاً وسبعين سنة ، وعينه من الانقطاع عن الدنيا وَسِنة ، ولم يزل على حاله إلى أن الْتَقمته الأرض ، وأودعته بطْنَها إلى يوم العَرْض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى عشرة وسبع مئة بالبيمارستان الصغير .

ومولده في سنة سبع وخمسين وست مئة بواسط ، ومن شعره ...(٣) .

٦٧ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن عاصم .

الإمام العلاّمة المقرئ المحدّث النحوي الحافظ الْمُنْشِئ ، عالم الأندلس .

طلب العلم في صغره ، وتلا بالسبع على الشيخ علي بن محمد الشاري(٤) ، صاحب ابن عبيد الله الحَجَري(٥) ، وعَلَى إسماعيل بن يحيى الأزدي العطار(٦) صاحب ابن حَسْنُون(٧) .

---

(١) عقيدة لبعض المتصوفة .

(٢) « أن يقول » : مطموس في الأصل .

(٣) كذا بياض في الأصل و (أ) .

* الوافي : ١٢٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٢١٢/١ ، والدرر : ٨٤/١ .

(٤) (أ) : « الساري » ، تحريف ، والشاري هو الإمام الحافظ المقرئ المحدث علي بن محمد (ت٦٤٩هـ) ، والسير : ٢٧٥/٢٣ ، وغاية النهاية : ٥٧٤/١ .

(٥) الشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٦) (ت٦٦٨هـ) ، غاية النهاية : ١٧٠/١ .

(٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسنون الحميري الأندلسي مقرئ مشهور (ت٦٠٤هـ) ، غاية النهاية : ٢٤١/٢ .

وسمع من سعد بن محمد الحفار[١] ، ويحيى بن أبي الغُصن ، وإسحاق بن إبراهيم بن عامر[٢] الطَّوْسي - بفتح الطاء - ، ومحمد بن عبد الرحمن بن جوير[٣] البَلِنسي ، وإبراهيم بن محمد الكَمَّاد[٤] ، والوزير عبد الرحيم[٥] بن عبد المنعم بن الغرس ، وأحمد بن محمد السّراج[٦] ، والمؤرخ أحمد بن يوسف بن فرتون[٧] ، ومحمد بن أحمد بن خليل السكوني الكاتب[٨] ، والقاضي محمد بن عبد الله[٩] الأزدي ، والقاضي يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن بن الْمُرابط[١٠] ، والحافظ ا أبي يعقوب المحسَّايُ ، وطائفة سواهم .

قال لي العلاّمة شيخنا أثير الدين رحمه الله : كان يحرر اللغة ، ويعلمني المنطق ، يعني النطق بها . وكان أفصح عالم رأيته ، وأشْفَعَه على خلق الله تعالى .

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي فيما أخبرني به : منْ مسموعاته (السُنَن الكبير) للنَّسَائي سمعه من أبي الحسن الشاري بسماعه من أبي محمد بن عبد الله الحجري عن أبي جعفر البطروجي[١١] سماعاً متصلاً بينه وبين المصنف ستة ، وعني بالحديث عناية

(١) لم يذكره صاحب المنهل الصافي . كما لم يذكره ابن أبي الغصن .

(٢) (أ) : « ابن أبي عامر » . وهو متوفى سنة (٦٥٠ هـ) . غاية النهاية : ١٥٥/١ ، وقيل (٦٥٥هـ) .

(٣) في الأصل ، والوافي (جرير) ، وهو تحريف وأثبتنا ما في أ ، والمنهل . وهو متوفى سنة (٦٥٥هـ) ، كما في النهاية : ١٦٠/٢ ، وفي المنهل : « جوير ، بجيم مشبوبة بشين » .

(٤) في الأصل : « الكباد » ، وفي أ : « العماد » ، تحريف ، وقد ترجم له الصفدي في الوافي : ١٢٠/٦ ، ووفاته سنة (٦٦٣ هـ) .

(٥) في الأصل : « عبد الرحيم » والصواب ما أثبتناه ، كما في البغية : ٨٣/٢ ، والمنهل : ٢١٣/١ ، ومن مصنفاته : غريب القرآن . (ت٦٦٣هـ) .

(٦) الأنصاري الأشبيلي المحدث (ت٦٥٧هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/١ .

(٧) له الذيل على الصلة والاستدراك والإتمام (ت٦٦٠ هـ) ، الأعلام للزركلي : ٢٧٤/١ .

(٨) (ت٦٤٦هـ) ، الوافي : ١٢٠/٢ .

(٩) في الوافي : عبيد الله ، وفي المنهل : « أبي عبد الله محمد بن عبيد الله الأزدي » .

(١٠) في الوافي : « عبد الرحمن المرابط » . وهو متوفى سنة (٦٥٨هـ) .

(١١) في الأصل : « البطروخي » ، تصحيف ، وهو : أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٥٤٢) ، السير : ١١٦/٢٠ .

تامة ، ونظر في الرجال ، وفهم وأتقن ، وجمع وألّف . أخذ عنه أبو حيّان وأبو القاسم محمد بن سهل الوزير ، وأبو عبد الله محمد بن القاسم بن رمّان ، والزاهد أبو عمرو ابن المرابط[١] وأبو القاسم بن عمران السبتي[٢] انتهى .

قلت : كان المذكور علاّمة عصره ، وفريدَ دهره ، ووحيد قُطره . هو في القراءات عالمها الدَّرِب ، وبَحْرَها الذي يبعث دَرَّة للمغترب .

وفي الحديث حافِظه ، وجامعه إذا رأى غيره وهو لافظه .

وفي أسماء[٣] الرجال جهبذها الناقد والساهر في شأنها وطرف النجم راقد .

وفي التاريخ قيِّمَ هذا الفن ، وقانص ماسنح منه وماعنّ . جمع تاريخاً ذيّل به على ابن بشكوال في (الصّلة) ، وجعل النسخة بذلك إلى زمانه مُتَّصلة .

وفي النحو فريد فنونه المتشعبة ، وأفانينه المتلعبة ، نظر فيه ودقّق ، وبحث وحقق ، وحذف كثيرا من الفضول ومزّق ، وغاظ قلوب مناظريه وحرّق[٤] .

وله مشاركة في أصولي الفقه والدين[٥] ، وقوة نظريّة فَتّتْ في عَضُد الملحدين .

وكان صبّاراً على مِحَنِه ، واقفاً على أطلال الجَلَد ودمَنِه ، يضحك تبسّماً ، ويشارك أصحابه في الخير مُقسّماً ، وعنده ورع زائد ، وله[٦] عقل إلى الصواب قائد . ارتحل

---

(١) في المنهل : « والزاهد أبو عمر ، وابن المرابط » ، وهو سهو . وهو محمد بن عنان بن يحيي بن أحمد بن عبد الرحمن الغرناطي أبو عمرو بن أبي عمرو ، توفي (٧٥٢هـ) .

(٢) في الأصل : « عمر بن السبتي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « وخاط قلوب مناظريه وخرّق » .

(٥) (أ) : « في الفقه وأصول الدين » .

(٦) ليست في (أ) .

الناس إليه لاتساعه في العلوم ، ومدّ باعه في المعارف التي مَنْ شبَّهَهُ فيها بـالبحر فهو غير مَلُوم .

ولم يزل على هذه الطريقة المثلى ، وحقيقتـه الفضلى[١] ؛ إلى أن راح لِـ « كان »[٢] خَبَراً ، وشارك قوماً على البلى صبراً .

وتوفي رحمـه الله تعـالى سنـة ثمـان وسبع مئـة . وقيـل : في شهر رمضـان سنـة سبع وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا أبو حيـان رحمـه الله تعـالى من قصيـدة يشير إليـه فيها :

جَـزَى الله عَنّـا شيخَنـا وإمـامَنَـا ... وأستـاذنـا البحر الـذي عم فـائـده[٣]
لقـد أطلعت جَيّـان أوْحَـد عصره ... فلِلْغَرْب فخر أعْجَـز الشرقَ خـالـده
مـؤرخـه ، نَحْـوِيّـه ، وإمـامـه ، ... محـدّثـه جلّت وصحت مَسَـانـده
إذا جـاهـلٌ يغشـاه فَهْـوَ مفيـده ... وإن آمـلٌ يعشـو إليـه فرافـده[٤]

٦٨ ـ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن راجح*

الإمام نجم الدين ابن الشيخ عماد الدين ابن القاضي نجم الدين بن الشهاب المقدسي الحنبلي ، سبط الشيخ شمس الدين بن أبي عمر .

---

(١) قوله : وحقيقته الفضلى ، ليست في (أ) .
(٢) (أ) : « فكان » .
(٣) (أ) : « الحبر » .
(٤) (أ) : « فوائده » .
* الوافي : ٢٢٣/٦ ، والدرر : ٨١/١ .

تفقّه واشتغل ، ودأب ولكن ما أتم العمل ، وحَصَل له جنون ، وانخراط بلا عقلٍ في فُنون ، وكان يقف في الطرق ، وينشد أشياء مفيدة ، ويحكي أشياء قديمة وجديدة ، ويخلط الجدّ بالهَزْل ، ويساوي بانحرافه بين الولاية والعزل ، وينبسط على المُرْد الذين ماتَدَبَّجَتَ خدودهم ، ولا تسيجّت بآس العذار ورودهم ، ويشحَذ في كفّه ويحطّ في فكّه ، ويجوز زغل ديناره على من يجهله[1] من غير حَكّه .

وكان له تلاميذه وَرِبُون[2]، وحربه زبون[3] ، ثم إنه يثوب إليه عَقْلُه ، ويجلو سَيْفَه من صَدَإ[4] به صَقْلُه ، فعل ذلك مرات ، واعتمده كرّات .

ولم يزل على ذلك إلى أن خنقته يد منونه ، في وسَط جنونه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة .

ومولده في نحو ستين وست مئة .

وهو أخو المفتي شمس الدين الحنبلي نزيل مصر . قال الشيخ شمس الدين : كان يأكل الحشيشة .

٦٩ ـ أحمد بن إبراهيم بن صارو*

شهاب الدين أبو العباس البعلبكي ، نزيل حماة .

طلب الحديث في الكبر ، وسمع من المِزّي[5] ، وزينب[6] ، وأبي العباس

---

(١) (أ) : « يجوز على ديناره على من يجهله » .

(٢) من المواربة ، وهي المداهاة والمخاتلة .

(٣) الحرب الزبون : هي التي يدفع بعضها بعضاً كثرة .

(٤) في الأصل و (أ) : « صدأته » ، ولعل ما أثبتناه أقرب إلى السياق .

* الدرر : ٩٠/١ .

(٥) يوسف بن عبد الرحمن ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) هي زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠هـ) ، ذيل العبر ٢١٣ ، الدرر ١١٧/٢ ، والشذرات ١٢٦/٦ .

الجزري[١] ، وعدّة . وتلا بالسبع على الجَعْبري[٢] .

كان له ذوق في العلم ، وطوق تحلّى به من الحلم[٣] ، وله شعر يُظن أنه سحر . نزل بحماة . وجعلها بعد بعلبك حماه .

ولم يزل يتقلّب مع دهره ، ويتبّرض بحلوه وبمّره[٤] ، إلى أن حلّ بـه الموت ، ونزل به الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

ومن شعره : ...[٥]

٧٠ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن عبـد الغني شمس الـدين قـاضي القضـاة الحنفي بـالـديـار المصريّـة ، المعروف بالسَّروجي .

كان فاضلاً في المذهب ، يُغِير ذِهْنُـه على المعضلات وينهب ، والعُـدُول يلتفعون[٦] به ، ويتمسكون بِسَببـه ، عَـدَّل جمـاعَـة ، وأغنـاهم عن المجـاعـة . ولم يُسمع أنـه ارتشى ،

---

(١) أحمد بن يحيى بن محمد (ت٧٢٨) ، الشذرات : ٨٦/٦ .

(٢) إبراهيم بن عمر الجعبري المقرئ (ت٧٣٢هـ) ، الدرر : ٥٠/١ ، والشذرات : ٩٧/١ .

(٣) (أ) ، (خ) : « في الحلم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « ومرّه » .

(٥) كذا بياض في الأصل .

* تالي وفيات الأعيان : ٨ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والـدرر : ٩١/١ ، والمنهل الصـافي : ٢٠١/١ ، وأعلام الزركلي : ٨٦/١ .

(٦) في (أ) : « ينتفعون » .

ولا راقب جاها[١] ولا اختشى ، ذا همة وافرة ، وكلمة على الحق مُتَضافرة ، لـه مشـاركـة جيدة في النحو والتصريف ، يطرز بها دُرُوسَهُ ، ويُجَلِّي بها في المحافل عروسه[٢] .

شرح (الهداية) في مذهبه شرحـا كبيراً[٣] ، وحشـاهـا من الفوائـد[٤] لؤلؤاً نثيراً ، ولكن مـا كمّلـه ، ولا غشّـاه بـالتتمـة ولا زمّلـه ، وكان فيـه سماحـة ، وميـل إلى الجـود ورجاحة .

دَرَّس بـالصـالحيـة[٥] ، والنـاصريـة[٦] ، والسيـوفيـة[٧] ، والأركسيـة ، والجـامـع الطولوني ، وعـزل غير مرة بـالقـاضي حسـام الـدين[٨] وأعيـد ، وزان بـذلـك صنـاعـة الترديد ، ولم يزل حاكا إلى أن عاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، فعزله لما في نفسه من القضـاة ، وأظهر لـذلـك عـذراً ، وإنما كان قـد أسرّ أمراً في نفسـه وقضاه ، فتألم السّروجي ، وبات[٩] بليل من الهم دَجُوجيّ ، وأظهر القنـاعـة بتـدريس الصالحية والإقامة فيها ، ومنّى النفس بالعودة[١٠] ، وتلا آيـات تلافيهـا ، فـأخرجـه ابن

(١) في الأصل : « جاهلاً » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) قوله : « يطرّز بها ... عروسه » ليس في (أ) .
(٣) سمّاه الغاية ، وهو في مجلدات ، ولم يكمله ، وكمّله القـاضي سعـد الـدين محمـد الـديري (ت٨٦٧هـ) ، الكشف : ٢٠٣٣/٢ .
(٤) (أ) : « الفرائد » .
(٥) الصالحية في القاهرة ، بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤١هـ) ، النجوم : ٣٤١/٦ .
(٦) الناصرية في القاهرة بجوار قبـة الإمـام محمـد بن إدريس الشـافعي ، أنشـأهـا السلطـان الملـك النـاصر صلاح الدين بن أيوب ، خطط المقريزي : ٤٠٠/٢ .
(٧) المدرسة السيوفية في القاهرة ، أوقفها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنـة (٥٧٢هـ) ، وهي أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر ، (حاشية المنهل ٢٠٥/١) .
(٨) أحمد بن الحسن الرازي ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٩) (أ) : « ونام » .
(١٠) (أ) : « بالعَوْد » .

الحريري منها بالنُّقباء ، وأشمَتَ به قلوب الحسدة والرقباء ، فزاد به الألم ، ومرض فجف من حياته ريق القلم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة(١) .

٧١ ـ أحمد بن إبراهيم الخطيب شهاب الدين السنجاري*

[خطَب](٢) بكفر مَدْيَرا .

سمع بمصر وبالثغر من أصحاب السِّبط ، وحصّل من ذلك درر السِّمط ، وسمع بدمشق أشياء ، وأدرك بذلك منزلة علياء . وله نظم جوَّده ، وفَضْل تعوّده .

لم يزل على حاله إلى أن ذوى عوده ، وتقلصت من الحياة بروده .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في سن الكهولة .

ومن شعره ...(٣)

٧٢ ـ أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء**

الإمام المقرئ النحويّ ، المفيد البارع ، الخطيب شرف الدين أبو العباس الفزاري الصعيدي الدمشقي الشافعي خطيب الجامع الأموي بدمشق .

---

(١) في المنهل : « مولده بثونة : بليدة من عمل سروج في سنة سبع ، وقيل : تسع وثلاثين وست مئة » .

* الدرر : ٨١/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) بياض في الأصول .

** تالي وفيات الأعيان : ١٠ ، والدرر : ٨٩/١ ، وغاية النهاية : ٣٣/١ ، والبغية : ٢٩٢/١ ، والشذرات : ١١/٦ ، والبداية والنهاية : ٣٩/١٤ ، وعقد الجمان ٤١٣/٤ ، وفيات (٧٠٥هـ) .

تلا القرآن بثلاث روايات على السخاوي ، وسمع منه كثيراً ، وتلا بالسبع على غير واحد .

وأحكم العربية على مجد الدين الإربلي[١] ، قرأ عليه (المفصَّل) .

وسمع من عتيق السلماني[٢] ، والتاج القرطبي[٣] ، ونجم الأمناء عبد الرحمن ، وابن الصلاح[٤] ، وطائفة . ثم طلب الحديث بعد سنة ستين وست مئة ، وأكثر عن ابن عبد الدايم والكرماني[٥] وابن أبي اليسر ، وقرأ الكتب الكبار ، وقرأ المسند على شيخ الشيوخ ، وحدّث بالصحيح بإجازته من ابن الزَّبيدي[٦] .

وولي مشيخة الرباط الناصري[٧] ، ومشيخة التربة العادلية[٨] مدة .

وولي خطابة الجامع بالشاغور[٩] ، ثم نقل إلى خطابة الأموي ، وكان قرأ على الكراسي ، وحدّث (بالسنن الكبير) للبيهقي ، وسمع (شرح الشاطبية) من السخاوي .

وقرأ عليه العربية الشيخ برهان الدين ابن أخيه ، والشيخ كمال الدين ابن شُهْبَة ،

---

(١) أبو عبد الله الحسين إبراهيم اللغوي (ت٦٥٦) ، السير : ٣٥٤/٢٣ ، والوافي : ٣١٨/١٢ .

(٢) عتيق بن أبي الفضل السلماني المقرئ (ت٦٤٣هـ) ، العبر : ١٧٧/٥ .

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي القرطبي (ت٦٤٣هـ) ، العبر : ١٧٩/٥ .

(٤) عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو (ت٦٤٣هـ) ، السير : ١٤٠/٢٣ .

(٥) بدر الدين عمر بن محمد (ت٦٧٩) ، العبر : ٢٨٩/٥ .

(٦) سراج الدين ، أبو عبد الله الحسين بن المبارك (ت٦٣١) ، السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٧) بسفح جبل قاسيون ، داخل دار الحديث الناصرية ، الدارس : ١٩٣/٢ .

(٨) وتعرف بالتربة العادلية البّرانية ، غربي دار الحديث الناصرية البرانية بدمشق ، الدارس : ٢٦٠/٢ .

(٩) من أحياء دمشق إلى اليوم ، إلى الجنوب من المسجد الأموي .

والشيخ نجم الدين القَحْفَازي[١] . وتلا عليه الشيخ بدر الدين بن بُصْخَان[٢] والشيخ محمد بدر الدين البالسي[٣] .

وكان مليح القراءة ، ظاهر الوضاءة ، عذب العبارة ، لطيف الإشارة ، حَسَن النّغْمة ، يعد الناس سماعه نِغْمَة ، سريع السرد ، يَشهد له الذوق أنه في فنّه فَرْد ، محرّر الألفاظ مجوّدها ، معلّى قَدْر الخطابة مُسوَّدها ، عديم اللحن والتحريف ، بصيراً بالنحو والتصريف. تخرّج به جماعة صاروا بعده أشياخاً ، وكانوا وهو في فريضته فراخاً ، وله في التواضع أخبار ، وفي الأسماع منه أسمار ، مع التودد المفرط ، والكَيس والدّعابة ، والخشوع والزهد والإنابة ، وصِدْق اللهجة والمروءة التي يسمح فيها ببذل المهجة . ولم يزل على هذه السبيل المرضيّة إلى أن انجزم فِعْلُه ، وانصرم فضله .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة[٤] .

وكان قد باشر مشيخة دار الحديث الظاهرية في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن الشيخ شرف الدين الناسخ[٥] .

٧٣ ـ أحمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز ، الفقيه الفاضل شهاب الدين بن محمد[٦] الجزري الشافعي .

(١) علي بن داود ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) محمد بن أحمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) عمر بن محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٤) (أ) : « ثلاث وست مئة » .
(٥) هو عمر بن محمد بن عمر بن حسن بن خواجا (ت٧٠٢هـ) . وستأتي ترجمته .
* لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ من ترجمته (خ) .
(٦) (أ) : « ابن مجد الدين » .

حصل تحصيلاً جيداً ، ولم يكمل الثلاثين سنة . وأكثر من المحفوظات في الفقه والأصلين والنحو وغير ذلك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع بقراءتي كثيراً من الحديث ، وكان يحفظ أسماء مسموعاته وشيوخه ، ويذاكرني بها .

توفي رحمه الله تعالى في شهر المحرم سنة سبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة سبعين وست مئة .

٧٤ ـ أحمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد*

الشيخ شهاب الدين الجَعْبَري .

توفي ليلة الجمعة خامس جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة . وصلّي عليه بجامع الحاكم بالقاهرة ، ودفن عند قبر والده ظاهر باب النصر .

٧٥ ـ أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن شرف**

القاضي الإمام العالم الفاضل جمال الدين أبو العباس العثماني الدِّيْبَاجي الملَّوي المعروف بالمنفلوطي .

كان رجلاً مباركاً صالحاً خيراً . اشتغل وحصّل ، ولازم الطريقة الحميدة ، وحج وجاورَ ، وَلَمّا قدم الشيخ علاء الدين القُوْنَوي[1] إلى دمشق قاضي القضاة ، قدم معه ، فولاّه قضاء بعلبك ، فأحسن السيرة في أهلها ، فأحبّوه ورأوا من عفافة وأمانته وديانته وصيانته ما لم يروه من حكم قبله ، ثم إنه نقله إلى نيابة الحكم بدمشق ، فباشرها إلى أن

* الدرر : ٩٦/١ .

** الدرر : ٩٧/١ ، وطبقات السبكي : ٧/٩ .

(١) علي بن محمود ، وستأتي ترجمته .

توفي ، واستمر به قاضي القضاة علم الدين الإخنائي[١] ، فباشر ذلك أياماً يسيرة ومات . وباشر أيضاً إعادة[٢] الشامية البرانية ، وجلس بالجامع الأموي للإشغال ، وسمع (صحيح) البخاري على الحَجّار[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ، ودفن بالصوفية .

٧٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم بن شداد*

الشيخ الفقيه الإمام المقرئ ضياء الدين أبو الفضل ابن الشيخ الإمام الزاهد الورع شيخ القراء برهان الدين الإسكندري الشافعي إمام مشهد أبي بكر بجامع دمشق .

سمع من ابن عبد الدايم جميع (صحيح مسلم) حضوراً في الرابعة ، سنة ست وستين وست مئة ، ورواه عنه ، وسمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والقاضي ابن عطاء[٤] ، وابن النُشّي ، وابن البن[٥] ، والكمال ابن فارس[٦] ، وطاهر الكحال[٧] ، والشيخ شمس الدين ابن أبي عمر ، وابن البخاري[٨] ، وجماعة ، وله ثبت وإجازات . كان يجلس مع الشهود .

---

(١) محمد بن أبي بكر الإخنائي (ت ٧٣٢) ، وستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (أ) . والمدرسة الشامية البرانية بدمشق ، أنشأتها ست الشام بنت نجم الدين أيوب المتوفاة (٦١٦ هـ) ، الدارس ٢٠٨/١ .

(٣) أحمد بن نعمة بن حسن ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٩٥/١ .

(٤) أحمد بن محمد ، وستأتي ترجمته .

(٥) لم نقف على ترجمته ، ولعلّه ابن النن ، انظر الشذرات : ٣٦٤/٥ .

(٦) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦) ، العبر : ٣٠٧/٥ .

(٧) (ت ٦٧٦ هـ) .

(٨) هو علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي (ت ٦٩٠ هـ) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج ، وقرأت عليه بعدّة أماكن .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشري شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

مولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

٧٧ ـ أحمد بن أحمد بن محمد بن عثمان*

الشيخ موفق الدين بن تاج [الدين][١] السعدي الشارعي .

سمع من جد والده جمالِ الدين أبي عمرو عثمان[٢] ، وهو آخر من حدّث عن جدّ أبيه بالسماع .

أخذ عنه الواني[٣] وابْنُه ، وأقضى القضاة أبو الفتح السبكي[٤] ، وشمس الدين السروجي[٥] ، والشيخ تقي الدين بن رافع[٦] ، وشهابُ الدين أحمد بن أيْبَك الدمياطي[٧] ، وسعد الدين الذّهْلي[٨] . لحقه بآخر رَمَق . وله سماع من ابن البرهان[٩] أيضاً ، لم يزل يُسْمِعُ الطلبة عليه ، ويجلس في دست المشيخة ، وهم بين يديه . إلى أن وافاه أجله ، وما أمهله أمَلَه ، وقد[١٠] أجاز لي .

* الوافي : ٦/٢٣٣ ، والدرر : ١/١٠١ ، والشذرات : ٦/١٢٠ .

(١) زيادة من (أ) والوافي .

(٢) ويعرف بابن أبي الحرم السعدي المصري الشارعي الواعظ (ت٦٥٩) ، السير ٢٣/٣٥١ ، والعبر : ٥/٢٥٤ .

(٣) في (أ) : « الفراتي » ، تحريف ، والواني هو علي بن عمر (ت ٧٢٧) ، الدرر : ٣/٩٠ .

(٤) محمد بن عبد اللطيف ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أحمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته .

(٦) صاحب الوفيات (ت ٧٧٤هـ) .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٩) محمد بن إبراهيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(١٠) (أ) : « وقد كان » .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٧٨ ـ أحمد بن أحمد بن عطاء*

القاضي شهاب الدين الأَذْرَعيّ الحنفي وزَيرُ الشام .

حضر والده الحاج أحمد إلى دمشق ، وأقام بجبل قاسيون ، ونشأ ولده هذا بدمشق ، وكتب للأمير بدر الدين بَيْلَبَك الجاشنكير الحلبي[(١)] في دولة الظاهر . وحَنَا الأمير المذكور عليه ، لأنه ماهر . ثم إن الأمير قُطع خُبْزُه ؛ لأنه ظهر عَجْزُه ، ورُمِيَ بالبَرَص . وقيل إن البعد منه يُفترص ، فلازم شهابُ الدين المذكور باب الأمير بدر الدين المسعودي نائب الأمير حسام الدين طرنطاي[(٢)] ، فرتبه لمهات الأمير زين الدين كتبغا[(٣)] . فخدمه ، ونال بخدمته ما أمّل وابتغى ، فضمن له وابتاع ، وارتاع بعض الناس منه والتاع ، ولمّا تَوَلّى كتبغا النيابة بمصر كان شهاب الدين ناظرَ ديوانِ النيابة بالشام ، وأضيفت إليه الحِسْبة مع ذلك النظام ، فشرع في المشترى والعمائر ، وأدار على الناس بذلك الدوائر ، وفي ضمن ذلك اشترى كثيراً لنفسه ، وتعدّى بذلك طَوْرَ أبناء جنسه ، فلّما تملك كتبغا ، وحضر إلى دمشق سنة خمس وتسعين وست مئة ، والصاحب فخر الدين ابن الخليلي[(٤)] معه ، رتب شهابَ الدين المذكور في الشام وزيراً ، وقُدِّمَ على من كان كبيراً أو صغيراً ، فاقترح أن يكون الْمَشدَّ معه فتح الدين ابن صَبْرة[(٥)] ، ولم يرض بشمس الدين الأعسر[(٦)] رفيقاً ، وقال : هذا ثَبَتت خيانته فما

---

* تالي وفيات الأعيان : ٣١ ، والدرر : ١/١٠٠ .

(١) (ت٦٧٦هـ) ، الشذرات : ٥/٣٥١ .

(٢) طرنطاي بن عبد الله العادلي (ت ٧٣١هـ) ، والدرر : ٢/٢١٧ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) ستأتي ترجمته في موضعها .

يسلك معي طريقاً ، فباشر الوزارة أياماً قلائل ، وظهرت لخموله دلائل . ولما خُلع كتبغا وهرب إلى دمشق وأقام بالقلعة ، وانفصل الحال ، وجُهّز إلى صرخد ، ولم يكن له إلى غيرها في ذلك الوقت منَفْد ، تولّى الأعسر الشدّ ، وصار الأمر له في الإعطاء والمنع ، والقبول والردّ ، فلم[1] يُقابل شهاب الدين إلاّ بالخير ، ولم يَلْحَقْه منه ضيم ولا ضير[2] ، مع زيادة الإحسان والفضل باليد واللسان .

ولما نقل كتبغا إلى حماة توجّه[3] شهاب الدين إليها ، ونزل بجملته عليها . ولما مات كتبغا التحق بالأمير جمال الدين الأفْرم[4] ، وأحرق نفسه في خدمته وأراه أنه من غيره أقْدَرُ وأصرم ، وأشار عليه بعمارة الجامع الذي بالجبل ، وتولى من عمارته ما لا له به قِبَل .

ثم إنه مرض بالفالج ، وغلب في أمره الطبيب والمعالج ، إلى أن خطفته[5] عُقَاب المنايا ، وطأطأ في القبر لتلك الحنايا ، وفرق[6] ما حصّله ، ولم يلتئم شمل ما أَجْمَلَهُ[7] وفَصَّله .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

٧٩ ـ أحمد بن أحمد بن الحسين*

ابن موسى بن موسك بن جكو ، الشيخ المحدث شهاب الدين الهكاري .

(١) في الأصل : « لم » ، ولا يستقيم المعنى إلاّ بالعاطف .
(٢) قوله : « فلم يقابل ... ولا ضير » ، ليس في (أ) .
(٣) (أ) : « وتوجّه » .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٥) (أ) : « اختطفته » .
(٦) (أ) : « وتمزق » .
(٧) في الأصل : « فصله » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* ابن رافع : ٢٩٠/١ ، والنجوم : ٢٤٨/١ ، والدرر : ٩٨/١ ، وغاية النهاية : ٣٧/١ ، والسلوك :=

كان شيخ الإقراء بمدرسة المنصور[١] بالقاهرة ، ونال بذلك النجومَ الزاهرة ، ونزل له قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي[٢] عن مشيخة الحديث بالمنصورية فباشرها ، وحاش الفوائد للطلبة وحاشرها .

أخبرني الشيخ تقي الدين بن رافع أنه كتب (الكتب الستة) ، و (طبقات ابن سعد) . وكثيراً من أجزاء الحديث ، وعَلّق منها ماهو قديم ، وماهو حديث .

ولم يزل على حاله إلى أن عَلِق به مخلب الحِمَام ، ونقل شهابه إلى الكسوف بعد التمام[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بالقاهرة . وتوفي عن ست وسبعين سنة .

٨٠ ـ أحمد بن إدريس بن محمد بن مُفَرِّج بن مُزَيز*

الشيخ الإمام الفاضل الرئيس المعمَّر تاج الدين أبو العباس بن تقي الدين الحموي الشافعي الكاتب .

سمّعه أبوه حضوراً سنة ست وأربعين وست مئة من صَفيّة بنت عبد الوهاب القرشية[٤] . وارتحل به وسمّعه من مكي بن علاّن ، ومحمد بن عبد الهادي ، واليَلْدَاني ،

= ٨١١/٣/٢ . والظاهر أنّ ابن الجزري قد خلط بين ترجمته وترجمة ابنه .

(١) المدرسة المنصورية بالقاهرة أنشأها السلطان الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٣هـ) .

(٢) عبد الله بن محمد قاضي القضاة بالديار المصرية (ت٧٦٩) ، والشذرات : ٢١٥/٦ .

(٣) في الأصل : « بعد الكسوف إلى التمام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

* الوافي : ٢٣٤/٦ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٤/٦ .

(٤) أم حمزة الأسدية الزبيرية الدمشقية (ت٦٤٦هـ) ، والسير : ٢٧٠/٢٣ .

والشرف الإربلي[١] ،والبكري[٢] ، واليونيني[٣] . وسمع ببلده من شيخ الشيوخ[٤] ، وبمصر من أصحاب البوصيري .

وأجاز له من بغداد إبراهيم بن الخيّر[٥] ، وابن العُلَّيق ، ويحي بن قُميَّرة ، وأخوه أحمد .

وقرأ عليه الشيخ تقي الدين بن تيمية وعلى أبيه جزءاً في سنة ثمانين ، وحدّث بأشياء تفرّد بها . ورحل إليه الناس بسببها .

وكان ديِّناً ، رئيساً وقوراً صيّناً . ذُكر مرة لوزارة حماة ، ولو أراد لبلغ من المنصب منتهاه ، وكتب أبوه الخط الفائق ، وطريقه[٦] فيه أحسن الطرائق . مليح الوضع والترتيب ، جيّد الضبط للمشكل والغريب ، وقد رأيت بخطه أشياء كباراً ، مثل (صحاح الجوهري) ، و (الروض الأنف) ، وربما كتبها مراراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ذاق ابن مُزَيْز من الموت طعم العلقم ، وجرّعه الرَّدى سُمَّ الأرقم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

---

(١) الحسين بن إبراهيم (ت٦٥٦هـ) ، والسير : ٣٥٤/٢٣ .

(٢) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها ، وهو علي بن محمد بن أحمد (ت٧٠١هـ) .

(٤) هو شرف الدين الأنصاري .

(٥) إبراهيم بن محمود (ت٦٤٨هـ) ، السير : ٢٢٥/٢٣ .

(٦) (أ) : « وطريقته » .

٨١ ـ أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد*

الشيخ الإمام المقرئ الصّالح المحدّث مسند العصر شهاب الدين أبو المعالي بن القاضي رفيع الدين قاضي أَبَرْقُوه[١] الهَمَداني المصري القَرَافي[٢] الشافعي الصوفي .

حضر سنة سَبْعَ عَشْرةَ على عبد السلام السَّرقولي . وسمع في الخامسة سنة تسع عشرة من أبي بكر بن سابور بشيراز . وسمع ببغداد من أبي الفتح بن عبد السلام وابن صرما[٣] ، ومحمد بن البيّع[٤] ، وأكمل بن أبي أزهر[٥] ، والمبارك بن أبي الجود[٦] ، وصالح بن كَوّر ، وأبي علي بن الجواليقي[٧] ، وعدة . وبالموصل[٨] من الحسين بن باز[٩] ، وبحَرَّان من خطيبها فخر الدين بن تيمية ، وبدمشق من ابن أبي لقمة[١٠] ، وابن البن[١١] ، وابن صَصْرَى[١٢] ، وبالقدس من الأَوَهي[١٣] ، وبمصر من

* الوافي : ٢٤٢/٦ ، والبداية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٠٢/١ ، والشذرات : ٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٣٥/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٠/٤ وفيات (٧٠١هـ) .

(١) أبرقوه : بلد بأرض فارس ، من كورة باصطخر بأصبهان (معجم البلدان) .

(٢) القَرَافة : خطة بالفسطاط من مصر . (معجم البلدان) .

(٣) أحمد بن يوسف (ت٦٢١هـ) ، السير : ١٩١/٢٢ .

(٤) (ت٦٢٣هـ) ، الشذرات : ١١٠/٥ .

(٥) في الوافي : « زاهر » .

(٦) (ت٦٢٣هـ) ، السير : ٢٦٣/٢٢ .

(٧) الحسن بن إسحاق (ت٦٢٥هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٨) في الأصل : « بالمعضل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٩) في الأصل : « ابن بان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : الوافي ، وابن باز هو : الحسين بن عمر بن باز الموصلي (ت٦٢٢هـ) ، السير : ٢٥٨/٢٢ .

(١٠) هو محمد بن السيد بن فارس الأنصاري الدمشقي الصفار (ت٦٢٣هـ) . العبر : ٩٦/٥ .

(١١) أبو محمد الحسين بن علي الدمشقي (ت٦٢٥هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(١٢) الحسين بن أبي الغنائم (ت٦٢٦هـ) وستأتي ترجمته في موضعها . وفي (أ) : « صرصرى » .

(١٣) في الأصل : « الأوفي » ، وفي الوافي : « الأوفي » : تصحيف ، وكذا في السير : ٣٤٨/٢٢ « الإوقي » ، وفي =

أبي البركات بن الجبّاب[١] ، وسمع منه السيرة ، وله معجم كبير ، بتخريج القاضي سعد الدين الحنبلي .

حدّث عنه أبو العلاء الفَرَضي[٢] ، والمزّي ، والبِرْزالي ، وابن سَيِّد الناس ، وأبو الفتح ، والقاضيان القُوْنَوي والأَخْنائي[٣] ، وخلق[٤] ، وأكثر عنه شمس الدين الذهبي ، وخلق كثيرون .

عُمِرّ فتفرّد ، وتضرج خدّ الزمان به وتورّد ، ألحق الأحفادَ بالأجداد ، ورحل الناس إليه من أقاصي البلاد . وكان مباركاً خيراً ديّناً ، وصبره على الطلبة كثير وإن لم يكن ذلك هيّناً ، كان يزعم أنه رأى رسول الله ﷺ في النوم ، وأخبره أنه يموت بمكة ، وكذا كان ، فإنه حج ، وفيها فَضّ الله خاتم عمره وفكّه ، وبها فتح الموت له فاه وفكّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري الحجة[٥] سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده بأَبَرْقُوه سنة خَمْسَ عشرة وست مئة .

= الشذرات : ١٣٥/٥ في وفيات (٦٣٠ هـ) ، ما نصه : « الأَوَهي بفتحتين نسبة إلى (أَوَه) ، قرية بين زنجان وهمذان ، ثم ساق ترجمة المذكور ، واسمه الحسن بن أحمد بن يوسف نزيل بيت المقدس ، وكذا وقع الأوهي في العبر : ١١٩/٥ . وذكره ياقوت في معجم البلدان (أواه) فقال : « لقيته بالبيت المقدس تاركاً للدنيا ، مقبلاً على قراءة القرآن .. وسألته عن نسبه فقال : أنا من بلد يقال له : أوه فقال لي السلفي الحافظ : ينبغي أن تزيد فيه قافاً للنسبة ، فلذلك قيل لي : الأوقي » .

(١) في الأصل والشذرات : ٩٥/٥ : ابن الحباب ، والأشبه أنه تصحيف ، وأثبتنا ما في السير : ٢٤٤/٢٢ ، والوافي ، وابن الحباب هو : عبد القوي بن القاضي الجليس أبي المعالي (ت٦٢١ هـ) ، وقال الذهبي في المشتبه (٢٠٥) : كان جدّهم عبد الله يعرف بالجبّاب لجلوسه في سوق الجباب .

(٢) هو محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي الفرضي . (ت٧٠٠ هـ) وستأتي ترجمته .

(٣) وستأتي ترجمتهم .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) قوله : « في عشري الحجة » ، ليس في (أ) .

٨٢ ـ أحمد بن إسماعيل بن منصور*

نجم الدين الحلبي المعروف بابن التَّبَّلي[١] وبابن الجلال .

سمع من ابن رَوَاحة[٢] ، وابن خليل[٣] ، وجماعة . ولازم السماعَ مع الدمياطي[٤] فأكثر ، وقرأ بنفسه ، وتميّز بذاك على أبناء جنسه ، وكتب الطباق ، وبرّز في حلبة السّباق .

قرأ عليه علم الدين البرزالي جزء ابن حرب[٥] رواية العباداني ، وأجاز الذهبيّ مروياته .

ولم يزل إلى أن قضى ، وترك دنياه ومضى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده بحلب سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

٨٣ ـ أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم**

ابن سليمان بن حمايل بن علي المقدسي المعروف بابن غانم ، الفقيه العدل شهاب الدين بن عماد الدين .

---

* الوافي : ٢٥٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٤٠/١ .

(١) التَّبَّلي : نسبة إلى تَبَّل من عمل حلب . (القاموس) .

(٢) عبد الله بن الحسين (ت٦٤٦هـ) ، الشذرات : ٢٣٤/٥ .

(٣) يوسف بن خليل بن مَرّاجة ، محدّث الشام نزيل حلب (ت٦٤٨هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/٥ .

(٤) محمد بن عبد العزيز (ت٦٩٣هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ ، والشذرات : ٤٢٤/٥ .

(٥) هو علي بن حرب بن محمد الطائي من رجال الحديث المصنفين فيه (ت٢٦٥هـ) ، انظر : الكشف : ٥٨٨/١ ، والأعلام : ٢٧٠/٤ .

** الدرر : ١٠٤/١ .

كان أديباً فاضلاً له نظم ونثر ، وله وظائف وشهادة ، وكان خبيراً بالشروط ، مليح الكتابة ، وحجّ مرات ، وكان مؤذّناً بالجامع الأموي .

وسمع من ابن الواسطي[١] ، وحدّث عنه بطريق الحجاز .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشري شهر الله المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٨٤ ـ أحمد بن أوحد*

شهاب الدين ابن الأمير شرف الدين .

كان شهاب الدين من أمراء العشرات[٢] بدمشق . لما حضر الأمير علاء الدين[٣] إلى دمشق نائباً كان منحرفاً عنه لأجل والده ، ثم إنه سعى وتدخل إلى أن رضي عليه ، وأقبل بوجهه إليه ، وولاه مدينة دمشق ، فأقام في الولاية مدّة ، قاسى[٤] الناس منه بعض شدّة ، ثم إنه عزله وولاه شدَّ غزة والساحل ، فتوجه إليها وجسْمُه من فراق دمشق ناحل ، فأقام هناك إلى أن قَدم الفخري[٥] وحكم بدمشق فأحضره ، وعَزَم على إهلاكه ، ولكن الله أخَرَه ، لميله إلى المصريين على ما سيأتي فيما بعد ، فسعى في إزالة ما في خاطره منه ، واجتهد في رضاه عنه . فتم له ما أراد ، ونال[٦] المنى والمراد ، فقرَّبَه وأدناه ، وولاه نيابة بَعْلَبَكّ وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى دمشق ولم يجد إلى غيرها سبيلاً ، فأقام بها إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي ، وكان في عينيه فتل شديد ، وله أمل في الدنيا

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) (أ) : « العشراوات » . وأمير عشرة : مرتبة عسكرية يكون في خدمة صاحبها عشرة فوارس . (صبح الأعشى : ١٥/٤ ، ٢٧) .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولقي » .

(٥) سيف الدين قطلوبغا الفخري الناصري ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) ، (خ) : « وحصّل » .

مديد ، وكان يخبر[١] بأشياء قبل وقوعها ، فتقع وَفقَ ما قاله أو مقارِباً ، ولم أدْرِ من أين له علم ذلك مستقيماً موارِباً . وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله يتعجب من تلك الأخبار ، ويقول : هذا علم النجوم عنده قد بار .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٨٥ ـ أحمد بن أَيْبَك*

ابن عبد الله الحُسَامي المصري الدمياطي شهاب الدين بن عز الدين الشافعي الجُنْديّ ، عرف بابن الدمياطي نسبة إلى جده لأمّه .

سمع من الحَجَّار[٢] ، وأحمد بن عبد الرحمن[٣] بن دُرادَه ، وأبي عليّ الحسن بن عمر الكردي[٤] ، ومحمد بن أحمد بن الدَمّاغ [ومحمد][٥] بن الحسين بن رشيق ، وشَهْدَة بنت أبي الحسن بن عبد العظيم الحصيني[٦] ، ووَزيرة بنت عمر بَن أسعد بن الْمُنَجَّا[٧] في آخرين . وسمع بالإسكندرية من إبراهيم بن أحمد بن الغَرّافي[٨] وغيره ، وبدمياط من جماعة .

وكتب عَنّي وسمع بقراءتي بالقاهرة على الشيخين أثير الدين وفتح الدين[٩]

(١) (أ) ، (خ) : « يخبرنا » .

* الوافي : ٢٦٠/٦ ، والدرر : ١٠٨/١ .

(٢) أحمد بن نعمة بن حسن وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) « بن عبد الرحمن » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوفيات .

(٦) (خ) ، والوافي : « الحصنيّ » .

(٧) توفيت سنة (٧١٧ هـ) . وانظر ترجمتها في المنهل الصافي : ٣٨٢/٥ .

(٨) سلفت ترجمته .

(٩) أولهما أبو حيان الأندلسي ، والثاني ابن سيّد الناس .

وحدّث وهو شابّ ، وكتب بخطه ، وقرأ بنفسه ، وحصّل الأصول والفروع ، وانتقى على الشيوخ ، وجمع مجاميع ، وأرَّخ الوفيات ذيلاً على الشريف عز الدين ، وقرأ الفقه ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وجَمَع مشيخة للقاضي ضياء الدين بن الخطيب[١] ، فيها أربعون حديثاً ، تكلّم على كل حديث وما يتعلق به ، وقرأها عليه ، وسمعناها منه في سنة خمس وأربعين .

ولم يزل يسمع وينتقي ، ويرتفع في الانتخاب ويرتقي ، ويَمْتاح من قليب الدواة ويستقي ، إلى أن تحدّث الناس بوفاته ، وذهبت ذاته بصفاته ، وذلك في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكنت قد كتبت له على الأربعين حديثاً التي خرّجها للقاضي ضياء الدين أبي بكر بن الخطيب تقريظاً ، وهو ؛ وقفتُ على هذا التخريج الذي لا يَرُدّه ناظر ، ولا يدفع أدلته مناظر ، ولا يستغني عنه مُذاكر ولا مُحَاضر ، ولا يشبه حُسْنَه إلاّ الرياض النواضر ، على أنه لَمْعَةٌ من شهاب ، وهَمْعَةٌ من سحاب ، وجَرْعةٌ من شراب ، ودَفْعةٌ من عُباب ، لأن مُخَرِّجَه شهاب زّين ليل العلم الداج ، وبَحْرُ ألفاظه دررٌ ، وفوائده[٢] أمواج ، فلو عاصره ابنُ عساكر لم يذاكر ، أو الخطيبُ لما كان يطيب ، أو ابن الجوزي لانكسر قلبه ، وذهب لُبُّه ، أو ابن نُقْطة لَغرَق في بحره ، وبلَّه وبْلُه بقطره ، أو الحاكم لقضى له بالتفضيل ، ولم ينظر في جرح ولا تعديل ، خَرَجَّه لمولىً جَمّل البلدين ، ورئيسٍ يوضع تاجَ سيادته[٣] على فرق الفرقدين :

كريمٌ سادَ بالأفضال حتّى ... غدا في مَجْده بادِي السَّناءِ
له ذِكرٌ يُطَبِّق كلَّ أرضٍ ... فيملأ جوَّها طيبُ الثناء
فما يَخْفَى عُلاه على بصيرٍ ... وإنْ يخف فذو حسد يرائي[٤]

(١) يوسف بن أبي بكر بن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « وفوائد » ، وماأثبتناه من (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) ، (خ) : « رياسته » .
(٤) في الأصل : « وإن يخفى » .

وهَبْني قلتُ هـــذا الصبـحُ لَيْـلٌ   أيَعمَى العـالِمـون عَن الضيـاء

فلا أعلم تخريجاً أحْسَنَ منه ، ولا جزءاً غيره كلٌّ الفوائـد تُؤْخَـذُ عنـه ، جمع فيـه بين الرّواية والدّراية ، وبَلَغ فيه إلى غايةٍ تدلُّ على أنّـه آيـة ، فـالله يشكر سعيـه ، ويتولّى بعَيْنه رَعْيَه ، بمنّه وكَرَمه إنْ شاءَ الله تعالى ..

٨٦ ـ أحمد بن بَدْليك*

الأمير شهاب الدين السّاقي المعروف بمشد الشرابخاناه[(١)] .

وَرَدَ هو وأخوته الأمير سَيْفُ الدين شادي ، وسيف الدين حاجي ، وركْنُ الـدين عمر إلى مصر من البـلاد الشّرقيـة ، وخـدم الأمير شهـاب الـدين أحمـد عنـد الأمير سيف الدين بكْتُمر الساقي فجعلـه سـاقيـاً ، ولَبثَ عنـده مـدة ، ورآه السلطـان الملـك الناصر محمّد بن قلاوون فأعجبه ، فأخذه منه ، والظـاهر أنـه أخـذه بعـد موت بكْتُمر ، وجعله مشدّ الشرابخـانـاه ، ولم يزل عنـد السلطـان في أعـداد[(٢)] الخـاصكيـة ، ولمـا توفي السلطان أخرج إلى صفد ، إمّا في أيام قُوْصون أو بعـده ، أو أُخْرِجَ إلى حَلب ، ثم أُعيـد إلى مصر لما انقلبت الدولة ، ولما جُهِّز الحاج أرْقَطاي[(٣)] إلى نيـابـة حلب الأولى خرج هو معه ، ليقرّه في النيابة على العادة ويعود ، فورد المرسوم وهو في حلب أن[(٤)] يتوجـه إلى صفد ، ليقيم بها أميراً ، فأقام بها إلى أن قتل الكامل ، فتوجه إلى مصر ، ولمـا خلع المظفر

* الدرر : ١٤٤/١ ، والبداية : ٢٤٧/١٤ .

(١) مشد الشرابخاناه ، أو شاد الشرابخاناه : وظيفة يشرف صاحبهـا على بيت الشراب ، وفيـه مختلف أنواع الأشربـة المرصـدة لخـاص السلطـان ، وتكـون لأمير من أكابر أمراء المئين الخـاصكيـة المؤتمنين (صبـح الأعشى : ١٠/٤) .

(٢) (أ) ، (خ) : « عداد » .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها ، وكذا ما سيأتي من الأعلام .

(٤) (أ) ، (خ) : « بأن » .

كان هُوَ مِنْ جملة من قام بخلعه ، وقتله ، وكانوا ستة تكتب المطالعة إلى السلطان ، ويطيرها إليهم ، وكان أحمد منهم ، وكانوا إذ ذاك : بيبغاروس ، والأمير منجك ، والأمير سيف الدين شيخو ، والأمير سيف الدين طشتمر طلليه ، وسيف الدين الجيبغا ، والأمير شهاب الدين أحمد المذكور ، ووقع بين هؤلاء المذكورين خُلْفٌ ، فقال الأمير شهاب الدين : أيش بنا هذه المرة ما فيها أحد من أولاد السلطان إلا نْجرا[١] بالسيف ، ومن صَحَّ منا جلس على التخت ، فأذعن الجماعة له الطاعة ، وتركوه مدة أيام[٢] ، وأخرجوه إلى صفد نائباً[٣] عوضاً عن الأمير سيف الدين قطز ، فوصل إليها في ثاني شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن أمسك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، فحضر إليه الأمير قاري الحموي السلحدار في الظاهر بسبب الحوطةِ على موجود الوزير وحواصله ، وفي الباطن بإمساكه ، وكأنه فهم القضية ، فجهز إليه من تَلَقَّاه من الطريق ، ولم يمكّن أحداً من الاجتماع به ، ولا بمن معه ، ولما أراد قاري يتوجّه ، قال له ياخُوند : السلطان يطلبك ، فقال[٤] : لأي شيء ؟ ما قلت هذا في الأول ولا في الكتاب الذي على يدك[٥] ، أن معك مشافهة ولكن اطلبوا الأمراء ، فحضروا ومعهم[٦] نائب قلعة صفد ، وقال يا أمراء[٧] ، السلطان قد طلبني وأنا أتوجه ، فقالوا له : خير ، فطلب مباشِري ديوانه ، وقال : كم لنا في القلعة من القمح ، قالوا : مئة غرارة ، ففرقها جميعها على مماليكه ، وقال : اطلعوا اقبضوها ، فلما طلعوا ، وصاروا فيها أنزلوا كلَّ من فيها من المستخدمين ، وتملك القلعة مماليكه ،

(١) « بجرا » ، كذا في الأصل .
(٢) ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « ثانياً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) . وقوله : « عوضاً » ليس في (أ) .
(٤) أ : « فقال له » .
(٥) (أ) ، (خ) : « الذي معك » .
(٦) في الأصل : « ومنهم » .
(٧) في الأصل : « وقال أمراء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وقال لقماري : أنا أكتب إلى السلطان ، وأسيِّرُ معك شخصاً من جهتي بمطالعة مني ، وجهزها .

وبلغ السلطان ذلك ، فكتب في الظاهر إلى سائر نواب الشام أنّ أحمد الساقي قد شق العصا ، فاربطوا له الطرقات ، وأمسكوه ، وإن حارب حاربوه ، وكتب إلى جميع عُرْبَان الطاعة بذلك ، وكتب إلى الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام أن يتوجه إليه بنفسه في العسكر الشامي ، فلما بلغ ذلك أحمد كتب هو إلى نائب الشام يتشفع به ، ويسأله أن يكون في جملة أمراء دمشق[١] ، فكتب له إلى السلطان ، فأجيب إلى ذلك ، وكُتب له أمان شريف ، فجُهّز ذلك إليه ، فلم يذعن ، وقال : لو علمت أن ذلك صحيح حضرت ، وأصرَّ على حاله .

فحضر المرسوم بأن يجهز له[٢] أربعة آلاف فارس من دمشق ، ونائب غزة الأمير فارس الدين البكي بعسكر غزة ، والأمير سيف الدين بكلمش ناظر طرابلس بعسكرها . فتوجه الجميع إليه في أوائل المحرّم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ولما وصل نائب غزة هو والنائب الذي عيّن مكانه بصفد وهو الأمير علاء الدين الطنبغا برناق إلى قرية المجدل جهّز إليهما أحمد الساقي يقول : أنا ما أنا عاص ، ولكن هذه القلعة لا بد لها من نائب ، وأريد أن أكون بها نائباً ، فقالا له : إن كنت تريد ذلك ، فأطلق الأمير عز الدين أيدمر الشمسي ، والأمير عز الدين دقماق وكاتب السر وأخاه ناظر الجيش ، وكان قد اعتقلهم بالقلعة ، فقال هو : لا ، اعتقلتهم[٣] أيام حكمي ، والآن ما يخرجون إلاّ بمرسوم شريف ، فطلع المذكوران بمن[٤] معهما إلى صفد ، فرمي عليهم بالنشاب

---

(١) (أ) ، (خ) : « الشام » .
(٢) (أ) ، (خ) : « إليه » .
(٣) (أ) ، (خ) : « لا أنا اعتقلتهم » .
(٤) (أ) : « ومَنْ » .

والبندق والرصاص والزيارات والنفط ، وجرح بعض الخيل ، وطلع القلعة[١] ، وأغلقها ، وشال الجسر .

ولما كان يوم الجمعة ثامن عشر المحرم اتفق العسكر على الزحف على القلعة وإحراق الجسر ، وجهزوا إليه يعلمونه أنهم في غداة السبت يفعلون ذلك ، فاتق الله واحقن دماء المسلمين . فأطْلَقَ من كان عنده في الاعتقال ، وقال للعسكر : احلفوا أن لا تؤذوني وأنا أتوجه إلى باب السلطان ، فحلفوا له ، وأخذوا سيفه ، وجهزوه صُحْبَة الأمير سيف الدين قطلوبغا الكركي وجهز مملوكه الطنبغا إلى نائب الشام يطلب منه شفاعة ، فكتب له ذلك ، وجهزوا معه أميراً من الشام وأميراً من طرابلس ، وأميراً من صفد ، وأميراً من غزة[٢] ، وساروا به إلى باب السلطان في ثالث عشري المحرم ، ورجعت العساكر إلى أماكنها .

ولما وصلوا به إلى قَطْيا[٣] ، تلقاه الأمير سيف الدين قماري ، فأخذه في زنجير مقرّم اليدين ـ على ما قيل ـ وتوجّه به إلى ثغر الإسكندرية ، ولم يزل بها معتقلاً ؛ إلى أن خُلع الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصالح صالح ، فأطلقت المعتقلين الذين في سجن الإسكندرية جميعهم ، وولاه نيابة حَماة ، فوصل إلى دمشق في حادي عشري شعبان سنة اثنتين خمسين وسبع مئة ، وصحبته الأمير سيف الدين جركتمر عبد الغني ، ليقره في النيابة ، ولم يزل في حماة نائباً حاكماً ؛ إلى أن اتفق هو والأمير سيف الدين بيبغاروس نائب حلب ، والأمير سيف الدين بكلمش نائب طرابلس ، على الخروج على الملك الصالح ، وراسلوا الأمير سيف الدين أرغون الكاملي نائب الشام على ذلك فما وافقهم . ولما تمّ أمرهم وهموا بالخروج حلّف نائب الشام عسكر دمشق للملك الصالح في العشر الأول من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وجرى ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة أرغون الكاملي .

(١) (أ) ، (خ) : « إلى القلعة » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في معجم البلدان (قطية) بالهاء : قرية في طريق مصر في وسط الرمل .

ولما وصل بيبغاروس ومن معه إلى دمشق نـزل على قبة يلبغا ظاهر دمشق ، وتوجّه أحمد الساقي ومعه ألف فارس ، وأقام على المزيريب مدة أربعةٍ وعشرين يوماً ، ولما وصل الأمير سيف الدينين طاز إلى لُدّ[١] هرب ابن دلغادر[٢] من دمشق ، وجاء بيبغاروس إلى المزيريب ، واجتمع بأحمد وباتا ليلةً ، ثم إنهما هربا بمن معهما من العساكر إلى حلب .

ووصل السلطان الملك الصالح إلى دمشق ، وجهّز الأمير سيف الدين شيخو[٣] ، والأمير سيف الدين طاز ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، فهرب بيبغاروس ومن معه ، واجتمعوا بابن دلغارين ، وأقاموا هناك يعيثون في الأرض ، إلى أن أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش ، وجهزها إلى حلب ، فوصلا إليها ، والأمير سيف الدين أرغون الكاملي بها نائب في ثاني عشر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فاعتقلا بقلعة حلب ، وطالع بأمرهما ، فعاد الجواب على يد سيف الدين طيدمر أخي طاز بأت يجهز رأسيهما ، فحزّ رأس أحمد وبكلمش في حلب في العشر الأوسط من شهر الله المحرّم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وتوجّه بهما المذكور إلى مصر ، وكان ذلك آخر أمر الساقي ، والله الباقي .

وكان هذا أمير أحمد شاباً طويلاً رقيقاً ، تراه بالإقدام والشجاعة حقيقاً ، حلو الوجه خفيف اللحية ، يعلوه رونق ، وعليه قبول وحَظٌ مافرح به السدير في أيامه ولا الخورنق ، يميل إلى الصورة المليحة ، ويتعبّد بهواها كلّ بكرة[٤] وصبيحة ، لا يملك نفسه إذا رأى وجهاً حسناً ، ولا يرجع إلى عذل من يرده عن ذلك ولو كان لسناً ،

---

(١) (أ) : « لدّة » .

(٢) في الأصل : « دلغازين » ، والصواب ما أثبتناه .

(٣) (أ) : « سنجر » .

(٤) (أ) ، (خ) : « في كلّ عشية » .

وكانت له في ذلك تراجم معروفة في أيام الشهيد ، وأخباره فيها سار بها الركبان والبريد ، إلاّ أنه كانت نفسه أبيّة ، وعنده من مَيْعَة[١] الشباب نشوة السبيّة .

وكان يحدّث نفسه بأمور عظيمة ، وفتن لا تزال تصنع للشرور ولية ، وكان لذلك لا يقنع بغاية ، ولا يرى إلاّ ما هو عنده نهاية ، ولقد ثبت في واقعة صفد ثبوتاً دونه الجبال الرواسخ ، وأسكن جماعة ممن خالفه البرازخ .

ويحكى عنه أنه لما نزل من القلعة ودّع صغار أولاده ، وثمرات فؤاده ، فقطع القلوب أسفاً ، ورأى موته بعينه وهو في الحياة سلفاً ، فقلت فيه :

عجبتُ منْ أحمدَ الساقي وقد بَرَزتْ ... لـهُ العساكرُ في موضُوْنةِ الزّردِ
ساقٍ سقتْهُ الليالِيَ كأسَ حادِثِها ... وراحَ من صِفَدٍ للحتْفِ في صَفَدِ
يعينُهُ ربُّه فيا ابتلاهُ بـه ... فما على مثلِ ما لاقاه منْ جَلَدِ

وجاءت الأخبار بأن الأمير سيف الدين قماري لما التقاه في قطيا عامله بأنواع من الإهانة ساعة اللقيا ، وأضاف زنجيراً إلى قيده ، وقرَم يده بشدته وأيْدِه .

وقيل : إنه توجّه به ماشياً ، وكاد لذلك يصبح جسده متلاشياً ، ولم يحسب له أحد في هذه المرة حساب السلامة ؛ لأنه فعل ما يوجب العذل والملامة ، ولكن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾[٢] ، وإذا قُدّر أمرٌ على المرء ما يفيده زَجْرٌ ولا عتاب ، فأقام في سجنه تلك المدة ، وفرّج الله عنه من تلك الشدة ، ورسم له بنيابة حماه ، فتوجه إليها ، وقدم بعد الذل في عزّ دائم عليها ، فسبحان اللطيف الخبير ، ومن يرسل رياح الفرج فينشق[٣] المحزون منها نشر[٤] العبير . وقلت أنا فيه أيضاً :

(١) (أ) : « منعة » . وميعة الشباب : أوله وبهاؤه .
(٢) الرعد ٣٨ .
(٣) (خ) : « فيتنشق » .
(٤) (خ) : « أرج » ، (أ) : « أريج » .

تَلـقَّ حـوادِثَ الـدنيـا بصبرٍ ففي صرْف الـزمـانِ تَرَى العجـائب
فهـذا أحْمَـدُ السـاقي تـوالى عَلَيْـه من القَضَـا مطَرّ المصـائب
ومـا أعطى لـه أحـدٌ حيـاةً وهـا هـو في حمـاةَ اليـومَ نـائب

وكان فيها نائباً قد تمكن لا ترد له إشارة ، ولا يعطل السلطان مما يرومه عشاره كلّ ما يكتب به يجاب فيه بالقبول ، وكلّما يـأباه يتلاشى غصنه إلى الذبول ، ولكن نفسه تريد بلوغ مـا فيها ، وإدراك أمـانيها ، وعقله من الصواب نَفُور ، ودمه ـ كما يقال ـ يَفُور ؛ إلى أن دبرّ ما دبر ، وأثار من الفتنة مـا عـاد على وجهه وغَبَّر ، وكان هو الذي حرك ذاك السـاكن ، وعمل على خراب مـا دخله من المنـازل والأمـاكن ؛ إلى أن خرّب بيده بيوته ، وطـار خلف الشر إلى الروم خوفاً من أن يفوته ، ولم يزل بتلك الخنزوانه[1] ؛ إلى أن غدر بـه ابن دلغـادر وخـانه ، ومـا زال عليه إلى أن أمـاته ونسي أمـانه ، وأراه الله عقبى جنـايـة الخيـانة ، وجُـزّ في حلب رأسه ، وخُرِّق من الحيـاة قرطاسه ، ولم ينفعه ياقوته ولا ماسه وتبرأ من فعله القبيح وَسْواسُه ، ولم يرض له بالخنا خَنّاسُه ، فسبحان من بيده الحياة والنشور ، وإليه ترجع الأمور ، لا إله إلاّ هو .

وقلت لما جُزَّ رأسه ، وجُهِّز إلى مصر :

إيـــاك والبغيَ فشهبُ الردى في أفُـق البغي غـدت ثـاقِبَـه
مـا أحمـدُ السـاقي الـذي مُـذ بَغى مـا أحْمَـدَ اللهُ لَـهُ عـاقِبَـه

٨٧ ـ أحمد بن بكتمر*

أمير أحمد بن الأمير سيف الدين بكتمر الساقي .

كان وجهه عليه لمحة من البدر ، ومهابته تملأ الجوانح والصدر ، مليحاً إلى غـايـة ،

(١) في الأصل : « الخزاونة » ، تحريف ، والخنزوانة : الكِبْر .

* الوافي : ٦/٢٦٦ ، والدرر : ١/١١٤ .

جميلاً في نهاية ، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في محبته متغالياً ، ولم يره الناس في وقت منه خالياً ، كان يوماً نائماً على فخذ السلطان وقد عزم على الركوبْ ، وأُحضرت الخيل والعساكر تنتظر قيامه والوثوب ، وأبوه بكتمر واقفاً خجلاً ، وقلبه يخفق وَجِلاً ، وكلما همّ بأخذه يمنعه ، ويكابده[١] في أمره ويخدعه ، فقال : ياخوند ، الناس في خدمتك وإلا في خدمته ؟ فقال : ماأركب حتى ينتبه أحمد من نومته ، وكان الناس يظنون أنه ابن السلطان يقيناً ، ويقولون : ما رأينا مثله عنده مكيناً ، وأمَّره مئة ، وجعله مُقَدّم ألفٍ مع صغر سنّه ، وجعل بعد ذلك شخصه من قلبه في كِنِّه ، وكان وهو صغير ضعيف القائمة ، لا يستطيع النهوض لِعِلَّةٍ له ملازمة ، فلم يزل السلطان عليه بالأدوية والعقاقير ، والمعالجة بأنواع من[٢] التداوي والتدابير ؛ إلى أن نهض غصنه قويماً ، وانعطف قَدّه من الميل سليماً ، وزاد حُسْنُه وبهاؤه ، وذهب عنه داؤه وأقبل دواؤه ، وصح من خمر الشباب انتشاؤه ، وثبت إلى القمرين انتماؤه .

وزوّجه السلطان بابنة الأمير[٣] المرحوم تنكز[٤] نائب الشام ، وجرى ذلك العقد على أحسن ما يكون من النظام ، وحَسْبُك بهذه الدرة الثمينة ، وما جُمع من هذا القرين وهذه[٥] القرينة ، وكان عرسها عرساً مافرحت به بوران[٦] ، ولا كان للفَلَك له دوران ، ووقف السلطان بنفسه وفي يده العصا ، ورتّب السماط ترتيباً خالف فيه العادة وعصى ، واحتفل بذلك زايداً ، وجعل هواه لنفسه قائداً ، وله العذر فيا توهمه في ذلك من الحسن والزَّيْن ؛ لأنهما ولدا مملوكيه العزيزين .

---

(١) (أ) : « يكابره » .

(٢) (من) : ليست في (أ) .

(٣) « بابنة الأمير » ليست في (أ) .

(٤) (أ) : « سيف الدين تنكز » .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) هي زوجة المأمون ، وهي ابنة وزيره الحسن بن سهل .

وكان أمير أحمد المذكور يقضي عند السلطان أشغالاً لا يقضيها غيره ، ولا يحوّم في جوها إلاّ طيرُه ، ولم يزل بدره في مطالع سعوده ، ومعارج[١] صعوده ؛ إلى أن توجّه مع السلطان إلى الحجاز ، وقضى فرضه وفاز من الأجر بما فاز ، وعاد راجعاً ، وبدره يُرى في سماء الملك طالعاً ، فمرض مرضاً حِدّاً ، وزاد به جدّاً فأذوى ريحان شبابه ، ونغَّصَ بموته حياة أترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى في طريق الحجاز عائداً في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وعمره يقارب العشرين .

وقلت ذلك الوقت :

ورقيبٍ بليّتي في الهوى منه ماتَمَرْ
ذاك قد طال عُمْرُه ويموتُ ابْنُه بكتَمَرْ

وكتبت إلى أبيه تهنئة لما أعطي تقدمةَ الألف عن الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى من جملة كِتاب : وأمّا ما شملت به الصدقات الشريفة للمقر العالي المولوي الأميري الوَلدي[٢] الشهابي من تقدمة الألف ، وخصّته به من هذا الإنعام الذي صحّ قياسه ولم يكن قياسَ الخُلْف ، فإنه بحمد الله واحد كالألْف إنْ أمرٌ عنا ، وفردٌ يبلغ به مولانا ـ أعز الله أنصاره به[٣] ـ الأمان من الزمان والمنى ، وبه يُحقق المملوك قول الأول الذي لم يجحده جاحد :

والناسُ أَلْفٌ مِنْهُم كَوَاحِدٍ .

ولم أرَ أمثالَ الرجالِ تفاوتوا إلى المجد حتى عُدّ ألف بواحد

(١) (أ) : « تعارج » .
(٢) (أ) : « الكبيري الولدي » .
(٣) (به) ليس في (أ) .

والله تعالى يديم هذه الأيامَ الشريفة التي أرت مولانا فيه ما سرّه[١] ، وبلغت به رتبةً ذُبالُها النجوم وطريقُها المجرّة ، وتقرّ به عين مولانا الكريمة ، فمثل هذا الولد من يكون[٢] للقلب قراراً ، وللعيون[٣] قُرّة ، وكان المملوك يودّ لو كان حاضراً في[٤] ذلك اليوم الذي هو تاريخ الهناء ، وموسم الفرح المؤبد على مرّ[٥] الآناء ، وإن كان المملوك قد غاب بقالَبه ، فقد حضره[٦] بقلبه وعرف قيمة إيجابه وسلبه ، والله تعالى يديم لمولانا وله وللمملوك حياة مولانا السلطان خلّد الله ملكه ، وجعل أقطار الأرض ملكه بمنه وكرمه .

٨٨ ـ أحمد بن أبي بكر بنْ عَرّام*

بهاء الدين ، الأسواني الْمَحْتِد الإسكندراني المولد .

قرأ القراءات على الدّلاصي[٧] ، والفقه للشافعي على الشيخ أبي بكر بن مُبَادِر[٨] ، وعلى علم الدين العراقي وقرأ عليه الأصولين[٩] وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، والنحوَ على مُحْيي الدين حافي رأسه[١٠] ، وعلى الشيخ بهاء الدين بن النحاس .

---

(١) في الأصل : ما أسرّه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في (أ) : « فمثل هذا الولد يكون » .
(٣) (أ) : « للعين » .
(٤) (في) ليس في (أ) .
(٥) (أ) : « ممرّ » .
(٦) (أ) : « حضر » .
* الوافي : ٢٧٠/٦ ، والدرر : ١١١/١ ، والطالع السعيد : ٧٣ .
(٧) عبد الله بن عبد الحق ، وستأتي ترجمته .
(٨) عبد الله بن مبادر ، وستأتي ترجمته .
(٩) (أ) : « الأصلين » .
(١٠) محمد بن عبد الله بن عبد العزيز (ت ٦٩٣ هـ) ، والوافي : ٣٦٤/٢ ، والبغية : ١٣٨/١ .

وسمع على أبي عبد الله محمد بن طرخان[١] ، وأبي الحسن الخزرجي ، وعلى تقي الدين بن دقيق العيد ، وعلى الدمياطي وغيرهم .

وتولى نظر الأحباس[٢] بالإسكندرية ، وصحب أبا العباس المُرْسي ، وأخذ التصوف عنه ، وعن والده ، وأمّه بنت الشيخ الشاذلي .

وكان المذكور ينظم وينثر ، ويجري في ميدان الأدب ولا يَعْثُر ، وكان مقداماً متديناً ، سالكاً نهج الخير صيّناً .

صنّف في الفقه والعربية ، وعلّق على (المنهاج) للنووي تعليقة أنوارها مُضِيَّة ، وله مناسك وما أشبه ذلك .

ولم يزل في شوطه إلى أن عثر فما قام ، واتخذ بطن الأرض دار مُقام .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة عشرين وسبع مئة ، ومولده سنة أربع وستين وست مئة ، ومن شعره :

وَحَقِّك يا ميُّ الذي تعرفينه ... من الوجدِ والتبريح عندي باق
فبالله لا تَخْشَيْ رقيباً وواصِلي ... وجُودي ومُنّي وَانْعمي بتلاق

ومنه :

أيا طِرْسَ إن جئتَ الثغور فقَبِّلَنْ ... أناملَ ما مُدّت لغير صنيع
وإياك من رشح الندى وَسْطَ كفّه ... فتُمحى سُطُور سُطِّرت لرفيع

قلت : شعر نازل .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) هو النظر في أرزاق الجوامع والأربطة والزوايا والمدارس من الأراضي المفردة لذلك . معجم الألفاظ التاريخية ١٥٢ .

٨٩ ـ أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن محمود بن سلمان بن فهد ، شهاب الدين ، ابن القاضي شرف الدين ، ابن القاضي شمس الدين ، ابن القاضي شهاب الدين محمود .

كان القاضي شهابُ الدين المذكور من جُمْلةِ موقّعي الدَّست[1] ، وكان أوّلاً من جُملة كُتّاب الإنشاء ، فلما توفي والده القاضي شرف الدين بالقدس ـ على ما سيأتي ـ أُعطي مكانَ والده . فباشَره ، فكان هَشّاً بشّاً بمن يراه ، مُكرِماً لَمن أَمَّه أو قصد ذراه . نفسُه مُتّسعة للجود ، قائِمةٌ بما يَجبُ من حَقِّ الوفود . لا يتكلمُ إلا وهو يضحك ، ولا يُفارقُ لجودِ طِباعه نُصحَك . يقضي حوائج الناس في قِصَصهم[2] ، ويُزيحُ عنهم ما تجرّعوه من غُصَصِهم . فأحبّه الناسُ ، وردّ عليهم ما كان حصل لهم في والده من الياس[3] . ولم يزل على حاله ، إلى أن عاجله حَتْفُه ، وصُرِف إليه من الموت صَرْفُه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم[4] عاشوراء ، سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وسبع مئة .

واحتفل الناس لجنازته ، ودُفن في تُربة جدّه بالصالحيّة .

وعهدي به ، وهو كما احتلم ، يجري وراء الحيّة ، ويحملها بذَنَبها ، ويرفعها إلى فوق ، ويَقْصَعُها إلى أسفل ، ويرميها من يده ، وقد انقطع وَسَطها ، وانخلعت فقراتُ ظهرِها .

---

* الدرر : ١١٣/١ .

(١) موقعو الدست : هم الذين يجلسون مع كاتب السر بمجلس السلطان ، ويقرؤون القصص على السلطان بعد قراءة كاتب السر ، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر وسموا كتّاب الدست إضافة إلى دست السلطان وهو مرتبة جلوسه .

(٢) القصّة : هي الطلب أو الالتماس ، يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص .

(٣) (أ) : « البأس » .

(٤) ليست في (أ) .

وستأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ تَرْجَمةُ كلِّ واحد من أبيه وجَدّه[١] في مواضعها اللائقة بها .

وقلت أرثيه من أبيات ، التزمتُ فيها الفاء[٢] :

شِهابُ بني محمودٍ أصبحَ آفِلا ... وكانَ بهِ صدرُ المجالسِ حافِلا
تيقّظَ طَرْفُ الدّهر نحوَ جَنابِهِ ... وقَدْ كان في إغفائِهِ عنهُ غافِلا
يحنُّ إليهِ الجُودُ من حيثُ يُنتحى ... كما أنّهُ من عِزّه راح جافِلا[٣]
لقدْ كانَ في بُرْدِ الشبيبةِ والعُلا ... وبَذْلِ النّدى ما زال يختالُ رافِلا
سَمَا بأُصولٍ باسقاتٍ إلى العُلا ... بحيثُ رأينا النّجمَ عن ذاك سافِلا
فيا ضَيْعةَ اللّهفانِ بعدَ مُصابِهِ ... لقدْ كانَ في دَفْعِ الأذَى عنهُ كافِلا

٩٠ ـ أحمد بن أبي بكر*

ابن محمد بن سلمان بن حمايل ، القاضي شهاب الدين ، ابن القاضي بهاء الدين ، ابن القاضي[٤] شمس الدين بن غانم ، كاتب الإنشاء بدمشق .

كان والده القاضي بهاء الدين[٥] صاحبَ ديوان المكاتبات بطرابلس ، وسيأتي ذكرُه في مكانه من حرف الباء ـ إن شاء الله تعالى ـ . ولمّا توفي والده بطرابلس ، تركه[٦] صغيراً ، فحضر إلى عند أقاربه بدمشق[٧] ، ثم توجّه إلى مصر ، فرُسِم له بأن يكون من

(١) (أ) ، (خ) : « وجدّه وجدّ أبيه » .
(٢) أي قبل حرف الروي وهو اللام للطلقة .
(٣) (أ) ، (خ) : « غيره » .
* الدرر : ١/١١٢ .
(٤) قوله « بهاء الدين بن القاضي » ليست في (أ) .
(٥) (أ) : « شهاب الدين » .
(٦) (أ) ، (خ) : « خلّفه » .
(٧) (أ) ، (خ) : « بدمشق وأقام مدة » .

جُملة كُتّـاب الإنشـاء بطرابلس ، ثم إنـه سعى وانتقل[١] بمعلومـه إلى دمشق ، ورُتِّب في جُملة كُتّاب الإنشاء في سنة خمس وأربعين أو مابعدها في غالب الظن ، وأقـام بـدمشق إلى أن توجّه في سنة ست وخمسين وسبع مئة إلى الديـار المصريـة ، وسعى هنـاك إلى أن رُتّب في جُملة كُتّاب الإنشاء في باب السلطان على معلومه الـذي بـدمشق ، بزيـادةٍ في مصر .

ولم يزل هناك مريضـاً مُتوّعكاً ، يقومُ ويقع ، إلى أن توفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في أوائل سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

وكان مولـدُه بصفـد تقريبـاً في سنـة أربع وعشرين وسبـع مئـة أو في سنـة ثـلاث وعشرين .

وكان فيه سعيٌ وحُسنُ توسل ولُطْفُ توصّل ، وعلى أنفِه في مارنِه[٢] شـامـةٌ كبيرة حسناء خضراء . وكانت كتابته قوية ، ولم يكن له نظم ولا نثر .

٩١ ـ أحمد بن أبي بكر*

شهاب الدين أبو جَلْنَك ـ بالجيم واللام والنون والكاف ـ الحلبي الشاعر المشهور[٣] . بالعِشْرة والخُلطة التي تركَتْه بَرْوَة ، وجرّدت قِشْرَه .

كان فيه هِمَّةٌ وعنده شجاعة ، ولديه من الإقدام في المعارك[٤] أجْزلُ بضاعـة . نزل من قلعـة حلب للإغـاره[٥] ، والتتـار يتوقّـدُ من شَرّهم كلّ شرارة ، فوقع في فرسـه سَهْمٌ

(١) ليست في (أ) .

(٢) أي جانبه .

* الـوافي : ٢٧١/٦ ، وفـوات الـوفيـات : ٦٠/١ ، والشـذرات : ٤٥٦/٥ والمنهـل الصـافي : ٢٢١/١ ، وعقـد الجمان : ١٥٢/٤ ، وفيات (٧٠٠ هـ) .

(٣) قوله : « الحلبي ... المشهور » ليس في (أ) .

(٤) « في المعارك » ليست في (أ) .

(٥) في المنهل : « ولما كانت وقعة التتار في سنة سبع مئة نزل . « من قلعة حلب لقتال التتار » .

عَقره ، وفتق جَنْبَه وبَقَره ، فبقي على ضخامته راجلاً ، وأُمْسِك به عاجلاً ، وجاؤوا به مُقدَّمَ التتار ، فسأله عن عسكر المسلمين ، فرفع شأنهم ، وأعلى في الفروسية مكانهم . فغاظه ذلك منه وضربَ عُنْقَه في الحال ، وشمّر للارتحال .

وأصل مُنادمته لصاحب مارِدين أو الموصل تَنْديبة[١] ، بَدَتْ منه بغير قصد ، وهي عجيبة . لأنه قصدَ الطهارةَ وعلى بابها خادمٌ ، يُناول كَيْلاً من الماء لكل قادم ، فدخل على عادة البلاد ، وما هي عليه من الأمر المُعْتاد ، فصاح به الخادم : قِفْ خُذْ هذا الكيل . فقال : لا ، أنا أخرى جُزافاً من الويل . فبلغت السلطان ، فقال : هذا ظريف يصلح لأن نُنادمَه ، ونَزيدَ خوافيَ جناحه وقوادمَه .

وأخبرني عنه الصاحب جمال الدين سليمان بن ريّان[٢] ، قال : لَزِمنا[٣] أبو جَلْنَك مدة ، ونام عندنا ليالي عدّة ، وكان ينتبهُ نِصفاً من الليل ، ويُكرّرُ عليَّ محافيظه ، ومنها (مُختصرُ ابنِ الحاجب) ، ثم[٤] يُشبّبُ بشبّابة ويُزمزم ، وإذا أصبح توضّأ وأتى بالواجب .

وما زال على حاله[٥] إلى أن ضُربتْ عُنقُه ، وخلا من كوكبه أُفقُه ، وذلك سنة سبع مئة .

وأنشدني القاضي جمال الدين بن ريّان قال : أنشدني من لفظه أبو جلنك لنفسه لغزاً :

اسمُ الذي أهواه في حُروفِه ... مَسْألةٌ في طَيِّها مسائِلُ
خُمساه فِعْلٌ وَهْوَ في تَصْحيفِه ... مُبيّنٌ والعَكْسُ سُمٌّ قاتِلُ

(١) أي طرفة .
(٢) توفي (٧٤٩ هـ) ، الوافي : ١٥/٣٦٧ ، والدرر : ٢/١٤٥ .
(٣) (أ) : « لازمنا » .
(٤) (أ) : « ثم إنه » .
(٥) (أ) : « وما زال كذلك » .

تُضيءُ بعـــدَ العَصْرِ إن جِئْتَ بـــه مُكرّراً مِنْ عَكْسِـــك الْمَنـــازلُ
وَهْـــوَ إذا صَحّفْتَـــــه مُكرّراً فـــاكهـــةٌ يَلْتَـــذُّ منهـــا الآكِـلُ
وَهْــوَ إذا صحّفْتَــــه جَميعَـــــه وَصْفُ امرئٍ يعجبُ منه العـاقِلُ[(١)]
وفيــــه طِيبٌ مُطْرِبٌ جَميعَـــــه هـاجَتْ على أمثـالِـه البـلابِـلُ

قلت : هـذا لغزٌ في (**مسعود**) وهو لغز جيّد ، ومقاصده جيدة ، إلا أن قوله « وصف امرئ يعجب منه العـاقل » فيه تسـامح ، فـإنـه لا يُقـال : « مُشَعْوِذ » وإنما يقال : « مُشَعْبِذ » بالباء مكان الواو .

وأنشدني شيخُنـا العلامـةُ أثيرُ الـدين ، قـال : أنشــدنـا عـلاءُ الـدين علي بن عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن الحلبي ، قال : أنشـدنا[(٢)] أبو جَلْنَك لنفسـه ، وكان قد مدح قـاضيَ القضـاة شَمْسَ الـدين ابن خلكان ، فوقّع لـه بثُلثي رَطْلٍ[(٣)] خُبزاً ، فكتب أبو جلنك على بستانه :

عُجْنـــا ببُستـــانٍ حلَلْنـــا دَوْحَـــه في جَنَّـــةٍ قـــد فُتِّحَتْ أبـوابَهـــا[(٤)]
والبـــانُ تَحْسَبُهـــا سنـــانير رأتْ قـاضي القُضـاةِ فنفَّشَتْ أذنـابَهـا[(٥)]

قلت : بلغني أن الشيخ بَدْرَ الدين محمد بن مالـك وضع على هـذين البيتين كرّاسة في البديع ، وأنشدني بالسَّنَد المذكور أيضاً :

---

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) (أ) : « أنشدني » .
(٣) في المنهل : « فوقع له برطلي خبز » .
(٤) في المنهل : « لله بستان ... كجنة » .
(٥) في (أ) : « سنانيرا » ، وكذا في المنهل ، وفيه : « تحسبها » . وقال ابن تغري بردي في المنهل معقباً على الصفـدي : « قلت : لعلـه وهم في هـذه الحكايـة ، ومـا هي مشهـورة إلا عن قـاضي القضـاة ابن الزملكاني » .

أتى العِذارُ بماذا أنت مُعْتَذِرُ   وأنت كالوَجْدِ لاتُبقي ولا تَذَرُ
لا عُذرَ يُقْبَلُ إن تمّ العذارُ ولا   يُنجيك من خوفه بأسٌ ولا حَذَرُ[١]
كأنني بوحوشِ الشَّعْرِ قد أَنِسَتْ   بوَجْنتيك وبالعُشّاقِ قد نفروا

ومن شعر أبو جلنك أيضاً :

جَعَلْتُك المقصدَ الأسنى وموطِنُك الـ   ـبيتُ المقدّسُ من روحي وجثماني[٢]
وقلبُك الصّخْرةُ الصّماءُ حين قسَتْ   قامَتْ قيامةُ أشواقي وأحزاني[٣]
أمّا إذا كنت ترضى أن تُقاطعني   وأن يزورك ، ذو زُورٍ وبُهتانِ
فلا يَغُرّنْكَ نارٌ في حَشَايَ فَمِن   وادي جهنّم تجري عينُ سُلْوان[٤]

قلت : ألطفُ من هذا وأخصرُ وأجمع ، قول القائل :

أيا قُدْسُ حُسنٍ قلبُهُ الصخرةُ التي   قسَتْ فهي لاترثي لصبٍّ مُتيمِ
ويا سُؤليَ الأقصى عسى بابُ رحمة   ففي كبدِ المُشتاقِ وادي جهنمِ[٥]

وأنشدني العلامة أبو حيان ، قال : أنشدنا علاء الدين [علي][٦] بن سيف الدين تنكز ، قال : أنشدنا أبو جلنك لنفسه :

ماذا على الغُصْنِ الميّالِ لو عَطَفا   ومالَ عن طُرقِ الهجْرانِ وانْحَرفا[٧]

---

(١) في الشذرات : « ثمّ ... من شره خوف ولاحذر » . وكذا في عقد الجمان ، وأورد العيني القصيدة كلها .
(٢) (أ) : « جعلت مقصدك » .
(٣) في عقد الجمان : « وأشجاني » .
(٤) في عقد الجمان : « فلا تغرك » . وفيه تورية ، وعين سلوان : عين في القدس ، يقال إنها تجري مرة أو مرتين كل عام .
(٥) البيتان في عقد الجمان دون نسبة .
(٦) زيادة من (أ) ، وستأتي ترجمته .
(٧) في المنهل : « على غصنه » .

وعــادَ لي عــائــدٌ منـــه إلى صِلَـــةٍ حَسْبي من الشوقِ ما لاقيتـه وكفى[١]
صفــا لــه القلبُ حتى لا يمــازجُـــه شيءٌ ســواه وأمّــا قَلْبُـــه فصفـــا[٢]
وزارني طيفُـــه وَهْنــــاً ليُــؤنسني فاستصْحَبَ النومَ من جفنيَّ وانصرفا
ورُمتُ من خَصْرِه بُرءاً فــزدْتُ ضنىً وطــالبُ البُرْءِ والمطلـوبُ قـد ضَعُفـا
حكى الـدُّجـا شَعْرُه طُـولاً فحـاكَمَــه فضـاع بينهما عُمري ومـا انتصفـا[٣]

قلت : شعره متوسط .

٩٢ ـ أحمد بن أبي بكر بن منصور*

القاضي الإمام العالم شمس الدين ، قاضي طرابلس .

كان فاضلاً في أنواع من العلوم .

قال شيخنا البِرْزَالي : اجتمع به أصحابنا المحدّثون لمّا توجهوا إلى هناك في صفر قبل وفاته ، وأثنوا عليه . وعاش ثلاثاً وسبعين سنة . وكان ذا مال وتجارة ، وفيه شجـاعـة ، وعنده عدة[٤] للقتال ، ويقاتل الفرنج . ولـه محـاسن كثيرة . ومرض مرضـة طويلـة . وحصل له عُقيب[٥] المرض بِرْسام[٦] ، وتولّى غيره القضاء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أول ربيع الأول ، سنة سبع وسبع مئـة . وكان يعرف بالإسكندري .

---

(١) في المنهل : « وعائدي عائد » .
(٢) الصفا : الصخر .
(٣) الأبيات في المنهل الصافي ، والوافي .
* الدرر : ١/١١٣ .
(٤) (أ) ، والدرر : « عُدد » .
(٥) (أ) : « عقب » .
(٦) في الأصل « سرسام » تحريف ، والبرسام : علّة يُهذى بها .

٩٣ ـ أحمد بن أبي بكر بن حرز الله*

القاضي الفقيه[١] ، الإمام العالم ، شهاب الدين أبو العباس السُّلَمي المغربي المعروف بالأزندي .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازمه وصحبه مدة ، وكان الشيخ يحبّه ويُثني عليه ، وزكّاه في شهادة شهدها عند بعض القضاة وشفع له عند الشيخ برهان الدين المراغي[٢] ليُنزله في مدرسة .

وقرأ الأصول على القاضي عز الدين بن الصايغ ، والقاضي بدر الدين بن جماعة .

وقرأ النحو على ابن عبد القوي[٣] .

وولي القضاءَ ببلد الخليل ـ عليه السلام ـ وصَرْخَد[٤] وبصرى وغيرها .

وعاد إلى دمشق ، وحضر المدارس ، وجلس مع الشهود ، وولي تدريس الحلقة القوصية[٥] بالجامع . وكان يخطب أيضاً تارة نائباً وتارة مستقلاً .

وسمع الحديث من الشريف يحي الحنبلي[٦] ، والنجيب المقداد[٧] ، وعمر بن

---

* الدرر : ١/١٠٩ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : المراضي ، تحريف ، وبرهان الدين هذا هو محمود بن عبيد الله ، ت (٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٥/٣٧٤ .

(٣) اسمه سليمان ، وستأتي ترجمته .

(٤) من قرى حوران .

(٥) حلقة بالجامع الأموي ، تنسب إلى مُدّرسها شهاب الدين القوصي ، وكيل بيت المال بالشام ، ت (٦٥٣ هـ) الدارس : ١/٢٢٣ .

(٦) ت (٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٥/٣٤٠ .

(٧) المقداد بن أبي قاسم ، ت (٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٥/٣٧٥ .

عصرون[١] ، وأبي حامد بن الصابوني[٢] ، والأمين الإرْبلي[٣] راوي (صحيح مسلم) ، والرشيد العامري[٤] ، وأبي بكر المِزّي[٥] ، والشيخ نصر بن عبيد المؤذّن وجماعة . وسمع بعض كتب الحديث الكِبار ، وحدّث وكتب في الاجازات .

وكان كريم النفس لا يدّخر شيئاً ، وفيه تواضع ، وأخلاقه حسنة[٦] ، وكان يحب الفقراء ، وصحب منهم جماعة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شوّال سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

٩٤ ـ أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن برق*

الأمير شهاب الدين متولي مدينة دمشق[٧] .

كان المذكور إنساناً حسنَ الأخلاق ، يخدم الناس على حالتي الجِدة والإملاق[٨] ، ويحب الفضلاء ويبرّهُم ويلاطفهم في وقائِعهم تحت يده ولا يضرُّهم . ساس الناس بدمشق سياسة جيّدة ، هرب مرات من الشر إذا وقع ، وتحيّده . وعلى ذهنه حكاياتٌ ووقائِع ، ونوادرُ إذا حكاها ، قلتَ : « جنى النحل ممزوجاً بماء الوقائع » .

(١) ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٩/٥ .
(٢) محمد بن علي ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .
(٣) أبو القاسم بن أبي بكر ت (٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٣٠/٥ .
(٤) محمد بن أبي بكر ت (٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .
(٥) أبو بكر بن عمر ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٧٠/٥ .
(٦) قوله « وحدّث وكتب » إلى ههنا ، ليست في (أ) .
* الوافي : ٢٧٤/٦ ، والبداية والنهاية : ١٧٦/١٤ ، والدرر : ١٠٩/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ .
(٧) زاد في (أ) : « سمع جزء الأنصاري ، وأمالي المخلص السبعة على ابن علاء الدين ، ومن مجلدات ابن الخليلي ، وسمع البخاري ، وحدّث بدمشق والمدينة » . وهي زيادة لا صلة لها بالمترجم له .
(٨) الجدة : الغنى ، والإملاق : الفقر .

وأول ما عُرف من أمره أنه أقام في ولاية صيدا زماناً ، وأخذ الناس به من ذلك الساحل في تلك المدة أماناً ، ثم إن الأمير تنكز سيف الدين [(١)] ـ رحمه الله تعالى ـ نقله إلى ولاية مدينة دمشق ، فأقام بها مُدّةً مديدة ، وحركاتُه فيها مُدّةَ الولاية سديدة .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بَرْقُ ابن بَرْق ، فكأنه لم يلمع في غرب ولا شرق . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وتولى دمشق في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان الأمير سيف الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد جعله حَكَمَ البُنْدُقِ [(٢)] عوضاً عن الأمير صارم الدين صاروجا [(٣)] ، فكتبت له بذلك توقيعاً ، وهو :

« الحمدُ لله الذي لم يزل حَمْدُه واجباً ، ورِفْدُه لكل خيرٍ واهباً ، وشُكْرُه للنِعَم جالباً ، وللنِقم حاجباً ، وذِكْرُه للبؤسِ سالباً ، وللنعيم [(٤)] كاسباً .

نحمده على نِعَمِه التي نصرعُ [(٥)] بالحمد أصنافَ أطيارها ، ونَقُصُّ بالشُكْرِ أَجْنِحَتَها ، فلا قُدرة لها على مطارها [(٦)] .

(١) في الأصل « تنكز بن سيف الدين » ، وليس يصح ، وفي (أ) : « الأمير سيف الدين تنكز » .
(٢) البندق : كتل من الطين تكون كالبندق ، ثم تجفف بالشمس أو تشوى على النار . وحكم البندق هو مَن يحكم بين الصيادين بالبندق إذا اختلفوا حول ما يصطادون ، وهو غير البندقدار الذي يحمل قوس البندق خلف السلطان .
(٣) ت (٧٣٦ هـ) . وستأتي ترجمته .
(٤) (أ) : « النعم » .
(٥) في الأصل : « نضرع » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٦) في الأصل : « أمطارها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة لا يكون لنا بها عن الفوز بالجنة عُذْرٌ ، ولا نجد بها نفوسنا[١] يوم البعث إلا في حواصل طيورٍ خُضْر .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أفضلُ مَن قدّم ذوي الرُّتب ، وأشرفُ مَن حكم بالعدل العاري من الشُّبَه[٢] والرّيب . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا في الحروب عُقبانَها الكواسر ، وفرسانَها الذين أشبعوا من لحوم العِدا ذوات المخالب والْمَناسِر[٣] ، ما أحمدَ الرامي في المرام عَزْمَه ، وسعت له في الرتب قَدَمُ قدمه ، وسلّم تسليماً كثيراً .

وبعد :

فلما كان الرميُ بالبُنْدقِ فناً تعاطاه الخلفاءُ والملوك . وسلك الأمراء والعظماء طريقة[٤] لطيفة المأخذ ظريفة السلوك ، يرتاضون به عند الملل[٥] لاسترواح نفوسهم ، ويجنون ثمرات الْمُنى في التنزهِ من غروس عروشهم[٦] ، ويبرزون إلى ما يروقُ الطَّرفَ ويروعُ الطيرَ من بَرْزاتهم[٧] ، وينالون ببنادق[٨] الطين من الطير ما لا يناله سواهم بجوارح صقورهم ولا بُزاتهم . قد نبذوا في تحصيل المراتب العليّة شواغلَ العُلَق ، وتدرّعوا شعارَ الصّدق بينهم وهم أصحابُ الْمَلَق ، ومنعوا جفونَهم من ورود حياض النوم[٩] إلاّ تَحِلّةً ، وظهروا بوجوهٍ هي البدورُ وقِسيٍّ هي الأهلّه ، وتنقلوا في صيد النسور تَنقُّل

(١) في الأصل : « نفوسا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) قوله : « من الشبه » ليس في (أ) .
(٣) المناسر : جمع منسر ، وهو المنقار .
(٤) (أ) : « منه طريقة » .
(٥) في الأصل و (أ) : « اللك » . تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٦) في (أ) والوافي : « عروس غروسهم » ، وهي أشبه .
(٦) البرزة : هي للمرأة تظهر على الرجال .
(٨) في الأصل : « من بنادق » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٩) في الأصل : « الموت » وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

الرُّخ ، وصــادوا الطيـور في الجـو لَّمـا نثروا حبّـات الطين من كل قـوس هي كالفـخ ، وصرخوا على الأوتـار فكانت نـدامى الأطيـار على سلاف المياه من جُمْلَـة صَرْعـاهـا ، واقتطفوا زهرات كل روضة أخرجت ماءها ومرعـاهـا ، احتـاجت هـذه الطريقـة إلى ضوابط تُراعى في شروطها ، وتسحبُ على الجـادة أذيـال مُروطهـا ، ليقفَ كلُّ رامٍ عنـد طوْرِ طيره ، ويَسْبِرَ بتقدُّمِـه غورَ غيره ، ليُؤمَنَ التنـازعُ في المراتب ، ويسلم أهل هـذه الطريقة[1] من العائب والعاتب .

وكان المجلسُ السامي الأميري[2] الشهابي أحمد بن بَرق هو الذي جرّ فيهـا على المجرّة مِطْرَفَة ، وأصبح ابنَ بجْدَتِها علماً ومعرفـة ، تطرب الأسماعُ من نغمات أوتـاره ، وتتنشَقُّ مرائرُ الطيرِ من لون غُبـاره ، وتـودّ المجرّةُ لـو كانت لـه طريقـاً ، والشمس جـواده[3] ، والسماء مَلَقَهْ ، وتتمنى قوسُ السماء الملوّنة ، لو كانت قوسه والنَّسْرُ طائِرَه والنجومُ بُنْدُقَه . كم جعل حُللَ الروضِ المرقومـةِ بمـا صرعـه مُطـائَره ، وكم خرج في زُمَرٍ ﴿ والطيرُ فـوقَهم صافّات ﴾[4] ، فصاد[5] بَدْرَ تَمّ حين بادره ، وكم ضرّج في مَعْرَكِ الجو من قتيلٍ ريشُـه كالـزَّرَدِ المـوضـون[6] ، وكم أرسـل البنـدق فكان سهماً مـاضيـاً لأنـه ﴿ من حمـأ مسنون ﴾[7] .

فلذلك رُسم بالأمر العـالي لا زال طـائرُه ميمونـاً ، ودُرُّ[8] أمْرِه في أَدْراجِ الامتثـال

---

(١) قوله : « إلى ضوابط » ، حتى ههنا ، ليس في (أ) .

(٢) (أ) : « الأميري الكبيري » .

(٣) في الأصل و (أ) « جراوه » ، ولم يستبن معناها ، وأثبتنـا مـا في الوافي ، والملق : ضرب من سير الخيل السريع .

(٤) [الملك : ١٩/٦٧] .

(٥) (أ) : « فصار » .

(٦) الموضون : المضاعف النسج .

(٧) [الحجر : ٢٦/١٥] .

(٨) (أ) : « وذو » .

مكنوناً ، أن يفوّضَ إليه حُكْمُ البُنْدُقِ[(١)] بالشام المحروس على عادة من تقدّمه في ذلك من القاعدة المستمرة بين الرماة . فليتول ذلك ولاية يعتمد الحق في طريقها الواجب ، ويظهر من سياسته التي شخصت لها العيون وكأنما عَقَدَتْ أعالي كل جفن[(٢)] بحاجب ، وَلْيَرْعَ حَقَّ هذه الطريقة في حفظ[(٣)] مَوْثِقِهْ ، وَلْيَجْرِ على السَّنَنِ المألوفِ من هذه الطائفة ﴿ وكلَّ إنسانٍ أَلْزَمناه طائِرَه في عُنقِه ﴾[(٤)] ، بحيث إنه يُنْزِلُ كُلَّ مُسْتَحق في مَنْزِلَتِه التي لا يعدوها ويقبل من الرامي دعوى صيده ، ويَردُّ مالا يعتدُ[(٥)] بها الرماة ولا يعدّوها ، مُتَثبِّتا فيما يُحمل إليه من الرمي للحكم ولا يُرخِ على غيّه[(٦)] ذيلاً ، مُحَرِّرا[(٧)] أَمْرَ المصروع الذي أصبح راميه من كلفه به مجنون ليلى ، جرياً في ذلك على العادة المألوفة والقاعدةِ التي هي بالمنهج الواضح موصوفة ، وَلْيَتَلَقّ هذه النعمةَ بشُكْرٍ يستحقُّ به كُلَّ خير ، ويَتْلُ آياتِ الحمد لهذا الأمر السُّليماني الذي[(٨)] حكّمه حتى في الطير . والله يتولى تَدْبيرَه ، ويُصلح ظاهِرَ حُكْمِه والسَّريرة ، والاعتماد على الخط الكريم أعلاه ، والله الموفق بمَنّه وكرمه . إن شاء اللّه تعالى » .

٩٥ ـ أحمد بن أبي بكر بن ظافر الخطيب*

الأمير الصّدْرُ الرئيسُ مجدُ الدين بنُ القاضي مُعين الدين الهمْداني المالكي ، خطيبُ الفيوم .

---

(١) في الوافي : « الحكم بين رماة البندق » .
(٢) في الأصل : « جنس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و وافي .
(٣) (أ) : « حفاظ » .
(٤) [الإسراء : ١٣/١٧] .
(٥) في الأصل : « يعتقد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٦) (أ) ، والوافي : « عيبه » .
(٧) في الأصل : « مجردا » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٨) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
* الدرر : ١١١/١ ، والشذرات : ٤/٦ .

كان أديباً لَبيباً فَطِناً أريباً ، عنده حِشْمةٌ ورياسة ، وصدارةٌ ونَفَاسة ، وكان خطيبَ الفيوم ، خاضعاً[١] للحي القيوم ، يُبكي العيونَ إذا خطب ، ويحذِّرُهم البوائق والعَطَب ، وكانت له فضائل ، وفيه من الكلمة شمائل . قال شيخنا أثير الدين : كان أحد رجالات الكمال صورةً وكرماً ، وعِلماً وأدباً .

قلت : ولم يزل على حاله إلى أن ظَفَر على ابن ظافر من الموت ظافِر[٢] ، وأَنْشَبَ فيه مخالِبَه والأظافر . توفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

وكان صَاهَر الصاحب تاج الدين بن حنّا[٣] ، وهو ابن بنت الشيخ مجد الدين الإخميمي[٤] ، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي الحاكم بالشام ، وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ومن شعره : ....[٥]

٩٦ ـ أحمد بن بلبان*

الشيخ الإمام العالم الفاضل المُفتنُّ شهابُ الدين أبو العباس . ابن النقيب البَعْلَبَكّي الشافعي ، مفتي دار العدل وشيخ الإقراء بالشام .

(١) (أ) : « خاشعاً » .

(٢) (أ) : « طافر » . تصحيف .

(٣) علي بن محمد بن سليم ، أحد رجال الدهر حزماً ورأياً وجلادة ، ت (٦٧٧ هـ) ، الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٤) اسمه محمد بن الحسن ، ت (٦٨٤ هـ) ، الشذرات : ٣٨٩/٥ .

(٥) كذا في الأصل ، ولم يورد شيئاً من شعره .

* الدرر : ١١٥/١ ، وغاية النهاية : ٤٠/١ ، والشذرات : ٢٠٠/٦ ، وفيه : « أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم » وهذا ماأشار إليه صاحب الدرر في قوله « كان اسم أبيه بلبان ، فغيّره عبد الرحمن ، قلت : وسمّى جدّه عبد الرحيم » ، ووقع اسمه في البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ هكذا : « أحمد بن عبد الله البعلبكي ، المعروف بأبن النقيب » ، وكذلك في طبقات الشافعية : ١٨/٩ .

فاضل زاد على الأفاضل ، ومفتَنٌّ قصّرَ عنه مَن يُناظِرُ أو يُناضِل ، أقرأ الجماعة للسبع ، واحتفوا كأنهم أشبالٌ اجتمعوا على السبع ، وكان نَحْوُه يَعْذُبُ في الأسماع مَنْطِقُه ، ويروقُ إلى القلوب رونَقُه ، لو رآه ابنُ مالك كان له عبداً ، أو ابن الحاجب لَفَداهُ بعينه نقداً ، ولِفقْهه على درسِ منهاجه فيه روضة ، وفتواه تُمرِعُ أرْضَ السامع وتملأُ حوضه . وأصولُه باسقة ، وسهامُه إلى الأغراض بالصواب راشقة ، ينظم وينثر جيداً ، لكنه مُقِلٌ ولو شاء لم يكن عن الإكثار متحيّداً . هذا كله إلى تواضُعٍ زانَه ، وتضاؤلٍ رفعَ شأنه وما شانه ، وعلا به أقرانَه ، وحشا به فَضْلَه فما أَسْعدَ قِرَانَه :

تلوحُ بين بني الدُّنيا فضائِلُه ... كما تبرّجَتِ الأَقْمارُ في السَّدَفِ
بادي التّواضُع للأَقْوامِ مِنْ كَرَمٍ ... إن التواضُعَ أقصى غايةِ الشَّرَفِ

ولم يزل على حاله إلى أن نُقب القبرُ لابن النقيب ، وأصابت كمالَهُ عَيْنُ الرقيب . وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة أربع وتسعين وست مئة بقلعة بعلبك . كان والده بها نقيباً ، اجتمعتُ به بالديار المصرية وبالشام غير مرة ، وكان يتفضلُ ويجلسُ عندي بالحائط الشمالي من الجامع الأموي بدمشق وآخذُ من فوائده وألتقطُ من فرائده .

قرأ على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ شهاب الدين الكفري[(١)] بالسَّبْع ، وحفظَ (الشاطبية) و (المنهاج) للنووي - رحمه الله تعالى - ، وقرأ على الشيخ كمال الدين الزَّمْلكاني[(٢)] ، وعلى الخابوري ، وعلى قاضي حماة ، وأُذِن له بالإفتاء بعد العشرين وسبع مئة ، وأُذِن له بذلك قاضي القضاة جلالُ الدين القزويني بالقاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وحفظ (مُخْتصرَ ابن الحاجب) و (الطوالع)[(٣)] ،

(١) حسين بن سليمان ، ستأتي ترجمته .
(٢) محمد بن عبد الواحد كمال الدين بن الزملكاني ، ستأتي ترجمته .
(٣) طوالع الأنوار ، مختصر في الكلام للبيضاوي ، ت (٦٨٥ هـ) ، الكشف : ١١١٦ .

وبحثها على الشيخ شمس الدين الأصفهاني ، وقرأ (التقريب) و (التيسير)[١] في علوم الحديث ، و (العمدة)[٢] على ابن العطار[٣] ، وحفظ (الحاجبية) و (ألفية ابن مالك) وبحثها على قاضي القضاة ابن مسلم الحنبلي[٤] ، وعلى ابن المجد البعلبكي .

وناب في القضاء بدمشق لقاضي القضاة شهاب الدين ابن المجد[٥] ، وتردّد إلى القاهرة مرّات على فرس بريدٍ تارة ، وتارة على خيله لزيارة القاضي علاء الدين ابن فضل الله ، وأخذ له في بعض سفراته تدريس العادلية الصغيرة[٦] لما شغرت من فخر الدين المصري مضافاً لما بيده من تدريس القليجية[٧] الشافعية برُحَيْبَةِ خالد[٨] ، وأخذ حلقة الاشتغال بالجامع الأموي في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بعد الشيخ برهان الدين الفزاري[٩] ، وكان بيده الإقراء بالأشرفية[١٠] جوار الكلاّسة ، ومشيخة الإقراء بتربة أم الصالح[١١] .

---

(١) التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير ، في أصول الحديث للنووي ، الكشف : ٤٦٥ .

(٢) هو « عمدة الأحكام عن سيد الأنام » لعبد الغني الجماعيلي ، ت (٦٠٠) ، الكشف : ١١٦٤ .

(٣) علي بن إبراهيم بن داود ، (ت ٧٢٤ هـ) ستأتي ترجمته .

(٤) لعله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر المزي ، قاضي المدينة . (ت ٧٢٦ هـ) ستأتي ترجمته .

(٥) ابن المجد الإربلي محمد بن المجد بن عبد الله بن الحسين ، ت (٧٣٨ هـ ، الشذرات : ١١٨/٦ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، وفي طبقات الشافعية : « شهاب الدين ابن المجد عبد الله » .

(٦) العادلية الصغيرة : داخل باب الفرج ، شرقي قلعة دمشق ، أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، الدارس : ٢٧٨/١ ، وتقع اليوم في سوق العصرونية بدمشق .

(٧) القليجية : داخل البابين الشرقي وباب توما ، بناها ابن قليج . الدارس : ٣٢٩/١ ، وهي من المدارس المجهولة الآن .

(٨) هو خالد بن أسد البجلي القسري ، الدارس : ٤٣٠/١ .

(٩) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم برهان الدين الفزاري (ت ٧٢٩ هـ) . سلفت ترجمته .

(١٠) دار الحديث الأشرفية ، بناها الأشرف مظفر الدين العادل ، الدارس : ١٥/١ .

(١١) فيها المدرسة الصالحية ، وواقفها الصالح إسماعيل بن أبي بكر ، الدارس : ٢٣٩/١ ، وانظر البداية والنهاية : ١٧٩/١٣ ـ ١٨٠ .

وكان أولاً يُقرئ أولاد القاضي مُحيي الدين بن فضل الله ، فحصّل بذلك هذه الجهات ، وأخذ له القاضي بدر الدين ابن فضل الله وظيفة الإفتاء بدار العدل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر .

وكان له ذوقٌ جيّد في الأدب وينظم وينثر في الأدب جيداً ، ولكنه يتخيل في نفسه لِمَا كان عنده من الانجماع لغلبة السوداء عليه ، فما يعمل شيئاً .

وبيني وبينه مكاتبات مذكورة في الجزء الخامس من (التذكرة) التي لي ، وكتبت أنا إليه وأنا بالرحبة وهو مقيم بالقاهرة أسأله عن أخبار الأصحاب :

رحلْتُ وفي مِصْرَ لي سادةٌ — يطولُ غرامي بهم واكتئابي
جَفَوْني وضَنّوا بأخبارهم — فأصبحْتُ أطلبُها من صحابي
عسى خبرٌ عنهم صادِقٌ — أُطالِعُه من كتابِ الشهاب

وكتبت له توقيعاً بإفتاء دار العدل بدمشق ارتجالاً ، وهو :

رُسِمَ بالأمر العالي المولوي السلطاني الصالحي العمادي ، لا زال شهابُه لامعاً ، وسَحابُه بالنوال هامعاً ، وجنابُه لأرباب العلم جامعاً ، أن يُرتَّبَ في كذا رُكوناً إلى ما أتقنه من العلوم ، وسَهِرَ له والناسُ نيام بشهادة النجوم ، وسكوناً إلى ما حصّله في مذهبه وحرّره ، وأوضح دليله بالمباحث وقرّره ، لأنه المُقرئ الذي قتل السبع بدُربته خُبْراً ، ونزل به أضيافُ التلاميذ وكان لهم من السخاوي أَقْرًاً ، والنحوي الذي لو رآه الفارسيُّ[1] ترجّلَ له إعظاماً ، ولو شاهده ابنُ مالك كان له غُلاماً ، والفقيه الذي لو عاينه صاحبُ (التّنبيه)[2] غدق[3] به هذا الأمر ونام ، ولو نظر الغزاليُّ لَمَا كان حاكَ

(١) أبو علي الفارسي ، ت (٣٧٧ هـ) .

(٢) هو إبراهيم بن علي الشيرازي ، صاحب كتاب التنبيه في فروع الشافعية ، ت (٤٧٦ هـ) ، الكشف : ٤٨٩ .

(٣) كذا ، ولم يستبن المراد .

بُرودَ تصانيفه ولا رَقَمَها بالأقلام ، والأصوليُّ الذي لو تصدّى لـه السيفُ قطعـه بـالقول المصيب ، ولو تقدم عَصْرَه قليلاً قـال النـاس : مـا ابن الحـاجب في العين كابن النقيب ، والحَبْرُ الذي تتفيّأُ الأقلامُ إلى ظِلِّ فتاويه ، وتبدو وجوهُ المذهب وقد نضّرها كأنها البـدرُ في دياجيه . فليباشِرْ ذلك على العادة المألوفة ، والقاعدة المعروفة ، مُبـاشرةً تكون لـدار العَدْلِ طِرازاً ، ولذلك الحفل إذا أرشـدَهم قولُـه إلى النجـاةِ مجـازاً ، مُبـديـاً من فتـاويـه ما يقطعُ الحِجَج ، ويقذفُ بَحْرُه الزاخرُ دُرَّهـا من اللُّجج ، ويُمضي السيفَ قُولـه فيقول لـه الحقّ : لا إثمَ عليـك ولا حرج ، فرُبّ قضـايـا لا يكشف قِنـاعَ إشكالها غيرُ فتـواه ، وأمورٍ ينجلي فيها الحقّ ببيانـه ويُنْظَرُ جـدواه ، وتقوى الله أفضلُ حليـةٍ زانَتْ أفـاضِلَ الناس ، وخيرُ غنيمة تعجَّلَها أولو الحِلْم والباس ، فَلْتَجْعَلْها قائدةَ حِلْمِه ، وفائـدةَ علمـه ، فقـد أصبح نجيَّ الملوك ، وقولُـه عِنْـدَهم أَنْفَسُ منَ الـدُّرِّ الْمُنَظَّم في السُّلـوك ، وألفـاظُـه عندهم حُجَّةٌ في الأوامر والنواهي ، وفتاويه عندها المآلُ وإليهـا التّنـاهي ، والله يُسـدِّدُ أقوالَه ، ويوطِّدُ رُكْنَ أقواله بالتقوى فإنها أقوى له . والخَطُّ الكريم أعلاه حُجّةٌ في ثُبوت العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

٩٧ ـ أحمد بن بيلبك*

شهابُ الدين ابنُ الأمير بدر الدين المحسني .

كان والده نائباً بثَغْرِ الإسكندرية ، كَتَبَ طبقةً عُليا ، ونسخ بخطه أشيـا ، وعـانى النَّظْمَ والنثر ، وأتى منها بحـدائـق الـزَّهر ، وجمـع وصنف ، وأطرب الأسماع بكـلامـه وشنَّف ، وراح عند الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعـالى ـ في[1] آخر أمره ، وكان يَسْمُرُ عنده في الليل[2] لتفريج همِّ صدره ، ويقرأُ بين يديه في مجلّـدات كان يُحضرهـا ،

* الوافي : ٢٨٠/٦ ، والدرر : ١١٦/١ ، والمنهل الصافي : ٢٥٧/١ ، وفيه : « بيليك » .
(١) ليست في أ .
(٢) في الأصل : « الكيل » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

ويُريه أوائلها فينظرها ، ونظم بعض مسائل (التنبيه) أتى بذلك على غالبها ، وبرّز في نظمها ولَطُف ما قال به في قالبها ، وكان يعرضُها أولاً فأوّلاً على العلاّمة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي إلى أن كمّلها ، وختمَ عليه مُفصَّلها ومُجملَها ، وتوجّه بعد تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ مرات إلى مصر وعاد ، وأَلِفت دمشقُ منه التداني والبعاد ، وآخر ما فارقها ، ونبذ عهدها وسارقها ، أنه توجه إلى مصر ، وسعى في نيابة دمياط ، وعمّر هناك عمارةً وقع منها في ألسنة العوام بين هياط ومياط .

ولم يزل بها نائباً إلى أن أساء الدهرُ إلى ابن الْمُحسني ، وذهب من حياته بالرائق السني ، وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وتسعين وست مئة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لله ساقٍ رشيقُ القَدِّ أهيَفُه ... كأنما صيغَ مِنْ دُرٍّ ومِنْ ذهَب
يسقي مُعَتَّقةً تَحْكي شمائلَه ... أنوارُها تَزْدَري بالسَّبْعَةِ الشُّهَب[1]
حُبابُها ثَغْرُه والطَّعْمُ ريقَتُه ... ولونُها لونُ ذاك الخَدِّ في اللَّهَبِ

قلت : شعر متوسط .

وكتبت أنا إليه وقد وقفت له على قصيدة في هذا الوزن بهذا[2] الروي يمدح بها رسول الله ﷺ :

(١) (أ) : « سقى معتقة يحكي شمائلها » .
(٢) قوله : « هذا الوزن بهذا » ، ليس في (أ) .

أيا قاصِداً في مدْحه أَشْرَفَ الورى ... وخَيْرَ نبيٍّ في البريَّـةِ أُرْسِلا
جلَوتَ علينا فيه وَجْهَ قصيدةٍ ... أجلَّ مِنَ البَدْرِ الْمُنيرِ وأَجْمَلا
إذا نحن شبّهنا به نَظْمَ شاعرٍ ... وكُلُّ قوافيها الحِسانِ تقولُ : لا

٩٨ ـ أحمد بن أبي بكر*

الأميرُ شهاب الدين ابنُ الأميرِ الكبيرِ سيف الدين نائب الشام ، أحدُ الولدين الذكرين اللّذين خلّفهما الأميرُ سيفُ الدين تنكز ، كانا بمصر من جُمْلَةِ الأمراء ، وكان هذا « أحمد » هو الصغير ، والأمير ناصر الدين محمد[١] هو الكبير ، وكان اسمرَ طويلاً ، قد أثّر الجدريُّ في وجهه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٩٩ ـ أحمد بن حامد بن عُصبة**

القاضي ، جمال الدين الحنبلي ، قاضي بغداد .

تولّى قضاء بغدَاد ، وكان فيها بمنزلة الأستاذ إلا أن « خَرَبندا »[٢] تغيّرَ عليه خاطِرهُ ، وتنكّبَ عنه من نسيمِ إقبالِه عاطِرُه ، فيُقال إنه أَحْرقَ به وعزَّرَه ، وكاد لولا قليلٌ أن يُرى وقد نَقَبَ جَنْبَه وفَزَرَه[٣] .

ما زال في حاله إلى أن عاملته الحياة بالجفاء ، وأعوزته الوقوفَ على ربوع الشفاء.

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

* لم نقف على ترجمته .
(١) ليس في (أ) و (خ) .
** الوافي : ٢٩٩/٦ ، والدرر : ١١٧/١ .
(٢) سلطان التتار ، ت (٧١٦ هـ) ، الشذرات : ٤٠/٦ .
(٣) فزره : شقه ، وضربه بالعصا على ظهره .

١٠٠ ـ أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن عليّ*

الإمام الحاكم بأمر الله ، أبو العباس بن الأمير أبي علي القُبّي ـ بالقاف والباء الموحدة ـ وعليّ المذكور ابن الخليفة المُسْترشِد[1] بالله بن المُسْتَظهِر الهاشمي العباسي البغدادي ، قدم مصر ، ونهضَ ببَيْعَتِه الملكُ الظاهر ، وبُويع سنة إحدى وستين وست مئة[2] ، وخطبَ بالناس ، وعقد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس .

وكان مُلازماً لداره ، وكان شجاعاً له إقدام ، وعنده ثباتُ جَنَان في الحرب وإقدام ، لا يفرُّ من الحَين المُجْتَاح ، ولا يُرى في وسط المعركة إلا وهو إلى الموت يرتاح[3] . هذا إلى ديانة متينة وصيانة مُبينة . له راتب يكفيه من غير سَرَف ، ويُقيم أَوَدَه إذا ماد أو انحرف .

امتدت أيامُه قريباً من أربعين سنة ، ثم إنه عهد بالخلافة إلى ولده المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ، وكان الحاكم قد نجا في كائنة[4] بغداد ، واختفى ، ثم إنه سار مع الزين صالح بن البنا والنجم بن المشّا ، وقصدوا أميرَ خفّاجة حسين بن فلاح ، وأقاموا مدّة ، ثم توصلوا إلى دمشق ، وأقام بالبَرّ عند عيسى بن مهنا[5] ، فعرّف به الناصر

* الوافي : ٣١٧/٦ ، والدرر : ١١٩/١ ، والبداية والنهاية : ٢٣٧/١٣ و ١٨/١٤ ـ ١٩ . ترجمته .

(١) في الأصل : « ابن المسترشد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وفي البداية والنهاية ، ٢٣٧/١٣ : « .. القبي بن الأمير علي بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد .. » .

(٢) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٣١/١٣ وما بعدها ، وبدائع الزهور : ٣١٢/١ ، والمختصر لأبي الفداء : ١٣٥/٤ .

(٣) (أ) : « إلى الحرب مرتاح » .

(٤) (أ) : « واقعة » . وهما بمعنى .

(٥) ابن مهنا ، (٦٨٣ هـ) ، الشذرات : ٣٨٣/٥ ، كان أمير سلمية سنة ٦٥٨ هـ ، البداية ٢٢١/١٣ غير صحيح لأن الحادثة قبل الستين .

صاحب حلب[١] ، فطلبه ، وجاء هولاكو ، ولَمّا جرى ما جرى ، ودخل المظفر دمشق بعد واقعة (عين جالوت) ، بعث أميراً يطلب الحاكم ، فاجتمع به وبايعه ، وتسامع به عربُ الشام ، فساروا معه[٢] ، وآلُ فَضْل وخلْق ، فافتتح بهم عانة وهِيت والأنبار ، وحارب « القراؤول » في[٣] سنة ثمان وخمسين وست مئة ، فهزمهم ، وقتل منهم ثمانية مقدّمين ، وأُزْيَدَ من ألف ، وما قُتل من عسكره سوى ستة ، فأقبل التتار مع قرّابغا ، فتحيّز[٤] الحاكم ، وأقام عند ابن مهنا ، ثم كاتَبه طَيْبَرس نائب دمشق ، فَقَدِمها ، فبعث به إلى مصر ، وصحبه الثلاثة الذين رافقوه من بغداد ، فاتفق وصول المستنصر قبله إلى مصر بثلاثة أيام ، فخاف الحاكم منه وتنكّر ، ورجع[٥] ماشياً وصحبته الزين الصالحي[٦] إلى دمشق ، فاختفى بالعقيبة[٧] ، ثم قصدا (سَلَمْيَّة) وصحبتهما جماعة أتراك ، فقاتلهم قوم ، ونجا الحاكم ، وقصد الأمير البرلي[٨] ، فقبّل البرلي يده وبايعه هو وأهلُ حلب ، وساروا إلى حرّان فبايعه بنو تيميّة بها ، وصار معه نحو الألف من التركمان وغيرهم ، وقصدوا (عانة) فصادفوا المستنصر الأسود ، فعمل عليه ، واستمال التركمان ، فخضع الحاكم وبايعه ، والتقوا التتار ، فانكسر المسلمون ، وعُدم المُستنصر ونجا الحاكم ، فأتى (الرحبة) ونزل على ابن مهنا ، فكتب إلى السلطان ، فطلبه ، فسار إلى القاهرة ، وبويع بإمرة[٩] المؤمنين ، وسكن في برج القلعة[١٠] ليس له في الأمر شيء

(١) هو يوسف بن محمد ، ت (٦٥٨ هـ) ، التحفة : ١٥٤/٢ .
(٢) كذا في الأصل و (أ) ، وعبارة الوافي : « فسار ومعه ابن مهنا وآل فضل » .
(٣) (أ) ، والوافي : « في آخر » .
(٤) في الوافي : « فتحيّن » .
(٥) « الواو » زيادة من (أ) ، وفي الوافي : « وقصد » .
(٦) في (أ) : « الصالح » .
(٧) العقيبة : حي في وسط دمشق الآن ، على مقربة من قلعة دمشق ، إلى الشمال منها .
(٨) في الوافي : « البزلي » .
(٩) في الأصل : « بأمر » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(١٠) (أ) : « في برجٍ من القلعة » ، وفي الوافي : « في برجٍ بالقلعة » .

سوى الدعاء في الخطبة ، وطلب له إلى مصر الإمام شرف الدين بن المقدسي [(١)] ، فأقام معه نحو سنة يُفقهه ويعلّمه ويُكتّبه ، وأجاز له ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر ، ولم يحدّث .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وخرّج له ابن الخبّاز بخطه الوحش وانتخابه العفش أربعين جزءاً بالإجازة ، فبعث بذلك إلى الوراقة .

وكانت وفاته سنة إحدى وسبع مئة ، في ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى ، ودُفن بمشهد السيدة نفيسة .

وقد تقدم ذكرُ حفيده أحمد بن سليمان ، وسيأتي ذكر ولده سليمان ـ إن شاء الله تعالى [(٢)] ـ في حرف السين مكانه .

١٠١ ـ أحمد بن الحسن*

ابن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي .

قاضي القضاة ، شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ شرف الدين ابن الحافظ جمال الدين .

كان من أعيان الحنابلة وفرسانها المُقاتلة ، جيّداً في ذاته ، خيّراً في صفاته ، درّس بالصالحية وبحلقة الحنابلة ، وولي الإمامة بمحرابهم ، وولي القضاء بالشام نحواً من ثلاثة أشهر عوضاً عن قاضي القضاة تقي الدين سليمان في سنة تسع وسبع مئة في مستهل جمادى الآخرة [(٣)] ، ولمّا جاء الملك الناصر من الكرك إلى دمشق عزله ، وأعاد قاضي القضاة تقي الدين سليمان .

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة ، ت (٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ١٣/٣٤١ .
(٢) زاد في (أ) ههنا : « وما فيه من الكلام الغريب » .
* تالي الوفيات : ٨ ، والشذرات : ٦/٢١ .
(٣) انظر أحداث سنة (٧٠٩ هـ) ن البداية والنهاية : ١٤/٥٠ ، والدارس : ٢/٢٧ ، وستأتي ترجمة سليمان .

وكان فاضلاً ، فقيهاً ، مناضلاً نبيهاً ، حسنَ العبارة ، إذا جرى في ميدان علمه لا يَشق أحدٌ غُباره .

وقرأ الحديث ، وروى عن ابن عبد الدائم .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى إلى[1] سبيل ربه ، وعجز المداوي عن رُقاه وطِبّه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع عشري شهر ربيع الأول سنة عشر وسبع مئة .

ومولده ثاني عشر صفر سنة ست وخمسين وست مئة بسفح قاسيون .

١٠٢ ـ أحمد بن الحسن بن محمد*

مجير الدين الخياط الدمشقي .

كان المذكور شيخاً خياطاً ، وناظماً في ليل جهالته خبّاطاً ، وربما ندر له البيت والبيتان ، ورمى بالدرة فلقفها من أقلامه الحيتان[2] ، مع ثقل في ألفاظه ، ما تنوء به أذهان حُفاظه . وكان كثير الدعاوى في هذا الفن ، غزيرَ الإدلال على مَن يسمع له ما شرد له وما عَن ، يقول : البارحة عركت أُذنَ أبي تَمّام ، وأريته جربّانَه في الحَمّام ، وينشد قصيدة قد عارضها [في][3] وزنها ، ويقول : هكذا تكون الدّرر في خَزْنِها . والبارحة ضربت المتنبي بألف بابوج ، وجعلت طرطوره مثل السراقوج ، وينشد قصيدةً يعتقد أنها نظيرُ شعر ذاك ، ويقول : هكذا تكون الجواهر في الأسلاك[4] .

---

(١) في الأصل : « إلى أن قضى سبيل ربه » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٣٢/٦ ، والدرر : ١٢٢/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/١ .

(٢) في (أ) : « فلقفها من ألفاظه الحسن » .

(٣) زيادة من (أ) .

(٤) (أ) : « في العقود والأسلاك » .

وشعره في عدة مجلدات ، ليس لها نظيرَ في بابها ولا لِـدات . قـال لبنتـه المسكينـة قبل موته : لا تبيعي كل مجلد من هذه بأقل من مئتي دينار ، وإياك أن يغرّك أحـد ، فيأخذها بدون[1] هذا المقدار . فكانت بعد موته تبيع كل مجلد منها بـدرهمين أو ثلاث ، وتتعجب من الناس كونهم مالهم عليها إقبال ولا انبعاث .

ولم يزل على ذلك الحال إلى أن لم يجد المجير من الموت مُجِيراً ، وبَطَل ما كان له من العادة والهِجِّيرى[2] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنـة خمس وثلاثين وسبع مئـة ، وقـد قـارب السبعين أو تجاوزها .

ومن شعره ، ومن خَطِّه نقلت :

إلى كَمْ أيُّهـا الـدهرُ الخَـؤُون ... أَهُـونُ وأنت صَعْبٌ لا تَهُـونُ
ثَكِلْتُـكَ لا خليـلُ لـديـك يُرجى ... صفـاءُ الـودِّ منـه ولا خَـدينُ
ولا سَكَنٌ إليـه من الليـالي ... إذا اضطربَتْ حـوادِثُهـا سُكُـونُ
ولا قِرْنٌ من الإخـوان ذِمْرٌ ... بـه يُحمى الـذِّمـارُ ولا قرينُ[3]
ولا تِربٌ يُصـابُ ولا صـديـقٌ ... كما لم يجتمـعْ ضَبٌّ ونـونُ
فـدَحْضـاً ثم تَعْسـاً ثم عَثْراً ... لِخَطْـوِكَ أيّهـا الصَّعْبُ الخَـؤُون[4]
فيـاشرَّ الـدهـورِ إلامَ ظَمئي ... لـديـك ولا مَعينُ ولا مُعينُ
أُكَـذّبُ في لِئـامِ بَنيـك ظَنّي ... فتَصْـدُقُني المـآربُ والظُّنـونُ
وأَسْمَـحُ أَهْـلِ هـذا العَصْرِ نَفْسـاً ... بنـائـلِ خَيْرِه كَـزٌّ ضَنينُ[5]

(١) (أ) : « بأقل من هذا » .
(٢) هجّيراه : دأبه وشأنه .
(٣) الذمر : الشجاع .
(٤) (أ) : « الحرون » ، وهي أقرب .
(٥) (أ) : « بنائل غيره » .

ولستُ فتًى على وَعَـــكِ الليـــالي إلى غير الْمُهَيْمِنِ أَسْتكينُ
وإن جــارَ الــزمــانُ فلي قنـــاةٌ على غَمْــــزِ الحـــــوادث لا تَلينُ
لأنّي من بني بيتٍ رفيــــــــعٍ عليــــــــه تَنزّلُ الروحُ الأمينُ
يغرُّ ذوي الجهــــالَـــــةِ فيَّ حِلْمٌ إذا طـــــاشَتْ حلـــومُهم رَزِينُ
ومــا علمــوا بــأن جبــالَ حِلْمي لهم من خَلْفِهـــــــا مَقْتي كَمِينُ
وألفــــاظٌ أحـــــدُّ منَ المـــواضي إذا شَحَـذَتْ مضــارِبَهـا العيــونُ

ومنها :

وفي مُتَشــــاعري عَصْري أُنــــاسٌ أَقَـلُّ صِفــــاتِ شِعْرِهِمُ الْجُنــونُ
يظنّــــونَ القريضَ قِــــوامَ وَزْنٍ وقــافيــة ومـا شــاءت تكــون[(١)]
ومــــا علمــوا بــــأنّ الشِّعْرَ مَرْقى دُوينَ صُعُــودِهِ يَنْـــدى الجبينُ
وعِبْءٌ لـــــو تحمَّلَـــــهُ ثَبيرٌ لأَطَّ لـــه ومنـــه بـــدا الأنينُ[(٢)]
وبَحْرُ نُهىً لـــه غَــوْرٌ بعيـــدٌ عــزيــزٌ فيـــه لُــؤلُــوه الثّمينَ
ومضمارٌ فُحــولُ الشعرِ فيــــه لهم من وَعْرِ شِقَّتـــــهِ صُفــــونُ
وقــافيـــةٌ هي الـــذَّهَبُ الْمُصَفّى إذا امْتحنت بـــــل السِّحْرُ الْمُبينُ
معـــانيهـــا الثــواقبُ والقــوافي إذا يُفْـــــــزَعْنَ أبكارٌ وعِينٌ[(٣)]

١٠٣ ـ أحمد بن حسن*

الأمير شهاب الدين بن المروانيّ .

(١) (أ) : « قيام » .
(٢) ثبير : جبل . وأطّ له : رقّ وصوّت من الثقل .
(٣) (أ) : « معايشها » .
* أشار بن كثير إليه وإلى سنة وفاته في البداية والنهاية : ١٦٢/١٤ .

كان أوّلاً مُتَوَلِّيَ البَرّ[١] بالكرك ، وأخوه علاء الدين[٢] بن المرواني متولي البر[٣] بدمشق ، فأُعرف في وقت أنه طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، وكتب الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ على يده مُطالعةً ، وكتبا إلى الأمير سيف الدين بكُتُمر الساقي وغيرِه بالشكر منه والوصيّةِ به ، فأخذ الكتُبَ وتوجّه بها ، ولم يفتَقِدْها إلا وهو بين يدي السلطان ، فمدّ يدَه ليُخرجَ الْمُطالعة ، فلم يجد لها أثراً ، فسقط في يده ودهش ، فتلافى أَمْرَه سيف الدين بكتمر الساقي ، وكتب إلى تنكز في معناه ، فاستأنف المكاتبة له ثانياً ، وجهّزها في البريد إليه ، فأقبل السلطانُ عليه بعد ذلك وعاد مُكرّماً .

وتولى نيابةَ بعلبك ، ولم يزل فيها إلى أن طُلب أخوه الأمير علاء الدين إلى مصر ، وولاّه السلطان الوجهَ القبلي ، فطلبه الأمير سيف الدين تنكز من بعلبك وولاّه مكانه في ولاية البَرّ ، فأقام به إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان قد توجه إلى مصر ، فحضر وهو مريض .

وكان فيه دين ، يتلو القرآن ويَتَنَفَّل وفيه خَيْر وعبادة .

١٠٤ ـ أحمد بن زكريا بن أبي العشائر*

الشيخ شهاب الدين أبو العباس المارديني .

روى الجزء الثاني من مشيخة ابن سلمة[٤] عنه . وكان مُقيماً بدمشق يصحب القاضي

(١) متولي البر : هو القائم بشؤون القرى المحيطة بالمدينة .

(٢) (أ) : « الأمير علاء الدين » .

(٣) (أ) : « البريد » ، تحريف .

* الدرر : ١/١٣٣ .

(٤) في الأصل : « مسلمة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

محيي الـدين بن الـزكي[(١)] وأولادَه ، وينتمي إلى ابن العربي . ثم إنه سـافر في الجفـل إلى القاهرة واستوطنها .

قال شيخنا البرزالي : وأجاز لنـا بـدمشق ، وتوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ بـالفيوم في شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة بماردين .

أنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس قال : أنشـدنـا المـذكور ، قـال : أنشدنا الزين الجوبان لنفسه :

انْظُرْ إلى الشَّمْسِ وقـد عَمَّمتْ　　رُؤْسَ الهِضـابِ الصُّلَّـعِ بـالأصْفَرِ
كأنهـا في الجَـوِّ قُـلاّعـةٌ　　وجـاءِ فـلاّحٌ عليهـا خري[(٢)]

١٠٥ ـ أحمد بن خليل*

شهاب الدين البزاعي التاجر الشـاعر ، لـه ديوان شعر ، حـدّث بشيء منـه ، سمع [منه][(٣)] الطوفي الحنبلي ، وسراج الدين عبد اللطيف بن الكويـك[(٤)] ، والسـديـد بن كاتب المرج ، وناصر الدين محمد بن الثقة الأسنائي .

كان المذكور سفّاراً ، يحمل من الفضل أسفـاراً ، لـه عنـايـة بـديوان أبي الطيب ، وميل إليه كما يتحـدّر قَطْر الصيّب ، يراجعـه ويكرر على أبيـاتـه[(٥)] ، ويعتني بـإظهـار

(١) (أ) ، (خ) : « مجد الـدين بن الـزكي » . تحريف وهـو يحيى بن محمـد ، ت (٦٦٨ هـ) ، العبر : ٢٨٩/٥ ، والبداية النهاية : ٢٥٧/١٣ .

(٢) القلاعة : صخرة عظيمة وسط فضاء سهل .

* الدرر : ١٣٠/١ ، وخلت (خ) من ترجمته .

(٣) زيادة من (أ) ، وهي ثابتة في الدرر .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ويكرّ على إثباته » .

عجائبه ومخّبآته ، ولم يزل على حاله إلى أن مُرّغت بالموت صفاتُه ، وشُرِّعت[1] وفاته .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب المئة سنة .

ومن شعره : ...[2]

١٠٦ ـ أحمد بن سعد بن مُحَمَّد*

أبو العباس العسكري الأندرشي[3] الصوفي .

شيخُ العربية في زمانه بالشام ، وبارقُها الذي يَنْتجعُ قَطْرَه مَن شَام ، برع في النحو ودرّسه ، واقتطفَ أثمار ما علّقه من الفوائد وغَرَسه . أقرأ (التسهيل) بدمشق لجماعة تخرّجوا به وانتفعوا ، وخَرَجُوا من الجهالة واندفعوا . وشَرَح (التسهيل)[4] ، وجعل غامِضَه كثيباً هِيل .

نَسَخ بخطه (تهذيبَ الكمال) واختصره ، وشرع في تفسيرٍ كبيرٍ وفَّرَ وقته عليه وقصره ، وكان دَيّناً ، وَرِعاً صَيّناً ، مُنقبضاً عن الناس إلى الغاية ، منجمعاً عنهم ليس له بأمرهم عناية ، لم أرَ في عمري ولا رأى غيري مثل انجماعه ، ولا مثل اطّراحه أمورَ الناس ودفاعِهْ . حضرت يوماً عند العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وهو عنده بعدما أمسك الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ بخمس سنين ، فذُكِرَ إمساك تنكز ، فقال : وتنكز أُمسك ؟ قلنا : نعم ، وجاء بعده أربعة نوّاب ، الأمير

---

(١) (أ) : « وسرِّعت » .

(٢) بياض في الأصول .

* الدرر : ١٣٥/١ ، وفيه : أحمد بن سعد بن عبد الله ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والبغية : ٣٠٩/١ .

(٣) في الأصل : « الأندرسي » ، وأثبتنا ما في (أ) وبقية المصادر .

(٤) ذكره صاحب الكشف : ٤٠١ .

علاء الدين ألطنبغا ، الفخري ، وأيدغمش ، وهذا الأمير سيف الدين طقزتمر ! فقال : ما علمت بشيء من هذا ، وما في ذهني أن تنكزَ أُمسك ! فتعجبنا منه ومن تخلّيه عن أحوال الناس والاشتغال بهم ،. ويقع في دمشق مثلُ واقعة تنكز ، والفخري ، وألطنبغا ، وهو في دمشق ما[١] يعلم بشيء من ذلك ! هذا من أعجب ما يكون .

وكان له بيت في الجامع تحت المأذنة الشرقية ولم يزل مُكِبّاً على (التسهيل) حتى محقه الإسهال ، وذكره الموت بعد الإمْهَال والإهْمَال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة خمسين وسبع مئة ، ومولده بعد التسعين والست مئة ، ووقف كتبه على أهل العلم ، وجعل أمرها لقاضي القضاة .

١٠٧ ـ أحمد بن سليمان بن مُحَمَّد بن هلال*

الصاحب تقي الدين ، ابن القاضي جمال الدين ، ابن القاضي أمين الدين ، ابن هلال .

خَرَجَتْ له شَفاعةٌ من دُور السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ونحن معه بالقاهرة في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بأن يكون في جملة كُتّاب الإنشاء بدمشق ، فوَعدهُنّ[٢] بذلك إذا عاد إلى دمشق ، ثم إنه ذُكِرَ له أَمْرَه فما وافق ، ثم إنه سعى بعد موت جمال الدين عبد الله[٣] بن غانم في زمن طقزتمر أن[٤] يكون عوضَه فما اتفق له ذلك ، فتوجه إلى مصر ، وسعى في أيام

(١) (أ) ، (خ) : « ولا » .

* الوافي : ٤٠٥/٦ ، والدرر : ١٣٨/١ .

(٢) (أ) : « فوعد نساء السلطان » .

(٣) (أ) ، (خ) : « جمال الدين بن عبد الله » .

(٤) (أ) ، (خ) : « على أن » .

الملك الكامل ، وبذل مبلغاً كثيراً[(١)] في وكالة بيت المال والحسبة ، وتوقيع الدست بالشام ، فرُسم له بذلك ، وبلغ مبلغاً كبيراً[(٢)] ، ثم توقفت القضية ، فلما تولّى الملك المظفر ، قام معه الأمير سيف الدين بن فضل والصواف تاجر الخاص فرُسم له بنظر الشام عوضاً عن الصاحب علاء الدين بن الحرّاني ، لأنه كان قد تصوّر[(٣)] من الوظيفة ، وحضر إلى دمشق في زمن الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي بعد عيد رمضان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وباشر الوظيفة مدة تقارب نصف سنة إلى أن عُزل بالصاحب شمس الدين موسى[(٤)] ابن التاج إسحاق ، وحضر إلى دمشق في أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلا حَسَنَ الصورة ، مليح الشكل ، حركاته على الظُرف واللُطف مقصورة ، قد خُط عذاره بقلم الريحان ، وبَسَم عن ثغر كأنه الحُباب على بنت الحان ، بعِمّة أنيقة اللّف ، دقيقة الصّف ، وقلمُه سريع الحركة ، وحروفه أحسن في دُجى الحِبْرِ من النجوم الْمُشتبكة ، واستخفّ الناس به ، وقالوا : هذا صغيرٌ على هذه الوظيفة ، قليل الدُربة بتنفيذ أمور الدولة العالية المنيفة ، فلطف الله به ، وجاءت الجهات من عيونها ، وماتت نفوس حساده بغُبونها ، وكان قلمه رطباً لا يرد سائله ، ولا يُخيّبُ مَنْ أمّله وسائِلَه ، رأدَ معاليمَ جماعة ، وأجرى قلمه بصِلَةِ الرّزق ومدَّ باعَه ، إلا أن الناس عَبَرَتْ عيونُهم عليه ، ولَعِبوا في التَّصرفُ بين يديه ، وقلّت حُرمَتُه ، وحلّت بذاك جُرمتُه ، ونُهب المال وتمحّق ، ووقع في الضياع وتوّهق[(٥)] ، فكتب الأمير سيف الدين

---

(١) (أ) ، (خ) : « كبيراً » .

(٢) قوله : « وبلغ مبلغاً كبيراً » ، ليس في (أ) ، (خ) .

(٣) أي : صُرف .

(٤) ليس في (أ) و (خ) .

(٥) توهق : اضطر إلى ما يتحير فيه .

يلبغا ، وطلب الصاحب شمس الدين موسى ، فحضر كما ذُكر أولاً ، ولم يجد الصاحب تقي الدين عن دمشقَ متحوّلاً ، فلازم دارَه ، وأقام مكانه[١] كالقمر في الدّارَة .

وكان قد استدان من الصّواف مبلغ ثمانين ألفاً ، واتفق في تلك المدة أن حضر الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق متوجِّهاً بالأمير فخر الدين إياس إلى نيابة[٢] حلب ، فطالب تقي الدين المذكور مطالبةً فيها غِلْظة ، وأراه مع مهابته أخلاقا فَظّة ، وجَدّ له واكفهر ، وجدّله وازْبَأَرّ[٣] ، فشفع فيه الأمير فخر الدين ، وضَمِنَ له القيام بذلك عند عَوْدِه من حلب ، وأنه ما يحوجه بعد هذا المجلس إلى طلب . فلما كان قبل وصول الأمير سيف الدين صرغتمش إلى دمشق بليلة واحدة ، ثارت على تقي الدين حُمّى بالهلاك معترفة وللحياة جاحدة ، وتبيَّع مع الحمى دمٌ كثير ، وهُيّج كَرْبٌ للتلاف مُثير ، أعجزَ الأطباءَ عن خلاصِه أو فَكَاكِه ، وتركوا ابنَ هلال في دَائِرة[٤] هلاكه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة سادس شهر رجب الفرد ، سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان عمره خمساً وعشرين سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة[٥] ما كتبه إلى المذكور[٦] :

هُنّيتَ ما أُوتيتَه مِنْ دَوْلَةٍ ... حملتْكَ في العينين مِنْ إجلالِها
في مُقْلَةِ الأَجْفانِ أنت فقُلْ لنا ... أنت ابنُ مُقلتها أو ابنُ هِلالها

وانتقدَ الأفاضلُ عليه هذا المعنى ، لأنه ما يستقيم له المعنى الذي أراده ، فأنشدني بعد ذلك الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الخياط من لفظه لنفسه :

(١) (أ) ، (خ) : « في مكانه » .
(٢) (أ) : « مدينة » .
(٣) ازبأر الرجل للشر : تهيأ .
(٤) (أ) : « دارة » .
(٥) (أ) ، (خ) : « محمد بن محمد بن نباتة » ، وستأتي ترجمته .
(٦) ديوان ابن نباتة : ٤١٤ .

إنّ الـوزَارةَ والكِتـابـةَ لم تَجِـدْ أحـداً سـواك يـزيـدُ في إجْلالهـا
جَعَلَتْـكَ في العينين منهـا يـاتُرى أنت ابنُ مُقلَتِهـا أو ابنُ هِـلالِهـا

١٠٨ ـ أحمد بن سليمان بن أحمد بن الحسن القُبّي*

ـ بضم القاف وتشديد الباء ـ ابن أبي بكر بن علي ، ابن الفضل بن أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن[١] إسحاق بن جعفر بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، الإمام العباسي المصري ، أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، أبو القاسم ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم ، وجده الفضل هو المسترشد بن المستظهر بن المقتدي بن القائم بن القادر بن المقتدر بن المعتضد بن الموفق[٢] بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور .

لمّا توفي والده المستكفي بالله بقُوص ـ كما[٣] سيأتي في ترجمته في حرف السين ـ عهد بالأمر إلى ولده هذا أحمد ، فلم يوافق الملك الناصر[٤] محمد بن قلاوون على ذلك كراهية في والده ، وبويع أبو إسحاق إبراهيم ابن أخي المستكفي بيعة خفيّة لم تظهر ، ولم تبد كواكبها[٥] في أفق الخلافة ولم تُزهِر ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن تولّى الأشرف كجك في أيام قوصون ، فطلب أبا القاسم هذا وبايعه بيعة ظاهرة ، سارية في[٦] الآفاق

---

* الدرر : ١٣٧/١ ، والشذرات : ١٧٣/٦ ، والبدائع : ٥٤٨/١/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠٨/١ ، وفيه خلاف عما هنا في نسبه وسنة وفاته .

(١) قوله : « عبد الله بن أحمد بن » ليس في (أ) و (خ) .

(٢) في (أ) : « بن القادر بن المعتصم بن الموفق » .

(٣) (أ) ، (خ) : « على ما » .

(٤) في الأصل « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٥) (أ) ، (خ) : « ولم يبد كوكبها » .

(٦) (أ) ، (خ) : « إلى » .

سائرة ، وكان قد لُقّب أولاً بالمستنصر ، فلُقّب الآن بالحاكم ، وكُني أبا العباس ، واشتدت أواخي خلافته والأمراس .

ولم يزل خليفة بمصر من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن خمدت أنفاسه ، ونقضت من الحياة أحلاسه[١] ، وتوفي ـ تغمده الله برحمته في ذي الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١٠٩ ـ أحمد بن عبد الله*

ابن أحمد بن إبراهيم بن المسلم .

القاضي النبيل الماجد ، شهاب الدين ابن البارزي ، ناظر الأوقاف بدمشق ، حدّث بالغيلانيات[٢] عن غازي الحلاوي[٣] .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا الحاجب في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة من حماة ، فأكرمه ورتّبه في نظر الأوقاف ، وكان في حماة في زمن الملك المؤيد عماد الدين[٤] صاحباً ، وكان يحبه ويكرمه ، وكان كثير البِشْر طلق الوجه ، لا يعرف الرد ولا النَّجّة[٥] ، كثير التودد والتقرب إلى القلوب ، لا يعرف إلا إيجاب الحقوق على نفسه دون السلوب ، يأخذ نفسه بالسيادة التي اعتادها ، وأكرم الله له وِلادها ، وألِف رضاعها فما أضاعها بختانة وِلادِها ، يتحيل على أن يخدم الناس بما

---

(١) (أ) ، (خ) : « أخلاسه » ، والحلس : العهد الوثيق .

* الدرر : ١٧٨/١ ، وهذه الترجمة ليست في موضعها .

(٢) الغيلانيات من أجزاء الحديث ، لمحمد بن عبد الله الشافعي ، برواية محمد بن غيلان البزار ، وكلاهما توفي سنة (٣٥٤ هـ) ، الكشف : ١٢١٤/٢ .

(٣) الدمشقي ، انتهى إليه علم الإسناد ، ت (٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

(٤) هو إسماعيل بن علي ، ت (٧٣٢ هـ) ، الوافي : ١٧٣/٩ .

(٥) النج : المنع .

عنده ، ويودّ أن كلَّ أحد يستظلُّ بانَه ورَنْدَه ، ويختار أن المحتاج والمحتال لا يقتدي إلا به ولا يقتدحُ إلاّ زِنْدَه ، وَرَدَ على أهل دمشق غريباً ، فكان إلى كل القلوب قريباً ، وإذا عاداه غِرٌّ به، ردّه بالإحسان إليه حبيباً ، بأخلاقٍ من أين للنسمات لُطفُها ، أو للغصون مَيلُها وعَطْفُها .

ومناقبٌ بيضُ الوجوه مُضيئةٌ أبداً تُكاثِرُ أَلْسُنَ الْمُدّاحِ
مَن قاس ذا شَرَفٍ بـه فكأنما وَزَنَ الجِبالَ القُودَ بالأَشْباحِ[1]

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن بَرَز إلى لحده ، وخلّف السؤددَ ينوحُ عليه من بعده . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان قاضي القضاة تقي الدين السبكي يعظّمه ويحترمه ويبرُّه .

١١٠ ـ أحمد بن سليمان*

ابن مروان بن علي بن سحاب .

الشيخ العدل الفاضل ، الأديب الصدر شهاب الدين أبو العباس ابن الشيخ نجم الدين البعلبكي .

كان تاجراً بالخوّاصين مدة ، ثم ترك ذلك ، وشهد على الحكّام ، ودخل في شهادة القيمة[2] ، وكان تقدّم له اشتغال في العربية والأدب ونظم الشعر ، وله قصائد .

وقرأ القرآن على علم الدين السخاوي ، وعرض عليه (الشاطبية) . قال شيخنا البرزالي : رواها لنا عنه مرات ، وروى لنا أيضاً « جُزء سُفيان »[3] ، وجزء

(١) القود : من صفات الجبال ، وهي المستطيلة الضخمة .

* الدرر : ١٣٩/١ ، الشذرات : ٢٩/٦ .

(٢) شهود القيمة يقطع بقولهم في حق كل مستحق ومال اليتيم ، وعليهم المدار وبشهادتهم يقدر المقدار .

(٣) سفيان بن عيينة الهلالي ، الكشف : ٥٨٧ .

« الصفار »[١] ، و « الأربعين السلفية »[٢] ، و « تاريخ هاشم بن مرثد » ، وروى لنا (نُسْخَةَ أبي مسهر)[٣] عن[٤] المشايخ الأربعة : التاج الشيرازي[٥] ، وابن علاّن ، وابن ريش ، وإبراهيم بن خليل[٦] ، و غير ذلك .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سادس ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وعشرين وست مئة .

١١١ - أحمد بن سلامة*

ابن أحمد بن سلامة . الإمام العلاّمة ، قاضي القضاة بدمشق المالكي ، القاضي فخر الدين أبو العباس ابن القاضي تاج الدين أبي الخير بن القاضي زين الدين أبي العباس الإسكندري .

كان جَبَلاً في علمه ، وشُعْلَةً في فَهْمه ، بحراً يتموج فُرُوعاً ، وحَبراً لا يُرى في معرك الجدال مَرُوعاً ، هذا إلى تفسير وحديث ، ومعرفة تواريخٍ مِنْ قديم وحديث ، وأصولٍ برّز في معرفة مسائلها ، وعرف مَأخذ قربها من الحق ووسائلها[٧] . جلس ببلده مدة للإفادة ، وكان للطلبة عليه في كل وقت قدومٌ ووفادة ، وانتفع الناس بعلومه المتقنة ،

---

(١) إسماعيل بن محمد ، ت (٣٤١ هـ) ، الكشف : ٥٨٨ .

(٢) وتعرف أيضاً بالبلدانية ، لأحمد بن محمد السلفي ، ت (٥٧٦ هـ) ، الكشف : ٥٤ .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر ، من حفاظ الحديث ، كان شيخ الشام وحافظها بالحديث ، ت (٢١٨ هـ) ، السير : ١٠/٢٢٨ ، والشذرات : ٣/٩٠ .

(٤) في (أ) : « على » .

(٥) أحمد بن محمد بن هبة الله الدمشقي ، ت (٦٤٢ هـ) ، الشذرات : ٥/٢١٣ .

(٦) إبراهيم بن خليل الدمشقي ت (٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٥/٢٩٢ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والبداية والنهاية : ١٤/٩٢ ، والدرر : ١/١٤٠ ، والشذرات : ٦/٤٧ .

(٧) (أ) : « ومسائلها » .

وفوائده المفتنة [(١)] . وناب هناك في الحُكْم ، وشرّف نفسه عن قبول الهديّة والشُّكْم [(٢)] ، فشُكِرتْ سيرتُه ، وَطهُرت سريرتُه [(٣)] ، وظهر بالوجاهة ، فنقل إلى قضاء القضاة بدمشق فوردها بل ورّدها ، وعرّاها من السوء إذ عَراها وجَرَّدها ، وأقام بها سنة ونصفاً ، ثم دعاه خالِقه ، وقذف به في حُفرة القبر حالقه .

وتوفيّ ـ رحمه الله تعالى ـ بُكرةَ الأربعاء مستهل ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

وكان قدومه إلى دمشق في سابع عُشري جمادى الأولى سبعة عشرة وسبع مئة .

وكان محمود الطريقة ، وجمع في قضائه بين العلم المتين والنزاهة والصرامة ، وهو من بيتٍ كبيرٍ بالإسكندرية .

١١٢ ـ أحمد بن طَيْبُغا*

الأمير شهاب الدين المعروف بابن أخي الفخري ، أحد أمراء الطبلخانات بالشام ، توجه لنيابة الرحبة ، ثم إنه طلب الإقالة منها ، وحضر إلى دمشق في سنة سبع وخمسين وسبع مئة [وأقام][(٤)] بها قليلاً ، ثم توجه لنيابة حمص ، فأقام بها ، فلم توافِقْه ، وماتت زوجته وجماعةٌ من ألْزامِه وأهله[(٥)] ومماليكه ، وطال مرضُه فيها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في بُكرة الثلاثاء تاسع شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

---

(١) قوله : « وفوائده المفتنة » ليس في (أ) .
(٢) في الأصل : « الشكر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب للسياق . والشكم : الجزاء والعطاء .
(٣) زاد بعدها في (أ) : « واشتهر بالنزاهة » .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) زيادة من (أ) و (خ) .
(٥) ليست في (أ) و (خ) .

وكانت نيابتُه بحمص قريباً من عشرة أشهر ، وكان شَكِلاً حسناً فيه حشمةٌ ورئاسة ، وحُمِدَت سيرتُه في النيابتين ، وكان قد وليها بعد موت نائب حمص الأمير علاء الدين علي بن الملك الزاهر[١] .

١١٣ ـ أحمد بن عبّاس*

ابن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الماكسيني الأصل ثم الدمشقي ، ناصر الدين أبو العباس بن ناصر الدين الماكسيني أبي الفضل .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن الأمير شرف الدين يعقوب بن محمد بن الحسن الهَذَباني[٢] ، وحدّث والدُه عن حَنْبَل[٣] ، وهو من شيوخ الدمياطي . وروى جدّه عن الحافظ ابن عساكر .

روى لنا عنه ابن الصابوني[٤] . وهذا الشيخ كان جندياً في دولة الملك الصالح أيوب ، وكان رجلاً جيداً ملازماً للصلوات في الجامع .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة خمسَ عشرة وست مئة .

---

(١) ستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمة له . وفي (أ) : « ابن عياش » .

(٢) ت (٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٣) هو حنبل بن عبد الله بن فرج بن سعادة ، ت (٦٠٤ هـ) ، السير : ٤٣١/٢١ ، والكامل : ١١٦/١٢ ، والعبر : ١٠/٥ ، والشذرات : ١٢/٥ .

(٤) هو الجمال بن الصابوني الحافظ ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

١١٤ ـ أحمد بن العباس بن جَعْوان*

الإمام الزاهد شهاب الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي ، أخو الحافظ شمس الدين محمد ، وسيأتي ذكره في المحمدين ـ إن شاء الله تعالى .

روى أحمد هذا (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع مع أخيه كثيراً ، وأقبل على الفقه فبرع فيه ، ولم يكن[١] مَن يوفيه قدره لما يوافيه ، وأفتى الناس زماناً ، وانقطع عنهم ينثر من[٢] العلم جماناً ، وهو من تلامذة الشيخ محيي الدين النووي .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّت به المنية ، وجلّت به[٣] الرزية .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وست مئة .

١١٥ ـ أحمد بن عبد الله**

القاضي تاج الدين أبو الفضائل ، ابن الصاحب أمين الدين .

كان قيّما بصنعة الحساب ، إليه[٤] الانتماء والانتساب ، يخدم جريدته بنفسه ، ويتميز بذلك على أبناء جنسه ، فلا يحتاج إلى كشف عامل ، ولا يريد مع نفسه مشقة سيف ولا هِزّة عامل[٥] ، يكاد يعمل محاسبةَ كلِّ أحد من ذهنه ، ولا يحتاج إلى مساعد في ذلك ، ذكاءً من فطنته وإتقاناً لفنّه ، هذا إلى عفّة زانته[٦] ، وأمانةٍ لا يعلم أحد أنها

* الوافي : ١١/٧ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/١ ، وفيه « أحمد بن محمد بن عباس » .
(١) (أ) : « ولم يكن فيه » .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) (أ) : « فيه » .
** الدرر : ١٨٩/١ .
(٤) (أ) ، (خ) : « إليه فيها » .
(٥) عامل الرمح : صدره .
(٦) قوله : « هذا .. زانته » ليس في (أ) و (خ) .

حابته ولا خانته . تنقّل في المباشرات العالية ، وانفصل عنها وثناؤه فيها يرفض نفحات الغالية ، إلا أن الأقدار[١] لم تُصافه ، ولم تعامله بما يُحبُّ من إنصافه ، وآخر مامات تحت العقاب ، ورأى الذل الزائد بعدما خضعت له الرقاب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبع مئة أو في أواخر شوّال .

كان أولاً قد دخل هو وأخوه القاضي كريم الدين ديوان الإنشاء في وزارة أبيهم ، واستمرّا في جُملة كُتّاب الإنشاء[٢] مدة ، ولما عرض السلطان ديوان الإنشاء في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، أخرجهما ، ثم إنه ولّى القاضي تاج الدين استيفاءَ الصُّحبة[٣] وخَرْجَ القِلاع الحلبية كاشفاً[٤] هو والأمير سيف الدين جَرَكْتُمر وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وبقي في استيفاء الصحبة على أكمل ما يكون ، وترامى إلى النّشو وأحبّه ، فلما كان في سنة تسع وثلاثين تولّى نظر[٥] الدولة ، وولي أخوه كريم الدين استيفاء الصحبة ، فلم يزل فيه إلى أن أُمسك هو ووالده الصاحب أمين الدين والقاضي شرف الدين النشّو ، وعوقبوا . ومات[٦] والده تحت العقوبة والنشو ، وصودر تاج الدين وأقام إلى أن أفرج عنه ، فحضر إلى القدس وأقام فيه مجاوراً مدة ، وعمل مجلداً في مساحته ، أعني المسجد الأقصى والحرم وما فيه من المعابد والقباب والأبواب ، وتعب عليه ، وأجازني روايته عنه في سنة خمس وأربعين وسبع مئة . فطُلب من القدس وتولى

---

(١) (أ) ، (خ) : « الزمان » .

(٢) (أ) ، (خ) : « في ديوان الإنشاء » .

(٣) وظيفة جليلة القدر ، يثبت صاحبها التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل دواوين الأموال مرجعها إليه في حسابها .

(٤) الكاشف : هو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور .

(٥) في الأصل : « نظم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، وناظر الدولة ينظر في الأموال ، ويتفقد تصرفاتها ، ويُرفع إليه حسابها .

(٦) في الأصل : « وبات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

نظر البيوت بالقاهرة ، فاتفق له مع أرغون شاه لما كان يعمل الأستاذ داريّة [١] ما أوجب أنه [٢] طلب الإعفاء ، وأظنه بعد ذلك دخل إلى ديوان الإنشاء .

ثم إنه تولّى نظر النظّار بالشام ، فحضر في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر ، وثمّر وعمّر وأرضى الناس ، ووصلت إليهم حقوقهم ، وكان لا يحابي أحداً ولا يحاسنه ، لكنه طلب الإقالة ، فأُعفي من نظر الشام ، وتوجه إلى مصر وأقام مدة ، ودخل ديوان الإنشاء ، وأقام به إلى أن أُمسك الوزير علم الدين بن زنبور ، فتولى نظر الجيوش بالديار المصرية فحقّق ودقّق [٣] وما راعى أحداً . ولما عُزل القاضي بدر الدين من نظر الخاص في سنة خمس وخمسين أُضيف إليه نظرُ الخاص ، فتورّع عن أخذ معلوم نظر الخاص وقال : معلوم نظر الجيش يكفيني ، وباشر ذلك وهو على قدم العدالة فيه والأمانة وعدم الخيانة إلى أن تولى السلطان الملك الناصر حسن ثانياً ، فغيّروا خواطره عليه فأمسكه ، وصودر وعوقب ، وتنوّعوا في عقابه ، ومن ذلك أنهم حلقوا رأسه وجرحوه بالموس ، ثم جعلوا في قُبْعِه نبات وَرْدان [٤] وألبسوه فوجد لذلك ألماً مُبرّحاً ، نسأل الله العفو والعافية . وكان ذلك من حقد الأمراء والخاصكيّة عليه ، لأنه ما راعاهم بل راعَهَم ، ولم يحفظ جانبهم وأضاعهم .

وكنت قد كتبت له ـ رحمه الله ـ وأنا بالقاهرة [٥] توقيعاً شريفاً باستيفاء المارستان المنصوري عوضاً عن أخيه شمس الدين ، وهو :

« أمّا بعدَ حمدِ الله الذي زان أيامَنا الشريفةَ بتاجها ، ومنحَه من السيادة طريقةً

(١) الأستاذ دار : هو مَن يتولى شؤون مسكن السلطان .

(٢) قوله : « أوجب أنه » ليس في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « ودقق وضبط » .

(٤) بنات وردان : دواب معروفة .

(٥) قوله : « وأنا بالقاهرة » ليس في (أ) ، (خ) .

لا تنكّبُ السعود عن[١] منهاجها ، وخصّه بمناقب اتسقت فرائدُها اتساق اللآلي المنظمة في ازدواجها ، وأحله من المعالي رُتبةً تحسدها الكواكب الْمُشرقة[٢] في شرفِ أبراجها ، وصلاته على سيدنا محمد الذي حضّ على المعروف وحث ، وأذاع الجميلَ للناس كافةً وبث ، ونَشَرَ لِواءَ الثناء على الْمُحسنين ونَثّ ، وتمّم مكارم الأخلاق ، فَجَدّد[٣] منها ما كان قد بلي ورمَّ ما رثّ ، وعلى آله وصَحْبه الّذين ما منهم إلا مَنْ له الفضلُ المستوفى ، والجود[٤] الأوفى ، صلاة يكون الرضوان لها حِلفاً ، وتبوّئهم عند الله منازل الزُّلفى ، وسلامه .

فإنه لّما كان البيمارستان المنصوري وَقْف والدنا الشهيد الملك المنصور ـ قدّس الله روحه ـ ونوّر بالرضوان ضريحه ، أجلَّ القُرُباتِ نَفْعاً ، وأخْصَبَ الْمَثُوبات مرعى ، يجري نفعُ أوقافه على الخاص والعام ، ويُنفقُ من حواصله في اليوم ما يُنفقُ من غيرها في العام . وتخْفق راياتُ الآيات الكريمة[٥] في أرجائه ، وتُنشرُ أعلامُ العلوم في أثنائه[٦] ، ويزولُ به الإعدامُ والإيلام[٧] ، فكان حاتماً في حَيّه ، والمسيحَ في إحيائه ، إلى غير ذلك من وجوه المعروف وأنواع البر المصروف ، وكان استيفاؤه يحتاج إلى مَن جُرّبَ سَدادُه وعُلِم رَشادُه ، وعُرفَ اعتمادُه ، وكان الحساب ميداناً وهو سابقةُ وجواده . والمجلس السامي القضائي التاجي ممن زانت أيامنا خَدمه[٨] ، ورسخت في ولائنا قدَمُه ، حتى أصبح بالمحامد مُتحلياً ، ولأقسام المحاسن مستوفياً ، يصحبه ركابُنا[٩]

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « تجدها الكواكب المشرقة » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) ، وهي أنسب .

(٣) (أ) ، (خ) : « فتمّم » .

(٤) (أ) ، (خ) : « المجد » .

(٥) (أ) : « المكنونة » .

(٦) (أ): « أفنائه » .

(٧) (أ) ، (خ) : « الآيلام » .

(٨) في الأصل : « خدمته » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهو أنسب .

(٩) (أ) : « يصحب ركابنا » .

الشريف في الحضر والسفر ، ويتصف بسيادةٍ أخجلت الأفق ، [فالشفق] [1] المحمرُّ فيه علامة الخفر ، وقد رأينا أن لا تنبت في الروض إلا قُضُبه المُورِقَة ، ولا تَطلعُ في الأُفق إلا شهبُه المُشرقة ، ولهذا رجع إليه حقُ [2] الشُّفعة وانتهى ، وأحسن ما خلفت الدرة في السلك أختها ، فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يُرتبَّ في استيفاء البيمارستان المبرور وأوقافه عوضاً عن أخيه فلان ، فليباشر ذلك مباشرة تجمع [شتات] [3] الحزم ، وتلزم ثبات العزم ، حتى لا تفوت أوراقه ثمرةً تُجنى ، ولا يغيب شيءٌ من أموره عن بصره في الصورة ولا عن بصيرته في المعنى ، متطلباً كل عامل بما يلزمه في وضع الكتابة ، مُنكراً عليه إذا طاش سهمُ قلمه عن الإصابة ، لتمشي الأحوالُ فيه على النهج القوي القويم ، وتُصرف أمواله على الوجه الذي قصد به وجه العلي العظيم ، والوصايا كثيرة ، ومع كفايته لا نُبدلّه منها على وصاه ، ولا ننبهه عليها بطَرْق حصاه ، وتقوى الله ـ عزوجل ـ في هذا وغيره أوثقُ العُرى ، وأعزُّ حصن يُتسنم منه الذرى . فالزم شعارها واقتف آثارها ، والله يتولى عونَك ، ويُديم صونَك . والخطُّ الشريف أعلاه الله وشرّفه أعلاه ، حجة بثبوته في الذي اقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى » .

وكنت قد كتبت إليه عن الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ كتاباً هنّأته فيه بنظر الدولة ، وهو في التذكرة التي [لي] [4] .

١١٦ ـ أحمد بن عبد الله بن الزكي*

المعروف بالقاضي شُقير ، تصغير شقر ، القاضي شرف الدين الدمشقي الجزري .

تجرّد للفقر خمسةً وستين عاماً ، واجتلى الزهد في الدنيا قمراً تاماً ، وأعرض عن

(١) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
(٢) (أ) : « مَنّ » .
(٣) زيادة من (أ) و (خ) يقتضيها السياق .
(٤) زيادة من (أ) يقتضيها السياق .
* الوافي : ١٣٨/٧ ، والتالي : ٣٥ .

الحطام الفاني ، وتحقق أن الفراق من الدنيا داني[١] ، ثم إنه جاور بمسجد الكهف الذي هو أسفل جبل قاسيون[٢] ، إلى أن أنْفِقَ جِمَامُه[٣] ، وانمحقَ تمامهُ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس عشرة وسبع مئة في تاسع جمادى الآخرة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١١٧ ـ أحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهاجر*

شهاب الدين الأندلسي الوادي آشي الحنفي .

هو فاضل مشهور ، وعَدْلٌ مذكور ، يَعْرِفُ مع الفقه النحو والعروض ، وجوادهُ في النظم الفائق مَرُوض .

سكن طرابلس الشام مدة ، واجتمع فيها مع الأكابر بِعِدّه ، ثم إنه انتقل إلى حلب ، وبها نفق من البضائع[٤] ما جلب ، وكان ابن العديم قاضيها يواليه ، ويَطْرب لأماليه ، ويحثّه على معاليه .

رأيته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، وكتب إليّ نَظْمًا يبل كبد مَن يَظْمَا ، وأجبته عن ذلك ، وذهبا مني في ليل الضياع الحالك ، ثم إنه بعد ذلك ساد ، وثنى الوساد .

---

(١) الأصل في الكلمة حذف الياء ، وأثبتت لتمام السجعة .
(٢) الدارس : ٢/٢٧١ .
(٣) الجمام : هو الكثير المجتمع .
* الوافي : ٧/ ١٣ ، والدرر : ١/١٨٢ والبغية : ١/٣١٨ .
(٤) (أ) : « الصنائع » .

ولم يزل إلى أن وصل[١] ابن مهاجر حينَه ، وأُغمضت بالممات عينُه . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ .....[٢]

أنشدني من لفظه لنفسه بحلب في التاريخ :

مــا لاح في دِرْعٍ يصــولُ بسيفــه والــوجْــهُ منــه يُضيءُ تحتَ المِغْفَرِ
إلا حسبتُ البحرَ مُــدَّ بجــدولٍ والشَّمْسَ تحت سحــائب مِنْ عَنْبَرِ

قلت : جمع في هذا بين مقطوعين ، أحدهما قول أبي بكر الرصافي[٣] :

لـو كنتَ شاهِدَه وقد حمي الـوغى يختالُ في دَرْعِ الحديـدِ الْمُسْبَلِ[٤]
لرأيتَ منــه والقضيبُ بكفِّــهِ بحراً يُريـقُ دَمَ العُــداة بجَــدْولِ

والثاني قول المعتمد[٥] :

ولّمـــا اقتحمْتَ الـوغى دَارعـــاً وقنّعتَ وَجْهَـــكَ بــــالمغفرِ
حَسِبْنــا مُحيّــاك شمْسَ الضُّحى عليهـــا سحـــائبٌ من العنبر

ومن شعره أيضاً :

تُسَعِّرُ في الــــوغى نيرانَ حَرْبٍ بــأيــديهم مُهنَّــدةٌ ذُكــورُ
ومِنْ عَجَبٍ لظىً قــد سعّرتهــا جــداولُ قــد أقلّتهــا بُــدورُ

ومنه لغز في قالب اللّبِن[٦] :

---

(١) (أ) : « واصل » .
(٢) كذا في الأصول ، وفي الدرر ، مات سنة ٧٣٩ هـ عن نحوٍ من خمسين سنة .
(٣) البيتان في الغيث المسجم : ٢٠/٢ .
(٤) (أ) : « غشي الوغى » .
(٥) ديوان المعتمد : ١٧ ، وقلائد العقيان : ٨ .
(٦) الأبيات في الوافي : ١٣٨/٧ .

مـــــــــــــــآكلٌ في فَمَيْن يَغُـــــــــــــوطُ من مَخْرَجين
مُغرَى بقَبْضٍ وبَسْـــــــــــــطٍ ومَـــــــالَــــــهُ مِنْ يَـــــدَيْن
ويَقْطَـــــــع الأرض سَعْيَــــــــاً منْ غَيْرمِـــــــــا قَـــــــدَمين

قلت : نظم رائق ، ولفظ يُخْجِلُ الحـدائق ، ولكن ليست مقـاصِدُه في هـذا اللغز مليحة ، ولا معانيه صحيحة . وأحسن منه قول مُحَمَّد بن شرف القيرواني[1] :

ومــا بــالـغٌ في يَــومــه ألفَ لُقْمَــةٍ ولُقمَتُــه أضعـافُ أضعــافِ وَزْنــه[2]
إذا مــلأَ المـــأكــولُ جنبيــه لم يُقِم ســوى لحظــةٍ أو لحظَتين ببَطْنِــه

١١٨ ـ أَحْمَد بن عبد الحليم*

ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم .

الشيخ الإمام العلاّمة المفسّر المحدّث المجتهد الحـافـظ شيخ الإسلام ، نـادرة العصر ، فريد الدهر ، تقي الدين أبو العباس بن الشيخ شهاب الـدين بن الإمـام مجد الـدين أبي البركات بن تيمية .

سَمِع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، والكمال بن عبد[3] ، وابن أبي الخير[4] ،

(١) محمـد بن أبي سعيـد بن أحمـد بن شرف ، أحـد فحـول شعراء المغرب ، لـه كتـاب أبكار الأفكار ت (٤٦٠ هـ) ، الوافي : ٩٧/٣ .
(٢) (أ) : « ولقمته في الوزن » .
* الوافي : ١٥/٧ ، وفوات الأفيات : ٧٤/١ ، والبداية والنهـاية : ١٣٥/١٤ ، والـدرر : ١٤٤/١ ، وبـدائع الزهور : ٤٧٥/١/١ ، الشذرات : ٨٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٨/١ .
(٣) (أ) : « ابن عبدون » ، وابن عبد هو الكمال بن السيد ، عبد العزيز بن عبد المنعم ، ت (٦٧٢ هـ) الشذرات : ٣٣٨/٥ .
(٤) أحمد بن أبي الخير ، سلامة بن إبراهيم الدمشقي الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٠/٥ .

وابن الصيرفي[١] ، والشيخ شمس الدين[٢] ، والقاسم الإربلي[٣] ، وابن علاّن ، وخلْقٍ كثير .

وبالَغ وأكثر ، وقرأ بنفسه على جماعة ، وانتخب ونسخ عدة أجزاء ، وسنن أبي داود ، ونظر في الرجال والعلل ، وصار من أئمة النقد ، ومن علماء الأثر ، مع التديّن والتأله . ثم أقبل على الفقه ودقائقه ، وغاص على مباحثه .

تحوّل به أبوه من حرّان إلى دمشق سنة سبع وستين وست مئة . و (تيمية) لقبٌ لجده الأعلى .

تمذّهب للإمام أحمد بن حنبل ، فلم يكن أحد في مذهبه أنبه[٤] ولا أنبل . وجادل وجالد شجعان أقرانه ، وجدّل خصومَهُ في وسط ميدانه ، وفَرّج مضائقَ البحث بأدلةٍ قاطعة ، ونصر أقوالَهُ في ظلمات الشكوك بالبراهين الساطعة ، كأنّ السُّنة على رأس لسانه ، وعلومَ الأثر مساقة في حواصل جنانه ، وأقوالَ العلماء مجلوةٌ نُصْبَ عيانه . لم أر أنا ولا غيري مثل استحضاره ، ولا مثل سبقه إلى الشواهد وسُرْعَةِ إحضاره ، ولا مِثْلَ عزوه الحديث إلى أصله الذي فيه نقطةُ مداره .

وأما علم الأصلين فقهاً وكلاماً ، وفهماً وإعلاماً ، فكان عجباً لمن يسمعه ، ومُعجزاً لمن يُعد ما يأتي به أو يجمعه . يُنزل الفروع منازِلَها من أصولها ، ويرد القياسات إلى مآخذها من محصولها .

---

(١) يحي بن ابي منصور بن رافع الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٨ هـ) ، الشذرات : ٣٦٣/٥ .

(٢) قال ابن كثير في معرض تعداد شيوخه : « والشيخ شمس الدين الحنبلي ، والشيخ شمس الدين بن عطاء الحنفي » ، وأولهما هو محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحراني الحنبلي ، ت (٦٧٥ هـ) . الشذرات : ٣٤٨/٥ ، والثاني هو عبد الله بن محمد بن عطا الحنفي ، ت (٦٧٣ هـ) ، الشذرات : ٣٤٠/٥ .

(٣) القاسم بن أبي بكر بن القاسم بن غنيمة ، ت (٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٤) (أ) : « أنبه منه » .

وأما الملل والنحل ، ومقالاتُ أرباب البِدَعِ الأُوَل ، ومعرفةُ أرباب المذاهب ، وما خُصوا به من الفتوحات والمواهب ، فكان في ذلك بحراً يتموّج ، وسهماً ينفذ على السواء لا يتعوّج .

وأما المذاهب الأربعة فإليه في ذاك الإشارة ، وعلى ما ينقله الإحاطة والإدارة .

وأما نَقْلُ مذاهب السَّلَف ، وما حَدَث بعدهم من الخَلَف ، فذاك فنُّه ، وهو في وقت الحربِ مِجَنُّه ، قلَّ أن قَطَعه خصمُه الذي تصدى له وانتصب ، أو خلص منه مُناظِرهُ إلا وهو يشكو من الأَيْنِ والنَّصب .

وأما التفسير فيدُه فيه طولى ، وسردُه فيه يجعل العيون إليه حُوْلاً . إلا أنه انفرد بمسائل غريبة ، ورجَّح فيها أقوالاً ضعيفة عند الجمهورُ معيبة . كاد منها يقع في هُوَّة ، ويسلم منها لما عنده من النيّة المرجوّة ، والله يعلم قصده ، وما يترجّح من الأدلة عنده . وما دَمّر عليه شيء كمسألة الزيارة[1] ، ولا شُنّ عليه مثلها إغارة ، دخل منها إلى القلعة مُعْتَقلا ، وجفاه صاحبه وَقَلا ، وما خرج منها إلا على الآلة الحدبا ، ولا درج[2] منها إلا إلى البقعة الجدبا ، والتحق باللطيف الخبير ، وولّى والثناءُ عليه كنشر العبير .

وكان ذا قلم يسابقُ البرق إذا لَمَع ، والوَدْقَ إذا هَمَع ، يُملي على المسألة الواحدة ما شاء من رأس القلم ، ويكتب الكرَّاسَيْن والثلاثةَ في قعدة[3] ، وحَدُّ ذهنه ما كَلّ ولا انثلم ، قد تحلّى بالْمُحلّى[4] ، وتولّى من تقليده ما تولّى ، فلو شاء أورده عن ظهر قلب ، وأتى بجُملة ما فيه من الشّناع والثَّلْب .

(١) أي زيارة قبور الأولياء .
(٢) (أ) : « رجع » .
(٣) (أ) : « قعدة واحدة » .
(٤) المحلّى في الخلاف العالي في فروع الشافعية ، لأبي محمد بن حزم الظاهري ، ت (٤٥٦ هـ) : الكشف : ١٦١٧ .

وضيّع الزمانَ في ردّه على النصارى والرافضة ، ومن عاند الدين أو ناقضَه ؛ ولو تصدى لشرح البخاري أو لتفسير القرآن العظيم ، لقلّد أعناق أهلِ العلوم بدُرّ كلامه النظيم .

وكان من صغره حريصاً على الطلب ، مجدّاً على التحصيل والدأب ، لا يُؤْثِرُ على الاشتغال لَذّة ، ولا يرى أن تضيع لحظةٌ منه في البطالة فَذّة ، يَذْهَلُ عن نفسه ويغيب في لَذّة العلم عن حِسّه ، لا يطلب أكلاً إلا إذا أُحضِرَ لديه ، ولا يرتاحُ إلى طعام ولا شراب في أَبْرَدَيْه .

قيل : إن أباه وأخاه وأهله[١] وآخرين ممن يلوذون بظلّه سألوه أن يروح معهم يوم سبت ليتفرّج ، فهرب منهم وما ألوى عليهم ولا عرّج ، فلما عادوا آخرَ النهار لاموه على تخلّفه ، وتَرْكِه لاتّباعهم وما في انفراده من تكلُّفه ، فقال : أنتم ما تزيّد لكم شيئاً ولا تجدّد ، وأنا حفظت في غيبتكم هذا المجلد ، وكان ذلك كتاب (جنّة الناظر وجُنّة المناظر)[٢] ، وهو مجلد صغير ، وأمره شهير .

لا جرم أنه كان في أرض العلوم حارثاً وهو همّام ، وعلومُه كما يقول الناس تدخل معه الحمّام . هذا إلى كرم يضحكُ البرقُ منه على غمائه ، وجودٍ ما يَصْلُحُ حاتمٌ أن يكون في فَصِّ خاتمه ، وشجاعة يفرّ منها قَسْوَرة ، وإقدام يتأخر عنه عَنْتَرة . دخل على محمود غازان وكلمه كلاماً غيظاً بقوه[٣] ، وأسمعه مقالاً لا تحملّه الأبوةُ من البنوّة .

وكان في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، قد قام عليه جماعة من الشافعية ، وأنكروا عليه كلاماً في الصفات ، وأخذوا فُتياه الحموية[٤] ، وردوا عليه

(١) (أ) : « وأخاه وجماعة من أهله » .

(٢) لتاج العلاء أشرف بن الأغر بن هاشم العلوي الحسني الرملي ، وهو خمس مجلدات في التفسير ، توفي بحلب سنة (٦١٠ هـ) ، إيضاح المكنون : ٣/٣٦٩ ، وترجمته في لسان الميزان : ١/٤٤٩ ، ونكت الهميان : ١١٩ ، والأعلام : ١/٣٣٢ .

(٣) (أ) : « وكلّمه بكلام فيه غلظة وقوة » .

(٤) انظر البداية والنهاية : ١٤/٤ ، والدرر : ١/١٥٥ .

فيها ، وعملوا له مجلساً ، فدافع الأفرم[١] عنه ولم يُبلّغهم فيه أرباً ، ونودي في دمشق بإبطال العقيدة الحموية ، فانتصر له جاغان الْمَشدّ[٢] ، وكان قد مُنع من الكلام ، ثم إنه جلس على عادته يوم الجمعة ، وتكلم ثم حضر عنده قاضي القضاة إمام الدين[٣] ، وبحثوا معه ، وطال الأمر بينهم ، ثم رجع القاضي إمام الدين وأخوه جلال الدين وقالا : مَن قال عن الشيخ تقي الدين شيئاً عزّرناه .

ثم إنه طُلب إلى مصر ، هو والقاضي نجم الدين[٤] بن صَصْرَى ، وتوجها إلى مصر في ثاني[٥] عشر شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة ، فانتصر له الأمير سيف الدين سلاّر[٥] ، وحطّ الجاشنكير عليه ، وعقدوا له مجلساً انفصل على حبسه ، فحُبس في خزانة البنود[٧] ، ثم نُقل إلى الإسكندرية في صفر سنة تسع وسبع مئة ، ولم يُمكَّن أحد من أصحابه من التوجه معه ، ثم أُفرج عنه وأقام بالقاهرة مُدة . ثم اعتقل أيضاً ، ثم أُفرج عنه في ثامن شوال سنة تسع وسبع مئة ، أخرجه الناصر لَمّا وَرَدَ من الكرك ، وحضر إلى دمشق ، فلما كان في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة جمع الفقهاء والقضاة عند الأمير سيف الدين تنكز ، وقرأ عليهم كتاب السلطان ، وفيه فَصْلٌ يتعلق بالشيخ تقي الدين بسبب فُتياه في مسألة الطلاق ، وعُوتب على فُتياه بعد المنع ، وانفصل المجلس على توكيد المنع .

---

(١) هو آقوش نائب دمشق . وستأتي ترجمته .

(٢) هو الأمير سيف الدين الحسامي ، وستأتي ترجمته .

(٣) عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعي ، ت (٦٩٩ هـ) . العبر : ٤٠٢/٥ ، والنجوم : ٥٨/٨ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(٤) (أ) : « جلال الدين » ، والصحيح ما في الأصل ، وهو أحمد بن محمد بن سالم ، وستأتي ترجمته .

(٥) (أ) : « ثامن » .

(٦) الصالحي المنصوري ، ت (٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٧) هي من منشآت الدولة الفاطمية ، لخزن البنود من الرايات والأعلام ، ثم احترقت ، وآل أمرها إلى أن أصبحت سجناً للأمراء والوزراء والأعيان .

ثم إنه في يوم الخميس ثاني عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة عُقد له مجلس بدار السعادة[١] وعاودوه في فتيا الطلاق [وحاققوه][٢] عليها ، وعاتبوه لأجلها . ثم إنه حُبس بقلعة دمشق ، فأقام بها إلى يوم الإثنين يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، فأخرج من القلعة بعد العصر بمرسوم السلطان ، وتوجه إلى منزله . وكانت مدة سجنه خمسةَ أشهر وثمانية عشر يوماً .

ولما كان في يوم الاثنين بعد العصر ، سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة في أيام قاضي القضاة جلال الدين القزويني تكلموا معه في مسألة الزيارة[٣] ، وكُتب في ذلك إلى مصر ، فورد مَرسومُ السلطان باعتقاله في القلعة ، فلم يزل بها إلى أن مات - رحمه الله تعالى - في ليلة الاثنين عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بقلعة دمشق في القاعة التي كان بها محبوساً .

ومولده بحرّان سنة إحدى وستين وست مئة .

وأول ما اجتمعت أنا به كان في سنة ثماني عشرة أو سبع عشرة ، وهو بمدرسته في القصّاعين بدمشق المحروسة ، وسألته مسألةً مُشكلةً في التفسير ، ومسألةً مُشكلة في الإعراب ، ومسألة مشكلة في الممكن والواجب ، وقد ذكرت ذلك في ترجمته في تاريخي الكبير[٤] . ثم اجتمعت به بعد ذلك مرّات ، وحضرت دروسه في الحنبلية ، فكنت أرى منه عجباً من عجائب البرّ والبحر ، ونوعاً فرداً وشكلاً غريباً وكان [كثيراً][٥] ما ينشد قول ابن صردر[٦] .

(١) البداية والنهاية : ١٤/٩٧ .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) البداية والنهاية : ١٤/١٢٣ .
(٤) الوافي : ٧/٢٠ .
(٥) زيادة من (أ) .
(٦) علي بن الحسين بن يحيى ، ت (٤٦٥ هـ) ، له ديوان شعر مطبوع . والبيتان في الوافي ، والدرر .

تَمُوتُ النّفُوسُ بِأَوْصَابِهَا ولم تَشْكُ عُوّادَهَا ما بِهَا
وما أنْصَفَتْ مُهجَةٌ تشتكي أذاها إلى غير أحْبَابِهَا

ويُنشد أيضاً[1] :

مَن لم يُقَدْ ويُدَسّ في خَيْشُومِهِ رَهَجُ الخميسِ فلن يقودَ خميسا

رأيته في المنام بعد موته ـ رحمه الله تعالى ـ كأنه في جامع بني أمية ، وأنا في يدي صورةُ عقيدةِ ابن حزم الظاهري التي ذكرها في أول كتاب (الْمُحَلّى) ، وقد كتبتها بخطي ، وكتبت في آخرها :

وهذا نَصُّ ديني واعتقادي وغَيْري ما يَرَى هذا يجوزُ

وقد أوقفته على ذلك ، فتأملها ورآها وما تكلّم بشيء .

ذكر شيء من تصانيفه

ـ كتب التفسير :

(قاعدة في الاستعاذة) ، (قاعدة في البسملة) ، قاعدة في قوله تعالى ﴿ إياك نعبُد وإياك نستعين ﴾ ، قطعة كبيرة من أول سورة البقرة ، وفي قوله تعالى ﴿ ومِنَ النّاسِ مَنْ يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ﴾[2] نحو ثلاثة كراريس ، وفي قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذي استوقد ناراً ﴾[3] نحو كراسين ، وفي قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾[4] سبع كراريس ، وفي قوله تعالى : ﴿ إلا مَن سَفِه نَفْسَه ﴾[5] كراس ، آية الكرسي كراسان ، وغير ذلك من سورة البقرة .

(١) البيت لأبي تمام ، ديوانه : ٢/٢٧٠ .
(٢) [سورة البقرة : ٢/٨] .
(٣) [سورة البقرة : ٢/١٧] .
(٤) [سورة البقرة : ٢/٢١] .
(٥) [سورة البقرة : ٢/١٣٠] .

﴿ منه آيات محكمات ﴾[١] إلى آخرها نحو مجلد ، ﴿ شهد الله أنّه لا إله إلا هو ﴾[٢] ستة كراريس ، ﴿ ما أصابك من حَسَنة ﴾[٣] عشر كراريس ، وغير ذلك من سورة آل عمران .

تفسير المائدة مجلد كبير ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة ﴾[٤] ثلاث كراريس ، ﴿ وإذ أخذ ربُّك من بني آدم ﴾[٥] سبع كراريس ، قواعد سورة يوسف ، مجلد كبير ، سورة النور ، مجلد لطيف ، سورة تبت والمعوّذتين ، سورة الكافرين ، سورة الإخلاص ، مجلد ، سورة القلم ، وأنها أول سورة أُنزلت ، تضمّنت أصول الدين ، مجلد ، سورة ﴿ لم يكن ﴾ وغير ذلك من آيات مُفرّقة .

ـ كتب الأصول :

(الاعتراضات المصرية على الفُتيا الحموية) أربع مجلدات ، أملاه في الجب ، (بيانُ تَلْبيسِ الجَهْميّة في تأسيس بِدَعهم الكلامية) ، وربما سمّاه (تلخيص التلبيس من تأسيس التقديس) ، (شرح أول المحصّل) للرازي ، بلغ ثلاث مجلدات ، شرح بِضْعَةَ عشر مسألة من الأربعين للإمام فخر الدين الرازي ، (تعارض العقل والنقل) أربع مجلدات ، (جواب ما أورده كمال الدين ابن الشريشي) مجلد ، (الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح) ، ثلاث مجلدات ، (منهاج الاستقامة) ، (شرح عقيدة الأصبهاني) مجلد ، (نَقْض الاعتراض) عليها لبعض المشارقة أربع كراريس ، (شرح أول كتاب الغَزْنَوي) ، مجلد ، (الرد على المنطق) مجلد ، ردّ آخر لطيف ، (الرد على الفلاسفة) مجلدات ، (قاعدة في القضايا الوهمية) ، (قاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى) ،

---

(١) [سورة آل عمران : ٧/٣] .
(٢) [سورة آل عمران : ١٨/٣] .
(٣) في الأصل (من مصيبة) والصواب (من حسنة) ، كما في الوافي ، وهي من [سورة النساء : ٧٩/٤] .
(٤) [سورة المائدة : ٦/٥] .
(٥) [سورة الأعراف : ١٧٢/٧] .

(جواب الرسالة الصفدية) ، (جواب في نقض قول الفلاسفة : إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية) ، (إثبات المعاد والرد على ابن سينا) ، (شرح رسالة ابن عبدوس) في كلام الإمام أحمد في الأصول ، (ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً) ، و (المعجزات والكرامات) ، مجلدان ، (قاعدة في الكليات) ، مجلد لطيف ، (الرسالة القبرسية) ، (رسالة أهل طبرستان وجَيْلان في خلق الروح والنور والأئمة المقتدى بهم) ، (مسألة ما بين اللوحين كلامُ الله) ، (تحقيق كلام الله لموسى) ، (هل سمع جبريل كلام الله أو نقله من اللوح المحفوظ) ، (الرسالة البعلبكية)، (الرسالة الأزهرية) ، (القادرية) ، (البغدادية) ، (أجوبة الشكل والنقط) ، (إبطال الكلام النفساني) : أبطله من نحو ثمانين وجهاً ، (جواب مَن حلف بالطلاق الثلاث) أن القرآن حرف وصوت . وله في إثبات الصفات وإثبات العلو[1] والاستواء مجلدات ، (المراكشيّة) ، (صفات الكمال والضابط فيها) ، (أجوبة في مباينة الله تعالى لخلقه) ، (جواب في الاستواء ، وإبطال تأويله بالاستيلاء) ، (جوابٌ مَن قال لا يمكن الجمعُ بين إثبات الصفات على ظاهرها مع نفي التشبيه) ، (أجوبة كونِ العرش والسموات كُرَويّة) وسبب قصد القلوب جهةَ العلو ، (جواب كون الشيء في جهة العلوّ مع أنه ليس بجوهر ولا عرض معقول أو مستحيل) ، (جواب هل الاستواء والنزول حقيقة ، وهل لازم المذهب مذهب) ، سمّاه (الأربلية)[2] ، (مسألة النزول) واختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع ، مجلد لطيف ، (شرح حديث النزول) في أكثر من مجلد ، (بيان حل إشكالات ابن حزم الواردة على الحديث) ، (قاعدة في قرب الرب من عابديه وداعيه) ، مجلد ، (الكلام على نقض المرشدة) ، (المسائل الإسكندرانية في الرد على الاتحادية والحلولية) ، ما تضمنه فصوص[3] الحِكَم من الكفر والالحاد والاتحاد والحلول ، (جواب في لقاء الله) ، (جواب رؤية النساء رَبّهُنّ في

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) (أ) : « الأزيليّة » .
(٣) في الأصل : « حلول » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، وفصوص الحكم لابن عربي .

الجنة) ، (الرسالة المدنية في الصفات النقلية) ، (الهلاوونية) جواب ورد على لسان ملك التتار ، مجلد ، (قواعد في إثبات القدر والرد على القدرية والجبرية) ، مجلد ، (رد على الروافض في الإمامة)[١] لابن مُطهّر ، (جواب في حُسن إرادة الله بخلق الخلق وإنشاء الأنام لعلّة أم لغير علّة) ، (شرح حديث : فحَجَّ آدم موسى) ، (تنبيه الرجل الغافل على تمويه المجادل) . (تناهي الشدائد في اختلاف العقائد) ، (كتاب الإيمان) ، (شرح حديث جبريل في الإسلام ، والإيمان في عصمة الأنبياء فيما يبلغون) ، (مسألة في العقل والروح) (في المقرّبين[٢] : هل يسألهم منكر ونكير) ، (هل تعذب الروح مع الجسد في القبر ، وهل تفارق البدن بالموت أو لا) ، (الرد على أهل كسروان) ، (في فضل أبي بكر وعمر على غيرهما) ، (قاعدة في فضل معاوية وفي ابنه يزيد أنه لا يُسب) ، (في تفضيل صالحي الناس على سائر الأجناس) (في كفر النُّصَيْريّة) (في جواز قتال الرافضة) ، (في بقاء الجنة والنار وفنائهما) ، وهو آخر ما صنّفه في القلعة . وقد رَدّ عليه العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .

ـ كتب أصول الفقه :

(قاعدة غالبُها أقوال الفقهاء) ، مجلدان ، (قاعدة كل حمد وذم من المقالات لا يكون إلا من الكتاب والسنة) (شمول النصوص للأحكام) ، (قاعدة في الإجماع وأنه ثلاثة أقسام) ، (جواب في الإجماع وخبر التواتر) ، (قاعدة في أن خبر الواحد اليقين) ، (قاعدة في كيفية الاستدلال والاستدراك على الأحكام بالنص والإجْمَاع)[٣] ، (في الرد على مَن قال إن الأدلّة اللّفظيّة[٤] لا تفيد اليقين) ، (قاعدة

(١) في (أ) والوافي : « علي ابن » .

(٢) في الأصل : « المقربين » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الأصل : « الإحكام » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٤) في الأصل : « القطعية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

فيما يُظَنُّ مِنْ تعارض النص والإجماع) ، (مؤاخذة لابن حزم في الإجماع) ، (قاعدة في تقرير القياس) ، (قاعدة في الاجتهاد والتقليد في الأحكام)[١] ، (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ، (قاعدة في الاستحسان) ، (وصف العموم والإطلاق) ، (قواعد في أن المخطئ في الاجتهاد لا يأثم) ، (هل العاميّ يجب عليه تقليد مذهب مُعَيّن) ، (جواب في ترك التقليد فيمن يقول مذهبي مذهب النبي عليه السلام وليس أنا محتاج إلى تقليد الأربعة) ، (جواب من تَفَقَّه في مذهب ووجد حديثاً صحيحاً ، هل يعمل به أَوْ لا) ، (جواب تقليد الحنفي الشافعي[٢] في الجمع للمطر والوتر) ، (الفتح على الإمام في الصلاة) (تفضيل قواعد مذهب مالك وأهل المدينة) ، (تفضيل الأئمة الأربعة وما امتاز به كل واحد منهم) ، (قاعدة في تفضيل الإمام أحمد) ، (جواب : هل كان النبي - ﷺ - قبل الرسالة نبياً) ، (جواب : هل كان النبي - ﷺ ، متعبداً بشرع مَن قبله) ، (قواعد أن النهي يقتضي الفساد)[٣] .

- كتب الفقه :

(شرح المحرر في مذهب أحمد) ولم يُبيّض ، (شرح العمدة لموفق)[٤] ، أربع مجلدات ، (جواب مسائل وردت من أصبهان) ، (جواب مسائل وردت من الأندلس) ، (جواب مسائل وردت من الصلت) ، (جواب مسائل وردت من بغداد) ، (مسائل وردت من زُرع) ، (أربعون مسألة لُقّبت الدرّة المضيئة)[٥] ، (الماردانية) (الطرابلسية) ، (قاعدة في المياه والمائعات وأحكامها) ، (المائعات وملاقاتها النجاسة) ، (طهارة بول ما يؤكل لحمه) ، (قاعدة في حديث القُلّتين وعدم رفعه) ، (قواعد في الاستجمار ، وتطهير الأرض بالشمس والريح) ، (جواز الاستجمار

---

(١) في الأصل : « والإجماع » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٢) (أ) : « للشافعي » .

(٣) في الوافي : « العناد » .

(٤) (أ) : « لموفق الدين » .

(٥) (أ) : « بالدرّة المضيّة » ، وفي الوافي : « لُقّبت الدرر المضية في فتاوي ابن تيمية » .

مع وجود الماء) ، (نواقض الوضوء) ، (قواعد في عدم نقض الوضوء بلمس النساء) ، (التسمية على الوضوء) ، (خطأ القول بجواز مسح الرجلين)[٨] ، (جواز المسح على الخفين المتخرّقين والجوربين واللفائف) ، (فيمن لا يعطي أجرة الحَمّام)[٢] ، (تحريم دخول الحمّام بلا مئزر) ، (في الحمّام والاغتسال) ، (ذم الوسواس) ، (جواز طواف الحائض) ، (تيسير العبادات لأرباب الضرورات بالتيمم ، والجمع بين الصلاتين للعُذر) ، (كراهية التلفّظ بالنّيّة وتحريم الجَهْر بها) ، ([٣] في البسملة هل هي من السورة) ، (فيما يعرض [٤] من الوسواس في الصلاة) ، (الكلم الطيب في الأذكار) (كراهية [٥] بسط سجادة المصلي قبل مجيئه) ، (في الركعتين اللتين تُصلّيان قبل الجمعة) ، (في الصلاة بعد أذان الجمعة) ، (القنوت في الصبح والوتر) (قتل تارك أحد المباني وكُفْرُه) ، (الجمع بين الصلاتين في السفر) ، (فيما يختلف حكمه في[٦] السفر والحضر) ، (أهل البدَع هل يُصلّى خَلْفَهم) ، (صلاة [بعض][٧] أهل المذاهب خلف بعض) ، (الصلوات المبتدعة) ، (تحريم السماع) (تحريم الشبابة) ، (تحريم الشطرنج)[٨] ، (تحريم الحشيشة [٩] ووجوب الحد فيها ونجاستها) ، (النّهيُ عن المشاركة في أعياد اليهود والنصارى وإيقاد نصف شعبان والحبوب في عاشوراء) ، (مقدار الكَفّارة في اليمين) ، (في أنّ المطلقة ثلاثاً ، لا تحل إلا بنكاح زوج ثان) ،

---

(١) (أ) : « خطأ القول بالمسح على الرجلين » .
(٢) في الأصل و (أ) : « الحكام » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) في الوافي : « قاعدة في » .
(٤) في الوافي : « فيما يعرض للمصلي » .
(٥) في الوافي : « كراهية تقديم بسط » .
(٦) في الوافي : « بالسفر » .
(٧) زيادة من (أ) والوافي .
(٨) في الوافي : « تحريم اللعب بالشطرنج » .
(٩) في الوافي : « الحشيشة القنّبية » .

(بيان الطلاق الْمُبَاح والحرام) ، (في الحَلْف بالطلاق متى نجيزه[١] ثلاثاً) ، (جواب مَن حلف لا يفعل شيئاً على المذاهب الأربعة)[٢] ، (الفرق المبين بين الطلاق واليمين) ، (لمحة المختطف في الفرق بين الطلاق والحلف) ، (الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة) ، (كتاب التحقيق[٣] بين الأيمان والتطليق) ، (الطلاق البِدَعي لا يقع) ، (مسائل الفرق بين الحَلْف[٤] بالطلاق وإيقاعه والطلاق البدعي والخلع ونحو ذلك) ، تقدير خمسة عشر مجلداً ، (مناسك الحج عِدة) ، (في حجة النبي - ﷺ) ، (في العمرة المكية) ، ([في][٥] شهر السلاح بتبوك وشرب السَّوِيق بالعقبة وأكل التمر[٦] بالروضة وما يلبس الْمُحرِم ، وزيارة الخليل عُقيب الحج ، وزيارة القدس مطلقاً) ، (جبل لبنان كأمثاله من الجبال ، ليس فيه رجال غُيّب ولا أبدال) ، (جميع [أيمان][٧] المسلمين مُكفّرة) .

- كتب في أنواع شتى :

جمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مُدَّة سبع سنين في علوم شتى ، فجاءت ثلاثين مجلدة ، (الكلام على بُطلان الفتّوة الْمُصطَلح عليها بين العوام) ، وليس لها أصل يتصل بعلي عليه السلام . (كشف حال المشايخ الأحمدية وأحوالهم الشيطانية) ، (بطلان ما يقوله أهلُ بيت الشيخ عَديّ) ، (النجوم هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة والخسوف والكسوف) ، (هل يقبل قول المنجمين فيه ورؤية الأهلّة) ،

---

(١) (أ) ، والوافي : « بالطلاق وتنجيزه » .

(٢) تتمته في الوافي : « ثم طلّق ثلاثاً » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في الفرق بين » .

(٤) في الأصل و (أ) : « والطلاق » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) زيادة من (أ) والوافي .

(٦) (أ) : « في الروضة » .

(٧) من (أ) والوافي .

(تحريم أقسام الْمُعزّمين بالعزائم الْمُعجَمة وصرع[١] الصحيح وصفة الخواتم) . (إبطال الكيمياء وتحريمها ولو صحت وراجت) ، (كشف حال المَرَازقة) ، (قاعدة في العُبيديين) .

ومن نظم الشيخ تقي الدين على لسان الفقراء الْمُجردين وغيرهم :

والله ما فَقْرُنا اختيارُ وإنما فَقْرُنا اضْطِّرارُ
جماعةٌ كُلُّنا كَسالى وأكْلُنا كلّه عيارُ[٢]
تسمعُ منّا إذا اجتمعنا حقيقةً كُلُّها فُشَارُ[٣]

وله قصائدُ مطوّلة ، أجوبة عن مسائل كان يُسأل عنها نظماً ، مثل مسألة اليهودي ، وجوابه عن اللغز الذي نظمه الشيخ رشيد الدين الفارقي[٤] ، وغير ذلك .

ومدحه جماعة من أهل مصر ، منهم شهاب الدين أحمد بن محمد البغدادي المعروف بابن الأبرادي ، والشيخ شمس الدين بن الصائغ[٥] ، وسعد الدين أبو محمد سعد الله بن عبد الأحد الحرّاني[٦] ، وأكثر من ذلك ، ومنه قوله :

لئن نافقَوه وهو في السّجنِ وابتغَوا رِضاه وأبدوا رقّةً وتودُّدا
فلا غَرْوَ إنْ ذلّ الخُصومُ لِبَأْسِه ولا عَجَبٌ أنْ خاف سطوتَه العِدا[٧]
فمن شِيَمةِ العَضْبِ الْمُهنّدِ أنه يُخافُ ويُرجى مُغْمَداً ومُجرّدا

(١) في الوافي : « وصدع » .

(٢) (أ) ، والوافي : « ماله عيار » .

(٣) فشار : أي هذيان .

(٤) في الأصل « الفاروقي » ، تحريف ، والفارقي هو أبو حفص عمر بن إسماعيل ، ت (٦٨٩ هـ) ، العبر : ٥/٣٦٣ ، والنجوم : ٧/٣٨٥ .

(٥) محمد بن عبد الرحمن ، ت (٧٧٦ هـ) ، الشذرات : ٦/٢٤٨ .

(٦) ت (٧٢١ هـ) ، الدرر : ٢/١٣٣ .

(٧) في الوافي : « أن هاب » .

ومن مدحه بمصر أيضاً شيخنا العلاّمة أبو حيان ، لكنه انحرف عنه فيما بعد ومات وهو على انحرافه ، ولذلك أسباب ؛ منها أنه قال له يوماً : كذا قال سيبويه ، فقال : يكذب سيبويه ، فانحرف عنه ، وقد كان أولاً جاء إليه والمجلس عنده غاصٌّ بالناس ، فقال يمدحه ارتجالاً :

لمّا أتينا تقيَّ الدِّينِ لاحَ لنا ... داعٍ إلى الله فَرْدٌ ماله وزَرُ
على مُحيّاه من سيما الأُولى صَحِبوا ... خَيْرَ البريَّةِ نورٌ دونَه القَمَرُ
حَبْرٌ تَسَرْبَلَ منه دَهْرُه حِبَراً ... بَحْرٌ تَقاذَفُ مِنْ أمواجِه الدُّرَرُ
قام ابنُ تَيْميَّةٍ في نَصْرِ شِرْعَتِنا ... مُقَامَ سَيِّدِ تيمٍ إذْ عَصَتْ مُضَرُ
فأظهرَ الحقَّ إذ آثارُهُ دَرَسَتْ ... وأُخْمِدَ الشرّ إذ طارت له الشرر
كُنّا نُحدَّث عن حَبْرٍ يجيءُ فها ... أنت الإمامُ الذي قد كان يُنتظَرُ

وكتب الشيخ كمال الدين محمد بن علي بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ على بعض تصانيفه :

ماذا يقولُ الواصفون له ... وصفاتُه جلّتْ عن الحَصْرِ[1]
هو حُجّةٌ للهِ قاهِرَةٌ ... هو بيننا أُعجوبةُ العَصْرِ[2]
هو آيةٌ في الخَلْقِ ظاهِرَةٌ ... أنوارُها أَرْبَتْ على الفَجْرِ[3]

والذي أراه أن هذه الأبيات كتبها الشيخ كمال الدين في حياة الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، لأنه كان يخالفه ويريد أن ينتصر عليه بالشيخ تقي الدين بن تيمية ، والله أعلم .

ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ رثاه جماعة منهم الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ ،

---

(١) الأبيات مع ما كتبه قبلها ، في المنهل الصافي : ٣٦١/١ .
(٢) في المنهل : « الدهر » .
(٣) في المنهل : « للحق ظاهرة » .

وبرهان الدين إبراهيم[١] بن الشيخ شهاب الدين العجمي[٢] ، ومحمود بن علي بن محمود الدقوقي البغدادي[٣] ، ومجير الدين الخياط[٤] الدمشقي ، وشهاب الدين أحمد [بن][٥] الكرشت ، وزين الدين عمر بن الحسام[٦] ، ومحمد بن أحمد بن القاسم الحلبي الدمشقي الإسكاف ، وصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي الحنبلي[٧] ، وجمال الدين محمود بن الأثير الحلبي ، وعبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومي الحريري[٨] . المعروف بالْمُتيّم ، وتقي الدين محمد بن سليمان بن عبد الله بن سالم الجعبري[٩] ، وجمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم الخليل الخليلي[١٠] ، وحسن بن محمد النحوي المارداني[١١] ، وغيرهم .

أنشدني إجازة لنفسه الشيخ علاء الدين علي بن غانم[١٢] :

أيُّ حَبْرٍ مضى وأيُّ إمـــام ... فُجعتْ فيــه مِلَّـــةُ الإســلامِ

ابنُ تيميَّـــةَ التَّقيُّ وحيــدُ الــدّ (م) هْرِ مَن كان شـــامـــةً في الشَّـــامِ

بَحْرُ عِلْمٍ قد غاضَ من بعدما فا ... ضَ نـــداهُ وعمَّ بـــالإنْعـــامِ

---

(١) ليست في (أ) والوافي .

(٢) في الوافي : شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم العجمي .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) أحمد بن الحسن ، سلفت ترجمته .

(٥) زيادة من (أ) والوافي .

(٦) هو عمر بن آقوش ، ستأتي ترجمته .

(٧) ستأتي ترجمته .

(٨) في الأصل : الجزري ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٩) الدرر : ٤٤٩/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(١٠) ت (٧٤٣ هـ) ، الشذرات : ٢٠٤/٦ .

(١١) (أ) : المارديني .

(١٢) هو علي بن محمد بن سلمان ، ستأتي ترجمته ، والأبيات في الوافي : ٣١/٧ .

زاهـــدٌ عــــابِـــدٌ تنزّه في دُنـ ـيـاه عَنْ كلّ مـا بهـا من حُطـام[1]
كان كَنْـزاً لِكُـلِّ طـــالبِ علمٍ ولِمَنْ خـــافَ أن يُرى في حَرَام
ولعـافٍ قـد جـاء يشكـو من الفقـ ـر لـــديــه فنـــال كُـلَّ مَرَام
حـازَ عِلْماً فمـالــه من مسـاوٍ فيــه من عــالمٍ ولا من مُسـام
لم يَكُنْ في الــدنى لــه مِنْ نَظيرٍ في جميــعِ العُلــومِ والأَحْكام[2]
عـالِمٌ في زمـانِــه فـاقَ بـالعِلْـ ـمِ جميــعَ الأَئِمَّــةِ الأَعْــلام
كانَ في علمِــه وَحيــداً فريــداً لم ينـالـوا مـا نـالَ في الأَحْـلام[3]
كل مَن في دمشـق نـاح عليــه ببُكاءٍ من شــــدّة الآلام[4]
فُجِــعَ النـــاسُ في الشَّرْقِ والغرْ بِ وأضْحَـوا بـالحُـزْنِ كالأيتـام
لـو يُفيـدُ الفِـداءُ بـالرُّوحِ كُنّـا قـد فـدينـاه من هُجـومِ الحِمام
أوحـدٌ فيــه قـد أُصيبَ البَرايـا فيُعـزّى فيـــه جميـعُ الأنـــام
وعــــزيـــزٌ عليهم أن يَرَوْه غـابَ بـالرَّغْمِ في الثَّرى والرُّغـام[5]
مـا يُرى مِثْـلُ يـومـهِ عنـدمـا سـا رَ على النَّعْشِ نحـوَ دار السـلام
حملـــوه على الرِّقـــابِ إلى القَبْـ ـرِ وكادوا أن يَهْلكـوا بـالـزِّحـام
فهــو الآن جـــارُ رَبٍّ السماوا تِ الرحيمِ المُهينِ العـــلاَّم
قـــدّسَ اللهُ روحَــه وسقى قبـ ـراً [حــواه] بهــا طِـلات الغَمام[6]
فلقــد كان نــادراً في بني الــدهـ ـر وحُسنــاً في أَوْجَـهِ الأيّــام

(١) في الأصل و (أ) : « حرام » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أنسب .
(٢) في الأصل والوافي : « في الدنيا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وبها يستقيم الوزن .
(٣) قوله : « فريدا ... ما » مطموس في الأصل ، واستدرك من (أ) والوافي .
(٤) قوله : « عليه ... من » مطموس في الأصل ، واستدرك من (أ) والوافي .
(٥) (أ) : « في الردى » .
(٦) الزيادة من (أ) والوافي .

وأنشدني أيضاً : إجازة لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن الوردي(١) :

قلوبُ النّاسِ قاسيةٌ سِلاطُ ... وليس لها إلى العَليا نَشاطُ
أَتَنْشَطُ قَطُّ بعدَ وفاةِ حَبْرٍ ... لنا من نَشْرِ جَوْهَرِه التِقاطُ
تقيُّ الدين ذو وَرَعٍ وعِلْمٍ ... خُروقُ الْمُعْضِلاتِ به تُخاطُ
تُوفي وهو محبوسٌ فريدٌ ... وليس له إلى الدّنيا انبساطُ
ولو حَضروه حين قضى لأَلْفَوْا ... مَلائِكَةَ النَّعيمِ به أحاطوا
قضى نَحْباً وليس له قرينٌ ... وليس يَلُفُّ مُشْبِهَهُ القِماطُ
فتىً في علمه أضحى فريداً ... وحَلُّ الْمُشْكِلاتِ به يُناطُ
وكان يخافُ إبليسُ سطاه ... لِوَعْظٍ للقلوبِ هو السِّياطُ
فيا لله ما قد ضمَّ لَحْدٌ ... ويا لله ما غطى البَلاطُ(٢)
وحَبْسُ الدُّرِّ في الأَصْدافِ فَخْرٌ ... وعِندَ الشَّيْخِ بالسِّجْنِ اغْتباطُ
بنو تيمِيّةٍ كانوا فبانوا ... نجومُ العِلْمِ أدركها انهِباطُ(٣)
ولكن يا نَدامَتَنا عليه ... فشَكُّ الْمُلْحِدين به يُماطُ(٤)
إمامٌ لا ولايةٌ قطُّ عاني ... ولا وقْفٌ عليه ولا رِباطُ
ولا جارى الورى في كَسْبِ مالٍ ... ولم يَشْغَلْهُ بالنّاسِ اخْتِلاطُ
ولولا أنّهم سجنوه شَرْعاً ... لكان به لقَدْرِهم انْحِطاطُ
لقد خفيَتْ عليّ هنا أمورٌ ... وليس يليقُ لي فيها انْخراطُ (٥)
وعند الله تجتمعُ البرايا ... جميعاً وانطوى هذا البِساطُ

---

(١) ستأتي ترجمته ، والأبيات في ديوانه ٢٣٤ ، والوافي : ٣٢/٧ .
(٢) البيت ليس في (أ) .
(٣) في الأصل » « الهباط » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٤) (أ) : « فشمل الملحدين » .
(٥) (أ) : « هدى أمور » .

وقلت أنا أيضاً أرثيه[١] :

إنّ ابنَ تيميّـــــــةَ لَمّــــــا قضى ضـاقَ بـأهْـلِ العِلْمِ رَحْبُ الفضـا
فـأيُّ بَـدْرٍ قـد محـاه الرَّدى وأيُّ بَحْرٍ في الثرى غُيِّضـا
وأيّ شَرٍّ فُتّحتْ عَيْنُـــــهُ وأيُّ خَيْرٍ طَرْفُـــه غُمِّضـا
يــا وَحْشَــةَ السُّنّــةِ مِنْ بَعْـدِه فرَبْعُهـا المعمـورُ قـد قُـوِّضا
كم مَجْلسٍ كان هشيمـــاً منَ الـ علمِ فلمّـا جـاءه رُوِّضا
وكلُّ حَفْــلٍ أفْقُــهُ مُظْلِمٌ تَراه إنْ وافى إليــه أضـا
ومُشْكِـلٌ لَمّـا دَجى لَيْلُـه أعـادَه يـومَ هُـدى أبيضـا
تراه إنْ بَرْهَن أقــوالَــه فقَـلَّ أن تُـدْحَرَ أو تُـدْحَضـا
وبحثُــه في مَـدَدٍ طـافـحٍ وخَصْمُـه في وَقْتِـه انقضـا[٢]
يــودُّ لــو أبْلَعَــهُ ريقَــه وهـو بـالحَـقِّ قـد أُجْرِضـا[٣]
أغصَّــه حتى غـدا مُطرقــاً مِنْ نَـدمٍ كَفّيـه قـد عضّضـا[٤]
مــا كان إلا أسَــداً خــادِراً أضحى لـه غـابُ النُّهى مَرْبَضـا
وهــــو يرى العِلْمَ في بُرْدِه وخَصْمُـه قـد ضَمّ جَمْرَ الغضـا
سُبحـــان مَنْ سخَّر قَلْبَ الـورى لقـولـه طَـوْعـاً وقـد قيّضـا
قــد أجمـعَ النّـاسُ على حُبّــه ولا اعتبـارَ بـالـذي أبغضـا
كان سليمَ الصَّــدْرِ قــد سلّم الـ أمرَ لبـاريـه وقــد فـوّضـا
كم حثّ للخير وكم ذي كرى أيْقَــظ من نـومٍ وكم حرّضـا
وأمرض الإلْحـادَ لَمّـا جلى الـ حـقّ وقَلْبُ الزّيـغِ قـد أرْمضـا[٥]

(١) لم ترد هذه الأبيات في الوافي .
(٢) « وبحثه » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .
(٣) « يود » مطموسة في الأصل ، والاستدراك من (أ) .
(٤) (أ) : « باهتاً من » .
(٥) (أ) : « أمرضا » .

وغــادر البــاطـلَ في ظُلْمَــةٍ — لّمــا رأى بــارقَــةُ أومضــا
وهــو عن الــدنيــا زوى نفسَــه — واللهُ بــالجَنَّــةِ قــد عــوّضــا
فمــالــه في مَنْصِبٍ رَغْبَــةٌ — وعَــزْمُــه في ذاك مــا اسْتَنهضــا
كان إذا الــدّنيــا لــه عَرّضت — بــزُخْرُفٍ من نفسِهــا أعرضــا
ولــو رأى ذلــك مــا فــاتــه — منــاصبٌ مِن بَعْضِهنَّ القضــا
وبعــد هــذا حكمُــه نــافِــذٌ — في كُــلِّ مــا قَــدْ شــاءه وارتضى
بنفسِــه جــاهَــدَ جَهْراً وكم — سَــلَّ حُسـامــاً في الــوغى وانْتَضَى
ويــومَ غــازان غــدا عنــدمــا — شــدّدَ في القــولِ ومــا خَفَّضــا[1]
شَــقَّ ســوادَ الْمُغْــلِ زاهي الطُّــلا — كالمــاء لمــا مَــزَّقَ العَرْمَضــا[2]
جــادَلَ بــل جــالــد مُسْتَمْسِكا — بــالحــق حتى إنّــه أَجْهَضــا
ولم يكن فيــه ســوى أنــه — خــالف أشيــاءَ كَمَنْ قــد مضى[3]
متّبِعــاً فيــه الــدّليــلَ الــذي — بــدا ولله فيــه القضــا
وبعــد ذا راحَ إلى ربــه — مــا ادّان مِنْ لَهــوٍ ولا استقرضــا
ثنــاؤه مــا انقَضَّ منــه البِنــا — وذِكْرُه بين الــورى مــا انْقَضى
فجــادَت الرَّحمَــةُ أرضــاً ثــوى — فيهــا وسَقَّتْهــا غُيــوثُ الرِضى

وعلى الجملة ، فكان[4] الشيخ تقي الدين بن تيمية أحدَ الثلاثة الذين عـاصرتهم ، ولم يكن في الزمان مِثْلُهم ، بل ولا قبلَهم من مئة سنة ، وهم الشيخ تقيُّ الـدين بن تيميـة ، والشيخ تقيُّ الدين بنُ دقيق العيـد ، وشيخنـا العلاّمـة تقيُّ الـدين السبكي . وقلت في ذلك :

---

(١) (أ) : « غزا عندما » .
(٢) العرمض : الطحلب .
(٣) (أ) : « أشيا كن » ، ولا يستقيم بها الوزن .
(٤) (أ) : « كان » .

ثـــلاثـــــــةٌ ليس لهم رابـــــعُ فـــلا تَكُنْ من ذاك في شَـــــكٍّ
وكلُّهم مُنْتسبٌ للتُّقى يَقْصُر عنهم وَصْفَ مَن يحكي[(١)]
فـــإن تَشَـــا قلت ابن تيميـــة وابن دقيـــق العيـــــد والسبكي

١١٩ ـ أحمد بن عبد الحميد*

ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قُدامة ، الشيخ الُمسْنِد المبارك عز الدين أبو العباس بن العماد المقدسي الصالحي .

سمع من الموفق[(٢)] ، وموسى بن عبد القادر[(٣)] ، وابن راجح[(٤)] ، وابن أبي لقمة ، والبهاء[(٥)] ، وأبي القاسم بن صَصْرى ، وشمس الدين أحمد البخاري ، وابن غسّان[(٦)] ، وابن الزَّبيدي[(٧)] .

خُرِّجت له مَشْيخةٌ في ثلاث مجلدات ، وسمعها جماعة ، وظهر ، له أيام التتار سماعُ مُسْنَد أبي داود الطيالسي[(٨)] من الموفق .

تفرّد المذكور بأشياء أسْمَعَها ، وبرواية أجزاء في [سماء][(٩)] السماع أطلَعَها ، وصار من أعيان أهل الإسناد ، وأشياخ الرحلة إليه من البلاد .

(١) (أ) : « وكلّهم يلقّب بالتقي » .
* الوافي : ٣٢/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، وعقود الجمان : ١٤٨/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠ هـ) .
(٢) موفق الدين ، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ، ت (٦٢٠ هـ) ، السير : ١٦٥/٢٢ .
(٣) موسى بن عبد القادر الجيلي ، ت (٦١٨ هـ) ، السير : ١٥٠/٢٢ .
(٤) أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف ، ت (٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٥/٢٣ .
(٥) عبد الصمد بن إبراهيم المقدسي ، ت (٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٢ .
(٦) محمد بن غسان بن غافل ، ت (٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٨١/٢٢ .
(٧) الحسين بن المبارك ، ت (٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٨/٢٢ .
(٨) سليمان بن أبي داود الطيالسي ، (ت ٢٠٤ هـ) الكشف : ١٦٧/٩ ، وبروكلمان : ١٥٥/٣ .
(٩) زيادة من (أ) .

ولم يزل على حاله إلى أن مال من ابن العماد عودُه ، وحان خمودُه من اشتعال الشيب[١] وجموده .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة .

ومولده سنة اثنتي عشرة وست مئة بالجبل .

١٢٠ ـ أحمد بن عبد الدائم*

ابن يوسف بن قاسم بن عبد الله بن عبد الخالق بن ساهل أمره شهاب الدين الكناني الشارِمْساحي ، أبو يوسف .

كان هَجَّاماً هجّا ، رجّاماً للأعراض رجّا ، أتى إلى دمشق في أيام القاضي الخويي[٢] فيما أظن ، ودفع إليه ورقة فيها هجوه ، فلمّا رآها[٣] دفعها إليه وأعادها عليه ، فردّها إليه ثانياً ، فقال : يا مولانا كأنك ذاهل ؟ فقال : بل عالم غَيْرُ جاهل ، فقال : ما الذي حملك على هذا ؟ قال : رأيت الناس قد أجمعوا على كرمك ، ووفود الشعراء على حرمك ، ولست مجيداً في النظم فأُعرَف ، واسْمِي أحمد فما أُصْرَف ، ولو مدحتك أعطيتني قليلاً ولم يعلم بي أحد ، ولم يكن لي في الشهرة مُلْتَحَد ، فإذا هجوتك عَزّرتني ، وطوّفت بي وشَهَرتني ، فيقال : هذا الذي هجا قاضيَ القضاة ، وقابله بما لا ارتضاه ، فأحسنَ القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ صِلَتَه وأسناها ، وعلم أن هذا له طِباعٌ لا ينتهي عن الشر ولا يتناهى .

ولمّا عُزل القاضي شمس الدين محمد بن عدلان[٤] عن القضاء عند ورود الملك الناصر

---

(١) (أ) : « أشعال السبب » .

* الوافي : ٣٦/٧ ، وفوات الوفيات : ٨٢/١ ، والدرر : ١٦١/١ .

(٢) محمد بن أحمد ، ت (٦٩٣ هـ) ، الفوات : ٣١٣/٣ .

(٣) (أ) : فيها هجوه ، فدفعها » .

(٤) محمد بن أحمد بن عثمان ، ت (٧٤٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

من الكرك ، صنع قصيدة ، فتح فيها من الهجو القبيح وَصيدَه ، فاجتمع بـه وقـال لـه : ياسيّدنا .

والله ما سَرَّني عزلُ ابنِ عدلان .

فقال له الشيخ شمس الدين : حاشاكم يامولانا جزاكم الله خيراً ، فقال :

من غير صَفْعٍ ولا واللهِ أرضاني .

فقال : قبّحك الله يانَجِس . وله تلك القصيدة التي أولها :

متَى يسمعُ السلطانُ شكوى المدارس وأوقـافُهـا مـا بين عـافٍ ودارس[١]

وكان الشيخ العلاّمة أثير الدين قد تَوجَّه إلى الإسكندرية ، فوقع الشَّناعُ أنـه غرق في النيل ، ودفن بقرية (بولة) وهي قرية على شاطئ النيل ، فقال أبياتاً منها :

وقَـدْ دَفنـوا ذاك الخراء ببـولـةٍ وحُـقَّ لـذاك الْمَيْتِ تلـك المقـابرُ

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا العلاّمة أبو حيّان ، قال : أنشـدني المـذكور لنفسـه بدمياط سنة أربع وتسعين من قصيدة[٢] :

مُحَجّبـةٌ بين التَّرائب والحَشـا فـدمعي لها طَلْـقٌ وقلبي بها رَهْنُ[٣]
وحـالُ الهوى مـاليس يُـدْرَك كُنْهـهُ وهل هـو وَهْمٌ يعتري القلب أو وَهْن
ومَسْلَكُـه بـالطَّرْفِ سَهْـلٌ وإنمـا لـه مَنْهَـجٌ أعيـا القُلـوبَ بـه حُـزْنُ
لـديـه الأمـاني بـالمنـايـا مَشُـوبـةٌ وفيه الرّجـا والخوفُ واليـأسُ والأَمْنُ
وكم مَهْلَـكٍ فيـه يقينٌ لعـاشِـقٍ ومَطْلَبُـه من دونـهِ في الـورى ظَنٌّ

---

(١) البيت في الدرر : ١٦١/١ .
(٢) الأبيات التالية في الوافي : ٣٦/٧ .
(٣) (أ) : « لها رهن » .

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

تَخْشَى الظُّبِى والظُّبا من فَتْكِ ناظره وإن تثنَّى فلا تَسْأَلْ عَنِ الأَسَلِ
لا وَاخَذَ اللهُ عينيه فقه نشطَتْ إلى تلافي وفيها غايَةُ الكَسَلِ
ترمي القلوبَ فما تدري أقامَ بها هاروتُ أم ذاك رامٍ مِنْ بني ثُعَلِ
هذا الغزالُ الذي راقت محاسِنُه فلا عجيبٌ عليه رِقَّةُ الغَزَلِ
لمّا تواليتُ مِنْ وَجْدٍ ومِنْ شَغَفٍ تَحقَّقَ النّاسُ أني مُغْرَمٌ بعَلي

وبالسند المذكور أيضاً قوله :

لا تعجبوا للمجانيقِ التي رَشَقَتْ عكّا بنارٍ وهدَّتها بأَحْجَارِ
بل اعْجَبوا للسانِ النار قائلةً هذي منازلُ أَهْلِ النَّارِ في النَّارِ

قلت : أحسنُ منه ما أنشدنيه لنفسه شيخنا العلاّمة أبو الثناء محمود :

مَرَرْتُ بعكا عِنْدَ تَعْليقِ سُورِها وزَنْدُ أُوارِ النَّارِ مِنْ تحتها وَارِ
فعايَنْتُها بعدَ التَنَصُّرِ قد غَدَتْ مَجوسيّةَ الأَحْجارِ تَسْجُدُ للنَّارِ

قلت : وعلى الجملة فكان الشارمساحي شاعراً جيّداً .

ولم يزل يمدح ويهجو ، ويسنح ويرجو إلى أن سكنت شَقَاشِقُه ، وركنت إلى الخَرَسِ رواشِقُه ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حدود العشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

١٢١ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

ابن عبد المؤمن بن أبي الفتح المقدسي ، الشيخ الصالح الْمُسنِد المقرئ تقي الدين أبو العباس الصُّوري ثم الصالحي الحنبلي .

---

* الوافي : ٤٦/٧ ، والدرر : ١٦٨/١ ، والشذرات : ٣/٦ .

سمع حضوراً من الْمُوَفّق ، وهو خاتمة أصحابه ، ومن ابن أبي لقمة ، وابن صصرى ، والقزويني ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزَّبيدي ، وخرَّجَ أبو عَمْرو المقاتلي[1] له مشيخةً .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : سمعناها منه خاصّة .

وحدّث عنه ابن الخبّاز[2] في حياة ابن عبد الدائم والبِرْزَالي والوافي والمقاتلي وابنُ المحبّ[3] وآخرون .

وقد روى المذكور فأكثر ، وأسند عن جماعة ، فأثّل في السند وأثّر .

ولم يزل على ذلك النهج ، والإضاءة والرَّهج ، إلى أن أصبح هامداً ، ونقله حامله إلى ضريحه عامداً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وسبع مئة ، وعاش أربعاً وثمانين سنة من العمر .

١٢٢ - أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم*

الهكّاري الصّرخدِي ثم الصالحي القوّاس الْمُسْنِد المعمر ، شهاب الدين . سمع من خطيب مَرْدا وغيره .

وسمع الناسُ منه لمّا تحققوا من خيره .

كان فيه دين ، ولم يُر منه ما يَشين .

(١) عثمان بن بلبان ، ت (٧١٧ هـ) ، ستأتي ترجمته .

(٢) نجم الدين ، إسماعيل بن إبراهيم ، ت (٧٠٣ هـ) ، ذيل العبر : ٢٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ .

(٣) عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسي ، ت (٧٣٧ هـ) . ذيل العبر : ١٩٦ ، والدرر : ٢٤٤/٢ .

* الوافي : ٤٧/٧ ، والدرر : ١٦٥/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ .

ولم يزل يُسْمِعُ ، ويلينُ جانِبهُ للطلبة ويُطْمِع ، إلى أن أصاب القواسَ سهمُ الموت وصَرَخَ بالصرخديّ داعي الفوت .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ست وثلاثين وسبع مئة . وعاش تسعين سنة .

١٢٣ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

ابن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور : الشيخ الإمام العابر الأعجوبة في هذا الفن شهابُ الدين المقدسي النابلسي الحنبلي مُفَسِّر المنامات .

سمع من عمّه التقي يوسف[(١)] سنة ست وثلاثين ، ومن الصاحب محيي الدين بن الجوزي[(٢)] ، وسمع بمصر من ابن رَوَاج ، والساوي[(٣)] ، وابن الجمّيزي وبالإسكندرية من السِّبْط[(٤)] ، وروى الكثير بالقاهرة .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي سمعنا منه أجزاء ، وكان عارفاً بالمذهب ، وذكَرَ[(٥)] التدريس بالجوزيّة لما قَدِمَ علينا ونزل بها . وقال : حدثني الشيخ تقي الدين بن تيمية أن الشهاب العابر كان له رِئيٌّ من الجن يخبره عن المغيّبات[(٦)] . والرجل كان صاحب أورادٍ وصلاة ومقامات .

---

* الوافي : ٤٨/٧ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٣ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ ، وعقد الجمان : ٤١٦/٣ ، وفيات (٦٩٧ هـ) . ووقع في الأصل « طعمة » موضع « نعمة » ، وهو سهو .

(١) تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة ، ت (٦٣٨ هـ) ، الشذرات : ٢٠٢/٥ .

(٢) يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ، ت (٦٥٦ هـ) . السير : ٣٧٢/٢٣ ، والشذرات : ٢٨٦/٥ .

(٣) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الأصل : « الشاوري » . والساوي هو يوسف بن محمود ، ت (٦٤٧ هـ) ، السير : ٢٣٣/٢٣ .

(٤) أبو القاسم بن عبد الرحمن بن الحاسب مكي الطرابلسي ثم الإسكندراني ، ت (٦٥١ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٣ .

(٥) في الوافي : « وولي » ، ووقع في بعض أصوله مثل ماههنا ، والجوزية بسوق القمح قرب الجامع الأموي ، أنشأها يوسف بن الجوزي ، وقد سلفت ترجمته قبل قليل ، الدارس : ٢٣/٢ .

(٦) (أ) : « بالغيبيّات » ، وفي الوافي : « بالمغيّبات » .

قلتُ : وكان وافر الحُرْفَة لا تُعرف له جُرْمَة ، للناس فيه عقائد ، وهو إلى الخير قائد ، وله عمّر الطِّبَرْس[١] (المجنونة) التي بجانب بركة الفيل ظاهر القاهرة ، وهي في مكانها ظاهرة .

أنشدني بعضهم قال : أنشدنا ابنُ الصَّاحب الماجن الذي كان بالقاهرة لما عَمَّر الطِّبَرْسُ المجنونة :

ولقد عجبت من الطِّبَرْس وَصَحْبِه وعقولهم بعقوده مفتونه
عقدوا عقوداً لا تصحّ لأنهم عَقَدُوا لجنونٍ على مَجْنونه

وغَرِمَ الأمير المذكور عليها جُملةً ، وحباه من الدراهم حَمْلَةً ، وجعله بها مقيماً ، وأظهر هو من فضله في كهفها رقيماً ، وكان في تعبير الرؤيا آية ، وفي الكلام عليها غاية ، لم أسمع بمثل كلامه على المنام إذا فسّره ، ولا أدري ما الذي أدّاه إلى تلك العجائب وجَسَّره ، وكان غالب الناس يَعُدّ ذلك من باب الكرامات ، لا من باب تأويل المنامات ، وبعضهم يقول : نِجامَة[٢] أو كِهانة ، وبعضهم يقول : قوةٌ في النفس لا مَهانة ، لأنه ربما قال لصاحب الرؤيا أخباراً ماضية ومستقبله ، وأحوالاً كان صاحب الرؤيا منها[٣] في غفلةٍ أوبلَه ، حتى يتعجب السامع ويهوله هذا الفَيْض الهامع ، وقام له بدمشق سوق ، وأما القاهرة فيكاد يركب فيها بالعَلَم والبُوق ، إلى أن رُسِمَ بتحويله منها ، وإبعاده عنها ، فأقام بدمشق على حالة مفخَّمة ، ورتبةٍ في النفوس مُعَظَّمة ، إلى أن أصبح العابر غابراً ، والمكاثر[٤] في تعظيمه لمصابه مكابراً .

أخبرني الحافظ أبو الفتح اليعمري[٥] قال : كنت عنده يوماً ، فجاءه إنسان ،

(١) علاء الدين الخزنداري الحاجب ، ت (٧١٩ هـ) ، الدرر : ٢/٢٢٩ .
(٢) النجامة : النظر في النجوم حسب مواقيتها لتقدير ما يمكن أن يكون .
(٣) (أ) : « عنها » .
(٤) (أ) : « والمكابر » .
(٥) ابن سيد الناس ، ستأتي ترجمته .

وقال : رأيت كأني قد صرت أُتْرُجَّة . فقال . فقال : أترّجة أ ت ر ج ه ، وعدها على أصابعه خمسة أحرف ، وقال لصاحب الرؤيا : أنت تموت بعد خمسة أيام . قال فقال لي بعض من حضر ، ذَكَرَه هو وأُنسيته أنا : القَاعِدَةُ عند أرباب التعبير أنه من رأى أنه صار ثمرة تؤكل فإنه يموت ، وهذه زيادة من عنده ، يعني عَدّ حروف الأُترُجَّة .

وأخبرني الشيخ الحافظ علاءُ الدّين مغْلطاي شيخ الحديث بالظاهرية بين القصرين[(١)] قال : جاء إليه إنسان فقال : رأيت في منامي قائلاً يقول : اِشرب شراب الهَكَّاري ، ففكر ساعة وقال[(٢)] : أنت فؤادك يؤلمك ، قال : نعم ، قال : اشرب لك[(٣)] عسلاً تَبْرأ ، قال : فقيل له : من أين لك ذلك ؟ قال : فكرت في أنهم يقولون[(٤)] : شراب ديناري كذا ، شراب كذا ؛ شراب كذا ، فلم أجد لهم شراباً يوصف بالهكّاري ، فرجعت إلى الحروف فوجدتها شراب الهك أرْي ، والأري هو العسل وذكرت الحديث « كذب عليك العسل »[(٥)] ، أو كما قال . وهذا ذكاءٌ مفرطٌ وذهن يشوب التعجب بالتحيّر ويَخْلط .

وحكى لي عنه القاضي بهاء الدين أبو بكر ابن غانم موقّع صفد وطرابلس قال : كنا عنده بدمشق وجاء إليه اثنان ، فقال أحدهما : رأيت رؤيا ، وقصّها[(٦)] ، فقال[(٧)] : ما رأيت شيئاً وإنما تريد الامتحان ، فخرجا بعدما اعترفا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : لما تكلم رأيت في ذيل أحدهما نقطة دم فذكرت الآية : ﴿ وجاؤوا على

(١) في الوافي : « بظاهرية بين القصرين بالقاهرة » .

(٢) (أ) : « وقال له » .

(٣) كذا ، وهو تركيب دارج ، وفي الوافي : « اشرب العسل » .

(٤) عبارة الوافي : « قال : سمعتهم يقولون » .

(٥) لفظ الحديث في الوافي : « كذب بطن أخيك ، اسقه العسل » .

(٦) في الأصل : « أقصها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) (أ) ، والوافي : « فقال له » .

قميصه بدمٍ كذبٍ ﴾[١] ، فاتفق أن رأيت أحدهما فيما بعد فسألته عن القضية[٢] ، فقال : لما اجتزنا عليه ذكرنا أمره الغريب ، وقلنا : نمتحنه ، وصنعنا رؤيا للوقت ، فكان ما سمعت ، فقلتُ له : إنه قال : كذا وكذا فقال : صدق ، ونحن داخلون إليكم كان إنسان في الطريق يذبح فَرُّوجاً ، فرمى به فلوَّثنا الدم[٣] .

وحَكَى لي عنه أيضاً قال : جاء إليه إنسان وقال : رأيت كأنَّ في داري شجرة يقطين قد نبتت ، فقال له : أعندك جارية غير الزوجة ؟ قال : نعم ، قال : بعني إياها ، فقال : ماهذا ؟ قال : الذي تسمعُه ، قال : إنها ملك زوجتي ، قال : فقل لها تبيعني إياها ، فراح وعاد يقول : إنها لم تبعها ، فقال : تكسب مئتي[٤] درهم ، فعاد وقال : لم تبعها ، فألح عليها[٥] فقال : إنها لم تبعها ، فقال : أما الآن فقد آن تعبير رؤياك ، امضِ إلى هذه الجارية واعتبرها ، فتوجه وعاد وقال : إنه كان عبداً ، وزوجتي تكتمني أمره وتلبسه لباس النساء .

وأخبرني غير واحد عنه أنه جاء إليه إنسان وقال له : رأيت كأني قد وضعتُ رجلي على رأسي ، فقال له : أفسّر لك هذه الرؤيا بيني وبينك أو في الظاهر ؟ فقال بل في الظاهر ، فقال له : أنت من ليالٍ شربت الخمر وسكرت ووطئت أمّك ، فاستحيا ومضى .

وعندي عنه من هذا جملة وافرة ، وأخبار على التعجب من أمره متضافرة ، يضيق عنه الوقت ويؤدي سردُه بعد المِقة إلى المقْت .

---

(١) [يوسف : ١٢/١٨] .

(٢) (أ) : « القصة » .

(٣) (أ) : « فلوثنا بالدم » ، والوافي : « فلوثنا به بالدم » .

(٤) في الوافي : « فقال له : يكسب مئتي » .

(٥) (أ) ، والوافي : « عليه » ، وهي أنسب .

وأما خروجه من مصر ، فأخبرني الشيخ الإمام الفاضل شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري[١] عن علم الدين بن أبي خليفة[٢] رئيس الأطباء بمصر حكاية أخبره بها شخص من الهند ، هي أغرب من سائر أمور شهاب الدين العابر وأعجب ، ذِكْرُها يهوّل العقل وأمرها ما يصدّقه أهل النقل .

وتوفي شهاب الدين رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة[٣] تاسع عشري ذي القعدة ، وحضر جنازته ملك الأمراء وغيره من القضاة والأكابر .

وكانت واقعته في مصر وخروجه منها في ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وست مئة .

١٢٤ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة*

نُور الدين الأنصاري الحموي الكاتب ، كتب الإنشاء بطرابلس والفتوحات لما[٤] تَولّى الأمير سيف الدين أَسْنَدْمَرُ[٥] نيابة طرابلس عزل نور الدين هذا وجعل أمره في طرابلس جُذَاذاً ، وولّى مكانه نور الدين بن المغيزل ، فتوفي بعد شهور ، وأعيد النور بعد النور ، واستمر في مكانه إلى بعض سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فرُتِّبَ عِوَضه ابن مقبل الحمصي ، وعاد ابن رواحة إلى حماة ، واستقر في أصل مخرجه ومنتماه ، ولم يزل بها حتى طفِئ نوره ، وبُهت لأمره حضوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة سادس عشر شعبان .

---

(١) المعروف بابن الأكفاني ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) : « علم الدين أبي » .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٨ هـ) ، عقد الجمان : ٤١٦/٣ .

* الوافي : ٥٦/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، والدرر : ١٦٦/١ .

(٤) في الوافي : « ولما » .

(٥) ستأتي ترجمته .

١٢٥ ـ أحمد بن عبد الرحمن*

الشيخ الإمام الخطيب ابن العَجَمي خطيب جامع حلب .

اجتمعت به في حلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وأراني إجازة العلامة شيخنا شهاب الدين أبي الثناء[1] لأخيه عبد المؤمن وهي بخطّه نظمٌ ونثر ، وقد أثنى عليه وعلى فضائله ، وبرهن على شاهده ، بنظم دلائله ، وساقه في عداد الأُدباء السّادة ، والقالة القادة ، وخطُّه يزري بوشْي صَنْعَا ، وحروفه تفوق النجوم جَمْعَا ، وطروسُه غادةٌ بالسطور[2] فرعاً . وهو أخو الشيخ عز الدين بن عبد المؤمن ، وسيأتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

لم يزل شمسُ الدين المذكور في دَرَج منبره ، ويلتقط الناس درَّه من معبره ، إلى أن كسفت شمسه وضمه رمسه ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

١٢٦ ـ أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله**

الشيخ الإمام المفتي القاضي شهاب الدين بن فارس الظاهري الشافعي ، أحَد المفتين والمدّرسين بدمشق .

أخذ العلم عن الشيخ برهان الدين الفزاري وغيره .

ولي قضاء الركب الحجازي مرات ، وبرَّد شوقه برمي الجمرات ، وكان حَسَن المحاضرة ، لَسِنَ المذاكرة ، قديم الهجرة في العلم ، رأى أولئك السادة القدماء أهل الحلم ،

---

* لم نقف على ترجمة له .

(١) هو الشهاب محمود ، وستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « وسطوره غادة بالسطور فرعاً » .

** الوافي : ١٣٩/٧ ، وفيه أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن . والدرر : ١٦٦/١ ، والشذرات : ١٧٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٣٠/١ .

وله ثروة ومعه مال جم ، وليس له غير التحصيل هَم ، وملكه يدخل منه[(١)] في اليوم جُمْله ، ولا يؤوده[(٢)] عند استخراج أجر[(٣)] أملاكه ما يروم حَمْله ، وكان مع ذلك يجلس في حانوت الشهود بالمسمارية ويقاسم ، ويُعْملُ في تحصيل ذلك الأنيق الرواسم .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض مقبوراً ، وترك ولده بماله الموروث محبوّاً مجبوراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد حادي عشر شعبان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وسبعين وست مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة :

رأتْ شيبتي قالت: عجبتُ مع الصبَا ... مشيبك هذا صِفْةُ لي بحياتي
فقلت لها: ما ذاك شيبٌ وإنما ... سناكِ بقلبي لاح في وجناتي

[(٤) وأنشدني من لفظه لنفسه :

عجبوا لخالك كيف منك مُقَبِّلاً ... شفةً رَقَتْ عن لؤلؤ وجمان
فأجبتهم لا تعجبوا ما زال ذا ... مستلزماً كشقائق النعمان[(٥)]]

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

رَعَفَ الحبيبُ فقيل هل قبلتَه ؟ ... شوقاً إليه ودمع عينك يَسْجُمُ

---

(١) (خ) : « يدخله منه » .
(٢) في الأصل و (أ) : لا يؤده ، وفي : خ ، لا يؤده ، ولعل ما أثبتناه أقرب ، ومعنى يؤوده : يثقله .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) زيادة من (أ) و (خ) .
(٥) في الوافي : « الشقائق » .

فأجبتُ : لا ، لكنه أخفى دمي في سفكه وعليه قد ظهر الدمُ[(١)]

وكان يقول بعد ذلك : الشعر مزبلة الفقيه ، فأقول : كذا هو .

١٢٧ ـ أحمد بن عبد الرزاق الخالدي*

كان المذكور وزير الممالك القازانيّة والبلاد القانية ، ظالماً غاشماً ، سفاكاً للدماء هاشماً ، استصفى أموال الرعايا ، وحاجَّهم في أخذها منهم بالباطل وعايا .

ولم يزل في ظلمةِ ظُلْمِهِ خابطاً ، وعمله بذاك عند الله حابطاً ، إلى أن عضَّه السيف بريقه ، واختطفَ بَصَره من بريقه .

وقُتِلَ هو وأخوه القطبُ وأخوهما زين الدين وذلك في سنة سبع وتسعين[(٢)] وست مئة .

١٢٨ ـ أحمد بن عبد القادر**

ابن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سليم القيسي ، الشيخ الإمام العالم الفريد تاج الدين المعروف بابن مكتوم النحوي .

اشتغل بالحديث وفنونه ، وأخذ الحديث عن أصحاب النجيب وابن علاّق[(٣)] ، وهذه الطبقة .

كان فاضلاً في النحو قيّماً بغرائبه ، متيّماً بتتبع ما تشعَّب من مذاهبه ، جمع فيه وعلّق وفاض نِيْله وغَلّق ، وكسَر سَدَّه وخلّق ، وطار فيه إلى غايات النجوم وحَلّق ،

(١) البيتان في المنهل الصافي : ١/٣٣١ .

* الوافي : ٧/٥٨ ، والمنهل الصافي : ١/٣٣٦ .

(٢) في المنهل الصافي : « في سنة تسع وتسعين » .

** الوافي : ٧/٧٤ ، والدرر : ١/١٧٤ ، والشذرات : ٦/١٥٩ ، والبغية : ١/٣٢٦ ، والمنهل الصافي : ١/٣٣٨ .

(٣) ابن علاق : عبد الله بن عبد الواحد بن محمد ، ت (٦٧٢) ، الشذرات : ٥/٣٣٨ .

وخطـه كما يقـال طريقـة بـذاتهـا ، متفردة بلـذاتهـا . ولـه نظم لا بـأس بـه ولا لَوْمَ على كاسِبِه .

ولم يزل على حـالـه إلى أن بـاح الموت بسرّ ابن مكتوم ، وحل بـه الأجل المحتوم ، وفُضَّ له قبرُه المختوم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعونِ مصر .

ومولده[١] [في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين وست مئة] .

كنت قد سمعت بأخباره وطربت لأشعاره ، فازددت له شوقاً ، ولم أجد لقلبي على الصبر طَوْقاً ، فقدر الله بالاجتماع ، وزادت بُرُوق فضلـه في الالتماع ، ورأيتـه غير مرة . ثم إني اجتمعت بـه في القـاهرة في سنـة خمس وأربعين وسبع مئـة وسـألتـه الإجـازة بكلّ ما يجوز أن يرويه فأجازني[٢] مُتَلَفِّظاً بذلـك . وعمل تـاريخاً للنحـاة ولم أقف عليـه إلى الآن ، وملكت بخطه (الدر اللقيـط من البحر المحيـط) وهو في مجلـدين ، التقطـه من تفسير شيخنـا أثير[٣] الـدين ، وتكلم هـو في بعض الأمـاكن وليس بكثير بعض شيء ، فجاء كتاباً جيداً .

ومن شعره ، ومن خطه نقلتُ :

مـا على الفـاضـل المهـذب عـارٌ ... إن غـدا خـامـلاً وذو الجهـل سـامِ
فـاللُّبـاب الشهي بـالقشر خـافٍ ... ومَصُـــون الثمار تحت الكِمامِ
والمقـــادير لا تـــلام بحـــالٍ ... والأمـــاني حقيقـــةٌ بـــالمَـلاَمِ
وأخـــو الفهم من تـــزوّد للمـــو ... ت وخلّى الـدنى لنهب الطغـامِ[٤]

(١) بياض في الأصول ، والزيادة من الدرر .

(٢) في الوافي : « فأجاز لي » .

(٣) (أ) : « أمين » ، وأثير الدين هو أبو حيان .

(٤) في الأصل و (خ) والوافي : « الدنيا » .

ونقلت من خطِّه له :

عَرَتْني هُمــومٌ برَّحت وشــواغــل ... وأصبح دهري وَهْوَ بي متشاغِلُ[١]

وبعّـــــد عن قلبي المسرَّةَ أنني ... على فَضْلِ ماعندي من العلم خاملُ

يمر بيَ الطـــلابُ لا يعرفـــونني ... ويأتون ذا الحظ الذي هو جاهلُ

ويُقرئ عِلْمَ النحـــو دونيَ مَعْشَرٌ ... منـــازلهم في المشكـــلات نـــوازلُ

إذا سُئِلوا أعيـــاهم أن يجـــاوبـوا ... كما عَيَّ لما سِيْلَ من قَبْلُ (باقلٌ)[٢]

قُصَارى عُلاَهم أنْ يقالَ : مشـايخٌ ... وأقصى منـاهم أن يُقَـال : أمَـاثِـلُ

رَأَوا صُحُفاً فاستقرؤوها وحاولوا ... بها مَعْلَماً فاستقبلتهم مجـاهـلُ

وأضحَوْا شيوخاً بالصحائف وَحْدَها ... لهم رُتَبٌ عنـد الـورى ومَنَـازلُ

وما لازموا شيخاً ولا حاولوا به ... وُصُولاً إلى علمٍ لـه الشيـخ واصـلُ

ومن لم تُعَلّمـه الشيوخ فرأيـه ... على كثرة الأوراق والكُتْبِ قائلُ[٣]

وإني وإن أصبحتُ لا رَبَّ رتبـــةً ... لـــديهم و منهم بي البرُّ نـــازلُ

لَيَعْرِفُ حقي كلُّ ذي ألْمعيَّـــة ... ويَقْدُرُ لي القَدْرَ الجليلَ الأفاضلُ

ويَشهدُ لي بالفضل نظمٌ مُهَذَّبٌ ... ونَثْرٌ يُحاكي الدُّرَّ مِنْهُ الفواصلُ

وأَبْكَارُ أفْكَارٍ كَشَفْتُ قنـاعَهـا ... وحَلَّيتُ منها ما غدا وهو عاطلُ

وأبرزتهـا في صُـورة الـدهر غُرَّةً ... كما حُلَّ عن وجهِ المليحةِ حائلُ[٤]

ولي في أفانين العلوم مَجَـامـعٌ ... بها كل ما يهوى المحدِّقُ حاصلُ

سهرت عليها إذْ أخو الجهل راقدٌ ... وفكرّت في تهذيبها وهو غافلٌ

ومن كان مثلي لم يكن هَمُّـه الغِنى ... فيشغَلَـهُ فيـه عن العلم شـاغلُ

---

(١) (أ) ، (خ) : « متثاقل » .

(٢) (أ) : « أن يجادلوا » . وفي المثل : « أعيا من باقل » .

(٣) كذا في الأصول ، والقائل : النائم .

(٤) في الأصل : « صورة الدهن » ، تحريف ، ولعلها « الذهن » ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

ونقلت من خطه له : .

ومُعَذرٍ قال العذولُ عليه لي شَبِّهْهُ واحذر من قصورٍ يَعْتَري[1]
فأجبته هُوَ بانةٌ من فوقها بدرٌ يُحَفُّ بهالةٍ مِنْ عَنْبَرِ[2]

ونقلت من خَطّه له :

نَفَضْتُ يَدي من الدنيا وَلَمْ أضرع لمخلوقِ
لعِلْمِي أن رزقي لا يجاوزني لمرزوقِ
ومَنْ عَظَمت جَهالَتُه يَرَى فِعْلِي من الْمُوقِ

١٢٩ ـ أحمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن*

ضياء الدين بن الخطيب الأسنائي .

اشتغل بأسْنَا ، ثم بالقاهرة ، وأتى إلى دمشق وقرأ بها على النووي ، وسمع الحديث ، وصحب الشيخ إبراهيم بن مِعْضَاد الجعبري[3] ، ثم اعتزل وأقام ببلده سنين ، انقطع عن الناس ، وأنف من ملاقاة الأدناس ، يتعبد في مكانه ، ويعتمد على الله في تحريكه وإسكانه ، إلى أن انطفأ ضياؤه وخمد من الأسنائي سناؤه .

وتوفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

(١) في الأصول : « تغيّري » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمنهل ، وهي أشبه .
(٢) البيتان في المنهل الصافي : ٣٣٩/١ .
* الوافي : ٧٧/٧ ، والدرر : ١٧٦/١ ، وسقطت ترجمته من (أ) .
(٣) ت (٦٨٧ هـ) ، الوافي : ١٤٧/٦ .

١٣٠ - أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم*

ابن عبد العزيز بن جامع ، شهاب الدين العَزَّازي التاجر بقيساريةِ جَهاركس[(١)] بالقاهرة .

كان شاعراً جيدَ المقاصد ، لطيف الاقتناص للمعاني خفيَّ المراصد ، لتراكيبه حلاوة ، وعلى ألفاظه طلاوة ، وله شيء كثير من الموشحات ، وكلها بالصناعة البديعية مُوَشَّعات ، وكان قد أتقن فنّي القريض والتوشيح ، وغني اشتهاره في ذلك عن التلويح بالتصريح . وكان تاجراً فهو ينشر البَزّين من نظمه وقماشه ، ويجعل النظم لأدبه والمتجرَ لمعاشه .

ولم يزل على حاله إلى أن طُوِيت من الحياة شُقّتُه ، وعُدِمَ ما[(٢)] بين معاشريه لطفه[(٣)] ورقته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشري شهر الله المحرم سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وحدَّث بشيء من نظمه ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين أبو الفتح[(٤)] قال : أَنْشَدني من لفظه شهاب الدين العزّازي يمدح سيدنا رسول الله ﷺ[(٥)] :

* الوافي : ١٤٨/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٤ ، وفوات الوفيات : ٩٥/١ ، والدرر : ١٩٣/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٢/١ .

(١) قيسارية جهاركس : بناها الأمير جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي سنة (٥٩٢ هـ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « لطافته » .

(٤) ابن سيد الناس .

(٥) نقل ابن تغري بردي عن الصفدي بعض الأبيات في المنهل . والقصيدة معارضة لبردة كعب بن زهير .

دمي بـأطـلال ذاتِ الخـال مطلـولُ   وجَيْشُ صَبْريَ مَهْـزُومٌ ومفلـولُ
ومن يُـلاقِ العيـون الفـاتكاتِ بـلا   صَبْرٍ يـدافـعُ عنـه فهـو مخـذولُ[١]
قُتلتُ في الحب حُبِّ الغـانيـات ومـا   قَـارفْت ذنبـاً وَكم في الحب مقتـولُ[٢]
لم يـدرِ مَنْ سَلَبَ العشـاقَ أنفسهم   بـأنـه من دم العشـاق مسـؤولُ[٣]
وبي أغنٌّ غضيضُ الطرف مُعْتـدلُ الـ   ـقـوامِ لَـدْنُ مَهـزِّ العطف مَجْـدُولُ
كأنّـه في تثنّيـه وخَطْرتِـه   غُصْنٌ من البـانِ مطلـولٌ ومشمـولُ
سُـلافـةٌ منـه تَسْبيني وسـالفـةٌ   وعـاسِـلٌ منـه يُصْبيني ومَعْسُـولُ
وكلّ مـا تـدّعي أجفـان مقلتـه   يصـحُ إلاَّ غرامي فهـو منحـولُ

منها :

يـا برق كيف الثنـايـا الغرُّ من إضَمٍ   يـا بَرْقُ أم كيف لي مُنْهنَّ تقبيـلُ
ويـا نسيم الصَّبَا كَرِّرْ على أُذُني   حَـديثَهُنَّ فمـا التكرارُ مملـولُ
ويـا حُـداةَ المطـايـا دُون ذي سَلَمٍ   عوجـوا وشَرِّقيّ بـانـات اللّـوى مِيْلُـوا

منها :

منـازلٌ لأكُفِّ الغيثِ تـوشيَـةٌ   بهـا وللنَـوْر تـوشيـع وتكليـلُ[٤]
كأنمـا طِيبُ رَيَّـاهـا ونَفْحتُهـا   بطيبِ تُرْبِ رسـول الله مجبـولُ
أوْفَى النبيين بُرْهَـانـاً ومُعْجِـزةً   وخَيرُ مَنْ جـاءَهُ بـالـوحي جبريـلُ
لَـهُ يـدٌ ولـه بـاعٌ يَـزِينُهما   في السِّلم طِوْلٌ وفي يوم الـوغى طَـولُ

---

(١) في الأصل : « وهو » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .
(٢) في الأصل : « فارقت » ، تصحيف وكذا في بعض نسخ المنهل ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .
(٣) (أ) ، الوافي ، المنهل « عن دم » .
(٤) في الأصل : « توسيع وتكميل » ، وهو تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

منها :

سَلّ الإلـهُ بـه سيفـاً لملتـه وذلـك السيفُ حتى الحَشْرِ مسلـولُ
وشـاد ركنـاً أثيـلاً من نبـوّتـه والكُفْرُ واهٍ وعَرْشُ الشرك مثلـولُ(١)
ويـل لمن جحـدوا برهـانـه وثَنَى عِنـان رشـدهم غيٌّ وتضليـلُ
أولئـك الخـاسئـون الخـاسرون ومن لهم من الله تعـذيبٌ وتنكيـلُ
نَمَتْـهُ مِنْ هـاشم أُسْـدٌ ضَرَاغِمَـةٌ لهـا السيـوفُ نُيُـوبٌ والقنـا غيـلُ
إذا تفـاخر أربـابُ العـلا فهم الـ ـغرُّ المغـاويرُ والصِّيْـدُ البهـاليـلُ
لهم على العَرَبِ العَرْبـاء قـاطبـةً بـه افتخـارٌ وترجيـحٌ وتفضيـلُ
قَـوْمٌ عَمَـائمهم ذَلّت لعـزتهـا الـ ـقعسـاءِ تيجـانُ كسرى والأكاليـلُ

وهي قصيدة جيّدة غراء .

وبالسند المذكور له :

منـذ عشقت الشـارعيَّ الـذي بـالحسن يغتـال ويختـالُ
لم يبـقَ في ظهري ولا راحتي تـالله لا مـاءٌ ولا مـالُ

وأنشـدني من لفظـه شيخنـا العلامـة أثير الـدين قـال : أنشـدني من لفظـه لنفسـه شهاب الدين العزّازي :

مـا عُـذْرُ مثلـك والركاب تُسـاقُ ألاّ تفيض بـدمعـك الآمـاقُ
فـأَذِلْ مصونـاتِ الـدموع فـإنمـا هي سُنَّـة قـد سَنَّهـا العشـاقُ
ولَرُبَّ دمـعٍ خـانَ بعـد وفـائـه مُـذْ حـانَ من ذاك الفريـق فراقُ
ووراء ذيـاك العُـذَيْبِ مُنَيْـزلٌ لَعِبت بقلبـك نحـوه الأشـواق(٢)

---

(١) في الأصل : « وسار ركناً » . تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٢) في الأصل : « العشاق » ، وليس لها وجه ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

خَذْ أيمن الوادي فكم من عاشقٍ فتكت به من سِرْبِهِ الأحداقُ[1]
واحفظ فؤادك إن هفا بُرق الحِمى أو هَبَّ منه نسيمه الخفّاقُ

وكتب شهاب الدين العزّازي إلى ناصر الدين حسن بن النقيب[2] ملغزاً في « شبّابة » :

وما صفراءُ شاحبةٌ ولكن تُزَيِّنها لنضارة والشبابُ
مُكَتَّبةٌ وليس لها بنانٌ مُنَقَّبةٌ وليس لها نِقابُ
تُصيخُ لها إذا قبَّلْتَ فاهَا أحاديثاً تَلَذُّ وتُسْتَطابُ
ويحلو المدح والتشبيب فيها وما هي لا سعادُ ولا الربابُ

قلت : ما أحسن ما جاءت « الرباب » هنا .

وأجاب ابن النقيب عن ذلك :

أتت عجميَّةٌ أَعْرَبْتَ عنها لسلمانٍ يكون لها انتسابُ
ويُفهم ما تقول ولا سؤالٌ إذا حققت ذاك ولا جوابُ
يكاد لها الجماد يَهزّ عِطْفاً ويرقص في زُجَاجته الحُبابُ

قلتُ : الأول أجود وأحسن .

وقال العزّازي ملغزاً في القوس والنُشّاب :

ما عجوز كبيرةٌ بلغت عُمْـ ـراً طويلاً وتَتَّقيها الرجالُ[3]
قد علا جِسْمَها صفارٌ ولم تَشْـ ـكُ سَقَاماً ولا عراها هُزالُ
ولها في البنين سَهْم وَقسمٌ وبنوها كِبارُ قدرٍ نِبَالُ

(١) في الأصل : « خذ من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) الحسن بن شاور الكناني ، ت (٦٨٧هـ) ، والشذرات : ٥/٤٠٠ .
(٣) كذا في أصول الصفدي ، وفي الدرر ، والشذرات : « يبتغيها » ، وهي أشبه .

وأراهـــا لم يُشْبهـوهـــا ، ففي الأمْ م اعــوجـــاج وفي البنين اعتـــدالُ

قلت : ما أصنع البيت الثالث وأحسنه .

ومن شعر العزّازي :

قـــال لي من أحبـــه عنـــد لثمي وجنـــاتٍ يُحَــدِّثُ الــورد عنهـــا
خــلِّ عني أمَـــا شبعت ؟ فنـــاديـ تَ : رأيتَ الحيــاة يُشْبَــع منهـــا ؟

ومنه :

جَعَلَتْ يــوم قـــارةٍ كُــلَّ وجـــهٍ شِـــدّةُ البَرْد وَهْــوُ للقـــار يحكي
وأسَـــالَتْ منـــا الـــدمـــوعَ ومـــا زلْـ ـنـــا بهـــا في منـــازلِ النبـــك نبكي

ومن موشحات العَزّازي[1] :

ماعلى من هَام وجداً بذواتِ الحلَى مبتلى بالحِـدَقِ السود وبيض الطُّلَى
بـــاللـوى مُليٌّ حُسْنٍ لـــديـوني لــوى
كم نـوى قتلي وكم عـــذبني بـــالنـــوى
قـــد هــوى في حبـــه قلبي بحكم الهــوى

واصطلى نـــارَ تجنّيـــه ونـــار القِلى كيف لا يَذُوبُ مَن هَـامَ بريم الفَلاَ
هــل ترى يجمعنـــا الــدهر ولــو في الكرى
أم ترى عيني محيّـــــــا مَنْ لجسمي برى
بـالسُّرى يــاحــاديَيْ ركبٍ بليـل سرى[2]

عَلِــلاّ قلبي بتَـــذْكار اللُّقـــا عَلِّــلا وانـزلا دون الحِمَـا حُيَّ الحمى منزلا

(١) في المنهل الصافي : ٣٦٧/١ .

(٢) في الوافي : « بليلي » . وفي المنهل : « ياحاد ركباً لي بليل سرى » .

بي رشَــا دمعي بِسِرِّي في هــواه فشــا[1]
لــو يشــا بَرَّد مني جمرات الحشـــا
مـــا مشى إلا انثنى من سكره وانتشى

عَطِّـلا من الحميّا يا مُـدير الطِّـلا مَـا حَـلا إذا أدارَ النـاظرَ الأكحـلا

هــل يــلامْ من غَلَبَ الحبُّ عليـه فهَـامْ
مستَهـامْ بفـاترِ اللحــظ رشيـق القـوام
ذي ابتسام أحسن نظماً من حبـاب المدام[2]

لو مَلا من ريقه كأساً لأحيا الملا أوْجَـلاَ وَجْهـاً رأيتَ القَمَر المجتلَى

لــو عَفَــا قلبـــك عمَّن زلَّ أو من هفــا
أو صفــا مــا كان كالجلمــد أو كالصفــا
بــالوفـا سَلْ عن فتىً عــذَّبْتَــه بــالجفـا

هل خلا فـؤاده من خطرات الـولا أوْ سَـلا أوْ خـان ذاك المـوثـق الأوَّلا

وكنت أنا في وقت قد نظمت موشحاً في هذه المادة وهو :

لي إلى ظبي الحِمى شوق وقـد أنحلا إن حــلا فــإنـه جرَّعني الحنظــلا

بي قَمَرْ سبي الحشــــــا مني وعقلي قَمَرْ
لـو خَطَرْ أمسى بــه أهـل الهـوى في خَطَرْ
مُــــذْ سَحَرْ بطرفــــهِ اعتــل نسيم السَّحَرْ

واصطَلَى مَحَّبــة تــذكار عَصْر خـلا وابتلا بـالـوجـد حتى أتعب العُـذَّلا

كم أَلَمْ من طيفــــــه لمــــــا بَجَفْنيَّ ألم

---

(١) في الأصل : « سري » .
(٢) (أ) : « أحسن من نظم » .

في الظُلَمْ أنصف لكن عين وُلّي ظلَمْ
أو نَسَمْ مبسَمُـــه أحيـــا جميـــع النسَمْ[1]

أوجــلا طلعتَـــهُ في دامس أَلْيــلا لاعتلى على بُـــدُور التم بين المــلا

إن قضى بقتلتي طرفُ غــــــزالي انقضى
إذ مضى في كبـــدي جفنــــاه فيما مضى
لـــو أضـــا برق الرضى لي ذات الإضى

لانجلى عني العَنَـا أو قَـلّ عني العُـلا وانسـلا قلب عـدوّ قـال عني سَـلاَ

إن صفـــا لي قلبــه مِنْ هجره انصفـــا
إن تفـــاءلت لقلبي برضـــاه انتفـــا
أو طغـــا دمعي على جفن لــه أو طفـــا

أَخْجَلا قطر غوادٍ قـد غـدت حُفَّـلا كيف لا وهو حَيا دمعي وقد أسبلا

بئس مـا عـاملني الحب الـذي بي سَمَـا
عنـدما أجرى دموعي بـالجفـا عَنْـدَمـا
أَجْرَمــا غفرتُ للـواشي الــذي أجرمـا

فاختلى بـه وخَلّى البـال رهن البلا أمَّ لا دون نعم في كل مــــــا أمّـــلا

١٣١ ـ أحمد بن عبد المنعم بن أبي الغنائم*

ابن أحمد بن محمد القزويني الطاوُسي .

الشيخ الكبير المقرئ المعمَّر الصوفي بالخانقاه السميساطية .

---

(١) (أ) : « لو » .

* الوافي : ١٥٨/٧ ، والدرر : ١٩٣/١ ، والشذرات : ١٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٧٣/١ ، وعقد الجمان : ٢٧٠/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) .

روى عن ابن الخازن[١] ، وعن ابن خليل ، والسخاوي ، وغيرهم . وحدَّث بالإجازة العامة عن الصيدلاني[٢] وغيره .

وكان من أعيان الصوفيّة ، حَسَنَ الأخلاق قاضياً للحقوق ، من أهل القرآن .

قال شيخنا البِرْزَالي : ذكر[٣] أنه قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين وست مئة ، وسافر إلى بغداد سنة أربع وثلاثين مع ابن مرزوق[٤] ، كان يصلّي به ، أرسله معه الشيخ علم الدين السخاوي ووصّاه به .

وذكر أنه سمع بقزوين (صحيح مسلم) على يد أبي بكر الشحاذي ، وأنه اجتمع بالرافعي صاحب (الشرح[٥] الكبير) ، وأنه رأى السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة خمس عشرة وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر جمادى الأولى سنة أربع وسبع مئة[٦] ، وحضر جنازته خلق كثير ، ودفن بمقابر الصوفية .

١٣٢ ـ أحمد بن عبد المحسن بن الحسن بن معالي*

القاضي الإمام نجم الدين أبو العباس الدمشقي الشافعي .

تَفَقَّه على الشيخ تاج الدين عبد الرحمن[٧] ولازمه ، وأعاد بحلقته ووليَ إعادة

---

(١) أبو بكر محمد بن سعيد الخازن ، (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٢٤/٢٣ .
(٢) أبو جعفر محمد بن أحمد الأصبهاني ، ت (٦٠٣ هـ) ، السير : ٤٣٠/٢١ .
(٣) (أ) : « ذُكر لي » .
(٤) إبراهيم بن عبد الله ، صفي الدين ، ت (٦٥٩ هـ) . الشذرات : ٢٩٧/٥ .
(٥) في الأصل : « الشيخ » ، وهو سهو .
(٦) في الأصل و (أ) : وست مئة ، وهو سهو .
* الدرر : ١٠٩/١ .
(٧) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري ، ت (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٧/٥ ، والنجوم : ٣١/٨ .

الظاهرية والقَيْمريَّة[١] وغيرهما . وولي قضاء القدس في أيام القاضي بهاء الدين ابن الزكي[٢] وناب في الحكم سنين عن ابن صَصَرى ، ودرس بالنجيبيّة[٣] وغيرها .

وسمع من ابن عبد الدائم ، وروى عنه ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن علان ، وجماعة . وحج غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٣٣ ـ أحمد بن عبد المحسن بن الرفعة*

ابن أبي المجد الشيخ الصالح المسند شرف الدين أبو العباس .

سمع من النجيب الحرَّاني[٤] ، وابن عَزّون[٥] ، والمعين أحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي[٦] ، وابن ملكويه[٧] المشرف البروجردي ، وتاج الدين القسطلاني[٨] ، وسمع مشيخة الرازي[٩] ، والجمعة للنسائي على الشيخين المقدم ذكرهما .

(١) (أ) : « وأعاد بالظاهرية والقيمرية » ، والقيمرية : أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن علي سنة (٦٥٦ هـ) ، والقيميري هو الإمام مقدم الجيوش ، ناصر الدين الحسين بن عبد العزيز ، (الدارس : ٣٣٥/١) .

(٢) يوسف بن يحيى ، ت (٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٤/٥ .

(٣) قرب ضريح نور الدين الشهيد ، مؤسسها النجيبي آقوش الصالحي ، الدارس : ٣٥٨/١ .

* الوافي : ١٤٢/٧ ، والدرر : ١٩٠/١ .

(٤) عبد اللطيف بن عبد المنعم بن الصيقل الحراني ، ت (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٨/٥ ، والنجوم : ٢٤٤/٧ ، والشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) إسماعيل بن عبد القوي ، ت (٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ .

(٦) أحمد بن علي بن يوسف ، ت (٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ ، والنجوم : ٢٣٧/٧ .

(٧) في الأصل : « ملكوته » ، تصحيف . وهو إسحاق بن محمود بن ملكويه ، ت (٦٦٩ هـ) ، الوافي : ٤٢٤/٨ .

(٨) علي بن أحمد بن علي القيسي ، ت (٦٦٤ هـ) ، الشذرات : ٣٢٠/٥ .

(٩) فخر الدين الرازي ، ت (٦٠٦ هـ) ، الكشف : ١٦٩٧/٢ .

وتوفي في ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ، ودفن بالقرافة .

ونقلتُ من خَطّ السَّراج الورّاق ، ما كتبه إلى الشيخ[1] ، لما قدم من الحجاز :

لِمَ لا أراكَ من الحِجَاز وقد وصلتَ ولا أراكا
طَيِّبْ سِواكَ فمي فلم يُعْجِبْهُ ذكرُ فتىً سِواكا

١٣٤ ـ أحمد بن عبد الواحد*

ابن عبد الكريم بن خلف ، الشيخ الأمين الفقيه العَدْل الفاضل فتح الدين أبو العباس ابن الشيخ الإمام العلامة كمال الدين الأنصاري الزملكاني .

حَدَّث عن خطيب مَرْدَا ، والبكري[2] ، وابنِ عَبْد الدائم ، وغيرهم .

توفي رحمه الله تعالى ظهر يوم الاثنين ثالث عشر صفر سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده وأخيه الشيخ علاء الدين .

وفَتْحُ الدين هذا هو عم الشيخ العلامة كمال الدين ابن الزملكاني قاضي حلب[3] .

وكان مولد فتح الدين في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : سمعت عليه خمسة عشر جزءاً .

---

(١) في (أ) : « الشيخ نجم الدين » ، ولا وجه لها ، والصواب « شرف الدين » ، وهو صاحب الترجمة .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) أبو علي الحسين بن محمد ، ت (٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٣ ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

(٣) محمد بن علي بن عبد الواحد ، ت (٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته .

١٣٥ ـ أحمد بن عبد الوهاب*

ابن خلف بن محمود بن بدر القاضي علاء الدين المعروف بابن بنت الأعز الشافعي .

حج ودخل اليمن ، وعاد وقدم دمشق ، وولي تدريس الظاهرية والقَيْمَريَّة ، وكان يركب البغلة ويتحنَّك[١] على عادة المصريين ، وهو أخو الأخَوَيْن قاضي القضاة محمد صدر الدين[٢] وقاضي القضاة عبد الرحمن تقي الدين[٣] .

وعاد من دمشق إلى مصر ودَرَّس بالكُهاريّه والقطبية[٤] ، وتولى الحسبة بآخَرَة .

وكان مليح الشارة[٥] ، فصيح العبارة ، مليح النضارة ، فيه كرم وإحسان وجود ، ومحاسنُ يتضوع من نشرها الوجود ، مع لطف مزاج ، واعتدالٍ لا يُؤَديّه إلى انزعاج ، كثيرَ التبسم ، شديد الاسترواح إلى المكارم والتَنَسُّم ، وكان فيه شهامة ، وعنده بالأمور العظام كفالة وزعامة .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن أجاب الداعي ، وقام به الناعي .

---

* الوافي : ٧/١٦٣ ، وفوات الوفيات : ١/١٠٦ ، والبدائع : ١/١/٥٨٥ ، والشذرات : ٥/٤٤٤ ، وعقد الجمان : ٤/٩٤ ، والمنهل الصافي : ١/٣٧٨ ، وطبقات السبكي : ٨/٢٣ .

(١) في الوافي : « يتحنّك بطيلسانه » ، والتحنّك : التحلّي ، وهو أن تدير العمامة من تحت الحنك . اللسان . مادة (حنك) .

(٢) كذا ، وفي البداية : ١٣/٢٩٧ : « صدر الدين عمر بن القاضي تاج الدين عبد الوهاب » ، وكذا في الشذرات : ٥/٣٦٧ .

(٣) ت (٦٩٥ هـ) ، البداية : ١٣/٣٤٦ ، والشذرات : ٥/٤٣١ .

(٤) المدرسة الكهارية بالقاهرة أنشأها الملك السعيد محمد بركة بن الظاهر بيبرس سنة (٦٧٧ هـ) ، وعرفت بالكهارية نسبة إلى الدرب الذي أنشئت فيه وهو درب الكهارية .
والمدرسة القطبية بالقاهرة أنشأها الأمير قطب الدين خسرو بن بليل من أمراء صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٠ هـ) في خط سويقة الصاحب داخل درب الحريري ، وجعلها وقفاً على الشافعية .

(٥) زاد في (أ) : « لطيف الإشارة » .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

أخبرني من لفظه شيخُنا العلامة أثيرُ الدين ، قال : حَضَرْنَا مع المذكور في الروضة فكتب إليّ ، وَوَجَّهَهُ مع بعض غلمانه :

حَيَّيْتُ أثيرَ الـدين شيـخ الأُدبـا ... أقضي حقـاً لـه كما قـد وَجَبَـا
حَيَّيْتُ فتىً بطـاقِ آسٍ نَضِرٍ ... كالقَـدِّ بـدا مُلِئْتُ منـه طَرَبَـا

قال : فأنشدته :

أهـدى لنـا غُصُنـاً من نـاضر الآسِ ... أقضى القضـاةِ حليفُ الجـود والبـاسِ
لّمـا رأى سَقَمي أهـداه مـع رشـأٍ ... حُلْـوِ التثني فكان الشـافي الآسي

وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

تَعطَّلْتُ فـابيضّت دَوَاتي لحُـزْنِهـا ... ومُـذْقـلَّ مـالي قـلَّ منهـا مِـدادهـا
وللنـاس مُسْـوَدُّ اللبـاس حـدادهم ... ولكنَّ مُبْيَضّ الـدواةِ حِـدادهـا[1]

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

في السُمر معـانٍ لا تُرى في البيضِ ... تـاللهِ لقـد نَصَحْتُ في تعريضي[2]
مـا الشهـد إذا طعمتـه كاللبنِ ... يكفي فَطِنـاً محـاسنُ التعريضِ

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

وقـالـوا بـالعـذارِ تسـلَّ عَنْـه ... ومـا أنـا عن غـزال الحسن سَـالِ[3]
وإن أبْـدَت لنـا خَـدّاه مسكاً ... فـإن المسـك بَعْضُ دم الغـزالِ

(١) البيتان في عقد الجمان : ٤/٩٧ .
(٢) في عقد الجمان : « للسمر ... تعريضي » .
(٣) في الأصل : « قالوا » ، وأثبتنا ما في الوافي وعقد الجمان ليستقيم الوزن .

١٣٦ ـ أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم*

شهابُ الدّين ، النويريّ المَحْتِد ، القُوصيّ المولد .

سمع على الشريف موسى بن علي بن أبي طالب[١] ، وعلى يَعْقُوب بن أحمد ، وأحمد الحَجّار[٢] ، وزينب بنت مُنَجّا[٣] ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهم .

وكتب كثيراً ، كتب (البخاري) مرَّات ، كتبه ثماني مرات ، وكان يكتب النسخة ويقابلها ، وينقل الطباق عليها ويجلِّدها ويبيعها بسبع مئة درهم وبألف[٤] ، وباعَ تاريخه مرة للقاضي جمال الكفاة بألفي درهم ، وكان يكتب في النهار الطويل ثلاث كراريس ، وحَصَل له قربٌ من الدولة في وقت ، وجمع تاريخاً كبيراً في ثلاثين مجلدة رأيته بخطّه .

كان المذكور قد تَقَدَّم عند السلطان الملك الناصر ، وعُقِدَتْ عليه الخناصر ، ووكَّلَهُ في بعض أموره ، وجعله في موضع[٥] سرِّه وسُروره ، وعمل عليه ولعب بعقله حتى رافَع ابنَ عُبَادة[٦] ، وهو الذي قربه إليه ورفع عنده عِمَادَه ، فَضُربَ بالمَقارع نكالاً ، وتخلّى السلطان عنه وأضحك منه الثكالى ، ولكنَّ ابنَ عبادة عَفَا عَنْهُ وما انتقم منه .

---

* الوافي : ١٦٥/٧ ، والبداية : ١٦٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٣٨١/١ ، والطالع السعيد : ٤٦ ، والدرر : ١٩٧/١ ، ونسبه في المنهل يختلف عما هنا .

(١) أبو الفتح ، (ت ٧١٥ هـ) وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل الحجازي ، تحريف ، وأثبتنا مافي (أ) والوافي ، والحجار هو أحمد بن نعمة ت (٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) هي زينب بنت أحمد بن محمد بن عثمان ، ت (٧٥٠ هـ) ، والدرر : ١١٨/٢ .

(٤) (أ) : « وبألف درهم » .

(٥) (أ) : « وجعله موضع » .

(٦) أحمد بن علي ، وستأتي ترجمته .

وتقلَّب في خِدْمِ الديوان ، وباشر نظرَ الجيش بطرابلس في وقت ، ونظرَ الديوان بالدقهلية[١] والمرتاحيّة .

وكان حَسَنَ الشكل فيه مكارم وأريحيّة ، يتودَّدُ لأصحابه ، ويتردد لمن يتمسَّكُ بأسبابه ، مع ذكاءٍ في فطرته واحتشام في عِشْرَته . صام شهر رمضان وهو في كل يوم بعد العصر يستفتح قراءة القرآن إلى قريب المغرب ، ثم حصل له وجع في أطراف يديه زار منه منازل البلى وترك الدمع عليه مُسْبَلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره : .....[٢]

١٣٧ ـ أحمد بن عبد الله بن جبريل*

كاتب الإنشاء من الأيام الْمُعِزيّة إلى آخر وقت القاضي شهاب الدين .

كان كاتباً مَأموناً ، مباركاً على الدول ميموناً ، تردد إلى الديوان زماناً ، وأخذ من السعد فيه[٣] أماناً ، إلى أن أضرَّ ولزم الجلوس في داره وأصرَّ . ولم يزل على ذلك إلى أن ودع أهله بالحزن بعد مَسَرَّة وهنا ، وأصبح بعمله في القبر مرتهناً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة .

وهو والد القاضي صلاح الدين بن عبد الله ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ودارهم بالقاهرة في حارة زويلة .

---

(١) في الأصل : « بالدهقلية » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ومعجم البلدان : ٤٥٩/٣ .
(٢) كذا .. بياض .
* لم نقف على ترجمته .
(٣) ليست في (أ) .

١٣٨ ـ أحمد بن عثمان بن قايماز*

ابن أبي محمد عبد الله الفارقي التركماني الدمشقي شهاب الدين ، والد شيخنا الشيخ شمس الدين الذهبي .

سمع صحيح البخاري سنة ست وستين على المقداد القيسي ، عن سعيد بن الرزاز[١] ، عن أبي الوقت .

وأجاز له تقي الدين بن أبي اليُسر ، وجمال الدين بن مالك ، وجماعة .

وسمع مع والده ببعلبك من التاج عبد الخالق[٢] وزينب بنت كِنْدي[٣] ، وجماعة .

كان فيه دين وخير ودفع الضرر[٤] عن غيره والضير ، افتكَّ من عكا أسيرين ، وأعتق جارية وغلامين ، وبرع في صناعة الذهب ، وكان في يده مثلَ اللهب . ولم يزل على حاله إلى أن انتهى شوطه ، وفرغ من سَوْق الحياة سَوْطه ، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٣٩ ـ أحمد بن عثمان بن أبي الرجاء**

شهاب الدين [بن][٥] السَّلْعُوس التنوخي الدمشقي ، أخو الصاحب شمس الدين[٦] .

---

* الوافي : ١٧٩/٧ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/١ ، ووقع في الأصل : « الفارقاني » تحريف .

(١) هو سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن عمر البغدادي ، أبو منصور بن الرزاز ، ت (٦١٦ هـ) ، السير : ٩٧/٢٢ .

(٢) عبد الخالق بن عبد السلام البعلبكي ، ت (٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

(٣) زينب بنت عمر بن كندي ت (٦٩٩ هـ) ، الوافي : ٦٦/١٥ .

(٤) (أ) : « الضرّ » .

** الوافي : ١٧٩/٧ ، والدرر : ٢٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٧/١ .

(٥) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٦) محمد بن عثمان التنوخي الوزير ، ت (٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٨٠/٥ ، والنجوم : ٥٣/٨ .

سمع من ابن عبد الدائم ، وسمع بالإسكندرية في تجارته من عثمان بن عوف[١] . وسمع منه البرزالي .

كان في سمعه ثِقَل ، وهو لأجل التجارة لا يزال في نُقَل ، وفيه بِرّ وصَدَقة ، وله تطلُّع إلى الإحسان لا يُطْرِق معه حَدَقَهْ ، ونال الجاهَ العريض أيام وزارة أخيه ، ووَلي نظر الجامع الأُموي ، إلا أنه ثبتت أواخيه ، ولما قُتلَ أخوه عادَ إلى حاله الأولى وانكفَّت يده الطولى .

ولم يزل كذلك إلى أن وقع ما لابُدَّ منه ، ونفرت أوانس الحياة عنه ، وتوفّي رحمه الله تعالى كَهْلاً سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٤٠ ـ أحمد بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى بن سليمان ، الشيخ الإمام الفقيه تاج الدين أبو العباس المارديني الحنفي ، المعروف بابن التركماني ، وسيأتي ذكر والده وأخيه[٨] في مكانها إن شاء الله تعالى .

كان فقيهاً مُجيداً ، وأديباً مفيداً ، ومُبدياً للفوائد في الفنون ومُعيداً ، صنف في غير ما فن وأظهر ما بَطَنَ من الغوامض وما استَجَنَّ . له تعليقة على (المُحَصَّل) للإمام فخر الدين[٣] و (شرحٌ على منتخب) الباجي في أصول الفقه للحنفية ، وثلاث تعاليق على (خلاصة الدلائل في تنقيح المسائل)[٤] للحنفية ؛ الأولى : في حل المشكلات ،

---

(١) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن بن عوف ، ت (٦٧٤ هـ) العبر : ٣٠٣/٥ ، والنجوم ٢٥١/٧ .

* الوافي : ١٨٢/٧ ، والدرر : ١٩٨/١ ، والمنهل : ٣٨٢/١ ، والشذرات : ١٤٠/٦ ، والبغية ٣٣٤/١ .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٥٠ هـ) .

(٣) هو المحصّل في شرح المفصّل للرازي ، ت (٦٦٠ هـ) .

(٤) خلاصة الدلائل شرحٌ على مختصر القدوري ، ت (٤٢٨ هـ) ، وصاحب الشرح هو علي بن أحمد المكي الرازي ، ت (٥٩٨ هـ) ، وذكر صاحب الكشف : ١٦٣٢/٢ تعاليقَ التركماني عليه .

وتبيين المعضلات ، وشرح الألفاظ وتفسير المعاني للحُفَّاظ . والثانية : في ذكر ما أهمله من مسائل الهداية . الثالثة : في ذكر أحاديثه والكلام عليها وعلى متونها وعلى تصحيحها وتخريجها . (شَرْحُ الجامع الكبير) لمحمد بن الحسن [١] ، و (شرح الهداية) [٢] ، أظنه لم يكمل ، وكتابان في علم الفرائض مبسوط ومتوسط ، و (تعليق على مقدمتيّ ابن الحاجب) ، و (شرح المقرّب) لابن عصفور أظنه لم يكمل ، و (شرح عَرُوض ابن الحاجب) ، كتاب في (أحكام الرماية والسبق [٣] والمحلل) ، وكتاب (الأبحاث الجليّة على مسألة ابن تيميّة) [٤] ، و (شرح الشمسية) في المنطق [٥] ، أظنه لم يكمل ، و (شرح التبصرة) للخِرقي [٦] ، في الهيئة أظنه لم يكمل .

وله نظم جيّدُ المقاصد ونَثْرٌ [٧] يُعَدُّ في الفرائد ، وخَطّه أبهى من الحلل الموشاة والرياض التي [٨] بالأزهار مُغَشاة .

لم يزل في خدمة العلم إلى أن سكن التراب ، وفارق لداته [٩] والأتراب ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة في أول جُمَادى الأولى .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وثمانين وست مئة .

نقلتُ من خطه له [١٠] :

---

(١) الشيباني ، ت (١٨٧ هـ) ، الكشف : ٥٦٧/١ .

(٢) للإمام علي بن أبي بكر المرغيناني ، ت (٥٩٣ هـ) ، الكشف : ٢٠٣١/١ .

(٣) الكشف : ١٨/١ ، وفي المنهل : « والسبق الحلل » .

(٤) في الأصل : « على مسائل » وأثبتنا ما في (أ) و (خ) والوافي ، وانظر الكشف : ٢/١ .

(٥) للقزويني ، علي بن عمر ، ت (٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ .

(٦) محمد بن أحمد الخرقي ، ت (٥٣٣ هـ) ، الكشف : ٣٣٨/١ .

(٧) في الأصل : « ونظم » ، وهو سهو .

(٨) (أ) ، (خ) : « التي هي » .

(٩) في الأصل و (أ) : « لذاته » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) .

(١٠) في المنهل الصافي أنه كتب هذه الأبيات إلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري .

غرامي بكم بين البريَّـة قـد فشـا فلستُ أبـالي بـالرقيب ومن وشى
ولا غَرْوَ أن غرّت صفاتـك من حكى فما قدر ما حاكَ الربيع وما وشى [١]
وإن قِستُها بـالـدُّرِّ قـال لي السُّهـا أفق إن ذاك الـدُّر في بحره انتشا [٢]
فقُمت بهـا أشـدو على كل مَشْهـدٍ فكلٌّ بـه عُجْبَـاً تـواجَـدَ وانتشى
مغـارِسُـه طـابت وطـاب أبُـوةً وذلـك فضـل الله يـؤتيـه من يشـا
ومـا أنبت الخَطيَّ إلاّ وشيجُـه ولا بـات إلا في مُطَهَّره الحشـا [٣]
فجـاء فريـد الـدهر أوْحَـدَ عَصْره وكم بين ذي نورٍ ومن كان ذا غِشا [٤]

ونقلتُ منه له أيضاً :

ملكتَ عَذَارى الجـامحـات وعُونَهـا وفجَّرتَ مِنْ عُقْمِ المعـاني عيُـونهـا
رددت وجـوه الشـاردات أوانسـاً وذَلَّلت بـاللفـظ البليـغ متـونَهـا
فلا غَرْوَ أن هـزَّ الصَّبـا غُصن الصَّبـا وقَبَّلَ مِنْ بَان العُـذَيْب غُصُونَها [٥]
وأسكر صَبّـاً مُغْرَمـاً بحـديثكم وفَرَّعَ من حُسْنِ الحـديث شجونهـا

١٤١ ـ أحمد بن عثمان بن مفرّج بن حامد*

الشيخ الصالح أبو العباس البعلبكي القيّم .

بلغ من العمر سبعاً وثمانين سنة ، وكان شيخاً صالحاً ، خدم المشايخ وسافر إلى العراق .

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « إذ غرت » .
(٢) (أ) : « لي النهى » .
(٣) (أ) : « مطاهره » .
(٤) في الوافي : « عشا » .
(٥) في الوافي : « قضب الصبا » .
* لم نقف على ترجمته .

قال شيخنا البرزالي : وروى لنا عن ابن المقيّر[١] (الأربعين) للحاكم قرأتها[٢] ببعلبك ، وسمع أيضاً من ابن رواحة في أول سنة إحدى وعشرين وست مئة وسمع من الشرف المرسي ، وغيرهم ، ولزم المسجد في آخر عمره والعبادة .

وكان حسن السمت كثير المروءة ، ديِّناً عفيفاً .

توفي رحمه الله تعالى في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٤٢ ـ أحمد بن عثمان*

الأديب النظّام شهاب الدين الأَمْشَاطي .

كان ينظم الشعر القريض ، وهو فيه ذو طَرْفٍ غضيض ، ولكنه في الأزجال والموشحات وما يحتاج الأدباء فيه على رأي العوام من الزيلجات قيّم في وقته بالشام ، يعظمه أرباب هذا الفن بشهادة الحكام ، أخذ على ذلك دراهم ، واستعمل بها لجراحاتهم مراهم ، لعب مراتٍ وغَلَب ، ونُودي له بقيّم الشام من دمشق إلى حلب ، وكان له قدرة لنظمه الشعر ، فإنه به غَلالة الشعر .

ولم يزل على حاله إلى أن سُرّح الأمشاطي إلى البرزخ ، وأقام به إلى يوم القيامة مرسىً ومرشح .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ومات في عشر الستين .

وكتب عنه ابن طغريل .

(١) عبد الرحمن بن المقير ، ت (٦٩٩ هـ) ، الشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) في (أ) : « قرأتها عليه » . والحاكم هو الإمام الحافظ محمد بن عبد الله النيسابوري ، ت (٤٠٥ هـ) ، الكشف : ٥٥/١ .

* الدرر : ٢٠١/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ .

ومن شعره :

وفتّاكِ اللواحظ بعد هَجْرٍ ... حنا كرماً وأنعم بالمزار
وظل نهاره يرمي بقلبي ... سهاماً من جفونٍ كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه ... وحكم النوم في الأجفان جار
تعالى من توفّاكم بليلٍ ... ويعلم ماجرحتم بالنهارِ

وكان الأمشاطي قد نظم هو وابن مقاتل[1] زجلين ، فقطع أرباب فنّها[2] للأَمْشَاطي بأنه الغالب ، وابن مقاتل يدعي أنه سافر إلى مصر وأخذ خطَّ الشيخ صدر الدين بن الوكيل وخط شيخنا أثير الدين وغيرهما من المصريين بأنه هو الغالب والأمشاطي مغلوب ، والذي نظمه الأمشاطي رحمه الله تعالى .

لَكْ خَدْيا أح مذ حاز مُلَح ... رَوْضو اصطبح فيه واغتَبَقْ
خال من سَبَحْ أسبَى[3] المهج ... زَهْرٌ خرج وأظْهَرُ فَرجْ

من هام بيه لَيْسَ يُلاَمْ

مُعَيْشِقي النادر ... ليس في الملاح ندُّو
وجهو المضي الزاهر ... يدر الكمال عبدو
ولو قوام ناضر ... في اللين أخذ خدُّو
قام في الرياض خاطر ... رأى الغُصيْن قدّو

عليه رَجَحْ مات وانطَرحْ ... لّما افتَضح وفي الورق
صار مندرج ومُندمج ... وراح همج من العِوَج

حين قام ذاك القوام

(١) علي بن مقاتل ، ستأتي ترجمته .
(٢) في الأصل : « فيهما » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل : « أسنى » ، وأثبتنا ما في (أ) .

جيت في الملاح نَـــدرة مطبـــوع حلـــو سُكّر
لـــك جفن بـــالكسرَة على المـــــــلاح يُنْصَر
والريـــق لنـــــا سَكرَة آه لـــو نطيـــق نسكر
وخـــــد فيــــه خُضرَة أبيض شريـــــــق أحمَرْ
نُـــورو اتضَـــحْ لِمَنْ لُمـــحْ كِنّـــو قَـــدَح رَاقَ للحـــدَقْ
صَفَـــا نَتـــج لّمـــا ابتهـــج نـــــار دون وَهَـــجْ أو امتزج
والتام ماء[1] والْمُدَام
صـــــادفت من عـــزَّر هجري في وَخْـــد اليـــوم
دَنَـــــا رقيـــق أصفر بحـــال هـــلال الصـــوم
شكيت لـــــــو كم نسهر قـــال لي: اكتحـل بـالنـوم
فنـــاديت[2] وقـــد أبحر دمعي ولي فيـــه عـــوم
يـــــامَن قـــداح رقّ وجرح ومـــــا صفـــح ولي شُقَـــقْ
سُقمي نسَـــجْ من صَـــار نهـــج وَكْ مُتَّهـــــج وفي لُجَــــج
قد عام كيف لو مُنَام
ظهرَ وكان[3] يخفي عني وصــــــال حُبّي
وارتـــــــــدَّ عن خُلْفي ومـــــــال إلى قُربي
نحمـــــــد ونشكر في كل الأمـــــــور ربّي
فقرَّ يــــــــاطَرْفي والتَـــــذّ يـــــاقلبي
وابـــــدي الفرح واخفي الترح أمرك نجـــح كم بـــــالقلـــق
تعمـــل حجـــج وتنزعـــج جـــاد بـــالفرج بعـــد الحرج
قسَّام رزق الأنام

---

(١) (أ) : « ماه » .
(٢) (أ) : « ناديت » .
(٣) (أ) : « وما كان » .

معـــــك قـــوّام أرشـــق　من　الغصن　وأنضرْ
بليـــــــــل شعرو أورق　وبـــــــــــالقمر أثمر
وخـــــد رُوضُـــوا عبـــق　جَنّـــــانُـــو خـــــال عنبَر
وكل من حقـــــــــــــق　في طلعتـــــــــك يبصَرْ
لـك خـديـا أح مـذ حـاز مُلح　رَوْضــوا اصطبـح فيـه واغتبـق
خـــــال من سَبَـــحْ أسبى المهـــج　زَهْرُ وخَرَجْ وأظهَرْ فَرَج
من هام بيه ليس يلام

والذي نظمه علاء الدين بن مقاتل :

طرفي لَمَــح بـــدر اتضَــحْ　لي فيـه مُلَـح مـاعـو حَـدق
إذا اختلـج فيهـا الـدعـج　يسْبي المهـج ولـو نسـج
رَقام عذارو لام

جـل الإلــه منشيـــه　من بعض ايـــــاتُــــو
خَـــدّو المضرج فيــــه　نـــارُو وجَنَّـــاتُـــو
والـورد كاد يبـــديـه　في غير أوقــــاتـــو
ومِن جنـــا عينيـــه　لمى في وَجْنــــاتـــو
وردُو اتّفــح نشرُو انفضــح[1]　وفيــه نضـح طــلٌ العَرَقْ
وامتزج ذاك الـــــوهـــــج　من الضَرَج فـــاح لـــو أرَج
نمّام على الخزام

واعـــظ هـويت وعَظْـوُ　والخطبـــة والإنشـــاد
والختمــــة من حفظـــو　والـــدَرْس والإِشْنَــاد
ومـــزدوج لفظـــو　قـــد أفرد العُبّـــاد
شبّهتـــو من حَظـــوّ　في ليلـــة الميعـــاد

(١) (أ) : « افتضح » .

حين قـــال صح في مـــا شرح وقـــد فَصَح لمـــا نطـــق
بـــــالمـــــزدوج وابتهـــج وقـــد عَرَج على الـــدرج
واتقام بدر التام
محبـــوبـــو لمـــا احرَفْ عنّـــو لشـــوم قسمُـــو
سَقمـــو عليـــــه أشْرف حتّي محـــا رَسْمُـــو
ومـــــا بقي يُعْرَف منّـــو ســـوى إسمـــو
وعلى المات أشرف ومن نحـــول جسمُـــو
قـــد صـــار سَبَـــحْ ولا برح ولا انتزح عمَّن عَشَـــــــق
ولا انحرج ولا انـــزعـــج لـــو انـــدَرَج وانـــدمـــج
لا لام ولا يُلام
سمـــع بـــأوصـــافي ومـــا رويت عنّـــو
عمـــل على إنصـــافي ووصلي صـــار فنُّـــو
وعيشنـــا الصـــافي زال الكـــدَرْ عنّـــو
مـــع حظي الـــوافي ومـــا الخـلا مـــا إنّـــو
معي مَـــزَحْ ولي فتـــح بـــاب الفرح وقـــد غلـــق
بـــــاب الحرج وللفرج معي درج وجـــــا الفرج
والتام حفظ الذمام
مـــا ذي المـــلاّح إلا فتنـــة لمن يعشـــق
الله لهم حلّى بـــالبهجـــة والرونـــق
بحـــالهم أصـــلاً في الجنـــة ليس يخلـــق
فكيف نطيـــق نســـلا عنهم وفي جلّـــــق
طَرفي لمـــح بَـــدْرَ اتضـــح في فيـــه[1] مُلَـح مَـاعُـو حَـدَقْ

(١) (أ) : « لي فيه » .

إذا اختلج فيها الدعج يسبي المهج ولو نَسَجَ
رقّام عنارو لاَمَ

قلت : أنا أحاشي الشيخ صدر الدين والشيخ أثير الدين رحمهما الله تعالى أن يكونا حكماً لابن مقاتل على الأمشاطي ، وابن مقاتل قد جاء معه عدة عيوب منها قوله « جنا عينيه » مع قوله « منشيه ومبديه » ، وهذا لا يجوز قريضاً ولا زجلاً ، ومنها أنه قطع همزة الوصل وهو غير جائز عند الزجّالة ، ويسمون مثل هذا : « ركبة » ، ومنها أنه ذكر الواعظ وما لذكره هنا بمعنىً ، لأنها ما اتفقا على أن ينظما في واعظ ، هذا إلى غير هذه الأشياء من العيوب .

١٤٣ ـ أحمد بن عسكر بن شدّاد*

الفقيه الفاضل كمال الدين .

كان رجلاً صالحاً فقيهاً نبيهاً متقشفاً متعفّفاً[1] مقلاًّ من الدنيا .

سمع كثيراً مع شيخه ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، وغيرهما .

وحدَّثَ وحجَّ غَيْرَ مرة ، وكان يسافر إلى القدس ماشياً كلَّ سنة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة اثنتين وسبع مئة . وحضر جنازته القضاةُ والعلماء .

١٤٤ ـ أحمد بن علي بن عبد الوهاب**

ابن يوسف بن منجا ، شهاب الدين الأُدْفوي[2] .

* الدرر : ١/٢٠٣ .

(١) (أ) : « متعبداً » .

** الوافي : ٧/٢٠٤ ، والدرر : ١/٢١٧ .

(٢) (أ) : « الأُدفوني » .

كان من الأذكياء العقلا ، والدَّينَةِ[١] النبلا ، صدوق اللهجة ، ظاهرَ الوضاءة من الخير والبهجة ، تفقه للشافعي ، وقرأ النحو ، وكان فَهِماً ذكياً[٢] ذا همّة ، وقريحة تجلو له الليالي[٣] المدلهمّة ، وفيه صَدقة وبِرّ ، وإخلاصُ باطنٍ وسِرّ ، وإكرامٌ للفقراء[٤] والصالحين والضيوف الواردين .

حضر إلى القاهرة ، وشرع في حفظ (التسهيل) ، فقرأ منه القليل ، ونزلَ به حادث المنايا ، ووارث الرزايا .

وتوفي بالمدرسة الصالحية في صفر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٤٥ ـ أحمد بن علي بن عبد الله*

ابن أبي البدر ، المحدّث جمال الدين أبو بكر البغدادي القَلانِسي .

كان مفيد بغداد ، عُني بالرواية وهو ابن عشرين سنة ، وسمع الكثير من عبد الصمد[٥] ، ومحمد بن أبي الدينَّة[٦] وابن بَلْدجي وعِدَّه . وخرّج وأفاد[٧] ، وكتب وروى قليلاً .

---

(١) (أ) : « والأدنية » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « الدياجي » .

(٤) في الأصل : « للفقراء الواردين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٢٤٣/٧ ، والدرر : ٢١٦/١ ، والشذرات : ١٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/١ .

(٥) في الأصل و (أ) : « ابن عبد » ، والوجه إسقاط ابن كما في الوافي ، والمنهل . وهو عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش البغدادي (ت ٦٧٦ هـ) .

(٦) في الأصل و (أ) : « المدينة » ، والصواب : الدينّة ، كما في الدرر ، وهو محمد بن يعقوب (ت ٦٧٠ هـ) .

(٧) في الأصل : « وأعاد » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهي أشبه .

وحدّث عنه[١] التقي محمد بن محمود الكرخي[٢] وابنه أحمد ، وأحمد بن عبد الغني الوفاياتي[٣] ، وعبد الله بن سليمان الغراد ، ومحمد بن يوسف بن منكلي .

وكان صدوقاً فيما يدَّعيه وما يقوله ويعيه .

لم يزل يفيد ويطلب ، ويزيد ويكتب عن المشايخ في الإجازات ، ويكتب ما في الجزازات ، إلى أن باخ جمره ، وأناخ عليه بكلكله دهره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وسبع مئة .

ومولده في جمادى الآخرة سنة أربعين وست مئة .

١٤٦ ـ أحمد بن علي بن هبة الله*

شمس الدين بن السّديد الإسْنَائي الشافعي .

قرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وتولى الخطابة بإسنا ، وناب بها في الحكم وبأُدْفُو وبقوص ، ودَرَّس بها ، وبنى بها مَدْرسة ، ووقف عليها أملاكاً جيِّدة ، ووقف على الفقراء .

وكان قويَّ النّفْس يبذل الألوف ليقهر أعداءه ويذيقَهُم الحتوف ، محافظاً على الرياسة ملازماً لطريق[٤] الخدمة للأكابر والسياسة ، واقفاً مع هواه لا يحذر مِنْ مَهْوَاه ، مُمَدَّحاً[٥] معطاءً مَهيباً ، واجداً بالتقدم في الدنيا وجد المتيَّم إذا رأى حبيباً ، انصرف

(١) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل .
(٢) في الوافي : « الكرجي » . وفي المنهل كما هنا .
(٣) في المنهل : « الوفاياني » .

* هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل العذري القفطي . (ت ٦٩٧ هـ) ، الوافي : ٢٤٤/٧ ، والدرر : ٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ص ٥٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٤/١ .

(٤) (أ) : « طريق » .
(٥) (أ) : « معظماً » .

منه على نيابة الحكم بقوص ثمانون ألف درهم ، وما دخل منه القلبَ ولا الصدر هَمّ ، وصادره الأمير سيف الدين كراي المنصوري[١] في آخر عمره وأخذ منه مئةً وستين ألف درهم .

وتوجه إلى القاهرة وتمارض فمرض ، ونزل به الأمرُ المحتوم وأصبح وهو تحت[٢] الأرض في حرز مختوم .

وكانت وفاته في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة .

١٤٧ ـ أحمد بن علي*

ابن الشيخ الزاهد يوسف بن علي بن إبراهيم سبط الشيخ ضياء الدين أبي المحاسن عبد الحق[٣] الواسط الحنفي ، القاضي شهاب الدين أخو قاضي القضاة برهان الدين ابن عبد الحق بن خلف بن عبد الحق ، تقدم ذكره في الأباره[٤] .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٤٨ ـ أحمد بن علي بن أحمد**

الشيخ فخر الدين أبو طالب الهمداني[٥] الكوفي الحنفي المعروف بابن الفصيح ، والفصيح جده لأمه .

---

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) (أ) ، (خ) : « وأصبح تحت » .

* الدرر : ١/٢٢٤ .

(٣) زاد في (أ) : « بن خلف بن عبد الحق » .

(٤) أي في « إبراهيم » .

** وفيات ابن رافع : ١/٣٢٣ ، والدرر : ١/٢٠٤ ، وذيل العبر : ٢٩٩ ، والنجوم : ١٠/٢٩٧ ، والجواهر المضية : ١/٧٩ ، وغاية النهاية : ١/٨٤ ، والذيل التام : ١٤٠ ، والدارس : ١/٤٠٣ ، والمنهل الصافي : ١/٣٩٣ .

(٥) (خ) : « الهمذاني » ، تصحيف .

نظم (الفرائض السراجية)[١] و (كنز الدقائق)[٢] و (المنار في أصول الفقـه)[٣] و (نظم شاطبيةً)[٤] أظهر رموزها وجاءت أصغر من الشاطبية .

وسمع على الصغاني وروى عنه .

وكان له في البلاد العراقية ذكر وسمعة ، وهناك له ضوء ونور يتوقد في شَمْعَه .

حضر إلى دمشق في[٥] أيام الأمير علاء الدين الطُّنبغا نـائب الشـام ، وحصل لـه منه إقبال تام ، وكان مدرّسَ المدرسـة التي بـالقصّـاعين يُظهر فيهـا فوائـده ، وينظم في أجياد الدروس فرائده ، وعاد بالريحـانيـة[٦] إلى أن مـات بهـا ، وعَمَّر بـالإفـادة زوايـا جوانبها .

وكان مشكورَ الوداد ، حَسَنَ الاعتقاد ، أكبَّ على الاشتغال ليلاً ونهـاراً[٧] ، لا يردّ طالباً ، ولا يَصُدّ مغالباً ، إلى أن خرس ابن الفصيح وتَبَوَّأ بطن الضريح .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحـد سـادس عشري شعبـان سنـة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمانين وست مئة . أنشدني من لفظه الإمام شمس الدين محمـد بن سنـد اللخميّ[٨] قال : أنشدني : الشيخ فخر الدين لنفسه :

(١) هي فرائض السجاوندي ، محمد بن محمود ، وذكر صاحب الكشف : ١٢٤٨/٢ ، نظمَ ابن الفصيح لها .

(٢) في فروع الحنفيـة للنسفي ، ت (٧١٠ هـ) ، وذكر صـاحب الكشف : ١٥١٦/٢ نظم ابن الفصيح لـه . والنظم مخطوط كما في الأعلام : ١٧٥/١ ، باسم « مستحسن الطرائق في نظم كنز الدقائق » .

(٣) اسمه : « منار الأنوار » للنسفي ، الكشف : ١٨٢٣/١ .

(٤) اسمها كما في غاية النهاية : « حلّ الرموز » .

(٥) ليست في (أ) و (خ) .

(٦) غرب المدرسة النورية ، أنشأها الطواشي خادم نور الدين الشهيد سنة (٥٦٥ هـ) ، الدارس : ٤٠١/١ .

(٧) زاد في (أ) و (خ) : « وسراً وجهاراً » .

(٨) أشار إليه ابن كثير في أحداث سنة (٧٦٦ هـ) (٣١٠/١٤) .

لا تجـزعَنَّ فليسَ ذاك بنـافـعٍ وَقَعَ الـذي قـد كنتَ منـه تحـذرُ
فتلقَّـهُ بـالصبر أو متصبّراً والصبرُ بـالنفسِ الكريمـةِ أجْـدَرُ

١٤٩ ـ أحمد بن علي بن عُبَادة*

القاضي الرئيس شهابُ الدين الأَنْصَاري الحلبيّ .

نشأ بالدّيار المصرية ، وكتب واشتغل ، ووَلي شهادة الخِزانة[١] ، واتصل بخدمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وحظي عنده ، وأوْرَى السعدُ زَنْدَهُ ، واشتهر في مصر بالوجاهة ، وعامَلَهُ مخدومه بالدعابة والفكاهة ، وكان معه في وقعة التتار سنة تسع وتسعين وست مئة[٢] ، وتأخر بَعْدَهُ بدمشق ، وولي أمر التربة المنصورية[٣] بالقاهرة ، والأوقاف والأملاكَ السلطانية ، ولازمه ، واتحد به ، وشدَّ للموت حيازمه . وتوجه معه إلى الكرك وأقام بالقدس شهوراً ، وجانب جَدّاً كان في ذلك الوقت عثوراً ، ولمّا عاد السلطان إلى مصر عاد معه إليها ، وقدم بالسعد والإقبال عليها .

وعرض عليه الوزارة فما وافق ، والظاهر أنه خادع في ذلك ونافق ، وأطلق له في حلب ضَيْعَة ، وجعل مَغَلَها له ورَيْعَة ، وضَيْعَةً أخرى بالسواد من دمشق .

وكان جيّد الطباع سهل الانقياد إلى الانتفاع ، تعرَّف به أقوام فأفلحوا ، وعاملوه بالوفاء فربحوا . ولما كان في خدمة السلطان لم يكن ذكرٌ لغيره ، ولا لأحد قدرة على سَيْره .

ولم يزل على حاله إلى أن فقدته أوطانه ، ولم ينفعه فيما نزل به سلطانه .

توفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة في سادس عشر جمادى الأولى .

* الوافي : ٢٤٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٣ ، والدرر : ٢١٠/١ .
(١) هي ضبط الأموال الديوانية وكتابة الحسابات .
(٢) انظر البداية والنهاية : ٦/١٤ .
(٣) بناها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٤ هـ) .

١٥٠ ـ أحمد بن علي بن وهب*

العدل المعمَّر تاجُ الدين أبو العباس بن محمد بن دقيق العيد ، أخو الشيخ[١] الآتي ذكره في المحمّدين إن شاء الله تعالى ، القشيري[٢] ، المنفلوطي .

سمع (الثقفيّات العشرة)[٣] وثاني (الْمَحَامِلِيّات)[٤] ، وثاني حديث سَعْدان[٥] ، و (أربعين) السلفي من ابن الجُميّزي ، وسمع (جزء) الصولي[٦] من ابن رواج ، وسمع من الزكي المنذري وغير واحد ، وحدّث قديماً .

سمع منه البرزالي ، وقطب الدين عبد الكريم[٧] وجماعة .

واشتغل بمذهبي الشافعي ومالك على أبيه ، ودرّس بالنجيبية[٨] بقُوص مكان والده ، وكان يُلقي الدروس في المذهبين ، وتولى الحكم بغرب قمولا[٩] وبقوص عن قاضي القضاة الحنفي ، ولكنه اختلط بآخرة ، وكان يتساهل في الشهادة وما يجري في ذلك

* الوافي : ٢٤٣/٧ ، والدرر : ٢٢٢/١ ، والطالع السعيد : ٥٠ ، والمنهل الصافي ٣٩٨/١ ، ووقع في الأصل : « ذهب » ، وهو تصحيف .

(١) (أ) : « الشيخ تقي الدين » .

(٢) (أ) : « اليشكري » ، سهو .

(٣) هي طائفة من أجزاء الحديث للقاسم بن الفضل الثقفي الأصفهاني ، ت (٤٨٩ هـ) . الكشف : ٥٢٢/١ .

(٤) هي الأجزاء المحامليات في الحديث ، وهي ستة عشر جزءاً ، ويقال لها أمالي المحاملي ، والمحاملي هو الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي الضبي ، ت (٣٣٠ هـ) ، الأعلام : ٢٣٤ .

(٥) هو سعدان بن يحيى بن صالح اللخمي ، روى له البخاري والنسائي وابن ماجة ، ت (١٩٠ هـ) ، الوافي : ١٩٠/١٥ .

(٦) أشار إليه صاحب الكشف : ٥٢٢/١ .

(٧) ابن عبد النور الحلبي ، ت (٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٨) المدرسة النجيبية بقوص بناها النجيب بن هبة الله الثعلبي رئيس قوص المتوفى (٦٢٢ هـ) .

(٩) غرب قمولا : بلدة في الجانب الغربي للنيل بقنا ، ثم أصبح جزء منها تابعاً لمركز قوص والآخر لمركز الأقصر . (الطالع السعيد : ١٢٧) .

على العـادة ، إلا أنـه كان كثير العبـادة ، يسرد الصـوم إرادَهْ ، مـع أَوْرَادِه الـوَرّادَهْ ، ويكفل الأيتام ويزين خنصر البر بخَيْتَام ، وطـال عمره ، وتفرد بروايـة أشيـا ، وألحق بالأموات الأحْيَا .

ولم يزل على حاله إلى أن « أخنى عليه الذي أخنى على لُبَد »[1] وعَدم الرواة عنـده من الزّبَد .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في أحد الربيعين ست وثلاثين وست مئة .

١٥١ ـ أحمد بن علي بن الزبير*

ابن سليمان بن مظفر : القاضي الفقيه شمس الدين أبو العباس الجيلي أَبُوه ، الدمشقي الشافعي الشاهد من صوفة الطواويس[2] .

سمع مجلدين من (سنن البيهقي) من ابن الصلاح .

وروى عنه سائر من طلب ورحل الناس إليه حتى من حلب .

وكان ديّناً منطبعاً ، نـازلاً بـأكنـاف التلاوة متربعـاً ، حسن المنـادمـة حتى حص الإقلال[3] خوافيه وقوادمه ، ولم يزل على ذلك إلى أن غُصّ بالحِمَـام ومـا وفى لـه الأمل بالذمام .

---

(١) عجز بيت للنابغة ، وصدره : « أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا .. » .

* الدرر : ٢٠٩/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والوافي : ٢٤٥/٧ .

(٢) ولهم خانقاه الطواويس بدمشق ، تنسب إلى شمس الملوك دقـاق السلجوقي ت (٤٩٧ هـ) ، الدارس : ١٢٩/٢ .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) الإفلاك ، يقال : فلّك الرجل إذا لجّ في الأمر . والحص : إذهاب الشعر عن الرأس بحلق أو مرض .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

١٥٢ ـ أحمد بن علي بن نصر بن عمر*

فخر الدين السوسي المصري الشافعي ، نزيل القاهرة .

كان فقيهاً بارعاً في الأدب ، حَسَن الخلق ، مليح المحاضرة ، محبوباً إلى الناس ، له النظم والنثر .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ودفن بالقاهرة وله ثلاثون سنة .

ومن شعره :

شكت دارها فعل الهوى بقطينها ... وما استبدلته العَيْنُ من بعد عيْنِها [1]

وكثرة أنصار النوى وانفرادها ... فأنجدتُها منْ عَبْرتي بكمينها

وما ادّخرت عيني مياهَ شؤونها ... لشيء سوى إنفاقه في شؤونها

جزاءً وفاقاً لو قنعت بنظرةٍ ... من الشمس لم يُرْمِدْكَ ضَوْءُ جبينها

أعد نظراً فالحسن في الكون كله ... مُعَارٌ له من كاف ليلى ونونها

يعانِقُك الغصن الرطيب بقدّها ... وتَشْبيك غزلان النقا بعيونها

وقد حاق فيك السحر من ظَبَياتها ... وقد مِلْتَ سكراً عند مَيْل غصونها[2]

فهَلْ غيرُ ليلى فاعلٌ فيك فعْلَها ... إذن لست في دعوى الهوى بأمينها

وما شهد العشاق غَيْرَ جمالها ... ولا دانَ من دين الهوى غير دينها[3]

* الدرر : ١/٢٢١ .

(١) في (أ) : « شكت دارها ليلى وما فعل الهوى » .

(٢) في الأصل « مثل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٣) (أ) : « وهل شهد .. من دان .. » .

ولا خَرِسُوا إلاّ لهيبة حسنها ... ولا نطقوا إلا بفضل فنونها
ولا دارَ في أفهامهم وعقولهم ... من السحر شيء غير سحر جفونها
ومن شرطها أن لا ينال محبُّها ... مُنى وصلها ما عاف طعم منُونها[١]
ولا تكتفي من مُدَّعٍ فرط حُبِّها ... بدعوى ولا أن أُكِّدت بيمينها[٢]
لها شاهد منها تميَّزَ عندها ... صدوقَ الدعاوى في الهوى من ظَنينُها[٣]
فقم صادقاً أو نم فللحب أهله ... وبع زلفاً بِيْضَ الليالي بجونها
وها كلمات في النصيحة مِنْ فتىً ... فصيح بألفاظ العِظات مُبينها[٤]
خذ العفو ممن تصطفيه ولا تسل ... عن الغيب واعرف خلة بقرينها
وأخرى أضاء الحق في جنباتها ... وخرَّقَ ليلَ الشك صبحُ جبينها[٥]
إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن ... على حالة إلا رضيت بدونها

١٥٣ ـ أحمد بن علي بن مُحَمّد بن سلمان بن حمائل*

القاضي الفاضل الكاتب البليغ[٦] الناظم الناثر، نجم الدين أبو العباس ابن الشيخ علاء الدين بن غانم.

أحد[٧] كتاب الإنشاء بدمشق، وسيأتي ذكر جماعة من أهل بيته كل منهم في مكانه.

(١) هذا البيت ساقط من (أ).
(٢) (أ) : « كذّيت ».
(٣) في (أ) : « ظنونها ». وفي رسالة عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري مشيراً إلى من تقبل شهادته. « .. إلا مجلوداً في حد ... أو ظنيناً في ولاء أو نسب ».
(٤) في الأصل : « العطاف »، وأثبتنا ما في (أ)، وهي أشبه.
(٥) في (أ) : « يقينها ».
* الدرر: ٢١٩/١.
(٦) ليست في (أ).
(٧) في الأصل : (أخذ)، تصحيف.

كان القاضي نجم الدين هذا أكبر من أخيه القاضي جمال الدين عبد الله الآتي ذكره في حرف العين إن شاء الله تعالى ، ولكنه لم يتفق له الدخول إلى ديوان الإنشاء إلا بعد أخيه جمال الدين عبد الله بمدة ، وكان نجم الدين ينظم القريض فيَدَّعِي سامِعُهُ أنه آنقُ من الروض الأريض ، وأنّه للطافته يأسو به القلب المريض ، وتنظر[١] الزهر الثواقب إلى زهره الغض بطرفٍ غضيض ، ويكتب فيوشّي برود المهارق بقلمه ويرصع تيجان الطروس بجواهر كلمه ، كأنما طروسُه وَجَنَات طرّز وردها آسُ العذار أو قِطَعٌ مِنْ الليل الداجي جرت فيها أنهارٌ من النهار :

زهراء أحلى في النفـــوس من المنى وألـذّ من ريـق الأحبّـة في الفَمِ[٢]

وكان دخوله في الديوان بعد موت والده رحمها الله تعالى في سنة ثمانٍ وثلاثين[٣] وسبع مئة .

جاء إلى مصر وتوصّل بالأمير بدر الدين بن الخطير[٤] وتنجّز له توقيعاً من السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأقام إلى أن حضر القاضي شهاب الدين أحمد[٥] بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء بدمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فجرت له معه كائنة خرج بسببها من الديوان ، ثم إنه توجه إلى مصر وعاد بتوقيع ثان في زمن الملك الصالح إسماعيل .

وقد خرج القاضي شهاب الدين بن فضل الله وعزل ، ولم يزل نجم الدين المذكور يكتب في ديوان الإنشاء إلى أن توجه في شهر رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة إلى

(١) في الأصل : (وتنظم) ، تحريف .
(٢) (أ) : « في الفؤاد ... بالفم » .
(٣) في الأصل : ثمانين وسبع مئة ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) مسعود بن أوحد . ستأتي ترجمته .
(٥) ليست في (أ) .

ثغر بيروت لضبط[١] متحصل الموقّعين من الميناء ، فأقام بها تارة يمرض إلى أن مات بعِلَّة الذَّرَب[٢] في أوائل ذي الحجة سنة ثمانٍ وخمسين وسبع مئة ، ولم يخلف ابناً[٣] غير ابنةٍ صغيرة عمرها تقدير[٤] سبعة أشهر .

وكنت قد كتبتُ إليه وأنا بمرج الغَسُّولَة :

مولاي نجم الدين يا من فضله قد عمَّني بخصائص الإحسَانِ
أوحشتني في سَفرة قَضَّيتُها بالمرجِ منفرداً عن الخلانِ
فبكيتُ لما أنْ ذكرتك بالدِّمَا حتى مَلأْتُ الْمَرجَ بالمرجانِ

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك :

شَوْقي صلاحَ الدين نحوك لم يزلْ مع فرط وجْدي آخذاً بعناني
أوحشت عينيَ منذ سِرْت ولم تزل والله يا مولاي نصب عياني[٥]
راسلتني بلطائف يا حُسْنها هي في الضمير رسائلُ الإخوانِ
لا كان هذا المرجُ أجرى عَبْرتي في الخد كالبحرين يلتقيانِ
لما بكيتُ الخلّ صار الدمع في عنق المحب «قلائد العقيان»[٦]

وكتبتُ أنا إليه وقد انقطع من الديوان :

أمولاي نجم الدين أوحشت خاطراً لبعدك بعد القُرْب والأنسُ دائبُ[٧]
فنار الجوى لم يطفِها مِن مَدامعي لفقدك لما غبتَ عني السحائبُ

(١) (أ) : « يضبط » .
(٢) هو داء يكون في الكبد .
(٣) (أ) : « ولدا » .
(٤) (أ) : « تقدير عمرها » .
(٥) في (أ) : « سريت » .
(٦) (أ) : « لمّا بليت الحبل » .
(٧) في الأصل : « لبعدك بعد الأنس والقرب رائب » ، وهي قلقة .

وقد أظلم الديوان بعدك وحشةً ... وما حال أفقٍ نَجْمُه عَنْه غائبُ

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك :

أيا مالكاً لي من علاه رغائب ... وفي كل وقت من نداه غرائبُ [(١)]
أتتنيَ أبياتٌ حسانٌ لطائفٌ ... فقلبيْ عليها دائمُ الوجد ذائبُ
وأنت الذي ما زلت كالبحر للورى ... لنا من أياديكِ الكرامِ عجائبُ[(٢)]

وكتبت أنا إليه وقد وعدني أن يربط لي بغلة على حشيشٍ عنده :

بغلتي هذه تريد حشيشاً ... ما أنا وزنه بعقلي المعيشي
فاصطنعني فإن كل مليكٍ ... ووزيرٍ في حمل هم الحشيشي

فكتب هو الجواب عن ذلك :

يا إماماً قد حاز كل المعاني ... طول دهري إليه كُلّ هشيشي [(٣)]
إنّ ذاك الحشيش صار يبيساً ... فرعَاه يا مَالكي إكديشي

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « تميم » :

مولاي نجم الدين يا من له ... خليلُ ودٍّ وهو أزكى حميْمٍ
ما اسمٌ رباعيٌّ له أوّلٌ ... إن زال عنه لم نجد غير ميم

فكتب هو الجواب عن ذلك :

مولاي قد قلدت جيدي حُلَىً ... من جوهر اللفظ بعقد نظيْمٍ [(٤)]

---

(١) في الأصل : « عن علاه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الأصل ، « في البحر كالوري » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل « هيش » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في الدرر : « قد قلّدتني حلية » .

أهــــدَيتـــــه من بحر علم لـــــه ... ذخـــــائر والقلب منهــــا يهيم[١]
مَــوَّهتَ معنــــــاه فتم العنـــــا ... والبـــــدر يسبي منـــه تـــاء وميم

وكتب إليَّ وقد انقطعتُ عن الديوان ، وهو ضعيفٌ :

أصبحتُ في الديوان وحدي في عنا ... وأذى أراه بخــــــــاطري وبعيني
كُنَّـــا بـــه مستــــأمنين ولفظنـــــا ... من لطفـه يـدعى بـذي السجعين
وبــه صــلاح لم يـزل مـع علمـه ... تروى معــــاليـــــه على السمعين
فنـأى فصرتُ على البلى مستـوقفـاً ... أبكي على مــا فــات بــالــدمعين
وبلـوت أقـوامـاً لبستُ لأجـل مـا ... أخشــــاه من تنكيـــــدهم درعين

فكتبتُ أنا الجواب إليه :

حاشاك تصبح في عنىً أو [في] ضنىً ... نفسي فـــداؤك في الردى من ذين[٢]
والقصــد أن تمسي وتصبـح دائمـــاً ... في صحـــــــةٍ ثبتت قرير العين[٣]
فـــإذا سلمت ودُمْت لي مـــا ضرني ... من رحت أفقــــــدُه من الحيين
أدري محبتـــك التي صحت ومـــا ... رُميتُ بشيء في الــوفــــا من شين
من صــدق وُدِّك تشتهي وتــودُّ لــو ... أصلحتَ مـــا بين الــزمـــان وبيني
مــا هـــذه الفتن التي إن أُخْمِــدَتْ ... نــار أجــدَّت بعـدهـا نــارين[٤]
فكأنهــــا الفِتنُ التي يُحكى لنـــــا ... فيما مضى من فتنــــــة الحكمين[٥]
ألقى العدَى وحدي وما درعي سوى ... صبرٍ تَنَــــاهَبَــــــه ظُبى الجمعين
يــا دَهْر كفـّ فقــد كفيتُ فمـا أنـا ... كابن الـــــزبير ولا أبي السبطين

(١) (أ) : « منه يهيم » .
(٢) زيادة يقتضيها السياق ويستقيم بها الوزن .
(٣) (أ) : « سالماً في » .
(٤) (أ) : « ماأخمدت » .
(٥) في البيت إشارة إلى قصة التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان .

ومن الـــذي لم يهتضمــه زمــانــه أو مـــا رمـــاه عـــدوه بــــالمين
دع ذا فــإقبــالي على شــأني غـــدا أولى لِتَبْرأَ ســــــــاحتي من دَيْني
مـا بعـد هـذا الشيب والسنّ الـذي أربت على الستين غير الحَيْن
واللهُ أعـــدل حــــاكمٍ بين الــورى وقضــــاؤه فَصْــلٌ على الخَصْمَيْن[1]

١٥٤ ـ أحمد بن عمر بن زهير*

ابن عمر بن زهير بن حسين بن زهير بن عقبة الزرعي ، الشيخ الأصيل الفاضل شهاب الدين أبو العباس الزُّرْعي الحنبلي .

كان جَيّداً في قومه ، معروفاً بالعدالة والأمانة ، وله معرفة بالقسمة والمساحة ، وفيه تودُّدٌ وكرم .

سمع من جده .

وروى عنه بدمشق وَزُرّع[2] وبصرَى . وكتب عنه شيخنا البرزالي من نظمه ، كان بينهما مودَّة قديمة ، وكان التتار قد أسَرُوا له ولداً نوبة « غازان » ، فتوجه إليهم في طلبه ، وله قصائدُ في التشوق إلى زُرَع ، وله مراثٍ في ولده عمر ، كان كثير التلاوة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٥٥ ـ أحمد بن عمر بن عبد الله**

ابن عمر بن يوسف بن يحي بن عامر بن كامل بن يوسف بن يحي بن قابس ، الشيخ الصالح أبو العباس بن الخطيب نجيب الدين ابن خطيب بيت الآبار .

---

(١) في الأصل : « الحكمين » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الدرر : ٢٢٥/١ .

(٢) زُرع : إحدى قرى مدينة درعا اليوم ، وكانت تعرف بزُرًا قبل القرن السابع . (وانظر معجم البلدان : زرًا) .

** الدرر : ٢٢٦/١ .

كان رجلاً جيداً فقيراً مقيماً بالجامع ينوب عن أخيه في الأذان ، ويذكّر يوم الجمعة .

سمع من جده لأمه الخطيب عماد الدين داود بن عمر[١] ، وهو عم والده ، ومن إخوته الضياء يوسف[٢] ، والموفق محمد[٣] ، وغيرهم .

كان صائماً يوم الاثنين ، وصلى المغرب في الجماعة وصعد إلى سطح الجامع بالقرية فزلت[٤] رجله ، فوقع فمات في رابع عشري ربيع الآخر سنة أربع وعشرين[٥] وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٥٦ ـ أحمد بن عُمَر بن داود الصفدي

شهاب الدين كاتب الإنشاء بالديار المصرية .

توجّه مع والده زين الدين إلى القاهرة في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولما توفي والده رحمه الله تعالى أقام هناك فقرَّبه القاضي علاء الدين كاتب السر للعقل الذي كان[٦] رآه منه والسكون الذي كان فيه ، وكان[٧] قد حفظ (التسهيل) لابن مالك وكتب المنسوب ، ومرض مدة طويلة .

وتوفي رحمه الله في أواخر سنة إحدى وستين وسبع مئة .

(١) ابن يوسف الزبيدي المقدسي ، خطيب بيت الآبار ، ت (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٧٥/٥ .
(٢) الشذرات : ٣٢١/٥ .
(٣) ستأتي ترجمته .
(٤) (أ) : « فزلقت » .
(٥) في (أ) والدرر : « خمس وعشرين » .
(٦) ليست في (أ) و (خ) .
(٧) ليست في (أ) .

وكان مولده بدمشق في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكنت أنا إذ ذاك بالرحبَة ، فكتبت إلى والده أهنيه بذلك ، وأجابني والده عن ذلك ، والابتداءُ والجوابُ سقتهما في كتابي (ألحان السواجع) وسيأتيان في ترجمة والده إن شاء الله تعالى ، وبلغني أنه تَرَكَ موجوداً مبلغه مئة ألف درهم وأزْيَد .

١٥٧ ـ أحمد بن عمر بن عبد الله*

قاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة عز الدين ، أبو العباس المقدسي الحنبلي .

تولى هو وأبوه قضاء[١] القضاة بالديار المصرية ، وكان وجهه جميلاً ومجده أثيلاً ، بياض شيبه على خدّه كأنه الياسمينُ على ورده ، له مُرَوَّةٌ زائدة ، وكفٌّ بالنوال جائدة ، وكان معه أيضاً نظر الخزانة الكبرى ، وهو بالطلوع إلى القلعة مُغْرَى .

وما زال قاضياً إلى أن عَزَلَ السلطان محمد بن قلاوون القضاة الثلاثة دون المالكي[٢] . فلزم بيته إلى أن تعذَّرت وقاية التقي من الممات ودخل في باب مَضَى وقَضَى وفَاتْ ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة[٣] ....

وأجاز لي بخطه سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بمصر .

١٥٨ ـ أحمد بن عيسى**

صدر الدين بن الشيخ مجد الدين بن الخشّاب ، وكيل بيت المال بالديار المصرية ، وسيأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في مكانه .

* الوافي : ٢٦٦/٧ ، والدرر : ٢٢٥/١ .

(١) (أ) : « تولى قضاء » .

(٢) انظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ ، أحداث سنة (٧٣٨ هـ) .

(٣) كذا وقع في الأصول ، ولم يذكر الصفدي في الوافي سنة وفاته ، وظاهر ما في الدرر أن وفاته بعيد سنة ٧٣٨ بيسير .

** الوافي : ٢٧٥/٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٩ ، والدرر : ٢٣٣/١ .

نال الوجاهة والصدارة وأصبح والأناملُ تُومي إليه بالإشارة .

لم يزل على حاله إلى أن[1] نزلت به الداهية الصمّا وأنزلته من عزته الشمّا ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وتسعين وتسع مئة .

١٥٩ ـ أحمد بن فَرْح*

بالحاء المهملة ، ابن أحمد بن محمد :[2] الإمام الحافظ الزاهد ، بقية السلف ، شهاب الدين أبو العباس[2] اللخمي الإشبيلي الشافعي .

أسره الفرنج سنة ست وأربعين وست مئة ، وخُلّص وقَدِمَ مصر سنة بضع وخمسين .

وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام[3] . وسمع من شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري الحموي[4] ، والمعين أحمد بن زين الدين ، وإسماعيل بن عزون[5] والنجيب بن الصيقل ، وابن عِلّان[6] ، وبدمشق عن ابن عبد الدائم وخَلْق .

وعُني بالحديث وأتقن ألفاظه وعرف رواته وحفاظه ، وفهم معانيه ، وانتقد لآليه ، وكان من كبار أئمة هذا الشان وممن يجري فيه وهو طلق اللسان[7] ، هذا إلى

(١) (أ) : « حتى » .

* الوافي : ٢٨٦/٧ ، والعبر : ٣٩٣/٥ ، وطبقات السبكي ٢٦/٨ ، وتذكرة الحفاظ : ١٤٨٦ ، وشذرات الذهب : ٤٤٣/٥ ، والمنهل الصافي : ٥٩/٢ ، وعقد الجمان : ٩٨/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(٢) قوله « الإمام » حتى ههنا ، ليس في (أ) .

(٣) عبد العزيز بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ) .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن ت (٦٦٢ هـ) .

(٥) (أ) ، والوافي : « ابن عزوز » .

(٦) في الوافي والمنهل : ابن علاّق ، وهو عبد الله بن عبد الواحد (ت ٦٧٢ هـ) ، الشذرات : ٣٣٨/٥ .

(٧) (أ) : « العنان » .

مافيه من ديانة ، وورع وصيانة ، وكانت له حلقة أشغال[١] بُكرةً بالجامع الأموي يلازمها ويحوم عليه من الطلبة[٢] حوائمها .

سمع عليه الشيخ شمس الدين الذهبي واستفاد منه ، وروى منه في تصانيفه عنه ، وعُرِضت عليه مشيخة دار الحديث النورية[٣] فأباها ولم يقبل حباها ، وكان بزيّ[٤] الصّوفيّة ، ومعه فقاهة بالشاميّة .

ولم يزل على حاله حتى أحزن الناسَ ابنُ فرح ، وتقدم إلى الله وسَرَح ، وشيّع الخلق جنازته ، وتولّوا وضْعَه في القبر وحيازته .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وله قصيدة غزلية في صفات الحديث ، سمعها منه الدمياطي واليونيني ، وسمع منه البرزالي والمقاتلي والنابلسي وأبو محمد بن الوليد . ومات بتربة أم الصالح بالإسهال . والقصيدة المذكورة :

غرامي (صَحيحٌ) والرَّجا فيك (مُعْضَلُ) ... وحُزْني ودَمْعِي (مُطْلَق ومُسَلْسَلُ) [٥]

وصَبْريَ عنكم يَشْهَدُ العقلُ أنه ... (ضَعيفٌ) و(مَتْروك) وذُلّي أُجْمَلُ

ولا (حسَنٌ) إلاّ سَمَاعُ حديثكم ... مُشَافهةً تُمْلَى عَلَيَّ فأنقُلُ

وأمْرِيَ (مَوْقوف) عليك وليس لي ... على أحدٍ إلاّ عليك الْمُعَوَّلُ

ولو كان (مرفوعاً) إليك لكنت لي ... على رغم عُذَّالي ترق وتُعْذَلُ

(١) (أ) : « اشتغال » ، وكذا في المنهل الصافي . وفي طبقات السبكي : « إقراء » .

(٢) في الأصل : « الطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) أنشأها بدمشق نور الدين محمود زنكي المتوفى (٥٦٩ هـ) .

(٤) في الأصل : « يربي » ، تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٥) في عقد الجمان ، والمنهل ، وطبقات السبكي : « مرسل ومسلسل » .

وعَـذْلُ عَـذُولي (منكرٌ) لا أسيغُـه ... و(زُوْرٌ وتـدليسٌ) يُرَدُّ ويُهمَـلُ
أُقضّي زَمَاني فيـك (متَّصـلَ) الأسى ... و(منقطعـاً) عمّـا بـه أتـوصَّـلُ [١]
وها أنـا في أكفـان هَجْرك (مُـدْرَج) ... تكلّفني مَـا لاَ أطيـق فـأحمـلُ
وأجريتَ دمعي بالدمـاء (مُـدَبَّجـاً) ... ومـا هـو إلا مُهْجَتي تَتَحلَّـلُ [٢]
(فمتّفـقٌ) جفني وسهـدي وعبرتي ... و(مفْتَرقٌ) صَبْري وقلبي المبلبـلُ
و(مؤتلفٌ) شجوي ووجدي ولوعتي ... و(مختلِفٌ) حظي ومـا منـك آمَلُ
خذ الوجد عني (مسنداً) و(مُعَنْعَنـا) ... فغيري (موضوعُ) الهوى يتحيّـلُ [٣]
وذي نبـذٌ من (مبهم) الحب فـاعتبر ... وغـامضـه إن رمت شرحـاً أحـوّل
عـزيـزٌ بكم صبٌ ذليـلٌ لغيركم ... و(مشهور) أوصاف المحب التذلّلُ
(غَريبٌ) يُقَاسي البُعْدَ عنكِ ومالَـهُ ... وحَـقٌّ الهـوى عن داره متحـوّلُ [٤]
فرفقاً (بمقطوع) الـوسائـل مالـه ... إليـك سبيـلٌ لا ولا عنـك نَعـدِلُ
فـلا زلت في عـز منيـع ورفعـةٍ ... ومـا زلت تعلـو بـالتجني فـأنـزلُ
أُوَرّي بسُعـدى والربـاب وزينب ... وأنت الـذي تُعنى وأنت المـؤمَّـلُ
فخـذ أوّلاً من آخرٍ ثم أولاً ... من النصف منـه فهـو فيـه مكمّـلُ
أبرّ إذا أقسمت أني بحبّـهِ ... أهيم وقلبي بـالصبـابـة يُشْغَـلُ [٥]

وقد ذكرت شرحها في الجزء الثلاثين من تذكرتي .

---

(١) (أ) : « أتوسّل » .
(٢) في طبقات السبكي ، والمنهل : « وما هي إلا » .
(٣) في عقد الجمان :« لموضوع .. يتخيّل » ، وفي المنهل : « بموضوع .. يتجمل » .
(٤) في عقد الجمان : « وحقّك من دار الغنى » ، وفي المنهل : « وحقك عن دار القلى » .
(٥) في عقد الجمان : « يشعل » ، وفي طبقات السبكي : « مشعل » .

١٦٠ ـ أحمد بن مُحَسِّن*

بتشديد السين ، ابن مَلِيّ بن حسن[(١)] بن عتق أو عتيق بن مليّ : العالم[(٢)] الفاضل نجم الدين المعروف بابن ملّي الأنصاري البعلبكي الشافعي المتكلّم .

سمع من البهاء عبد الرحمن[(٣)] ، وأبي المجد ابن القزويني ، وابن الزّبيدي ، وابن رواحة ، واشتغل بدمشق ، وأخذ عن ابن الحاجب العربية ، وعن ابن عبد السلام الفقه ، وعن الزكي المنذري الحديث ، والأصول عن جماعة ، والفلسفة والرفض عن جماعة .

ودرّسَ وأفتى زماناً وناظَرَ وأورد بياناً . وكان متبحّراً في العلوم لا يعبأ بمن يشكر أو يلوم ، كثير الفضائل قادراً على أجوبة المسائل ، أَسَداً إذا ناظر ، بحراً إذا حاضر ، حاضِرَ الحجَّة ، خائض اللُّجّة ، حادّ القريحة ، رادَّ السهام التي تصيب مقاتَلَهُ[(٤)] وهي غير صحيحة .

دخل إلى مصر غَيْرَ مرَّة ، وتوجه إلى قوص وأسوان ، وامتزج فيهما بالأحباب والإخوان ، وولي بأسوان تدريس مدرستها مدّة ، وكابد من الرَّمْضَاء والحر شدّة ، وكان من تمكنه في العلوم يقول عند الدروس : عيّنوا آية حتى نتكلم[(٥)] عليها ، فإذا عينوا ما أرادوا تكلم حتى يذعنوا لما يقوله وينقادوا[(٦)] كأنما يقرأ من كتاب أو يستقي من بحر زاخر العباب .

---

* الوافي : ٣٠٥/٧ ، وطبقات ابن السبكي ٣١/٨ ، والمنهل الصافي : ٦٥/٢ ، وعقد الجمان : ١٠٨/٤ ، والشذرات : ٤٤٤/٥ ، ووقع في الأصل « مكّي » ، وهو تحريف .

(١) في المنهل : « بن علي بن حسن » .

(٢) (أ) : « العالم البارع » .

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢٢ .

(٤) (أ) : مقتله .

(٥) في الأصل : « حتّى لا نتكلم » ، وأثبتنا ما في « أ » والوافي .

(٦) في الأصل : « ويتفادوا » تصحيف ، وأثبتنا ما في « أ » .

وسمع منه الطلبة ، وقرأ عليه البرزالي موطأ القعنبي [(١)] ، وكان عديم المبالاة بالناس ، يَشْتَلِقُ [(٢)] على الأنواع والأجناس ، مستهتراً بمن يراه ، مشتهراً بترك أدب الكبار والسّراة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مَلِيّ بالعجز ملياً ، وأمسى وعذره عن الكلام جليّاً . وتوفي رحمه الله تعالى بقرية بَخْعُون من جبل الظّنّيّة [(٣)] سنة تسع وتسعين وست مئة في جمادى الآخرة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة ببعلبك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه الموطأ رواية القعنبي ، وعدة أجزاء بسماعه من الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وجزء أبي الجهم [(٤)] بسماعه من ابن الزبيدي [(٥)] .

١٦١ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن عبد الواحد بن علي بن سرور : المسند عماد الدين أبو العباس بن قاضي القضاة شمس الدين ابن الشيخ القدوة عماد الدين المقدسي البغدادي ثم المصري الحنبلي .

---

(١) أي موطأ الإمام مالك برواية القعنبي ، عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، ت (٢٢١ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٠/٣ ، والسير : ٢٥٧/١٠ .

(٢) عبارة الوافي : « قال الشيخ شمس الدين : مشتلقاً يخلّ بالصلوات » وانظر التاج : « شلق » .

(٣) في الوافي : « الظنين » وكذا في الشذرات والمنهل ، وطبقات السبكي ، وعقد الجمان ، وهو جبلٌ بين طرابلس وبعلبك .

(٤) العلاء بن موسى بن عطية الباهلي (ت ٢٢٨ هـ) الكشف : ٥٨٤/١ .

(٥) (أ) : « من الرشيدي » .

* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٢ .

سمع سنة اثنتين وأربعين من الكاشغري[١] وابن الخازن ، وسمع[٢] بمصر من عبد الوهاب بن رواح[٣] ، وطائفة .

أخذ عنه الشيخ شمس الدين الذهبي ، وكان يؤم بمسجد[٤] وله مدارس ، ولديه في التفرد بالرواية مغارس ، وفاز بالعوالي وحاز من سندها اللآلي .

ولم يزل على حاله إلى أن مال عُمُدُهُ ، واتصل بغيره سنده . وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، كذا قاله شيخنا البرزالي ، وقال غيره : سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة .

١٦٢ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن محمد بن يوسف : الفقيه الأديب المحدّث أبو العباس المرادي القرطبي المعروف بالعَشّاب .

روى « مسلسل الراحمون » عن أبي محمد بن بُرْطُلَه[٥] ، وكان صاحباً للبَطْرَني[٦] ، يسمعان معاً ، وسمع (الموطأ) عن ابن هارون[٧] ، وروى عن أبي القاسم بن البراء التنوخي ، وأبي محمد بن السفر ، وسمع (الشّفا)[٨] من أبي إسحاق بن عياش التُجيبي

(١) إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ ، والعبر : ٢٢٢/٥ .
(٢) في الأصل « سمع » ، وابن الخازن هو محمد بن سعد بن الموفق (ت ٦٤٣ هـ) .
(٣) هو عبد الوهاب بن ظافر بن علي الإسكندري . (ت ٦٤٨ هـ) .
(٤) (أ) : « مسجداً » .
* الوافي : ٣١٩/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١١٢/٦ ، وغاية النهاية : ١٠٠/١ .
(٥) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبيد الله ، غاية النهاية : ٤٢٨/١ ، ولم يذكر سنة وفاته .
(٦) أحمد بن موسى بن عيسى شيخ تونس توفي قبل (٧٠٠ هـ) بتونس ، غاية النهاية : ١٤٢/١ .
(٧) عبد الله بن محمد بن هارون مسند تونس توفي (٧٠٢ هـ) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .
(٨) الشفا في تعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) .

بسماعه من السَّقوري [١] عن مؤلفه إجازة ، وسمع من عثمان بن سفيان التميمي سنة خمس وست [٢] وفيها مات .

ووَزَرَ للجَيّاني [٣] صاحب تونس ، وقرأ النحو .

وسمع منه يسير بن عزّام ، والشيخ حسن البغدادي بقراءته وتلاوته به على أبي محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الأعلى الشُّبارقي [٤] عن أبي جعفر الحصّار [٥] تلاوةً وسماعاً بسنده .

ولم يزل في شانه مشتغلاً بإخوانه وأخدانه إلى أن نزل تحت الثرى وأمّ ربَّه وترك الورى وَرَا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

١٦٣ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الفقيه المسند ، صفيّ الدين أبو العباس الطبري المكي ، أخو الشيخ زين الدين [٦] .

سمع (صحيح البخاري) من عبد الرحمن ابن أخي [٧] حَرَميّ العَطّار صاحب ابن عمار [٨] ، وسمع شعيباً الزعفراني ، وأبا الحسن بن الجُمَّيزي .

(١) علي بن أحمد بن علي الغافقي (ت ٦١٦ هـ) ، غاية النهاية : ٥٢١/١ .

(٢) وكذا في الوافي ، وفي (أ) خمس وستين .

(٣) في الوافي : « الحياني » .

(٤) ت بعد (٦٦٠ هـ) ، غاية النهاية : ٤٦٤/١ .

(٥) أحمد بن علي بن يحيى (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

* الوافي : ٣٢٠/٧ ، والدرر : ٢٤١/١ ، والشذرات : ١٨٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٩/٢ .

(٦) (أ) : « رضيّ » . وكذا في المنهل الصافي . وهو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الطبري (ت ٧٢٢ هـ) .

(٧) كذا في الأصل و (أ) والوافي ، والمنهل . وانظر السير : ٢٦٩/٢٣ .

(٨) علي بن عمار المقرئ ، أشار إليه صاحب السير : ٢٦٩/٢٣ .

كان ديِّناً خيِّراً ، وذا بصر بالصلاح لا يزال نيِّراً ، وحدَّث مدة ، وسمع منه عِدّه ، وأضرَّ دَهْراً ، وبقي إلى أن وقع من مكان جَهْراً ، فانقدحت بذلك عيناه وأبصر ، وغنم النظر من الحياة واستقْصَر .

ولم يزل إلى أن تكدّر لصفي الدين زمانه ، وأتاه من الموت حَدَثانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٦٤ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الفقيه المقرئ المراغي الرومي الحنفي ، إمام الحنفية بجامع دمشق ، ومدرس المدرسة العتيقة[١] ، وشيخ الخانقاه الخاتونية[٢] ظاهر دمشق وغير ذلك .

كان ذا نَغْمَةٍ يقف لها الطير ، ويتلبّث بها[٣] البرق المتسرع في السير ، من يسمعه لا يعود يُعَرِّجُ على نغمات العُود ، وَيظنّ أنه أوتي مزماراً من مزامير داود ، إذا أَمَّ في محرابٍ[٤] صلَّت وراءه سوابق الألحان وسلم إليه الفَضْلَ ابنُ سُرَيج وقال : ما أنا من خيل[٥] هذا الميدان . كان يَؤم بالأفرم ، فكان يدنيه ويقربه ويكرمه كأنه والده ، يرشّحه لكل خير ويدرّبه ، وكان قد عمَّر زاوية على الشرف الأعلى يأوي إليها الناس ويقضي المحتشمون فيها بعد صلاة الجمعة أوقات أنس وسماع ، لم يخلفها الزمان ، وكان ذا مروءة وحميّة وقيام مع الضعيف وعصبيّة ، ونفع أناساً كثيرين بجاهة عند الأفرم ، وقُرْبهِ منه الذي كان لأجله يُبجّل ويُكْرَم .

* البداية والنهاية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٢٤٢/١ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

(١) لم نقف عليها ، وفي البداية والنهاية والدارس أنه درّس بالمدرسة المعينية .

(٢) نسبة إلى خاتون زوجة نور الدين الشهيد ، الدارس : ١١٣/٢ .

(٣) (أ) : « لها » .

(٤) (أ) : « محرابه » .

(٥) (أ) : « فرسان » .

ولم يزل على حاله إلى أن بطلت ألحانُه وعطَل من الأنس[١] حانةُ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

وكان قد نزل عن وظائفه لولديه عماد الدين وشرف الدين إلاّ أنّ تلك السوق الأفرميّة ذهبت ، وأفلَتْ نجوم سعودها وغَربت ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

١٦٥ ـ أحمد بن محمّد بن أحمد*

الشَّيْخُ الإمام العالِم الرئيس كمال الدين أبو العباس البكري الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق ، وشيخ دار الحديث الأشرفية[٢] ، ومُدرّس الناصرية[٣] .

سمع (جزء ابن عرفة) على النجيب ، وحدَّث به مرّات ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طَبَرْزَد وغيرهم بالقاهرة والقدس ، وقرأ بنفسه الكتب الكبار ، وطلب مدة ، ورحل إلى الديار المصرية والإسكندرية ، وناب عن القاضي بدر الدين بن جماعة مدّة ، وترك النيابة ودرَّس بالشامية البَرَّانية والناصرية ، وولي وكالة بيت المال أكثر من اثنتي عشرة سنة ، وولي دار الحديث الأشرفية ومشيخةَ تربة أم الصالح ، وولي الرباط الناصريّ ، وحج سنة ثلاث وسبع مئة .

كان حَسَنَ الشكل مهيباً ، غزيرَ الفضل لا يرى له فيه[٤] ضريباً ، من بيت علمٍ

---

(١) (أ) : « الأمن » .

* الوافي : ٣٣٧/٧ ، وذيل العبر : ٩٩ ، والبداية والنهاية : ٩١/١٤ ، والدرر : ٢٤٦/١ ، والنجوم : ٢٤٣/٩ ، والشذرات : ٤٧/٦ ، والدارس ٢٥/١ ، والمنهل الصافي : ٧١/٢ ، ويعرف بابن الشريشي أيضاً .

(٢) في الأصل : « بالأشرفية » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل ، وهو منسوبة إلى الملك الأشرف موسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، المتوفى (٦٣٥ هـ) .

(٣) أنشأها السلطان الناصر صلاح الدين يوسف المتوفى (٦٥٩ هـ) .

(٤) ليست في (أ) .

وكرم وحلم ، لاقَ بقلب الأفرم ، وكان لا يرى أنه في مُدّة معرفته خَرَجَ ولا أخْرَم ، هذا مع تشدُّدٍ في دينه ومهابة كأنما استعارها من الليث في عرينه ، أشعريّ الاعتقاد ، جوهريّ الفَحْص عن أمور مُبَاشرته والانتقاد[١] ، وشعره عند الشّعرى ، صرَّ منه دُرّاً ، وغيره صرَّ بَعْرا[٢] .

لم يزل على حاله إلى أن نقص كاله ، وفارقه أهلُه وولده وماله ، وتوفي رحمه الله تعالى بالكرك ، وقيل : بمنزلة (الحسا) سنةَ ثماني عشرة وسبع مئة لأنه كان قد توجه إلى الحجاز .

ومولده بسنجار سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

ومن شعره ما اشتهر عنه أن كتب به إلى بدر الدين بن الدقَّاق[٣] ، وقال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : إنما هو بدر الدين بن العَطَّار :

مولاي بدر الدين صِلْ مُدنَفاً ... صيّره حُبُّك مثلَ الخِلال
لا تخشَ من عيب إذا زرته ... فما يُعاب البدرُ عند الكمال[٤]

فلما بلغ صدرَ الدين بن الوكيل ذلك قال :[٥]

يا بَدْرُ لا تسمع كلام الكمال ... فكلّ ما نمَّق زورٌ محالْ
فالنقص يَعْرُو البدرَ في تمّه ... وربما يُخْسَف عند الكمال

وكتب الشيخ كمال الدين إلى ابن الرقاقي[٦] ناظر النظار بدمشق يستعفيه من بيت المال وقد بلغه أنه سعى له فيها :

(١) في الأصل : الاعتقاد ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .
(٢) فيه تورية بلقب شاعر في العصر المملوكي .
(٣) محمد بن الدقاق ، صهر الشيخ صدر الدين ، وناظر أوقاف حلب ، (الوافي : ٣٣٧/٧) .
(٤) في الوافي : « عار » . وفي المنهل : « عار إذا زرتني » .
(٥) الشعر في المنهل : ٧٢/٢ .
(٦) أبو بكر بن عبد العظيم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

إلى بـابـك الميـمون وجهت آمـالي ... وفي فضلك المعهود قَصْدي وإقبالي
وأنت الذي في الشام مازال محسناً ... إليّ وفي مِصْرٍ على كل أحـوالي[1]
أتتني أيـادٍ منـك في طيّ بعضها ... تملّـك رقّ الحُرِّ بـالثمن الغـالي
وقمت بحـق الْمَكْرُمـات وإنمـا ... هـو الرزق لا يـأتي بحيلـة محتـال
عليَّ لكم أن أعْمُرَ العُمْرَ بـالثنـا ... وبالمدح مهما عشتُ من غير إخلالٍ[2]
وأُهدي إليكم ماجبيت مـدائحاً ... يغنّي بها الحادي ويصبو بها السـالي
وقـد بقيتْ لي بعـد ذلـك حـاجـةٌ ... لهـا أنت مسؤول فلا تلغِ تَسْـآلي
أَرِحْنِيَ من واو الـوكالـة عـاطفـاً ... عليَّ بـإحسـانٍ بـدأتَ وإفضـالي
وَصُنْ ماء وجهي عن مشاققة الورى ... فهـذا على أرض وهـذا على مـال
ولا تَتَـأَوَّلْ في سـؤاليَ تركهـا ... فـوالله مـالي نحـوهـا وَجْـهَ إقبـال
ورزقيَ يـأتيني وإني لقـانـعٌ ... لراحـة قلبي من زمـاني بـإقـلالي
وحـاليَ حـالٍ بـافتقـارٍ يصـونني ... ولبسي أسمالي مـع العـزّ أسمى لي
وتجبرُ وقتي كسرةُ الخبز وحـدهـا ... وأرضى ببالي الثوب مَعْ راحة البـالِ[3]
فهـذي إليكم قصّتي قـد رفعتُهـا ... لتغتنمـوا أجري ورأيكم العـالي

فقطَّع الأبيات كلها من الورقة وأبقى البيت الأخير وكتب تحته : رَأْيُنا العـالي أن تعود إلى شغلك وعملك .

وقال في القاضي حسام الدين لما عزل :

يـا أحمـد الرازي قم صَـاغراً ... عُـزِلْتَ عن أحكامـك الْمُسْرِفَـة
مـا فيـك إلا الـوزن والـوزن مـا ... يمنعـك الصرف بـلا معرفـة[4]

(١) (آ) : « مازلت » .
(٢) (أ) : « أن عُمر » .
(٣) (أ) : « وتجبر قلبي » .
(٤) في الوافي : « لا » .

١٦٦ ـ أحمد بن محمد بن أحمد*

ابن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصاري البخاري القنائي ، محيي الدين بن كال الدين بن ضياء الدين القرطبي .

كان شيخاً ثَبْتا ، يلزم عدالة وصمتا ، وله في بلده رياسة ظاهرة وأخلاق طاهرة .

سمع الحديث عن شرف الدين محمد بن عبد الله المرسي وغيره ، وحدَّث بقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن غَمزت قناة القنائي يَدُ الموت ، وقام بنعيه إلى أصحابه الصوت ، وتوفي رحمه الله ببلده قنا سنة تسع وسبع مئة .

١٦٧ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن مُحَمَّد**

علاء الدولة[1] البيابانكي ـ بباءٍ موحَّدة ، وياء آخر الحروا ، وألف وباء موحدة ، وبعدها ألف ونون وكاف ـ العلاَّمَة ركن الدين السّمناني .

تَفَقّه وشارك في الفضائل ، وبرع في العلم وأجوبة المسائل .

سمع من عز الدين الفاروثي ، والرشيد بن أبي القاسم[2] ، ولبس منه عن السهروردي .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : أخذ عنه شيخنا صدر الدين إبراهيم بن حَمُّويَه ، ونور الدين وطائفة .

وروى عنه سراج الدين القزويني المحدّث[3] ، وإمام[4] علي بن مبارك

* الوافي : ٣٣٩/٧ .

** الوافي : ٣٥٦/٧ ، والدرر : ٢٥٠/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ .

(١) (أ) : « الدين » .

(٢) محمد بن أبي القاسم للقرئ الحنبلي رشيد الدين (ت ٧٠٧) ، ذيل العبر : ٣٩ ، والدرر : ١٥٠/٤ .

(٣) عمر بن علي (ت ٧٥٠) ، الدرر : ١٨٠/٣ ، وغاية النهاية : ٥٩٤/١ .

(٤) في الوافي : « إمام الدين » .

البكري[١] ، وحدَّث (بصحيح) مسلم و (شرح السُنة) للبغوي وبعدَّة كتب ألفها وهي كثيرة ، قال البكري : لعلها تبلغ ثلاث مئة مصنف ، منها كتاب (الفلاح) ثلاث مجلدات[٢] و (مصابيح الجنان) و (مدارج المعارج)[٣] .

كان من بيتِ وزَاره ، وعلى وجهه من النسك والورع إنارَه ، مليح الشكل خاشعاً ، ساكن الشر وادعاً ، كثير التلاوة ، ظاهر الطلاوة ، يحطّ على ابن عربي ويكفّره ، وعلى مَنْ تابعه ، ويعفّره ، ويحط على مصنفاته وينبه على محرّفاته .

وكان كثير البِرّ والإيثار ، هاميَ الجود على ذوي الإعسار ، يدخله من أملاكه نحو تسعين ألف درهم ينفقها في وجوه البِرّ ويتصدّق بها إما في الجهر وإما في السر .

زاره القان أبو سعيد واعتد بذلك أنّه يوم عيد ، وبنى خانقاه للصوفية ، ووقف عليها وقوفاً مختلفة ، وكان قد داخل التتار أولاً ، واتصل بالقان أرغون[٤] بن أبْغَا ، ونال من دنياه ما أمّل وبَغَا ، ثم إنه أقبلَ وأناب ، ورجع وتاب ، ومرض بتبريز زماناً طويلاً ، وامتدَّ مرضه إلى أن كاد يأخذه أخذاً وبيلاً ، ولما عوفي تعبدَّ وتألـه واختلى بعدما تجرد ، وقدم بغداد ، وصحب الشيخ عبد الرحمن وحج ثلاث مرات ، وَرُدَّ إلى الوطن ، وخرج عن بعض ماله لنفقة المبرّات ، وتردد كثيراً إلى بغداد .

ولم يزل إلى أن دنا من قبره وتدلّى ، وأعرض عن هذا العرض الفاني ووَلّى ، وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد أن أُوْتَر في شهر رجب الفرد سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بقرية بَيابانك .

(١) علي بن مبارك شاه بن أبي بكر الشيرازي ولد (٧٠٩ هـ) ، وانظر : الدرر : ٩٧/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) وهو مختصر لشرح السنة للبغوي . الكشف : ١٠٤٠/٢ .

(٣) الكشف : ١٦٤٠/٢ .

(٤) ليست في (أ) .

١٦٨ ـ أحمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدين الفار الشطرنجي ، ويعرَف بالجُرَّافة[١] .

كان المذكور صغير الحبَّة لطيفَها ، كبيرَ النفس شريفها ، عليه من لقبه إشارة لا يكاد يُخطئ شكل الفارة ، وكان في أكله آفة ، فلذلك لقب بالجرَّافة .

وكان في الشطرنج عالية ، والناس في عشرته متغالية ، اجتمعت به غير مرة ، ولقيت بمحادثه كلَّ مسرّة ، وكان يحفظ من المواليا شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وينظم هو أيضاً ما هو في بابه نهاية ، آخر عهدي به سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، ثم توجّهت إلى الديار المصرية سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ولم أرَه ولا سمعت خبره ، والظاهرُ أن الفارَ وثب عليه من الموت سنَّوْرُه ، وجاء من خمر المنيَّة دَوْرُه .

وكان يوماً قد اقترح عليَّ نظم بيتين مواليا يكون أول نصف كل بيت قلب القافية التي قبله ، وكان في المجلس أكابر ورؤساء من أهل الأقلام والمحابر ، وقال : إن هذا لا يقدر على نظمه ولا يعرف ناظم الوقوف على رسمه ، فقلت له : إلى أن تفرغ من دستك هذا تسمع وتطمح بطَرفك إلى مالا تطمَع ، وكان الأمر كما ذكرت ، ولَطَفَ الله بما أشرتُ ، وقلت والقافية على ما أراده :

عَمه عذولي علي قلبي لنارو لذَع عَذَل لبَرقو بآفاق التسلي لَمَعْ[٢]
عمل على نفع قلبي لو حصل لو نفع عُفْنَ الحبايب وصالي كم لدمعي همَعْ

وأنشدني هو من نظمه لنفسه[٣] :

---

* الوافي : ٣٥٩/٧ ، والدرر : ٢٥٣/١ ، والمنهل الصافي : ٦٨/٢ .

(١) في المنهل : « وكان جده أحمد يعرف بالجرافة » .

(٢) (أ) : « بآثار التسلي » .

(٣) في الأصل : « لفظه نفسه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

حبّي الذي ما حوت مثلو دمن سنجار ولا ثبت لِقَوامُو غصن في الأشجار
لو خَدّ أحمر وخال أخضر حكى الزنجار يَجبْ عليّ احتمل جورو فديتو جار

وأنشدني له[1] أيضاً :

حبّي الذي في مديحو يعجز المحار أخفى الكواكب بحسنو حق في الأسحار
لو لحظ تركي فديتو بابلي سحار وجفن فاتر فؤادي في غرامُو حار

وأنشدني له أيضاً :

جواد صبري لبعد الحبّ مني خار وبحر دمعي جَرى في عشقتو زخّار
ظبي يخير الجواهر وهو من فخار قد ادّخرته لأيام الوغى ادّخار

وأنشدني له أيضاً :

وهبت للحِبّ مركوبي وهو غدَّار غضب وولى بوجهو صرت في أكدار
ناديت يا منيتي يا عالي المقدار خدلك بِدَالو ودر وجهك فديتو دار

وأنشدني له أيضاً :

حبّيت عطّار لحظو في المهج جَزّار يغلب بحسنُو ملاح الترك في البازار
صادق إذا قال هو في الوعد لا نزّار قصدي رضاه انقطع عني الرجا أوزار

وأنشدني له أيضاً :

سلطان حسنو قد أرسل للمُهج أفكار يجرد البيض من لحظو بلا إنكار
نكّسْ بقدّو عصايب سَاير الأبكار وطُلْبْ جيش عذارو دار بالبيكار

وأنشدني له أيضاً :

---

(١) (أ) : « لنفسه » .

غنّت فأغنت عن المسموع في الأقطار ودقّت الدف أجرت أدمعي أمطار
وصِرتُ في حبّها لا أختشي أخطار لما استمع لُبّ قلبي من يديها طار[1]

وأنشدني له أيضاً :

ترجّلوا من على نجبٍ غدت أطوار وحَولها من خدمها والحشم أدوار
فخلتُ تلك المعاطف في ضيا الأكوار قضبان فضه قد انقضّت من الأكوار

وأنشدني له أيضاً :

بسَالفو خِمْل ينمو مثل خضرة غار في ورد جُوري على قلبي بجُورُو غار[2]
رشا وَفا لي على كيد العِدَا في غار واكمد حسودي وضدي في الثرى قد غار[3]

وأنشدني له أيضاً :

جاني بشير أتى مقبل وأطفا نار وبت مسرور مفلج والدّجا قد نار
وارتجي إقبال ساعة نصر من خُنّار مختص بالحسن كم أرسلت لُو دينار[4]

وأنشدني له أيضاً :

من أُمها في القيادة أصبحت آفة وأختها في ربوع الحيّ وقافَة
فكيف يمكن تجي في القصف خوّافه وستّها الأصل شامية وطوّافة

١٦٩ ـ أحمد بن محمّد بن الرفعة*

الشيخ الإمام العلاّمة نجم الدين بن الرِّفْعَةِ الشافعي .

(١) هما في المنهل : ٦٨/٢ .
(٢) في الوافي : « جاز » .
(٣) (أ) : « في الهوى » .
(٤) هما في المنهل : ٦٩/٢ .
* الوافي : ٣٩٥/٧ ، وذيل العبر : ٥٤ ، والبداية والنهاية : ٦٠/١٤ ، والنجوم : ٢١٣/٩ ، وطبقات =

شيخ المذهب ، ونسيج وَحْدِهِ في طرازه الْمُذَهَّب ، لو عاصَرهُ الْمُزَنِيّ[١] لَعَدَّ قَطْرةً من بحره ، أو ابن سُريج[٢] لما عَلا في الذكر صهوة ظهره .

ولي حسبة مصر والوجه القبلي مُدّة[٣] ، وناب في الحكم وعَزَل نفسه لِمَا عالجَهُ من الشّدة .

وكان حَسَنَ الشكل بهيّاً ، فصيح الألفاظ ذكياً ، كثير الإحسان إلى الطلبة ، قائماً في قضاء حوائجهم بالتلطُّف والغلبة ، يجود لهم بعلمه ، ومالِه ولا يبخل عليهم بجاهه وإضفاء ظِلاله .

شرح (التنبيه)[٤] في خمسة عشر مجلداً ، وشرح (الوسيط)[٥] ولم يكمله ، وهما شرحان يشهدان له بالرفعة في هذا الشأن وعلّو الرتبة التي يسفل عن مكانها كيوان . ورأيت شيخنا شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي يكثر الثناء عليه ويصفه بمعرفة فروع المذهب وإتقانها وإجرائها على قواعدها الأصلية في مكانها . ويكفيك أنه في زماننا لا يُطلق اسم (الفقيه) إلا عليه ، ولا يشيرون بذلك في الدروس إلاّ إليه .

= الشافعية : ١٧٧/٥ ، والدرر : ٢٨٤/١ ، والشذرات : ٢٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٢/٢ ، وطبقات السبكي : ٢٤/٩ .

(١) إسماعيل بن يحيى صاحب الشافعي (ت ٢٦٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ٧١/١ .

(٢) أحمد بن عمر البغدادي فقيه الشافعية في عصره (ت ٣٠٦ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٧/١ ، والسير : ٢٠١/١٤ .

(٣) (أ) : « ولي حسبة القاهرة مدّة » .

(٤) في فروع الشافعية ، ألّفه إبراهيم بن علي الفقيه الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ، وأشار صاحب الكشف : ٤٩١/١ إلى شرح ابن الرفعة ، واسمه : كفاية النبيه في شرح التنبيه ، وهو مخطوط كما في الأعلام للزركلي : ٢٢٢/١ .

(٥) للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، واسم الشرح : الْمَطْلب ، وذكر صاحب الكشف : ٢٠٠٨/٢ أنه في ستين مجلدة .

أخذ الفقه عن الظهير التَّزْمَنْتِي[١] ، والضياء جعفر بن الشيخ عبد الرحيم القنائي[٢] وغيرهما .

وسمع من محيي الدين الدَّميري[٣] ، ودرَّس بالمُعزيَّة ، وحدّث بشيء من تَصَانيفه ، وله مصنف سماه (النفائس في هدم الكنائس)[٤] .

ولم يزل في اشتغال وتصنيف إلى أن عَطَل من كفه قلمه وفقد الناس ذلك الدر الذي[٥] يخرجه فمه ، وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة ، وقد شاخ .

١٧٠ ـ أحمد بن محمد بن سعد**

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح الشيخ الصالح الفاضل المسند عماد الدين بن الأديب العالم شمس الدين المقدسي الصالحي الحنبلي .

روى عن المجد القزويني ، وابن الزبيدي ، والإربلي ، وابن اللَّتي ، وابن المقيّر ، وأجاز له الموفق [و][٦] فتح الدين بن عبد السلام[٧] ، ومسمار بن العويس[٨] .

---

(١) هو ظهير الدين التزمنتي ، توفي (٦٨٢ هـ) . والتزمنتي : نسبة إلى تزمنت ، بفتح فسكون ، من بلاد الصعيد ، كما جاء في طبقات السبكي : ١٣٩/٨ .

(٢) جعفر بن محمد بن عبد الرحيم الحسيني القنائي (ت ٦٩٦ هـ) ، الشذرات : ٤٣٥/٥ .

(٣) عبد الرحيم بن عبد المنعم المصري (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٤) الكشف : ١٩٦٦/٢ .

(٥) (أ) : « الذي كان » .

* الوافي : ٤٠٢/٧ ، والشذرات : ٤٥٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٢ .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ثابتة في (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٧) الفتح بن أبي منصور ، عبد الله بن محمد بن عبد السلام مسند العراق (ت ٦٢٤ هـ) ، السير : ٢٧٢/٢٢ .

(٨) هو مسمار بن عمر بن محمد (ت ٦١٩ هـ) ، السير : ٢٥٤/٢٢ .

وحدّث قبل الستين ، وحجّ مرات ، وحدّث بالحجاز وحماة ودمشق إلى أن ناحت به النوائح ، وقامت في ناديه الصوائح .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة في المحرَّم .

١٧١ ـ أحمد بن محمد بن سالم بن أبي المواهب*

الحافظ الشيخ الإمام العالم قاضي القضاة نجم الدين أبو العباس بن صَصْرَى الرَّبَعيّ التغلبيّ الدمشقيّ الشافعي .

حضر على الرشيد العطار[١] سنة تسع ، والنجيب عبد اللطيف . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجدِّه لأمه المسلم بن علان . وتفقَّه على الشيخ تاج الدين[٢] .

ودخل ديوان الإنشاء في ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين وست مئة هو وشهاب الدين أحمد بن غانم[٣] ، ونظَمَ ونَثَر ، وكتب المنسوب وبهر فيه لمّا مَهَر ، وكان قلمُه أسرعَ من رجع الطرْف ، ومن الذين يعبدون الله في الشِّرعة على حَرْف .

قيل : إنه كتب خمس كراريس في يوم ، وهذا أمر قلَّ أن يُعْهَدَ من قوم . شارك الناسَ في فنون ، وكان عنده من المسائل عيون ، له عبارة فُصحَى ، وحافظة[٤] لا تقبل ردّ السرد نصحًا . يحفظ أربعة دروس لَمدارِسه[٥] ، ويلقيها من فمه ويطلع في آفاقها

* الوافي : ١٦/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٠ ، والبداية والنهاية : ١٠٦/١٤ ، وفوات الوفيات : ١٢٦/١ ، وطبقات الشافعية : ٢٠/٩ ، والدرر : ٢٦٣/١ ، والشذرات : ٥٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٧/٢ .

(١) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢ هـ) وقد سلفت ترجمته .

(٢) الفركاح كما ذكر صاحب الدرر ، وتاج الدين هذا هو : عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزاري (ت ٦٩٠ هـ) ، الدارس : ٨٠/١ ، والشذرات : ٤١٣/٥ .

(٣) أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « وحافظ » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٥) الغزالية ، والعادلية ، والناصرية ، والأتابكية ، كما في الوافي .

بدور سطورها كأنما يكتبها بقلمه ، ولا يكاد أحد يسبقه بسَلام ، ولا يَسْمع في العفو وبالصفح عمَّن يؤذيه كبيرَ عذل أو صغير مَلاَم . اشتهر بذلك وعُرِفْ ، وسار ذكره بذاك واسمه أحمد وصُرف .

وله أموال ضخمة ومماليك وخدم وحشم وحشمة ، وينطوي على تعبّد وديانة وعِفّة في الأحكام وأمانة ، وكان بصيراً بالأحكام مسعوداً فيها ، قل أنْ أتى إليه شاهد زور إلا وعرفه بديهاً ، وعرفه الناس بذلك فلم يسلك معه أحد هذه المسالك ، وكان يخدم القادمين ويزورهم ويتردد إليهم[1] وغيرهم ، وهداياه تضرب في أقطار الأرض إلى أعيان الدولة ومن دونهم من أرباب الصون أو الصولة ، ولذلك طالت مُدّته وعلى كَنَفه كِبارُ المذهب وأشياخه ، ومحذلقوه وأشراره وفراخه ، وعصره ملآنُ الجوانح بالأنداد والأضراب ، وفي وقته من يَقُول : لو[2] أنصف لرآه وهو على[3] بابه بوَّاب ، ومع ذلك فلم يتكدر عليه شرب ولا تنفر له بما لا يشتهيه سِرْب ، وله أصحاب وأتراب منحدون[4] ، وعشراء وخلطاء لبلاغه أخبارَ الناس مُتَصدّون ، يواصلونه في كل يوم ولا[10] يصدُّون ، ويجتمع الناس عنده في[5] بستانه اجتماعاً عاماً ، ويمد لهم خواناً قد نوّع فيه طعاماً يرون فضله تامّاً ، إلى غير ذلك من أنواع الحلوى[6] ، والمآكل التي لا منٌّ فيها ولا سَلْوى . يقصده الشعراء في المواسم ، ويرون ثغور جوده وهي بواسم ، لا يخشون مع ذلك بَوّابَه ولا عَيْنه ولا حُجَّابَهُ[7] ، ويعتدُّ هو أن تلك الجائزة واجبة .

(١) في الأصل : « إليه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) (أ) : « إنّه لو » .
(٣) في الأصل : « هو وعلى بابه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) (أ) : « به متّحدون » .
(٥) (أ) :« وهم لا » .
(٦) (أ) : « يوم السبت في » .
(٧) (أ) : « أنواع الفواكه والحلوى » .
(٨) في الأصل « حاجبه » وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أنسب .

وكان قد اشتغل بمصر على الأصبهاني[١] في أصول الفقه ، ودرّس بالعادليّة[٢] الصُغرى ، وبالأمينيّة[٣] ، ثم بالغزاليّة[٤] ، مع قضاء العسكر ومشيخة الشيوخ ، وولي القضاء سنة اثنتين وسبع مئة ، وأذن لجماعة في الإفتاء ، وخرَّج له الشيخ صلاح الدين العَلائي مشيخة فأجازه عليها بجملَة .

ولم يزل على القضاء إلى أن نزل به القضا ، وقضى نحبه ، فأدّى حق العدم وقضى .

وتوفي رحمه الله تعالى فجاءة في نصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان مولده سنة خمس وخمسين وستمئة .

ورثاه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود وغيره .

ولشعراء زمانه فيه أمداح كثيرة . وكان العلامة شهاب الدين محمود قد كتب إلى الأمير علم الدين سنجر الدواداري[٥] يهنّيه بفتح طرابلس ، ويصف جراحَةً أصابته بقصيدة أولها :

مـا الحربُ إلا الـذي تَـدْمى به اللمَمُ والفخر إلاّ إذا زان الـوجـوهَ دمُ
ولا ثبـات لمن لم تلـقَ جبهتُـه حَـدَّ السيـوف ولا تُثنَّى لـه قـدمُ[٦]

(١) هو شمس الدين ، محمد بن محمود ، العجلي الأصبهاني (ت ٦٨٨ هـ) وسلفت ترجمته .

(٢) هو يحيى بن علي بن عبد الله (ت ٦٦٢هـ) وقد سلفت ترجمته .

(٣) قبلي باب الزيادة من أبواب الجامع الأموي ، بناها أمين الدين كمشتكين بن عبد الله ، الدارس : ١٣٢/١ .

(٤) المدرسة الغزالية بدمشق .

(٥) هو سنجر بن عبد الله البرنلي التركي (ت ٦٩٩ هـ) .

(٦) في المنهل الصافي : ٩٩/٢ .

فكتب الجواب عن ذلك قاضي القضاة نجم الدين ابن صَصْرَى :

وافَى كتابك فيه الفضل والكرمُ ... فجَلَّ قدراً وجَلّت عندي النعَمُ[(١)]

وجاء من بحرٍ قد سَما وطَمَى ... دُرُّ المعاني في الألفاظ تنتظمُ[(٢)]

وصفتَ حالي حتى خلتُ أنك قدْ ... شاهدتها ولهيبُ الحَرَب تضطرمُ[(٣)]

ومَا جَرى في سبيل الله محتَسَبٌ ... فهو الذي لم يزل تسمو له الهِمَمُ[(٤)]

وجاءنا النصر والفتح المبين فلو ... شاهدت نورَ الظُبى تُجلى به الظلَمُ

غدا العَدُوُّ ذليلاً بعد عِزّته ... حُليٌّ أجيادهم بَعْدَ العُقود دمُ

قد فرَّقَ الجَمعَ منهم عَزْمُ طائفة ... لَم يثنِ همتها يوم الوغى سَأَمُ

تُرْكٌ إذا ما انتضوا عزماً لهم تركوا ... أَمَامَهم كُلَّ جمع وهو مُنْهَزمُ

لَمَّا بقَتْل العِدى خاضت سيوفهُم ... صَلَّت فقبَّلها يوم الوغى القِمَمُ

حازوا الثوابَ الذي راموا وبعضُهم ... فازوا بما كسَبُوا منها وما غنموا

وكنت مشتغلاً في يوم كسبهم ... عنه بما كَسْبُه عندي هو النِعَمُ[(٥)]

فكيف يُطلَبُ مني الأرفغانُ وقد ... شَهِدْتَ لي ولهذا بيننا حكَمُ

ألستَ أنت الذي قد قالَ مبتدئاً ... وذاك قولٌ بحكم الحق مُلتزمُ

هَجَمْتَه وسيوفُ الهند مُصْلَتةٌ ... وعُدْتَ والسَبْيُ والأموال تقتسمُ

وكان هَمُّك في الأرواح تكسبُها ... وهمُّ غيرك فيها المالُ والنَّعَمُ

---

(١) في الأصل : « حلّت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، وهي أنسب .

(٢) في الوافي : « من بَحْر فضل » .

(٣) في الأصل « لهيب الحزن » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

(٤) (أ) : « به الهمم » .

(٥) (أ) ، والوافي : وقت .

ورثاه جماعة من شعراء عصره منهم العلامة شيخنا أبو الثناء ، أنشدنيها إجازةً وهي قصيدة عُظْمَى يَرْوَى بها مَنْ يظما :

أترى دَرَى داعي المنيّة مَنْ دَعَا ... أم أيّ ركن للشريعة ضُعضعا[1]
أم أيّ طودِ حجىً ترفَع في العُلا ... عصفت به ريح الصبا فتصدّعا
أم أيّ نجم هدى هوى من بعدما ... ردّ الكواكب عن مداه طُلّعا
أم هل درى ناعيه أن الدين والـ ... ـتقوى ونَشْر العدل أوّلُ ما نعى
أصمى فؤادَ الحكم سهمُ فجيعةٍ ... لم يبقِ في قوس النكاية منزعا
وأعاد شرح الشرع أضيع سائم ... لّما رماه بقصد أفضل من رعى
لله أي رزيّةٍ أضحى بها ... قلب الهدى حين السكون مروّعا[2]
طرقت جناباً بالفضائل آهلاً ... فثَنَتْه مِنْ ربّ الفضائل بَلْقَعا
وردتْ مَعين ندى ففاض وقد طمى ... ورنتْ إلى نَوْء النوال فأتلعا
ما خصّ ما طرقت به خلصاءه ... بل عمَّ فادحُها البريَّةَ أجمعا[3]
قاضي القضاة ومَنْ حوى رتباً سَمَتْ ... عَنْ أنْ تُسَامَ سناً وبزّت مَنْ سعى
شيخ الشيوخ العارفين ومَن رقا ... رتب السلوك تعبّداً وتورُّعاً
يأتمّ منه السالكون بعارفٍ ... بلغ العناء به المقام الأرفعا[4]

(١) (أ) : « دعا داعي » .
(٢) (أ) : « بعد الكون » .
(٣) (أ) : « ما طرّقت قصداً به خلصاؤه » .
(٤) « بلغ العناية والمقام الأرفع » .

وجرت لــــه عين اليقين ففجّرت ... في حــالتيــه لكلّ ظــام منبعــا[1]
حــاوي العلـوم فمــا تفرّق في الـورى ... إلاّ الـذي منهــا لـديـه تَجَمَّعًـا[2]
بَهَرت خــلال كالــه فسيـــادةٌ ... لا تُرْتَقى ومكارمٌ لا تُـــــدَّعى
وخــلائــق كالروض دَبَّجـه الحيــا ... أُصُـلاً فـوشّى حُلَّتَيْـه ووشّعـا
وتــواضـعٌ أمسى سنـــاه كَنَعْتــه ... يَـدْنُـو وقــد سكن السماء تَرَفُّعـا
وريــاسـة مُــذْ كان لم نعرِف لهــا ... إلاّ إلى رتب الكمـــال تَطَلُّعَـــا
ووفــور حلم إن يضـق عن مــذنب ... عــذرٌ أقـام العـذر عنـه ووسَّعـا
وكتــابـة يكسـو السجـلّ جلالهـا ... تــاجـاً يــزين النيّرات مُرَصَّعـا
وبـــلاغــــة لا قلب إلاّ ودَّ أن ... تُمْلَى وتنشَر لـو تحـوَّلَ مسمعـا[3]
وفصــاحــة في القــول أتقن عِلْمَهـا ... نظماً ونثراً حين حــازهـا معـا
وتثبّتٌ في حكمـــه ومضـــاؤه ... تعنـو لـه البيض القـواضب خُضَّعـا
وعبــارة كالنيــل نِيـل بَيَــانهـا ... مــع أنهـا أروى وأعـذب مشرعـا
وعبــادة في الليــل يجـزيــه بهـا ... في الحشر مَنْ يجـزي السعـودَ الركَّعـا
مَنْ لـلأيــامى واليتــامى فـارقـوا ... بـــالرغم ذاك الكافـلَ المتبرِّعـــا
مَنْ للجـدال تضــايقت طرق الهـوى ... فيـــه يَبين بـــه الطـريـق المَهْيعـا
مَنْ للقضـايـا العقم أصبح وجهها ... إلاّ عن الـــذهن السليم مبرقعـــا
ولَكَمْ لــه مِن قَبْـلُ غُرُّ رســائــلٍ ... أبـدى بهـا دُرَرَ البيـان فـأبـدعـا
من كلّ شـــاردةٍ ترفـعَ قَــدْرهــا ... أن يُرْتَقَى وسبيلهـــا أن يُتْبَعـــا
الــدَّهر أبْخَـلُ حين جــادَ بمثلــه ... مِنْ أنْ يَـديم بـه الـوُجُود مُمَتَّعـا[4]
فـأعـادَ وَجْـهَ الأرضِ منه مُجْـدِبـاً ... كَلْحـاً وبَطنَ الأرض منـه مُمْرَعـا

(١) (أ) : « اليقين بفيضها ... ظام أشبعا » .
(٢) في طبقات السبكي : « بما تفرق .. منها إليه .. » .
(٣) (أ) : « إذ تملى وتنشر أن تحول » .
(٤) (أ) : « أنْ يجود » .

يـا مَنْ يَقِـلّ لـه البكاء ولـو غـدا ذوبَ القلـوب أسىً يَمُـدّ الأدمُعـا[١]
لـو سـالم الـدّهرُ امرءاً لكمـالـه لغـدا لنـا في خُلْـد مثلـك مَطمعـا
لكنّـه الـدّهرُ الـذي سـاوى الرّدى فيـه الأنـامَ عَصِيَّهم والطيِّعـا
فَـلأبكينّـك مـا حييتُ ومـا البكى في فَقْـدِ مثلـكَ يـا خليليَ مُقْنِعـا
ولألبسنّ عليـك ثـوبَ كآبـةٍ مهما تمـادت مُـدّتي لن يُنزعـا
ولأبعثنّ من الرّثـاء قـوافيـاً محـزونـةً تُبكي الْحَمام السُّجعـا
ولأمنَعَنْ عَيْنَيَّ بعـدك إن جَفـا طيفُ الخيـال جُفُـونَهـا أن تهجَعـا
ويَقِـلّ ذاك فـإنّهـا جهـد الأخ الـ محـزون أنْ يُبكيـك أو يتفجّعـا

قلت : هذا القدر منها كافٍ ، وقد بقي منها خمسة وعشرون بيتاً .

١٧٢ ـ أحمد بن محمّد بن سلمان بن حمايل*

القاضي الكاتب الأديب شهابُ الـدّين أبو العبّـاس بن غـانم ، هو ابن بنت الشيخ القُدْوَة غانم[٢] ، وكان يَذْكُرُ نَسبَه إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، أملاه من فمه على الشيخ أثير الدِّين أبي حيّان .

سمع من ابن عبد الدائم ، وقرأ على ابن مـالـك جمـال الـدّين ، وخرَّج لـه البِرْزاليّ مشيخـةً ، منهم ابن أبي اليُسر وأيّـوب الحمّامي ، والـزّين خـالـد ، وعبـد الله بن يحيى البـانيـاسيّ[٣] ، ومحمّـد بن النُّشّي ، ويحيى بن النّـاصـح[٤] ، وعرض على الشّيـخ

(١) (أ) : « وإنْ غدا » .

* الوافي : ١٩/٨ ، وفوات الوفيات : ١٢٧/١ ، والبداية والنهاية : ١٧٨/١٤ ، والدرر : ٢٦٥/١ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٢ ، وفيه : « ابن سليمان بن حمائل » .

(٢) غانم بن علي بن إبراهيم المقدسي النابلسي ، (ت ٦٣٢ هـ) . الشذرات : ١٥٤/٥ .

(٣) (ت ٦٦٣ هـ) . العبرة : ٢٧٤/٥ .

(٤) يحيى بن الناصح عبد الرحمن بن نجم بن الحنبلي ، (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٣٠٠/٥ .

جمال الدِّين بن مالك كتابه « العُمْدَة »[١] ، وبعدَهُ على ولده[٢] بدرِ الدِّين . وقرأ الأدب على مجد الدِّين بن الظهير[٣] .

وفارق أباه وهو صغير وتوجَّه إلى السَّماوة ، ونزل على الأمير حسين من[٤] خفاجة ، وأقام عنده مدَّةً يصلِّي بفي شيء من العلوم ، وكان الوقت قريب العهد بخراب بغداد ، وتَشَتَّتَ أهلُ بغداد في البلاد ، فظُنَّ به أنَّه ابن المُستعصم الخليفة ببغداد ، واشتهر ذلك عنه ، واتَّصل خبره بالظاهر بيبرس ، فلم يزل في اجتهاد إلى أنْ أقدمَهُ عليه لِمَا أهمَّه من أمره ، فلَمّا مَثَل بين يَدَيه قال له : ابنُ مَنْ أنتَ ؟ فَوُفِّق[٥] ذلك الوقت لِمصلحته وقال : ابنُ شمس الدِّين بن غانم ، فطلبَ والدَهُ من دمشق إلى القاهرة ، وحَضَرا بين يَديّ الظاهر فاعترف والده به ، فقال له : خذه ، فأخذه وتوجَّه به إلى دمشق .

وكان قد كتب الإنشاء بدمشق وبمصر[٦] وبصفد وبغزّة وبقلعة الرّوم ، ثم توجَّه إلى اليمن ، وخرج منه هارباً ، وقاسى شدائد من العُرْبان وتخطُّفهم له حتّى وصَل إلى مكّة ، وكان سببُ خروجه إلى اليمن أنّه كان يكتب الدَّرْجَ[٧] بين يدي الصّاحب شمسَ الدِّين غبْرِيال[٨] فاتَّفَق أنْ هربَ مملوكٌ للأمير شهاب الدِّين قرطاي[٩] نائب طرابلس ، فكتب بسببه إلى الصّاحب ، فوَقَّعَ عليه ، فظفر به وجهَّزه إلى مخدومه ،

(١) « عمدة الحافظ وعدّة اللافظ » مقدّمة في النحو ، ولابن مالك شرح عليها ، والشرح مطبوع .
(٢) في الأصل : « والده » ، سهو ، وأثبتنا ما في « أ » .
(٣) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي ، (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضيئة : ٥٢/٣ ، والشذرات : ٣٥٩/٥ .
(٤) (أ) : « بن » ، تحريف ، وهو حسين بن فلاح ، كما في الوفيات : ٢١٧/٦ .
(٥) وكذا هي في أصل الوافي ، وصيَّرها المحقّق إلى « فوقف » .
(٦) ليست في (أ) .
(٧) كتّاب الدرج هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء ، سُمّوا بذلك لكتابتهم في دروج الورق .
(٨) في الأصل : « غربال » ، تحريف . وهو عبد الله بن الصنيعة ، (ت ٧٣٤ هـ) .
(٩) ستأتي ترجمته في موضعها .

وقال لشهاب الدِّين : اكتب على يده كتاباً إلى مخدومه واشفع فيه ، فكتب شهاب الدِّين الكتابَ وتأنّق فيه ، وجاء من جملة ذلك : وإذا خَشُن المقرّ حَسُن المفرّ ، وتوهَّم شهاب الدِّين أنَّ ذلك يُعجب الصّاحبَ ، فلمّا وقف عليها[1] أنكرها دون ما في الكتاب ، وقال : يا شهابَ الدِّين غَيِّر هذه فإنَّها وحشة ، فطار عقل شهاب الدِّين ، وضرب بالدواة الأرض ، وقال : ما أنا ملزوم بالغُلْف القُلف[2] ، وخَرَجَ من عنده وتوجَّه إلى الحجاز ، ودَخَل من مكَّةَ إلى اليمن ، وتلقاه الملك المؤيَّد[3] ، وأحسن إليه إحساناً زائداً ، وجعله كاتبَ سرّه ، فلم يَطِبْ له المقام ، وهربَ بعد خمسة أو ستّة أشهر ، وقلَّما خرج من مدينة إلاّ وهو مختفٍ .

وكان كاتباً مترسِّلاً ، عارفاً بمقاصد الكتابة متوسِّلاً ، يَسْتَحضر من اللُّغة جانباً وافراً ، ويُبدي في المنادمة وجهاً بالمحاسن سافِراً ، ويُوْرِدُ من كلام المعرّيّ قطعة كبيرة قد حفظها غائباً ، ويرمي منها سَهْماً في البلاغة صائباً ، خصوصاً من (اللُّزوميّات) ، وماله من العِظات والزهديّات . وإذا تكلَّم تَفَيْهَق ، وتَنَطَّع[4] في كلامه وتمنطق ، ويأتي في ترسُّله بالغريب ، والحوشيّ العَجيب ، وإذا فكَّر بشيء فَكَّر ، وغاص في[5] المعاني وتذكَّر ، ووضع شَعْرَ ذَقْنِه في فيه وقَرَضَه[6] ، وقال الشِّعرَ وقَرَضَه ، ويحوم بكلامه على المعنى المَقصُود زماناً ، وما يكسوه مع ذلك بياناً ، وكان مَتِع الكلام ، بريئاً من النَّقْص[7] والملام ، لا يعبأ بملبس ولا مأكل ، ولا يتكلَّف لشيء سِوَى أنَّه

---

(١) (أ) : « عليه » .

(٢) الأغلف الأقلف : الذي لم يختن . يعرض به لأنه كان نصرانياً .

(٣) صاحب اليمن ، داود بن يوسف بن عمر ، (ت ٧٢١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « يتفهّق » ، وفي (أ) : « تقطّع » ، تحريف .

(٥) كذا في الأصل . وفي (أ) : « وإذا أنشا فكّر وغاص على .. » ، ولعلها أنسب ، يؤنس بذلك ما وقع في الوافي : « وكان إذا أنشأ أطال فكره » .

(٦) في الأصل : « وقرظه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر .

(٧) (أ) : « التنقّص » .

يعقلها ويتوكّل ، يلبس الجمجم[١] القَطن الصُّوفيّ ، والْمُقَدَّرة الصُّوف[٢] ، والطُّول المقفّص[٣] المعروف بأهل إسكندريّة الموصوف ، وخاتَمهُ كان سِواراً ، وفصّه يعمل منه شواراً[٤] ، وكان يَتَحدّث بالتركيّ والعجميّ والكرديّ ، وإذا سافر خلع حُلّة الْكُتّاب ولبسَ حلّة البدَويّ أو الجنديّ ، مع تندير وتنديب وتطاريب وتطريب[٥] .

وكان قد أحبّهُ صاحب حَماة المنصور[٦] ، وجعل ظِلّه[٧] ممدوداً غير مقصور ، حضر يوماً سِمَاطه وكان أكْثَرهُ مَرَقاً ، وقد أضرم منه الجوع حُرَقاً ، فقال : بسم الله الرحمن[٨] الرحيم نَويت رَفْعَ الحدثِ واستباحةَ الصَّلاة ، الله أكبر . وكان المظفَّر بن المنصور[٩] يكره ابنَ غانم ، فاغتنم الوقيعة فيه وقال لأبيه : اسمع مَا يقول ابنُ غانم يَعيب طعامك ويُشبِّهه بالماء[١٠] ، فعاتبه المنصور على ذلك ، فقال : هذا ماقَصَدْتُه ! ولكنّ البسمَلة في كلّ أمر[١١] مستحبّة ، والحدثُ الذي نويت رَفْعَه حَدَثُ الْجُوع واستباحَةِ الصّلاة في الأكل ، فقال : فما معنى (الله أكبر) ؟ قال : على كلّ ثقيل ، فاستحسَنَ المنصورُ منه ذلك . وخلع عليه .

وخرج مرّةً مع المنصور إلى شَجريّات المعرّة ، وقد ضُربت الخيام وامتلأ الفضاء

---

(١) أي المداس ، معرَّبة .

(٢) قوله « المقدّرة الصوف » خلت منها « أ » ، وهي عبارة قلقة . وجاء في الوافي : « يلبس البابوج الذي يلبسه الصوفيّة » . وكذلك في المنهل .

(٣) ثوبٌ مقفَّص : مُخَطَّطٌ كهيئة القفص .

(٤) أي زينة .

(٥) (أ) : « تدبير وتذنيب وتطايب » . تحريف .

(٦) ناصر الدين أحمد بن الملك المظفر محمود ، (ت ٦٨٣ هـ) . تاريخ أبي الفداء : ١٨/٤ .

(٧) (أ) : « ظلّه عليه » .

(٨) الذي في الوافي : « فلَمّا وُضِعَ قال شهاب الدين لَمّا قيل الصلاة : نعم ، بسم الله » .

(٩) تقي الدين محمود ، (ت ٦٩٨ هـ) ، تاريخ أبي الفداء : ٤١/٤ .

(١٠) في الوافي : « بالماء الذي يُرْفَعُ به الحدث » .

(١١) (أ) : « حال » .

وما رأى الدخول إلى الخربشت[١] ، فصعد إلى شجرة لِيَتحلَّى والمنصور يراه ، فأرسل إليه شخصاً ليرى ما يفعل ، فلَمّا صار تحت الشجرة وقد تهيّأ لقضاء شغله فقال له : أطْعِمني من هذه التِّينة ، [فقال له : خُذْ ، وسلَحَ عليه سلحاً ملأت وجهه ، وتركته عبرةً ، فقال : ما هذا ؟ قال : أطعمتك من التينة][٢] ، فلَمّا اطَّلع المنصور على القضيّة خَرَّ مغشيّاً عليه من الضحك .

وكان ليلةً في سماعٍ ، فرقصُوا ثم جَلَسُوا ، فقام من بينهم شخص وطال الحال في استماعه وزاد الأمر ، فظلَّ شهاب الدِّين مُطْرِقاً ساكناً ، فقال له شخص آخر : مَا بك مُطرِقاً كأنّما يوحى إليك ؟ فقال نعم ﴿ قُلْ أُوحِيَ إلَيَّ أنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾[٣] .

واجتمع ليلة عند القاضي كريم الدِّين الكبير في موضع[٤] بعلاء الدِّين بن عبد الظّاهر يتحدَّث معه ، فجاء إليه شخصٌ وقال له : معاوية الخادم يريد الاجتماع بك ، فقال : وَأْلَك[٥] ! مَنْ يفارق عليّاً ويروح إلى معاوية ؟!

وكتب إلى قاضي القضاة جمال الدِّين بن واصل[٦] ، وقد أقْعَدَهُ بحماة في مَكتبٍ عاقداً[٧] ، وفيه السَّيف عَلي بن مُغيْزل[٨] :

مولاي قاضي القضاة يا مَنْ ... لـه على العَبْد ألفُ مِنَّهْ
إليكَ أشْكُو قَرِينَ سُوْءٍ ... بُليتُ مِنْهُ بألفِ مِحنَهْ
شهَرْتَه بَيْنَنَا اعْتَداءً ... أغْمِدْهُ فالسَّيْفُ سيفُ فِتْنَهْ

(١) موضع قضاء الحاجة ، وليست بالعربيّة .
(٢) ما بين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابتٌ في (أ) والوافي .
(٣) سورة الجنّ : ١ .
(٤) في الوافي : « في مولد » .
(٥) عامية ، فصيحها : « ويلك » .
(٦) محمد بن سالم ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٧) (أ) : « عامداً » .
(٨) الوافي : ٢٣/٨ ، وكذا ما سيأتي من أشعار .

وكتبَ إلى قاضي قلعَة الرُّوم وقد جاءهُ ولد سمّاه أنساً واسْمُ أبيه مُبارَك :

تَهَنَّ يـــا مبـــاركاً ... بـالـوَلَـد المبـــارك
بمن سَمَـــوه أنســـاً ... لأنـــه ابن مـــالكي

ومن نظمه :

تَعَجَّبَ النّـــاس للبطيـخ حين أتى ... بحِيْن حَيْن وإذْ وافى بطـــاعُـــونِ
وكيف لا يقطـعُ الأعمـارَ مَقْـدَمُـهُ ... وليس يُـؤْكَـلُ إلاّ بـــالسّكاكينِ

ومنه :

مَـا اعتكافُ الفقيـه أخْـذاً بـأجْرٍ ... بَـلْ بحكمٍ قضى بـــهِ رمضـــانُ
هـو شهر تُغَـلُّ فيـــه الشَّيـــاطيـ ... نُ ولا شَـــكَّ أنّـــه شيطـــان[1]

ومنه :

طَرفُـــكَ هـــذا بـــه فُتُـورٌ ... أضحى لقلبي بـــه فُتُـــون
قـــد كنتُ لـولاهُ في أمَـــانٍ ... للهِ مـــا تَفْعـــلُ العيـــون

ومنه :

يـا نـــازحـــاً عنّي بغير بعـــادِ ... لـولاك مـا علـقَ الهـوى بفـؤادي
أنت الـــــذي أفردتني مني فلي ... بـكَ شـاغلٌ عن مَقْصـدِي ومُرَادي[2]
سَهِرَتْ بحُبِّـكَ مُقْلَتي فَحَـلاَ لَهـا ... فيـك السُّهَـادُ فـلا وَجَـدْتُ رُقَـادي
ورضَيتُ مَـــا تَرْضى فلـو أقْصَيْتَني ... أيّـــامَ عُمْري مَـــا نَقَضْتُ وِدادي
أنت العـزيـز عليّ أن أشكـو لـك الـ ... ـوجـد الـذي أهـدَيتـه لفـؤادي

(١) ضمّن فيه الحديث المشهور : « إذا دخل شهر رمضان صُفِّدَت الشياطين » .
(٢) (أ) : « منك » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وَاللهِ مَـــا أدعـو على هـــاجري ... إلاّ بـــأنْ يُمحَنَ بـــالعشـــقِ
حتّى يَرى مقـدارَ مـا قـد جرى ... منـه ومـا قـد تمَّ في حقّي

وأنشدني له أيضاً :

يـــا حُسْنَهـــا مِن رِيَـــاضٍ ... مثـلِ النّضَـــارِ نَضَـــارَهْ
كالـــزّهر زَهْراً وعنهـــا ... رِيـــح العَبير عِبَـــارَهْ

وأنشدني له أيضاً :

بـــأبي صـــائغٌ مليـحُ التَّثَنّي ... بقَـوامٍ يُـزْري بِخُـوطِ البـــان
أمسـكَ الكَلْبتَين يـا صَاحِ فـاعجب ... لغـــزالٍ بكفّـــه كلبتـــان

ومن شعره :

أيُّهـــا الـلاّئمي لأكلي كُروشـــاً ... أتْقَنُـوهـا في غـايـة الإتقـان
لا تَلُمْني على الكروش فحبّي ... وَطَني من عـلائمِ الإيمـــان

قلت أخذ هذا من قول النّصير الحمّاميّ[1] :

رأيت شخصـــاً آكـلاً كِرشـــةً ... وعنـــده ذوق وفيـــه فِطَنْ[2]
وقـــالَ مَـــا زلتُ محبّـــاً بهـــا ... قلتُ من الإيمـان حُبُّ الـوَطَنْ[3]

ومن شعره في مقصوص الشَّعَرْ :

قـالُوا ذوائبـه مَقصُوصـة حَسَـداً ... فقلت قـاطِعُهـا للحسنِ صـوّاغُ
صُـدْغَـان كان فـؤادي هـائمـاً بهما ... فكيف أسْلُـو وكلّ الشّعر أصـداغُ

---

(١) النصير بن أحمد ، (ت ٧١٢ هـ) . الفوات : ٢٠٥/٤ .

(٢) (أ) ، والوافي : « وهو أخو ذوق » .

(٣) (أ) ، والوافي : « لها » .

وكان القاضي فخر الدّين ناظر الجيوش[١] يُؤْثِرُ قُرْبَه ويحبُّ كلامه ، فاستخدمه في مصر في جملة كتّاب الإنشاء ، فأقام هناك ، ولَمّا توفي فخر الدّين خرج ابن غانم وحضر إليه[٢] مع القاضي محيي الدّين بن فضل الله[٣] سنة اثنين وثلاثين وسبع مئة .

ولم يزل بدمشق في جملة كتّاب الإنشاء إلى أن سَكَنت منه تلك الشّقاشق ، وقُرطِسَت تلك السّهام الرّواشق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سَبع وثلاثين وسبع مئة ، وكان أكبرَ من أخيه الشّيخ علاء الدّين[٤] بأشهر ، وكذلك توفي بعده بأشهر ، وكان دائماً يقول : زاحمني أخي عَلِيٌّ في كل شيء حتّى في لَبَن أُمِّي ، واختلط شهابُ الدّين قبل وفاته بسنتين ، وكان فيه تَشيُّعٌ من التَّشيُّع .

١٧٣ ـ أحمد بن محمّد بن عبد الله*

الحافظ القُدْوَة الزاهد جمال الدّين أبو العبّاس ابن الشّيخ القدوة محمّد الظاهريّ الحلبيّ مولى الظاهر صاحب حلب[٥] .

سمع[٦] سنة إحدى وثلاثين وبعدها من الفخر الإربلي[٧] ، وابن اللّتي ، والموفق يعيش[٨] ، وابن رَوَاحة ، وابن خليل ، وابن قُمَّيْرَة ، وخلقٍ بحلب . وكريمة[٩] ،

(١) (أ) : « الجيش » .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) يحيى ، (ت ٧٣٨ هـ) . ذيل العبر : ٢٠١ ، والدرر : ٤٢٤/٤ .

(٤) عليّ ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٣٦/٨ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والشذرات : ١٥٩/٦ ، والمنهل الصافي : ١٢١/٢ .

(٥) هو الملك الظاهر غازي ، وَلَد السلطان صلاح الدين ، (ت ٦١٣ هـ) ، العبر : ٤٦/٥ .

(٦) (أ) : « سمع منه » ، وما في الأصل يشبهه ما في الوافي .

(٧) فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي ، (ت ٦٣٣ هـ) السير : ٣٩٥/٢٢ .

(٨) في الأصل : « وابن يعيش والموفق » ، سهوٌ ، صوابه ما في (أ) ، والوافي .

(٩) كريمة بنت عبد الوهاب بن عليّ القرشيّة ، (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

والضياء[١] ، وابن مَسْلَمة ، وخلق بدمشق . وصفيّة القرشيّة ، وجماعة بحماة ، وعبد الخالق بن أنجب النِّشْتَبْري[٢] بماردين . وعبد الرَّزّاق بن أحمد بن أبي الوفا ، وإبراهيم بن الحسن الزَّيّات ، وأحمد بن سَلامَة النَّجّار[٣] بحرّان ، وسمع من شُعَيب الزعفراني ، وابن الْجُمَيّزي ، والْمُرْسي ، وجَماعَة بمكّة . ويوسف السّاوي ، وأحمد بن الْحَبّاب بمصر ، وهبة الله بن روين الإسكندري .

وسمع بحمص وبعلبك والقدس وغير ذلك ، وعني بهذا الشأن أتمّ عناية ، وتعب وحصَّل وكتبَ ما لا يوصف كثرةً . وكانت له إجازات عاليَة من أبي الحسين القطيعي[٤] وزكريا العلبي[٥] وابن رُوْزَبة[٦] وأبي حفص السَّهْرَوَرْدي[٧] والحسين بن الزبيديّ[٨] ، وإسماعيل بن فاتكين والأنجب الحَمّاميّ[٩] ، وطبقتهم .

وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً في أربعين بلداً ، وانتقى على شيوخ مصر والشّام ، وخرَّج لأصحاب ابن كليب[١٠] ثم لأصحاب ابن طبرزد[١١] والكنديّ[١٢] ، ثمّ لأصحاب

---

(١) ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد ، (ت ٦٤٣ هـ) . السير : ١٢٦/٢٣ .

(٢) ضياء الدين أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب ، (ت ٦٤٩ هـ) . السير : ٢٣٩/٢٣ .

(٣) (ت ٦٤٦ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٤) كذا ، وأغلب الظنّ أنّه أبو الحسن القطيعي ، محمد بن أحمد بن عمر البغدادي ، (ت ٦٣٤ هـ) . العبر : ١٣٩/٥ ، والنجوم : ٢٩٨/٦ .

(٥) هو زكريا بن علي بن حسان ، (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٤/٥ .

(٦) في الأصل : « روبه » ، تحريف .

(٧) شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) . السير : ٣٧٣/٢٢ ، والعبر : ١٢٩/٥ .

(٨) أبو عبد الله الحسين بن المبارك ، (ت ٦٣١ هـ) . السير : ٣٥٨/٢٢ .

(٩) الأنجب بن أبي السعادات بن محمد ، (ت ٦٣٥ هـ) . السير : ١٤/٢٣ .

(١٠) أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب الحراني ، (ت ٥٩٦ هـ) . السير : ٢٥٨/٢١ .

(١١) عمر بن محمد بن معمر ، (ت ٦٠٧ هـ) . العبر : ٢٤/٥ .

(١٢) تاج الدين أبو اليُمْن زيد بن الحسن ، (ت ٦١٣ هـ) . السير : ٣٤/٢٢ .

ابن البنّ[١] وابن الزّبيدي حتى[٢] إنّه خرَّج لتلميذه ومريده الشّيخ شعبان[٣] ، وكان في حسن التخريج عَجَباً ، وفي جَوْدَة الانتخاب آيةً لا يزال الطرف لها مرتقباً .

سمع على نحو سبع مئة شيخ أو ما يقارب ذاك ، وأثنى عليه في هذا الفنّ حتّى الْحَمام السّاجع على فروع الأراك ، وتفقّه لأبي حنيفة ، وحوى كلَّ صفة في الخير مُنيفة .

قال الشيخ شمس الدّين الذّهبيّ : « وبه افتتحت السّماع في الديّار المصريّة ، وبه اختتمت ، وعنده نزلت ، وعلى أجزائه اتّكلت » .

وسمع منه علم الدّين البِرْزالي أكثر من مئة[٤] جزء .

وقرأ هو القراءات على الشّيخ أبي عبد الله الفاسيّ[٥] بحلب .

ولم يزل بالدّيار المصريّة على حاله إلى أن عُطِّل تسميعُه وبَطَل تأصيله وتفريعُه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ستٍّ[٦] وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته بزاويته الجَماليّة في المقس بمصر .

١٧٤ ـ أحمد بن محمد بن جبارة*

ابن عبد المولى المرداويّ الصّالحيّ الحنبلي الإمام المفتي العلاّمة المقرئ النحوي شهاب الدّين أبو العبّاس .

---

(١) في المنهل : « ابن اللتي » .

(٢) في الأصل : « على » ، وهي قلقة ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي ، والمنهل .

(٣) شعبان بن أبي بكر بن عمر الإربلي ، (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) (أ) والوافي ، والمنهل : « مئتي » .

(٥) محمد بن حسن بن محمد بن يوسف ، نزيل حلب ، (ت ٦٥٦ هـ) . غاية النهاية : ١٢٢/٢ .

(٦) (أ) ، والوافي : « إحدى » .

* الوافي : ٢٥/٨ ، والبداية والنهاية : ١٤٢/١٤ ، والدرر : ٢٥٩/١ ، وغاية النهاية : ١٢٢/١ ، والبغية : ٣٦٣/١ ، والشذرات : ٨٧/٦ .

سمع على ابن عبد الدائم وطبقته ، وقرأ القراءات على النبيه الرّاشديّ[١] ، وأخذ عنه النحو وربّما حضر دروس الشَّيخ بهاء الدّين بن النّحاس ، وأجاد في النحو والقراءات ، وسكن حلبَ مدّة ، وارتحل منها وأقام بالقُدس إلى أن مات به ، وسمع السِّيرة حضوراً في الرابعَة من خطيب مَرْدا ، وسمع من الكَرمَاني وابن أبي عمر[٢] ، وأخذ الأصول عن القَرافيّ[٣] ، وجاور بمكّة .

وكان ذا زُهْد وقناعة وبلاغة ونصاعة ، واشتهر بالقراءات ، وهاجر الناس إليه ، ووقع الاختيار من الطلبَة علَيْه ، وشرح (الشّاطبيّة) شرحاً مطوّلاً ، و (الرّائيّة) و (نونيّة) السّخاوي في التجويد ، وله تعاليق ، وعنده من الفضائل جَمْلٌ وتفاريق ، إلاّ أنّه كان يتجارف[٤] ، وينتقل بعد[٥] سَعَادة علمه لأجل ذاك ويتحارف .

قال الشيخ شمس الدِّين الذَّهبي : في شرحه للشّاطبيّة احتمالات واهيَة ، قرأت بخطّه يقول في قول الشّاطبي :

وفي الهَمْز أنحاءٌ وعند نُحَاتِهِ يُضيء سناه كُلَّما اسودَّ ألْيَلا

يحتمل خمس مئة ألف وجه وثمانين[٦] ألف وجه . قال : وسمعت منه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِرَ ابن جُبَاره ، وبطلت منه تلك الأمور[٧] والإشارة .

(١) الحسن بن عبد الله بن ويحيان ، (ت ٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٢/٥ ، والنجوم : ٣٧١/٥ ، وغاية النهاية : ٢١٨/١ .

(٢) أبو محمد عبد الرحمن بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

(٣) في الأصل : « العراقي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي وباقي مصادر ترجمته . والقرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس ، الفقيه الأصولي ، (ت ٦٨٢ هـ) . الوافي : ٢٣٣/٦ .

(٤) في (أ) : « يتحارف » .

(٥) (أ) : « مع » .

(٦) قوله « وثمانين ألف وجه » ليس في (أ) .

(٧) (أ) : « الرموز » ، وهي أجود .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة تقريباً .

١٧٥ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الحسن*

الشّيخ الجليل المسند شمس الدّين أبو بكر بن العجميّ الحلبي الشافعي .

سمع من جدّه لأمّه[١] ، وأبي القاسم بن رواحة وابن خليل ، وحضر الموفّق بن يعيش ، وروى الكثير .

وروى عنه الْمَقاتلي[٢] ، وابن الواني ، وابن الفخر[٣] ، والمزّيّ ، والذهبيّ .

كان فيه غفلة ، ولعقله عنه جَفْلة ، إلاّ أنّه ليس بقادحٍ فيه ، ولا مُبْطل لما يسنده ويرويه . وقاسى من هولاكو عذاباً شديداً ، وأخذ منه أموالاً كان أمْرُه بها عنيداً .

ولم يزل على حاله إلى أنْ فَرَغ أجله ، وأرهقه من الموت عَجَلُه .

وتوفي بحلب رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

١٧٦ ـ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي**

ابن محمّد بن محمّد الإمام الحافظ الشّريف عزّ الدّين أبو القاسم ابن الإمام أبي عبد الله العَلَوي الْحُسَيني المصريّ ، ويعرف بابن الحلبي ، نقيب الأشراف بمصر .

* الوافي : ٤٤/٨ ، والدرر : ٢٧١/١ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) عثمان بن بلبان المقاتلي ، (ت ٧١٧ هـ) . الشذرات : ٤٦/٦ .

(٣) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، (ت ٦٩٩ هـ) . العبرة : ٤٠٣/٥ .

** الوافي : ٤٤/٨ ، والمنهل الصافي : ١١٩/٢ ، وعقد الجمان : ٣٣٧/٣ ، وفيات (٦٩٥ هـ) . والشذرات : ٤٣٠/٥ .

سمع من فخر القضاة ابن الجَبَّاب[١] ، وسَمع من الزكي المنذري فأكثر ، ومن الرشيد العطّار ، وعبد الغني بن بنين[٢] ، والكمال الضرير[٣] وطبقتهم . وأجاز له ابن رَوَاج ، وابن الْجُمَّيزيّ ، والسّبط[٤] ، وصالح المدلجي[٥] ، وخَلْقٌ كثير .

وطلب الحديث على الوجه ، وكان ذا فهم وحفظ[٦] وإتقان وتخريج ، وكشفٍ للمعضلات وتفريج ، وله ذَيْلٌ على (وفيات) المنذري[٧] إلى سنة أربع وستين[٨] .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن دار[٩] العمل ، وبطل منه العمل[١٠] ، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست[١١] وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ستٍّ وثلاثين وست مئة .

١٧٧ ـ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله*

الشّيخ العارف تاج الدّين أبو الفضل الإسكندري .

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ابن الجباب . توفي (٦٤٨ هـ) . العبر : ١٩٨/٥ .

(٢) أثير الدين عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري القباني الناسخ ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن شجاع بن سالم بن علي الهاشمي ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .

(٤) هو عبد الرحمن بن مكي الإسكندري ، سبط أبي طاهر السلفي . (ت ٦٥١ هـ) . العبر ٢٠٨/٥ .

(٥) صالح بن شجاع بن محمد ، أبو التقي المدلجي البصري ، (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٩٠/٢٣ .

(٦) زاد بعدها في (أ) : « وقلم ولفظ » .

(٧) أي : الزكي . وعبارة الوافي والمنهل : « وله وفيات ذيّل بها على شيخه المنذري » ، واسم كتاب المنذري : « التكملة لوفيات النقلة » ط .الإعلام : ٣٠/٤ .

(٨) في الوافي والمنهل : « وسبعين » .

(٩) في الأصل : « ذاك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(١٠) (أ) : « الأمل » .

(١١) في الوافي والمنهل : « خمس » . وكذلك وفاته في عقد الجمان .

* الوافي : ٥٧/٨ ، والدرر : ٢٧٣/١ ، وبدائع الزهور : ٤٢٤/١/١ ، والشذرات : ١٩/٦ ، والمنهل : ١٢٠/٢ ، وطبقات الشافعية : ٢٣/٩ .

كان رجلاً صالحاً له ذوق ، وفي كلامه ترويحٌ للنفس وسَوْقٌ[1] إلى الشّوق ، يتكلّم على كرسيّ في الجوامع[2] ، ويقيّد نفوس المارقين بأغلالٍ وجوامع ، وله إلمام بآثار السّلف الصالح ، وكلام الصوفية ، إذا هبَّ نسيمه العَاطر[3] الفائح شوّق كثيراً من القلوب ، ومحا بالدُّموع غزيراً من الذُّنوب ، وله مشاركة في الفضائل ، وعليه للصَّلاح سِيماء ودلائل ، وهو تلميذ الشّيخ أبي العبّاس المُرْسيّ صَاحب الشّاذلي ، وكان من كبار القائمين على الشّيخ تقي الدّين بن تيميّة ، وله جلالة في النفوس بنفسه القويّة .

ولم يزل على حاله إلى أنْ ركدت تلك العبارة ، وانكدرت نجوم تلك الإشارة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المنصوريّة في حادي عشر جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره[4] :

مُرَادي منكَ نِسْيَانُ المراد ... إذا رُمْتَ السبيلَ إلى الرَّشادِ
وأنْ تَدَعَ الوجودَ فلا تَرَاهُ ... وتُصْبحَ مالكا حَبْلَ اعتمادِ[5]
إلى كم غفلةٍ عنّي وإنّي ... على حِفْظِ الرِّعايةِ والودادِ
وَوُدّي فيكَ لو تدري قديمٌ ... ويَوْمُ السَّبتِ يشهد بانفرادي
وهل رَبٌّ سواي فتَرْتَجيه ... غداً يُنْجيك من كَرْبٍ شدادِ
فوَصْفُ العَجْز عَمَّ الكونَ طُرّاً ... فمفتقرٌ بمفتقرٍ يُنادي
وبي قد قامت الأكوانُ طُرّاً ... وأظْهَرْتُ المظاهرَ مِنْ مُرادي
أفي داري وفي ملكي وفُلْكي ... تُوَجِّه للسّوى وَجْهَ اعتمادِ

(١) (أ) : « وتوق » .
(٢) (أ) ، والوافي : « الجامع » .
(٣) (أ) : « العطر » .
(٤) ذكر صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .
(٥) في الوافي والمنهل : « ماسكاً » .

وهـا خِلَعِي عليـكَ فـلا تُـذِلْهـا ومِن وَجْـه الرجـاء عن العبـادِ[١]
ووصفَـك فـالـزَمَنْـهُ وكن ذليـلاً تَرى منّي المنى طَـوْع القيَـادِ
وَكن عبـداً لنـا والعبـدُ يرضى بمـا تَقْضي المـوالي من مُرادِ

قلتُ : شعرٌ نازلٌ ، هو يَجدٌ ، وكأنَّه هازل .

١٧٨ ـ أحمد بن محمد بن علي بن جعفر*

الصدر الأديب الرئيس سَيف الـدِّين السامَريّ ، نسبة إلى سُرَّ مَن رَأى ، نـزيـل دمشق .

صادره الصّاحب بهاءُ الدِّين بن حَنّا[٢] وأخذ منه نحواً من ثلاثين ألف دينار لَمّا[٣] قـدم أخـوه نـورُ الـدَّوْلَـة السّـامريّ من اليمن ، ونُكِبَ في دولـة المنصـور ، وطَلَبـه[٤] الشّجاعي[٥] إلى مصر وأخذ منه قرية (حَزْرَمـا) وغيرهـا وتمـام مئتي ألف درهم ، وكان يسكن داره[٦] المليحة التي وقفها رباطاً ومسجداً ووقف عليها باقي أملاكه .

وروى عنه الدّمياطيّ في (معجمه) وذكر أنّه يُعْرَف بالمقرئ .

(١) في مطبوعة الوافي : « وصن وجه » ، وكتب المحقق في الحاشية : « في الأصل والأعيان ومن » .

* الوافي : ٦٦/٨ ، وفوات الوفيات : ١٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ١٤٨/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧١/٣ ، وفيات (٦٩٦ هـ) . البداية والنهاية : ٣٥١/١٣ .

(٢) في الأصل ، والوافي : « حنيّ » تصحيف . وابن حنا هذا هو الوزير علي بن محمد بن سليم بهاء الدين بن حنّا ، (ت ٦٧٧ هـ) . الشذرات : ٣٥٨/٥ .

(٣) (أ) : « عندما » .

(٤) في الأصل : « وطلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٥) الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعي ، (ت ٦٩٣ هـ) . النجوم : ٥١/٨ .

(٦) في الأصل : « دار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي عقد الجمان : « وآخر مـا بقي لـه قـاعـة جعلهـا خانقاه وتربة كما ذكرنا ، ووقف عليها مزرعة بالشاغور وبقايا من أملاكه » .

وكان قد سافر مرّة مع وجيه الدِّين بن سُوَيْد(١) إلى الموصل فحضر المكّاسَة وعَفُّوا عن جِمَال الوجيه ومكَّسُوا جِمالَ السَّامري ، وأجحفوا به ، فقال :

صَحِبْتُ وجيهَ الدِّين في الدَّهر مرّةً ... ليحمل أثقالي ويَخْفِرَ أجمالي
فَوَزَّنني عن كلِّ حقٍّ وباطِلٍ ... وعن فرسي والبغلِ والْجَمَل الخالي

فبلغ ذلك صَاحِبَ الموصِل فأطلق القَفْل بمجمُوعه .

وقال يشكرُ الأمير سيف الدِّين طوغان(٢) وأسندمرُ والي البر(٣) بدمشق ويشكو نائبيهما الشّجاع هَمّام والعلم سَنْجر(٤) :

اسمُ الوزارة للأمير ومَالَهُ ... فيها سوى الأوزار والآثامِ
وجنايةُ القتلى وكلُّ جنايةٍ ... تُجنَى بأجمعها إلى همّامِ(٥)
سيفان قَدْ وَليا فكلٌّ منهما ... في حفظ مَا وُلِّيه كالضرغامِ
وإذا عَرا خطبٌ فكلٌّ منهما ... أسَدٌ يَصُول ببأسه ويحامي
وبيَاب كلٌّ منهما عَلَمٌ غدَا ... في ظُلْمِهِ عَلاَّمَةَ الأعْلاَمِ(٦)
فمتى أرى الدُّنيا بغير سَناجرٍ ... والكسرَ والتنكيسَ للأعلامِ

ومن شعره :

مَنْ سُرَّ مَنْ رَاءٍ ومَنْ أَهْلُها ... عند اللَّطيف الرّاحم الباري
وأيُّ شيءٍ أنا حتّى إذا ... أذْنَبْتُ لا تُغْفَرُ أوزاري
يا ربِّ مالي غَيْرُ سَبِّ الورى ... أرجو به الفوز من النّارِ

(١) محمد بن علي بن أبي طالب التكريتي التاجر الكبير ، (ت ٦٧٠ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٦٢/١٣ .
(٢) طوغان المنصوري ، (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٢٢٨/٢ .
(٣) في الوافي : « والي البريد » .
(٤) علم الدين سنجر التركي الصالحي الداوداري ، (ت ٦٦٩ هـ) . العبرة : ٣٩٩/٥ .
(٥) (أ) ، والوافي : « تجبى » ، ولعلَّ الأشبه : وكل جباية تجبى .
(٦) في الأصل : « ويبات » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .

ولَمّا طلبَه الشّجاعي إلى مصر اعتقله وقام لـه بِمَـا طلبَ منـه وطلبَ الإفراج عنـه وثقّلُوا عليه فقال : والله مَاأُفْرِجُ عنه حتّى يَمدحني بقصيدة ، فـإنّ هـذا هجّـاء ، فلَمّـا مَدحه أفرج عنه .

وكان الشّيخ سَيف الدّين ظريفـاً مزّاحـاً ، كثيرَ التغرُّب نزّاحـاً ، وهو من سَرَوات بغداد ومُحَاضرته يَغْنى النديم بها عن حانةِ النبّاذ . قدم إلى الشـام بـأموالـه وحظي عنـد النّاصر بأقواله ، ولَمّا[1] نظم تلك الأرجوزة السامريّة التي أوّلها :

يـــا ســـــائـــقَ العيس إلى الشـــآم   مُـــدَّرِعـــاً مَطـــارفَ الظَّـــلامِ[2]

حـطَّ فيهـا على مبـاشري حلب وأغرى النّـاصر بمصـادرتهم ، وقـد اشتهر أمرهـا ، وأسْكر الأسماعَ خَمْرُها .

ولم يزل بدمشق[3] على حاله إلى أن رُمي لَسَنُه[4] بالبكم ، وقاده رسنه إلى مـا قضـاه الموت عليه وحكم .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستٍّ وتسعين وست مئـة وهو في عشر الثمانين ، ودفن في داره .

١٧٩ ـ أحمد بن محمد بن علي بن يوسف*

ابن ميسّر ، الصّاحب عـزّ الـدّين المصري ، ولي النظر على النظّـار بمصر والشّـام وغيرهما ، وتولّى نظر الأوقاف بدمشق .

(١) (أ) : « وله » .
(٢) في عقد الجمان :

يــا ســـائـق العيس إلى الشـــآم   وقـــاطـع الـــوهــــاد والآكام
مــــدّرعـــاً مطــــارف الظـلام   كبــــــارق يلمــــع في غمـــــام

(٣) ليست في (أ) .
(٤) (أ) : « لسانه » .
* الوافي : ٨/٧٠ ، والدرر : ١/٢٨٧ .

ولم يزل في سؤدده وتعاظمه وتمرُّده إلى أن تَعَسَّر العيش على ابن ميسَّر ، وقلَّ جمعه وكسَّر .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوّل شهر رجب سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ومولده حادي عشري[1] شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وست مئة .

تولَّى نظر الدَّواوين بمصر ، ونظر الإسكندريّة ، ونظر دمشق ، ونظر طرابلس ، ونظر الأوقاف بدمشق والحسبة ، ومات وهو في نظر الأوقاف . وكان [فيه][2] محبّة لأهل الخير .

١٨٠ ـ أحمد بن محمد بن أبي القاسم*

ابن بَدْران ، الشَّيخ الفاضل شهاب الدِّين أبو بكر الكردي الدَّشْتي ـ بالدّال المهملة ، والشِّين المعجمة الساكنة ، وبعدها تاء ثالثة الحروف ـ الحنبلي المؤدِّب .

حضر في الثّانية على جَعْفَر الهَمَذاني ، وسمع من ابن رواحة وابن يعيش ، وابن خليل ، والنفيسي بن رواحة[3] ، وصفيّة القرشيّة[4] ، وابن الصلاح ، والضياء .

وتفرَّد وروى الكثير ، حدَّث بمصر (بمسند) الطيالسي ، ورُتِّبَ مُسْمِعاً بالدَّار الأشرفية ، ومُعَلِّماً بمكتب الطواشي ظهير الدِّين[5] ، وأكثر الطلبة عنه ، وخَرَّجَ له علم الدِّين البِرزالي مشيخةً ، وكان في الرِّواية يتعزز ، ويتحلَّى بالطلب ويتمَزَّز ، ويطلب نَسْخَ عدّةِ أجزاء لنفسه من السّامع ، ويرى أنَّ ذلك له كالقامع .

(١) (أ) : « عشر » .

(٢) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٨٢/٨ ، والدرر : ٢٩٢/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، والمنهل الصافي : ١٥٧/٢ .

(٣) أبو البركات محمد بن الحسين بن عبد الله بن رواحة (ت ٦٤٢ هـ) ، العبر : ١٧٣/٥ .

(٤) صفية بنت عبد الوهاب بن علي القرشية . (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٨٨/٥ .

(٥) مختار البلبيسي (ت ٧١٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل إلى أن انقلب دست الدَّشْتي ، وحار فيما نزل به الطبيبُ والمفتي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة أربع وثلاثين وست مئة .

١٨١ ـ أحمد بن محمد بن قُرَصة*

شهاب الدِّين بن شمس الدِّين الأنصاري .

هو من بيت مشهور بالصعيد ، منهم جماعة فضلاء رؤساء ، تفرَّد هذا شهاب الدِّين من بينهم بنظم القَرْقيّات[1] وجوَّدَها ، وأجراها على قواعد العذوبة وعوّدها ، يأتي بها كأنَّها باكورة زَهْر أو كأسُ زُلال جُلي على الظمآن من نَهْر ، خفيفةٌ على القلب لذيذةٌ على السمع لِمَا لَهَا في العقل من السَّلْب ، ونظم الشعر جيِّداً ، ودخل به في جملة الشُّعراء ، ولم يكن مُتَحيِّداً ، وذاق النَّاسُ منه كؤوسَ العلاقم ، وجَرَّعهم من هَجوه سُمومَ[2] الأراقم ، جاب الأقطار ، وجلبَ الأوطار ، ودخل الأمصار ، واجتدى بالمدح والهجو أفاتَ طَلَبَه أم صار ، وكان شيخاً كاد الدَّهرُ يحني صَعْدَته ويُري العيون هزَّته ورَعْدَته .

وكتب إليَّ أشعاراً غلت[3] عندي أسعاراً[4] ، منها :

مالي أرى الشعراء تكسبُ عاراً ... بهجائهم وتحمَّلوا أوزارَا

فلذاك طُفْتُ ببَاب كلِّ مهذَّبٍ ... وجعلتُ شعري في الكرام شعارا

مدحوا الأخساءَ اللِّئام فضيَّعُوا الـ ... أشعار لَمّا أرخصوا الأسعارا[5]

* الوافي : ٨٣/٨ ، والدرر : ٢٩٣/١ .

(١) جمع قَرْقيّ ، وهو نوع من الزجل يتضمن هجاءً وثلباً . العاطل الحالي : ١٠ .

(٢) (أ) ، (خ) : « سمّ » .

(٣) في الأصل : « علت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .

(٤) (أ) : « أسعارها » .

(٥) (أ) : « أشعارهم لما » .

وجعلت في حلب الشّمال إقـــامتي ... يـــا حبـــذا دارُ الكرام جِـــوارا
ولكم دعـــا مـــدحي نـوالَ معظّم ... فـــأبَتْ عُتُـوّاً عنــه واستكبـــارا
حتّى وجـدت لهـا إمـامـاً عـالـمـاً ... أوصـــافُـــه تستغرق الأشعـــارا
لـــولا صـلاحُ الـدّين لم أرَ جُلَّقـاً ... ولكنتُ مِمَّنْ جـــانبَ الأسفـــارا
أســـدى المكارمَ من أكفٍّ لم يـــزل ... مَعرُوفُهـــا يستعبـــدُ الأحرارا
وصنـــائعـاً غرّاً أفَـدْنَ منـــائحـاً ... عُـوْنـــاً ولَـــدْن مـدائحـاً أبكارا
فَـوَجَـدْتُ في إجْمَـالـه وجَمَـالـه ... مـــا يَمْـلأ الأسْماعَ والأبصـــارا
مـولًى غـدت يمنـاه يُمْنـاً لامْرئ ... يبغي نـوالاً واليســـار يســـارا
حلَّى الـزمـانَ وكان قِـدْمـاً عـاطـلاً ... وأعـــادَ ليــل الآملين نهـــارا
وحـوى معـاليَ في دمشـق قـديـمةً ... وحـديثُها بين الـورى قد سـارا[1]
بَلَغَتْ بـــه رُتَبـــاً فرُعن محلّـــةً ... أمْسَتْ نجـومُ سمائهـــا أقمـــارا[2]
زانت فضـائلُـه بـدائـعَ نظمهـــا ... كم مِعْصَمٍ أضحى يَـــزين ســـوارا
ومظفَّر الأقـــلام كم أردى بهـــــا ... ملكاً وخـــوَّف جحفـــلاً جرّارا
عجبـاً لهـا تجري بـأسـودَ فــاحمٍ ... يكسي الطروسَ ظـلامُـــه أنـوارا
تمضي بحيث ترى السيـوف كليلـــةً ... وتطـولُ حيث ترى الرِّمـاحَ قِصـارا
تجري بـواحـدهـا ثلاثُ سحـائب ... تحـوي الصـواعـق والحيـا المـدرارا
وتمـــدّه بـــالفضـل حين تمـــدّه ... ببـــديهـــةٍ لا تُتْعب الأفكارا[3]
إن رام نـائِلَـه العفـــاةُ أمـدّهـــا ... كرمـــاً وإن رام الخميسُ مُغَـــارا
مـــلأ الكتـــاب تهـــدّداً فكأنّما ... مـــلأ الكتـــاب أسنّـــةً وشفـــارا
تجني النّـواظرُ مِنْ محـاسنِ خطّـــه ... رَوْضـــاً ومن ألفـــاظـــه أزْهـــارا

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « مقيمة » .
(٢) (خ) : « قرعن » .
(٣) (أ) : « وتمدّنا بالفضل » .

خَـطٌّ رمـاحُ الخـطِّ من خُـدَّامـهِ ... إن رام ذِمْراً أو أعـزَّ ذِمـارا
وبـلاغَـةٌ تَضْحَى بـأدنى فقرةٍ ... تغني فقيراً أو تَقُـدُّ فَقـارا
ويشيمُ روّادُ النـدى من بِشْره ... بَرْقـاً ومن إحْسـانـه أمْطـارا
بِشْرٌ يبشّر بـالجميـل وعـادة الـ ... أزهـار أنْ تتقـدّمَ الأثمـارا
ونـدًى يعمُّ ولا يخصُّ كأنَّـهُ ... هـامي قِطـار طبَّـق الأقطـارا
يستصغر الأمرَ العظيم إذا عَرَا ... بعـزيـمةٍ تَسْتَسْهِـلُ الأوعـارا
ويردُّ غَرْبَ الحـادثـات مُغَلَّـلاً ... بسعـادةٍ تستخـدم الأقـدارا[١]
كم ذلَّلت صعبـاً وردَّتْ ذاهِبـاً ... وحَمَت أذلَّ وذلَّلت جَبّـارا
ولقـد عرفت النّـاس من أوطـارِهم ... سبحـان من خلـقَ الـوَرَى أطـوارا
يـا من عَرَفتُ بجـودِهِ وَجْـهَ الغنى ... حقّـاً وكنتُ جَهلتـه إنكارا
أغنيتني بمـواهبٍ مَـوْصُـولـةٍ ... لم تُبْـقِ لي عنـد الحـوادث ثـارا
لا زلتَ في عـزٍّ يـدوم ونعمـةٍ ... ترقى على شُمِّ الجبـال وقـارا

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك[٢] ارتجالاً :

يـا شـاعراً مـلأ الطروس نهـاراً ... وأسـالَ فيـه من الـدُّجى أنهـارا
لم تُهْـدِ لي نظماً بـديعـاً إنّما ... أهـديتَ لي فَلَكاً أراه مُـدَارَا
في كلِّ سَطْرٍ بُرج سعـدٍ ثـابتٌ ... تبـدو معـانيـهِ بـه أقمـارا
لا أرتضي بـالروض تشبيهـاً لـه ... إنّ الـزواهر تَفْضُـل الأزهـارا
قلَّـدتني منـه قـلادة مِنَّـةٍ ... تستـوقف الأسماعَ والأبْصَـارا
يغنى النـديم بـه فـإنّ قـوافيـاً ... فيـه تُـدِير لِمَسْمَعَيْـه عقـارا
وترى اللَّبيب إذا تعـاطى فَهْمَـه ... لم يـذكر الأوطـانَ والأوطـارا

---

(١) في الأصل : « مقللاً » ، تصحيف .
(٢) قوله : « عن ذاك » خلت منه : (أ) ، (خ) .

فكأنَّ ذاك الطرسَ وجْنَـةُ أغيـدٍ والسطْرَ فيه قد أسال عذارا
فاعذر شهاب الدِّين من تقصيره أضحى يُلَفِّق عندك الأعذارا[1]
أنا لا أُطيق جواب مَنْ أشعارُهُ تنهلُّ حين تَرُومُها أمطارا
وإذا جرى في حَلْبةٍ قَصَّرتُ عن غاياتهِ بل لا أشقُّ غُبارا
إنَّ الغديرَ وإنْ تعاظَمَ قاصرٌ عن أن يقاوِمَ بَحْرَك الزَّخارا
وكذا أخو النظم المزلزل ركنه لا يستكنُّ مع الجبال قَرَارَا[2]
فخذ القليل إجابة وإجازةً واعذر فمثلُك من أقال عثارا[3]
واعتدَّ إنَّك لم تزر في جلَّق أحَداً وإنَّك جئت تقْبس نارا[4]
فلأنت تعلم أنَّني لم أرضها لو أنَّ درهمها غدا دينارا
ما قَدْرُها مئة لو أنِّي سقتها إبلاً يكون حمولهنَّ بهارا

وكتب إليَّ قصيدة قطر الميزاب أوّلها[5] :

كم سَيفُ النظم أجرّده كم أُشْهِره كم أغمده
كم أنظم عِقْدَ جواهره في مدح كَريمٍ أقصده
كم أجمعُ من معنىً حسَنٍ وبيانُ الشَّرح يُقَيِّده[6]

وقد سقتها بمجموعها في كتابي (ألحان السَّواجع)[7] .

ولم يزل على حاله إلى أن أتى مرّةً من مصر ونزل بالتعديل ظاهر مدينة دمشق في

(١) في الأصل : « فلا عذر شهاب » .
(٢) في الأصل و (خ) : « أخا » .
(٣) في الأصل : « إجازة وإجازة » .
(٤) هذا البيت خَلَتْ منه (أ) .
(٥) ليست في (أ) .
(٦) في الأصل : « الشرع يسيده » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .
(٧) في الأصل : « كتاب ألحان الساجع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

بيت التحَفَةُ جدرانُه ، وتأنس به جردانه ، فنزلَ به ذباب السَّيف ، وعمل من دمه وَليمة لذباب الصَّيف ، وأصبحَ ورَأسُه قد بان عن جسده وطاح ، ودقيق ابن قُرصَة تذروه الرياح ، وكان مسكيناً يتحلَّب[1] أفاويق النَّدى ، ويحتلب[2] ببلاغته أهل زمانٍ لا يجدون على نار المكارم هُدًى ، إلاّ من كان يرتاح للامتياز[3] في عدّة[4] الامتياح أو تهزّه نغمَة العافين أو مدام المدّاح ، وقليلٌ ما هُم ، وقد بعد حماهم ، وكان المسكين يرمق عيشه على بَرَض ، ويمسي كالفارةِ في قَرض الأعراض بالقَرَض .

وكانت قتلته يوم[5] الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه بدر الدِّين حسن بن علي الغزّي[6] :

مات ابنُ قُرْصَةَ بعد طُول تَعَرُّضٍ ... للموت ميْتةَ شرِّ كَلْب نابحِ
ما زال يَشْحَذ مُدْيَةَ الْهَجو التي ... طلعت عليه طُلوعَ سعد الذابح
حتّى فَرَى وَدْجَيْه عبدٌ صالح ... عَقَرَ النطيحة عقْرَ ناقةِ صَالح
فَلْيَحْيَ قاتِلُه ولا شَلَّتْ يدٌ ... كَفَتِ المؤونة كفَّ كلِّ جرائحي

وقلت أنا فيه :

دع الهجو واقْنَع بما نِلتَه ... من الرِّزق لو كان دُون الطفيفِ
فَقَرْضُ ابن قُرْصَةَ عَمَّ الورى ... ورَاعَ الدنيَّ بَهَجْوِ الشَّريف
ومات ابنُ قَرْصَة من جُوعِه ... وشهوتُه عَضَّة في رغيف

(١) (أ) ، (خ) : « يحتلب » .
(٢) (أ) ، (خ) : « يختلب » .
(٣) (أ) : « للامتيار » .
(٤) ليست في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) : « في يوم » .
(٦) ستأتي ترجمته .

١٨٢ ـ أحمد بن مُحَمَّد*

فتح الدِّين بن البَقَقِيّ ـ بباء موحَّدة وقافين مفتوحات ـ.

كان مقيماً بالدِّيار المصريَّة يبحث ويناظر ويذاكر[١] بالفوائد المنتقاة ويحاضر، قَلَّما ناظر أحداً إلاّ قطعه وأتى به إلى مضيق التسليم[٢] ودفعه، إلاّ أنَّه مع ذكائه وحرصه في البحث وإعيائه[٣] كان يبدو منه من الاستخفاف ما لا يليق، ويَظْهَرُ منه في الظاهر ما لا يَحْسُن أن يكون في السرِّ من الجاثليق، حتّى ظهر أنَّه زنديق، وتبيَّن أنَّه مرتدٌّ عن الإسلام عن تحقيق؛ لأنَّه كان يستخفُّ بالشَّرع الذي شَهدَت العقول بحسن وَصْفِه، ويستهتر[٤] بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يَدَيْه ولا من خَلْفَه.

ولم يزل في جنونه ودَوَران مَنْجنونه، إلى أن أطاح سَيْفُ الشَّرع رَاسَه، وأطفأ ريح القتل نبراسه، وأصبح الفتح قُبْحا، وأورده الذَّبّ عن الدِّين القيِّم ذَبْحاً، ضرب القاضي المالكي عُنُقَه بين القصرين سَنَة إحدى وسبع مئة في شهر ربيع الأوَّل وطِيْفَ برأسه، وكان قد تكهَّل، ولَمّا ضرب رأسه بالسيف لم يمضِ السيف قَطْعَ رقبته، فتمّ حزَّ رقبته بالسكين.

وأخبرني جماعة بالقاهرة عن ابن المحفّدار أنَّه قال له يوماً: كأنِّي بك وقد ضربت رقبتك بين القصرين، وقد بقي رأسك معلقاً بجلدة، فكان الأمر كما قال.

ومن شعره:

---

* الوافي: ١٥٨/٨، وفوات الوفيات: ١٥٢/١، والبداية والنهاية: ١٨/١٤، والدرر: ٣٠٨/١، والشذرات: ٢/٦، والمنهل الصافي: ١٨٧/٢.

(١) (أ): «ويذكّر».

(٢) (أ): «التسليم له».

(٣) (أ): «واعتنائه».

(٤) (أ): «ويستهزئ».

جُبلتُ على حُبِّي لهـــا وألفتُـــهُ ولا بـــدَّ أن ألقى بـــه الله مُعْلِنَـــا
ولم يخلُ من قلبي هـواها بقَـدْرِ مـا أقـولُ وقلبي خـاليـاً فَتَمكَّنَـا[1]

قلت : يشير إلى قول القائل[2] :

أتـاني هـواهـا قبـل أنْ أعْرِف الهـوى وصـادف قلبـاً خـاليـاً فتمكّنـا

ومنه :

لحى الله الْحَشيشَ وآكليهـــــا لَقَـدْ خَبُثَتْ كما طـاب السُّـلاف
كما يصبي كـــذا تضني، وتُشقي كما يَشْفي وغـــايتهـــا الْحُرَاف
وأصغر دائهـــا والـــدّاء جَمّ بغـــاء أو جنـون أو نُشَـــاف

ومنه :

يـــا مَنْ يخـــادعني بـــأسهم مَكْره بسَـــلاسَـــة نَعُمت كلمس الأرقمِ
اعْتَـدَّ لي زَرَداً تضـايـق نسْجُـه وعليَّ فَـكُّ عُيـونهـا بـالأسهُم

ومنه ، وقد جلسَ عند بعض الأطباء ساعة فلم يُطعمه شيئاً ، فلَمّا قام قال :

لا تحسبـــوا أنَّ الحكيم لبخلـــه حمانا الغِذا ما ذاك عندي من البخل[3]
ولكنّـــه لَمَّـــا تيقّن أنّنـــا مرضنا برؤيـاهُ حَمَـانـا من الأكل[4]

ومنه :

أين المراتبُ في الـدُّنيـا ورِفْعَتُهـا مِن الـذي حـازَ عِلْماً ليس عنـدهم

(١) أوردها صاحب المنهل .
(٢) ينسب إلى المجنون ، ديوانه : ٢٨٢ .
(٣) في (أ) : « ولا » . والبيت من غير الواو مخروم .
(٤) (أ) : « لما تحقق » .

لا شـك أنَّ لنـا قَـدْراً رَأَوْه ومـا لمثلهمْ عنـدنـا قَـدْرٌ ولا لهم
هم الـوحـوش ونحن الإنس حِكْمَتُنـا تَقُـودهم حيثمـا شِينـا وهم نَعَمُ
وليس شيء سـوى الإهمـال يَقْطَعُنـا عنهم لأنهم وِجْـدَانُهم عـدم
لنـا المريحـان من علم ومن عـدم وفيهم المتعبـان الْجَهْـلُ والحشم[1]

قلت : كأنَّه نظم هذه الأبيات لَمَّا سمع أبيات الشَّيخ تقي الـدِّين بن دقيق العيـد رحمه الله تعالى ، وهي مِمّا أنشدنيه الحافظ أبو الفتح[2] ، قال : أنشدني لنفسه :

أهـل المراتب في الـدُّنيـا ورفعتهـا أهـلُ الفضـائـل مَرْذُولـون بينهم
فمـالهم من تَـوَقِّي ضِرِّنـا نظرٌ ولا لهم في تَرَقِّي قَـدْرنـا هِمَمُ[3]
قـد أنـزلـونـا لأنّـا غيرُ جنسهم منـازلَ الـوحشِ في الإهمـال عنـدهم
فليتنـا لـوقَـدِرْنـا أن نعرفهم مِقْـدارَهُم عنـدنـا أَوْلَـوْ دَرَوْهُ هم
لهم مريحـان من جـاه وفضـل غنى وعنـدنـا الْمُتْعِبَـان العلم والعَـدَم[4]

ومن شعر ابن البَقَقي :

الكُسّ لِلْجُحر غـدا مُعـانـداً في القِـدَم[5]
فـانظره يبكي حَسَـداً في كلِّ شهر بِـدَم

وما أحسن قولَ الحكيم شمس الدِّين محَّمد بن دانيال :

لا تَلُم البَقِّيّ في فعلـهِ إن زاغ تضليـلاً عن الحـقِّ[6]
لـوهـذَّب النَّـامـوس أخـلاقـه مـا كان منسـوبـاً إلى البـقِّ[7]

(١) (أ) : « ومن أدب » .
(٢) ابن سيِّد النَّاس .
(٣) (أ) : « ولا لهم مِنْ رقى في قدرنا » .
(٤) هذا البيت خلَتْ منه (أ) .
(٥) (أ) : « من القدم » ، ولا يستقيم . وفي الوافي : « من قدم » .
(٦) في المنهل : « البققي » .
(٧) كذا في (أ) ، والوافي ، والمنهل . وفي الأصل « الناس » ، ولا يستقيم بها الوزن .

وقَوْلَه فيه لَمَّا سجن ليقتل :

يظنُّ فتى البققي أنَّـــــــــه سيخلص من قبضـــــة المـــــالِكيْ
نعم ســـوف يُسْلِمـــــه المـــــالكيُّ قريبـــاً ولكن إلى مـــالِـــكِ

وقيل : إنَّه استغاث يَوْمَ قَتْلِه بـالشَّيخ تقيِّ الـدِّين بن دقيق العيـد ، وقـال : أنـا تردَّدت إليك أربعة أشهر لازمتك فيها ، هل رأيت منِّي شيئاً ممّا ذكر هؤلاء ؟ فقـال : ما رأيت منك إلاّ الفضيلة .

١٨٣ ـ أحمد بن محمد بن محمَّد بن هبة الله*

الشَّيـخ الإمـام العـالِم الكاتب الْمُفْتِي ، كال الـدِّين أبـو القـاسم بن الصـدر الكبير عماد الدِّين ابن القاضي الكبير شمس الدِّين أبي نصر بن الشِّيرازي الدمشقي الشافعي .

تفقَّه بالشَّيخ تاج الـدِّين الفزاري ، والشيخ زَيْن الـدِّين الفـارقي[(١)] ، وقرأ الأصول على الشَّيخ صفيِّ الدِّين الهندي[(٢)] ، وسمع من الفخر عَلِيّ[(٣)] ووالـدِه وغيرهمـا ، وحفـظ كتاب المزنيّ[(٤)] .

وتميَّـز وبَرَع ، وأخـذ في طلب التـدريس وشَرَع ، ودَرَّس بـالبـاذرائيَّـة في بعض الأوقات ، بالشاميَّة الكبرى مرّات ، ثم استمرَّ بتدريس الناصِريَّة[(٥)] مُدَّة ، وذُكر لقضاء

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبـداية والنهـايـة : ٧٥/١٤ ، وذيـل العبر : ١٩٠ . والـدرر : ٣٠٠/١ ، والـدارس : ١٥٧/١ ، والشذرات : ٩٥/٦ .

(١) عبد الله بن مروان (ت ٧٠٣ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) محمد بن عبد الرحيم (ت ٧١٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، العبرة : ٣٦٢/٥ ، والنجوم : ٣٢/٨ .

(٤) المشهور بـاسم « مختصر المزني » لإسماعيـل بن يحيى المـزني صـاحب الإمـام الشـافعي ، (ت ٢٦٤ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/٩ .

(٥) داخل باب الفراديس شمال الجامع الأموي ، أنشأها الملك النـاصر يوسف بن صلاح الـدين . الـدارس : ٣٥٠/١ .

الشّام في عِدّه ، وكان خيِّراً متواضعاً ، ديِّناً لأفاويق الرِّفاق راضِعاً ، حَميد النشأة ، جميل البدأة[١] ، خبيراً بالأمور ، ذَرِباً بأحوال الجمهور ، أثنى عليه قاضي القضاة بَدْرُ الدِّين محمّد بن جماعة ، وقاضي القضاة ابن الحريري ، وقالا للسُّلطان : يصلح للقضاء .

وكان فيه حياءٌ وسكون ومَيْلٌ إلى التخلّي ورُكُون ، حاققه مرّةً ابن جَملة[٢] بحضرَة الأمير سيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ وأراد مناظرته فتألّم ، وأضرب عنه وتحلّم ، وترك السّعي في الشاميّة لذاك .

وكان بَدِيعَ الكتابة ، جميع سهام[٣] أقلامه فيها للإصابة ، كتب الرَّيْحان والمحقّق ، وزادَ في ذلك على ابن البوّاب ودقّق ، وكان خَطُّه قيد النواظر ، ونزهةَ من يرتع في الرِّياض النّواضر ، كلُّ سطر كأنّه سُبْحَةُ جَوْهَرٍ راق نظمُها ، وفاق على الكواكب وَسْمُها .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بكمال الدِّين مُحاقه وفات إدراكه وإلحاقه[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة في ثالث عشر صفر ، ودُفِنَ بتربتهم .

ومَوْلِدُهُ سنة سبعين وست مئة .

---

(١) (أ) : « حميد النشاءة ، جميل النهاية والبداءة » .
(٢) يوسف بن إبراهيم (ت ٧٣٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) (أ) : « ولحاقه » .

١٨٤ ـ أحمد بن محمّد بن مُحَمَّد بن نصر الله*

القـاضي الرئيس جمـال الـدِّين التّميمي القـلانسيّ الـدِّمشقي ، وكيـل بيت المـال ، وقاضي العسكر ومدرِّس الأمينيّة والظّاهريّة وموقّع الدَّست .

روى عن [ابن][1] البخاري وبنت مكّي[2] ، وأذِنَ لجماعةٍ في الإفتاء .

كانَ جميل الشكل مليحَ العِمّـة ، بهيَّ الْمَنْظَر مُتَّسِع الهِمّـة ، وكتـابتُـه مثل الرّوضِ الـذي عَرْفُـهُ بـاسم ، أو العقودُ التي تَفْتَرّ عنهـا المبـاسِم ، يخـالـه النّـاظرُ سُطورَ رَيْحَـان أو حبابا قد كَلَّل لؤلؤه ياقوتَ خدٍّ من بنت الْحَان .

ولم يزل راقياً في بروج سُعُوده ، بـاقيـاً في اقتبـال صعوده ، إلى أن هتفَ بـه داعي حَتْفِه ، وفَرَّق بينه وبين أُلاَّفه وإِلْفِه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثـامن عُشْرَيّ ذي القَعْـدَة سنـة إحـدى وثلاثين وسبع مئـة ، وعاش نيِّفاً وستين سَنَة .

وبلغتنا وفاتُه ونحن مع الأمير سَيف الدِّين تنكز ـ رحمه الله تعـالى ـ على حِمْص ، فكتبتُ إلى ولده[3] القاضي أمين الدِّين[4] نظماً ونثراً :

أيُّ خطب أصْمَى الحشـا بنِبَـالـه ... حين رَاعَ الـوُجـودَ فَقْـدُ جمَـالـهْ
يـالَـدَمْـعِ الغَمَـام ينهـلّ حُـزنـاً ... ولنَـوْح الحِمام من فـوق ضـالـه[5]
أسْعِـداني فـإنَّ خَطْبِيْ جليـلٌ ... وأعينـا مَنْ لم تكـونـا بحـالـه

* الوافي : ١٢٥/٨ ، والبداية والنهايـة : ١٥٦/١٤ ، والـدرر : ٣٠٠/١ ، والـدارس : ١٤٧/١ ، والشـذرات ٩٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٤/٢ .

(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) زينب بنت مكي بن علي الحراني ، (ت ٦٨٨ هـ) ، الشذرات : ٤٠٤/٥ .

(٣) في الأصل : « والده » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « أمين الدين تعزية » . وفي الوافي : « أعزّيه » .

(٥) (أ) : « بالدموع الغمام » .

منها :

كيف لا يُظْلِمُ الـوجـودُ بمن كا ... ن الثريّـا معـدودةً في نِعَـالـهْ[١]
وإذا مـا النسيمُ أهـدى عَبيراً ... فَتّشِ الطِّيبَ تَلْقَـهُ من خـلالـهْ[٢]
وإذا مـا احتبي بِمَجْلِس حفـلٍ ... أطرق القـومُ هيبَـةً مِنْ جَـلالِـهْ
يـا جمـالاً مَضَى فـأوْرَثَ وجـه الـ ... ـدَّهر قُبْحـاً لمـا ارتضى بـزَوَالِـهْ
ولعمري مـا غـاب ليثٌ تَقَضّى ... وحَمى غـابَـهُ بَقَـا أشبـالِـهْ
أيّ شبـل أبقيت إذْ غِبْت عنّـا ... صَبْرُهُ للخطـوبِ من أحمـالِـهْ[٣]
وهـو عنـد الملـوك خَيْرُ أمينٍ ... قـد سَمَـا في الـوَرَى بِفَقْـدِ مِثَـالِـهْ
وإذا أتحف الأعـادي بـدَرْجٍ ... كان قَطْـعُ الأعمـار في أوصـالِـهْ
أيُّهـا الفـاضـل المهـذَّب لا تجـ ... ـزع لـذاك الجليـلِ عنـد انتقـالِـهْ[٤]
كلّنـا في المُصَـابِ رَهْنَ التـأسّي ... بـالنَّبيِّ الكَريم والغُـرِّ آلِـهْ

١٨٥ ـ أحمد بن محمد بن محمّد*

الشَّيخ زين الـدِّين بن المُغَيْـزِل الحمـوي الخطيب ، أبـو عبـد الله بن الشَّيـخ تاج الدِّين خطيب الجامع الأسْفَل .

سمع من شيخ الشُّيوخ شرف الدِّين عبد العزيز .

لم يزل في مَرقى[٥] دَرَج منبره ، وإلقـاء العقود النفيسَة من جوهره ، إلى أن سكت فما نَبَسْ ، ونزل من مِنْبَره إلى الأرض وارْتَمس .

(١) (أ) ، والوافي : « لمن كان » ، وفي (أ) : « من نعاله » .
(٢) (أ) : « فَقِس الطيب » .
(٣) (أ) : « إذ سِرْت » .
(٤) في الوافي : « الخليل » .
* الوافي : ١٢٤/٨ .
(٥) ليست في (أ) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست مئة .

قال شيخنا علم الدِّين البِرْزَالي : أجاز لنا من حماة ، وكان قد سمع من شيخ الشُّيوخ شرف الدِّين عبد العزيز (جُزْءَ) ابن عَرَفَة .

١٨٦ ـ أحمد بن محمد بن أبي الحزم مكّي*

القاضي نجم الدين القَمُولي ـ بالقاف المفتوحَة وضم الميم وبعدها واو ساكنة ولام ـ .

من الفقهاء الفضلاء والقضاة النبلاء ، وافرُ العقل ، جيِّدُ النقل ، حَسَنُ التصرُّف ، دائمُ البِشر والتعرُّف ، له دِين وتعبُّد ، وانجماعٌ عن الباطل وتفرّد .

قال الفاضل كمال الدِّين جعفر الأدفوي : قال لي يوماً : لي قريبٌ[(١)] من أربعين سَنة أحكم مَا وَقَع لي حكم خطأ ، ولا أَثْبَتُّ مَكْتوباً تُكُلِّم فيه أو ظهر فيه خلل .

سمع من قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة وغيره ، وقرأ الفقه بقوص وبالقاهرة ، وقرأ الأصول والنحو وشَرَح (الوسيط) في مجلدات كثيرة ، وفيه نُقُولٌ غزيرَة[(٢)] ، ومباحثُ مفيدة سمّاه (البحر المحيط) ، ثم جرَّد نُقُوله في مجلَّدات وسمّاه (جواهر البحر)[(٣)] ، وشرح (مقدّمة) ابن الحاجب في مجلدتين ، وشرح (الأسماء الحسنى) في مجلَّد ، وكمَّل (تفسير) الإمام فخر الدِّين[(٤)] .

وكان ثقةً[(٥)] صدوقاً . تولّى قضاء قَمُولا عن قاضي قوص شرف الدِّين إبراهيم بن عتيق ، ثمَّ تولّى الوجه القبلي من عمل قوص في ولاية قاضي القضاة عبد الرحمن ابن

---

* الوافي : ٩٢/٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، وطبقات السبكي : ٣٠/٩ ، والطالع السعيد : ١٢٥ ، والدرر : ٣٠٤/١ ، والبغية : ٣٨٣/١ ، والشذرات : ٧٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٦٤/٢ .

(١) ليست في (أ) ، وهو في كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .

(٢) في الوافي : « عزيزة » . وكذا في الطالع السعيد ، والمنهل .

(٣) الكشف : ٢٠٠٨/٢ .

(٤) الرازي ، المسمّى (مفاتيح الغيب) ، وقد ذكره صاحب الكشف : ١٧٥٦/٢ .

(٥) ليست في (أ) .

بنت الأعَزّ[١] ، وكان قد قَسَم العمل بينه وبين الوجيه عبد الله السُّمرباوي[٢] ، ثمَّ تولَّى إخميم مرَّتين ، وولي أسيوط والمنية والشرقيّة والغربيّة ، ثم نابَ بالقاهرة ومصر ، وتولّى الحِسْبَة بمصر ، واستمرَّ في النيابة بمصر والجيزة والحسبَة إلى أن توفي .

ودرَّس بالفخريّة بالقاهرة ، وكان الشَّيخ صدر الدّين بن الوكيل يقول : ما في مصر أفقهُ منه ، يقال : إنَّ أصله من أرْمَنْت .

ولم يزل يفتي ويَحْكُم ويدرِّس ويُصنِّف وهو مبجَّلٌ مُعَظَّم إلى أن غَرَبَ نَجْمُه ومُحِيَ من الحياة رَسْمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وولي نيابة الحكم بعده[٣] الشَّيخ نجم الدِّين بن عقيل البالِسِيّ ، وولي حُسبة مصر ناصر الدِّين فار السقوف .

١٨٧ ـ أحمد بن محمد بن أبي بكر*

ابن عماد الدِّين أبي الحرم مكّي بن مسلّم بن أبي الخوف المعروف بعكوك[٤] شهاب الدِّين .

كانت له مطالعات ، وعنده منها ابتداءات ومراجعات ، ويحفظ للمتأخرين شيئاً عظيماً ، ويُوْرِدُ لهم من جواهرهم عِقْداً نظيماً ، وكان لا اشتغال له ولا عِلْمَ عنده من غير المطالعةِ وتَصَفُّح الدَّواوين الناصعة ، وهو جيِّد النَّقد في القريض ، عارفٌ بما هو صحيح منه أو مريض . وجمع من شعر المتأخرين مجاميع ، وقَصَرها دوت القصائد على المقاطيع .

(١) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٤٣١/٥ .

(٢) في الطالع السعيد : « السمربائي » .

(٣) (أ) : « بعده بمصر » .

* الوافي : ١٦٠/٨ ، والدرر : ٢٥٢/١ .

(٤) في الوافي : « عوكل » .

وكان له وَقْفٌ يُحَصِّلُ منه في الصَّيف ما يكون له مؤونة في الشِّتاء ، وكان في[1] غالب السنين يصيِّف في الشّام ويُشتّي في مصر ، إلاّ أنَّه كان متمزِّقاً إلى الغاية ، متخرِّقاً في نهاية ، يكابد شدائد الفَقْر ، ويَصبر من القلَّة[2] على ما لها في حاله من العَقْر ، قد زَوَتْه الحشيشة في حُشّ ، ورَوَتْه من الطيش في طشٍّ .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الطاعون فغسله في جملة ذلك الماعون ، وذلك في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة بدمشق في مستهل شهر رجب ، وكان له من العمر تقريباً أربعون[3] سنة .

أنشدني من لفظه لنفسه :

نـاظرُ الجـامـعِ الكبـ ـيرِ ظَلـومٌ إذا قَـدَر[4]
ابْلَـهُ رَبٌّ بـالعَمَى وأَرِحْـهُ مِنَ النَّظَرْ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

قُلْتُ لَـهُ إذْ بَـدَا وطَلْعَتُـه قـد أشْرَقَت فـوق قـامَـةٍ تـامَّـهْ
هَبْ لي منـامـاً فقـال كيف وقـد رأيت شمس الضحى على قـامـهْ

قلتُ : هُوَ مأخوذ من قول شمس الدِّين التلمساني :

بـدا وَجْهُـهُ من فـوقِ أسْمَرِ قَـدِّه وقد لاح من سُودِ الـذَّوائب في جُنْحِ
فقُلْتُ عجيبٌ كيف لا يذهب الدُّجا وقد طَلَعت شمسُ النَّهارِ على رُمْحِ[5]

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « العلّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) (خ) : « العمر نيّفاً وأربعون » .
(٤) (أ) ، (خ) : « اقتدر » .
(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يذهب » .

وأنشدني من لفظه[١] في العايق[٢] الطَّباخ :

قــد غلب العــايــق في قَــوْلِــه لَمّـا أتى الطـاعـونُ بـالحـادث
قحيَّتي تُقْتَـل من يـومهـا وأنت في يـومين والثـالث[٣]

وكتب إليَّ ونحن بالقاهرة :

أيـا فـاضـلاً سـاد الـورى بفضـائـل تَنَـاهت فـا أضحى لَهُنَّ بـديـلُ[٤]
تَقَمَّصتَ ثـوبَ العلم والحلم والنَّـدى فـأنت صـلاحٌ للـورى وخليـلُ
ولستَ خليـلاً بـل خليجـاً لـواردٍ غَلِطْتُ فسـامحني فنَيْلُـك نِيـلُ

فكتبتُ أنا الجواب إليه :

أيـا ابن أبي الخـوف الـذي أَمِنَتْ بـه طرائـقَ نَظْمٍ واستبـانَ دليـلُ[٥]
لقـد فُتَّ غـايـات الأُولى سبقـوا إلى نهـايـاتِ فضـلٍ مـا إليـه سبيـلُ
فـأنت على هـذا الـزَّمـانِ كُثَيِّرٌ ورأيُـك في النَّظم البـديـع جميـلُ

١٨٨ ـ أحمد بن محمد*

شهاب الدِّين المعروف بالحاجبي ـ بحاءٍ مهملة ، وبعد الألف جيمٌ وباءٌ موحَّدة ـ . شابٌّ جنديّ ، ذهنه أمضى من الهنديّ ، يَتَخَيَّل[٦] المعنى الغامض ، ويورد اللَّفظ

(١) (أ) ، (خ) : « لفظه لنفسه » .
(٢) في الوافي : « ابن العائق » .
(٣) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في يومها » . وفي الوافي : « وذاك في .. » .
(٤) (أ) ، (خ) ، والوافي : « عديل » .
(٥) في الأصل : « سبيل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
* الوافي : ١٦١/٨ ، والدرر ٣١٢/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٨/٢ .
(٦) في (أ) ، (خ) : « يتحيل » بالحاء المهملة .

الْحُلْوَ لا الحامض ، مقاطيعه رائقة ، ومعانيه بالقلوب لائقة . اجتمعت به في سُوق الكتب بالقاهرة في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقولُ شَبِّه لنا جِيْدَ الرَّشا تَرَفاً ... يا مُعْمِلَ الفكر في نَظْمٍ وإنشاءِ
فظلّ يُجْهِدُ أياماً قريحتَهُ ... وشبّه الماءَ بعد الجهد بالماءِ

فقلت له : أطلقت الرشا ههنا ، ولو قلت : الرشا الذي سباني ، أو جيد معذّبي . لكان أقعد في التوطئة ، ثم أنشدته فيما بعد لنفسي :

أقول شَبِّه لنا كأساً إذا مزج الـ ... ساقي طلاها اهتدى في ليله السّاري
فظل يُجهد أياماً قريحته ... وشبّه النّار بعد الجهد بالنّار

فقال : إلاّ أنّني[1] أنا أتيت بالمثل السائر ، فأنشدته فيما بعد لنفسي :

أتى الحبيبُ بوجهٍ جلّ خالِقُه ... لما براه بلطف فتنة الرّائي
فلاح شخصُ عذولي وَسْطَ وَجْنَته ... فقلت شَبِّهْهُ لي في فرط لألاء
فراحَ يُجْهِدُ أياماً قريحته ... وشبّه الماء بعد الجهد بالماء

قلت : وأصل هذا المثل أنّ الوجيه ابن الذروي[2] دخل يوماً إلى الحمّام ومعه ابن وزير الشّاعر[3] ، فقال ابن وزير[4] :

لله يَوْمِي بحمّام نعمتُ بها ... والماءُ ما بيننا من حولها جارِ
كأنّه فوق شفّاف الرّخام ضحىً ... ماءٌ يسيل على أثواب قصّارِ[5]

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) علي بن يحيى (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٣) هو النجيب هبة الله ، الخريدة ـ قسم مصر : ١٤٣/٢ .
(٤) فوات الوفيات : ١١٣/٣ .
(٥) في الأصل وباقي النسخ : « فوق شقات » ، وأثبتنا ما في الفوات .

فقال ابن الذَّرَوِي[١] :

وشاعرٍ أوقدَ الطبعُ الذكيُّ له ... فكاد يحرقه مِنْ فرط إذْكاء
أقام يُعملُ أياماً قريحتَهُ ... وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وكان هذا شهاب الدِّين الحاجبي كثيراً ما يتَّبع كلامي ، ويقصد إصابةَ مراميْ ولَمّا سمع قولي قديماً[٢] :

قالتْ لأيْرَي وَهْوَ فيها ضائعٌ ... كالْحَبَل وَسْطَ البير إذ تُلْقيه
قد عِشْتَ في كسٍّ كبير قلت ما ... كَذَبَتْ لأنَّ الكاف للتشبيه[٣]

قال هو واختصر وأجاد :

رُبَّ صغيرٍ حين ولَّفْتُه ... أيْقَنْتُ لا يدخل إلاّ اليسيرْ
ألفيته كالبير في وُسْعِه ... حتّى عجبنا من صغيرٍ كبير[٤]

وكذا لَمّا سمع قولي :

يا طيب نشر هبّ لي من نحوكم ... فأثار كامِنَ لَوْعَتي وتهتُّكي[٥]
أدّى تحيتكم وأشبه لطفكم ... وروى شذاكم إنّ ذا نشر ذكي[٦]

نظمه أيضاً فقال :

لا تَبْعثوا غير الصَّبا بتحيّة ... ما طاب في سمعي حديثُ سواها
حفظتْ أحاديثَ الهوى وتضوَّعتْ ... نَشْراً فيالله ما أذكاها

(١) انظر : الفوات : ١١٢/٣ .
(٢) البيتان في الغيث المسجم : ٢٣٧/٢ .
(٣) في الأصل : « لا كذبت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والغيث .
(٤) في الأصل : « في وسطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي والمنهل « من أرضكم » .
(٦) (أ) ، (خ) : « أدى محبتكم » ، وفي الوافي والمنهل : « وحكى شذاكم » .

ولَمّا أنشدنيها قلت له : إلاّ أنّك نقَصتها[1] صفةً عمّا وصفْتَها به ، فاعترف .

ولم يزل الحاجبي على حاله إلى أن ذَهَبَتْ عَيْنُه وأثَرُهْ ، وأقام في لحده إلى أن يشقّه الله يوم القيامة ويبعثِرُهْ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وأنشدني الشّيخ ناصر الدِّين محمّد بن يعقوب الْمُكَتِّب المصري من لفظه ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدِّين الحاجبي ، رحمه الله تعالى :

قيـــــل لي إذ لثمت وَرْداً على الخـ ـــد جنيّــاً من دونـه الجلّنـــارُ
هـل لـورد الخدود يـا صـاحِ شـوكٌ مثــل وردِ الريــاض قلت العــذار

وبه قال : أنشدني :

عــــــــودوا لصبٍّ بكى عليكم يـــا جيرةً وَدَّعــوا وســـاروا
فَـــدَمْـعُ عَيْنَيْـــه عـــادَ بَحْراً وقَلْبُـــه مَـــالَـــهُ قرارُ

وبه قال : أنشدني :

ودَّعتهم ودمـــــــــــوعي على الخـــــــدود غِـــــزارُ
فـــــاستكثروا دَمْـــعَ عَيْني لَمّـــا استقلّـــوا وســـاروا

وبه قال : أنشدني :

إلى الله أشكـــو من عليٍّ فـــإنَّني شرحتُ لـه شَـوْقي وفَرْطَ تـألُّمي
وأحـــوجني للغير بيني وبينـــه ويحتــاج مَنْ يَهْـوى عَلِيّـاً لِسُلَّمِ

وبه قال : أنشدني :

قُلْتُ هَـــــــلْ لي من دواءٍ قـــد غَـــدا جِسْمي عليـــلاً
قــــال تَسْلُـــو عن عَليٍّ قُلْتُ أمّـــــــا عَنْ عَلِيْ لا

(١) (أ) : « نقضتها » .

١٨٩ ـ أحمد بن محمد بن قلاوون*

السّلطان الملك الناصر ابن الملك النّاصر ابن الملك المنصور .

كان أحسنَ الأخوة شكلاً ، وأرْجَحهم ثباتاً في أوّل أمره وعقلاً ، شديدَ الباس ، مفرطَ القوّة من غير التباس ، ولم[1] يرَ أحدٌ ما اتّفق له من السَّعد ، ولا سمع أحدٌ بما[2] قُدِّر له من التَّعاسة فيما بعد ، ذهبت[3] أموال النّاس وأديانهم وأرواحهم بسببه ، وأجلسوه على كرسي الْمُلْك ، فما طلع في صُعُد شأنه حتّى انحطّ في صببة ، ولم يزل في خمول وخمود ، وجدود عُفِّرت منه الخدود ، وأنزلته بعد الثريّا إلى[4] أخدود ، إلى أن فرَّق الحسام بين جسده ورأسه ، ونقله بعد عزّ غابه إلى ذلّ كُنَاسه ، وما برح في محبّة[5] الكرك ، إلى أن وقع منها في وسط المعترك ، وكان في عالم الإطلاق فأوقع نفسه منها في الشَّرَك ، وحطَّه النّاس في دَرَج الملك فما أراد إلاّ أن يكون في دَرَك ؛ وذلك لأنَّ والده أخرجه في أوّل صباه إلى الكرك ، والنائبُ هناك الأمير سيف الدِّين ملكتمر[6] ـ رحمه الله تعالى ـ السّرجواني فأقام بها قليلاً ، وجهَّز إليه أخويه إبراهيم وأبا بكر المنصور ، فأقاموا بها إلى أن ترعرعوا ، وطلبهم والدهم فأقام إبراهيمُ وأبو بكر بالقاهرة ، وعاد أحمد إلى الكرك ، ثم إنَّه طلبَه إلى القاهرة ، وزوَّجه بابنة الأمير سيف الدِّين طاير بغا خال السلطان ، وأقام قليلاً ، وأعاده بأهله إلى الكرك ، فوقع بينه وبين الأمير سيف الدِّين ملكتمر السّرجواني ، فأحضرهما السلطان ، وغضب عليه والدُه ، وتركه

---

* الوافي : ٨٦/٨ ، والدرر : ٢٩٤/١ ، والبدائع : ٥٠٣/١/١ ، والنجوم : ٥٠/١٠ ، والمنهل الصافي : ١٥٨/٢ .

(١) (أ) ، (خ) : « لم » .

(٢) (أ) : « ما » .

(٣) في الأصل : « ذهب » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « في » .

(٥) (أ) : « محنة » .

(٦) في الأصل : « تذكز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

مقيماً بالقاهرة مُدَيْدَة[١] . ثم إنَّه جهَّزه إلى الكرك وحده[٢] بلا نائب ، فأقام بها إلى أن توفي والده[٣] ، ولم يسند الأمرَ بعده إليه ، بل أوصى بالْمُلْك للمنصور[٤] أبي بكر ، فقام بشتاك في ناصره ، وقام قوصون في ناصر أبي بكر ، وغلب قوصون على إقامة أبي بكر فأقام المنصور في الْمُلْك مدَّة شهرين ، وخلعه قوصون ، وأقام الأشرف كُجك وسيَّر[٥] قوصون يطلب النّاصرَ أحمد إلى القاهرة ، فلم يوافق ، وكتب في الباطن إلى نواب الشّام ومُقَدَّمي الألوف يستجير بهم ويستعفي من الرَّواح إلى مصر ، وأظهر الذّلة والمسكنة الزائدة ، فرقّوا له في الباطن وحملوا الكتب إلى قوصون خلا الأمير سيف الدِّين طشتمر حمّص أخضر ، فإنَّه رقّ[٦] في الباطن والظاهر ، فخرج على قوصون وتعصَّب لأحمد ، وكتب إلى نوَّاب الشّام وقام قياماً عظيماً على ما سيأتي في ترجمته ، وأمّا قوصون فإنّه لَمَّا[٧] وقف على كُتُبه إلى النوَّاب طلب الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وجهَّزه لحصار الكرك ، وجهَّز معه ألفي فارس ، فتوجَّه إلى الكرك وحَصَرَها أياماً ، ثمَّ إنَّه رقَّ لأحمد ، وبلغه أنَّ ألطنبغا نائب الشّام قد توجَّه بعسكر دمشق إلى حلب خلف طشتمر[٨] ، فترك حصار الكرك وجاء إلى دمشق وتسلَّمها ، ودعا النّاس إلى بَيْعَة أحمد ، وسمّاه النّاصر ، وجرى له ما جرى على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة قطلوبغا الفخري ، ولَمّا أن[٩] عاد ألطنبغا من حلب والتقاه الفخري وانهزم ألطنبغا إلى مصر وخامر عسكره عليه ودخلوا في ركاب الفخري إلى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وحَلَّف

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) انظر البداية والنهاية : ١٤/١٩٠ ، أحداث سنة (٧٤١ هـ) .

(٤) (أ) ، (خ) : « إلى الملك المنصور » .

(٥) في الأصل : « وصيّر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٦) (أ) ، (خ) : « رقّ له » .

(٧) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قوصون فلَمّا » .

(٨) في الأصل : « طتمر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٩) ليست في (أ) ، (خ) .

النّاس جميعاً لأحمد ثمّ إنّ الفخري جهّز[١] الأمير سيف الدِّين قماري وسليمان بن مهنّا وغيرهما من الأمراء[٢] إلى الكرك ، وقصد منه الحضورَ إلى دمشق ، فلم يحضر وتعلَّل بحضور طشتمر ، وكان قد تسحَّب إلى الرّوم ، وكتب النّاصر أحمد إلى الأمير سيف طقزتمر نائب حماة وإلى الأمير بهاء الدِّين أصلم نائب صفد وإلى مُقَدّمي الألوف بدمشق يقول لهم : إنّ الفخريَّ هو نائبي ، وهو يولِّي النيابات من يراه .

ولَمّا وصَل طشتمر من بلاد الرّوم إلى دمشق ، وكان أمراء مصر قد خرجوا على قوصون واعتقلوه في سجن الإسكندريّة ، بعث الفخريُّ وطشتمر إلى النّاصر أحمد وسألاه الحضور إلى دمشق ليَتَوَجَّها في خدمته بالعساكر إلى الدِّيار[٣] المصريّة ، فدافعهما[٤] إلى بعد مضيّ شهر رمضان[٥] ، وتوجَّه إليه أكابر مُقدَّمي الألوف من مصر مثل الأمير بدر الدِّين جنكلي وأمثاله ، وسألوه التوجُّه معهم إلى مصر ، فلم يوافق وعادوا خائبين ، وترك أهلَ الشام ومصر في حَيْرة بعدما حلف الجميعُ له ، ثم إنّه بعد ذلك توجَّه وحدَه إلى القاهرة ، ولم يشعر المصريون إلاّ وقد جاء خبرُه بوصوله ، وصعد إلى القصر الأبلق بقلعة الجبل ، ولَمّا وصل الخبرُ إلى دمشق توجَّه الفخري وطشتمر بعساكر الشّام وقضاته إلى مصر ، وكانت سنةً شديدةَ الأوْحَال كثيرة الثلوج والأمطار ، وجُبيت الأموال من كبارِ النّاس وصغارهم لنفقات العساكرِ ولعمل شعار المُلْك وأبهة السّلطنة ، فهلك النّاس .

ولَمّا وصلوا إلى مصر جلس النّاصر أحمد على كرسيّ المُلْك وإلى جانبه أميرُ المؤمنين الحاكم بأمر الله أبو القاسم أحمد[٦] ـ وقد مضى ذكره ـ وحضر قضاة مصر

(١) سياق العبارة في الوافي أنها جواب لـ (لَمّا) .
(٢) قوله : « من الأمراء » ، ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « بالديار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وما فيهما أنسب .
(٤) في الأصل : « فدافعها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) (أ) ، (خ) : « مضي شهرين » .
(٦) البداية والنهاية : ١٤/٢٠٠ .

والشام الثانية ، واجتمعت عساكر مصر والشام ، وعَهِد الخليفةُ إليه بحضور العالمين ، وحلف المصريون والشّاميون[١] ، ولم تتفق مثلُ هذه البيعة لأحد من ملوك الأتراك ، لاجتماع أهل الإقليمين في يوم واحد بحضور الخليفة ، وكان يوماً مشهوداً عظيماً .

ثمَّ إنَّه وَلَّى طشتمر نيابةَ مصر ، وقطلوبغا الفخري نيابةَ دمشق ، وإيدغمش أمير آخور نيابةَ حلب ، والأحمدي بيبرس نيابةَ صفد ، والحاج آل ملك نيابةَ حَماة ، والأمير شمس الدِّين آقسنقر نيابةَ غزّة ، ولَمّا فعل ذلك بهؤلاء الأكابر خافه النّاس وهابوه وأعظموا أمْرَه ، وبعد أربعين يوماً من ملكه أمسك طشتمر وأخذه معه إلى الكرك ، وبعث إلى إيدغمش بأن يُمْسك الفخريّ ، فأمسكه وجهَّزه إليه مع ابنه ، فلَمّا وصل[٢] به إلى الرمل جاء مِن عند الناصر أحمد مَنْ أخذه منه وتوجَّه به إلى الكرك ، وأخذ الناصرُ أحمد معه من مصر سائرَ الخيول الثمينة الجيِّدة التي في إصطبل السلطنة ، وجميع البقر والغنم التي بالقلعة ، وأخذ الذهب والدراهم وسائرَ الجواهر وما في الخزائن ، وتوجّه بجميع ذلك إلى الكرك ، وجعل الأمير آقسنقر السلاري نائباً بمصر ، وأخذ معه القاضي علاء الدِّين بن فضل الله كاتب السّر والقاضي جمال الدِّين جمال الكفاة ناظر[٣] الجيش والخاص وجعلها عنده في قلعة الكرك ، واستغرق هو في لهوه ولعبه وما سوَّله[٤] له الشَّيطان ، واحتجب عن النّاس مُطْلَقاً ، وسيّر من يمسك الأحمدي بصفد ، فلَمّا أحسَّ بذلك هربَ من صفد وجاء إلى دمشق ، وجرى ما سيأتي ذكره في ترجمة الأحمدي ، ثم إنَّه أحضر الفخري[٥] وطشتمر يوماً وضرب عنقيهما[٦] صَبْراً ، وأخذ حريمهما وسباهُنَّ وسلَّط عليهنَّ نصارى الكرك ، ففعلوا بهنَّ كلَّ قبيح ، فحينئذ نفرت منه

(١) ليست في (أ) .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) في الأصل : « وناظر » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) (أ) : « سوَّل » .
(٥) في الأصل : « أحضر الأحمدي الفخري » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٦) في الأصل : « عنقها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

القلوب ، واستوحش النّاس منه ، ولم يعد[1] يحضر من الكرك كتاب ولا توقيع بخطّ موقّع ، إنَّما يرد ذلك بخط نصراني يُعرف بالرّضي ، وإذا توجَّه أحد إلى الكرك لا يرى وجه السُّلطان ، وإنَّما الذي يدبِّر الأمورَ واحدٌ من أهل الكرك يعرف بابن البصّارة ، فماج النّاس لأجل ذلك في الشّام ومصر ، وجهّز المصريون إليه الأمير سيف ملكتمر الحجازي ليرى وجه السلطان ، فلَمّا بلغه وصوله جعله مقيماً بالصّافية أياماً ، ولم يستحضره ولا اجتمع به ، فرُدَّ على حاله إلى مصر ، فأجمع المصريون رأيَهُم على خلعه وإقامة أخيهِ إسماعيل مكانَه ، فخلعوه ، وحلفوا للصّالح إسماعيل[2] ، وحضر الأمير سيف الدِّين طقتمر[3] الصَّلاحي للبشارة إلى دمشق ، وحلَّف عساكر الشّام ، وكان يومُ خلعه يوم الخميس ثاني عشر[4] شهر الله المحرَّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وكان مدَّة ملكه بالقاهرة والكرك دون الأربعة أشهر .

ولَمّا استقرَّت الأحوال وثبت ملك الصّالح أمر بتجهيز العساكر من مصر والشّام لحصار الكرك ، فتوجَّه النّاس ، وكلَّما حضرت فرقة توجَّهت فرقة من مصر والشّام ، فيُجرح[5] من هؤلاء ومن هؤلاء ويقتل منهم جماعة ، وهلك النّاس أجمعون بسببه من التجاريد ، وسُخِّر النّاس لحمل الأتبان والشعير والمؤن للعساكر ، وجرِّ المجانيق والأثقال والسِّلاح وآلات الحصار من الدَّبابات وغيرها ، وطال الأمر ولم يبقَ أمير في مصر والشّام حتّى تجرَّد إليه مرَّة ومرَّتين .

قال لي الأمير بدر الدِّين جنكلي بن البابا رحمه الله تعالى الذي خصني على النّاصر في كلفة قدومه من التقدمة له ومن النفقة على التجاريد والتوجُّه إليه ألف[6] ألف

(١) ليست في (أ) .
(٢) البداية والنهاية : ٢٠٢/١٤ .
(٣) (أ) : « طيتمر » ، و (خ) : « طقزتمر » ، تحريف .
(٤) في الوافي : « ثاني عشرين » .
(٥) في الأصل : « فيخرج » ، تصحيف .
(٦) (أ) ، (خ) : « مبلغ ألف » .

وأربع مئة ألف ، وأُمسك بسببه جماعة من أمراء مصر ، ثم أُمسك نائب مصر السّلاري ، ووُسِّط الأمير سيف الدِّين بكالخضري ومعه جماعة من المماليك السُّلطانية ، وأمسك أخوه رمضان وأخوه يوسف ، وقضى الله أمره فيهما ، وأخذ أمرُ النّاصر أحمد في التّلاشي ، وهلك مَنْ عنده من الجوع ، وذَبح تلك الخيول الثمينة والأبقار والأغنام وقدّدها ، وضرب الذهب دنانير وخلط فيها الفضة والنحاس ، وكان يباع الدِّينار بخمسة دراهم ، وهرب النّاس من عنده .

ثمَّ إنَّ الأمير علم الدِّين سنجر الجاولي جدَّ في حِصَاره لأنَّه وقف يوماً من القلعة وسَبَّه ولعنه وشيخه ، فقال له : السّاعةَ أفرجّك كيف يكون الحصار ، ونقل المنجنيق إلى مكانٍ يَعرفه ، ورمى القلعة فوصل الحجُر إليها وأنكى فيها وخرَّب السورَ ، وطلع النّاس إليها وأمسكوه في يوم الإثنين ثاني عشر[1] صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة وجَزّوا رأسه ، وجهّزوه مع الأمير سيف الدِّين منجك إلى القاهرة .

وقلت أنا فيه :

أعوذ بالله مّما راح يعكسه الـ ... ـباري تعالى وما يُجري به الفلكا[2]

كأحمد النّاصر بن النّاصر انعكست ... سعوده عنه حتّى راح ما ملكا[3]

فما تمتع بالملك المعظم في ... مصر وزال وما أبقى له الكركا

١٩٠ ـ أحمد بن محمّد بن عثمان*

القاضي صَفيّ الدِّين بن قاضي القضاة شمس الدِّين الحريريّ الْحَنَفيّ ، وسيأتي ذِكْرُ والدِه في المحمّدين إن شاء الله تعالى .

(١) في الوافي : « عشرين » .
(٢) (أ) ، (خ) : « الباري ولله ما يجري به » .
(٣) (أ) : « فأحمد » .
* الدرر : ٢٧٩/١ ، والذيل التام : ١٥٣ .

كان هذا القاضي صفيّ الدِّين شكلاً ضخماً مفرطاً في السِّمَن يخطئ العاقل إذا جاء في الاستفهام عنه بـ (مَنْ) ، له نوادرُ مُضْحِكة مَا فَرِحَ بمثلها جُحا ، ومَتى سُمِعَتْ كان الثاني على الأوّل مُرَجَّحاً ، أعجوبةٌ من الأعاجيب ، وأحدوثة لم يُسمع بمثلها إلاّ وظُنَّ أنَّها من الأكاذيب ، يتداول النّاس أخبارَها ، ويتشوَّفون[1] إلى أن يَسْمَعُوا علماءَها بذلك وأحْبَارَها[2] ، إلاّ أنَّه كان يَنْطَوي على دِيَانَةْ ، ويجعل الخوفَ من ربِّه عِيَانَه .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّت به الدُّرَخْمين[3] ، وصدق في عدمه الْحَدْس والتخمين .

وتوفي رحمه الله تعالى في نهار السَّبت تاسع عشر شهر ربيع الأوَّل سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

كان مدرِّساً بالمدرسة الصَّادريّة بباب البريد بدمشق[4] ، وبيده ، على غالب ظنيّ ، إمامةُ الظاهريّة داخل دمشق للحنفيّة[5] .

طلبَهُ السُّلطان إلى مصر وولاَّه التدريس فقال والده : هذا ابني ما يصلح ، فقال السُّلطان : لِهذا الكلام أنا أولِّيه ، وألْبَسَهُ تشريفاً ، وأعاده إلى دمشق .

وله غرائبُ تُحْكَى عنه ؛ منها : أنَّه تأذَّى من بَغْلَةٍ كانت عنده يركبُها ، فقال للغلام : لا تعلِّق عليها شيئاً هذه الثلاثة أيّام ، فجاء إليه آخر النهار وقال : هذه البغلة إذا لم تأكل عليقها[6] تحمَرُ ، فقال له : علِّق عليها ولا تقل إنَّك قلت[7] شيئاً .

---

(١) (خ) : « ويتشوَّقون » .

(٢) في الأصل : « وأخبارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) هي الداهية .

(٤) أنشأها صادر بن عبد الله سنة (٤٩١ هـ) ، وهي أوّل مدرسة أنشئت بدمشق . الدارس : ٤١٣/١ .

(٥) في الأصل : « الحنفية » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، وهي أنسب .

(٦) « عليقها » ليست في (أ) ، ولعلّه يريد : تصبح حماراً .

(٧) في (أ) : « ولا تقل لها إني قلت » ، وأشار في الحاشية إلى ما وقع مثله في نسخة الأصل ، وفي (خ) : « ولا تقل إنك قلت لي » . وعبارة الدرر : « ولا تقل لها إني أذنت » .

ولامه بعض النّاس في كبرها وأن يستبدل بها ، فقال : لا والله هذه أشمُّ فيها[1] روائح الوالد ، يعني أنّها من خَيْله .

ومنها أنَّه كان في يوم طينٍ راكبَ البغلةِ وهو مارّ في الطريق ، فرأى قاضي القضاة نجم الدِّين بن صَصْرَى متوجِّهاً إلى الجامعِ الأُموي ماشياً ، فرجع بين يديه بالبغلة يحجُبه وهو يقول له[2] : يا مولانا ارجع حسبنا الله ، فيقول : الله الله يا مولانا قاضي القضاة ، ولم يزل حتّى وقع حافر البغلة في طين وفَقَس عليه ، فطلع من ذلك ما جعل ثياب قاضي القضاة شهرة[3] ، فقال له : ارجع يا مولانا فقد حصل المقصود .

ومنها أنَّ والده أحضر له شيخاً يقرئه النحو ، فلازمه مُدَّة ، فأراد والدُه امتحانَهُ يوماً ، فقال له : « قنديل » اسم أو فعل أو حرف ؟ فقال : فعل ، فقال[4] : لِمَ قلت إنّه فعل ؟ قال : لأنَّه يحسن دخول (قد) عليه . فقال له : كيف يكون ذلك ؟ فقال : لأنك تقول (قِد قنديل) يعني بكسر القاف مِنْ (قِد) يُريد فعل أمر من الوقيد .

ومنها أنَّه أراد أن يُشَغِّله في الحساب ، فأحضر إليه من يقرئه ذلك فقال له الشَّيخ : أحد في أحد أحد ، فقال هو[5] : لا نُسَلِّم ، أحدٌ في أحد اثنين . فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد أحد مرَّة واحدة ، فقال : نعم ، ظهر ، فقال الشَّيخ : اثنان في أحد اثنان ، فقال : لا نُسَلِّم . اثنان في أحد ثلاثة ، فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد بذلك أحد مرتين ، فقال : ظهر . فقال الشيخ : أحد في ثلاثة ثلاثة ، فقال : لا نسلم ، أحد في ثلاثة أربعة ، فقال الشَّيخ : يا سيِّدي المراد أحد ثلاث مرّات ، فقال : نعم ظهر ، ولم

(١) في الأصل : « منها » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أشبه .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) الشُّهرة : ظهور الشيء في شنعة .
(٤) (خ) : « فقال له » .
(٥) ليست في (أ) .

يزل الشَّيخ إلى أن قال : اثنان في اثنين أربعة ، فقال : هـذا مسَلَّمٌ ، فقـال لـه الشَّيخ : اثنان في ثلاثة ستّة ، فقال : لا نُسلِّم ، اثنان في ثلاثة خمسة ، فقـال الشيخ : يـا سيِّـدي المراد اثنان ثلاث مرّات ، فقـال : نعم ظهر ، فقـال الشَّيخ : اثنـان في أربعـة ثمـانيـة ، فقـال : لا نسلِّم ، اثنـان في أربعـة ستّـة ، فنفر الشَّيـخ وقـال : إنْ سلَّمت وإلاَّ ، الله[1] لا يُقَدِّر لك تسَلِّم ، ومضى وتركه .

ومنها أنَّه دخل يوماً إلى المدرسة الصّادرية ، فرأى الشَّيخ نجم الـدِّين القحفـازي[2] خارجاً من بيت الطَّهارة ، فقال له : يا مولانا آنستم مَحَلَّكم ، فقـال الشَّيخ نجم الـدِّين : قبحك الله .

ومنها أنَّه شكا لطبيب يوماً سمنه ، وما يجده من البَلْغَم ، فقال لـه : يـا مولانـا[3] تعانَ الرياضة كل يوم بُكْرَةً إمّا[4] أن تعالج بشيء ثقيل ، فقال : ما أقدر فقـال : خـذ قوسَ كُبّـاد ومُـدَّهُ كلَّ يـوم بكرة[5] عشرين ثـلاثين مرَّة ، فقـال : هـذه[6] نعم ، ومضى إلى[7] القوّاسين وطلب قوس كبّاد ، فأُحضر إليه ذلك ، فذاقه بلِسـانِـه وردَّه ، وقـال : هذا ما هو الغرض ، قيل له : لأيِّ شيء ، قال : ما هو حامض مثل الكبّاد .

وحكاياته كثيرة ، وهذا القَدْرُ منها كافٍ .

---

(١) ليست في (أ) .
(٢) في الأصل : « التحفازي » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته .
(٣) قوله : « له يا مولانا » ، ليس في (أ) .
(٤) كذا ، والأرجح أنه يريد : وإمّا .
(٥) ليست في (أ) .
(٦) (أ) ، (خ) : « هذا » .
(٧) ليست في (أ) .

١٩١ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن سليمان*

الواسطي الأصل الأُشْمُومي[١] المولد والدار، الشَّيخ الإمام الفقيه جمال الدِّين أبو العبّاس المعروف بالوَجيزيّ لحفظه كتاب (الوجيز) واعتنائه به .

كان من الفقهاء القدماء والأئمة الذين هم[٢] للعلم في اللَّيل والنهار من الندماء . تولَّى[٣] قليوب والجيزيّة ، ثمَّ ضَعُف عن الحركة لبرد الحرارة الغريزيّة ، فلزم بيته حتى فَنِيَ ذبولاً ، ولقي من الله تعالى قبُولاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وكان يَذْكُر أنَّه أسنُّ من قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة بسنةٍ أو سنتين ، ودفن بالقرافة .

١٩٢ ـ أحمد بن محمد بن عباس بن جَعْوان**

الشَّيخ الإمام الزاهد الورع شهاب الدِّين بن كمال الدِّين الأنصاري الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متقشِّفاً منقطعاً عن النّاس ، سمع الكثير بإفادة أخيه شمس الدِّين[٤] وحدَّث بـ (جُزْء) ابنِ عَرَفة عن ابن عبد الدائم ، وكان يكتب في[٥] الفتوى ، ويُعتمد عليه في نقل المذهب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة بالمدرسة النّاصريّة ، ودفن برّا الباب الصغير .

---

* الدرر : ١/٢٤٣ ، ووقع في (أ) : « أحمد بن محمد بن سليمان » .

(١) نسبة إلى أُشموم . قال ياقوت : « اسم لبلدتين بمصر » معجم البلدان : ١/٢٠٠ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : تولّى قضاء .

** الشذرات : ٥/٤٤٤ .

(٤) محمد بن محمد (ت ٦٨٢ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٧/٣٦٠ .

(٥) ليست في (أ) .

١٩٣ ـ أحمد بن محمّد بن قطّينة*

الشَّيخ الجليل العَدْل شهاب الدِّين الزُّرْعيّ التّاجر .

كان تاجراً مشهوراً بدمشق ، ذا أموال ومَتاجِر وسعادةٍ وبضائعَ في كلِّ صنف . ذكر أنَّه في سنة قازان بلغت زكاةُ ماله خمسةً وعشرين ألفاً ، والله أعلم بما تجدَّد له بعد ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه المعروف بالمدفع في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وكان في شهر ربيع الأوَّل سنة أربع عشرة وسبع مئة قد أُمْسِكَ هو وعبد الكريم الحريري لمرافعةٍ وقعت في حقهما وأنَّهما يكاتبان قراسنقر[١] ، وأنَّ لهما تجارةً في السلاح إلى البلاد الشرقيّة ، ثم ظهر كذبُ المرافع ، فقطع لسانه وعُزِّرَ ، ثم ضرب[٢] ضرباً كثيراً ومات وأُفرج عنهما . وفي سابع عشري ذي الحجّة سنة أربعِ عشرة وسبع مئة خُلِعَ على الصاحب عزّ الدِّين بن القلانسي[٣] باستمراره على نظر الخاص ، وعلى الصاحب شمس الدِّين غبريال بتولية الأوقاف المنصوريّة ، وعلى شهاب الدِّين بن قطّينة بوكالة الخواص السُّلطانيّة .

١٩٤ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن علي**

ابن محمَّد بن سليم الصّدر الرئيس الفاضل شهاب الدِّين بن قُطب الدِّين بن الصّاحب تاج الدِّين بن فخر الدِّينِ بن الصّاحب بهاء الدِّين بن حَنَّا الشّافعي العَدْل .

* البداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٩٢ ، والدرر : ٢٩٤/١ .
(١) الأمير شمس الدين الجوكندار المنصوري (ت ٧٢٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٢) (أ) : « وضُرِبَ » .
(٣) حمزة بن المؤيَّد بن القلانسي الدمشقي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .
** لم نقف على ترجمة له .

كان فاضلاً رئيساً كبيرَ الهِمَّة نفيساً ، مليح المحيّا من بيتٍ يتضوَّع في السِّيادة ريّاً ، حسنَ العبارة جميلَ الشّارة لطيفَ الإشارة . لم يزل إلى أن حَنَّ الموتُ إلى ابن حنّا ، وجعل جَسَده في البلى شنّاً .

وتُوفّي رحمه الله تعالى في عاشر جُمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ودفن عند أهله بالقرافة ، وكان في عُشْر الأربعين .

١٩٥ ـ أحمد بن محمد بن إسماعيل الإربلي*

الشَّيخ شهاب الدِّين المعروف بالتعجيزي ، لأنَّه كان يحفظ (التعجيز) ، وحفظ شيئاً من الحديث وعلومه ، ومعه خطوط الأشياخ بذلك .

كان نوعاً غريباً وشخصاً عجيباً ، وعَقْلُه أعجبُ من كُلِّ عجب ، وشعره كما قيل في المثل : « ترى العَجَبَ في رَجَب »[١] ، ألفاظ لا يقدر الفاضل الذكيُّ على[٢] أن يأتي لها بنظير ، ولا يتكلَّف البارع النحرير على أن يجيء بمثلها إلاَّ إن كان في باشة[٣] وزنجير ، شعرٌ ليس فيه غيرُ الوَزْن ، وألفاظٌ ما تحدَّثَ بها أهلُ سَهْلٍ ولا حَزْن ، فإذا أنصف العاقل وفكَّر فيه جدَّ الفكرةِ عَلِمَ أنَّ هذا في الوجود فَذّ ، وهو ممّا ندر وجوده في العالم وشَذّ ، وهذا لو لم يكن طباعاً منه بلا[٤] تكلُّف وسجيّة يوردها على رسله من غير تخلُّف ، لقدر الفضلاء على محاكاته وتكلَّفوا المشابهةَ له في بعض[٥] حركاته ، هذا مع صورة جَلَّ مَنْ خَلَقها ، ولحيةٍ ما ظلم مَنْ أخذ الموسى وحلقها ، رَأيْتُه مرّاتٍ عديدة ، ولقيته في مظاهرَ جديدة ، فما كنت أقضي العجب من كلامه ، وأتطفَّل على سلامه .

* الدرر : ١/٢٥٥ .

(١) أصل المثل : عش رجباً ترى عجباً . انظر الوسيط في الأمثال : ١١٩ .

(٢) ليست في (ا) .

(٣) كذا ، ولم نتبيَّن معناها .

(٤) (أ) : « لا » .

(٥) ليست في (أ) .

ولم يزل على حالـه إلى أن مرض مَرَضاً طويلاً وبقي مـدَّة يُرى عليلاً ، وهو مـع ذلك يتحامل وينعكس ويتخامل ، فأصبح وما أمسى ، وبطل من كلامه ما كان جَهْراً وهَمْساً .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عُشْرَي شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

أنشدني من لفظه الشَّيخ الإمام العالم العلاّمة صلاح الدِّين العلائي قـال : أنشـدنـا التعجيزيّ لنفسه[1] :

يـا سُنَّ يـا شيـعَ إنِّي بينكم وَسَـطٌ ... مُـذَبـذبٌ لا إلى هَـوُلا ولا ثَمَّـةِ
وفي القيـامـة في الأعراف منقعِـدٌ ... وانتظرْ منكُم مَنْ يـدخـل الْجَنـةِ
فـإنْ دخلتم فـإنِّي داخـلٌ مَعَكم ... وإنْ صُفِعْتُم فـإنِّي قـاعـد سَكِتِ

ومعنى هذه الأبيات أنَّه قال : ياأهل السُّنّة ويـا شيعـة أنـا في أمرى بينكم متوسِّط لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وفي القيـامـة أكون على الأعراف قـاعـداً ، فمن دخل الجنّـة دخلتُ معه ، ومن صُفِع منكم كنت في مكاني قاعداً ساكتـاً . فـأنت ترى هـذه الألفـاظ كيف أخـذهـا وبَتَر تراكيبها وغيَّر أبنيتها وجَعَلهـا من المهمـلات التي لا معنى تحتهـا ﴿ ويَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾ [النَّحل : ٨/١٦] .

وكان يحبُّ شخصاً فعمل فيه أبيـاتـاً وأوقف عليها الشَّيخ نجم الـدِّين القحفـازي ، وأوّل الأبيات :

أيهـا المعرضُ لا عَنْ سَبَبـا ... أصْلَحَـكَ اللهُ وصـالي الأربـا

فكتب له الشَّيخ نجم الدِّين ، ونَقَلت ذلك من خطِّه :

يـا شهـابـاً أهـدى إليَّ قريضـاً ... خـاليـاً مِنْ تَعسُّفِ الألغـاز
جـاءني مُـؤْذِنـاً برقَّـةِ طَبْـعٍ ... حين رشّحتُـه بـبـاب المجـاز
إن تكنْ رُمْتَ عنـه منِّي جـزاءً ... فـأقِلْني فلستُ مِمَّن يجـازي

(١) الأبيات في الدرر محرَّفة .

١٩٦ ـ أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

شهاب الدِّين ابن الشَّيخ الإمام أبي عمرو بن سيِّد النّاس ، أخو شيخنا الحافظ فتح الدِّين .

توفِّي رحمه الله تعالى بالمنكوتمريَّة بالقاهرة في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن عند والده بالقرافة .

ومولده منتصف شعبان سنة ثمانين وست مئة .

١٩٧ ـ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي الرقي**

الشّافعي الفقيه مُحيي الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين .

كان شابّاً فاضلاً[1] ، حَفِظَ عِدّة كتب ، وكتبَ جيِّداً ونظم الشِّعر ، وجلس بين الشُّهود ولم يُكْمِل ثلاثين سنة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى بالعذراويّة[2] في رابع عشر شهر جُمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٩٨ ـ أحمد بن محمد بن أحمد بن محمود بن الزقاق***

المقرئ القاضي بدر الدِّين بن الجوخي العارض بديوان الجيش[3] ، مسند الشام[4] .

---

* لم تقف على ترجمة له .

** لم تقف على ترجمة له .

(١) ليست في (أ) .

(٢) بحارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأتها عذراء بنت شاهنشاه بن أيوب ، الدارس : ٢٨٣/١ .

*** وفيات ابن رافع : ٢٨٣/١ ، ذيل العبر : ٣٦١ ، البداية والنهاية : ٣٠٢/١٤ ، الدرر : ٢٥٠/١ .

(٣) العارض هو الذي يستعرض فرق الجيش .

(٤) ولد سنة (٦٨٣ هـ) ، وتوفي سنة (٧٦٤ هـ) قبل للمصنّف بشهر واحد .

١٩٩ ـ أحمد بن محمد بن يوسف*

ابن محمَّد بن عبد الله الإمام شهاب الدِّين بن ناصر الدِّين ابن الإمام المحدِّث مجد الدِّين[(١)] بن المهتار الدمشقي .

سمع من شمس الدِّين بن أبي عمرو[(٢)]، وفخر الدِّين بن البخاري ، وابن الزّين ، وابن الواسطي ، ومن جماعة .

وكان يكتب كتابةً حَسَنة ، وجَوّد عليه الخطّ جماعة ، وكان يَشْهد تحت السّاعات ، ويؤمّ بالمجاهديّة المجاورة لباب الفراديس[(٣)] ، ويحضر دار الحديث مع الجماعة ، وعنده خير وسكون ومداراة واحتمال .

وتوفّي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرَّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وبلغ مِن العمر سبعين سنة .

٢٠٠ ـ أحمد بن مسلم بن أحمد**

ابن بعيثان البصروي ، الشَّيخ الإمام الفقيه العدل شهاب الدِّين أبو العبّاس الحنفي .

كان موصوفاً بالعَدالة والفضل الذي ما انثنى[(٤)] عن ربوعه ولا بداله ، حجَّ مرّاتٍ وفاز بالخيرات والمبرّات ، وكان يواظِبُ على الشّهادة[(٥)] ، وله إلى القضاة بالتَّردُّد عادَهْ ،

---

* الدرر : ١/٣٠٦ .

(١) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٥/٣٥٦ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبي عمرو » ، تحريف .

(٣) تعرف بالمجاهدية البرّانية ، أنشأها مجاهد الدين أبو الفوارس الكردي . الدارس : ١/٣٤٣ .

** لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ (أ) ، منه .

(٤) في الأصل : « ماأثنى » ، ولا وجه لها .

(٥) تطلق على من يشهد بمتعلقات الديوان نفياً أو إثباتاً ، أو على من يُثبت الأحكام . لدى القاضي في الكتب والسجلات ، وهي أقرب إلى عمل المحاماة في أيامنا هذه .

ودرَّس بالدماغيّة[1] في وَقْت ، وحَصَل له بها المِقَةُ لا الْمَقْت ، وكان كثيرَ الاشتغال والمطالعة والمبادرة إلى الأجوبة والمسارعة .

ولم يزل على حاله إلى أن حان حَيْنُه ، وآنَ أن يكون تحت الأرض أَيْنُه .

وتوفِّي رحمه الله تعالى سادس عشري ذي الحجّة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ومولده بالكَفْر من أعمال بُصرى سنة أربع وأربعين وست مئة .

وحدَّث عن القاضي شمس الدِّين بن عطا بأحاديثَ من (المسند) و (الغيلانيات) . قرأ عليه شيخنا البرزالي في طريق الحجاز لابنه محمّد بالزرقاء ، وبوادي القُرَى .

٢٠١ ـ أحمد بن محمود*

الإمام الأديب ، الكاتب البليغ ، النّاظم النّاثر كمال الدِّين أبو العبّاس بن أبي الفتح الشَّيباني الدِّمشقي ، المعروف بابن العطّار .

أجاز له ابن رُوْزبة ، وسمع من ابن المقيّر ، وأبي نصر بن الشِّيرازي ، والسَّخاوي ، وخُرِّجَتْ له مشيخة ، وسمعها الشَّيخ شمس الدِّين الذَّهبي ، وحدَّث بـ (صحيح البخاري) بالكرك بالإجازة سنة سبع مئة .

وكان ديِّناً وقوراً ، عارفاً بفنِّ التَّرسُّل خبيراً ، هو والقاضي محيي الدِّين بن فضل الله يكتبان الأسرار ويحفظانها من استراق الشَّياطين الأشرار ، يقرأان البريد ، ويُدَبِّران الأمر في دمشق بالرأي السديد . ولم يزل كذلك إلى أن تفرَّد القاضي

(١) داخل باب الفرج بنتها عائشة زوجة شجاع الدين بن الدماغ العادلي سنة (٦٣٨ هـ) . الدارس : ١٧٧/١ .

* الوافي : ١٦٧/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٢٥ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٧/١٤ ، وعقد الجمان : ٢٩٠/٤ ، وفيات (٧٠٢) .

محيي الدِّين بصحابة ديوان الإنشاء ، وهو كبير الديوان يجلس فيه كأنَّه كِسرى في الإيوان ، وخطّه يُزْرِي بالحدائق ، والمطالعةُ تروح إلى باب السلطان بخطّه كالريحان فوق الشقائق ، وكان قد أتقن كتابة المطالعة ، وعرف البداءة في ذاك والمراجعة ، وكتب النسخ من أحسن ما يُرى ، وأبرز سطوره كأنَّما قد رَصَّعه جَوْهَرا .

له[١] ردّ على (المعاني المبتدعة) لابن الأثير[٢] ، وله رسالة سمّاها (رصف الفريد في وصف البريد) ، نظماً ونثراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ورد النقصُ على كماله ، ورُدّ بَدْرُه إلى سِرار هلاله .

وتوفِّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته في ذي القعدة ثالث عشري الشهر المذكور من السنة المذكورة .

ومن شعره :

ولما بدا مُرْخَى الذوائبِ وانثنى ضحوكَ الثنايا مسبل الصَّدْغ في الخدِّ[٣]
بدا البدرُ في الظلماء والغُصْنُ في النَّقَا وزَهْرُ الرُّبا في الرَّوض والآسُ في الوردِ[٤]

أنشده يوماً القاضي مُحيي الدِّين عبد الله بن عبد الظاهر :

لا تنكرنّ على الأقلام إنْ قَصُرَتْ لها مساعٍ إذا أبْصَرْتَها وخُطَا
فعارضُ الطِّرْسِ في خد الطروس بدا من أبيضِ الرَّمل شيبٌ منه قَدْ وخطا[٥]

(١) (أ) : « كان له » .

(٢) نصر الله بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) ، وأشار مترجموه إلى كتاب له سمّوه : (المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء) ، فلعلّه المقصود .

(٣) في الوافي والمنهل : « مرسل » .

(٤) في المنهل : « والنقا » .

(٥) (أ) : « الخط في خد » . وفي الوافي : « فيه قد » .

فقال كمال الدِّين بن العطَّار :

أقلام فضلك ما شابَتْ ولا قَصُرَتْ   لها مساعٍ إذا أنصفتها وخُطَا
بل عارضُ الطِّرْس لَمّا شابَ عَنْبَرهُ   بعُشْبِهِ قيل شَيْبٌ فيه قدّ وَخَطَا

وكتب هو إلى القاضي محيي الدِّين بن عبد الظاهر :

سَقَى وحَيَّا اللهُ طيفاً أتى   فقمت إجلالاً وقبَّلْتُه
لشدّة الشّوق الّذي بيْنَنَا   قد زارني حقّاً وَقَدْ زُرْتُه[1]

فكتب الجوابَ عَن ذلك :

في النّوم واليقظةِ لي راتبٌ   عليك في الحالين قَرَّرْتُه
تَفَضَّل المولى إذا زاره   طيفي خيالي منه أنْ زُرْتُه[2]

٢٠٢ ـ أحمد بن محمود بن عبد السيد*

القاضي نظام الدِّين بن الإمام العلاّمة الشَّيخ جمال الدِّين الْحَصِيْري[3] الحنفي .

كان يدرِّس بالنوريَّة إلى حين وفاته[4] .

قال شيخنا علم الدِّين البِرْزَالي : لاأعرف له رواية . وناب مُدَّةً في الحكم بدمشق ، وكان يكتب في الفتاوى ، وله ذهنٌ جيِّد وعِبارَةٌ طَلْقَة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر المحرَّم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

(١) في المنهل : « وما زرته » .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، وأصل الوافي ، ورأى محقق الوافي أن تكون : (طيف) . وفي المنهل : « طيفي خيالٍ » .

* الوافي : ١٦٥/٨ ، والعبر : ٣٨٧/٥ ، والبداية والنهاية : ٤/١٤ ، والشذرات : ٤٤٠/٥ ، والمنهل الصافي : ٢١٠/٢ ، وعقد الجمان : ٤٧٣/٣ ، ووفيات (٦٩٨ هـ) .

(٣) في البداية والنهاية : الحصري ، وفي الشذرات : الحصير .

(٤) الدارس : ٤٧٦/١ .

٢٠٣ ـ أحمد بن محمد بن مري*

الشَّيخ الإمام الفاضل شهاب الدِّين البعلبكي .

كان في مبدأ حاله مُنحرفاً عن الشَّيخ تقي الدِّين بن تيميّة ، وممن يحطّ عليه ، فلم يزل به أصحابه إلى أن اجتمع به فمال إليه ، وأحبَّه ولازمه وترك كلَّ ما هو فيه ، وتلمذ له ولازمه مدّة ، وتوجَّه إلى الدِّيار المصريّة ، واجتمع بالأمير بدر الدِّين جنكلي بن البابا ، فأذن له في الجلوس والكلام على النّاس بجامع الأمير شرف الدِّين حُسَيْن بن جندر بحكر جوهر النّوبي ، لأنّ الأمير بدر الدّين كان النّاظرَ في أمر الجامع المذكور ، فجلس وتكلّم مدّة ، إلى أن تكلّم في مسألة الاستغاثة والوسيلة برسول الله ﷺ ، فمنعه قاضي القضاة المالكي[1] من الجلوس في سادس عشري شهر ربيع الأوّل سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ثمَّ إنَّه أُحضر بين يديّ السُّلطان ، وأُحضر بعد ذلك عند النائب في خامس شهر ربيع الآخر وحَبَسَه القاضي المالكي ، ثم غَلَّظ عليه ، وقيَّده ، ثم إنَّه ضربه نحو خمسين سَوْطاً في تاسع عشري جمادى الأولى ، وتسلَّمه والي القاهرة وأقام عنده يومين ، وسَفَّرَهُ هو وأهله إلى بلد الخليل عليه السّلام ، ثم إنَّه حَضَر وحده إلى دمشق في شهر رمضان من السنة المذكورة[3] . وكان قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة قد أثنى عليه هو والأمير بدر الدِّين جنكلي وغيره من الأمراء قدّام السُّلطان[4] .

٢٠٤ ـ أحمد بن مسعود بن أحمد**

ابن ممدود بن برشق ، شهاب الدِّين أبو العبّاس الضرير السّنهوري ـ بالسِّين المهملة

* الدرر : ١/٣٠٢ .
(١) تقي الدين الأخنائي ، كما في الدرر .
(٢) (أ) : « بين يدي » .
(٣) ثم انتزح إلى بلاد الشرق ، وأقام بسنجار وماردين إلى أن مات . ذكره ابن كثير في البداية والنهاية : ١٤/١١٧ .
(٤) كذا ختم المصنف الترجمة خالية من سنة الوفاة ، وأسلوبه فيها مخالف لما عرف عنه في تراجمه الأخرى ، وكذا لم يذكر سنة وفاته صاحب الدرر ، ولا ابن كثير .
** الوافي : ٨/١٧٩ ، والدرر : ١/٣١٦ ، ونكت الهميان : ١١٥ ، ووقع في الوافي بلفظ : (برسق) .

والنون والهاء والواو والرّاء ، على وزن منصور ـ المعروف بالمادح ، لأنَّه كان[١] يكثر من أمداح سيِّدنا رسول الله ﷺ .

اجتمعت به غيرَ مرّة عند الصّاحب أمين الدِّين[٢] في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالدِّيار المصريّة ، وكان قد أضرّت عَيْناه ، وجعلت قَلْبَه الذكي ميناه[٣] ، حُفَظَة لُفَظَة ، يتأثَّر بكلامه كلٌّ من وَعَظَهْ ، له قدرة زائدة على النَّظم ، والنَّفَس الذي يذوب له اللَّحم ، وينخر العظم من الالتزام الذي يأتي به ، ويبدع في أسلوبه ، فينظم قصيدة في كلِّ بيت منها حروف المعجم ، أو في كل بيت في كلِّ كلمة منه ضاد أو حرف ظاء ، أو غير ذلك من الحروف التي مالها في دور الكلام اعتضاد .

ولم يزل على حاله إلى أن سكن جلده[٤] التراب ، وفارق من يعزّ عليه من الأتراب .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

أنشدني من لفظه لنفسه :

إنْ أنكرتْ مُقْلَتَاكَ سفكَ دَمِي ... فوردُ خدَّيك لي به شاهدْ[٥]
يُجَرِّحُه ناظري ويشهد لي ... أليس ظلماً تجريحيَ الشاهدْ
أطاعك الخافقان تِهْ بهما ... قلبي المعنّى وقُرْطك المائد

قلت : هو من قول ابن سناء الملك :

[ملكتِ الخافقين فتُهْتِ عُجْباً ... وليس هما سوى قلبي وقرطِك][٦]

(١) ليست في (أ) ، (خ) .
(٢) عبد الله بن تاج الرئاسة القبطي الوزير ، وستأتي ترجمته .
(٣) تخفيف (ميناءه) .
(٤) (أ) ، (خ) : « خلده » .
(٥) سقطت « لي » من الأصلَ .
(٦) سقط من الأصل ، وهو ثابت في : (أ) ، (خ) ، والوافي . والبيت في ديوان ابن سناء : ٤٦٣ .

وأنشدني له :

يــــا من لـــــه عنـــــدنـــــا أيـــــادٍ تعجــز عن وصفهـــــا الأيـــــادي
فيـــــك رجـــــاءٌ وفيـــــك يـــــأسٌ كالحرِّ والبرد في الـــــزِّنـــــاد

٢٠٥ ـ أحمد بن المسلم بن محمد*

ابن المسلّم ، الأجلّ عزّ الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين بن علاّن القيسيّ الدِّمشقي .

سمع من أبي نصر بن الشِّيرازي ، وشيخ الشيوخ ابن حَمّوُيَه والسَّخاوي ، [وإبراهيم الخشوعي][(١)] ، ولم يُرَ لـه سماع من ابن اللَّتي ، ولا من ابن الزَّبيدي . وحفظ كتاب (التنبيه)[(٢)] ، وخدم في الجهات السُّلطانية ، ووَلِّي نظر بعلبك مرّات .

ولم يزل على حاله إلى أن هبط ابن علاّن إلى حضيض قبره ، ولحق بمن يعامله بلطفه وجَبْره .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

٢٠٦ ـ أحمد بن مظفر بن مزهر*

القاضي فخر الدِّين النّابلسي ، الكاتب المشهور أخو الصّاحب شرف الدِّين بن مُزْهر[(٣)] .

---

* الوافي : ١٨٠/٨ ، والوافي ، والمنهل الصافي : ٢١٦/٢ .
(١) زيادة من (أ) ، والوافي ، والمنهل .
(٢) في فقه الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي .
** الوافي : ١٨٢/٨ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٦ ، والدرر : ٣١٨/١ .
(٣) هو يعقوب ، وستأتي ترجمته .

رُتِّبَ أوّل الدولة المظفريّة قُطز مقابل[1] الاستيفاء بدمشق ، ولما ولي الأمير علاء الدِّين طَيْبُرس النيابة في أوّل الدولة الظّاهرية عزله وجعله ناظر بَعْلبك .

قال ابن الصُّقَاعي[2] : فحصل له من جهة الأمير ناصر الدِّين بن التبنيني[3] النائب بها صداع وإخراق[4] لأمر تعرَّض إليه بسبب الحريم ، وأرسله مُقَرَّماً[5] إلى النائب بدمشق ، وكان طَيْبُرس يكره بني مزهر من أجل نجم الدِّين أخيه لملازمة[6] علاء الدِّين البندقدار ، وكان طيبرس راكباً فلَمّا أقبل من الركوب ورآه أمر برَمْيه في البركة وأن يدوسه المماليك بأرجلهم وأن يحمل عشرة آلاف درهم ، ثم إنَّه عاد بعد ذلك إلى مقابلة الاستيفاء ورتَّبة الأفرم صاحب الديوان بدمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن مزهر وقد ذوى ، وأمسى فخره المُشْمَخر وقد هوى .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٠٧ ـ أحمد بن مظفر بن أبي محمد*

ابن مظفَّر بن بدر بن الحسن ، الشَّيخ الإمام الحافظ الثبت المسند الحجة شهاب الدِّين أبو العبّاس النابلسيّ الأشعري .

كان ثبتاً ، حافظاً متقناً تخاله بالدّر لافظاً ، متحرِّياً لا متجرِّياً ، متحلياً بالقناعة

(١) في الأصل : « معامل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) الكلام الآتي حتى آخره منقول ، من تالي وفيات الأعيان لابن الصقاعي بتصرف .
(٣) في الأصل : « البنسي » ، تصحيف .
(٤) الخرق : الشقّ ، وفي (أ) : « إحزاق » ، والحزق : الضعف والتضييق .
(٥) في الأصل : « مقدماً » ، تحريف ، والتقريم : الحبس .
(٦) في الوافي : « لملازمته » .

* وفيات ابن رافع : ٣٤١/١ ، وذيل العبر : ٣١٥ ، وطبقات السبكي : ٣١/٩ ، والدرر : ٣١٧/١ ، والذيل التام : ١٥٩ ، والشذرات : ١٨٥/٦ ، والدارس : ٤٢٦/١ .

عن الدنيا متخلياً ، لا يزاحم الناس في دنياهم ، ولا يسعى مَسْعاهم ، قد قنع من العيش بالبَرْض ، وتخيَّل[١] أنَّه قد ملك الأرض ، وكان لا يحدث إلاّ من أصوله ، ولا يتكل إلاّ على محصوره في محصوله ، وكان جَلْداً في أشعريّته ، مبالغاً في الانتصار لعقيدته ، قيل : إنَّه لم يحدِّث حنبليّاً ، ويرى أنه[٢] لوفعل ذلك كان بالذَّمِّ مليّاً ، وبه تخرَّجَ شيخنا الحافظ الذهبي ، ومنه أصبح[٣] في عِلْم الرواية وهو غير غبي[٤] ، على أن ابن مظفّر ما سلم من جَرْح الذهبي ولا طعنه ، وساقه في ركب مَنْ جَرَّحه وظَعَنه[٥] ، ورماه بما الله به عليم ، وتحمَّل من إثمه ما يثقله ﴿ يَومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُونَ إلاَّ مَنْ أتى اللهَ بِقَلبٍ سَليمٍ ﴾[٦] .

ولم يزل ابن مظفّر إلى أن علقت به أظفار شَعُوب ، وآذنَ شهابُه بعد الطلوع بالغروب .

وتوفي في العشر الأوسط من شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع ، وقيل : سنة خمس وسبعين وست مئة .

وتوفِّي رحمه الله تعالى ولم يكن عنده في بيته أحد ، ففُقِدَ بعد ثلاثة أيام وأربعة ، فَفُتح عليه الباب ودخلوا إليه[٧] ، فوجدوه ساجداً وهو ميِّت .

أخبرني نور الدِّين أبو بكر أحمد بن علي بن المقصوص الحنفي[٨] ، وكان به

---

(١) (أ) : « وتخيّل له » . والبرض : القليل .

(٢) قوله : « ويرى أنّه » ، ليس في : (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « أصبح غنياً » .

(٤) كذا ، وفي (أ) ، (خ) : « غني » .

(٥) في الأصل : « طعنه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) الشعراء : ٨٨/٢٦ .

(٧) قوله : « ففقد .. » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٨) لم نقف على ترجمته ، وأشار إليه ابن كثير في أحداث ٧٦٢ هـ ، البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ .

خَصيصاً ، قال : كان دائماً يقول : أشتهي أن أموت وأنا ساجد ، فرزقه الله ذلك ، وصُلّي عليه بالجامع الأموي في العشر الأواخر من شهر ربيع الأوّل .

وهو سبط الزّين[١] خالد الأشعريّ ، وكان قد سَمع من خَلْق كأبي الفَضْل بن عساكر ، وزَيْنَب بنت مكّي ، وعبد الخالق القَاضي ، وسمعتُ عليه أنا وولدي محمّد أبو عبد الله (جُزْء) ابنِ عَرَفة والمئة حديث انتزاع ابن عساكر من ثُلاثيات أحمد بن حنبل بقراءة مولانا قاضي القضاة تاج الدّين بن نصر عبد الوهاب السّبكي الشّافعي ، وأجازنا[٢] رواية ما يجوز له روايته .

وكان منجمعاً عن النّاس ، مجموعُ[٣] ماله في الشّهر ما يزيد على العشرين درهماً ، رحمه الله تعالى .

٢٠٨ ـ أحمد بن مكي قبجق*

الأمير شهاب الدّين ابن الأمير سيف الدّين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان من فرسان الخيل ، ومن أبطالٍ يزدحِمُون على المعارك ازدحام السيل ، لم يُرَ على ظهر الفرس أخفّ من حركاته ولا أسرعَ من انتقالاته ، كأنّما رُكّب من زئبق ، أو وُجد ليباري البرق ، وهو على كل حال يفوته ويَسبق ، وله أعمال عجيبة على ظهر الفرس إذا جَرى وانتقالاتٌ إذا رآها المحبّ تذكّر بها قول القائل :

ماذا على برق الْمُصَلّى لو سرى

وكان أعجوبة زمانه ونادرةَ أوانه إلى أن عمَّ السُّكونُ حركاته ، وجاء الأمر الذي لا نجاء من دركاته .

(١) (أ) ، (خ) : « ابن » ، تحريف .

(٢) (أ) : « وأجاز لنا » .

(٣) (أ) ، (خ) : « ومجموع » .

* لم نقف على ترجمة له ، وكذا خَلَتْ (أ) ، (خ) من ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد تاسع عشر ذي الحجّة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

كان شهاب الدِّين هذا على ما ذكر غيرُ واحد أنَّه يُصَفّ له ثلاثة أجمال أحمالها تبن ، وأنَّه يقف من هذا الجانب ويثبُ في الهواء فيتعدّاها إلى ذلك الجانب الآخر ، وأنّه كان يسوق الفرس فإذا كان في وسط جَرْيه وثب قائماً على السرج ثم يسلُّ سيفه ويضرب به في الهواء يميناً وشمالاً وخلفاً وأماماً ، ثمَّ يمسكه بين أصبعيه ، ويأخذ القوس ويوتره على ما قيل ، ويرمي به عِدّة سهام ، وهذا لم أره بعيني ، ولكنَّه حكاه لي غيرُ واحد ، وهذا أمرٌ خارق باهر ، سيأتي ذكر أخيه الأمير ناصر الدِّين محمَّد بن مكِّي قبجق في المحمّديّن .

٢٠٩ ـ أحمد بن منصور بن أسْطُوْراس*

بفتح الهمزة وسكون السين المهملة ، وضمّ الطاء المهملة ، وسكون الواو ، وراء بعدما[١] ألف وسين مهملة ، شهاب الدِّين المعروف بابن الجبّاس[٢] .

اجتمعت به في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل بالدِّيار المصريّة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وكان به صمم ، وأنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

إنْ قلَّ سمعي إنَّ لي ... فَهْماً تَوَفَّرَ مِنْهُ قِسْمُ
يدني إليَّ مقاصدي ... ويروقك الرَّمْحُ الأَصمُّ
ولَرُبَّ ذي سمع بعيـ ... ـدُ الفَهْم عيٌّ النطق فَدْمُ
زادوا على عيب التصا ... مُم أنَّهم صُمٌّ وبُكْمُ

* الوافي : ١٩٠/٨ ، والدرر : ٣١٩/١ ، وللمنهل الصافي : ٢٢٤/٢ .
(١) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) (أ) : « الحبّاش » ، تصحيف .
(٣) الأبيات في الوافي ، والأول والثاني منها في الدرر .

قلت : في البيت الثالث نظر .

وكان مقيماً بدمياط ، وهو خفيف الحركة ، جمُّ النشاط لأنَّه كان خطيبَ الوُرّادة ، يجيء إليها كلَّ جمعة ، ويخطب بها على العادَة ، ثم يعود إلى دمياط .

ولم يزل على حاله إلى أن صار ابن الجبّاس في الجبّان ، وانتقل إلى رحمة الملك الدَّيّان .

وتوفّي رحمه الله تعالى ...[١] .

وسألته عن مولده فقال : في سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأجاز لي بخطِّه ما يجوز له تسميعه ، وأنشدني من لفظه لنفسه يصف الموز[٢] :

كأنّما الموزُ في عراجِنِه ... وقد بَدَا يانعاً على شَجَرِهْ
فروعُ شَعْرٍ برأس غانيةٍ ... عُقِصْنَ من بعد ضمّ مُنْتَشِره
وفي اعتدال الخريف أحسن ما ... تراه في وَرْدِه وفي صَدره
كأنَّ مَنْ ضَمَّهُ وعَقَّصَهُ ... أرسلَ شُرّابَةً على أثَره
كأنَّ أشجاره وقد نُشِرَتْ ... ظلالُ أوراقه على ثَمره
حاملةٌ طفلَها على يَدِها ... تُظلُّه بالخِمَار من شَعره
كأنّما ساقُهُ الصقيلُ وقد ... بدت عليه نقوشُ معتبره
ساقُ عروسٍ أُميط مِيْزَرُها ... فبان وشيُ الخضاب في حِبره
يصاغ من جدولٍ خِلاخلها ... فتنجلي والنثارُ من زَهَره[٣]
حدائقٌ خَفَقت سناجقُها ... كأنّها الجيش أمَّ في زُمره

(١) كذا بياض في الأصول ، ووقع في مطبوعة الدرر أنَّه توفي في صفر سنة (٦٤٢ هـ) ، وهو سهو ، ولعلَّها (٧٤٢ هـ) كما في المنهل . وفي الوافي أنه أجاز للصفدي سنة (٧٣٣ هـ) .

(٢) الأبيات في الوافي ، والدرر .

(٣) (أ) : « فتنثني » .

زُهِي فَراق العيــــــونَ منظرُه　　فـــــا تمــلُّ العيــونُ مِنْ نظره
وكلُّ آيـــــاتــــه فبــــاهرةٌ　　تَبين في وِرْدِه وفي صَـــــــدَره
كأنّما عــمُره الحــقير حــكى　　زمــانَ وصـلِ الحبيب في قِصَره[(١)]
كأنَّ عُرجـــونَــــه المشيب أتى　　يخبر أنْ خـــانــه انقضـــا عُمُره
كأنَّــه البـــدرُ في الكمـــال وقـــد　　أُصيب بـــالْخُسف في سنــــا قَمره
كأنَّــه بعـــد قَطْعـــه وقـــد اصـ　　ـفرّ لمـــا نـــال من أذى حِجره
متيّمٌ قــــد أذابــــه كَمـــدٌ　　يبيتُ من وَجْـــدِه على خَطَره
معلَّـقٌ بـــالرَّجـــاء ظـــاهِرُهُ　　يخبرُ عمّـــــا أجنَّ من خَبَره
يطيبُ ريحـــاً ويُسْتلـــذُّ جَنىً　　على أذًى زاد فـــوق مُصْطَبره
كأنَّـــه الْحُرُّ حــــالَ محنتـــه　　يـــزيـــدُ صبراً على أذى ضَرره

قلت : قد تكرر معه لفظ (في وِرْده) و (في صدره) في موضعين وهو عيب جائز ، وفي بقيّة الأبيات لا يجوز من حيث العربيّة ، ولكن لهذه الأبيات ديباجة لحلاوة هذه القافية .

وأنشدني من لفظه لنفسه في رمّانة[(٢)] :

كَتَمتْ هَوىً قد لَجَّ في أشجـانهـا　　وَجَشَتْ حشاهـا من لظى نيرانهـا
فتَشَقَّقتْ من حُبِّهـــا عن حَبِّهـــا　　وجـداً وقـد أبـدى خَفـا كِتْمانهـا
رُمّـانـةٌ ترمي لهـا أيـدي النّـوى　　من بعـدمـا رُمَّت على أغْصـانهـا
فَاعْجب وقد بكت الدُّموعَ عَقَائقاً　　لا مِنْ محـاجرهـا ولا أَجْفـانهـا

ومن نظمه أيضاً ، والتزم الهاء الأولى ·

أفنيتُ مـاء الوجـه من طـول مـا　　أســألُ مَنْ لا مـاءَ فِي وَجْهِـــه[(٣)]

(١) (أ) ، والوافي : « القصير حكى » ، وهي أنسب .
(٢) الأبيات في الوافي .
(٣) (أ) : « أسلت ماء » .

أُنهي إليــه شَرْحَ حــالِي الــذي ... يـــاليتني متُّ ولم أُنْهِـــه
فلم يُنِلني كرمـــاً رَفْــدَه ... ولم أكـــدْ أَسْلَمُ منْ جَبْهِـــه
المــوتُ منْ دَهْرٍ جهـــابيـــذه ... ممتـــدَّة الأيـــدي إلى بُلْهِـــه

ومن نظمه أيضاً وقد اشتهر :

وقـائلـةٍ مـا بـالُ دَمْعِـك أسـوداً ... وقـــد كان مُحْمَرّاً وأنْتَ نحيـــلُ
فقلت دمي والـدمع أفنـاهمـا البكا ... وهـــذا ســوادُ الْمُقْلَتين يَسيـــل

وأنشدني من لفظه قطعةً خمَّس بها قصيدة شيخنا العلاّمة أبي الثناء في مدح سيِّدنا رسول الله ﷺ ، التي أوّلها :

هـذا اللِّقــاء ومــا شَفَيتُ غليــلا ... كيف احتيــالي إن عَـزَمْتُ رحيــلا

وكتب بخطِّه على كتابي (جنان الجناس) :

أتظنُّ قلبـاً منـك يـومـاً قـد خـلا ... وهــواك مــا بين الضلـوع تخلَّــلا
وكتـابـك البحر المحيط بفضـل مـا ... عَقَـد الجمــان معقــداً ومفصّــلا[1]
بهر العقــولَ جنـاسُـه فجنـانـه ... تُـدني جَنـاه يـانِعـاً ومـذلَّـلا
روض تفتَّـــقَ زَهْرُه وتكمَّـــلا ... أفُـقٌ تـــألَّـق بَـــدْرُه فتكمَّــلا
يهـدي المعـاني من مغـانيهـا التي ... غَنِيت فـــأغنت كلَّ فَهْم أمْحَــلا
إن قـــال غِرٌّ مثلـــه فيا مضى ... فلقـــد تـــأوَّل بـــاطـلاً وتَقـوَّلا
فليهني العليـــاء مـــا تجري بـــه ... أقـلامُــك الغرُّ اليــامنَــة العُـلاَ
وليهنئ القرطـــاس مـــا قلـــدتــه ... يــا ابن الكرام من المــآثر والْحُـلا
كتبتُ عليــه من الأفــاضـل ســادةٌ ... مَـدْحـاً يروق مُـدبَّجـاً ومُسَلْسَلا
ورأيتُ أنِّي عن مـــداهم قـــاصرٌ ... فَقَعَـــدْتُ ثم أتيتهم مُتَطَفِّـــلا

(١) لفظ البيت في (أ) : « المحيط مفضّل ، فضل الجمان معقداً ونحللاً » .

أين الثُّريّـــــا والثّرى أين السّهى   ممن سهـــا أين التَّـــداني والقــلا
دُم في سعـودك يـاخليـلُ فـلا خـلا   منــكَ المكانُ ولا سـلا عنــكَ المـلا

٢١٠ ـ أحمد بن مهنا بن عيسى*

الأمير شهاب الدِّين أمير آل فَضْل ، يأتي ذكر أبيه وإخوته في مكانهم .

لم يكن في أولاد الأمير حسام الدِّين مهنّا أَدْيَنَ منه ، ولا أكثر رجوعاً إلى الحقِّ فيما استفاض عنه ، وهو شقيق موسى وسليمان ، وكان يرجع في المعاملة إلى أمان وإيمان ، ويستدين على ذمته بلا حجة ولا رهن ولا أيْمان ، ويفي لمن عاهده ، ويعجب في أحواله من شاهده ، وكان يُباري الغمائم بكرمه ، ويجير الخائف في حَرَمه ، حُمِل إليه يوماً من أنعامه وهو في مشهد عثمان بالجامع الأموي بدمشق مبلغ سبعين ألف درهم ، ففرَّقها جميعها بعصىً في يده ، ولم يلمس منها درهماً في منتقاه ولا منتقده .

حكى لي حُمَيْد نائبه على سَلَمية[1] قال : لما جئنا في أيام الصالح إسماعيل إلى دمشق جاءه رجل ونصحه ، وقال له : إنَّ كتاب السلطان جاء إلى طُقُزْتُمر وفيه أنّه يمسك كلَّ من حَضَر من أولاد مهنّا ، ومتى دخلتَ أمسكك ، قال : فقلت له : يا أحمد لا تعبر دمشق ، وعُدْ[2] من ههنا إلى بيوتك[3] ، فقال : ما أروح ، والسلطان حَبْسُه ثلاثُ ليال ، والباقي بعد ذلك حَبْسُ الله ، ولا أعصي اللهَ ، ولا أعصي السُّلطان ، وإنْ أخذ خبزي أكلتُ من أملاكي ، وإن أخذ أملاكي بعت أباعري وخيلي وأكلت منها إلى أن أموت .

---

* الوافي : ١٩٧/٨ ، والدرر : ٣٢١/١ ، والمختصر في أخبار البشر : ١٥٤/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٢٥/٢ .

(١) قال ياقوت : « سَلَمْيَة بفتح أوّله وثانيه وسكون الميم .. بليدة من أعمال حماة .. ولا يعرفها أهل الشام إلاّ بسَلَميّة » . معجم البلدان : ٢٤٠/٣ ، وهي إلى الآن من أعمال حماة .

(٢) (أ) : « وارجع » .

(٣) قوله : « إلى بيوتك » ليس في (أ) .

قال لي أيضاً : وهو لا يتداوى من مرض يكون به ، ولا يأكل من أحد شيئاً فيتّهمه ، ولو قيل له : هذا طعام[١] مسموم تناوله منه ، وقال : « بسم الله » وأكله ، ولمّا ورد في آخر أيام الصالح سنة خمس وأربعين وسبع مئة في أحد شهري جُمادى أمسكه الأمير سيف الدّين طُقزتمر واعتقله بقلعة دمشق ، فبقي فيها مدّة ، ثمَّ إنّه نُقِلَ إلى قلعة صَفَد وأقام بها مُعْتَقلاً إلى أن توفي الملك الصالح إسماعيل ، وتولّى[٢] أخوه الكامل ، وطلب أحمد بن مهنّا إلى مصر ، وأعطاه الكامل إمرة آل فضل ، ولم يزل فيها إلى أن تولّى الإمرةَ سيف بن فضل ابنُ عمِّه في أيام المظفَّر حاجي[٣] ، ولمّا كان في آخر أيام المظفّر أعيدت الإمرة إلى أحمد بن مهنّا ، فتولاّها بعدما طُلب إلى مصر . ولم تزل الإمرة بيده إلى أن نزل به القضاء ، وضاق به الفضاء .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان ذكر لي أنّ مولده سنة أربع وثمانين وست مئة .

ووفاته بمنزلة كواتل[٤] ، ونقل منها إلى مشهد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند رحبة مالك بن طوق ، ودفن هناك .

٢١١ ـ أحمد بن موسى بن عيسى بن أبي الفتح*

أبو العبّاس البَطَرْني المالكي الأنصاري ، شيخ القراءات والحديث بتونس .

أخذ القراءات عن أبي محمَّد عبد الله بن عبد الأعلى الشُّبَارتي[٥] صاحب

---

(١) (أ) : « الطعام » .

(٢) في الأصل : « وتوفى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) حاجي بن محمد بن قلاوون السلطان ، وستأتي ترجمته .

(٤) في ياقوت : « الكواثل موضع في أطراف الشام » . معجم البلدان : ٤/٤٨٦ .

* الوافي : ٨/٢٠٤ ، والدرر : ١/٣٢٢ ، وغاية النهاية : ١/١٤٢ .

(٥) (أ) : « الشباري » ، تحريف .

ابن عون الله[(١)] ، وعن أبي بكر بن مَشْلِيون وطـائفـة . وروى عن صـالـح بن محمـد بن وليد ، ومحمّد بن أحمد بن ماجه[(٢)] ، وعليّ بن محمّد الكِنَاني[(٣)] .

وكان صالحاً مباركاً فاضلاً مشاركاً ، له صيت وسُمْعَة ولخشوعه تنفس ودَمْعَه .

ولم يزل على حاله إلى أن أتاه اليقين ودرج إلى المتَّقين[(٤)] .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة ، وتبرك الخلق بجنـازتـه ، وتوهموا أنَّهم في كنفه وحيازته .

٢١٢ ـ أحمد بن موسى بن محمد بن أحمد*

عزّ الدين بن قُرْصَة الفَيّوفي المولد القُوصيّ الدار .

تَوَلَّى نظر قُوص والإسكندريَّة ، وكان من تلاميذ الشيخ ابن عبـد السلام ، وكان قليلَ الكـلام ، بريئـاً من المـلام ، لا يتكلّم إلاّ بـإعراب ، ولا يـأنس إلاّ بمن هـو عـامر الباطن غَيْر خراب .

أمسكه الأمير علم الدِّين الشُّجـاعي واستحضره ، فقـال لـه : المـال ، قـال : مُبْتَـدأ بلا خبر ، فقال لـه : تعـال إلى هنـا ، قـال : أخـاف أن تضربني بهـذه العصـا التي[(٥)] في يدك ، فتبسَّم منه .

---

(١) أبو جعفر أحمد بن علي بن يحيى بن عون الله الداني ثم المرسيّ الحصار (ت ٦٠٩ هـ) ، السير : ١٦/٢٢ .

(٢) (أ) : « حامد » ، تحريف ، وابن ماجه هـذا هو : أبو عبـد الله المقرئ ، أشـار ابن الجزري في غـايـة النهاية : ٨٠/٢ ، إلى قراءة البطرني عليه ، إلاّ أنه لم يذكر سنة وفاته .

(٣) المرسي ، لم يذكر صاحب غاية النهاية سنة وفاته ، وأشار إلى قراءة البطرني عليه : ٥٦٤/١ .

(٤) (أ) : « محل المتيقن » .

* الوافي : ٢٠٥/٨ ، والدرر : ٣٢٣/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣٣/٢ ، والطالع السعيد : ١٤٥ .

(٥) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والمنهل .

وله كتاب سمّاه (نتف المحاضرة)[١] ، وله مسائلُ فِقْهيّة ونحويّة ولغويّـة وأدبيّـة ، ودرَّس بالمدرسة الأَقْرَميَّة ظاهر قوص .

ولم يزل على حالـه إلى أن أصبح تحت جندل وصفـائح ، وأقـام فيـه إلى أن تبعثر الضرائح .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره[٢] :

إذا تَـزَوَّجَ شيـخُ الـدّار غـانيـةً ... مليحـةَ القـدِّ تـزْهَى سـاعـة النظرِ
فقـد ترافـع في أحـوالـه وأتَتْ ... قـافُ القيـادةِ تستقْصي عن الخبرِ

ومنه :

لا تحقرنَّ من الأعـداء مَنْ قَصُرَتْ ... يـداه عَنْـكَ وإن كان ابنَ يَـوْمَيْنِ
فـإن في قَرْصَـةِ البرغـوث معتبراً ... فيهـا أذى الجسم والتسهيـدُ للعين

ومنه :

الشيب عَيْبٌ ولكن عينـه قُلِعَت ... بـالشين مِنْ شِـدَّة فيـه وتعـذيب
والشيب شَيْنٌ ولكنْ نُـونُـه حـذفت ... ببـاءِ بُعْـدٍ عن اللَّـذّات والطِّيب

ومنه :

يـا من يعـذّب قَلْبَـهُ في صُـورة ... سـوداءَ مظلمـةٍ كفحم النّـار[٣]
أتعبتَ نفسَـكَ في سـوادٍ مُظْلِمٍ ... إنَّ السـواد يُضِرُّ بـالأبصـار
وإذا عـدلتَ عن البيـاضِ وحُسْنِـه ... مـاذا تـؤمِّـل في سـوادِ القـار[٤]

(١) الكشف : ١٩٢٥/٢ .
(٢) هذه الأشعار ساقها للصنف في الوافي ، وبعضها في الدرر ، والطالع السعيد ، والمنهل الصافي .
(٣) في الطالع السعيد : « نفسه في .. » .
(٤) (أ) : « من عذاب النار » .

ومنه :

نحن نَسْعى والسعيُ غَيْرُ مفيـــــدٍ إنْ أرادَ الإلـــهُ مَنْــعَ المغـــانم[1]
وإذا مـــا الإلـــه قَـــدَّر شيئـــاً جــاء سَعْيــاً إلى الفتى وهــو نــائم

قلت : شعر جيِّد .

٢١٣ ـ أحمد بن نصر الله بن باتكين*

محيي الدِّين القاهري .

سمع (حرز الأماني)[2] على سديد الدِّين عيسى بن أبي الحرم[3] إمام جامع الحاكم .

كان شاعراً قادراً ، ناظماً في فن[4] الأدب ماهراً ، كتب إلى أدباء عصره ، وراجعه شعراءُ دهره ، وكانت تدور بينهم كؤوس الأدب ، لا كؤوس الْحَبَب .

أنشدني من لفظه العلاّمة أثير الدِّين ، قال : أنشدني لنفسه

أقسمتُ بــــالله وآيــــاتِـــه يمينَ برٍّ صـــــــادق لا يَمينْ
لَــوْ زِدْتَ قلبي فــوق ذا من أذىً مــا كنتَ عِنْـدِي غَيْرَ عَيْني اليَمين[5]

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

يــا جفنَ مقلتــه سَكِرْتَ فَعَرْبــد كيف اشتهيتَ على فُــؤَادي الكمــد

(١) في الأصل : « المغارم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والطالع السعيد .

* الوافي : ٢١٤/٨ ، والدرر : ٣٢٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٢ .

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني ، وهي القصيدة المشهورة بالشاطبية .

(٣) عيسى بن أبي الحرم مكي بن حسين العامري المقرئ (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٠٣/٢٣ ، وغاية النهاية : ٦١٤/١ .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) المنهل الصافي : ٢٤٤/٢ .

ورَمَيْتَ عن قوسِ الفتورِ فأصبحت غَرَضاً لأسْهُمِكَ القلوبُ فَسَدِّدِ
لم تغضضِ الْجَفْنَ الكحيلَ تغاضياً إلاّ لتقتلنا بسهم مُغمَدِ[1]
مَنْ لَمْ يَبِتْ بَعَذابِ حُبِّكَ قَلْبُه مُتَنَعِّماً لا فازَ منكَ بِمَوْعِدِ[2]
للصَّبِّ أُسوةُ خالِ خدِّكَ إنَّهُ متنعِّمٌ في جَمْرِهِ الْمُتَوقِّدِ

قلت : هذا يشبهُ قَوْلَ عفيف الدِّين التلمساني[3] :

قَلْبي الْمُنَعَّمُ في هواكَ بنارِه إنْ كانَ غَيْري في الهوى متألِّمِ
للصبِّ أُسْوَةُ خالِ خَدِّك إنَّهُ في جَمْرِهِ متوقِّداً متنعِّمِ[4]

وكتب أبو الحسين الجزار إليه مُلغزاً :

وما شيءٌ له نقشٌ ونَفْسٌ ويُؤْكَلُ عَظْمُه ويحكُّ جلدُه
يَوَدُّ به الفتى إدراكَ سُؤْلٍ وقد يلقى به ما لا يودُّه
ويأخُذُ منه أكثره بحقٍّ ولكن عند آخرِه يردُّه

فكتب الجواب إليه محيي الدين المذكور :

أمولايَ الأديب دعاء عبد وَدُود لا يحول الدهرَ ودُّه[5]
يَرَى مَحْضَ الثناءِ عَلَيْكَ فَرْضاً ولا يَثْني عِنانَ الشُّكر بُعْدُه
لَقَدْ أهْدَيْتَ لي لُغْزاً بَديعاً يضلُّ عن اللبيب لديه رُشْدُه
وقد أحكمْتَهُ دُرّاً نَضيداً يُشَنِّفُ مَسْمَعي بالدُّرِّ عقدُه
فشَطْرُ اللغزِ أخماسٌ ثلاث لِلُغْزِكَ إنْ تُرِدْ يَوْماً أحدُه

(١) (أ) ، والوافي : « بسيف معمد » .
(٢) (أ) : « راضيا متنعماً » .
(٣) سليمان بن علي بن عبد الله (ت ٦٩٠ هـ) ، والوافي : ٤٠٨/١٥ .
(٤) (أ) ، والوافي : « يتنعّم » .
(٥) (أ) : « لا يخون الدهر » .

وبــاقيــهِ مـع التصحيف كَشْبٌ إذا مـا زِدْتَـه حَرْفـاً تَعُـدّه[1]
همـا ضـدّان يَقْتتـلان وَهْنـاً ويضطجعـانِ في فَرْش تمـدُّه
همـا جيشـانِ من زَنْـج ورومٍ يُقـابـل كل قِرْنٍ مِنْـهُ ضـدُّه
تقـومُ الْحَرْبُ فيـه كلَّ حينٍ ولا تَـدْمَى من الـوَقَعـاتِ جُنْـدُه
ويشتـدُّ القتـالُ بـهِ طَـويـلاً ويحكمُ بـالأصـاغِرِ فيـهِ عَقْـدُه
ويقتـلُ ملكـه في كلِّ حينٍ ويبعثـه النشـاط فيستردُّه
ومـا يُنجي الهمامَ بـهِ حُسَـام وقـد ينجي من الإتـلاف بنـده
ونَصْرُ الله في الهَيْجَـا سجـالٌ فمن شـاء الإلـهُ بـهِ يمـدُّه
وهـذا كلّـه حَسْبَ اجتهـادي وغـايـة فكرةِ الإنسـان جُهْـدُه

ونقلت من خطِّ الحافظ اليغموري[2] قال : أنشدني محيي الدِّين أبو العبّاس الكاتب المصري لنفسه :

يـا نـاظراً في البيـوت أعمى عن كلِّ خيرٍ وكلِّ برِّ[3]
أسـود كالفحمِ فهـو مـأوى كلِّ شرار وكلِّ شرِّ
ونفـخَ هـذا الـوزيرُ فيـهِ أحْرَقَ كلَّ الـورى بجمرِ

ولم يـزل محيي الـدِّين المـذكـور على حـالـه إلى أن فرَّق الموت بينـه وبين ذويـه ، وتصرّف الوارث فيما كان يحتويه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

وكان المـذكور قـد تنـاثرت أطرافـه وحـاق [بـه][4] تبـذيره وإسرافـه ، فـأصبح

(١) هذا البيت وما بعده جعل في (أ) من تتة أبيات الجزار السالفة ، وهو سهو .
(٢) يوسف بن أحمد بن محمود (ت ٦٧٣ هـ) ، فوات الوفيات : ٣٣٨/٤ .
(٣) (أ) ، والوافي : « ناظرنا » ، ولعلّها أنسب .
وفي الأصل : « عن كل شرّ » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٤) زيادة من (أ) يقتضيها السياق .

لأعدائه رحمة ، وأنار الحزنُ عليه كلِّ قلب قد قسا وصار كالفَحْمَة . وهذا محيي الدين هو الذي نظم ذينك البيتين في ابن بنت الأعز ، يكتب في الكتب اسمه وحده ، وقد ذكرتها في ترجمة قاضي القضاة تاج الدِّين بن بنت الأعز .

٢١٤ ـ أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي الديرمقري الدمشقي*

الصالحي الحجّار الخياط الرّحالة المعمَّر ، شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن الشِّحْنَة .

خدم حجَّاراً بقلعة دمشق سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وكانَ لَمّا حاصرها جند هولاكو ، ولم يظهر أمره للمحدّثين إلى أثناء سنة ست وسبع مئة ، فسألوه ، فقال : كنّا سَمِعنا ، فوجدنا سماعه في أجزاء على أبي المنجا ابن اللّتي[1] .

وسمع منه جماعة (جزء) ابن مَخلد ، و (مسند) عمر النَّجّاد[2] ، ثم ظهر اسمه في كراس أسماء السامعين بالجَبَل[3] (لصحيح البخاري) على ابن الزبيدي سنة ثلاثين ، فحدّث بالجامع بضعاً وسبعين مرة بالبلد ، وبالصالحية وبالقاهرة وبحماة وبعلبك وكفر بطنا وحمص .

وطلبه الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب مصر ، وسمع منه البخاري . وسمع منه القاضي كريم الدين الكبير ، والأمير سيف الدين رحمه الله تعالى ، والقضاة والأئمة .

---

* الوافي : ٢١٨/٨ ، والبداية والنهاية : ١٥٠/١٤ ، والدرر : ١٤٢/١ ، وذيل العبر : ١٦٤ ، والنجوم : ٢٨١/٩ ، وشذرات الذهب : ٩٣/٦ ، والدارس : ٨٣/١ ، والمنهل الصافي : ٢٤٩/٢ .

(١) في الأصل : « ابن أبي المنجا .. » ، وفي الوافي : « ابن المنجا وابن اللتي » ، وكلاهما لا يستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .
وابن اللتي هو أبو المنجى . انظر السير : ١٥/٢٣ ، وما بعدها .

(٢) كذا في الأصول والوافي . والذي في الكشف : « مسند عمر بن الخطاب لأبي بكر أحمد بن سليمان النجاد » ١٦٨٤/٢ ، وأحمد هذا توفي (٣٤٨ هـ) . البداية والنهاية : ٢٣٤/١١ .

(٣) في الأصل : « بالحبل » تصحيف .

وروى بإجازة ابن رُوزبة وابن بهروز[١] وابن القطيعي والأنجب الحمامي وياسمين بنت البيطار[٢] ، وجعفر الهَمْداني ، وخلق كثير .

وكان صحيح التركيب ، دمويّ اللّون أزْهر ، له هِمَّة ، وفيه عَقْل ، يطيل الإصغاء بلا ضجر ، ويَصْبر كأنَّ قَلْبه مما لازمه حَجَر .

ألحق الأحفادَ بالأجداد ، وساوَى بالسّماع عليه بين الآباء والأولاد ، رحل إليه الناس من الأَطراف ، وأخذهم بالسماع عليه الأشراف في الإسراف ، وحَصَّل الذّهب والدراهم والخلع ، ورُتِّبَ له مَعْلِوم فانْجَبَرَ به وانتفع .

وكان فيه دينٌ وملازمة للصلوات الخمس ، ومَحَافظةٌ في اليوم على ما كان فيه أمس ، لا يمل من الإسماع وطوله ولا ينعس ، وهو مشغول بإقباله على القارئ وقبوله ، ويحفظ ما يصلّي به من القرآن ، وربّما أَخَّر الصلاة في السفر على رأي العوام لاستيلاء الشيطان ، وصام وهو ابن مئة عام شهر رمضان وأتبعه بست من شوال عملاً بسنة الإيمان .

قال الشيخ شمس الدين : حُدِّثْتُ أنّه في هذا السنّ اغتسل بالماء البارد .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه قاطع الأعمار ، والموت الذي ساوى بين أولي التجارب والأغمار ، ونزل الناس بموته درجة في الرواية ، وحصل للطلبة عليه من الأسف النهاية .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين خامس عشري صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة نيف وعشرين وست مئة .

(١) محمد بن مسعود بن بهروز (ت٦٣٥هـ) . سير الأعلام : ٣٠/٢٣ .

(٢) في الأصل « البسطار » تحريف ، وهي ياسمين بنت سالم بن علي البيطار ، (ت٦٣٤هـ) ، سير الأعلام : ١٣/٢٣ .

ولعلّه حصل له بركة رواية الحديث ما يقارب المئة ألف درهم[١] . وسمع هو وأخوته الثلاثة في سنة ثلاثين وست مئة . وأجاز لي بخط شيخنا علم الدين البرزالي سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم أسمع منه فَخَرِمْتُه ، وعنَّفْتُ حظي لذلك ولمتُه .

وقلت عند موته :

عِلْمُ الرّاوية حِصْنٌ للحَديثِ وبالْـ إسْنَادِ قَدْ سَدّ أشياخُ الورى فُرَجَهْ[٢]
وكان شادَ لنا الحجّارُ مَنْزِلَةً وحين ماتَ نَزَلْنَا بَعْدَه دَرَجَهْ

٢١٥ ـ أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمّد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر*

الشيخ الجليل المُسْنِد شرف الدين أبو الفضل . كان شيخاً مسنداً .

سمع من زَيْن الأمناء ابن عساكر ، والحسين ابن صَصْرى ، وأبي المجد القَزويني ، وعز الدين بن الأثير ، ومُكْرَم بن الصقر[٣] ، وابن صبّاح ، وابن الزّبيدي ، وابن اللّتي ، وفخر الدين بن الشيرجي[٤] ، وأبي نصر بن[٥] الشيرازي . وأجاز له أبو رَوْح

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « والإسناد » ، ولا يستقيم بها الوزن .

* البداية والنهاية : ١٣/١٤ ، والنجوم : ١٩٢/٨ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٥٤/٢ ، وعقد الجمان : ٩١/٤ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة ، (ت ٦٣٥هـ) ، السير : ٣٤/٢٣ .

(٤) في الأصول : « السيرجي » ، تصحيف ، وهو محمد بن عبد الوهاب الأنصاري الدمشقي ، (ت٦٢٧هـ) . العبر : ١٠٩/٥ ، والشذرات : ١٢٥/٥ .

(٥) ليست في (أ) . وهو محمد بن هبة الله بن محمد ، (ت٦٣٥هـ) . السير : ٣١/٢٣ ، والشذرات : ١٧٤/٥ .

عبد المعزّ الهروي[١] والمؤيّد الطوسي ، وزينب الشّعْرية[٢] ، وقاسم بن الصفّار[٣] ، وعبد الرحيم بن السمعاني[٤] ، وجماعة .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (صحيح مسلم) ، و (الزهد) للبيهقي ، و (مسند) أبي يعلى الموصلي ، و (موطأ) أبي مصعب[٥] ، و (مسند) السراج[٦] أربعة عشر جزءاً ، و (مشيخة) ابن السمعاني سبعة عشر جزءاً أو أكثر من مئة وعشرين جزءاً ، وسمعت عليه أكثر (تفسير البغوي) من قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ لا يحبُّ اللهُ الجهرَ بالسُّوءِ من القول ﴾[٧] إلى آخر التفسير .

وتوفي رحمه الله تعالى في جُمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . قال : وجنازته أول جنازة خرجت على العادة من دمشق .

قلتُ : يعني أنه بعد رحيل التتار عن دمشق في أيام قبجق .

---

(١) في الأصل « أبو زوح عبد العزيز » وفيه تصحيف وسهو ، وهو عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي ، (ت ٦١٨ هـ) . السير : ١١٤/٢٢ .

(٢) وتدعى حرّة بنت عبد الرحمن بن الحسن الجرجاني ، (ت ٦١٥ هـ) . السير : ٨٥/٢٢ ، والوافي : ٦٥/١٥ .

(٣) أبو بكر بن القاسم بن عبد الله بن عمر النيسابوري (ت ٦١٨ هـ) . السير : ١٠٩/٢٢ .

(٤) في الأصل : « عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) وهو الصواب ، وقد توفي (٦١٧ هـ) . السير : ١٠٧/٢٢ .

(٥) أحمد بن أبي بكر الزهري ، (ت ٢٤٢ هـ) ، الكشف : ١٩٠٨/٢ ، والسير : ٤٣٦/١١ .

(٦) محمد بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ، (ت ٣١٣ هـ) . الكشف : ١٦٧٩/٢ .

(٧) الآية : ١٤٨ .

٢١٦ ـ أحمد بن ياسين الربَاحي[1] قاضي القضاة المالكي بحلب*

شهاب الدين قاضٍ فاضَ جوده وما غاض ، وغاظ النفوس بشره لّما استراب وما استراض[2] .

أقدم على تفسيق العدول . ولم يكن له عن ذلك خروج ولا عُدول ، ثم تجرّأ بعد الإسقاط ، إلى الضرب بالسياط ، وحكم بفسق رفاقه الحكام ، وعدل عن العَدْل إلى التعدّي في الأحكام ، وكفَّر جماعة ، ووفّر على الشرّ نفسه ومَدَّ باعه ، فضاقت به أرجاء حلب ، ولم يلق الناس به زبدةً لما مَخَض مَحْضَ ما حلب ، فعُزل عن القضاء[3] ، وانتصف الناس منه بالقَدَر والقضاء ، ثم إنه توجّه إلى مصر ، وسعى فأعيد قاضياً مرة ثانية ، وعاد إلى ما كان عليه من الإكباب على جمع حطام هذه الدنيا الفائتة الفانية ، ولم يرجع عن عادةٍ ألفها ، ومادّة استمد منها وعَرَفها ، فَفسَّق وكفَّر ، وفرّق شَمْلَ العَدْل ونفّر ، إلى أن استفتى نائبُ السلطنة بحلب عليه ، ووجّه وجه اللوم والذم إليه ، وجهّز الفتاوي بذلك إلى دمشق ، وتوجّهت أسنّة الطعن عليه والمَشْقْ ، فحكم بخطابه الواضح ، وتبيّن أنه من أهل الفضائح ، في القبائل والقبائح ، هذا مع ضيق عطن وعَيْن ، وملاءة من الشَّين وبراءة من الدّين ، ولثغة قبيحة إذا بدّل راء الورد بالغَيْن ، وما كان أحقه بقول سلامة الزرّاد السنجاري[4] :

ضاقَ بحفظ العلوم ذَرْعاً ضيقة كفَيْه بالأيادي

---

(١) في الأصل : « الرياحي » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٣٠١/١٤ ، والدرر : ٣٢٧/١ ، وذيل العبر : ٣٦٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣٨٢/١ ، والذيل التام : ٢٠٠ . وخلت (أ) و (خ) من ترجمته .
وخلت (أ) و (خ) من ترجمته .

(٢) استراب به : رأى منه ما يريبه ، واستراض : استقر .

(٣) سنة (٧٤٨) كما في الدرر .

(٤) ذكر المؤلف في الوافي أنه كان بعد الخمس مئة ، وأورد له الأبيات المذكورة ، ٣٢٧/١٥ .

قـاض ولكن على المعـالي والـدّين والعقـل والسَّـداد
يعـدل في حكمـه ولكن إلى الرُّشـا أو عن الرشـاد

فعُزل مرة ثانية[١] ، وتوجّه إلى القاهرة ، وأقام يسعى بالعين إلى أن أصبح بالسّاهرة ، فأكلت الأرض منه خبثاً ، ورأى بالموت أنّ جَدَّه كان عبثاً .

وتوفي رحمه الله تعالى وعفى عنه في شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة ، توفي هو وولداه في يوم واحد في طاعون مصر .

كان في أول أمره تاجراً بسوق الرمّاحين في دمشق ، ثم إنه سعى في قضاء حلب ، وأظنه أول مَنْ وليها من القضاة المالكية ، فأساء السيرة ، وظهر أنه خبيث السريرة ، ففسّق العدول وأسقطهم ، وضرب بعضهم بالسياط وحكم بفسقَ رفاقه الحكام ، وحضرتْ كُتبهم إلى شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وحَضَر كتاب النائب بحلب إلى الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام[٢] ، فقال قاضي القضاة للنائب : الرأي أن تجّهز واحداً له دُرْبة يتوجه إلى حلب ويُصْلح بينهم ، وعيّنني قاضي القضاة لذلك ، ثم لم يتم ذلك ، وبطّله مَنْ بَطّله ، فكتب النائب إلى حلب بمطالعة السلطان ، فكتب ، فورد المرسوم بعزله ، وتولى القاضي زين الدين أبو حفص[٣] بها إلى أن مات . ثم إنّ الرباحي سعى في العَوْد إلى حلب فأعيد ، ولم يرجع عن غيّه ، وأقام في قضية الدّنَيْسري وكفّره ، وهمّ بقتله ، وحضرت الفتاوي عليه إلى الأمير سيف الدين بَيْدَمُر الخوارزمي[٤] نائب دمشق من الأمير شهاب الدين القشتمري[٥] نائب حلب ، فأحضر القضاة إلى دار العدل بدمشق ، ووقفوا على ما كتب في حقّه فوجوده مُبْطلاً ، وكتبوا إليه بالإنكار

(١) سنة (٧٦٣) كما في الدرر ، وفي كلامه ما يدل على أنه عزل أربع مرات ، ذكر الصفدي أولها وآخرها .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) ابن الوردي ، عمر بن المظفر ، وستأتي ترجمته .
(٤) (ت ٧٨٩ هـ) الذيل التام : ٣٤٧ ، والدرر : ٥١٣/١ .
(٥) هو قشتمر المنصوري ، قتل سنة (٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٤٩/٣ .

عليه ، وتوجه غرماؤه إلى مصر ، وشكوا عليه فعزل ، وتوجه إلى مصر ، فسعى ، ولم ينجح مسعاه إلى أن طُعن هو وولداه[١] وماتوا في يوم واحد ، عفى الله عنه وسامحه .

ولقد كنا يوماً في دار العدل بحلب في أوائل قدوم الأمير بكتمر المومني[٢] ، فقال النائب يوماً كلاماً فيه بعضُ إنكار على القضاة ، فخرج هو دون رفاقه ، وقال بنفرة وزعَارَة : أيش بالقضاة يا أمير ؟ فنفر فيه النائب ، وقال له : ما تتكلم بأدب !؟ ووضع يده على السيف ، وتوعَّده ، فشغلْتُه أنا بقراءة القصص عليه ، فاشتغل بذلك لحظة ، وقال لنقيب النقباء : ناد في الناس ، مَن له على هذا القاضي شكوى ، يحضر . فحضر في الوقت الحاضر ثلاثة عشر نفراً ، وشكوا عليه ، فقال له : يا قاضي ، مَن تكونُ هذه سيرتهِ ما يكون هذا نَفَسه . ثم عقد له ولهم مجلساً ، ووزَّنه لهم مبلغ أربعة عشر ألف درهم .

ولما زاد شرّه في المرة الأُولى بحلب ، صنع فيه القاضي زين الدين عمر بن الوردي رسالة ، سمّاها (الحُرقة للخْرقَة) ، ووصّى ابنَه ، قال : إن رجع القاضي عن فعله ، اكتمها ، وإن استمرّ ، فأظهرها . فلم يرجع عن غيّه ، فأظهرها . وهي نظم ونثر ، أبدع فيها ، وأتى فيها بكل معنى بديع . منها قوله رحمه الله تعالى :

حـــاكمٌ يَصْـــدُر منــــه ... خَلْفَ كلّ النــــــاس حَفْرُ
يتمنّى كُفْرَ شخص ... والرضـــا بـــالكفر كُفْرُ

وقولهُ :

امتـلأت من ذهب أكيـاسـه ... وقلبــــه ممتلئٌ من دَغَـــلْ
مـا هـو إلا حيّـةٌ بَـزْقُهـا ... بـالسمّ، هـذا المغربي الـزَّغَـلْ

وقوله :

قـاض عن النـــاس غيرَ راض ... مبـاهتٌ غـالـظٌ مخـالـط

(١) في الأصل : « ووالداه » ، تحريف .

(٢) هو أمير آخور الأشرف (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١/٤٨٨ .

يكــــذب عن مـــالـــك كثيراً ويُسقِـط النـاسَ وهـو ســاقــط

وقوله :

تَلِفَت مكاتيب الأنـــام بفعلـــه وأبان عن عكسٍ وكَثْرةِ مَخْرَقَهْ
ورمى الأكابر والأصـاغر كاذبـا بالكفر أو بالفسق أو بـالزنـدقـه

وقوله :

لا واخــــــذ الرحمنُ مصرا ولا أزال عنهــا حُسنَ ديبــاجــه
ولّـوا علينـا قـاضيـاً ثـالثـاً مـا كان للنـاس بـه حـاجـه

وقوله :

كثير الجنــون مسيء الظنـــون عـــــدوّ الفنـــون لظىً محرقْ
فيصبـــغُ أصبـــغ من بَهتـــه وأشهبُ في عينـــــه أبلـــق

وقوله :

إن الريـــاحيْ على جَهْلِـــه وجَــــــوْرِه في حلب يحكُم
إنْ لم يكن في حلب مُسْلِم فمصر مــــا كان بهـــا مسلم

وقوله :

يحبّ مِنْ كلِ علم السّين والقـــاف والطّــــا
حـــاشى الرســالــة منـــه مـــا خُلقُـــهُ بـــالمـوَطّـــا

وقوله :

بـــالله يـــا أوليــــاء مصر خـــذوه من عنـــدنـــا بستر
متى رأيتم وهـــــــــل سمعتم بـأنّ قـــاضي القضـــاة جَمْري

وقوله :

يحبس في الردّة مَن شـــاء بغير شـــاهـــد
لا كان من قــــاض حكى الفقـــاع حَـــدّ بـــارد

وقوله :

في حلب قـاضٍ على مـالـك قـد اجترا مـافيـه تـوفيـق
ومن تَلَكّـا معـه قـال نعم قـد قيـل لي إنـك زنـديـق

وقوله :

قـــاضٍ من الســوق أتى معتـــادُ بيـع الأكسيـــهْ
ذا المــوصّى يـــا مـــا يعي كيف يعي لــلأقضيــــه

وقوله :

يـا سـاكني مصر مـا عهـدنـا منكم سـوى رحمـة وأُلفـه
فكيف ولّيتم علينـــــا من لا تصـح الصـلاةُ خلفـه

وقوله :

الألثغ الطـاغي تولّى القضـا عـدمت هـذا الألثـغ الطـاغي
إن سبّـح البـاري حكى سبّـه فقـال : سبحـانـك يـا بـاغي

وقوله :

ولّيتم جـاهـلاً جريئـاً ألثـغ بـالمسلمين ضـار
مقلقـلا من بني رُبَـاح نحن لـه من بني خُسَـار

وقوله :

كم أسقط شاهداً وعدْلا ضابِطْ فـالعـالم كلّهم عليـه سـاخـط
من كثرة ما يُسقط خافت حلب أن يكتب ظاء حظها بالساقط

٢١٧ ـ أحمد بن يحيي شمس الدين السُّهْرَوَرْدِي*

الكاتب المشهور ببغداد ، حفظ القرآن ، وتفقّه للشافعي ، وقرأ العربية ، ونظر في اللغة والمعقول ، وحفظ (المقامات) الحريرية .

وسمع من رشيد الدين أبي عبد الله المعرّي[(١)] ، وأبي البركات بن الطبّال[(٢)] . وأجاز له جماعة .

وكان علماً مشهوراً في الكتابة وعِلم الموسيقا ، فكتب على الشيخ زكي الدين عبد الله[(٣)] ، وفاق شيخه في الكتابة . وأخذ علم الموسيقا عن الشيخ صفي الدين عبد المؤمن[(٤)] ، وأجمع جماعة من أرباب[(٥)] هذا الفن أنه ما أتى بعده مثله .

وكان الشيخ شمس الدين المذكور حسن الأخلاق ، كريم النفس في حالتي الغنى والإملاق ، كثير الحيا ، غزير الحُبَا . شريف النفس كثير الاتضاع ، ذا مروءة يخاف مدى الدهر ألاَّ تُضَاع ، كثير البشاشة سديد المقال ، شديد الحرص على الأشغال والاشتغال ، صاحب رأي وعزم ، ونأيٍ عن الدناءة وحَزْم ، بليغاً فصيحاً ، مليَّ المحيّا بالقبول مليحاً ، لطيفاً في حركاته وسكناته ، كثير الرحمة لا يزعج الطير[(٦)] في وَكُناته ، إماماً في الكتابة ، رأساً لهذه العصابة .

كتب المصاحف في القطع الكبير والصغير ، وأتى بها كأنها قطعُ الروض النضير . رأيت منها أنا جملة وافية ، ودلّتني على محاسنها العينُ الصافية ، فشاهدت منها ما يودّ فم

* الدرر : ١/٣٣٥ .

(١) (أ) : « المقرئ » ، ولم نقف على ترجمة له .

(٢) إسماعيل بن علي بن الطبال ، (ت٧٠٨) . الدرر : ١/٣٦٩ ، والشذرات : ٦/١٦ .

(٣) (أ) : « بن عبد الله » .

(٤) (ت٧٣٩هـ) ، وليس في ترجمته ما يشير إلى اشتغاله بالموسيقا . الدرر : ٢/٤١٨ .

(٥) (أ) ، (خ) : « أهل » .

(٦) ليست في (أ) .

الثريا لو كان[١] له لاثماً ، وشهد عندي أن كاتبه يكون فوق الكواكب جاثماً ، لا يُطلَق اسم الكاتب إلا عليه إجماعاً ونصّا ، ولا يرضى أن يكون ياقوت في خاتمه فَصّا ، فقد زعم كثير أنه كتب أحسنَ من ياقوت ، وأنه لو كان في زمانه لعَذُرَ[٢] عليه القوت . وقالوا إنه كتب بخطه ثمانية وسبعين مصحفاً وخَمْسَ ربعات[٣] ، كل ربعة وَقْر[٤] بعير . وكتب بخطه أيضاً (إحياء العلوم[٥]) للغزالي ، وكتب كتاب (المصابيح)[٦] ثلاث نسخ ، و (عوارف المعارف) لجد أبيه[٧] ثلاث نسخ ، و (مشارق الأنوار) للصغاني[٨] ثلاث نسخ ، وكتاب (الشفا) لابن سينا في مجلد ، و (المقامات) ثلاث نسخ ، و (مفصل) الزمخشري نسختين ، و (نهج البلاغة) أربع نسخ ، وكتب من الأحاديث والأدعية والدواوين والدروج شيئاً كثيراً .

وكتب عليه جماعة[٩] ، منهم القان أبو سعيد ، والسلطان أتابك والوزير غياث الدين بن[١٠] الرشيد ، ونظام الدين بن يحيى بن الحكيم ، وجماعة من أولاد الأئمة والقضاة والوزراء والفضلاء .

وقُصد من البلاد لحُسْنِ خطّه ، ولعلم الموسيقا . وطبقت مصنفاته الأرض في هذا العلم تطبيقاً . لأنه كان فيها لا يُبارى ، ولا يُساده ولا يجارى . إذا وقّع أغرب ، وإذا

---

(١) (أ) ، (خ) : « يكون » .
(٢) (أ) ، (خ) : « لتعذر » .
(٣) الربعة : صندوق أجزاء المصحف ، مولدة .
(٤) الحمل الثقيل .
(٥) (أ) ، (خ) : « إحياء علوم الدين » .
(٦) مصابيح السنة للبغوي . الكشف : ١٦٩٨/٢ .
(٧) عمر بن محمد بن عبد الله ، (ت ٦٣٢ هـ) . الكشف : ١١٧٧/٢ ، والسير : ٣٧٣/٢٢ .
(٨) (أ) : « للصنعاني » ، تحريف ، الكشف : ١٦٨٨/٢ .
(٩) (أ) ، (خ) : « جماعة كثيرة » .
(١٠) (أ) ، (خ) : « محمد بن » .

تنحنح ، قيل إنه من الأوتار أطرب . قد لَطف لجسّه[1] إبْرِيْسَمُهُ[2] ، وطُبع على هذه الصناعة مِيْسَمُه ، إلا أنه أخيراً أَنِف من نسبة هذا الفن إليه ، ونفض منه يَدَيْه .

وكان حظيَّ الذِّكر عند الملوك ، تكاد أنباؤه تنخرط مع الدرّ في السلوك . كاتَبه سلطان الهند وصاحب اليمن وجماعة ليمضي إليهم فما وافق ولا رافق ، ولا نافق في الظاهر ولا نافق .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الكسوف بشمسه ، وجعل الموت قُرْبَه أبعدَ من أمسه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وصُلّي عليه بجامع الخليفة ، ودفن عند جدّه .

ومولده ببغداد سنة أربع وخمسين وست مئة . ومات وما في لحيته من الشيب إلا شعرات يسيرة .

ومن شعره :

بدا نجم السعادة في الصّعود ... وبَشَّرَ باليامن والسعود
وحقق فيك آمالَ البرايا ... بما أولاك من كرمٍ وجود
فلاح لنا الفلاحُ وحلّ فينا ... محلَّ الروح من جسم العميد
وأبقينا النفوسَ بظلّ أمن ... يعمّ الخلق في مُدُن وبيد
بعدلٍ شامل في كل أرضٍ ... لسلطان الزمان أبي سعيد

ومنه :

(١) (أ) ، (خ) : « لحسّه » .

(٢) في القاموس : الإبريسم ، بفتح السين وضمها : الحرير ، أو معرب : مفرح مسخّن للبدن ، معتدل ، مقوٍّ للبصر إذا اكتحل به .

قـــد قنعنــــا بخمــولٍ عن غنى ... وبعــزّ اليــأس عن ذلّ التمني[1]
فكريم القــوم لا أســـألــــه ... فلمــاذا يُعرض البــاخــل عنّي

قلت : إلا أن هذا شعر نازل ، وهو أقرب إلى التوسّط .

٢١٨ ـ أحمد بن يحيي بن فضل الله بن المجلّي بن دعجان*

ينتهي إلى عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . القاضي شهاب الدين أبو[2] العباس ابن القاضي محيي الدين القرشي العدويّ العمري الدمشقي .

الإمام الفاضل البليغ المفّوه حجة الكتّاب ، إمام أهل الآداب ، الناظم الناثر ، أحد رجالات الزمان كتابة وترسُّلاً ، وتوصلاً إلى غايات المعالي وتوسّلاً[3] ، وإقداماً على الأسود في غابها ، وإرغاماً لأعاديه بمنع[4] رغابها ، يتوقد ذكاء وفطنة ويتلّهب ، ويتحدَّرُ سَيْلُه ذاكرةً وحفظاً ويَتَصبَّب ، ويتدفق بحره[5] بالجواهر كلاماً ، ويتألّق إنشاؤه بالبوارق المتسرعة نظاماً ، ويقطر كلامه فصاحة وبلاغة ، وتندى عبارته انسجاماً وصياغة ، وينظر إلى غيب المعنى من سترٍرقيق ، ويغوص في لجّة البيان فيظفر بكبار الدُّرِّ من البحر العميق ، استوت بديهته وارتجاله ، وتأخر عن فروسيّته من هذا الفن رجالُه ، يكتب من رأس قلمه بديهاً ما يعجز تروِّي القاضي الفاضل أنْ

(١) (أ) : « وبذل اليأس » .

* الوافي : ٢٥٢/٨ ، وفوات الوفيات : ١٥٧/١ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٣/١ ، والدرر : ٣٣١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٣٣/١/١ ، والشذرات : ١٦٠/٦ ، والذيل التام : ١٠٥ ، والمنهل الصافي : ٢٦١/٢ ، وفيه : « المحلي » ، بالحاء .

(٢) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) في الأصل « توصلا » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) ، (خ) : « في منع » .

(٥) في الأصل : « مجرّة » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

يدانيه تشبيهاً ، وينظم من المقطوع والقصيدة جَوْهراً ، ما يخجل الروض الذي باكره الحيا مزهراً ، جبل كتابة وأخبار ، وبحر إصابة في المعاني التي[١] لا يشق له فيها غبار .

وأمّا نثره فقلٌ من يُجَاريه ، أو يقارب خطو قلمه في تنسيق دراريه . وأما نظمه ففي الثريّا ، وأبياته تطول في المحاسن رَيّاً ، وتَضَوَّعُ رَيّاً .

قرأ العربية على الشيخ كمال الدين ابن قاضي شهبة ، ثم على قاضي القضاة شمس الدين بن مُسلّم[٢] ، والفقه على قاضي القضاة شهاب الدين بن المجد[٣] ، وعلى الشيخ برهان الدين قليلاً[٤] ، وقرأ (الأحكام الصغرى)[٥] على الشيخ تقي الدين بن تيميّة ، والعروض على شمس الدين الصايغ[٦] ، وتأدَّبَ على علاء الدين الوداعي[٧] . وقرأ جملة من المعاني والبيان على شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، وقرأ عليه تصانيفه ، وجملة من الدواوين وكُتب الأدب . وقرأ بعض شيء من العروض على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني . والأصول على الشيخ شمس الدين الأصبهاني . وقرأ بمصر[٨] على الشيخ أثير[٩] ، وسمع منه . وسمع بدمشق والقاهرة والحجاز والإسكندرية وبلاد

---

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) هو محمد بن مسلم بن مالك المزي الدمشقي (ت ٧٢٦ هـ) . (الدرر) .

(٣) في المنهل : « أحمد بن المجد » . وعلق المحقق بقوله : « الملقب شهاب الدين بن المجد اسمه محمد وليس أحمد كما ورد بالمتن ، وهو محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن علي الإربلي الشافعي ، شهاب الدين قاضي قضاة دمشق المتوفي (٧٣٨ هـ) ... أما المسمى أحمد بن المجد فلقبه مجد الدين .. » . وانظر الإعلام : ٣١٢ .

(٤) ليست في (خ) . وهو إبراهيم بن عبد الرحمن بن سباع (ت ٧٢٩ هـ) .

(٥) في الحديث ، لعبد الحق بن عبد الرحمن بن خراط الإشبيلي ، (ت ٥٨٢ هـ) . الكشف : ١٩/١ .

(٦) في المنهل : « ابن الصايغ » . وهو محمد بن حسن بن سباع (ابن الصايغ) (ت ٧٢٠ هـ) .

(٧) علي بن مظفر الكندي ، (ت ٧١٦ هـ) . ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) ليست في (أ) .

(٩) في الوافي : « أثير الدين » ، وهو أبو حيان .

الشام ، ونظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات ودو بيت وأنشأ كثيراً من التقاليد[1] والمناشير والتواقيع والأصدقة .

كتب الإنشاء بدمشق أيام بني محمود ، ثم ولي والده كتابة السرّ بدمشق ، ثم طُلب إلى مصر هو ووالدُه في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة ، وباشر والده كتابة السرّ بمصر ، ثم خرج مع أبيه إلى دمشق ، ثم عاد إليها معه في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وأقام إلى بعض سنة ست وثلاثين ، وهو في المرة الأولى والثانية يدخل يقرأ البريد على السلطان ، وفي الثانية جلس في دار العدل ووالده القاضي محيي الدين كاتب السر .

وجرى له ما جرى مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ولزم بيته . ثم حجّ وحضر ، وغضب عليه السلطان واعتقله بقلعة الجبل ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولما أمسك الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ولاّه السلطان كتابة السرّ بدمشق ، فحضر إليها يوم عاشوراء ، فيما أظن ، سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وباشر ذلك إلى آخر أيام أيْدَغْمشُ نائب الشام ، وتوجّه إلى حماة ليتلّقى[2] الأمير سيف الدين طُقُز تَمُر من حلب ، فجاءه الخبر في حماة أنه قد عزل بأخيه القاضي بدر الدين محمد[3] ، فجاء إلى دمشق ، وذلك سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وبقي في الترسيم بالفلكية[4] قريباً من أربعة أشهر ، وطلب إلى مصر فما وصل إلى مصر[5] حتى شفع فيه أخوه علاء الدين[6] كاتب السر بمصر وردّه من الطريق ، فقال : لا بد من أن أرى وجه أخي ، فدخل مصر ، وأقام أياماً ، وعاد إلى دمشق بطّالاً ، ولم يزل بها مقيماً في بيته إلى

---

(١) في الأصل : « المقاليد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والمنهل .

(٢) (أ) ، (خ) : « لتلقّي » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) المدرسة الفلكية ، داخل بابي الفراديس والفرج ، أنشأها فلك الدين سليمان . الدارس : ٣٢٧/١ .

(٥) (أ) ، (خ) : « بلبيس » .

(٦) علي ، (ت ٧٦٩ هـ) . وفيات ابن رافع : ٢٤/٢ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والنجوم : ١٠٢/١١ .

أن حدث الطاعون بدمشق فقلق منه ، وتطاير به ، وعزم على الحج ، ثم أبطله ، وتوجّه بأهله إلى القدس ، فتوفيتْ هناك زوجته ابنة عمّه ، فدفنها هناك ، وما به قَلَبَة[1] غير أنه مروع[2] من الطاعون ، فحصل له يوم وصوله حمّى رَبع[3] ، ودامت به إلى أن حصل له صَرْع ، فمات منه ، وسكن ذلك الهدير ، ونضب ذلك الغدير ، وكان يوم عرفة سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بالصالحية وكانت جنازته حافلة .

ومولده بدمشق ثالث شوال سنة سبع مئة[4] .

وصنّف (فواضل السمر في فضائل آل عُمر) أربع مجلدات[5] ، وكتاب (مسالك الأبصار) في أكثر من عشرين مجلداً[6] ، ما أعلم لأحد مثله ، تراجمه مسجوعة جميعها[7] ، ولي فيه عمل كثير في اختيار شعره ، و (الدعوة المستجابة)[8] ، و (صبابة المشتاق) ، مجلد في مدائح النبي ﷺ[9] ، و (سفرة السفر)[10] ، و (دمعة الباكي ويقظة الساهر)[11] ، وقرأتها عليه بمصر ، و (نفحة الروض)[12] ، وغير ذلك .

---

(١) القلبة : داء وتعب .
(٢) في الأصل : « مروغ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) أي حمّى دائمة .
(٤) قوله : « ودفن بتربتهم .. » حتى ههنا ، ليس في (خ) .
(٥) الكشف : ١٢٩٣/٢ ، ووقع في الأصل : فضل السمر ، وأثبتنا ما في أصول ترجمته والمصادر الأخرى .
(٦) الكشف : ١٦٦٢/٢ ، وقد طبع منه الجزء الأول . الأعلام : ٢٦٨/١ .
(٧) (أ) ، (خ) : « كلها مسجوعة » .
(٨) الكشف : ٧٥٦/١ .
(٩) الكشف : ١٠٧٠/٢ .
(١٠) في الكشف : « سفرة السافر » : ٩٩٢/٢ ، وفي الوافي : « سفرة السفرة » .
(١١) في الأصل : « البالي » ، تحريف . وانظر الكشف : ٧٦١/١ .
(١٢) الكشف : ١٩٦٨/٢ .

كتب هو إليَّ ملغزاً :

أيها الفاضلُ الذي حاز فضلاً ... ما عليه لمثله من مزيد[(١)]
قد تدانى عبد الرحيم إليه ... وتنادى إليه عبد الحميد[(٢)]
أي شيء سمّي به ذات خدر ... تائه بالإما أو بالعبيد
هو وصف لذات سرٍ مصون ... وهي لم تخف في جميع الوجود
مذ مضى حينها بها ليس يأتي ... وهو يأتي مع الربيع الجديد[(٣)]
وهو مما يبشر الناس طراً ... منه مأتى وكثرة في العديد[(٤)]
وحليم إرادة لا لذات ... بل لشيء سواه في المقصود
ذاك شيء مَنْ ارتجاه سفيهٌ ... وهو شيء مخّصص بالرشيد

فكتبت أنا الجواب إليه وهو في « زبيدة » :

يا فريداً ألفاظه كالفريد ... ومجيداً قد فاق عبد المجيد
وإمام الأنام في كل علم ... وشريكاً في الفضل للتوحيد
علم العالمون فضلك بالعلـ ... ـم وقال الجّهال بالتقليد
من تمنى بأن يرى لك شبهاً ... رام نقضاً بالجهل حكم الوجود[(٥)]
طال قدري على السماكين لّما ... جاءني منك عقد درّ نضيد
شابه الدر في النظام ولّما ... شابه السحر شاب رأسُ الوليد
هو لغز في ذات خِدْرٍ منيع ... نَزَلَتْ في العلى بقصر مشيد
هي أمّ الأمين ذاتُ المعالي ... من بني هاشم ذوي التأييد

---

(١) (خ) : « كمثله » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « لديه عبد » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل ، وعبد الحميد الكاتب .

(٣) (أ) ، (خ) : « وهي تأتي » .

(٤) (خ) : « يباشر » .

(٥) (خ) : « نقصا » .

أنت كنت الهادي لمعناه حقاً حين لوّحتَ لي بذكر الرشيد
دمت تُهدي إليّ كل عجيب ماعليه في حسنه من فريد[1]

وكتبت أنا إليه ملغزاً في « نجم » :

ياسيّداً أقلامُه لم تزل تُهدي لآلي النظم والنثر
قل لي ماإسمٌ قلبه لم يزل معذَّباً بالبيض والسُّمر[2]
وكلُّه في الأرض أو في السما وثلثه يَسْبح في البحر

فكتب هو الجواب عن ذلك :

دمتَ خليلي سائر الذكر مثلَ الذي ألغزتَ في القَدْرِ
بعثتها نجميّة قد حلَتْ لكنها مِنْ سُكّر الشكر
تطلع بالنجم فأمّا الذي في مطمح الزُهر أو الزُّهْر[3]
عجبتُ منه كيف شقّ الدجا وماأتى إلاّ مع الفجر
من صنعة البرّ ولكنه قد جاءني في راحة البَحْر
أقسمت منه قَسَماً بالغنا بالفجر والليل إذا يسر
لقد أغْرتَ الغيد إذ لم تجدْ شبهه في الجيد والثغر[4]
بعقد دُرّ ماله قيمةٌ ياحُسْنه للكوكب الدرّي
مُسهّد تذكى له مقلةٌ مقلوبة كالنظر الشَّزْرِ
وهو إذا حققت تعريفه عَرَفْتَ منه منزل البدر
بواحد عَدُّوا له سبعةٌ تقيسُ ذَيْلَ الليل بالشِّبر

(١) (أ) : « عجب » .
(٢) (أ) ، (خ) ، والوافي : « لم يزل قلبه » .
(٣) (أ) : « الزهراء والزهر » .
(٤) (أ) ، والوافي : « شبيهه » .

فاعذر أخيَّ اليوم إن قصرت ... بديهتي واقبل لها عذري
فليس بالألغاز لي قدرة ... ولا غزا في جيشها فكري[١]

وكتبت أنا إليه مع ضحايا أهديتها :

ياسيداً أرجو دوام ظلاله ... علينا وأن يمسي بخيرٍ كما يُضحي[٢]
وحقك ما هذي ضحايا بعثتها ... ولكنني سقت الأعادي للذبح[٣]

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

أتتني ضحاياك التي قد بعثتها ... لتصبح كالأعداء في بكرة الأضحى
وحقك أعدانا كلابٌ جميعهم ... وحاشاك لا تُجزي الكلاب لمن ضحّى

وكتبت إليه أتقاضاه إنجاز ما وعد به من قلع شجرة ليمون مختم وتجهيزها ، والتزمت الياء قبل النون :

ياسيداً فيه لي ولاء ... عند جميع الورى تَعَيّنْ
لله ليمونه أراها ... لي مونةً غُصْنُها تزيّنْ
كأعْين الحاسدين بغيا ... لأجل ذا قلعها تعيّنْ

فكتب الجواب ، والتزم نوناً قبل النون :

يافاضلاً ماله عديل ... لأنه في الورى تفنَّنْ
وكلّ شيء عاناه فينا ... على طريق الهدى تفنَّنْ
أمرك حكم في كل عقلٍ ... ما عاق إلاّ من قد تجنّنْ

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « في الألغاز لي عادة » .
(٢) في الوافي : « أيا سيداً » .
(٣) في الوافي : « إلى الذبح » .

وكان قد أهدى إليّ ـ رحمه الله تعالى ـ عندما عمرت الدّويرة التي لي بدمشق عشرة أحمال رخاماً ، فكتبتُ إليه أشكره على ذلك ، وطلبت ذلك فلم أجده وقد عرفته[(١)] الآن عند تعليقي هذه الترجمة وهو :

لَعَمْري لقد أهدى سماحُك والندى حُمول رُخام مثل روض تنمنما
فأمسيتُ منها في رخاء وفي غنى فيا من رأى قبلي رخاماً مرخّما

وكتب هو الجواب عن ذلك ، ولكنني لم أجده الآن .

وأنشدني لنفسه ونحن على العاصي بحماة :

لقد نَزَلْنَا على العاصي بمنزلة زانت محاسنَ شطّيه حدائقُها
تبكي نواعيرها العَبرى بأدمعها لكونه بعد لقياها يفارقها[(٢)]

فأنشدته أنا أيضاً لنفسي :

وناعورة في جانب النهر قد غَدَتْ تَعبّر عن شوق الشجي وتُعرب
ترقص عطف الغصن تيهاً لأنها تُغَنّي له طول الزمان ويشرب[(٣)]

وأنشدني هو أيضاً لنفسه :

إنّا نقيم على حماة حجّة في حسنها ولها جمال يبهت
ومن النواعير الفصاح خصومنا ولها لسان ناطق لا يسكت

فأنشدته أنا أيضاً لنفسي :

ناعورة أنّت وحنّت فقد شوّقت الداني والقاصي[(٤)]

(١) في الأصل : « غرمته » ، وهي بعيدة ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « يغارقها » ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) . والبيتان في المنهل .
(٣) في المنهل : « فيرقص » .
(٤) (أ) ، (خ) : « الدائي إلى القاضي » .

قـــد نبهتني للهـــدى والتقى لَمّـا غـدت تبكي على العـاصي

وأنشدته أنا لنفسي ، وقد طال علينا المركز من شمسين[١] إلى حمص :

محبـوب قلبي مثـل بـدر السّما أدنيـه عمري وهـو لي يقصي[٢]
بيني وبين الصبر في حبّـه مـا بين شمسين إلى حمص

[فأنشدني هو أيضاً لنفسه :

لقـد تمـاديت مـدىً يـا رستن كأنمـا قربـك مـا لا يمكنُ
لمـا جعلنـاك ضمير قصـدنـا غـدوت ممّـا لا تراك الأعينُ][٣]

وكتب إليّ من دمشق وأنا بالقاهرة سنة (٧٤١)[٤] :

رحلتم فـلا والله مـا بَعْـدَكم قلبي بقلبي ولا والله عقلي ولا لُبّي
هجرتم زمـانـاً ثم شـطّ مـزاركم فـآهـاً على بُعدي وآهـاً على قربي[٥]
وبـدّلتم غيري ووالله مـا رأت سـوى حسنكم عيني ولا غيركم قلبي
لئن كان ذنبي أن قلبي يحبّكم فيـاربّ زدني منـه ذنبـاً على ذنبي
ولا تحسبـوا أني تغيّرتُ مثلكم فمـا قلبكم قلبي ولا حُبّكم حبي
رحلتم ومـا كنتم سـوى روح مغرم قضى بكم وجداً ومـا غـاب في الترب
نـأيتم فـلا والله مـا هبّت الصّبـا فنمتُ مـع النّـوام جنبـاً على جَنْبي
لئن عُـدْتُم عـاد السرور جميعُـه وإلاّ فـمالي بـالرسـائـل والكتب
دَعُـوا عنكم التعليـل بـاليـوم أو غـد فلست بمن يبقى إلى البعـد والقرب

(١) شمسين : بليدة قبل حمص من جهة الجنوب .
(٢) في الأصل : « أديته » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) (أ) ، (خ) : (٧٤٥) .
(٥) (أ) ، (خ) : « شطت دياركم » .

ولا تعجبـــوا إنْ متّ حين فراقكم إذا بـــانَ حبّي كيف لا ينقضي نحبي
أأحبـــابنـــا كيف استقلت ركابكم ومـا علقتهـا العين في شرك الهُـدب
وطرتم سِراعـــاً كالطيـور مشقـــة فهـلاّ وقعتم في القلـوب على الحَبّ
ووالله مـــا حَـــدّثت نفسي بمجلس سوى ما أفاض الدمع فيـه من الجبّ[(١)]
ولا كان شرق الـدمع من طبـع مقلتي إلى أن تغربتم ففـــاض من الغَرْب
ونغّصتم طِيْبَ الحيـــاة ببعــــدكم وهيهـات أن ترجى حَيَـاةُ فتىً صَبِّ
أأبغي ســواكم في الهـوى أو أريــده وهجركم سقمي ووصلكم طبّي[(٢)]
دعـوني وأطـلال الـديـار أنحْ بهـا وأنـدبهـا إن كان ينفعهـا نـدبي[(٣)]

فكتبت أنا الجواب إليه :

دعـوتم على بعـــد فلبّـــاكم لبّي ونـاجـاكم قلبي على البعـد والقرب
ومالي وذكر الدار يـا سـاكني الحشـا ودارِكم عيني ودارِكم قلبي
وأقسم أنَّ الجفن فيكم جفـــا الكرى وأحرق قلب الصب من دَمْعِه الصَّبِّ
إذا قلتُ هُبّي يــــا نُسَيـــةَ دارِهم يقول الجوى يـا نـارَ أشواقِه شبّي[(٤)]
أيـا جيرة بـالقلب لا الشـام خيّمـوا محـاسنكم تصبي القلـوب فلم تسبي[(٥)]
لأنتم وإن أضرمتم النـــار في الحشـــا ألـذّ إلى قلبي من البـــارد العـــذب
رفعتكم جَرّاً إلى نصب نـــــاظري فيـــا حَبّـــذا رفـعٌ يجر إلى نَصْب
أحـــاشيكم أن يــألفَ القلبُ غيركم فقلبي لا يرضى بهــــــذا ولا ربّي
وحقكم مـــــــا راقني غَيْرُ حسنكم وإحســانكم حسبي بمـــا راقني حسبي

---

(١) (أ) ، (خ) : « الحبّ » .
(٢) (أ) ، (خ) : « وأريده » .
(٣) (أ) ، (خ) : « ينفعني » .
(٤) (أ) : « أشواقهم » .
(٥) في الأصل : « القلب لا الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

رحلت ولي قلب مقيم على الـوفـا — لعهـدكم حتى أوسَّـد في التُّرب
أحـاول عَـودي نحـوكم ويصـدّني — خيـانـة دهر راح حربي لا حـزبي[١]
أليس من الأنكاد أن لا مخبرٌ — يبلغكم عني سـلامي ولا كتبي
ولـولا المنى أن يجمـع الله شملنـا — قريبـاً لما فـارقت نـوحي ولا نَـدْبي
سـأجهـد في عَـوْدي لمطلـع حبكم — ولـو أن لي في مصر مملكـة الغرب
بُعثتم على بخـل الـزمـان لأنكم — كرام بنظم فـاق منسجم السُّحب[٢]
غدا خارجاً في النظم عن قـدرة الورى — ولكنّـه في حُسْنـه داخـل الضرب
فقلت لـدهري زِد[٣] عليّ قسـاوة — فقد ظفرت كفاي بـاللؤلؤ الرطب[٣]

وكتب هـو إليّ وقـد تـواترت الثلـوج والأمطـار سنـة (٧٤٤) : كيف أصبـح مولاي[٤] في هذا الشتاء الذي أقبل يُرعب مَقْدَمُـه ، ويُرهب تقـدّمـه ، ويريب اللبيب من برقه المومض تبسّمه[٥] ، وكيف حالـه مع رعوده الصّـارخـة ، ورياحـه النـافخـة ، ووجوه أيامـه الكالحـة ، وشرر[٦] ليـاليـه التي لا نبيت منهـا بليلـة صـالحـة ، وسحـابـه وأمـواجـه ، وجليـده والمشي فـوق زجـاجـه ، وتراكم مطره الأنيث[٧] ، وتطـاول ليـل فرعـه[٨] الأثيث ، ومـواقـده المقـوتـه ، وذوائب جمره ، وأهـون بـه لـو[٩] أنّ كلّ حمراء يـاقوتـه ، وتحـدّر نوئـه المتصبب ، وتحيّر نجمـه المتصيّب ، وكيف هو مع جيشه الـذي

(١) كذا في الأصول ، ولعل الصواب : « رام حربي .. » .
(٢) (أ) : « الصبّ » .
(٣) في الأصل : « رد علي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) (أ) ، (خ) : « مولانا » .
(٥) في الأصل : « وميض تبسّمه » ، ولا يستقيم مع مـا تقـدمهـا من سجعـة . وفي (أ) ، (خ) : « المومض وتبسمه » .
(٦) في الوافي : « وسرر » .
(٧) في الأصول : « الأثيث » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والأثيث : المخصب .
(٨) في الوافي : « فرع ليله » .
(٩) (أ) ، (خ) ، والوافي : « ولو » .

ما أطلّ حتى مدّ مضارب غمامه ، وظلّل الجو بمثل أجنحة الفواخت من أعلامه ، هذا على أنه حَلَّ عُرى الأبنية ، وحلل ما[١] تلف في ذمّة سالف الأشتية[٢] ، فلقد جاء من البرد بما رضَّ العظام وأنخرها ودقّ فخّارات الأجسام وفخّرها ، وجمّد في الفم الريق ، وعقد اللسان إلا أنه لسان المنطيق ، ويَبَّسَ الأصابع حتى كادت أغصانها تُوقد حطباً ، وقيّد الأرجل فلا تمشي إلاّ تتوقع عَطَباً ، وأتى الزمهرير بجنودٍ ما للقويّ بها قَبَل ، وحمّل الأجسام من ثِقَل الثياب ما لا يعصم منه مَن ﴿ قالَ سآوي إلى جَبلٍ ﴾[٣] ومدّ من السيل ما استبكى[٤] العيون إذا جرى ، واجتحف ما أتى عليه وأوّلُ ما بدا الدمع بالكرى ، فكيف أنت يا سيّدي في هذه الأحوال ؟ ، وكيف أنت في مقاساة هذه الأهوال ؟ ، وكيف رأيت[٥] منها ما شيّب بثلجه نواصي الجبال ، وجاء بالبحر فتلقف ثعبانه ما ألقته هراوات البروق من عصيّ ، وخيوط السحب من حبال ؟ . أمّا نحن فبين أمواجٍ من السحب تزدحم ، وفي رأس جبلٍ لا يُعصم فيه [من][٦] الماءَ إلاّ من رُحِم ، وكيف سيدنا مع مجامر كانون وشرار برقها القادح ، وهمٍّ ودقها[٧] الفادح ، وقوس قزحها المتلوّن ردّ الله عليه صوائب سهامه ، وبَدَّل منه[٨] بوشائع حلل الربيع ونضارة أيّامه ، وجَعَل حظّ مولانا من لوافحه ما يذكيه ذهنه من ضرامه ، ومِن سوافحه ما يولده فكره من توأمِهِ[٩] ، وعوّضنا وإياه بالصيف ، والله يتقّل ، وأراحنا من هذا الشتاء ومَشْي غَمامه المتبختر بكمّه المسبل ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

---

(١) (أ) ، (خ) : « وخلل » . وفي الوافي : « مما تلف » .
(٢) في الوافي : « في دمه الأستية » .
(٣) هود : ٤٣/١١ .
(٤) (أ) ، (خ) : « ما اشتكى » .
(٥) في الوافي : « ترأيت » .
(٦) زيادة ثابتة في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٧) في الوافي : « وقدها » .
(٨) ليست في (أ) .
(٩) في الوافي : « ما يؤكده فكره من توأمه » .

فكتبت أنا الجواب :

يقبّل الأرض ، وينهي وُرُود هذه الرقعة التي هي طرازٌ في حلّة الدهر ، وحديقة ذكّرت بزمن الربيع ، وماتهديه أيامه من الزهر ، فوقف منها على الروض الذي تهدّلت فروعُ غصونه بالأثمار ، ونظر منها إلى الأفق الذي كلٌ[١] كواكبه شموسٌ وأقمار ، فأنشأت له أطرابه ، وأعلمته أنّ قلم مولانا يفعل بالألباب ما لا يفعله نغمة[٢] الشبآبة ، وأرشفته سُلاَفاً كؤوسها الحروف وكل نقطة حبابَه ، وشاهد أوصاف هذه الأيام المباركة القدوم المتصلة الظلام ، فلا أوحش الله من طلعة الشمس وحاجب الهلال وعيون النجوم ، فمالنا ولهذه السحائب السَّحابة ، والغمائم السكّابة ، والرعود الصخّابة ، والبروق اللهابة ، والثلوج التي أصبحت بحصبائها حصابة ، والبرد الذي أمست[٣] إبَرُه لغصون الجلود قَطّابة ، والزُّميتا التي لا تروي عن أبي ذرّ إلاّ وتروي الغيث[٤] عن أبي قلابة[٥] ، كلّما أقبلت فحمة[٦] ظلام قدحت فيها البوارق شرار[٧] جمرتها ، وكلّما جاءت سحابة كحلاء الجفون رجعت مرهاء[٨] لما أسبلته من عبرتها ، فما هذا شهر طوبة إنْ هذا إلاّ جبل ثهلان ، وما هذا كانون إنْ هذا إلاّ تنّور الطوفان ، وإلى متى قُطْنُ هذه الثلوج يُطْرَح على جباب[٩] الجبال ، وإلى متى تُفَاضُ دلاص الأمطار[١٠] ، ويرشقها قوس قزح بالنبال ؟! ، وإلى متى تشقق السحاب ومالها من الحلل والحبر ،

---

(١) (أ) : « كأن » ، وقد خلا منها الوافي .
(٢) ليست في (أ) ، (خ) .
(٣) (أ) ، (خ) : « أصبحت » .
(٤) في الوافي : « العيب » ، ولا وجه لها .
(٥) عبد الله بن زيد الجرمي التابعي ، (ت١٠٤ هـ) ، وفي العبارة تورية .
(٦) في الأصل : « لفحة » وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٧) ليست في الوافي .
(٨) في الوافي : « مدها » ، تحريف ، وعين مرهاء : خالية من الكحل .
(٩) في الأصل : « جياب » تصحيف .
(١٠) (أ) ، (خ) ، والوافي : « الأنهار » . والدلاص : الملساء البراقة .

وإلى متى ترسل خيوط المزن من الجوّ وفي أطرافها على الغدران إبَرٌ[١] ، وإلى متى تجمد عيون الغمام وتكحّلها البروق بالنار ، وإلى متى نثارُ هذه الفضّة وما يُرى من النجوم دينار ؟ ، وإلى متى نحن نَحْنُو على النار « حُنُوَّ المرضعات على الفطيم »[٢] ، وإلى متى تبكي الميازيب :

بكاء الأولياء بغير حزنٍ إذا استولوا على مال اليتيم

وإلى متى هذا البرق تتلوّى[٣] بطون حيّاته وتقلب[٤] حماليق العيون المحمّرة من أسود غاباته ؟ ، وإلى متى يزمجر غيث[٥] هذه الرياح العاصفة ، وإلى متى يرسل الزمهرير أعواناً تصبح حلاوة الوجوه بها تالفة ، أترى هذه الأمطار تقلب بالأذيار أم هذه المواليد التي تنتهي فيها الأعمار ، كم جليد[٦] يذوب به[٧] قلب الجليد ، ويرى زجاجةُ الشفّاف أصلب من الحديد ، ووحل لا تمشي فيه هريرة الوحى[٨] ، وبردٍ لا تنتطق به نؤوم الضحى ، « اللهم حوالينا ولا علينا »[٩] ، لقد أضجرنا تراكم الثياب ، ومقاساة ما لهذه الرحمة من العذاب ، وانجماع كلٌّ عن إلفه ، وإغلاق باب القباب ، وتخلّل الضباب زوايا البيوت ، فالأطفال ضباب الضّباب ، كلّ ضَبّ منهم قد أَلِف باطن نافقائه ، وقدم بين يديه الموت بداية بدائه ، قد حُسد على النار مَنْ أمسى

(١) قوله : « وإلى متى ترسل .. » حتى ههنا ، ليست في (أ) .

(٢) عجز بيت ، تمامه : « حللنا دوحه فحنا علينا .. » ، يعزى للنازي الكاتب ، أحمد بن يوسف السليكي ، ت٤٣٧ هـ ، ويعزى كذلك إلى حمدونة بنت زياد (وفيات الأعيان : ١٤٣/١) .

(٣) في الأصل : « تتلون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وتتقلب » ، والوافي : « وتنقلب » .

(٥) في الوافي : « عتب » .

(٦) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كم من جليد » .

(٧) في الوافي : « له » .

(٨) الوحى : الإسراع والعجلة .

(٩) من كلامه ﷺ ، في حديث الاستسقاء . انظر : برواياته مخرجاً في جامع الأصول : ١٩٥/٦ وما بعدها .

مذنباً وأمسى عَاصياً وتمنّى أن يرى من فواكه الجنات عنّاباً من النار وقراصيا ، فإن كانت هذه الأمطار تكاثر مكارم مولانا فيا طول ماتَسْفح ، وإن كانت العواصف تتشبّه ببأسه فيا طول ما تلفح ، وإن كانت البروق تحاكي ذهنه المتسرّع فيا طول ما تتألق ، وإن كانت قوس قزح تتلّون خجلاً من طروسه فيا طول ما تتألق [1] ، وإن كانت الرعود تحاكي جوانح أعدائه فيا طول ما تشهق وتفهق ، وإن كانت السيول تجري وراء جوده فإنها تجري على طول المدى وما تلحق ، والأَوْلى بهذا النوء الباكي أن لا يحاكي ، والأليق بهذا الفصل المبغض أن لا يتعرّض ، فرحم الله مَنْ عرف قدْره ، وتحقّق أنّ مولانا في الجود نَدْرَه ، أنهي ذلك .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك ، وكتبت جوابه نظماً ، وكتب هو الجواب عن ذلك نظماً .

وكتب إليّ وأنا بالقاهرة وهو يومئذٍ في دمشق رسالة في الثلج ، وكتبت جوابه ، وكتب هو إليّ رسالة يصف كثرة المطر نظماً ونثراً ، وكتبت جوابه أيضاً كذلك [2] .

وبيني وبينه مكاتباتٌ كثيرة ، وقد أوردت ذلك في كتابي « ألحان السواجع » .

ولّما توفي رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء أعزيه ، ونسخته : يقبّل الأرض وينهي ما عنده من الألم الذي برَّح ، والسقم الذي جرّ ذيول الدمع على الخدود وجرَّح ، لما قدّره الله تعالى من وفاة القاضي شهاب الدين :

سَقَتْهُ بألطف أندائها وأغزرها ساريات الغمام

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، قَوْلَ من غابَ شهابه ، وآب التهابه ، وذاب قلبه فصار للدمع قليباً ، وشاب فوده لّما شبّ جمر فؤاده ، ولا غروَ فيومه جعل الولدان شيباً ،

---

(١) (خ) : تتأنّق » .

(٢) (أ) ، (خ) : « عن ذلك » .

فيا أسفي[١] على ذلك الوجه الملّي بالملاحة ، واللسان الذي طالما سحر العقول ببيانه ، فصاحت : يا ملك[٢] الفصاحه ، واليد التي كم روّضت الطروس أقلامها ، وأنشأت أسجاعاً لم تذكر معها بانات الحمى ولا حمامها ، وكأنّ أبا الطيّب ما عنى سواه بقوله[٣] :

تعثرت بـك في الأفـواه ألسنهـا ... والبُرْد في الطُرق والأقلام في الكتب

فرحم الله ذلك الوجه ، وبلّغه ما يرجوه ، وضوّاه بالمغفرة يوم تبيضّ وجوهٌ وتسودّ وجوه . لقد فقد المجد المؤثل منه ركناً تتكثر به الجبال فما تقلّه ولا تستقلّه ، وعدمت الآداب منه بارعاً لو عاصره الجاحظ ما كان له جاحداً ، أو البديع علم أنّ ما فُضّ له فضله ، وغاب من الإنشاء منه كاتب ليس بينه وبين الفاضل لولا أخوه مثله ، أتُرى ابنَ المعتز عناه بقوله :[٤]

هـذا أبـو العبّـاس في نعشـه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وما يقول المملوك في البيت[٥] الكريم ، ألاّ إنْ كان قد غاب بدره وأفل شهابه ، أو غاص قطره وتقشّع سحابه فإنّ نيّره الأعظم باقٍ في أَوْجه ، وبحره الزاخر متلاطمٌ في موجه ، وفي بقاء مولانا خَلَفٌ عمّن سلف ، وعِوَضٌ عمّا انهدَم ركنه وانقضّ ، وجبرٌ لمن عدم الجلد والصبر ، والله يمتع المسلمين[٦] بحياته ، ويجمع لديه بين ثوابه وثباته ، لأنّه قد عاش الدرّ المفدّى بالذهب وأضاءت شمس المعالي إن كان قد خَمَد اللهب :

علِمَ الله كيف أنت فـأعطـا ... ك المحلّ الجليل من سلطانه

جعل الدين في ضمانك والدنـ ... يا فعش سالماً [لنا] في ضمانه[٧]

(١) (خ) : « أسفا » .

(٢) (أ) : « ملاك » .

(٣) ديوانه : ٨٨/١ وفيه : « تعثّرت به » . والبُرْد : جمع بريد .

(٤) ديوان ابن المعتز : ٣٥٨/٢ ، وفيه : « هذا أبو القاسم » .

(٥) في (أ) ، (خ) : « في هذا البيت » .

(٦) (أ) ، (خ) : « الوجود » .

(٧) الزيادة ليست في الأصل ، وهي ثابتة في النسخ الأخرى .

وقد نظم المملوك قصيدةً(١) في رثاء المشار إليه ، وجعلَ قوافيها تبكيه ، وألفاظها تنوح عليه ، وهي :

اللهُ أكبرُ يـــابن فَضْـــل الله ... شَغَلَتْ وفـــاتُـــكَ كلَّ قلبٍ لاه
كلٌّ يقـول وقـد عرتـه كآبـة ... واهــاً لفقــدك إنّ صبري واه
فقـدتْ بـكَ الأمـلاكُ بحرَ ترسـلٍ ... متـلاطمَ الأمـواجِ بـالأمـواه
يـا وحشـةَ الإنشـاءِ منـكَ لكاتبٍ ... ألفـاظُـه زهرَ النجـومِ تبـاهي
وتـوجّـع الأشعـارِ فيـك لنـاظمٍ ... من لطفـه لشـذى النسيم يضـاهي
كم أمسكتْ يمنـاكَ طِرْسـاً أبيضـاً ... فـأعـدْتـه في الحـال طرزاً بـاهي
كم قـد أَدَرْتَ من القريض قـوافيـاً ... هي شهوة النـاشي وزهـو الـزاهي(٢)
ورســالــة أنشــأتهــا هي حــانــه النبّــاذ حــازتْ حضرة الفَكّــاه
ووضعتَ في الآداب كلّ مصنّف ... قـــالتْ لـــه البُلَغـــاء زاهٍ زاه
كم قـــد خطرْت على المجرّة رافــلاً ... يـوم الفخـــار بمعطفٍ تيّـــاه
شخَصَت لعَلْيـاكَ النجـومُ تعجبـاً ... ولـك السَّهى يَرنـو بطرفٍ سـاه
مـا كنتَ إلا واحـدَ الـدهر الـذي ... يسمـو على الأنظـار والأشبـاه
من بعـدك الكتّـاب قـد كتبوا فمـا ... يجـدون منجـاةً لهم من جـاه
أقـلامهم قـد أملقت ورمى الردى ... أدواتهم ودواتهم بـــدواه
وطروسُهم لبست حـداد مـدادهـا ... أسفـاً عليـك مـؤكـداً بسفـاه
أمّـا القلـوب فـإنهـا رهنُ الأسى ... تردُ القيـامـة وهي فيـك كما هي
أبـداً يخيّـل لي بـأنـك حـاضر ... تُملي الفـوائـد لي وأنتِ تجـاهي
فتعـزَّ فيـهِ واصطبر لِمُصَـابـه ... يـا خير مـولى آمرٍ أونـاه
فـدوام ظلّـك في البريـة نعمـةٌ ... ولشكرهـا حتمٌ على الأفـواه

---

(١) (أ) ، (خ) ، والوافي : « قصيدة مختصرة » .
(٢) في الوافي : « هي نشوة » .

لازالَ جـدّك في المعـالي صـاعـداً رتبـاً سعـادتهـا بغير تنـاهِ[(١)]

٢١٩ ـ أحمد بن يعقوب بن أحمد بن يعقوب*

الإمام جمال الدين أبو العباس بن شرف الدين بن الصابوني . هو من ذريّة عبد المحسن بن حمّود الأديب[(٢)] ، وقد ذكرته في تاريخي الكبير .

كان جمال هذا نزيلَ القاهرة ، وبها رأيتهُ . وكان بالحديث قد عني ، وحصّل الأصول المليحة فغني ، ودأب واجتهد ، وبلغ الذروة واقتعد . وأسمعه والده من ابن البخاري[(٣)] وطبقته ، وطلب هو بنفسه مع لِداته ورفقته[(٤)] ، ومهر وتميّز ، ومال إلى فئة الأشياخ وتحيّز .

ولم يزل على حاله إلى أن غُسِل ابن الصابوني بماء الحِمام لاالحمّام ، ورثاه حتى الساجعات على القضب من الحَمَام .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة[(٥)] .

أجاز لي بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة . وكان مولده بدار الحديث النوريّة بدمشق ، ومنها كانت على وجهه أنوار ، وفي روض الطروس من خطّه أنوار .

---

(١) (أ) ، (خ) : « في المبادي » .

* الوافي : ٢٧٦/٨ ، والدرر : ٣٣٦/١ .

(٢) (ت ٦٤٣ هـ) الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٣) في الوافي : « البخاري » ، تصحيف .

(٤) (أ) : « ودفعته » .

(٥) قوله : « ومولده .. » حتى ههنا ، ليس في (أ) .

٢٢٠ ـ أحمد بن يوسف بن هلال بن أبي البركات*

الشيخ الطبيب شهاب الدين أبو العباس الصفدي .

مولده بالشُغر وبَكاس[١] ، ثم إنه[٢] انتقل إلى صفد ، وبها سمّي . ثم إنه انتقل إلى مصر ، وخدم في جملة أطباء السلطان والبيمارستان المنصوري .

رأيته بالقاهرة غير مرّة ، واجتمعت به ، وأنشدني من لفظه لنفسه أشعاراً[٣] كثيرة . وكان شيخاً طوالا ، أبيض اللحية والحاجب ، لا يُرى له عن الفضل حاجب ، قادراً على النظم المحكم السّرد ، قد أثبت فيه على رغم النُظّام الجوهر الفرد ، وله قدرة على وضع المشجّرات فيما ينظمه ، ويؤسس بنيانه ويُحكمه ، ويُبرز أمداح الناس في أشكال أطيار ، وعمائر وأشجار ، ومآذن وعقد وأخياط ، وصوره مُقَاتلٌ ونَفَّاط ، بحيث إنه له في ذلك اليد الطُولى ، والقدرة على إظهار الأعاجيب التي تترك النواظر إليها حُولا .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بالطبيب الداءُ الذي أعجزه طِبّه ، وفارقه بالرُّغم خليله وحِبُّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن .

ومولده سنة إحدى وأربعين وست مئة[٥]

أنشدني من لفظه لنفسه فيما يكتب على سيف :

---

* الوافي : ٢٩٥/٨ ، وفيات ابن رافع : ٢٦١/١ ، والدرر : ٣٤١/١ ، والنجوم : ٣١٧/٩ ، والمنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .

(١) (أ) : الشغر بكأس . وفي معجم البلدان : ٣٥٢/٣ ، أنها قلعتان متقابلتان قرب أنطاكية .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) (أ) : « أنظاما » .

(٤) في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والمنهل : ولادته (٦٦١هـ) .

أنـا أبيضٌ كم جئتُ يـومـاً أسـودا فـأعـدتُـهُ بـالنصر يـومـاً أبيضـا
ذَكَرٌ إذا مـا استُـلَّ يـوم كريهـة جعل الـذكـورَ من الأعـادي حُيّضـا
أختـال مـا بين المنـايـا والمنى وأجولُ في وسط القضـايـا والقضـا[1]

ومن شعره :

حُجبتُ وقـد وافيت أول قـادم بـأول شهر حـلّ أول عـامـه
وكان خليـل القلب في نـار شـوقـه وكنت المنى في بَرْده وسـلامـه

ومنه :

ومـا زلتَ أنت المشتهى متـولعـاً بكثرة تردادٍ إلى الروضـة الصغرى
إلى أن بلغتَ القصـد في كل مشتهى من المصطفى المختـار في الروضـة

وكتب إليَّ وقد وقف على شيء كتبته وزمّكته[2] :

ومـزمّـكٍ بـالّـلازورد كتـابـةً ذهبـاً فقلت وقـد أتتْ بـوفـاق
أألخـذْتَ أجـزاءَ السماء حَلَلْتَهـا أم قـدْ أذبْتَ الشمسَ في الأوراق
أكتبْتَ بـالـوجنـات حُمْرَتهـا كما مخضرّهـا برائرِ العشّـاقِ

وكتب هو إليَّ أيضاً :

معـانيـك والألفـاظُ قـد سَحَر الورى لكلّ مِنَ الألبـابِ قـد أُعطيـا حظّـا
فهبْـك سَبَكْتَ التبرَ معنىً وصغتـه فكيفَ أذبْتَ الـدّرَّ صيَّرتـه لفظـا

فكتبتُ أنا إليه :

وحقّـك لم أكتبْ بتبرٍ كما ترى سُطوراً غدا في وضْعها منية النفسِ
ولكنـا هـذي أشعّـةُ وجهـك الـ ـكريمِ غدتْ تُلقى على صفحةِ الطّرسِ

---

(١) المنهل الصافي : ٢٧٩/٢ .
(٢) المزمَك : المذَهّب .

٢٢١ ـ أحمد بن يوسف بن يعقوب*

القاضي الكاتب الفاضل الناظم الناثر[١] شمس الدين الطِيْبي ـ بكسر الطاء المهملة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها باء موحدة ـ .

كان فاضلاً أديباً ، عالماً لبيباً ، سامعاً على البديهة مجيباً ، ينظم الدُرَر ، ويطلع في طِرسه الزُهر ، وإن تنازلنا قلنا الزَّهَر ، قادر على النظم ، تنزل سكين فيه إلى العظم ، ويأتي منه[٢] بما يشرف الأسماع ويشنفها ، ويحكم على المعاني فيتنزل على مُراده ويصرّفها ، يترسّل فلا يعثر له جواد قلم في ميدان إنشائه ، ويستقي المعاني الغويصة من قَليب الفكر على قِصَر رشائه ، رأيت بخطّه (الحاجبيّة) ، وقد علق في آذان حواشيها أقراطاً ، وأتى فيها بفوائد تدلّ على أنه كان من أئمة هذا الفن فيما تعاطى .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني جمال الدين بن رزق الله[٣] قال : كان عندنا ليلة في مجلس أُنس ، وقد أخذت السُلاف منه مأخذها إلى أن صار في غيبةٍ عن وجوده ، وذكرنا له واقعة المسلمين على شَقْحب ، ونصرتهم على التتار ، وقلنا له : لو نظمت في هذا شيئاً ، فأخذ الدواة[٤] ، ونظم قصيدة تتجاوز التسعين بيتاً فائيّة ، ومدح فيها السلطان . قال : فأعجبتنا[٥] وقمنا آخر الليل ورحنا إلى الحمّام ، فلما أفاق وصحا وأجرَيْنا[٦] له ذكر القصيدة ، فأنكر وقوعها ، وحلف أنّ هذا أمر لم يبدُ منه ، فقلنا له : هذه قصيدة فائية أوّلها :

---

* الوافي : ٢٩٧/٨ ، والدرر : ٣٤١/١ ، والشذرات : ٤٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٨٠/٢ .

(١) ليست في (أ) .

(٢) (أ) : « فيه » .

(٣) في الأصل : « ابن فضل رزق الله » ، وهو سهو .

(٤) (أ) : « الدواة والقلم » .

(٥) في الأصل : « فأعجبنا » ، وأثبتنا ما في « أ » .

(٦) في الأصل : « وأخبرنا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

برق الصّوارم للأبصار يختطف[١]

فقال : أروني إيّاها . فأوقفناه عليها ، فأعجبته[٢] ، وزاد إعجابنا بها . قال ابن رزق الله : وقمت وأخذتها وأتيت بها إلى والدك القاضي محيي الدين ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأوقف عليها[٣] أخاه عمّك القاضي شرف الدين بن فضل الله فأعجبته ، وكانت سبباً لأن استخدمه كاتب إنشاء بطرابلس ، انتهى .

قلتُ : وهذه قصيدة بديعة في بابها ، وسوف أوردها إن شاء الله تعالى في ترجمة السلطان الملك الأعظم الناصر محمد بن قلاوون .

ولم يزل الطيبي في طرابلس على حاله إلى أن صار الطيبي في قبره جيفة ، ولم يجد الحمام من حدّ لسانه خيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس في شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في عشري الحجة سنة تسع وأربعين وست مئة .

ومن شعره[٤] :

لست أنسى الأحبابَ ما دمتُ حيّا ... إذا نَوَوا للنوى مكاناً قصيّاً
وتلَوا آيةَ الدموع فخرُّوا ... خِيْفَةَ البينِ سُجَّداً وبُكيّا
فبذكراهمُ تسحّ دموعي ... كلما اشتقت بُكرةً وعشيّا[٥]
وأناجي الإله من فرط حزني ... كمناجاة عَبْدِهِ زكريّا

(١) عجز البيت : « والنقع يحكي سحاباً بالدما تكسف » . وقد أورها العيني في عقد الجمان : ٢٧٩/٤ ، حوادث سنة (٧٠٢هـ) .
(٢) (أ) : « فلما رآها أعجبته » .
(٣) في الأصل « غلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) النص في المنهل الصافي .
(٥) (أ) ، والوافي : « يسبح دمعي » .

واختفى نـورُهم فنـاديت ربّي ... في ظـلام الـدجى نـداءً خفيّـا
وَهَنَ العظم بـالبعـاد فهَبْ لي ... ربِّ بـالقرب من لـدنـك وليّـا[١]
واستجب في الهـوى دعـائي فـإني ... لم أكن بـالـدعـاء رَبِّ شقيّـا
قـد فرى قلبي الفراقَ وحقـاً ... كان يـومُ الفراق شيئـاً فريّـا
ليتني متّ قبـل هـذا وأني ... كنتُ نسيـاً يـوم النـوى منسيّـا
لم يـكُ الهجر بـاختيـاري ولكن ... كان أمراً مقـدّراً مقضيّـا [٢]
يـا خليليَّ خلّيـاني وعشقي ... أنـا أولى بنـار وَجْـدي صلّيـا
إنّ لي في الفراق دمعـاً مُطيعـاً ... وفـؤاداً صبّـاً وصبراً عَصيّـا
أنـا في هجرهم وَصَلْتُ سُهـادي ... فصِـلاني أو اهْجُراني مليّـا
أنـا في عـاذلي وقلبي وحبّي ... حـائرٌ أيّهم أشـد عِتيّـا[٣]
أنـا شيـخ الغرام مَنْ يتّبعني ... أهـدِهِ في الهـوى صراطـاً سـوّيـا
أنـا مَيْتُ الهـوى ويـومَ أراهم ... ذلـك اليـومُ يـومَ أُبعث حيّـا
أنـا لـو لم أعش بمقْـدَمِ مـولى ... هـو مـولى الـوجـود لم أكُ شيّـا
الفتى البـاسـطُ الجميـلَ جمـال الـدّين من زار من نـداه النـديّـا[٤]
سيّـد مرتضى الخـلائـق أضحى ... راضيـاً عنـدَ ربّـه مرضيّـا
صـادق الـوعـد بـالـوفـاء ضمين ... كالـذي كان وَعْـدُه مـأتيّـا
أوحـدٌ في الصفـات لم يجعـل الله لـه قـطّ في السمـوّ سَميّـا
لا يُرى في الصـدورِ أرحبَ صـدراً ... منـه إذ تَحْضر الصـدور جثيّـا[٥]
مـاجـد أوليـاؤه في رشـادٍ ... وعِـداه فسـوف يَلْقَـوْن غيّـا

---

(١) في المنهل : « في البعاد » .

(٢) في المنهل : « ليس ذا الهجر » .

(٣) في المنهل : « وحبي وقلبي » .

(٤) (أ) : « زاد » وهنا آخر ما أورده ابن تغري بردي في المنهل .

(٥) في الأصل : « تحضر الدور » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

وفتى بالسّماح صبّ رشيد أوتي العلمَ حين كان صبيّا
بلَبان الكمال غُذّيَ طفلاً ونشا يافعاً غلاماً زكيّا[(١)]
لم يزل منذ كان براً تقياً وافياً كافياً وكان تقيّاً[(٢)]
جعل الله في ادّخار المعالي لعلاه لسانَ صدْق عليّا
كم عديم الثراء أثنى عليه وانثنى واجداً أثاثاً ورِيّا
وأولو الفضل حينَ أمّوا قِراهُ أكلوا رزقَه هنيّاً مريّا

قلتُ : قد اقتبس شمس الدين الطِيبي هذه من سورة (مريم) ، كما اقتبسَ ابن النبيه قوله[(٣)] :

قمت ليل الصدود إلاّ قليلا ثم رتّلتُ ذكركم ترتيلا

من سورة (المزمّل) .

وكما اقتبسَ سيف الدين بن قزل المشد[(٤)] قوله :

شِمتُ في الكأس لؤلؤاً منثورا حين أضحى مزاجها كافورا

من سورة (الإنسان) .

والاقتباس إذا كان من آية أو من آيتين لابأس به . وأمّا سورة بكمالها ففي[(٥)] هذا من إساءة الأدب ما فيه .

ومن شعر الطيبي رحمه الله تعالى :

النهر وافى شاهراً سيفَه ولَمْعُه يختبسُ الأعينا
فماجت البركة من خوفه وارتعدت وادّرعت جَوشنا

---

(١) في الأصل : « يانعا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .
(٢) في الأصل « تقيا » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) ديوانه :
(٤) ابن قزل ، علي بن عمر ، (ت٦٥٦ هـ) . والشذرات : ٥/٢٨٠
(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) .

ومنه يصف ثوبَهُ :

لـو أنَّ عيني على غيري تُعـايـنـه ... بكيتـه أحمراً أو متّ بـالضّحـك
ومن رآنيَ فيـه قـال واعجبـا ... أرى على البَرِّ شيخَ البحر في الشبك

ومنه في العود :

اشربْ على العودِ من صهباءَ جـاريـةٍ ... في الْمُنْتَشي جريانَ المـاء في العـود
ترنّم العـودُ مسروراً ومن عجبٍ ... سرورُه وهْـوَ في ضربٍ وتقييـد
من أينَ للعودِ هـذا الصوتُ تُطربنا ... ألحـانُـهُ بـأَطَـاريفِ الأنـاشيـد
أظنُّ حينَ نشـا في الـدوح علّمـهُ ... سجعُ الحمائمِ ترجيعَ الأغـاريـد[1]

ومنه لما أُلبسَ الذّمةُ العمائمَ الملّونةَ :

لا تعجبـوا للنصـارى واليهـودِ معـا ... والسـامريين لَمَّـا عُمِّـوا الخِرقـا
كأنمـا بـاتَ بـالأصبـاغ مُنْسَهـلاً ... نَسْرُ السماء فـأضحى فـوقهم ذَرِقـا

ومنه :

وأصفرٍ أزرق العينين لحيتُـه ... حمراءُ قـد سقطت من كفّ دّبـاغ
ألـوانـه اختلفت لا تعجبـوا فعسى ... قـد كانَ في استِ أُمِّـه دكانُ صبـاغ

٢٢٢ ـ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم*

الشيخ الإمام العلاّمة شهاب الدين الحلبي المعروف بابن السمين .

سمع بآخرة من يونس الـدبّوسي[2] . وقرأ على ابن الصـائـغ ، وصنـع (تفسيراً للقرآن) في عشرين سفراً والإعراب[3] . وله شروح على كتب .

(١) في الأصل : « أظنه » ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
* الدرر : ٣٣٩/١ ، غاية النهاية : ١٥٢/١ ، والذيل التـام : ١٤٦ ، والبغيـة : ٤٠٢/١ .
(٢) كذا في الأصل والدرر ، والمشهور الدباسي (ت ٧٢٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٣) مطبوع .

وتوفي بالقاهرة في سنة ست وخمسين وسبع مئة كهلاً ، رحمه الله تعالى .

٢٢٣ ـ أحمد شهاب الدين الفاضل المغربي*

رئيس الأطباء بالديار المصرية ، وهو والد الرئيس جمال الدين رئيس الأطباء بالديار المصرية .

أسلم سنة تسعين وست مئة ، وكان اسمه في اليهودية سليمان . قال الشيخ علم الدين البرزالي : ضَبطَ ذلك عز الدين الإربلي ، ونقلته من خطّه .

كان رجلاً فاضلاً ، إلى الجدّ مائداً ، عن اللهو مائلاً ، يَعْرِفُ الطّب وبه رَأَسْ ، وجنى به من ثمر الجاه ما غَرَسْ . وله يد طُولى في المنطق والهندسة ، وعنده في ذلك فوائد تجلو بُذُورهَا من ظلمة الليل حُندُسه . وأما النجوم فكان في علمها إماماً ، وبيده تصرف من أحكامها زماماً .

ولم يزل على حاله إلى أن أعيا داؤه ، وفقده أصحابه وأودّاؤه . وقيل : إنّه خلّف من الذهب العَيْن ما قيمته ست مئة ألف درهم .

ووفاته في أواخر صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٢٤ ـ أحمد هو الشيخ أحمد القَبّاري الإسكندراني**

زعم أنه ابن أخت الشيخ الكبير أبي القاسم[(١)] .

قدم دمشق ، وتمشيخ فيها ، وأظهر الصلاح ، ومشّت له الأيام تمويهاً ، واعتقد الناس ولايته ، واغتنموا رعايته ، وجمع عليه الزَّبُون ، ولفتّ الناسَ له المحبون . ثم إنه ظهر بَهْرَجُه ، وانفتح مَدْرَجُه ، فساءت عقباه الخاسره ، وضيّع دنياه قبل الآخرة ،

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٣٠٣/٨ .

(١) أبو القاسم بن منصور الإسكندراني (ت٦٦٢ هـ) . العبر : ٢٧١/٥ .

فَوُسِّطَ في سوق الخيل ، وجُعل دَلوين ، وكان جَسَداً واحداً فأصبح شِلْوَيْن ، وذلك في سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان قد صادقه الشيخ محمد اليعفوري فقير مشهور ، فاتفقا[1] على مكرٍ حَاقَ بهما ، ووقع بيد الأفرم ورقة فيها نصيحة على لسان قطز مملوك قبجق لما كان بالشوبك فيها : أنَّ ابن تيميّة وابن الحريري يكاتبان أميرنا قبجق في نيابة دمشق ، ويعملان عليك ، وأن ابن الزملكاني وابن العطار يطالعان أميرنا بأخبارك ، وأنَّ جماعة من الأمراء معهم ، فتنمّر الأفرم لذلك ، وأسرَّ إلى بعض خواصّه ، وبحث عمّن اختلق ذلك ، فوقع الحدس على الفقيرين ، وأمسك اليعفوري ، فوجدوا في حجرته[2] مسوّدة النصيحة ، فضرِب بالمقارع ، فأقرّ على القباري ، فضرب الآخر ، فاعترف ، فأفتى الشيخ زين الدين الفارقي بجواز قتلها ، فطيف بهما ، ثم وُسِطا بسوق الخيل وقطعت يد التاج ابن المناديلي الناسخ ، لأن المسوّدة كانت بخطّه ، وسيأتي ذكره في موضعه من حرف العين ، وهو عبد الرحمن بن موسى .

الألقاب والأنساب

☆ **الأحمدي :** الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ **الأحمر :** ملك الأندلس محمد بن محمد .

☆ **وابن الأحمر :** نصر بن محمّد بن القاضي[3] .

☆ **أخوين :** محمد بن عمر .

٢٢٥ ـ إدريس بن علي بن عبد الله*

الأمير عماد الدين الحَسَني الْحَمْزيّ اليمني .

(١) في الأصل « فأنفقا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في الوافي : « حجزته » .

(٣) كذا ، وهو سهو ، فنصر بن محمد القاضي هو رجل آخر غير نصر بن محمد بن الأحمر . وستأتي ترجمتها

* الوافي : ٣٢٨/٨ ، والدرر : ٣٤٥/١ ، والبدر الطالع : ٥٢/٤ ، والمنهل الصافي : ٢٨٥/٢ .

كان أحد أمراء اليمن في دولة الملك المؤيد بصنعاء ، وكان فاضلاً ، فارساً مناضلاً ، أتقن علوماً ، وأنشأ منثوراً ومنظوماً . وكان زيديَّ الْمَذْهَب ، ناشر العلم الْمُذْهَب ، هَمَّ أهلُ مذهبه بتلك الناحية أن يقلدوه الزّعامة ، ويرشّحوه للإمامة ، لأنه جمع بين الشجاعة والكرم ، ونفخ من السيادة في ضَرَم ، فامتنع[1] ونزع يده ، فعظّمه لذلك الملك المؤيد وأيّده .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمَّ من الحمزي أمْرُه ، وضُمَّ عليه قبره .

وتوفي رحمه الله سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

عوجا على الرسم من سلمى بذي قار — واستوقفا العيسَ لي في ساحة الدار
وسائلاها عسى تُنْبيكما خبراً — يشفي فؤادي فيقضي بعض أوطاري[2]

منها :

يا راكباً بَلِّغَنْ عني بني حَسَن — وخصّ حمزة قومي عصمةَ الجار[3]
إنَّ المؤيد أسماني وقرّبني — واختارني وَهْوَ حقاً خيرُ مختار[4]
أعطى وأمطى وأسدى كل عارفة — يقصّر الشكر عنها أيّ إقصار
وخصّني بولاءٍ فزتُ منه به — فأصبحَ الزندُ مني أيّما وار[5]

قلتُ : شعر متوسط .

---

(١) (أ) : « فتورّع » .

(٢) في المنهل : « ويقضي » ، والقصيدة قالها يمدح الملك المؤيد .

(٣) (أ) : « عصبة » .

(٤) (أ) : « واختار لي » .

(٥) في الوافي : « واختصني » .

الألقاب والأنساب

☆ **الأدفوي** : شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الوهاب .

☆ **الأدفوي** : كمال الدين جعفر بن تغلب الأدفوي شمس الدين الحسين بن هبة الله ، وعبد القادر بن مُهذّب .

٢٢٦ ـ أذينة*

شحنة بغداد ، أقام بها من جهة المغل مدة ، كان مشكور السيرة مسلماً يتوجّه إلى صلاة الجمعة ماشياً .

توفي بالكوفة في أوائل سنة تسع وسبع مئة[١] .

النسب والألقاب

☆ **الأَذْرعي** : الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا . وضياء الدين علي بن سليم . وقاضي القضاة شمس الدين الأذرعي الحنفي محمد بن إبراهيم .

---

* الدرر : ١/٣٤٧ .

(١) وقع في (أ) بعد هذا ما نصّه :

« وكان قد مهّد بغداد ، واختفى الزناطرة في أيامه ، إلى أن لم يظهر منهم أحد . وذلك أنه طلب كبراءهم حين تولى ، وقال : أحضروا لي الجماعة حتى أضيفهم وأتفق أنا وهم على المصلحة ، فاستصوبوا رأيه ، وأحضروا منهم جماعة ، فمدّ لهم سماطاً عظيماً ، فأكلوا . وبقي كلما خرج منهم إنسان وسَّطَهُ نصفين ، فارتاعوا لذلك ، واختفى الباقون منهم .

ويحكى عنه أن ولده مدّ يده إلى تفاحٍ على رأس بعض الباعة ، فأخذ منه تفاحة ، ودخل إليه وهي في يده ، فقال له : يا بابا مِنْ أين لك هذه ؟ قال : أخذتها . وحكى له الصورة ، فرسم بتقتيره ، فجُنّت أمه ، وأرسلت إلى كل من في بغداد من الحكام والقضاة والأكابر ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا صغير ، والمأخوذ ماله قيمة ، فحلف أنه لا بد أن يعلّق في القتارة . فأفتاه المفتون أن يوضع في زنبيل ، ويعلّق في القتارة ، ففُعل به ذلك .

وحكاياته مشهورة كثيرة عجيبة » .

٢٢٧ - أراي*

الأمير سيف نائب الكرك .

هو في الأصل مملوك الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار نـائب حلب ، ثم إنـه تنقّل بالديـار المصريـة إلى أن حصل لـه إمرة الطبلخـانـة ، وهو الـذي ورد على الأمير سيف الدين يَلبغـا[1] ، وهو بـالقصر الأبلق . وقـد خرج بـدمشق في المرة الثـانيـة على الملـك المظفر حاجي ، والأمراء قد التفوا عليه ، فلمـا جـاء قـال لـه : السلطـان رسم بطلبـك لتتـوجـه إليـه إلى مصر ، والتفتَ إلى الأمراء وقـال لهم : يـا أمراء ! نـائبكم الأمير سيف الـدين أرغون شـاه نـائب حلب ، فلمـا سمع الأمراء ذلـك تفلّلت[2] عـزائمهم عن يلبغا[1] ، وتحللت عُقَد ضمائرهم عنه ، وعاد إلى مصر .

ثم إنه جُهّز لنيابة الكرك في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها [نـائبـاً][3] إلى أن طُلب إلى مصر في شهر رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبع مئـة ، فتوجّـه إليهـا وأقام بها ، وما لبث أن[4] جاء الخبر إلى دمشق بوفاتـه في صفر سنـة سبع وخمسين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

وأظنه كان قد باشر أولاً بالديار المصرية آخوريه الصغرى[5] ، وكان عاقلاً سـاكنـاً ديّناً ، يحب العلمـاء ، ولـه رغبـة في العلم واقتنـاء المجلـدات . ولمـا طلب من الكرك إلى

---

* الدرر : ١/٣٤٧ .

(١) في الأصل : « بيغا » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (خ) : « انفلّت » .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (خ) : « إلى أن » .

(٥) (أ) ، (خ) : « الأمير آخورية الصغرى » وفي (ق) « الإمراخورّيـة » ، وأمير آخور هو المشرف على إصطبل السلطان وخيوله .

مصر باشر أمير آخور كبيراً ، وتوجّه عوضه نائباً بالكرك الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب .

٢٢٨ ـ أَرْبَكَوون*

بفتح الهمزة وسكون الراء ، وفتح الباء الموحدّة والكاف وبعدها واوان ونون ، سلطان العراق وأذْرَبيجانِ والروم ، من ذريّة جنكزخان .

نشأ في غمار الناس ، وكان أبوه قد قتل أولاً . ولما توفّي القان بوسعيد رحمه الله تعالى شاور الوزير غياث الدين محمد مُقَدَّمي التتار[١] ، وقال : هذا الرجل من العظم ، فبايعوه وأجلسوه على التخت .

يقال : إنه كان نصرانيّ الاعتقاد ، لا يثبت إيمانه على محكّ الانتقاد ، ألبس التتارَ السراقوجات الأولى ، وجال في الفتك عرضاً وطولاً ، وأنكر على كبار المغل مهادنة أهل الإسلام ، وملئ قلبه من الظلم والإظلام ، وقتل الخونده بغداد[٢] رحمها الله تعالى ، وجَبَى[٣] الأموال ، وخبط الأحوال ، وقاسى[٤] الناس منه أمرّ الأهوال .

وكان قد قصد دخول الشام ، وانتجع[٥] برق خرابه وشام ، فكفى الله أمره ، وأخمد جمره .

وجرت أمور يطول شرحها ، ويعظم سرحها ، إلى أن قتله النوين علي باشا ،

* الوافي : ٣٣٤/٨ ، وذيل العبر : ١٩٣ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٩٠/٢ .

(١) محمد بن فضل الله بن أبي الخير بن غالي الوزير ، (قتل سنة ٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) هي بغداد بنت جوبان ، زوجة القان بوسعيد ، وستأتي ترجمتها .

(٣) في الأصل : « وجنى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « وساس » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « وأسجع » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

وحاز من الثناء النافح ماشا ، وأغصَّه السيفُ بريقه ، واختطف بَصَره مِنْ بَرِيقه ، وذلك في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت مدة ملكه شُهيرات .

٢٢٩ ـ أَرَتْنى*

بفتح الهمزة وسكون التاء ثالثة الحروف ، وبعدها نون وألف مقصورة .

الحاكم بالبلاد الروميّة من جهة القان بوسعيد . كاتَبَ السلطان الملك الناصر بعد وفاة بوسعيد ، وطلب منه أن يكون نائبه ، فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه الخلع السنيّة ، وكتب له تقليداً بنيابة السلطنة بالبلاد الروميّة ، ولم تزل رسله تتردد إلى آخر وقت . ووقع[(١)] بينه وبين أولاد تمرتاش[(٢)] ، فجمعوا العساكر وجاؤوا إليه ، ومعهم القان سليمان ، فكسرهم بصحراء أكرنبوك ـ بكافين ، وبينهما راء ونون وباء ثانية الحروف وواو ، قبل الكاف الأولى همزة ـ وأسر جماعة من أمرائهم ، وغنم أموالهم وهزمهم أقبح[(٣)] هزيمة ، ومنها حمل القان سليمان ، وعظُم بذلك أرتنى في النفوس . وكانت هذه الواقعة في إحدى الجُمَادين سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان خيّراً فيه ديانة ، وله ميل إلى المسلمين في الظاهر والباطن من غير جناية ولا خيانة ، ولا يزال أهل العلم عنده ، وبهم يُوري زَنْده ، وخاتونه تجلس وراءه تسمع كلامهم ، وترى جدالهم ، وتشاهدهم إذا راموا سهامهم ، ولم يجد المسلمون منه إلاّ خيراً ، ولا عَدِمِ قاصدهم منه كرماً وميراً[(٤)]

---

* الوافي : ٣٣٧/٨ ، والدرر : ٣٤٨/١ ، والمنهل الصافي : ٢٩٤/٢ .

(١) في الأصل و (أ) و (خ) . « وقع » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي . وفي المنهل : « إلى أن وقع بينه .. » .

(٢) تمرتاش بن جوبان ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « قبح » ، وأثبتنا ما في (أ) (خ) (ق) والوافي ، والمنهل .

(٤) (أ) ، (خ) : « ولاميرا » .

ولم يزل على حاله إلى أن يَرَق منه البصر ، وجزم الموتُ حياته واختصر ، فعدم الإسلام منه مؤازراً ، ورَأوا من بَعْده من العدوّ طرفاً متخازراً ، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وقلت أنا فيه :

بمملكة الروم حلّ الردى لأجل النَّوين الذي قد فَقَدْنا
فَتَبّاً لصرف الليالي التي أَرَتْنا أَرَتْنى كما لا أردنا

٢٣٠ ـ أرسلان*

الأمير بهاء الدين الدَّوَادَار .

كان أولاً عند الأمير سيف الدين سلاّر أيام النيابة خصيصاً به ، حظيّاً لديه . ولما جاء السلطان الملك الناصر من الكرك بعساكر الشام ، ونزل بالرَّيْدانية ظاهر القاهرة ، اطلّع بهاء الدين أرسلان على أنّ جماعة قد اتفقوا على أن يهجموا على السلطان ، ويفتكوا به يوم العيد أوّل شوّال ، فجاء إليه وعرّفه الصورة ، وقال له : اخرج الساعة ، واطلع القلعة واملكها ، ففتحوا له شرج[1] الدهليز ، وخرج من غير الباب ، وصعد القلعة ونجا من أولئك القوم ، وجلس على تخت الملك ، فرعى له السلطان تلك المناصحة . ولما خرج الأمير عز الدين أيدمر الدوادار[2] من الوظيفة رُتّب بهاء الدين أرسلان فيها .

وكان حسن الشكل ظريفاً ، حُلْوَ الوجه ، لا يزال به الإقبال من القلوب مُطيفاً ، خطّه أبهجُ من الرياض اليانعة ، وآنقُ من النجوم الساطعة ، يكتب سريعاً ، ويَخْرج

---

* الوافي : ٣٤٦/٨ ، والدرر : ٣٤٩/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠٠/٢ .

(١) في الأصل « سرح » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والشرج : منفسح الشيء .

(٢) ستأتي ترجمته .

الطِّرس من تحت قلمه روضاً مَريعاً[١] ، بعبارة سادّة ، وإشارة في تنفيذ المهات حادّة . رأيت له أوراقاً بخطه ، قد كتبها إلى كتّاب السّرّ بما يرسم به السلطان ، ويفتقر إلى كتابتها تدبير المُلك لبلوغ الأوطار في الأوطان ، وهي عبارة مسدّدة ، وافية بالمقاصد المؤكّدة ، لا يفوته فيها فخرٌّ مُخِلّ ، ولا يأتي فيها بقَول مُمِلّ . وكان القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر[٢] قد درّبه ، وخرّجه وهذّبه ، ويقال : إنَّ الرسالة التي وسمها بـ (مراتع الغزلان)[٣] أنشأها فيه . وكان قد استولى على السلطان في أيامه وغلب عليه في يقظته ومنامه ، ولم يكن لغيره في أيامه ذِكْر ، ولا يُسمع في تلك المدة ثناء على غيره ولا شكر ، ولم يكن لفخر الدين وكريم الدين عظمة إلاّ بعده ، واجْتهدا فما نالا طَرْدَه ولا بُعده .

وكان قد أنشأ خانقاه في المنشأة المنسوبة للمهراني[٤] . وكان كلّ ليلة ثلاثاء ينزل من القلعة يبيت فيها ، ويحتفل الناس للحضور إليها ، والمقام بنواحيها . وترسّل عن السلطان إلى مهنّا[٥] ، وتعيّن لتلك الرسالة وتعنّى ، ونفع الناس نفعاً عظيماً ، وقلدّهم من مِنَنه عقداً نظيماً .

ولما مات وُجد في تركته ألف ثوب أطلس ، ونفائس متى رآها غيره أفرد حيرة وأبلس ، وتواقيع جملة ، ومناشير حملة ، مَعَلّم عليها ، فأنكر السلطان معرفتها وعلمها ، ونسب إليه اختلاسها وظلمها .

---

(١) في الأصل : « ينيعا » ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله . (ت٧١٧هـ) .

(٣) الكشف : ١٦٥٠/٢ .

(٤) هي فيما بين النيل والخليج ، وعرف موضعها بالكوم الأحمر ، عمّر الظاهر بيبرس بها جامعاً ، ثم أنشأ الأمير سيف الدين بلبان المهراني داراً وسكنها ، وبنى مسجداً ، فعرفت به . (هامش المنهل : ٣٠٢/٢) .

(٥) مهنا بن عيسى بن مهنا ، (ت ٧٣٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

ولم يزل على حاله إلى أن أطفأ الموت شرارته ، وأبطل من التواقيع والمراسيم رسالته وإشارته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع عشرة وسبع مئة . وتوفي هو والقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر والقاضي شرف الدين بن فضل الله[١] بدمشق في شهر واحد . ووفاة أرسلان المذكور[٢] في ثالث عشري شهر رمضان من السنة المذكورة .

[٣]كتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة لنفسه :

بك ماسَ عطفُ الدهرِ في حُلل البها ... وسما مكان الفضل منه إلى السُّها
ولديكَ أدركَ كلُّ راجٍ مَارَجا ... كرماً وأحرز كلُّ عافٍ ما اشتهى
بَشَرٌ يُبَشِّر آمليه بسؤلهم ... منه ويبدأ هم إذا قيل انتهى
وكما أوصاف تُعَلّم من رأى ... تلك المهابة كيف تُكْتَسَب النهى
يحمى حمى الملك الشريف برأيه الـ ... ـعالي فيغدو للسيوف مرفّها
ويصون أطراف الثغور يراعُه ... فيشَيدها ويسدّ منها ما وهى
متيّقظٌ للبر والإحسان لا ... يحتاج في كَسْب الثناء منبّها
ضَلَّ الذي لنواله ولبأسه ... باالليث أو باالغيث ظلَّ مشبّها
فالليثُ ما يُردي الجيوشَ زئيرُهُ ... والغيثُ ما يروي الممالك كلّها
يا سيّد الأمراء دعوةَ مخلصٍ ... أضحى بشكركَ والثناء مفوّها
أنتَ المؤمَّلُ للمطالِب حين لا ... يُدعى سوى إحسانك الوافي لها
وإذا تعقّدتِ الأمورُ فما سوى ... معروفك المعروفِ يُحْسِنُ حلّها
لازلتَ تَقْني الأجر في البر الذي ... تولي وترجو اللهَ في بذلِ اللّهى

(١) هو عبد الوهاب ، ستأتي ترجمته .
(٢) (أ) : « ووفاته » .
(٣) من هنا حتى آخر الترجمة ، خلت منه (ق) .

٢٣١ ـ أرسلان الأمير بهاء الدين*

ابن الأمير علاء الدين مَغْلطاي أمير مجلس[١] ، سيأتي ذكر والده مغلطاي في حرف الميم .

كان بهاء الدين هذا أمير عَشَرة بدمشق ، كان بها إلى أن توجّه إلى إقطاعه بنواحي نابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى هناك في ثامن شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة .

٢٣٢ ـ أرغون الأمير سيف الدين الدوادار الناصري**

كافل الممالك الإسلامية .

اشتراه الملك المنصور قلاوون وهو صغير لولده الملك الناصر ، فربي معه ، وأَلِفَ به ، وكان معه في الكرك ، ولم يفارقه ، وولاه السلطان نيابة مصر بعد الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار في جمادى الأولى سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

كان بيبرس تولاها بعد الأمير سيف الدين بكْتُمر الحاجب أمير خازن دار .

سمع (البخاري) من الحجار بقراءة الشيخ أثير الدين ، وكتبه بخطّه في مجلد[٢] في الليل على ضوء القنديل .

ولم يزل[٣] في بيت أستاذه كبيراً ، موقراً أثيراً ، هو رأس الحزب ، وكبش ذلك

* لم نقف على ترجمة له ، وقد خلا من ترجمته (ق) والوافي .

(١) في الأصل : « ابن أمير مخلس » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

** الوافي : ٣٥٨/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والدرر : ٣٥٠/١ ، وذيل العبر : ١٦٧ ، والنجوم : ٢٨٨/٩ ، والشذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٠٦/٢

(٢) (ق) : « مجلد واحد » .

(٣) (ق) : « ولم يزل معظما » .

الحرب ، والذين يقولون بقوله ، ويبطشون بقوته وحَوْله ، هم أكابر الخاصكية وأعيانهم ، وأمراؤهم المذكورون وشجعانهم مثل : قجليس والجمّالي ومنكلي بغا وطُرجي وطشتمر والفخري[1] .

وكان فقيهاً حنفيّاً ، فاضلاً في مذهبه مُفْتياً ، يعرف دقائق مذهبه ويناظر ، ويذاكر بغرائبه ويحاضر . لما توجه إلى حلب نائباً ، ونزل بجامع تنكز وصلّى العصر خلف الشيخ نجم الدين القحفازي جذبَهُ وأخرجه من المحراب ، وقال : ما هو مذهبك يافقيه ؟ يعني بذلك صلاة الطاق ، وهي مسألة معروفة في مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه .

وكانت عنايته بالكتب إليها المنتهى ، وبلغ من جَمْعها ما أراد واشتهى . لّما مات قجليس بمصر ، وهو بحلب ، أرسل ألفي دينار[2] ليُشترى له بها كتب من تركته ، وجهّز إلى بغداد ، واستنسخ (فتاوى) ابن قاضي خان[3] ، وعلم الناسُ رَغْبته في ذلك ، فحملوا إليه حملاً من أطراف الممالك .

وكان له معرفة بعلم الميقات ، وعنده من ذلك بناكيم وآلات[4] . ولم يُرَ في الترك مثله سكوناً ووقاراً ، وهيبة وشعاراً ، ومَلَكَةً لنفسه عن الغضب واقتداراً ، قلَّ أن عاقب ، وطالما خاف إلهه[5] وراقب ، لم يسفك دماً في حلب مدة إقامته ، ولا ظَلَم أحداً من الرعايا في نيابته ، واجتهد في حلب على سياقة نهر السَّاجور[6] ، وبذل فيه أموالاً يتحقق بها أنه عند الله مأجور ، وما زال إلى أن أدخله حلب ، وساق به إليها كل خير وجَلَب .

---

(١) ستأتي تراجمهم في مواضعها .

(٢) أ ، ق : « إلى مصر » .

(٣) هو الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندي الفرغاني ، (ت ٥٩٢ هـ) . الكشف : ١٢٢٧/٢ .

(٤) قوله :« وآلات » ، ليس في (أ) .

(٥) في الأصل : « الهمه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ق) .

(٦) معجم البلدان : ١٧٠/٣ .

وكان يؤثر أهل العلم ويُدْنيهم ويخصّهم بالذكر ويعنيهم ، له حنوّ زائد على الشيخ أثير الدين ، وعلى الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ، ولم يمكّن أستاذَه مدة مقامه بمصر من خروجٍ عن الواجب ، وأمراء الدولة والخواصّ كلّهم يهابونه ويخافونه ، وللمُلك به جمال ، ولبدر الدولة بنيابته كمال ، وعلى الوجود إضاءة[١] ، وللنيابة قُعْدُد وأناءة ، ولما تولاها أجراها على السداد ، وقرّر قواعدها ووطّد مجدها وساد ، وذلك من أواخر سنة إحدى عشرة فيما أظنّ إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهي تجري بريح طيّبة الهبوب ، سالمة من شرر الشر والألْهوب .

وكان قد توجّه إلى الحجاز في سنة ست وعشرين ، وفي قلب القاضي فخر الدين ناظر الجيش منه قَلُوب[٢] ، وهو يودّ أن يرمي أَسده في أقلوب[٣] ، فاغتنم غيبته ، وجدد في كل وقت غِيبته ، مع ما كان في نفس السلطان منه ، لأمر ندبه إليه في الباطن لم يُر اعتمادَه ، وخاف فيه حشره إلى الله ومعادَه ، ولما عاد من الحجاز لم يدعه بكتمر الساقي يدخل[٤] إلى السلطان ، ولم يساعد في أمره على ما سوّله الشيطان ، وبقي عنده في بيته ثلاثة أيام بلياليها[٥] ، والفكرة في أمره تَشْتبك عواليها ، إلى أن جهّز السلطان الأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار[٦] إلى حلب لإحضار نائبها علاء الدين ألطنبغا ، وأكد عليه في سرعة التوجه والعود لما أراده في ذلك وابتغى ، ثم إنه رسم لأرغون بنيابة حلب ، وأخرجه مع الأمير سيف الدين أيتمش إليها ، وأرسل منه[٧] سحائب الرحمة عليها ، فاجتمع تنكز وألطنبغا وأُلجاي وأرغون في دمشق في المحرم سنة

(١) (ق) : « به إضاءة » .
(٢) أي داء .
(٣) كذا ، ولم نتبيَّن مراده .
(٤) (أ) : « أن يدخل » .
(٥) في الأصل و (أ) : « بلياها » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٦) ستأتي ترجمته .
(٧) : (أ) : « معه » .

سبع وعشرين وسبع مئة ، فغرّب ذلك وشرّق هذا ، ونفذ سهم القدر[1] بما أراده الله تعالى من ذلك نفاذاً ، فوصل حلب وأقام بها نائباً إلى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وطلب الحضور إلى مصر في أواخر هذه السنة ، فأُذن له في ذلك ، ولمّا رآه بكيا طويلاً ، وأبدى كل منهما تأسفاً وعويلاً ، وأقام عنده أياماً ، ثم أعاده إلى نيابة حلب على حاله ، فعاد عود الغيث إلى الروض الذي صَوَّح ، أو البدر الذي ابتدر نُوره إلى الساري ولوّح .

فلم يزل بها على حاله إلى أن أرغم الموتُ من أرغون أَنْفَه ، وعدم السمع من ذكر حياته شَنْفَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكان عمره تقديراً بضعاً وأربعين سنة ، ودفن بتربة اشتريت له بحلب ، وكان قد طوّل في مرضه ، وحدس الناس على سهم أصاب مرمى غرضه ، وجهز السلطان إليه صلاح الدين محمد بن البرهان الطبيب[2] من مصر ، فما وصل إلى دمشق حتى مات ، ونزل به من عَدّوه الشمات .

وهو الذي كَمّل سياقة نهر الساجور إلى حلب بعد ما كان قد ساقه الأمير سيف الدين سودي ، ولم يتفق وصوله على ما سيأتي في ترجمته ، ويوم دخوله خرج لتلقيّه هو والأمراء وأهل البلد مشاة ، وشعارهم التكبير والتهليل حمداً لله تعالى ، ولم يمكن أحداً من المغاني والمطربين الخروج[3] معهم ، وكان يوماً مشهوداً ، وخرج الناس بوصوله ، وأحكم عمله وسياقه في الجبال والسهول واتفق في طريقه واديان وجبلان ، فبنى على كل واحد من الواديين جسراً يعبر الماء عليه ، وأما الجبلان فكان الأول منهما سهلاً نُقب في مدة يسيرة ، والآخر كان صخراً أصمّ ، وطُول الحفر في هذا الجبل ثلاثمئة

(١) (أ) : « العذر » .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) (أ) ، (ق) : « من الخروج » .

ذراع وستون ذراعاً ، وأغمق[١] موضع[٢] فيه من الجباب طوله ستة عشر ذراعاً ، وبعضه محفور على هيئة الخندق ، وبعضه جباب مُقَفَّرة ، وكان من هذا القدر نحو عشرين ذراعاً لا يمكن حفرُه إلاّ بعد حرقه بالنار مدة أيام ، وانتهى عمل هذا الجبل في ثمانية أشهر ، وكان بعد هذا الجبل سهل ، فظهر بالحفر فيه حجارة سود مدوّرة ، لا يمكن كسرها إلاّ بالمشقة ، ولما رجع الأمير سيف الدين أرغون إلى المدينة حصل له تشويش ومرض ، ومات رحمه الله تعالى . وقيل : إنه قيل له ياخوند ! بالله لا تتعرض إلى هذا النهر فإنه ما تعرض له أحد إلاّ ومات ، فقال : أنا أكون فداء المسلمين فيه ، وجعل مشدُّه شخصاً من مماليكه اسمه أرغون فاتفق ما جرى[٣] .

٢٣٣ ـ أرغون الأمير سيف الدين العلائي*

رأس نوبة الجمداريّة[٤] من أيام أستاذه . أخرجه الأمير سيف الدين قوصون إلى صفد ، فورد إليها جندياً ـ فيما أظنّ ـ وعاد مع الفخري إلى مصر . وهو زوج والدة الصالح[٥] إسماعيل والكامل شعبان . فأقام بمصر إلى أن خُلع الناصر أحمد كما تقدم ، وجلس الصالح إسماعيل على كرسيّ المُلْك ، فكان هو مدبّر تلك الدولة ، وحوله في ذاك الجو مدار الجَوْله . ولما قتل أحمد زاد تمكّنه ، وعظم تعيّنه ، وظهر تبيّنه ، وزهر تزيّنه ، وكثرت إقطاعاته وأمواله . وضماناته وأملاكه وأثقاله ، وأنعامه وأنفاله[٦] ،

---

(١) ق : « وأعمق » .

(٢) في الأصل و « ق » : « موضعا » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) زاد في (أ) : « وفيه يقول الفاضل الرئيس شرف الدين :

لَمّا أتى نهر الساجور قلت له ... كم ذا التأخر من حين إلى حين

فقال أخّرني ربي ليجعلني ... من بعض معروف سيف الدين أرغون

والنص في المنهل : ٣٠٧/٢ .

* الوافي : ٣٥٥/٨ ، والدرر : ٣٥٣/١ .

(٤) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه .

(٥) (أ) : « وهو زوج أم للملك الصالح » .

(٦) في الأصل : « وأنفاطه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

فكان أكبر من النّـواب ، وأعظم من المقيم والجـوّال والجـوّاب ، ودبّر الأمر بسعـد قـد اطمأن ، وركن حَظُّه واستكن .

وتوفي الملـك الصـالح إسماعيل ، وولي الملـك أخـوه الكامـل شعبـان ، وأرغـون في سعادته ريّان شبعـان ، إلى أن خرج أمراء مصر على الكامل وخلعوه ، وضُرب أرغون[(١)] العـلائي في وجهـه ضربـة مهـولـة بطبر[(٢)] ، إلاّ أنـه ثبت لهـا وتجلّـد ، واحتمـل وصَبَر ، وكانت[(٣)] جراحـةً نجلاء واسعـة ، رَأَى الأرض منهـا خـافضـة رافعـة ، قيل : إنّ الـذي جَرَحه أرغون شاه . وقيل : غيره ، على ماذكره النقلة والوشاة .

ثم إنه اعتقل في إسكندرية أول دولة المظفر حاجي ، فأقـام في الاعتقـال مـدة إلى أن قتل الحجازي[(٤)] وآقسنقر ، فطلب من إسكندرية ، وخرج إليه الأمير سيف الـدين منجـك ، فقيل : أنزلـه العلائي بطن الأرض ، واستعـاد العـدمُ مـالـه عنـد وجوده من القرض ، وكانت قتلته في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكانت سعادته قريباً من خمس سنين .

٢٣٤ ـ أرغون شاه الأمير سيف الدين الناصري*

كان رأس نوبةِ الجمداريّة أيامَ أستاذه النـاصر ، وكان هو وأرغون العلائي شريكين في هذه الوظيفة ، لكنـه هو المقـدم ، وكان في أوّل أمره قـد جلبـه الكمـال الخطـائي إلى القان بوسعيـد من بلاد الصين هو وسبعـة من المماليـك وثمـانمئـة ثوب وَبَر خطـائي من

---

(١) ليست في (أ) ، (خ) .

(٢) أي : بفأس .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) الأمير سيف الدين ملكتمر ، ستأتي ترجمته .

* الـوافي : ٣٥١/٨ ، وتحفـة ذوي الألبـاب : ٢٧٣/٢ ، والـدرر : ٣٥٠/١ ، والشـذرات : ١٦٦/٦ ، والمنهـل الصافي : ٣١٤/٢ .

أملاك بوسعيد الموروثة له[١] عن أبيه وجده من جدهم جنكز خان بتلك البلاد ، فَنَمَّ على الكمال الخطائي لبوسعيد[٢] فصادره ، وأخذ منه مئة ألف دينار ، ثم إنَّ بوسعيد كرهه لذلك ، فأخذه منه [دمشق][٣] خواجا بن جوبان ، فكأنّ ذلك لم يهن عليه ، فنم إلى بوسعيد أيضاً بأمر دمشق خواجا مع الخاتون[٤] طقطاي ، وجرى من أمرهما ما جرى من حزّ رأسيهما وخراب بيت جوبان ، ودكه .

ثم إنَّ بوسعيد ارتجع أرغون شاه ، ثم إنه بعثه إلى الملك الناصر هو والأمير سيف الدين ملكتمر السعيدي[٥] ، فحظي الأمير سيف الدين أرغون شاه عند الناصر ، وأمّره وجعله رأس نوبة ، وزوّجه بابنة الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، ولم يزل بمصر إلى أن خرج مع الفخري لحصار الكرك ، ثم توجه مع العساكر الشامية إلى القاهرة ، وجرى منه في نيابة طشتمر ما أوجب أن ضربه وأراد إخراجه إلى طرابلس ، ثم إنه[٦] شُفِعَ فيه .

ولما تولى الملك الكامل حظي عنده ، وجعله أستادار السلطان . ثم تولى الملك المظفر ، فزادت حظوته عنده ، فما كان بعد ثلاثة أشهر حتى خرج[٧] مع النائب الحاج أرقطاي من عند السلطان ، وأُخرج له تشريف[٨] ، فلبسه ، وطلب الاجتماع بالسلطان ، فمنع .

---

(١) (أ) ، (خ) : « لهم » .

(٢) في الأصل و (أ) و (خ) : « أبو سعيد » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) . وعبارة الوافي : « إلى بوسعيد » .

(٣) زيادة (أ) (خ) (ق) والوافي . وفي المنهل : « فأعطاه لدمشق خجا بن جوبان » .

(٤) في الأصل : « الخواجا » وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٥) في الوافي : « البوسعيدي » .

(٦) ليست في (أ) و (خ) و (ق) .

(٧) (أ) ، (خ) : « فلما كان بعد .. خرج » .

(٨) (أ) ، (خ) : « وأخرج له تشريفا » .

وأُخرج لنيابة صفد ، فوصل إليها على البريد في خمسة أرؤس في أوائل شوال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فدبرّها جيداً ، وأقام الحرمة والمهابة ، وآمن السبل .

ولم يزل بها إلى أن طُلب إلى مصر في العشر الأواخر من صفر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ورسم له بنيابة حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر البدري ، ودخل دمشق في سادس شهر ربيع الأول من السنة دخولاً عظيماً ، جاء على البريد[١] ، وأقام على القُصَير المعيني[٢] إلى أن جاءه طلبه من صفد ، ودخل بِرَخْت[٣] وأبّهة زائدة بسروج معرقة مرصعة ، وكنابيش[٤] زركش ، وغير ذلك من البَرَك[٥] المليح الظريف ، والجميع باسْمِه ورنكه[٦] . وتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً .

ولما جَرى للأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ما جرى ـ على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ـ رسم[٧] له بنيابة الشام ، فحضر إليه الأمير سيف الدين أقسنقر أمير جاندار ، فدخل إلى دمشق بكرة الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولما عاد أقسنقر المذكور أعطاه خمسة عشر فرساً ، منها خمسة عربية بسُرجها[٨] ولجمها وكَنابيشها ، وعشرة أكاديش ، وجارية بخمسة آلاف درهم ، وأربعين ألف درهم ومئة قطعة قماش ، والتشريف الذي لبسه للنيابة بالكلوتة والطراز والحياصة ، والسيف المُحَلّى ، وألف إرْدَبّ[٩] من مصر ، وكان قد أعطاه في حلب ألف

(١) قوله : « جاء على البريد » ليس في (أ) .

(٢) في الوافي : « قصر معين الدين » .

(٣) الرخت : فارسية : القماش .

(٤) جمع كنبوش : البرذعة تُجعل تحت السرج .

(٥) البرك ، فارسية ، تعني الثوب المصنوع من وبر الجمال ، ثم أطلق اللفظ على أمتعة المسافر أو مهمات الجيش .

(٦) الرنك هو الشعار الذي يتخذه الأمير عند تأميره علامةً على وظيفته .

(٧) في الأصل و (أ) و (خ) : « ورسم » وأثبتنا ما في (ق) ، وهي أشبه لأنها جواب لمّا .

(٨) (أ) ، (ق) : « بسروجها » .

(٩) الإردب : مكيال ضخم بمصر ، ويضم أربعة وعشرين صاعا .

وخمس مئة دينار ، وغير ذلك ، وشرط له كل شفاعة يشفعها من حلب ، وفي الطريق ، ومدة مقامه بدمشق ، وأقام بها قريباً من ثلاثة أشهر ولم يسأله مِنْ عَزْلٍ وولاية[١] إلاّ أجابه إلى ذلك . وقُدِّم إليه يوماً وهو في سوق الخيل بدمشق نصرانيّ من الزبداني رمى مسلماً بسهم ، فمات ، فأمر بقتله وتفصيله على أعضائه ، فقطعت يداه من كتفه ، ورجلاه من فخديه ، وخرّ رأسه ، وحملت أعضاؤه على أعواد ، وطيف به[٢] ، فارتعب الناس لذلك ، فقلت له أنا :

لله أرغون شاه كم للمهابة حَصَّلْ
وكم بسيف سُطَاهُ مِنْ ذي ضلال تَنَصَّلْ
ومُجْمَلُ الرّعْب خَلّى بعضَ النصارى مفصّل[٣]

واختطف الحرافيشُ يوماً في الغلاء الخبز من الجوع ، فأمسك جماعة من الحرافيش وقطع أيدي ثمانية عشر رجلاً ، وأرجلهم ، وسمّر على الجمال سبعة عشر وهو واقف بسوق الخيل ، وذلك في تاسع عشر ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فقلت أنا في ذلك :

كان الغلا يغلو فأما إذا أصبح ناراً قلت ذا يغلي[٤]
وأصبح الحرفوش ذا كَسْرة عن طلب الكِسْرة في شغل
من يطلب الخبز ومن يشتهي وهو بقطع اليد والرجل

ولم ينل أحدٌ من السعادة ما ناله ، ولا حصّل ما حصّله في المدة القريبة من المماليك والجواري ، والخيل والجوهر والأمتعة والقماش ، ولا تمكّن أحد بعد الأمير سيف الدين تنكز تمكّنه ، يكتب إلى مصر بكلّ ما يريده في حلب وطرابلس وغيرها ، وحماة وصفد

(١) (أ) ، (خ) : « ولا ولاية » .
(٢) قوله : « وطيف به » ، ليس في (أ) .
(٣) نقل الأبيات صاحب المنهل الصافي عن الصفدي .
(٤) يغلو : يزداد ، من الغلو .

وسائر ممالك الشام من نقل وإضافة وإمساك ، ونقل إقطاعات وغيرها ، فلا يُرَدّ في شيء يكتبه ، ولا يخالَفُ في جليل ولا حقير إلى أن زاد الأمر ، وأفرط هو في معارضة القضاة الأربع ، وعاكسهم ، وثقلت وطأته على الناس إلى أن حضر الأمير سيف الدين أُلْجَيْبُغا من طرابلس في ليلةٍ يسفر[١] صباحها عن يوم الخميس ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، واتفق في الليل هو والأمير فخر الدين أياز السلحدار ، وجاء إليه إلى باب القصر الأبلق ، وهو به مقيم نائم في فراشه ، فدقّا الباب عليه الثلث الأخير من الليلة المذكورة وأزعجاه ، فكانا كلما خرج طواشٍ أمسكاه ، وسمع هو الغلبة ، فخرج وبيده سيف ، فلما رآهما سلّم نفسه ، فأخذاه على الحالة التي خرج عليها ، وتوجّها به إلى دار الأمير فخر الدين أياز ، وقيّداه بقيد ثقيل إلى الغاية ، ونقلاه إلى زاوية الْمُنَيبَع ، ورُسِّم عليه الأمير علاء الدين طيبغا القاسمي ، فأقام هناك يوم الخميس إلى العشاء الآخرة ، ودخل مملوكه الذي يخدمه فوجده مذبوحاً والسكين في يده ، والدم قد سال مِلء مرقده ، فوقف عليه في الليل بالقاضي[٢] جمال الدين الحسباني ، والشهود ، وكُتب بذلك محضرٌ شرعي ، وجُهّز إلى الديار المصرية صُحْبَة الأمير سيف الدين تُلْك[٣] أمير علم ، ودفن بمقابر الصوفية .

وكان شخصاً لطيف الجثة . [مختصر الحَبَّة][٤] أسمر الوجه أحمر اللثة ، أبيض اللّبة ، ظريفاً حسن العِمّة ، شديد العَزمة عالي الهمّة ، ذهنه يتوقد ، ونفسه تزاحم الفرقد ، يقترح في الملابس أشكالاً غريبة ، ويعمل بيده منها صنائع عجيبة ؛ إلاّ أنه جبّار سفاك ، طالب لثأره درّاك ، يده والسيف يمتشقه ، وغيظه يُوْديه إلى العطب وخُلُقه . لا يشرب الماء إلاّ من قليب دم ، ولا يتنسّمُ الهواء إلاّ بشمّ سمّ[٥] ، ومع ذلك إذا

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « أسفر » .
(٢) في المنهل : « القاضي » .
(٣) في المنهل : « يلبلك » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) . وفي المنهل : « مختصر اللحية » .
(٥) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلا بسَمّ » . وكذا في المنهل .

ظهر له الحق رجع في الحال ، وندم على ما فرط منه واستحال ، لكنه تَرَوح في ذلك الغضب أرواح ، وتُجَبّ مذاكير وتقطع أَحْراح[(١)] .

وكان في دمشق زمن الطاعون فما طُعن على عادة الملوك ، وإنما طعن بالسيف الذي يذر الدم ، وهو مسفوك . وقلت أنا فيه :

تعجبّتُ من أرغون شاهٍ وطيشه الـ ـذي كان فيه لا يفيق ولا يعي
ومازال في سكر النيابة طافحا إلى حين غاضت نفسه في المنيبع[(٢)]

٢٣٥ ـ أرغون السلحدار الأمير سيف الدين*

توجه أمير الركب الشامي في سنة ست عشرة وسبع مئة ، وداره عند دار الطراز داخل مدينة دمشق .

لم أعرف من حاله شيئاً فأذكره ، ولا اتصل بي ما يتعلق به فأعرفه به أو أنكره ، خلا أنه رحمه الله تعالى توفي في مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٣٦ ـ أرغون الأمير سيف الدين**

مُشِدّ الزكاة ، ومشد الدواوين بدمشق ، ونائب بعلبك . مملوك الأمير سيف الدين سمز ، وسيأتي ذكر أستاذه في مكانه .

كانت فيه سياسة ، وعنده حشمة ورياسة ، تقرّب إلى الأمير سيف الدين تنكز بالكفاية والنهضة ، وساعده القدر لَمّا أحكم إبرامه ونَقْضَه ، فولاه بعد شدّ الزكاة شدّ

---

(١) في المنهل : « وتتنكد لخلقه من الناس أشباح » .
(٢) (أ) ، (خ) : « بالمنيبع » . والنص نقله صاحب المنهل .
* لم تقف على ترجمة له .
** لم تقف على ترجمة له .

الدواوين ، وأقام فيه مدّة لينقذ الهاوين ، ويصدّ[١] الغاوين ، ثم إنه بعد مدة ولاّه نيابة بعلبك فسدّها ، وعرف رسمها وحَدّها[٢] . ثم إنه بعد ذلك توجّه إلى طرابلس أميراً ، وأقام بها .

ولم يجد لعيشه في دمشق نظيراً إلى أن نزل في رمسه ، واستوحش أحبابه من أنسه ، وتوفي رحمه الله تعالى في ...[٣] .

كان قد باشر الشدّ على الزكاة مدة ، وخلا شدّ الدواوين في دمشق مدة زمانية ، فولاه الأمير سيف الدين تنكز شد الدواوين في آخر[٤] المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[٥] هو وعماد الدين بن صصرى ، ثم إنه ولاّه نيابة بعلبك في سادس عشر صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة

وكتبت له مرسوماً بنيابة بعلبك ، ونُسخته[٦] : أما بعد حمد الله الذي نصر هذا الدين بالسيف ، ورفع بولاة الأمور عن ضعيف الرعيّة ثقل الحيف والحَيْف ، وأمَرَّ الحق في أهله بحسن نظرهم الذي ينتقي الزين وينتقد الزيف ، وعمر البلاد بعدلهم الذي إذا طلعت شموسه النيرة ، كان الظلم معها سحائب[٧] صيف . وقمع المفسد بمهابتهم التي منعت جفونه أنْ تجد رَجْعة هجعة أو ضيف طيف ، وجمع حكمة الإيمان ببأسهم الذي إذا دَعَاه مُهمّ لم يقل له متى ولا كيف .

---

(١) في الأصل : « ويصعّد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « وسدّها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) كذا بياض في الأصول .
(٤) (أ) ، (ق) : « أواخر » .
(٥) زيد بعدها في (أ) ، (ق) : « وإمرة عشرة في جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، هو وعماد .. » .
(٦) ثمة سقط في (ق) من ههنا ، مقداره ورقة ونصف .
(٧) (أ) : « سحابة » .

وصلاته على سيدنا محمّد خير من أطعنا نَهْيَه وأمره ، وأشرف من كحل سواد أمته طرفُ الزمان وكان أمره ، وأفضل من ساد بشرفه زيد الخلق وعَمْرُه ، وأكرم من كان له من الناس على العدل أفضل قوة ، وعلى الإحسان إليهم تمام قدره ، وعلى آله وصحبه الذين أمضوا فضله وأعزّوا نصره ، وأطاعوا من جعلوا له عليهم الأمر والإمرة ، وجبلوا على محبته فما نهى أحدهم عن شيء فكره أن لا يكون فيه[1] فكره ، وهجروا الأهل والوطن في طاعته فكم صبروا على هَجِير هَجْره ، صلاةً يُرْسِلُ غَيْثُها في كل قطر من الأرض قَطْرَه ، وينبت روضها الأنف في السماء بين الأنجم الزُّهر زَهْره ، وسلّم ومجّد وكرّم .

فإنّه لما كانت مدينة بعلبك والبقاعان أنموذج الجنة ، وغايةً إذا جرت جياد الأفكار في ارتياد نزهة ثنت إليها الأعنة ، وبقعة إذا تمنت النفوس نفائس شيء كانت لتلك الأماني مَظِنّة ، فهي أصحُّ البلاد لأولي الذوق والظرف ، وأحسنُ مكانٍ سَرَحَ في مدى ميدانه طَرْف الطَّرف ، قد ركّبت على الصّحة فما خُطبت بخطب ، وعلى قول النحاة فقد مُنِعَت من الصرف . أهلها أطوع رعيّة ، وأكثر خيراً وألمعيّة ، ينقادون لأميرهم ، وينادون لمشيرهم ، ويتأدب صغيرهم بأدب كبيرهم ، وقد خلت هذه المدة من نائبٍ يستقرّ بها أو يستقلّ ، ويستمد من محاسن هذه الدولة الشريفة أو يشتمل ، وكان المجلس السامي الأميري السيفي أرغون الناصري هو السيف الذي حُمدت مضاربه ، وشُكرت على اختلاف أحواله تجاربُه ، وأرضت ، وأين من تُرضى عَزَائمه ؟ ، وجُرّد وجرّب « فلا المجدُ مُخْفيه ، ولا الضَّربُ ثالِبُه » ، وأصبح وما كلّ سيف على عاتق الملك الأغرّ نجاده ، وفي يد جبّار السموات قائمه ، هذا إلى ما اتصف به من كرم الخِلال التي قد فغم الخافقين ريّاها ، والتحق به من عُلُوّ الهمم التي ملء فؤاد الزمان إحداها ، وظهر عنه من عز عزم ببعضه يجر طُولى القنا وقصراها ، واشتهر به من سجايا لو كفر العالمون أكثرها لما عدت نفسه سجاياها ، فلذلك وقع الاختيار عليه ، ورسم بالأمر العالي

(١) (أ) : « له فيه » .

المولوي السلطاني الملكي الناصري لا زالت أوامره بالسيف ماضية ، وبجدّ حجته قاضية ، أن يفوّض إليه نيابة بعلبك المحروسة والبقاعين على عادة من تقدمه في ذلك وقاعدته ، فليتولّ ما فُوّض إليه ولاية تحمد منها العواقب ، ويشخص لها طرف الشهاب الثاقب ، ويتساوى في أمنها ومنّها أهل المراقد والمراقب ، وينهض بهمته في أمور الدولة الْمُهمّه ، ويشمّر عن ساعد كفايته في الأوقات التي حراسته في جيدها تميمة ، وسياسته لحسنها تَتِمّه ، وليُقِم مَنارَ الشّرع الشريف ، ويعضد حكمه ، ويُعْمل في تنفيذ أمره المطاع فكرَهُ وعَزْمَه ، فإنه الطريقة المثلى ، والحجة التي من نكّب عنها لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً ، حتى يكون هو الذي أقام الحق ، وكان على الذي أحسن تماماً ، وجلا بشمس العدل الشريف من أفق الظلم ظلاماً ، وأعلى المحقّ على المبطل ، لأنّ له مقالاً ومقاماً ، وليردع[1] المفسد بنكاله ، ويقمع المعتدي بجلاده ، ولا يقال[2] بجداله ، وليجتنب أخذ البريء بصاحب الذنب ، ويحذر الميل على الضعيف ، الذي لا جنب له ، ويترك صاحب الجَنْب ، وعمارة البلاد ، فهي[3] المقدم من هذا المهمّ ، والمقصود بكل لفظ تمّ له المعنى أو لم يتم ، فليتوخ العدل فإنه أنفع للبلاد من السحب الماطرة ، وألذّ لأهل القرى من ولوج الكرى في الأعين الساهرة ، فإنه لا غيث مع العَيْث ، ولا حلم مع الظلم ، وليَصلْ باعَ من لا له إلى الحق وُصول ، وليتذكر قوله عليه الصلاة والسلام : « كلكم راع وكلّ راع مسؤول »[4] ، فإنه إذا اتصف بهذه المزايا ، والتحف بهذه السجايا تحقق الملك الأمجد لو عاصره أنّ المجد للسيف ، وقال تعجباً من سيرته : من أين اتفقت هذه المحاسن وكيف ، وملاك هذه الوصايا تقوى الله عزّ وجلّ ، فليكن ركنه الشديد ، وذخره العتيد وكنزه الذي يَنْمَى على الإنفاق ولا يبيد ، والله تعالى يوفق مسعاه ، ويحرس سَرْحَه ويرعاه ، والاعتماد على الخطّ الكريم أعلاه ، إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « وليرع » وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) قوله . « ولا يقال » ، ليس في (أ) .
(٣) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) الحديث في جامع الأصول : ٤/٥٠ ، وتخريجه ثمة .

٢٣٧ ـ أرغون الأمير سيف الدين الكاملي*

نائب حلب ، ونائب دمشق ، ذو وجه طُبعَ البدرُ على سِكّتِه ، وقدٌ لا شك أن قلب المحبّ يذوب من شكّته ، وعيونٍ سبحان من أبدعها ، عروة ليس لها زِرٌّ سوى السّحر ، وثغر يتمنى لو كان مثله ما يرصّع في التاج أو يتحلى به النحر ، يفتن من يراه ، ويعترف بالربوبية لمن بَرَاه ، حفظ لإيمانه أيمانه ، وخاف ربّه فما نكث عهده ولا خانه ، ورعى مِنْ وَرَعِه سلطانه ، وقمع بالمروءة شيطانه ، لأنّ بيبغاروس لما خرج على السلطان وبغى ، وطفّ ماءُ تمرده ، وطغى ، راسله في الباطن بالباطل مراراً ، وقتل[1] في ذروته والغارب نهاراً جهاراً ، ووعده بأنه لا يغيرّ عليه في دمشق أمراً من النيابة ، وأن يكون شريكه في المهانة والمهابة ، وطالت الرسائل بينهما ، ولم يرَ فيه مغمزاً يلين ، وتحقق بيبغا أنه من الصابرين عليه والصائلين ، فأعياه انقياداً لمرامه ، وعلم أنّ بازيه لا يحوم حول حِماه ولا يسف[2] على حَمامه ، فنكص عنه خائباً ، وكر نجمه عنه كاسفاً غائباً .

وكان كثير السكون ، راجح الميل إلى العدل والركون ، لا يدخله في أحكامه غيظ ولا حرج ، ولا يبالي أدخل الحقّ على نفسه أو خرج ،يعرف القضية من أول ما ينهى إليه أمرها ، ويستشف الحقّ في فضلها إذا أشبّ الباطل جمرها ، لا يغيب عن ذهنه واقعة جرت ، ولا يسير عن ذهنه قضية انقضت أو سدت :

يُحدّث عما بين عادٍ وبينَه وصُدغاه في خدَّي غلامٍ مراهق
وما الحسنُ في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكنْ في فعلهِ والخلائق[3]

---

* الوافي : ٣٥٦/٨ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٨٦/٢ ، والدرر : ٣٥٢/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣١٩/٢ .

(١) كذا في الأصل و (أ) ، وفي (خ) : « فتك » .

(٢) أي : لا يدنو .

(٣) (أ) : « شرف له » . وفي (أ) و (خ) : « في وجهه » .

ولم يزل أرغون الكاملي في محاق وكال ، وزيادة وزوال إلى أن :

قصـــدتْ نحـــوهُ المنيـــةُ حتى وهبتْ حسنَ وجهـــــهِ للتراب

أول ما أنشأه الملك الصالح إسماعيل ، وزوّجه أخته من أمّه بنت الأمير سيف الدين أرغون العلائي ، وذلك في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، [وجهزه][١] عقيب زواجه إلى الأمير بدر الدين جنكلي ، وقال : انزل[٢] إلى الأمير بدر الدين ، وقبّل يده ، فحضر إليه وكنت جالساً عنده ، فلما دخل إليه أعظمه وبجّله وبش له[٣] وهش ، وأجلسه ، وأحضر له قبا بطرز زركش وألبسه إياه ، ولم يكن الأمير بدر الدين ممن يهوى المرد ، ولا يميل إليهم ، فلما خرج من عنده ، قال لي : أرأيت ما أحسن وجه هذا وعيونه[٤] ، فقلت له : نعم ، رأيت ، ونِعْمَ ما رأيت .

وكان يُعرف في حياة الصالح إسماعيل بأرغون الصُّغَيِّر ، فلما مات الصالح رحمه الله تعالى ، وتولّى المُلْكَ أخوه الملك الكامل شعبان أعطاه إمرة مئة وتقدمة ألف ، ونهى أن يدعى أرغون الصغيّر ، وسُمّي أرغون الكاملي .

ولما مات الأمير سيف الدين قُطْليجا الحموي في نيابة حلب ، رسم الملك الناصر حسن له بنيابة حلب ، فوصل إليها يوم الثلاثاء خامس عشر شهر رجب الفرد سنة خمسين وسبع مئة ، وعمل النيابة بها على أحسن ما يكون من الحُرْمة والمهابة ، وخافه التركمان والعرب ، ومشت الأحوال بها ، ولم يزل بها[٥] إلى أن جاءه الأمير سيف الدين كُجُك الدوادار الناصري ، بأن يخرج ويربط الطرقات على أحمد الساقي نائب صفد ،

(١) زيادة من (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « اترك » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « إليه » .

(٤) (خ) : « وعينيه » .

(٥) ليست في (خ) والوافي .

فبرز إلى قرنبيا ، فأرجف بإمساكه ، فهرب منه الأمير شرف الدين موسى الحاجب بحلب وغيره ، ثم إنَّ جماعة من الأمراء لحقوا بالحاجب ، وأوقدوا النيران بقلعة حلب ، ودقوا الكوسات[١] ، ونادوا في الناس لينهبوا طُلبه ، وما معه ، فتوجّه إلى المعرّة ، وكتب إلى الأمير سيف الدين طاز يرَق نائب حماه[٢] ، فلم يجد عنده فرجاً ، فرد طلبه ، ونقله إلى حلب ، وتوجّه على البرّيّة[٣] إلى حمص في عشرة مماليك ، وقاسى من التركمان شدّة .

ثم إنه ركب من حمص هو ونائبها الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر آص في ثلاثة مماليك ، ودخل دمشق يوم الجمعة سابع عشري الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فجهّز نائب الشام الأمير سيف الدين أيتمش الحاجب إليه ، وابن أخته الأمير سيف الدين قرابغا بقباء أبيض فوقاني بطرز زركش ومركوب مليح ، ودخل إليه ، وأقام عنده بدار السعادة إلى بكرة السبت ثاني يوم ، وجهزه إلى باب السلطان صحبة قرابغا المذكور ، والأمير سيف الدين ألدمر السليماني الحاجب ، وكتب على يدهما مطالعة بالشفاعة فيه ، ولما وصل إلى لُد[٤] تلقاه الأمير سيف الدين طشبغا الدوادار ، ومعه له[٥] أمان شريف[٦] مضمونه[٧] أنه ما كتبنا في حقك لأحد ، ولا لنا نيّة في أذاك ، فإن اشتهيت تستمر في نيابة حلب ، وإن اشتهيت نيابة غيرها ، وإن أردت أن تحضر إلينا كيفما أردت عملنا معك . فعاد معه طشبغا الدوادار إلى مصر ، وأقبل السلطان عليه ، وأنعم عليه ، وأعاده إلى حلب .

(١) هي صنوج من نحاس .
(٢) ستأتي ترجمته .
(٣) (خ) : البريد ، ولعلها أشبه .
(٤) في المنهل : « لدرملة » .
(٥) ليست في (خ) .
(٦) زاد في (أ) ، (خ) ، والوافي : « ومثال شريف » .
(٧) في الأصل : « مضمومه » تحريف .

فوصل إلى دمشق ومعه طشبغا الدوادار ، وأصبح[١] يوم الاثنين جلس في دار العدل إلى جانب قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وظهر نائب حلب إلى قاضي القضاة الحنفي وغيره ، وقام[٢] من الخدمة ، وتوجّه إلى الجامع الأموي ، وصلى فيه[٣] ركعتين ، ودخل إلى خانقاه السميساطي . ولما كان عصر الخدمة خلع نائب دمشق عليه قباء بطرز زركش ، وفرساً حسناً بسرجه ولجامه ، وكنفوشة الذهب .

وتوجّه بكرة الثلاثاء إلى حلب ، وصحبته ابن ازدمر[٤] مقيداً لأنه كان طُلب من حلب لمّا شكاه للسلطان ، فرُدّ معه من الطريق ، ولمّا وصل إلى حلب تلقاه الناس بالشموع إلى قِنّسْرين وأكثر ، ودخلها دخولاً عظيماً ، ووقف في سوق الخيل ، وعَرّى زكري البريدي ، وأراد توسيطه ، ونادى عليه هذا جزاء من يدخل بين الملوك بما لا يعنيه ، فنزل طشبغا وشفع فيه ، فأطلقه ، وأحضر ابن أزدمر النوري ، وقال : قد رسم لي السلطان أن أسمّرك وأقطع لسانك ، ولكن ما أواخذك ، وأطلعه إلى قلعة حلب ، وأقام على ذلك إلى أن عزل الأمير سيف الدين أيتمش من نيابة دمشق في أوّل دولة الملك الصالح صالح ، فرسم للأمير سيف الدين أرغون بنيابة الشام ، فدخل الشام[٥] بطلبه في نهار الاثنين حادي عشر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وكان قد قدم من مصر لإحضاره الأميرُ سيف الدين ملكتمر المحمدي ، فأقام في نيابة دمشق ، وهو منكد الخاطر ، ولم يصفُ له بها عيش ، وجهز دواداره الأمير سيف الدين طُطَق[٦] يستعفي من النيابة ، وأن يكون في باب السلطان من جملة الأمراء ، فما أجيب إلى ذلك .

---

(١) كذا ، وعبارة الوافي : « فلما كان يوم الأحد .. وصل .. وأصبح » .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) محمد بن أزدمر النوري ، أحد أمراء حلب . (الوافي : ٣٥٧/٨) .
(٥) (أ) ، (خ) ، والوافي : « إلى دمشق » .
(٦) ستأتي ترجمته .

ولم يزل بدمشق مقيماً إلى أن خرج بيبغاروس وأحمد الساقي نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس على السلطان الملك الصالح ، واجتمعوا وجروا العساكر وجاؤوا إلى دمشق ، فلما بلغه حركة المذكورين حلّفَ عسكر دمشق للسلطان[١] الملك الصالح ولنفسه في العشر الأول من شهر رجب ، وهو مقيم في القصر الأبلق ، وكتم أمر نفسه وما يفعله ، وأظهر أنه يتوجه بعسكر دمشق ، ويقيم بهم على خان لاجين ، فوصل إليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ومعه ملطّفات إلى أمراء دمشق وحلب وطرابلس وحماه بعزل نوابها ، وأنهم إن حضروا إلى دمشق مخفّين يجهّزهم نائب الشام إلى باب السلطان ، وإلاّ فليمسكوا ويقيدوا ، وكان وصول الدوادار في سادس عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وفي حادي عشري شهر رجب نادى في العسكر بالخروج إلى خان لاجين ، وأنهم في بكرة النهارة يجتمعون في سوق الخيل ، ليتوجهوا أمامه ، وكان هذا رأياً صالحاً حميداً ، ولم يعلم أحد بما في ضميره ، فلما اجتمع الناس خرج لهم الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وقال : بسم الله ، توجّهوا إلى مصر ، فسُقط في أيدي الناس ، وتوجهوا أمامه إلى جهة الكسوة ، وهو ساقة لهم ، ولم يزل بهم سائراً ليلاً ونهاراً إلى أن وصل بهم إلى لُد ، فخيّم بها[٢] وأقام .

وقلت أنا وقد خرجت معه بغتة :

خَرَجْنَا على أنّا نلاقيَ عسكرا ... أتى بَيْبُغا فيها على خان لاجين[٣]

فلم ندر مِنْ تَعْتيرنا وقطوعنا ... بأنفسنا إلاّ بأرض فلسطين

---

(١) في الأصل : « السلطان » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) و (خ) .

(٢) في الأصل : « بهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : « عساكر » .

وقلت أيضاً أتشوق إلى ولدي[1] :

أيـا ولــدي وافــاني البينُ بَغْتَــةً ... وبــدَّدَ شمـلاً قــد تنظّم كالعِقْــدِ
فسرتُ ومـا أعْـدَدْتُ عنــك تَجَلُّـداً ... لقلبي ولا حَــدَّثْتُ نَفْسي بمــالبعــد

وفي رابـع عُشْري[2] شهر رجب نـزل بيبغـا[3] بمن معـه على خـان لاجين ، ودخـل دمشق مُطَلَّبا ، ونزل على قبة يَلْبُغا بمن معه بأحمد الساقي نائب حمـاة ، وبكلمش نـائب طرابلس ، وألطنبغا بَرْنـاق نـائب صفـد ، وقَرَاجـا بن دُلْغَـادر ومن معـه من التركان ، وحيّار بن مهنا[4] . وبعد ثلاثة أيام توجّه أحمد الساقي بألف وخمس مئة فارس ، وأقـام على المزيريب ، وجرى في دمشـق مـا لا جرى في أيـام غـازان ، ونُهب المرج والغـوطـة وبـلادهـا[5] ، ونُهبت بـلاد حـوران ، ونهبت البقــاع ، وسبيت[6] الحريم ، وافتُضّت الأبكار ، وقطعت الآذان بحَلَقها ، وأُخذت الأموال .

ولم يزل الأمير سيف الدين مقيماً على لُـدّ بعسـاكر دمشق إلى أن وصل الأمير سيف الدين طاز في خمسة الآف من عسكر[7] مصر ، وأقام على ظاهر لُـدّ ، وكثرت الأراجيف بما يفعله مَنْ مع بيبغا[8] من التركان من الأذى في دمشق ، فقلت أنا أذكر أولادي :

أخرجني المقـــــدور من جلّـــق ... عن طيب جنّـــات جَنِيّــــات[9]

(١) قوله : « أتشوق إلى ولدي » ليس في (أ) .
(٢) (خ) : « عشرين » .
(٣) (أ) : « بيبغاروس » .
(٤) حيّار بن مهنـا بن عيسى ، أمير عرب آل فضل بـالشـام ، (ت ٧٧٦ هـ) . الـدرر : ٨١/٢ ، إنبـاء الغمر ٨٩/١ ، الذيل التام ٢٧٩ .
(٥) (ق) : « وبلادها » . وعبارة (خ) : والغوطة وبلاد حوران » .
(٦) (ق) : « وسبي » .
(٧) (خ) : « وعسكر » .
(٨) (أ) : « بيبغاروس » .
(٩) (أ) ، (ق) ، (خ) : « عن جلق » .

فـإن أعـد يـومـاً لهـا سـالمـاً فهــو بنيّــات بُنَيَّــاتي

وقلت وقد زاد الإرجاف[١] بأن بيبغا تقدم بمن معه من العساكر إلى الكُتَيْبة :

قـد ضجرنـا من المقـام بِلُـدٍ بَلَـدٍ مـا طبـاعـه مثـل طبعي
كلمـا قيـل لي كَتيبـةُ جَيْش قـد أتت للكُتَيْبـة اصْطَـكّ سمعي
فتراني مغيَّراً من سقـامي ونُحُـولي وفي المـزيريب دمعي[٢]

وقلت ، وقد زاد الذباب علينا بلُدّ من طول مقامِ العساكر في منزلتها :

لقـد أتـانـا ذبـاب لُـدٍّ بكل حَتْفٍ وكل حَيْف
وقيـل : هـذا ذبـابُ صَيْف فقلت : لا بـل ذبـابُ سيف

وفي يوم الجمعة ثاني عشري شعبان وصل السلطان الملك الصالح صالح بالعساكر المصرية إلى منزلة بدعرش[٣] ، وتلقاه الأمير سيف الدين أرغون بالعساكر إلى قرية يُبْنَى[٤] .

وفي يوم السبت توجهت العساكر الشامية إلى دمشق في ركاب أرغون الكاملي ، وخرج الأميران سيف الدين شيخو[٥] ، وسيف الدين طاز على أثرهم ، ودخل النائب إلى دمشق يوم الثلاثاء .

وفي يوم الخميس مستهل شهر رمضان دخل السلطان إلى دمشق ، وكان بيبغا ومن معه لّما تحققوا خروج السلطان من مصر انقلبوا على عقبهم ناكصين ـ على ما تقدم في

---

(١) (أ) : « زادت الأراجيف » .
(٢) هذا البيت ليس في (أ) .
(٣) (أ) : « بدعشر » . .
(٤) بليدٌ قرب الرمله . معجم البلدان ٥/٤٢٨ .
(٥) (خ) : « سنجر » ، تحريف ، وكذا في المواضع التي ورد فيها الاسم مما يأتي .

ترجمة أحمد ، وعلى ما سيأتي[(١)] في ترجمة بيبغا ـ ثم إنَّ شيخو وطاز وأرغون الكاملي توجهوا بالعساكر إلى حلب . وورد بعد ذلك كتاب ابن[(٢)] دلغادر يقول فيه : إن بيبغا وأحمد وبكلمش جاؤوا عندي[(٣)] على فرس فرس ، ولم يكن معي مرسوم بإمساكهم ، وباتوا عندي ليلة ، وتوجهوا إلى البلاد الرومية ، ثم إنّ العساكر أقامت على حلب ، واتفق الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز على إقامة الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في حلب نائباً لسدّ هذا الثغر في هذا المهم ، وكتبا إلى السلطان بذلك ، فكتبت له تقليده[(٤)] بذلك من دمشق ، وجُهّز إلى حلب ، وأمّروا جماعة من مماليكه طبلخاناه ، وجماعة عشرة ، وذلك في خامس عُشْرَي شهر رمضان ، وعادت العساكر إلى دمشق ، ودخل شيخو وطاز إلى دمشق يوم الجمعة سلخ شهر رمضان ، وأصبح العيد يوم السبت .

وفي سابع شوال توجّه السلطان بالعساكر المصرية إلى مصر ، ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون بحلب نائباً إلى أن حضر أحمد وبكلمش إلى حلب مقيّدين ، وحُزّت رؤوسهما ، وجُهِّزت[(٥)] إلى باب السلطان ـ على ما تقدّم في ترجمة أحمد ، وسيأتي في ترجمة بكلمش ـ ثم إنّه بعد ذلك حضر بيبغاروس مقيداً إلى حلب ، وحُزّ رأسه ، وجهّز إلى باب السلطان ـ على ما سيأتي في ترجمته ـ ثم إنَّ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي توجه بعسكر حلب ، ومعه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار خَلْفَ ابن دلغادر ، ووصل إلى الأَبُلُسْتَيْن[(٦)] وحرقها ، وحرق قراها ، ودخل إلى قيصريّة ، وهرب ابن دلغادر ،

(١) قوله : « في ترجمة .. ما سيأتي » سقط في الأصل .
(٢) (أ) : « من ابن » .
(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إلى عندي » .
(٤) (أ) ، (خ) ، (ق) : « تقليداً » .
(٥) خ : « رأساها ، وجهزتا » .
(٦) قال ياقوت: « مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وهي الآن بيد المسلمين » . معجم البلدان : ١/٧٥ .

واتصل بمحمد بك[١] بن أرتنا[٢] ، وعاد الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى حلب ، ودخلها يوم الثلاثاء خامس شهر رجب سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وقاسى هو والعساكر شدائد وكابدوا أهوالاً ، ومَشَى هُوَ بنفسه في تلك المضائق ، ثم إنَّ ابن دلغادر وصل إلى حلب ، وجُهِّزَ منها إلى مصر مقيداً ، وجَرَى له ما جَرَى ، على ما يأتي ذِكْرُه في ترجمته .

ولم يزل الأمير سيف الدين أرغون على حاله نائباً بحلب إلى أن خُلع الملك الصالح صالح ، وأعيد الملك الناصر حسن في بكرة الاثنين ثاني عيد الفطر سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وطُلب الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إلى باب السلطان ، وحضر الأمير سيف الدين طاز عوضه نائباً بحلب[٣] ، وذلك في أواخر شوال . وأقام أرغون الكاملي بالديار المصرية أمير مئة ، مقدم ألف إلى تاسع صفر سنة ست وخمسين وسبع مئة فأمسك بالقلعة ، وجُهز إلى الاسكندرية ، واعتقل هناك . ولم يزل هناك معتقلاً وعنده زَوْجُه إلى أن أُفْرِجَ عنه ، ورُسم له بالحضور إلى القدس الشريف ليكون به مقيماً ، وحصل له ضعف ، وأثقل في المرض ، وعوفي بعد مدة . وبَنَى بالقدس تربة حسنة .

وكان قد عزم على الحج في سنة ثمان وخمسين ، فمرض أيضاً ، وأفطر شهر رمضان ، فبطل الحج ، ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس خامس عشري شوال ، ودفن في تربته ، ولم يكمل عمارتها ، وخسف الموت من أرغون الكاملي بدره الكامل ، وبتّ شمل سعده الشامل[٤] .

---

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) ، والدرر : « باك » .

(٢) صاحب الروم ، أقام بمصر واستعان بالملك الأشرف ، فأعانه على استرداد ملكه في مملكته في بلاد الروم (ت ٧٩٢هـ) . والدرر : ٣٧٨/٤ .

(٣) (أ) : « إلى حلب » .

(٤) (خ) : « الكامل » . سهو .

وأظن مولده في سنة تسع وعشرين[١] وسبع مئة .

وكنت قد كتبت إليه قصيدة ، وهو بحلب أذكر فيها انتصاره على بيبغا وأحمد وبكلمش ، وهي :

قد توالى النصر الذي قد تغالى ... في مليكٍ أرضى الإله تعالى[٢]
وحمى الملك والممالك والدين وقاد الجيوش والأبطالا
الأمير المهيب أرغون ذو البا ... س الذي عزمه يدك الجبالا[٣]
سار من جلق إلى لُدّ لما ... أن بغى بيبغا ورام القتالا
لم يَسر خِيفةً وكيف يَخاف الليثُ يوماً إذا تراءى الغزالا
خاف سفكَ الدماء في رجب الفر ... د ، وسفْكُ الدماء كان ضلالا
وتأتّى في لُدّ يرجو لقاهم ... بثبات لا يعرف الترحالا
فهو فيها ليثٌ بغاب سلاحٍ ... كان بيْضاً بُتّرا وسُمْرا طوالا
وهمُ عاجزون لم يتنحّوا ... عن مكان فيه أقاموا كُسالى
فتخلى الشيطان عن كلّ غاوٍ ... وانثنى خائباً وولّى القذالا
من يخون الإيمان كيف يلقى ... بَدْرُه في دجى النفاق كمالا
نكث العهد مائلاً لفجور ... هو عندي لو استحى ما استحالا
أضعفَ الرعبُ قَلْبهَم فتولّوا ... خِوّراً ثم زُلزلوا زلزالا
ثم باتوا ما أصبحوا مثل ظلٍ ... نَسَختْهُ أيدي الضياء فزالا
قطعوا البيد لا يُديرون وجهاً ... ليردّوا الغَضَنْفرالرئبالا
تركوا المال مائلاً لسواهم ... وأضاعوا الحريم والأموالا
أمطرتْهم قسيُّهُ وبلَ نَبْلٍ ... مَلأت سائر الوهاد وَبالا

(١) قوله : « وعشرين » ليس في (أ) .

(٢) (خ) : « قد تعالى » . تصحيف .

(٣) قوله : « ذو الباس » سقط من (خ) ، وفي أ : ذا الباس .

مـــا استقرّوا في منزل قـــطّ إلاّ ... وبهم قـد نبـا وضـاق مجـالا
شَبعُـوا غُرْبَـة وفقراً وذلاً ... وهـوانـاً وروعـة وسـؤالا
وأتـوا خـاضعين ذلاً وعجـزاً ... يحملـون القيـود والأغـلالا[1]
بـوجـوه قـد سـودتها المعـاصي ... نحـو وجـهٍ من نـوره يتـلالا
ثم حُـزت رؤوسهم بسيـوف ... ليس يـدري المضـاءُ منهـا كـلالا
فـاشتفى المسلمـون منهم وقرّت ... أعينٌ مـا رأت زمـانـاً خيـالا
هكـذا هكـذا جـزا من تعـدى ... وبغى هكـذا وإلاّ فـلالا[2]
يـا مليكاً لـه الإلـه مراعٍ ... في جميع الأمـور حـالاً فحـالا
إنّ ربـاً أعطـاك نصراً عـزيـزاً ... وكسـا وجهـكَ الجميـل جمـالا[3]
هـو يُـوْليـك مـا تحـاول منـه ... في المعـالي وتبلـغ الآمـالا
أوحشت منـك جلـق فهي تشكـو ... فيـك شـوقـاً تراه داء عُضـالا
أنت بـاهيت حسنهـا بمحيّـا ... جعـل البـدرَ من حيـاء هـلالا
ثم كاثرت شهبهـا بـالأيـادي ... فـلا جُـودك الأكفَّ نـوالا
وكَستهـا أخـلاقُـك الغُرّ لطفـاً ... منـه مـادَ القضيب لطفـاً ومـالا
هي ذاقت من حكمك الفصل عـدلاً ... صـار في قـامـة الرمـاح اعتـدالا
فلـك الله حـافـظ حيثمـا كنت لتُفني من العـدا الآجـالا

٢٣٨ ـ أَرُقْطَاي*

الأمير سيف الدين المعروف بالحاج أَرُقْطَاي . من مماليك الأشرف[4] . جعله الملك

(١) (أ) ، (خ) : « صائعين » .
(٢) (خ) : « جزى » .
(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) ، « جلالا » .
* الوافي : ٣٦١/٨ ، والبداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، خطط المقريزي ٤٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٢٨/٢ .
(٤) في المنهل : « الملك الناصر محمد بن قلاوون » .

الناصر جَمْداراً ، وكان هو والأمير سيف الدين آيتمش[١] نائب الكرك بينهما أخوّة . وكانا في لسان الترك القبجاقي فصيحين ، وكانا يُرجع إليهما في الياسة التي هي بين الأتراك .

ولما خرج الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ خرج معه الحاج أرقطاي والأمير حسام الدين البشمقدار[٢] ، فحضر الثلاثة على البريد ، ولما كان بعد قليل بلغ تنكز أن الأمراء بدمشق يتوجهون بعد الخدمة إلى دار الحاج أرقطاي ويأكلون على سماطه ، فما حمل ذلك تنكز ، وكتب إلى السلطان فأخرجه إلى حمص نائباً في يوم الأحد سابع شهر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة ، وأُعطي خبز بيبرس العلائي ومماليكه وحاشيته ، فأخذهم عنده ، وأقام بحمص مدة . ثم إنه رسُم له بنيابة صفد ، فحضر إليها في سنة ثمان عشرة وسبع مئة في جمادى الأولى بعد إمساك طَغاي[٣] الكبير بها فيما أظن ، فأقام بها ، وعمّر بها دورا وأملاكا ، وتوفيت زوجته ابنةُ الأمير شمس الدين سنقرشاه[٤] المنصوري . وبنى لها[٥] تربة شمالي الجامع الظاهري ، وهي تربة حسناء بالنسبة إلى عمائر صفد ، وصار بها للجامع رونق لم يكن له أولاً .

وأُعطي ولده أمير علي طبلخاناه ، وولده إبراهيم أمير[٦] عشرة بعد ما طلبهما السلطان بسفارة الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ وأمّرهما[٧] عنده بدمشق ،

---

(١) في الوافي : « أو تامش » .
(٢) في الوافي : « حسام الدين طُرفطاي البجمقدار » ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في الأصل : (طغا) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي . وستأتي ترجمته .
(٤) ستأتي ترجمته .
(٥) في الأصل : (بها) وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .
(٦) (أ) ، (خ) ، (ق) : « إمرة » .
(٧) (أ) : « وأقرّهما » .

وأقاما عنده[١] مدة ، ثم إنه جهّزهما إلى صفد ، وكان في الآخر قد حَنا عليه حنواً كثيراً[٢] .

ولما كان في سنة ست وثلاثين وسبع مئة طُلب الأمير سيف الدين أرقطاي إلى مصر ، وجُهّز الأمير سيف الدين أيتمش [أخوه][٣] مكانه نائباً بصفد ، وأقام الحاج أرقطاي بمصر مقدم ألف .

ولما توجه العسكر إلى أياس جُهّز إليها في جملة الأمراء ، وحضر من هناك ، وأقام بالقاهرة يعمل نيابة الغيبة إذا غاب السلطان في الصيد ، فلما قدّر[٤] واقعة تنكز وإمساكه ، حضر مع مَن حضر مِن الأمراء صحبة الأمير سيف الدين بشتاك ، ثم إنه رُسم له بنيابة طرابلس عوض الأمير سيف الدين طَيْنَال[٥] ، فتوجه إليها ، ولم يزل بها مقيما إلى أن توجه ألطنبغا إلى طَشْتَمر نائب حلب ، وكان الحاج أرقطاي بعسكر طرابلس مع ألطنبغا ، وتوجهوا إلى حلب ، وعادوا ، وجرى ما جرى من هروب ألطنبغا إلى مصر ، وكان الحاج أرقطاي معه ، فأُمسكا واعتُقلا بالإسكندرية . ثم[٦] أُفرج عن الحاج أرقطاي في أول دولة الصالح إسماعيل بوساطة الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي ، وجُعل كما كان أولاً بالقاهرة من جملة الأمراء المشايخ المقدّمين ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الصالح ، وتولى الملك الكامل شعبان ، فرسم له بنيابة حلب عوض الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فحضر إليها في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها تقدير خمسة أشهر ، ثم طُلب إلى مصر ، وجُهّز إلى حلب

---

(١) قوله : « وأقاما عنده » ليس في (أ) .
(٢) (أ) ، (خ) ، والوافي : « كبيراً » .
(٣) زيادة من النسخ الأخرى والوافي .
(٤) في الوافي : « كانت » .
(٥) ستأتي ترجمته .
(٦) (ق) : « ثمَّ إنّه » .

الأمير سيف الدين طَقتُمر طاسه[١] نائب حماة . فتوجه الحاج أرقطاي إلى مصر ، وأقام بها قليلاً إلى أن خُلع الكاملي ، وتولى الملك المظفر حاجّي ، فرسَم له بنيابة مصر .

ولم يزل في نيابة مصر إلى أن خُلِع المظفر ، وتولَّى الملك الناصر حسن ، فطلب الإعفاء من مصر ، وأن يعود نائباً ، فرسم له بذلك ، فوصل إلى دمشق في رابع عشر شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن قتل أرغون شاه ، فرُسم للحاج أرقطاي بنيابة دمشق ، ففرح أهل دمشق به ، وتوجهوا إليه إلى حلب وما دونها ، فاستعدَّ لذلك ، وخرج في طُلْبه وحاشيته ، وكان قبل ذلك[٢] قد حصل له حُمَّى ، ثم إنه حصل له إسهال ، فنزل[٣] إلى منزلة عين المباركة ظاهر حلب ، مرَّة يركب الفرس ، وإذا أُثْقَل في المرض ركب في المحفَّة ، إلى أن حُمَّ له الأجل ، وتلوَّن له وجه الحياة تارة بالوجل وتارة بالخجل .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ عصر الأربعاء خامس جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة بعين المباركة . فعاد الناس خائبين ، وعاجوا[٤] بعد الفرح بالترح آيبين .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ ذكيّاً فطِناً ، محجاجاً لَسِناً ، مع عجمة في لسانه ، وعقدة في بيانه . وله التنديب المطبوع ، والتندير الذي فيه الظرف مجموع ، مع ميل شديد إلى الصور الجميلة ، والقامة المديدة مع الوجنة الأسيلة ، لا يكاد يملك نفسه إذا رأى العين النَّفّاثة ، والجفون الخوّانة النَّكاثة ، والمباسم الفلج ، والحواجب البلج . ونفسه زائدة الكرم في المأكول ، وسماطه دائماً ممدود لمن أمْرُه إليه موكول . وأظنه عدَّى السبعين .

---

(١) ويُعرف بطقتمر الأحمد (ت٧٤٧ هـ) . الدرر : ٢/٢٢٤ .

(٢) (أ) ، (خ) : « ذلك الوقت » .

(٣) (أ) ، (خ) : « فوصل » .

(٤) (أ) : « وعادوا » .

وأنشدني بحماة من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين محمد بن علي الغزي بحماة[1] تاسع جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة :

قالوا : أَرُقْطَاي مات ، قلت : وهل   في الموت بعد الحياة من عجب
ما مات مِن فَرْحَةٍ بنقلته   بل مات من حُزْنه على حلبِ[2]

اللقب والنسب

الأرمنتي :

الحسين بن الحسين .

وكمال الدين عبد الباري .

وكمال الدين عبد الرحمن بن عمر .

وتقي الدين عبد الملك بن أحمد .

وجمال الدين محمد بن الحسين .

وشرف الدين محمد بن عبد الرحيم .

الأرموي :

محمد بن إبراهيم .

وصدر الدين محمد بن الحسن .

وصفي الدين محمود بن أبي بكر .

٢٣٩ - آروم بُغا*

الأمير سيف الدين الناصري .

(١) ليست في (أ) ، (خ) . والغزي توفي (٧٦١ هـ) . الدرر : ٨٧/٤ .

(٢) المنهل الصافي : ٣٢٨/٢ .

* الوافي : ٣٦٦/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٣٥/٢ ، وفيه : « أرنبغا » .

لَمّـا تـوفي الملـك النـاصر ، ووُفِّر الأمير ركن الـدين بيبرس الأحمـدي من وظيفـة أميرجاندار[١] ، أُقيم الأمير سيف الدين أروم بغا مكانه أميرجاندار ، ولم يزل كذلك إلى أن ملك الصالح إسماعيل ، فرسم له بنيابة طرابلس ، فحضر إليهـا عوضـاً عن الأحمـدي المذكور ، وأقام بطرابلس قليلاً ، تقـدير أربعـة أشهر ، إلى أن بـات في الثرى موسَّـداً ، وأصبح على رحمة ربِّه مُحسَّداً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وجـاء بعـده الأمير سيف الـدين طـوغـاي الجـاشنكير ، الآتي ذكره ـ إن شـاء الله تعالى ـ في حرف الطاء مكانه .

وكان الأمير سيف الـدين أروم بغـا شَكِلا كاملاً ، إلى الخير مـائـلاً ، محسنـاً إلى مَن يعرفـه ، مجتهـداً على مـالٍ ينفقـه ويصرفـه . محبـوبَ الملتقى ، قريبَ المستقى ، بـارّاً بأصحابه ، فارّاً من الأذى واقترابه . وأحمدَ الناسُ أمره في وظيفتـه بمصر لَمَّـا بـاشرهـا ، وخالطها بالْحُسنى وعاشرها ، إلى أن توجَّه لنيابة طرابلس على ما تقدم .

٢٤٠ ـ أُزْبَك بن طقطاي*

القـان بن القـان ، صـاحب بـلاد أُزْبَـك ، مملكتـه شماليّنـا بشرق ، وهي من بحر قسطنطينية إلى نهر أرْبُس مسافة ثمان مئة فرسخ ، وعرضها من باب الأبواب إلى مدينة بلغار وذلك نحو ست مئـة فرسخ ، ولكن أكثر ذلـك مراعي[٢] وقرى . ولهـا في أيـديهم ما ينيف على المئة سنة .

(١) لقب الذي يستأذن على الأمراء وغيرهم في أيام المواكب عند الجلوس بـدار العـدل . ويعني اللفـظ الأمير المسك للروح ، أي الحافظ للسلطان ، فلا يأذن بالدخول عليه إلاّ لمن يثق به .

* الوافي : ٣٦٧/٨ ، والدرر : ٣٥٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٤٣/٢ .

(٢) كذا في الأصول ، والوافي .

كان ذا بأس وإقدام ، وعبادة في الليل[١] في المحراب ، وصفٍّ أقدام . لَمَّا أسلم أسلم بعض رعيته ، وعاملهم بِحُسن ألمعيَّته . لم يلبس سراقوجا ولا شيئاً من شعارهم ، ولا رغب في درهمهم ولا دينارهم . يلبس حياصة فولاذ من غير ذهب ، ويقول : الذهب حرام على الرجال وقد وجب . وكان يؤثر الفقراء ويحبهم ، ويجانب مَن يُعرض عنهم ويسبهم ، يتردد إلى بعض الصوفية ويقول له : أشتهي لو قُتلت ، فيقول له ذلك الصوفي : لأي شيء ؟ قال : لأنكم تقولون : إن جميع مَن[٢] في ملكي أذاه[٣] متعلق بعنقي .

كان السلطان الملك الناصر قد خطب ابنته ، وقيل[٤] : أخته ، وأجاب إلى ذلك ، وجهزها في البحر إلى إسكندرية ، وتوجه القاضي كريم الدين لملتقاها إلى الإسكندرية ، وعمل لها ضيافة في الميدان تحت القلعة ، وبعد ذلك طلعت إلى القلعة ، وجرى في أمرها ما جرى ، وتوهَّم السلطان أنها ليست من بنات أزبك فهجرها وزوَّجها بالأمير سيف الدين منكلي بُغا السلاح دار[٥] ، فتوفي عنها ، فزوَّجها بالأمير سيف الدين صوصون[٦] أخي قوصون ، فتوفي عنها ، فزوَّجها ابن الأمير سيف الدين أرغون النائب .

ولم يزل القان أزبك على حاله إلى أن خانته أم دَفَر[٧] ، وامتلأ فمه وعينه بالعفر .

وكانت وفاته سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة . ومدة مُلكه اثنتا عشرة سنة .

---

(١) قوله : « في الليل » ليس في (أ) .

(٢) (خ) : « ما » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) (أ) : « أو » .

(٥) منكلي بغا بن عبد الله الناصري ، (ت ٧٣١ هـ) .

(٦) توفي سنة (٧٣٤ هـ) .

(٧) هي الدنيا .

٢٤١ ـ أزْدَمُر*

الأمير عز الدين العلائي .

كان أميراً كبيراً ، أثيلاً في المكانة أثيراً ، عديم المعرفة والفهم ، فارس الخيل ما مثله شهم ، شرس الأخلاق ، صعب المراس على الإطلاق .

لم يزل بدمشق على حاله[1] إلى أن ظفرت به اليد الغالبة ، والداهية التي هي للنِّعم سالبة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ذي القعدة سنة ست وتسعين وست مئة . وصُلي عليه بجامع بني أمية . وحضر جنازته نائب السلطنة والأمراء ، ودُفن داخل دمشق عند مسجد ابن فريدون[2] من نواحي مئذنة فيروز .

وهو أخ الحاج علاء الدين طَيْبُرس[3] .

اللقب والنسب

☆ **الأزرق :** مملوك العادل كتبغا ، اسمه بكتوت .

☆ **ابن الأزكشي :** الأمير بدر الدين موسى بن أبي بكر .

٢٤٢ ـ إسحاق بن ألمى التركي المصري الشاعر**

قال الشيخ شمس الدين الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ : طلب قليلاً ، وارتحل إلى

* الوافي : ٣٧٠/٨ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٢ .
(١) قوله : « على حاله » ليس في (أ) .
(٢) في المنهل : « ودفن بتربته إلى جانب داره عند مئذنة فيروز » .
(٣) توفي سنة (٦٨٩ هـ) .
** الوافي : ٤٠٥/٨ ، والدرر : ٣٥٧/١ ، والشذرات : ٩٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٥/٢ ، وفيه : « إسحاق بن أبي بكر بن إلمى بن أطز بن عبد الله ، المحدث نجم الدين أبو محمد السنجاري » .

الغَرّافي وإلى سُنْقُر الزيني[١] والأبرقوهي ، وأخذت عنه : وهو من أقراني ، ودخل العراق وبلاد العجم ، وأضمرته البلاد بعد العشرين وسبع مئة[٢] .

٢٤٣ ـ إسحاق بن إسماعيل*

ابن أبي القاسم بن الحسن بن أبي القاسم المقدادي الكِنْدي ، الفقيه الفاضل نجم الدين أبو الفداء بن القاضي مجد الدين بن الرحبي .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، ولي قضاء الرحبة[٣] سبعةً وثلاثين سنة ، ووليها والده ، وجده .

قدم إلى دمشق ، ولازم الشيخ تاج الدين الفزاري ، وسمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وغيرهما ، وكان مشكور السيرة ، يحبه أهل بلده ومَن تقدم إلى الرحبة من الأجناد والفقراء . وقدم إلى دمشق قبل موته بسنة وأشهر ، وولي بها نيابة الخطابة ، وخطب في العيدين ، وسُرَّ الناس به لصلاحه وانقطاعه وعفَّته ، وروى بدمشق وبالرحبة .

توفي بدمشق في ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٤٤ ـ إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق**

الشيخ الفقيه الفاضل المسند المكثر كمال[٤] الدين أبو الفضل الأزدي الحلبي الحنفي النحاس .

---

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) وقد ذكره صاحب الشذرات في وفيات (٧٢٩ هـ) مع قوله : « لم تتحقق سنة وفاته » . وولادته سنة (٦٧١ هـ) كما في المنهل .

* الدرر : ٣٥٦/١ .

(٣) من قرى دمشق . معجم البلدان : ٣٣/٣ .

** الوافي : ٤٠٧/٨ ، والدرر : ٣٥٦/١ ، والشذرات : ٢١/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٥٦/٢ .

(٤) في الأصل (جمال) ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

سمع الكثير من الموفّق يعيش ، والعزّ بن رَواحة ، والمؤتمن بن قُمَّيْرَة ، وابن خليل ، وأخيه[(١)] الضياء صقر الكلبي[(٢)] و[ابن][(٣)] أخيه شمس الدين الخضر بن[(٤)] قاضي الباب وأبي الفتح البارودي وهديّة بنت خميس ومحمد بن أبي القاسم القزويني[(٥)] والكمال بن طلحة والنظام محمد بن محمد البلخي[(٦)] ، وعدَّة .

وخرَّج له جزءاً عنهم المحدّث أمين الدين الواني ، وعنده عن ابن خليل نحو من ست مئة جزء . وقد أكثر عنه المزني[(٧)] والبرزالي وقاضي القضاة العلامة تقي الدين السبكي والمحب والواني[(٨)] وشمس الدين الذهبي .

وكان له حانوت وبطَّله ، وشُغل بمعاشه وعطَّله . وله مدارس كان يحضرها وأوقاف يحصرها ، وفيه تعسّر على الطلبة وشُح ، وعنده بخل يمسك الإفادة على الطلبة[(٩)] ولا يسح .

وكان قد تنبَّه وشارك ، وقالب الأشياخ وعارك ، نسخ بخطه أجزاء كثيرة تركها بعده ، وأولاها بعد[(١٠)] الموت بُعده .

ولم يزل على حاله إلى أن انطبق جفناه[(١١)] على قذى الحَين ، وصبر على أذى البين .

---

(١) (أ) : « وابن أخيه » .
(٢) ضياء الدين أبو محمد صقر بن يحيى الكلبي الحلبي ، (ت ٦٥٣ هـ) . الشذرات : ٢٦١/٥ .
(٣) زيادة من النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل ، ولكنها جاءت فيه بعد « ابن خليل » .
(٤) ليست في الوافي .
(٥) (ت ٥٦٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٥/٥ .
(٦) (ت ٦٥٣ هـ) ، السير : ٢٩٤/٢٣ .
(٧) في الوافي : « المرسي » ، وكذا في المنهل .
(٨) في الأصل : « الواني » دون واو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .
(٩) قوله : « على الطلبة » ليس في : (أ) ، (ق) .
(١٠) ليست في (أ) ، (ق) .
(١١) (أ) ، (ق) : « أطبق جفنيه » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكان له دكان بسوق النحاسين[١] ، ثم إنه تركها أخيراً .

٢٤٥ - إسحاق بن يحيي بن إسحاق بن إبراهيم*

الشيخ العالم الفاضل المسند المعمَّر عفيف الدين أبو محمد الآمدي ثم الدمشقي الحنفي ، شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق .

سمع من عيسى بن سلامة[٢] ، ومجد الدين بن تيمية[٣] بحرّان ، ومن ابن خليل بحلب ، وأكثر من الضياء صقر[٤] وجماعة بحلب ، وسمع بدمشق والمعرَّة ، وحصَّل أصول وأجزاء ، وحضر المدارس ، وحج غير مرة ، وشهد على القضاة .

وخرَّج له ابن المهندس[٥] عوالي سمعها الشيخ شمس الدين الذهبي والجماعة منه سنة ثمان وتسعين وست مئة . وأخذ عنه القاضي عز الدين بن الزبير ، وابنه ، وعدة .

وكان طيب الأخلاق ينطبع ، ويتطلب البشاشة ويتَّبع . سهل القياد ، واري الزناد ، متَّسماً بالعدالة ، محتشماً عن الإزالة[٦] . تفرَّد بأشياء عالية ، وأحيا أسانيد بالية .

---

(١) (أ) : « النحاس » .

* الوافي : ٤٣٠/٨ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٥٨/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٦/٢ .

(٢) المعروف بالخياط (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) أبو البركات عبد السلام بن عبد الله (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٩١/٢٣ .

(٤) هو صقر بن يحيي بن سالم ضياء الدين الكلبي الحلبي الشافعي . (ت ٦٥٣ هـ) . (المنهل) .

(٥) شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم (٧٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٠٥/٦ .

(٦) (أ) : « بالإذالة » ، والإذالة : الإهانة .

ولم يزل على حاله إلى أن تعفَّى أثر العفيف ، وضمَّه الموت في ذلك اللفيف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٢٤٦ ـ إسحاق القاضي الكبير الرئيس تاج الدين عبد الوهاب ناظر الخاص*

كان من جملة نُظّار الدولة ، ولَمّا أمسك السلطان القاضي كريم الدين الكبير [١] سيّر إليه يقول له : مَن يصلح لنظر الخاص ؟ فنصَّ على القاضي تاج الدين إسحاق ، فأحضره السلطان ، وألبسه تشريفة ، وباشر الخاص من يومئذ إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بسكون زائد ، وانجماع عن أهل الفتن الذين يرمون الناس من المصايب في مصائد . وساس السلطان بعقله الراجح ، وسدَّ الوظيفة بِحُسن مقصده الناجح ، ولم يختلَّ عليه نظام ، وقام في تلك المدة بمهمّات عظام . وجاء بعد كريم الدين ورَهْجه ، واتساع طريقه ونَهْجه ، فكان لا يُدرى به ، ولا يعدم العافي قطر سحابه ، وهو على أنموذج واحد وطريق واحدة ، وسُنّة من السكون جارية على أكمل قاعدة .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل به من الموت داؤه[٢] العضال ، والأمر الذي لا يرده طعان ولا نضال .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة .

وكان قد ولي نظر الخاص سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو والد القاضي

* الدرر : ٣٥٧/١ ، وعبارة (أ) : « إسحاق بن عبد الكريم » . وفي الدرر : « إسحاق بن عبد الكريم القبطي » .

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٠٥/١٤ ، أحداث سنة (٧٢٣ هـ) .

(٢) (أ) : « الداء » .

علم الدين إبراهيم ناظر الدولة . والصاحب شمس الدين موسى ناظر الشام[١] . والقاضي سعد الدين ماجد[٢] .

وتولّى ولده الصاحب شمس الدين موسى نظر الخاص بعده أشهراً[٣] ، ثم نُقل إلى نظر الجيش لَمّا توفي القاضي فخر الدين .

٢٤٧ ـ إسحاق الأمير علم الدين الحاجب*

كان بحلب حاجباً ، فترامى[٤] إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ فولاّه نيابة حمص ، وأحضر تقليده من مصر ، وألبسه تشريفة بدمشق في ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وتوجّه إليها فلم تطل مدته في هذه النيابة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى[٥] ـ وكان قد تولّى نيابة حمص بعد الأمير علاء الدين طَيْبغا قُوَيْن[٦] باشي ، الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في مكانه .

٢٤٨ ـ أسد**

الحكيم اليهودي المعروف بأُسيدة ، تصغير أسدة .

---

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٣٧٤/٤ .
(٢) (ت ٧٧٥ هـ) ، الدرر : ٢٧٥/٣ .
(٣) (أ) : « بعد أشهر » .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) انفردت (أ) بزيادة قبل هذا الكلام نصّها : « إسحاق ، الأمير علم الدين الحاجب ، كان بحلب حاجبَ حجّاب . وفي مبدأ أمره كان راجلاً في بَهَسْنى ، وترقى بعقله إلى هذه الوظيفة ، وكان حسن الشكل . وباشر نيابة عَيْنَ تاب بعد الحجبة ، ثمَّ لَمّا تولّى الأمير سيف الدين أرغون نيابة حلب أعاده إلى الحجوبيّة مرّة ثانية ، ثم بعد ذلك ترامى .. » .
(٥) زاد في (أ) : « سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة » .
(٦) في الأصل : « طنبغا قرين » تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
** الوافي : ٨/٩ .

كان ذكيّاً ، له مشاركات في المعقول ، وخير ما يعرفه الإلهي والطبيعي ، ولم يكن يعرف رياضياً ولا منطقياً ، وحرفته التي يتكسب بها الجرّاح مع مشاركة في الطب والكحل وغير ذلك من الطبيعي . ولم يُر أقدم منه على الجراحة في جبر ما يكسر من العظم ويُهاض . باشر الجراحات العظيمة للأمراء الكبار مثل الأمير بدر الدين بيدرا[(١)] نـاظر الأشرف على عكا ، ومثل الأمير علم الدين سَنْجَر الدّواداري ، وفيه يقول علاء الدين الوَداعي ، وقد عالج سَنْجر الدّواداري ، ونقلته من خطه :

يا قوم إن الدّواداريَّ مُتَّبِع ... في فضله أنبياءَ اللهِ مجتهدُ
كأنه دانِيالُ في كرامته ... ذَلَّت له الأُسْدُ حتى طبّه أسدُ

وكان الملك المؤيد صاحب حماة يحبه ويقرِّبه . وبلغني أنه ـ رحمه الله تعالى ـ أوصى له بشيء من كتبه ، وكان يتردد إلى العلامة تقي الدين بن تيمية ، ويجتمع بالشيخ صدر الدين بن الوكيل ، ويبحث معهما .

وكان السلطان الملك الناصر قد طلبه إلى القاهرة ليعالج ما بالأمير عز الدين أيدمر الخطيري من الفالج . ورأيته هناك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وهو آخر عهدي به ، ولم أرَ مَن يعرف[(٢)] علم [الفراسة][(٣)] أحسن منه بعد الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في المحمدين .

وقال لي : جَبَرت رِجْلاً وداويتها بقَدُّومٍ ومِنْشار ومِثْقَب .

ولم يزل على حاله إلى أن هلك ، وذاق مرارة[(٤)] الموت وعلك .

(١) في الأصل (بيدار ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وقد توفي سنة (٦٩٣ هـ) . انظر الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٢) (أ) : « ولم أدر مَنْ يعلم » .

(٣) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٤) (أ) : « طعم » .

وكأنه هلك بعد الثلاثين وسبع مئة[١] ، واجتمعت بـه مرات بصفـد ودمشق وحلب والقاهرة .

٢٤٩ ـ أسعد بن حمزة بن أسعد*

الصدر الرئيس مُؤَيَّد الدين ، ابن الصاحب عز الدين بن القلانسي . وسيـأتي ذكر والده في حرف الحاء مكانه .

سمع في صغره من جماعـة من أصحـاب ابن طَبَرْزَد ، منهم الشيخ شمس الـدين بن أبي عمر[٢] ، وابن البخاري ، وغيرهما .

ولم يحدّث .

وكان رئيساً ، وكفُّه على الإحسان حبيساً .

له جماعة من أصحابه وندمائه ، وعدةٌ ممن يفتخر بـارتمـائـه إليـه وانتمائـه ، وقَطَف عيشه غضاً ، وتناول نقده من لذة الشبيبة نضاً[٣] .

ولم يزل إلى أن غُصَّ بكأس حتفه ، وذهب من يـد والـده على رغم أنفـه ، وجرَّعـه حسرة أكوى لقلبه من الجمرة ، وتدلّى بعد ظهور الأسِرّة إلى بطن الحفرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع شهر صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وحصلتْ له قبل موته إنابة وإخبات ، نفعه ذلك بعـد الممات . وكان نـاظر ديوان الزكاة بدمشق .

(١) قوله : « وكأنه » حتى ههنا ليس في (أ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٨ ، والدرر : ٣٥٩/١ .

(٢) (أ) : « شمس الدين أبو عمر » .

(٣) في القاموس : « نض الماء ينِضّ نضّاً ونضيضاً : سال قليلاً قليلاً ... » .

الألقاب والأنساب

الأسعردي :

زين الدين محتسب القاهرة ، أبو بكر بن نصر .
ونبيه الدين حسن بن نصر المحتسب .
والموقّت عبد الله بن يوسف .

٢٥٠ ـ أسماء بنت محمد بن الحسن*

ابن هبة الله بن محفوظ بن الحسن ، الشيخة الصالحة أم محمد بنت الشيخ عماد الدين بن صَصْرَى ، أخت قاضي القضاة نجم الدين .

سمعت من السيد مكي بن علاّن ، وهو عمّ جدّها للأم ، خمسة أجزاء ، وهي الأول والثاني من (بغية المستفيد) لابن عساكر ، و (مجلس في فضل رمضان) من (أماليه)[١] ، وحديث إسحاق بن راهويه[٢] ، ونسخة أبي مسهر . وحدّثت بها مرات ، وتفرّدت بثلاثة منها ، وهي الثاني من (البغية) و (المجلس) وحديث إسحاق بن راهويه .

قال شيخنا البرزالي : ولم يقع لنا من روايتها سوى الأجزاء الخمسة المذكورة . قال : قرأت عليها مجلس شهر رمضان في رمضان سنة ثلاث وثمانين ، وقرأت عليها قبل موتها بأربعة أيام . فبين التاريخين أكثر من خمسين سنة .

وكانت امرأة مباركة متيقظة ، كثيرة البر والصدقة والمعروف ، أُصيبت بأولادها

---

* الوافي : ٥٨/٩ ، وذيل العبر : ١٨٠ ، والدرر : ٣٦٠/١ ، والشذرات : ١٠٥/٦ .

(١) الكشف : ١٦٢/١ .

(٢) قال المصنف في الوافي ، ٣٨٨/٨ : « وله مسند مشهور . وقال : أحفظ سبعين ألف حديث ، وأذاكر بمئة ألف حديث » .

وأولاد أولادها وأقاربها . وحجّت مرات ، وأنفقت كثيراً من مالها في الطاعات ، ووقفت وقوفاً . ولم يكن بقي من أعيان البلد ورواة الحديث أسنّ منها . وكانت تقرأ القرآن في المصحف . ولها أوراد وسُبح ، تذكر الله عليها .

وتوفيت ـ رحمها الله تعالى ـ يوم الاثنين حادي عشر الحجة ، سنة ثلاث وثلاثين[1] وسبع مئة .

ومولدها في آخر سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

ودفنت بجبل قاسيون .

الأسمر : محيي الدين يحيى بن سليمان .

إسماعيل

٢٥١ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سالم بن بركات الأنصاري*

الشيخ الإمام الفاضل المحدث نجم الدين أبو الفداء الدمشقي ، الصالحي الحنبلي المؤدب المعروف بابن الخباز .

سمع سنة سبع وثلاثين وست مئة وبعدها من عبد الحق بن خلف[2] والحافظ الضياء ، وعبد الله بن أبي عمر . وسمع من المرسي ، والبكري ، وإبراهيم بن خليل ، وابن أبي الجن[3] ، وابن عبد الدائم ، وأصحاب الْخُشوعي ، وأصحاب الكندي ، وابن ملاعب[4] ، وابن الزَّبيدي ، وابن اللَّتي ، ثم أصحاب كريمة[5] ، والسخاوي ،

---

(١) في الأصل و (ق) : سنة ثلاثين ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي ، والدرر ، والشذرات .

* الوافي : ٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٢٤ ، ومرآة الجنان : ٢٣٩/٤ ، والدرر : ٣٦٢/١ ، والشذرات : ٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٨٢/٢ .

(٢) الدمشقي الحنبلي (ت ٦٤١ هـ) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٣) (أ) : « أبي الحسن » تحريف ، وهو عليّ بن محمد (ت ٦٦٠ هـ) . العبر : ٢٦١/٥ .

(٤) داود بن أحمد بن محمد الأزجي (ت ٦١٦ هـ) . السير : ٩٠/٢٢ .

(٥) بنت عبد الوهاب مسندة الشام ، سلفت ترجمتها .

وسمع من المِزّي[١] ، والبرزالي ، وعلاء الدين الخراط[٢] ، والقاضي شمس الدين بن النقيب ، والمقاتلي ، وابن المظفر ، وابن المحب ، وابن حبيب .

وكان يؤدب بمكتب ابن عبد داخل باب توما . وعلى الجملة فقد كتب عمّن دبّ ودرج وما ترك أحداً يفوز منه بالفرج ، وخرّج وحصّل الأجزاء وتعب ، ومع علمه الكثير ما أنجب ، وساوى من لَعِب ، ولا أتقن شيئاً من العلوم ، ولا شارك أهل الفهوم . ولا له إلمام بنحوٍ ولا لغة ، ولا له مادة إلى جهة علمٍ مُفزعة ، بل له دُربة ، ولم يكن بين أهل هذا الشأن في غربة ، مع الخطأ الكثير فيما خرّجه وجمعه ، وحدّث به وأسمعه .

وكان يؤدب في مكتب ، ولم يكتب خطّاً غير خَطَا ، ولا كان له في صورة الكتابة ما يرى وَسَطاً ، وخرّج لابن عبد الدائم وغيره ، وعمل (سيرة) لشيخنا شمس الدين الذهبي ، وطوّلها .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى البلى ، وأدبر إلى مسكن الأرض مقبلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر صفر سنة ثلاث وسبع مئة[٣] .

٢٥٢ ـ إسماعيل بن إبراهيم*

مجد الدين الشارعي المصري المحدّث .

كان شاباً فاضلاً ، سمعت بقراءته على الدبابيسي وغيره من أشياخ القاهرة ، وسمع هو أيضاً بقراءتي كثيراً . وكانت له عناية بتحصيل الكتب النظيفة ، وإكبابٌ على ذلك ، فهي له وظيفة . وعنده ذكاء ونباهة ، وله تقدم بين أهل هذا الشان ووجاهة .

---

(١) في المنهل : « المزني » . وهو تحريف .

(٢) علي بن عثمان (ت ٧٣٩ هـ) ، الشذرات : ١٢٢/٦ .

(٣) وكانت ولادته سنة (٦٢٩ هـ) كما في المنهل .

* الوافي : ٨٣/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصِف[(١)] ، ووُضِعَ المدر عليه ورُصِف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم عيد الفطر عشاء[(٢)] .

ورَثاه الشيخ تاج الدين بن مكتوم بقصيدة .

وكان سمع بمكة من رضي الدين الطبري[(٣)] ، وبالقاهرة من الواني والختني ، ورحل مع قاضي القضاة عز الدين بن جماعة . وسمع من ابن الشحنة ، ورحل إلى الإسكندرية ، وسمع من وجيهة[(٤)] ، وقرأ على تقي الدين الصائغ[(٥)] .

٢٥٣ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سليمان المقدسي*

ابن الحراني ، الإمام الفاضل الطبيب عماد الدين أبو الطاهر المقدسي المصري .

سمع من العز الحراني[(٦)] ، وابن خطيب المزة[(٧)] ، وابن الأنماطي[(٨)] ، وقاضي القضاة تقي الدين بن رَزين[(٩)] ، وقاضي القضاة مجد الدين بن العديم[(١٠)] ، والشيخ قطب الدين بن القسطلاني[(١١)] .

---

(١) في الأصل (نصف) تحريف ،وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) : « عشاء الآخرة » .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الطبري المكي الشافعي (ت ٧٢٢ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٤ ، والدرر : ٥٤/١ .

(٤) كذا في الأصل و (ق) ، وفي الدرر : « وجيهيّة » ، وهي وجيهيّة بنت علي بن يحي الإسكندرانية زين الدار (ت ٧٣٢ هـ) ، الدرر : ٤٠٦/٤ . وفي الشذرات : ٩٩/٦ : (وجيهة) .

(٥) (أ) : « ابن الصائغ » .

* الدرر : ٣٦٣/١ .

(٦) عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٣/٧ ، ووقع في (أ) : « ابن العز » .

(٧) عبد الرحيم بن يوسف بن يحي (ت ٦٨٧ هـ) ، الشذرات : ٤٠١/٥ .

(٨) محمد بن إسماعيل بن عبد الله (ت ٦٨٤ هـ) ، العبر : ٣٤٩/٥ ، والنجوم : ٣٦٨/٧ .

(٩) محمد بن الحسين بن رزين (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ ، والنجوم : ٣٥٣/٧ .

(١٠) عبد الرحمن بن عمر بن أحمد (ت ٦٧٧ هـ) ، الجواهر المضية : ٣٨٦/٢ .

(١١) محمد بن أحمد بن علي (ت ٦٨٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٦ . ووقع في : (أ) ، (ق) : « قطب الدين القسطلاني » .

ولم يحدث .

وقرأ الطب على العماد النابلسي[١] . وكان طبيباً فاضلاً يعالج علاجاً حسناً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثالث جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب النصر بالقاهرة .

٢٥٤ ـ إسماعيل بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة*

عماد الدين أخو قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

كان رجلاً جيداً .

سمع من ابن البرهان بالقاهرة ، وجلس مدة مع الشهود بدمشق .

وتوفي بحماة في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

٢٥٥ ـ إسماعيل بن إبراهيم**

القاضي عماد الدين الحلبي المعروف بابن الفرفور .

وأول ما علمت من أمره أنه كان في ديوان الأمير سيف الدين أرغون الدوادار بالشام[٢] ، ولما مات أرغون في حلب انتقل هو إلى مصر ، وخدم أولاده بها ـ فيما أظن ـ ثم إنه في سنة سبع أو أول سنة ست وثلاثين وسبع مئة[٣] ، حضر إلى دمشق ، وخدم في ديوان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ عاملاً ، ولَمّا أُمسك تنكز ، خدم هو في ديوان الأمير علاء الدين الطنبغا نائب الشام ، ثم عند الأمير علاء الدين

(١) عبد الحافظ بن بدران بن شبل (ت ٦٩٨ هـ) ، العبر : ٣٨٨/٥ .

* الدرر : ٣٦٣/١ .

** الدرر : ٣٦٣/١ .

(٢) (أ) : « الدوادار الناصري » .

(٣) في الأصل (وستمئة) ، سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

أيدغمش نائب الشام ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين طقزتمر ، ثم من بعده عند الأمير سيف الدين يلبغا ، وهو عند هؤلاء الأربعة ، ناظر ديوان النيابة .

وحصّل وثمّر وعمّر واقتنى الأملاك بدمشق وبحلب .

ثم إنه توجه إلى القاهرة ، وعاد مع الأمير سيف الدين ايتمش نائب الشام ، وهو على توقيع الدست ، وعلى أن يكون ناظر ديوان النيابة ، فما اتفق ذلك . ثم إنه باشر الحسبة بدمشق ونظر الخاص المرتجع وغير ذلك .

ثم طُلب إلى مصر هو وفخر الدين بن عصفور ، وغرما جملة ، ثم عاد وتوسع في المباشرات .

ولما مات علاء الدين بن الفويرة ، رُسم له من مصر بتوقيع الدست بدمشق مكانه ، فأقام فيه إلى أن توجّه إلى حماة ، وعاد منها مريضاً ، وطالت به العلّة إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الخميس حادي عشر صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة . ودفن بتربة له أنشأها في مقابر الصوفية .

وكان كاتباً جيداً في الحساب ، حسن العمّة ، فيه خير وصدقة وملازمة للجامع الأموي إذا كان بمدينة دمشق ، وهو أكبر الأخوة .

٢٥٦ ـ إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل*

ابن بُرتق بن بُزْغش بن هارون بن شجاع ، الشيخ جلال الدين أبو الطاهر القوصي الحنفي .

أخبرني العلامة شيخنا أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور رفيقنا في المدرسة الكاملية . اشتغل بالفقه على [مذهب][1] أبي حنيفة ، وأقرأ النحو والقراءات بجامع ابن طولون . أنشدنا من لفظه لنفسه :

---

* الوافي : ٨٦/٩ ، والدرر : ٣٦٤/١ ، وطبقات القراء : ١٦١/١ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .

أقولُ لـه ودَمْعي ليس يَرْقـا ... ولي مِنْ عَبْرتي إحدى الوسائِلْ
حُرِمت الطيفَ منك بفيض دمعي ... فطرفي فيك محرومٌ وسائِلْ

وأنشدنا لنفسه :

أقولُ ومدمعي قد حالَ بيني ... وبينَ أحبَّتي يومَ العتابِ
رددْتُم سائلَ الأجفانِ نهراً ... تعثَّر وهْوَ يجري في الثيابِ

وأنشدنا لنفسه :

تخطَّر في القباء مع القبائلْ ... فقام بدَلِّه عندي دلائل
غزالٌ كم غزا قلبي بعضْبٍ ... يُجرِّدهُ وليسَ له حَمَائل
وأبْلَى جِدَّتي والبدرُ يُبْلي ... ومالَ مع الهوى والغصن مائل
وحال لم أُحلْ عنه ولوني ... بما ألقى مِنَ الزفراتِ حائل[1]
أُمثِّل شخصه بخفيّ وهم ... وماء الْحُسن في الوجنات جائل
فيرتع ناظري برياض حُسْنٍ ... وأسكر بالشُّمول من الشمائل
وكَمْ سَمع الخيالُ له بليل ... ألَمَّ به فأصبح كالأصائل
وضاع تمسكي بالنسك فيه ... وضاع المسك من تلك الغلائل

قلت : شعر جَيِّدٌ صنع .

وكان متصدراً بالجامع الطولوني لإقراء القراءات . وكان له حظ من العربية وإفادات ، ومشاركة في الأدب الغض ، وما ينفقه فيه بين أهله نض . وجمع كراسة في قوله ﷺ : « هو الطَّهُور ماؤه الحِلُّ مَيْتته »[2] .

---

(١) في الأصل و (ق) : « وكوني » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، والوافي .
(٢) هو حديث ماء البحر ، النهاية : ٥٥/٣ ، واللسان (طهر) . وفي جامع الأصول : ٦٢/٧ ، وتخريجه ثمة .

ولم يزل على حاله إلى أن تبدد شمله من الجامع ، وفقد شخصه الناظر ولم يفقد ذكره السامع .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٢٥٧ ـ إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي الكاتب*

هو القاضي الرئيس عماد الدين .

ولي كتابة الدّرج بعد والده تاج الدين بالديار المصرية مدة ، ثم تركها تديناً وتورّعاً وإقبالاً على الآخرة وتسرّعاً ، وهو الذي علّق الشرح من الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد على (العمدة)[١] ، وهو الذي أبرز إلى الوجود عِقْدَه . وشرح قصيدة ابن عبدون الرائية[٢] التي رثى بها بني الأفطس ـ فيما أظن ـ .

وكانت له رياسة ، وعنده سيادة[٣] ونفاسة ، وترك كتابة السِّر تورُّعاً ، ورفضها وخلاّها تبرُّعاً، واشتغل بما هو الأولى ، والتزم بالتقصير ولم[٤] يستطع طوْلَى . وله ديوان خُطب .

ولم يزل على حاله إلى أن عُدم في الوقعة ، وقتل شاه مات في وسط الرقعة .

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكتب إليه سراج الدين عمر الوراق ، نقلته من خطه :

---

* الوافي : ٩/٩٠ ، والمنهل : ٢/٣٩١ ، وعقد الجمان : ٤/٩٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(١) واسمه : عمدة الأحكام عن سيد الأنام ، لعبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي (ت ٦٠٠ هـ) ، وذكر صاحب الكشف ثمة أنّ لابن دقيق العيد شرحاً عليه . (٢/١١٦٤) .

(٢) هو عبد المجيد بن عبدون (ت ٥٢٠ هـ) ، وقد أورد ابن شاكر قصيدته هذه في الوفيات : ٢/٣٨٨ .

(٣) (أ) : « سياسة » .

(٤) (ق) : « إذ لم » .

مخيلـة إسماعيـل صـادقـة الـوعـد وَفَتْ بشروط المجد مُذ كان في المهد
وكان لأمـلاك الـزمـان ذخيرةً كما ادُّخر السيف المهنّد في الغمد
فعزَّ بـزنـد الأشرف الملـك الـذي يُرى سَيْفُه يوم الوغى واريَ الزند
فهذا صلاح الـدين كاتب دَسْتـه الـ ـشريف عماد الدين وَقْفاً على سعد
فـلا زال يـوليـه الخليـل محبّـة ولا زال إسماعيل يُفْدَى ولا يفدي

٢٥٨ ـ إسماعيل بن سعيد الكردي المصري*

تظاهر بالزندقة ، وتجاهر[١] بالمعاصي وصلابة الْحَدَقَة . وسُمِعَتْ منه كلمات سيئة في حق الأنبياء والبررة الأصفياء ، ورُمي بأمور عظام ، يذوب منها اللحم والجلد وتُفَتِّتُ العظام . لا جرم أنه أطاح السيف راسه ، وجرَّعه من الموت الأحمر كاسه .

وكان المذكور عارفاً بالقراءات ، قرأ على الشطنوفي[٢] ، والصائغ[٣] . واشتغل بالفقه والنحو والتصريف ، وكان يحفظ قطعة من التوراة والإنجيل ، وكان طلق العبارة ، سريع الجواب ، حَسن التلاوة . وكان لا يزال (الحاوي) في الفقه و (العمدة) في الحديث و (الحاجبية) في كُمّه .

ولكن الله ـ تعالى ـ مكر به ، فاجتمع له القضاة الأربعة يوم الإثنين سادس عشري صفر سنة عشرين وسبع مئة ، وضربوا رقبته بين القصرين ، والذي حكم بقتله قاضي القضاء تقي الدين المالكي[٤] ، وكان يوماً مشهوداً .

---

* الدرر : ٣٦٧/١ ، وفي (أ) ، (ق) : « القرئ المصري » .
(١) في الأصل : « وتظاهر » ، ولعلّه سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٣) علي بن يوسف (ت ٧١٣ هـ) .
(٣) في الأصل : « الصانع » تصحيف ، وهو تقي الدين محمد الصائغ (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٤) هو تقي الدين الأخنائي ، وستأتي ترجمته .

٢٥٩ ـ إسماعيل بن عبد القوي*

ابن الحسن بن حيدرة الحميري ، فخر الدين الأسنائي المعروف بالإمام .

اشتغل بالفقه على الشيخ النجيب[١] بن مفلح ، ثم على الشيخ بهاء الدين القفطي .

كان إمام المدرسة العِزّيّة بأسنا ، وناب في الحكم بنشيّة إخميم وطوخ والمراغة . واتفق له بالمراغة أن بعض أولاد الشيخ أبي القاسم المراغي وقع بينه وبين أولاد[٢] الفقراء ، وكان شديد البأس ، فطلبه الفقير إلى القاضي ، فأعطاه القاضي قلمه ، فقال الفقير ما يحضرُ بهذا ، فتوجه إليه ، فحضر ، فادّعى عليه الفقير أنه ضربه ستين جمجماً بهذا الجمجم[٣] ، فأخذ القاضي الجمجم ، وقال للفقير : حرر دعواك من ثلاثة بهذا ، ما تعرفُ كم ضُربت ؟ فتبسم الفقير وغريمه ، واصطلحا ، وانفصلا[٤] على خير .

ونزل مرة في مركب بصحبة الشيخ بهاء الدين والشيخ النجيب ، فزمر بها زامر[٥] ، فقال الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فقال الإمام : الشيخ إمام في هذا وأنت استقبلت خارجاً ، فرجع وزمر ثانياً ، فقال له الشيخ بهاء الدين : اسكت ، فأعاد عليه الإمام الكلام ، فأخذ الزامر المزمار وقدمه للشيخ ، وقال : ما يُحسن المملوك غير هذا ، فعرف الشيخ أنها من الإمام[٦] .

---

* الوافي : ١٤٥/٩ ، والدرر : ٣٦٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٧/٢ ، والطالع السعيد : ١٦١ .

(١) في المنهل : « نجيب الدين بن مفلح » . وهو عثمان بن مفلح ، أبو عمرو النجيب ، توفي سنة (٦٦٨ هـ) . الطالع السعيد : ٣٥٨ .

(٢) (أ) ، (ق) : « بعض أولاد » .

(٣) ضرب من المكاييل من الخشب كبير الحجم .

(٤) في الطالع السعيد : « وانصرفا » . والخبر فيه .

(٥) (أ) ، (ق) : « زامر بها » .

(٦) انظر الخبر في المنهل : ٣٩٧/٢ ـ ٣٩٨ . والطالع السعيد : ١٦٢ .

وكان قد عمل بنو السَّديد عليه ، فانتقل إلى قوص ، وأقام بها سنين .

وكان ظريفاً له نوادر ، وحكايات عجيبة وأجوبة بوادر ، وكُفّ بصره أخيراً ، وأظلم نهاره عليه ، وقد كان منيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن صلى الإمام على الإمام ، ودعاه البلَى إلى مأدبة الحِمام .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حدود عشرين[1] وسبع مئة .

٢٦٠ - إسماعيل*

الأمير عماد الدين بن الملك المغيث شهاب الدين أبي الفتح عبد العزيز بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

كان جندياً بحماة ، وسمع من خطيب مردا ، وحدّث . وأجاز لشيخنا علم الدين البرزالي في سنة ثمان وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة أربع عشر وسبع مئة .

٢٦١ - إسماعيل بن عثمان بن محمّد**

الإمام رشيد الدين أبو الفضل بن المعلم التيمائي الحنفي .

---

(١) في الطالع السعيد : « عشرة وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٧١/١ .

** الوافي : ١٥٥/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٨ ، والبداية والنهاية : ٧٢/١٤ ، وذيل العبر : ٧٧ ، والدرر : ٣٦٩/١ ، والدارس : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٨/٢ . وفيه : « إسماعيل بن عثمان بن عبد الكريم بن تمام بن محمد » .

سمع من ابن الزبيدي (ثلاثيات البخاري) ، وقرأ بالروايات على السخاوي ، وسمع منه ، ومن العزّ النّسّابة[١] وابن الصلاح و [ابن][٢] أبي جعفر[٣] .

وكان بصيراً بالعربية ، إماماً في مذهب الحنفيّة . حدَّث بدمشق والقاهرة .

وفيه زهد وعفة وإباء ، وعنده جُودٌ وحياء ، دينه متين ، وفضله مُبين ، يقتصد في لباسه ، ويتّقيه خصمه في الجدال لِباسه . ساء خلقه قبل موته ، وتوحش من أُنس الناس قبل فوته .

انهزم وترك تدريس البلخيّة[٤] لابنه تقيّ الدين . وكان قد انجفل من التتار ، واستوطن القاهرة . وكان قد عُرض عليه القضاء ، فامتنع ، وانكمش عن الولاية وانجمع ، إلى أن افترش التراب ، ورحل إلى دار العمارة من دار[٥] الخراب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٦٢ ـ إسماعيل بن علي بن أحمد بن إسماعيل*

المسند عماد الدين أبو الفضل الأزجيّ[٦] الحنبلي ، شيخ الحديث بالمستنصرية من بغداد ، المعروف بابن الطبّال .

---

(١) عز الدين محمد بن أحمد الدمشقي بن عساكر (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٦/٢٣ .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، يقتضيها السياق . وهي ثابتة في المنهل .
(٣) محمد بن أبي جعفر القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٧/٢٣ .
(٤) كانت تعرف قديماً بخربة الكنيسة وبدار أبي الدرداء ، أنشأها الأمير كلز الدقاق سنة (٥٢٥ هـ) للشيخ برهان الدين البلخي . الدارس : ٣٦٨/١ .
(٥) ليست في (أ) .
* الوافي : ١٦٥/٩ ، وذيل العبر : ٤٥ ، والدرر : ٣٦٩/١ ، والشذرات : ١٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٢ .
(٦) (أ) : « الأزدي » .

سمع حضوراً من أبي منصور بن عُفَيْجَة[(١)] سنة أربع ، وسمع (جامع) الترمذي من عُمر بن كَرَم[(٢)] بإجازته من الكرُوخي[(٣)] ، وسمع ابن أبي الحسن القطيعي[(٤)] وابن رُوْزبه وجماعة .

وأخذ عنه الفَرَضي[(٥)] ، وابن الفُوَطي[(٦)] ، وابن سامة[(٧)] ، وسراج الدين القزويني ، وابن خلف . وأجاز لشمس الدين الذهبي . وسمع البخاري من ابن القطيعي ، ولم يزل[(٨)] يُسمع ويُفيد ، وينيل فوائده القريب والبعيد ؛ إلى أن أسمعه داعيه بالرحيل ، وأقام ناعيه بالبكاء والعويل .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة في سابع عشر شعبان .

٢٦٣ ـ إسماعيل بن علي*

السلطان الإمام والعالم[(٩)] الفاضل الفريد المفنّن الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء بن الأفضل بن الملك المظفر بن الملك المنصور صاحب حماة تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي .

---

(١) محمد بن عبد الله (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٢/٢٨٠ .
(٢) البغدادي ثم الحمامي (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ٥/١٣٢ .
(٣) عبد الملك بن عبد الله (ت ٥٤٨ هـ) ، السير : ٢/٢٧٣ .
(٤) (أ) ، والوافي : « وسمع من أبي الحسن بن القطيعي » . وكذا في المنهل .
(٥) محمود بن أبي العلاء البخاري ، (ت ٧٠٠ هـ) ، العبر : ٥/٤١٢ .
(٦) كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد ، (ت ٧٢٣ هـ) ، ذيل العبر : ١٢٨ .
(٧) محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي ، (ت ٧٠٨ هـ) ، ذيل العبر : ٤٣ .
(٨) ساقطة من الأصل ، ثابتة في النسخ الأخرى .
* الوافي : ٩/١٧٢ ، وفوات الوفيات : ١/١٨٣ ، وبدائع الزهور : ١/١/٤٦٦ ، والشذرات : ٦/٩٨ ، والدرر : ١/٣٧١ ، والنجوم الزاهرة : ٩/٢٩٢ ، والمنهل الصافي : ٢/٣٩٩ ، وطبقات الشافعية : ٩/٤٠٣ .
(٩) (أ) ، (ق) : « العالم » .

كان أولاً أميراً بدمشق ، وخدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لَمّا كان في الكرك آخر مرة ، وبالغ في ذلك ، فوعده بحماة ، ووفى له بذلك ، وأعطاه حماة لَمّا أمَرَ لأسندمر بنيابة حلب بعد موت نائبها قِبْجَق[١] ، وجعله صاحبها سلطاناً يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد معه كلام[٢] فيها ، ولا يردّ عليه مرسوم من مصر بأمر ولا نهي لأحد من نائب أو وزير اللهم إلاّ إن جُرِّد عسكر من مصر والشام جُرّد منها .

وتوجَّه من دمشق إليها في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأركَبَه في القاهرة بشعار الْمُلْك ، وأُبَّهة السلطنة ، ومشى الأمراء والناس في خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له كريم الدين بكلّ ما يحتاج إليه في ذلك المهمّ من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبه بالملك[٣] الصالح ، ثم إنه بعد قليل لقَّبه بالملك المؤيد ، وذلك لَمّا حجّ معه في سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعاد معه إلى القاهرة ، وأذن له أن يُخْطَب له بحماة وأعمالها على ما كان عليه عمّه المنصور ، وكان في كل سنة يتوجَّه إلى مصر ومعه أنواع من الرقيق والجواهر والخيول المسوّمة وسائر الأصناف الغريبة ، هذا إلى ما هو مستمرّ في طول السَّنَة مما يهديه من التحف والطُّرَف[٤] .

وتقدم السلطان إلى نوّابه بالشام بأن يكتبوا إليه : (يقبّلِ الأرض) ، وكان الأمير سيف الدين تنكر رحمه الله تعالى يكتب إليه : (يقبّل الأرضَ بالمقام الشريف العالي الْمَوْلَوي السلطاني الملكي المؤيَّدي العمادي) ، وفي العنوان (صاحب حماة) ، ويكتب السلطان إليه (أخوه محمد بن قلاوون أعزَّ الله تعالى أنصار المقام الشريف العالي

(١) قبجق بن عبد الله المنصوري (ت ٧١٠ هـ) .
(٢) عبارة الوافي : « حكم » .
(٣) (أ) ، والوافي : « الملك الصالح » .
(٤) في الأصل : « الطرق » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

السلطاني الملكي المؤيّدي العمادي ، بلا (مولوي) . وكان الملك المؤيّد يقول : ما أظن أني أُكمل من العمر ستين سنة فما في أهل بيتي ، يعني بيت تقي الدين مَن كَمَّلها .

وكان الملك المؤيَّد رحمه الله تعالى قد نزل في مكان المكارم ، وعمَّر في الشجاعة بيتاً في القنا والصوارم ، يتصبَّب جوداً سَماحه ، ويتضبَّبُ[١] بالبأس ذُبّله وصِفاحُه ، له حنوّ زائد على أهل الفضائل ، وتطلُّع إلى إنشاء الفوائد وإثارة المسائل ، آوى[٢] إليه أمين الدين الأبهري فبهره جوده ، وغمره نائله وعمَّته وفوده ، وتصدَّر في مجلسه قاعداً ، ووقفت لديه جنوده ، ولوى الحظ المدبر جيده إليه ، ونُشرت بُروده ، ومدحه شعراء عصره ، وحملوا أبكار أفكارهم[٣] إلى قصره ، ففازوا بالمهور الغالية ، وحازوا[٤] الأجور العالية ، ورتب لجماعة منهم في كل سنة شيئاً قرره ، وبذلاً رتَّبه في ديوانه وحرَّره ، منهم شاعره الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، كان راتبه في السنة عليه مبلغ ست مئة درهم لا بد من وصوله ودخوله في حوزته وحصوله ، غير ما يهديه إليه في أثناء السنة ، وتتضاعف فيه الحسنة ، ورتب لأسد اليهودي الذي تقدم ذكره راتباً كفاه ، وملأ كفَّ رجائه وسدَّ فاه .

وكان قد امتزج من العلوم بفنونها ، وأخذ منها نخبة فوائدها ومحاسن عيونها ، فنظم (الحاوي) في الفقه ، ولو لم يعرفه جيداً ما تصرّف مَعَه في نظمه ، ولا اقتدر على تسيير نجمه . وله تاريخٌ جوَّده ، وبيَّض به وجه الزمان لَمّا سَوّده . وكتاب (الكنّاش) مجلدات[٥] ، وفوائد العلم فيه مخلَّدات ، وكتاب (تقويم البلدان)[٦] ، قال

(١) أي : يلتفّ .

(٢) طمست في الأصل .

(٣) في الأصل : « أفكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) قوله : « وحازوا » ليس في : (أ) .

(٥) وهو في العلوم من النحو وغيره . إيضاح المكنون : ٣٨٢/٤ ، وهو مخطوط كما في الأعلام : ٣١٩/١ .

(٦) مطبوع .

الإحسان بقوله فيه ودان ، جَدْوَله وهذَّبه ، وجَدَّ له فأتقنه لَمّا وضعه ورتّبه ، وقد أجاد فيه ما شاء ، ونزل تجويده من الأفاضل في صميم الأحشاء . وله كتاب (الموازين) وهو صغير ، وصَوْب إفادته[(١)] غزير ، وله غير ذلك .

ونظم القريض والموشَّح ، واستخدم المعاني وأهَّلَها ورشَّح . وكان يعرف علوماً جمَّة ، وفضائل يستعير[(٢)] البدر منها كاله وتمّه ، وأجود ما يعرفه الهيئة ، فإذا اشتبك الجدال عليه جعل فرّه إليها وفيئه .

وكانت عنده كتب نفيسة ملوكية قد حوتها خزانته ، وأمده على اقتنائها انتقاؤه وفطانته ، فملك منها الجواهر اليتيمة ، والزواهر التي هي في أفقه مقيمة ، وعلى كل حال فكان لسوق الفضل عنده نفاق ، وللعلم عنده تحقيق وصدق دون نفاق ، وللزمان به جملة جَمال انساقت باقيا ، وبدرُ بدرٍ لا يزال في مطالع السعود راقياً ، وسلف سُلافة من الجود يطوف بها إحسانه على العفاة ساقياً ، وفضلات فضل طالما أنشدها مؤمّلوه :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنانّ كلَّ الظنّ أن لا تلاقيا[(٣)]

ولم يزل [في][(٤)] ملكه ومسير فلكه إلى أن أصبح المؤيد وقد تخذل ، ورُئي في معرك المنايا ، وقد تجدَّل .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، سحر يوم الخميس الثالث والعشرين من المحرم ، ودفن ضحوة النهار عند تربة والده ظاهرَ البلد ، في الكهولة ، ولم يكمل الستين .

ولما مات رحمه الله تعالى فرق كتبه على أصحابه ، ووقف منها ، ورثاه الشعراء .

---

(١) (أ) : « فوائده » .
(٢) سقطت من (أ) .
(٣) للمجنون ، ديوانه : ٢٤٣ .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة[١] :

مـا للنـدى لا يلبّي صوت داعيـه ... أظنُّ أنَّ ابنَ شـادٍ قـامَ نـاعيـه
مـا للرجـاء قد اشتـدَّتْ مـذاهبـه ... مـا للـزمـان قـد اسودَّت نـواحيـه
نعى المـؤيـدَ نـاعيـه فيـا أسفـا ... للغيث كيفَ غدتْ عنّـا غـواديـه

ومن شعره ، وقد غنّى الناس به مدّة[٢] :

اقرأ على طيب الحيـــــــا ... ة سـلامَ صبٍّ ذابَ حـزنـا
واعْلمْ بـــذاكَ أحبَّـــةً ... بَخِـلَ الـزمـانُ بهم وضنّـا
لـــو كانَ يُشْرَى قُربهم ... بـالمـال والأرواح جُـدْنـا
متجرّع كاسَ الفرا ... قِ يبيتُ لـلأشجـان رَهْنـا
صبٌّ قضى وجـــداً ولم ... يُقْضَى لـهُ مـا قَـدْ تَمنّى

ومنه أيضاً :

كم مِنْ دَمٍ حَلَّلَتْ ومـا نـدمت ... تفعـلُ مـا تَشتهي ومـا عُـدمت[٣]
لـو أمكنَ الشمسَ عنـدَ رؤيتِهـا ... لثَمَ مـواطي أقـدامهـا لثمتْ

ومنه :

سَرى مَسرى الصَّبـا فعجبتُ منـه ... من الهجرانِ كَيف صَبَـا إليّـا
وكيفَ ألمَّ بي منْ غيرِ وعْـــدٍ ... وفـارقني ولم يعطف عليّـا[٤]

وأنشدني من لفظه جمال الدين محمّد بن نباتة ، قال : أنشدني معز الدين محمود بن

---

(١) ديوان ابن نباتة : ٥٧٠ ، والأبيات في المنهل : ٤٠٣/٢ .
(٢) فوات الوفيات : ١٨٥ .
(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « فلا » .
(٤) المنهل : ٤٠٥/٢ .

حمّاد الحموي كاتب السّر بحماة لمخدومه السلطان الملك المؤيد ، ونحن بين يديه ، وهو مليح غاية :

أحسن بـهِ طِرفاً أفوتُ بـه القَضـا ... إن رُمْتَـــــه في مطلبٍ أوْ مَهْرَب
مثلَ الغـزالـةِ مـا بـدتْ في مشرقٍ ... إلاّ بـدَتْ أنـوارُهـا في المغرب[(١)]

قال : وأنشدني له هذا الموشح أيضاً له[(٢)] :

أوقعني العُمْرُ في لعـــلَّ وهَـــلْ ... يـا ويحَ مَنْ قـد مضى بِهَلْ ولعَلْ[(٣)]
والشَّيبُ وافى وعنـــدَه نـــزلا ... وفرَّ منـــهُ الشبـــابُ وارتَحَـلا[(٤)]
مـــا أوقـــحَ الشَّيبَ الآتي ... إذ حـــلَّ لاعن مَرْضـــاتي[(٥)]
قـــد أضْعَفَتني السِّتـونَ لا زَمني ... وخـــانَني نقصُ قـوةِ الـزَّمن[(٦)]
لكنّ هـــوى القلبِ ليسَ ينتقصُ ... وفيـهِ معَ ذا من حِرصِـهِ غُصَصُ[(٧)]
يَهـــوى جميـــعَ اللَّـــذاتِ ... كالـــه من عـــاداتِ
يـا عـاذِلي لاتُطِـل مـلامـكَ لي ... فـإنَّ سَمعي نـاءٍ عن العَـذْلِ[(٨)]
وليس يُجـــدي المـلام والفَنَـــدُ ... فين صبـابـات عشقــه عَـدَدُ[(٩)]
دعني أنـــا في صبـــواتي ... أنتَ البَري من زلاّتي
كم سرّني الـــدَّهرُ غيرَ مقتصر ... بـالكاسِ والغـانيـاتِ والـوترِ

---

(١) طبقات الشافعية : ٤٠٤/٩ ، والمنهل : ٤٠٦/٢ .
(٢) قوله : « له » ليس في (أ) ، (ق) .
(٣) في المنهل : « يا ويح من عمره مضى بلعل » . وهو أشبه بالصواب .
(٤) في الوافي : « واف » .
(٥) في الأصل : « إذ خلا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات ، والمنهل .
(٦) في المنهل : « قوة البدن » .
(٧) في المنهل : « من جرحة » .
(٨) في الفوات : « نأي » . وكذا في المنهل . وفي الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٩) في الفوات والمنهل : « جُدَد » .

يُمـزج في طيبِ عيشنبـا الرَّغـــد طرفي وروحي وسـائر الجســد[1]
وكم صفت لي خطراتي وطـــــاوعتني أوقـــــاتي[2]
مضى رســـولي إلى معـــــذّبتي وعـــادَ في بهجـــة مجـــدّدة
وقـالَ: قـالت: تعـالَ في عجـلِ بمنزلي قبـــــل أن يَجِيْ رَجُلي[3]
واصعـــد وَجُــزْ من طـــاقـــاتي ولا تَخَف من جـــــــاراتي

قلتُ: وهذه الموشحة جيدة في بابها، متحيّدة عن[4] طلاّبها، وقد عـارض بوزنها موشحة لابن سناء الْمُلك رحمه الله تعالى وأوّلها:

عسى ويـــا قلّما تفيـــدُ (عسى) أرى لنفسي من الهـــوى نَفَســـا
مُـذْ بـانَ عنيَ مَن قـد كُلفتُ بـهِ قلبيَ قـــد ذابَ في تقلُّبـــه[5]
وبي أذى شـــوقٍ عـــــاتي ومـــدمعي يـومٌ شـــات
لا أترك اللَّهــو والهَــوى أبـــداً وإن أطَلْتُ الملامَ والفنـــدا[6]
إن شئت فـاعـــذل فلستُ أستمـعُ أنـــا الـــذي في الغرام أُتَبَـعُ
وتُحتـــذَى صبـــابـــاتي وبــــدَعي وعـــاداتي
بي مَلَـــك في الجمـــال لا بشرُ يُظْلَمُ إن قيـــل: إنـــه قمرُ[7]
يحسُنُ فيـه الـولـوع والـولَـهُ وعِـــزٌّ قلبي في أن أذلَّ لَـــهُ
خـــدّي حِـــذا لمن يـــاتي ويرتعي حشـــاشـــاتي [8]

(١) (ق)، والفوات والمنهل: «نمرح»، وفي الوافي: «يمرح».
(٢) في الفوات: «وساعدتني».
(٣) في الوافي والمنهل: «لمنزلي».
(٤) نقل صاحب المنهل قول الصفدي وفيه هنا: «منيعة على طلابها».
(٥) (أ)، (ق)، والوافي، والفوات، والمنهل: «لجّ».
(٦) (ق)، والوافي، والفوات والمنهل: «الغرام».
(٧) (أ): «يظلم من قال».
(٨) في الفوات والمنهل: «إن يأتي».

لستُ أذمُّ الزَّمانَ معتديا … كم قد قطعتُ الأيامَ مُلتهيا [(١)]
وظَلْتُ في نعمةٍ وفي نعمٍ … يلتذُّ سمعي وناظري وفمي
ولا قَذَى في كاساتي … ومرتعي في الجنّاتِ
وغادةٍ دينُها مخالفتي … ولا ترى في الهَوى محالَفتي
وتستبيني ولستُ أسمعُها … فقلتُ قولاً عساهُ يخدعُها [(٢)]
ماهو كذا يامولاتي … اجري معي في مأواتي

وموشحة السلطان رحمه الله نقصت عن موشحة ابن سناء الْمُلك قافيتين ، وهي الذال في (كذا) ، والعين في (معي) ، وخرجة ابن سناء الملك أحَرّ[(٣)] من خرجة السلطان وأحلى .

ولشيخنا العلامة شهاب الدين محمود فيه أمداح طنّانة ، فمنها ماأنشدنيه[(٤)] إجازة :

ميعادُ صَبْري وسلوي المعاد … فالْحُ امرأً يُسليه طولُ البعاد
ولا تَلُم مَنْ دمع أجفانِه … إنْ ظنَّ صرفَ الدَّهرِ بالقرب جاد
فبينَ جَفني والكرى نفرة … وبينَ قلبي والغرام اتِّحاد
فلا تَعِد بالنَّومِ جَفني فما … يرجعُ يوماً برقاكَ الرُّقاد
وإنْ تُرد علم بديع الهوى … فأْتِ لي عندي فعندي المراد
جانس رعيَ النَّجم مُستيقظاً … لي في الدُّجا بينَ السّها والسُّهاد[(٥)]
وطابَقَ الشَّوقُ لهيبي فَما … دمعي فظلا بينَ خافٍ وباد
وقسَّم الوَجدُ غرامي كما … شادَ أعضائي على ماأراد

(١) في الوافي ، والفوات والمنهل : « الزمان » .
(٢) (أ) : « وتشتهيني » . وفي : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والفوات : « أمنعها » .
(٣) (أ) : « أحسن » .
(٤) (أ) ، (ق) : « ماأنشدنيه له » .
(٥) (أ) : « مرعى » .

فمقلتي للـــــدَّمــع والجسم لـــلأسْـ قـــام والقلب لحفـــظ الــوداد
وفرّغ الحبُّ الضَّنى في الحشـــــا عن مُقــلٍ فيهــا مَنــايــا العبــاد
فـــا ظبيٌ أرهقَهـــا قينُهـــا ليـوم حربٍ من سيـوفٍ حِـداد(١)
يـومـاً بـأمضى من جُفـونٍ بَـدَتْ من كَحَـلٍ خـالَطَهـا في حِـداد
وقُلتُ بـــالمــوجبِ في قـــولِهم بعـد النّوى يُعرف صـدقُ الـوداد
فهـــو كما قـــالـــوا ولكنَّـــه يُعرف ممن ودّه في ازديـــــاد(٢)
يـــا راكبـــاً يفري جـوادَ الفـلا على أمُـــون جَسْرَةٍ أو جـــواد(٣)
يسري فتبـديـــه ظهـورُ الرُّبـــا طـوراً وتخفيـه بطـوف الـوهـاد
مـدّرعـاً فـوقَ الرُّبـا بـالـدُّجـا مثـلَ خطيبٍ في شعـــار السَّـواد
معتَسِفـــاً ليسَ لـــهُ إن خَبَت أشعَّـةُ النَّجمِ سوى الشّـوق هـــاد
بلى ونشرٌ عــــــاطرٌ مرَّ منْ حمـــاة في المسرى على خيرِ نـــاد
قَبِّـلْ ثراهـــا إذ تراهـــا وكرّ ره فـــأحلى اللَّثم لثمٌ مُعَـــاد
حيثُ النَّدا والفضـل بـادي السَّنـا والعـــدل والمعروف واري الـزِّنـاد
أضحت وقـد شَيَّـدَ أرجـاءَهـا الـمــولى عمـاد الـدِّين ذات العماد
حمى حمـاهـا بـأسـه والنَّـدى فـأهلهـا من عـدلـه في مِهـاد(٤)
وإن يَطُـل عهـدُ الرّبـا والحيـا جـدَّد بـالجـودِ عهـودَ العُهـاد(٥)
مَنْ حـــاتمٌ يـوم القِرى والنـــدا مَنْ عـامرٌ يـومَ الـوغى والجـلاد
مَنْ أحنفٌ في الحلمِ دع ذكرَه ولا تقِس قسّـاً بـــه في إيـــاد
عــالي المـدا داني النَّـدى بـاسـلٌ أروع بسّـامٌ طـويـلُ النِّجـــاد

(١) في الأصل : « أرهقها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل (ورده) ، وأثبتنا ما في : (ق) .
(٣) (أ) : « أديم الفلا » .
(٤) في المنهل : « فأهله » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الثرى بالحيا » .

كأنّما أسيـــافُـــه إن سطـــا … على العِـدا في وقعِهـا ريـحُ عـاد
رؤوسهُم تـــوقنُ إن عـــاينتْ … سمر قنـــاهُ بصعـودِ الصّعـــاد
من أسرةٍ أعْلَـوا منـــارَ الهـدى … وذلّلـوا أعنـــاقَ أهـلِ العِنــاد
واسترجَعَت أسيـــافُهم عنـــوة … مـا استودَعَت أعـداؤهُم من بـلاد
وشيَّـــدوا دينَ الهُـــدى فــاعتَلى … بينَ جهـــادٍ منهُمُ واجتهـــاد
وحكَّمتْ أيـــديهِمُ وَفْـــدهم … فيما رجَـوا من طـــارفٍ أو تِـلاد
قـــد أنشرَ اللهُ بـــهِ ذكرهُم … فقيـلَ عـاشَ الفضـلُ والعـدلُ عـاد
وزانَ أيـــامَهُم فضلُـــه … وجـودُه الهـــامي فـــأربى وزاد[1]
يسري على البُعـد مـــديحي لـــه … فيلتقيـــهِ الفضـــل من كل واد
مـــا بينَ فضـلٍ ونـــدى سـائغ … مـع كَرَم يُـؤمنُـــه الانتِقـــاد
يــــا مَلكاً أفْحَمني فضلـــه … فــال بي العجـز إلى الاقتصـــاد
عـــذراً فلـو أستطيـعُ سطَّرتُهـــا … في أبيضِ الطَّرفِ بنقشِ السّـــواد[2]
تَهنّ عيـــدُ النَّحرِ واسعَـــدْ بـــهِ … وصـلٌ وانحَرْ بـالسَّطـا كلَّ عـاد
ودم ثمـــالاً لعفـــاةٍ كُفُـــوا … ببحر نعمانَ ورودَ الثّماد
مهما أتـوا بـــابَـك ألْفَـوا بـــهِ … عين نـدى يُرْوى [بهـا] كلَّ صـاد[3]
واجتـلِ غيـداً من ثنـاً زفَّهـــا … في حلتي إنشـــادهـــا كلُّ شـــاد
مـــا مـــال عطف الغصن أو غرَّدت … لـــهُ قيـــان الـورقِ زهـواً ومـاد

٢٦٤ ـ إسماعيل بن الفرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر*

السلطان أبو الوليد الغالب بالله الأَرْجُوني صاحب الأندلس .

---

(١) (أ) : « في أيامه » .
(٢) (أ) : « الطرس » .
(٣) الزيادة من : (أ) ، (ق) ، يقتضيها البيت .
* الوافي : ١٨٤/٩ ، والدرر : ٣٧٥/١ ، والمنهل الصافي : ٤١٦/٢ ، وفيه : « بن نصير » .

استولى على الأندلس ثلاث عشرة سنة ، فأبعد الملكَ أبا الجيوش خالـه[١] ، وقرر له وادي آش[٢] .

وكان أبوه الفرج متولياً لِمالِقَة مدة ، فشبَّ إسماعيل ، وعزم على الخروج ، فلامه أبوه فقبض على أبيه مكَرّماً ، وعاش الأب في سلطنة ولده عزيزاً إلى شهر ربيع الأول سنة عشرين وسبع مئة ، وقد شاخ . وكان الذي نهض بتمليك إسماعيل أبو سعيد[٣] بن أبي العلاء المَريني[٤] وابن أخيه أبو يحيى .

وكان الغالب للناس غالباً ، شجاعاً محارباً ، ناهضاً بأعباء ملكه ، رافضاً لمن لا ينخرط في سلكه ، عديم النظير ، عظيم النكير ، مؤيَّداً على عدوِّ الدين ، مشيِّداً لدين الإسلام بإهلاك الملحدين ، هزم اللهُ جيوشَ الكفر على يده ، وأبادَ ملوك الصليب ، وأحرقهم من توقّدِه ، وكانت وقعة عظيمة ، فتح الله بها ، وأذلَّ الفرنج للمسلمين بسببها .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغالب بالقَدَر مغلوباً ، وراح ظفره مقلوباً ، وصبغَ شقيقُ دمه سوسنَ الْحُسام ، وصالت على وحدته المنايا الجسام ؛ لأن ابن عمِّه ، وثب عليه وقتله ، وردَّه عن الحياة وفتله ، ثم إنَّ أعوانه وخدمه أخذوا بثأره في يومه ، ونَبَّهوا لذاك الدهرَ من نومه ، وملَّكوا ولده محمداً ، فكان شهماً مُمَجّداً ، وذلك في ذي القعدة سنة عشرين وسبع مئة .

---

(١) واسمه : نصر بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) من كورة إلبيرة بالأندلس . معجم البلدان : ١٩٨/١ .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبوأسعيد » .

(٤) عثمان بن إدريس (ت ٧٣٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

٢٦٥ ـ إسماعيل بن عمرو بن المسلم بن الحسن بن نصر*

الشيخ الصدر الكبير العدل الراضي[(١)] العابد ضياء الدين أبو الفداء ابن الصدر عزّ الدين ابن الشيخ رضي الدين أبو[(٢)] الفضل الدمشقي المعروف بابن الحموي .

سمع من عثمان بن علي بن خطيب القرافة[(٣)] كتاب (المصافحة) للبرقاني[(٤)] ، و (المجالس السلماسيّة)[(٥)] ، و (أخبار النحويين) لابن أبي هاشم[(٦)] ، وهو جزء لطيف ، وتفرَّد برواية ذلك عنه . وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري . وسمع على جماعة من المتأخرين .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرَّجت له جزءاً عن ثلاثين شيخاً . وكان شيخاً مباركاً كثير التلاوة ، يصوم الاثنين ويفطر هو وجماعة من الفقراء وغيرهم . وحجَّ أربع مرات ، وجاور بمكة سنة ، وأقام بالقدس مدة . وكانت له كتب جيِّدة يطالع فيها . وقال : لم أرَ حماة لا أنا ولا والدي . وكان مستوفي الخزانة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشر صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة . ومتَّعه الله بجميع حواسه إلى أن مات رحمه الله ، وقد جاوز التسعين .

---

* الدرر : ١/٣٧٤ ، والشذرات : ٦/٧٦ .

(١) (أ) ، (ق) : « الرضيّ » .

(٢) (أ) : « أبي » .

(٣) (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٣/٢٤٧ .

(٤) أحمد بن محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٢٥ هـ) . السير : ١٧/٤٦٤ . ووقع اسم الكتاب في الكشف : « المصافّة » ، ثم قال : وهو أربعون حديثاً . الكشف : ٢/٧٠٤ .

(٥) جاء في الكشف ، ٢/٩٩٧ : « السلماسيات : وهي المجالس الخمسة من أمالي الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني » .

(٦) عبد الواحد بن عمر البغدادي (ت ٣٤٩ هـ) ، السير : ١٦/٢١ .

٢٦٦ - إسماعيل بن محمّد بن عبد الواحد*

ابن إسماعيل بن علي بن صدقة ، العدل الرئيس نفيس الدين الحرّاني ثم الدمشقي ، ناظر الأيتام .

سمع (الموطأ) من مُكَرَّم[١] . وحدّث . وسمع بنفسه من ابن مَسْلَمة وغيره .

كانت له دار مليحة بدمشق ، فوقفها مدرسة[٢] ، وجعل الوقف على أهل الحديث وحبسه ، وهي بدمشق في الرَّصيف من سوق الكُفْت مشهورة ، وحسنات واقفها في صُحُفه مسطورة ، ولِيَ مشيختَها تاج الدين الْجَعْبَري[٣] ، وقرأ بها الشيخ علم الدين البرزالي ، ونزل بها الشيخ أبو الحسن الْخُتْنِيّ وجماعة .

ولم يزل نفيس الدين على حاله إلى أن فاضت نفسه ، وضمَّه رمسُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

٢٦٧ - إسماعيل بن محمد بن إسماعيل**

الشيخ الصالح مجد الدين الحرّاني الحنبليّ .

قدم دمشق شاباً ، واشتغل وبرع في المذهب . وأخذ عن ابن أبي عمر ، وابن عبد الوهاب[٤] ، والفخر البعلبكي ، وابن المنجّا . وسمع من ابن الصيرفي وغيره .

---

* الوافي : ٢١٢/٩ ، والمنهل الصافي : ٤٢٨/٢ ، والدارس : ٨٤/١ ، وشذرات الذهب : ٤٣٥/٥ .

(١) هو مكرم بن محمد بن حمزة القرشي المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، العبر : ١٤٦/٥ .

(٢) تدعى دار الحديث النفيسيّة . الدارس : ٨٤/١ .

(٣) صالح بن تامر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢١٣/٩ ، والبداية والنهاية : ١٤٦/١٤ ، والدرر : ٣٧٧/١ ، والشذرات : ٨٩/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٢/٢ .

(٤) محمد بن عبد الوهاب الحراني (ت ٦٧٥ هـ) ، العبر : ٣٠٦/٥ .

وكان في الفقه رأساً . تخرَّج به جماعة ، وكان العلم بـه في إذاعـة من غير إضـاعـة . وكان يهضم قدره ، ولا يُعرِّف الناسَ أمرَه ، فإنه كان في مدارس تلاميـذه معيـداً ، وقـد جعل الله بينهم وبينه بوناً بعيداً . وعنده إخلاص وورع ، وما ترك هضبـة من الخشوع حتى اعتلاها وفرع .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ الأجل ، وحلَّ به أمر الله عزَّ وجلّ .

وتوفي رحمـه الله تعـالى في تـاسع جمـادى الأولى سنـة تسـع وعشرين وسبـع مئـة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة ، وشيَّعه خلق كثير ، وجمعٌ غزير[1] .

٢٦٨ ـ إسماعيل بن محمّد بن عبد الله*

القـاضي الكبير الرئيس ، أبـو الفـداء ، ابن القـاضي شرف الـدين ابن الصـاحب فتح الدين بن[2] القيسراني .

كان موقّع الدست بالقاهرة ، ثم إنَّ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخرجـه إلى حلب كاتبَ سِرّ في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا . وصل إليها في أوائل شوال سنـة أربع عشرة وسبع مئة ، فباشر الوظيفـة على القـالب الجـائر ، وأجرى اللهُ بسعـده فيهـا الفَلَكَ الدائر ، وضاق بالنائب عَطَنُه ، وصار فيها كالغريب معه وهي وطنه ، وكثر لـه الحسدة ، وجاءه[3] كيد أعاديه وحشده ، وأوهموا الأكابر الـذين في مصر منـه ، وبَلَّغُوهم ما اختلقوه عنه ، فَساعدوا الحلبيين على عزله ، ونَقْضِ غَزْله .

وحضر هو وأولاده إلى دمشق ، ورُتِّب فيها موقّع الـدست كبيراً[4] ، وجُعل ولـداه

---

(١) في المنهل : « مولده سنة ست وأربعين وست مئة » .

* الوافي : ٢١٧/٩ ، والدرر : ٣٧٨/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٣/٢ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل : « وجاء » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

في كتّاب الإنشاء ﴿ سِراجاً وقَمراً مُنيراً ﴾[١] ، ومال إليه آخرَ الأمر تنكز وأحبَّه ، وملَّكه خاطره ولُبَّه .

وكان ديِّناً خيّراً صيِّناً ، يتعصَّب لمن يقصده ، ويراقب عونه ويرصده ، يُؤْثر الفقراء ويودّهم ، ويقوم معهم إلى أن يُقْبِلَ حظُّهم وجَدُّهم .

وكان حَسَنَ المحاضرة ، مِتعَ المذاكرة ، يستحضر من حكايات الصالحين جُمْلَه ، ويتولى من أمرها حَمْلَه ، لو جلست معه ثلاثة أيام بلياليها لأورد عليك جملة من أماليها .

وكان وهو بالديار المصرية يحضر السماع ، مع ما عنده من العزلة والانجماع ، وعليه فيه أنس وحركة ، ويرى الناس منه في ذلك خيراً وبركة .

وروى عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وغيره . وحدَّث بدمشق .

ولم يزل بدمشق إلى أن نزل الموت بابن القيسراني قسرا ، وجعل العيون بالحزن عليه حَسْرى .

وتُوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حَفِلَة ، ودفن بمقابر الصوفية .

اجتمعت به ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق غَيْرَ مرّة ، والتقطتُ من إنشاده غيرَ دُرّة ، وأولاني من خيره وجبره الإحسان والمبرَّة . ولما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ كنت بالديار المصرية ، فكتبت إلى ولده القاضي شهاب الدين يحيى ـ رحمه الله تعالى ـ أُعزِّيه فيه ، يأتي ذكر ذلك فيما بعد .

وكان قد كتب إليَّ وأنا بالقاهرة[٢] :

(١) الفرقان : ٢٥/٦١ .

(٢) (أ) : « وأنا بالقاهرة هذه الأبيات » .

إليك صلاح الدين شَوْق امرئ غدا — وقد صحّ دونَ الجسمِ فيكَ ودادُهُ
ترحلتَ عن مغنى دمشق فشوقُنا — إليك طوالَ الدَّهرِ تجري جيادُهُ
إذا كنْتَ في أرضٍ يحلُّ صلاحُها — وإن كنتَ في مغنىً يزولُ فسادُهُ

فكتبت أنا الجواب إليه :

أتاني مثالٌ منك يُفْدَى سواده — بعينيَ بل يعلو عليها مِدادُهُ
أمنتُ بهِ دهري وصُلتُ بوصلِهِ — على الْخَطْب حتّى خافَ منّي عِتادُهُ
وصرَّفتُ في صرفِ الزَّمانِ أناملِي — إلى أنْ غدا في حُكم أمري قيادُهُ
وأطفأ جمراً في الجوانح كلّما — تَذكَّركُمْ قلبي يزيدُ اتِّقادُهُ
ولو لم يَرِدْ هذا المثالُ لما بَقِي — من الخاطِرِ المشتاقِ إلاّ رمادُهُ
لقد أصبحَ الملوكُ عبداً مكاتَباً — وتَمَّ لهُ ممّا يرومُ مرادُهُ
فلا غرْوَ أن يُبْنى على الأفق مجدُه — لأنكَ مِنْ دُون الأنامِ عِمادُهُ
وإنّ صلاحاً نال عَطْفَك في الورى — عليه بعيد أن يراه فسادُهُ
أيا من له سَبْقُ المعالي إذا جَرَتْ — لِنَيْلِ العُلا يوم الفخارِ جيادُهُ
ومن يتحلَّى الدَّهرُ منهُ بماجدٍ — تكمّل فيه حلمُه وسَدادُهُ
ومَن لاقَ في عينِ الكمالِ انتقاؤهُ — وصحَّ على زَيْفِ الأنامِ انتقادُهُ
ومَن فرّعته دوحَةٌ خالديّةٌ — فطارِفُه مَجدٌ عَلا وتِلادُهُ
لِيَهنِي بني مخزومَ فخرٌ غدا إلى — عمادُهُم دون الأنام معادُهُ
وفاحَت خُزامى مجدِ مخزومَ في الورى — فطالت روابيهِ وطابتْ وِهادُهُ
ولِمْ لا وسيفُ اللهِ خالدُ منهُمُ — على عاتقِ الملكِ الأغرِّ نجادُهُ
فكَم طالَ منهُ للعدى صَدْرُ أبترٍ — وما قصّرت في الدَّارِعين صعادُهُ[1]
بَقَيْتَ عِمادَ الدِّين ذُخر امرئٍ صَفت — لبيتكُم نيّاتُهُ واعتقادُهُ
وأخلصَ فيكم حُبَّه وولاءَه — وصحَّ على طولِ البعادِ ودادُهُ

(١) الصعدة : القناة المستوية .

ونسخة الكتاب الذي كتبته إلى ولده القاضي شهاب الدين يحي أُعزّيه في والده من القاهرة[١] :

أيُّ خَطْبٍ بِــه تلظّى فــؤادي وأســالَ الـدمـوعَ مثـلَ الغـوادي
وأعــادَ الحمــامَ ينــدُبُ شجـواً فــوقَ فَرْعِ الأراكــةِ الميّــادِ
وكَســا الأنجمَ الــزَّواهر طُرّاً في ظـلامِ الـدُّجى ثيـابَ الحِـدادِ
وأبــاحَ الأسى حمــلَ كلِّ صَبرٍ من رُبــا كلِّ بلــدةٍ أو وهــادِ
قــد أصمَّ الأسماعَ نعيُ عمــاد الــدِّين فــالنَّــاسُ بعــدَه في جهــادِ
فيــهِ نظمي يخـوضُ في كلِّ بحرٍ وفــؤادي يَهيمُ في كلِّ وادِ
آهِ كيفَ القرارُ فــوقَ فِراشٍ مَــلأَتْــهُ الأحـزانُ خَرْطَ القَتَــادِ[٢]
كيفَ تلتــذُّ بــالمنــامِ جفـونٌ قَد مَحـاهــا البُكا وطـولُ السُّهـادِ
كيفَ لا تلتظي دمشــق ولــولا هُ لمــا سُمِّيت بــذات العمادِ[٣]
أينَ ذاكَ الجـلالُ في الحفـلِ لَمّــا يكتسيــه من أنْفَس الأبرادِ
والـوقــارُ الــذي يقرُّ رسـوخــاً حين تهفـو الرِّيــاحُ بــالأطـوادِ
كَم حَمى بــاليراعِ مُلكاً فلم يَحْــتــج لبيْض الظّبــا وسُمْر الصِّعــادِ
ولَكَم زانَ في دمشــق ومصرٍ دارَ عَــدْلٍ بــالرَّأْي في الأشهــادِ
ولَكَم قــدْ أتى بصَــدْعــةِ حــقٍّ خِيفَ من بــأْسِهــا على الأكبــادِ
هكــذا مَنْ يكــونُ عنــد مُلُــو كِ العصر يَهْـديهم سبيـلَ الرَّشــادِ
حمِلــوهُ فــوقَ الرِّقــابِ ولكن بعـدمـا أثقـل الـورى بـالأيــادي[٤]
من كرامٍ راقَت معــاني عُــلاهم وتغنّى بمــدحِهم كلُّ شــادِ
نسبٌ بــاهرُ السَّنــا خــالــديٌّ قَد تسـاوَتْ غـايـاتُـهُ والمبـادي

(١) أورد صاحب المنهل الأبيات الثلاثة الأولى .
(٢) في المثل : « دونه خرط القتاد » ، يضرب لما هو مستحيل وقوعه .
(٣) البيت ليس في (أ) .
(٤) (أ) ، والوافي : « على الرقاب » .

يـــادُمـوعي بـــالله روِّي ثراهُ إنْ تخُنْ قَبْرَهُ عهـــودُ العِهــــادِ
آه واوحشَتـــا لــــذاكَ الْمُحيّـــا وافتقـــاري لنـورِه وافتقــــادي
لم يَغِبْ مَن نـــأى وأبقى شهـــابـاً لم يـــزلْ دائمَ السَّنـــا في اتِّقـــادِ
يَتراءى في الــــدّسْتِ بينَ جمــــالٍ وجــــلالٍ وسُـــؤددٍ وسَـــــدادِ
فتـــواقيعُــــهُ تراهــــا طرازاً رُمِيَ الرَّوضُ عنـدَهـا بـالكســادِ
وبـــــأقـــلامِــــهِ يُسَرُّ المــــوالي أن تَراهــا كما يســوءُ الأعــــادي[(١)]
قـــد تلقيتُ راغمـــاً يـــا شهـــابَ الـــــدِّين خَطبـــاً يفضُّ صمَّ الصِّلادِ
لستُ في هــــذه المصيبــــة فرداً وهيَ قـــد أنكأتْ قلـوبَ العبـــادِ
فـــاصطبرْ واحتَسِبْ على اللهِ أجراً تلقَـــهُ عُـــدّةً ليـومِ المعـــادِ
لم يخفِّف وجـــدي بـــهِ غيرُ ظَنِّي أنَّـــهُ في المَعَــــادِ خَيْرُ مُعَـــادِ
مُلئتْ صُحْفُـــه مِن البرِّ والتُّقــــوى فـوَلَّى منهــــا بـــــأفضَــلِ زادِ
فهــوَ عِنــــدَ الإلــــهِ جــلَّ مقيمٌ في نعيمٍ مـــا إنَّ لــــهُ من نفـــادِ
فـــالبكا في الــورَى على مِثــلِ هــذا «غيرُ مُجْـدٍ في مِلَّتي واعتِقـــادي»[(٢)]

يقبِّل الأرض ، وينهي ما بلغه من النبأ[(٣)] الـذي شقَّ قلبـه ، وزاد كَرْبَـه ، وأذهل لُبّه ، وأضعف جَلَـده ، وقوّى من الحزن حِزْبَـه ، وأغـارَ على الصبر فلم يـدع عنـد حبَّـة القلب حَبَّه ، وشنَّ على الفؤاد حَرْبَه لَمّا أغمد فيه حَرْبَة .

لم يبـقَ مِن بَـدني جـزءٌ علمتُ بـهِ إلاّ وقـد حلّـه جـزءٌ من الْحَـزَن
كان اللّحـــاقُ بـــهِ أوْلى وأحسنَ لي من أن أعيشَ سقيمَ الرُّوحِ والبــدنِ

(١) (ق) : « المعادي » . وفي الوافي : « كما يساء المعادي » ، وأشار محققه في الحاشية إلى أنه في الأصل : « يسوء » .
(٢) فيه تضمين لصدر بيت لأبي العلاء المعري :
غيرُ مجـــدٍ في ملّتي واعتقـــادي نـوحُ بـــاكٍ أو ترنُّمُ شـــادي
(٣) (أ) : « هذا النبأ » .

﴿ فَإِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعونَ ﴾ قولُ مَنْ وَهَى عمادُه ، وفَقَدَ من كان على الله تعالى وعليه[١] توكُّله واعتمادُه ، وذهب من كان يفديه من القلب سويداؤه ، ومن الطَّرف سوادُهُ ، وعَدِمَ من أحزن الوجودَ فَقْدُه حتى نُشر من الليل حدادُه ، وذُرَّ من الصَّباح رمادُه :

مضى طاهرَ الأثوابِ لم تبقَ بقعةٌ غداةَ ثَوى إلاّ اشتهَتْ أنّها قبرُ[٢]

فرحم الله تلك الروحَ الطاهرة وزكّاها ، وشكر لها برَّها المتنوع وتقواها ، ورفع أعمالها إلى درجات الأبرار ورقَّاها ، وأجزل لها موادّ الغفران وأنماها ، ونوّلها من الرضوان ما لا ينقطع أمده ولا يتناهى ، وجعل دار المقامة مقامها ، وفي جنة المأوى مأواها ، فإنه كان زكّاها وهذَّبها في طول مدته بالعلم والعمل ، وما بقي لمولانا ـ أعظم الله أجره ـ غَيْرُ الأخذ بسنّة الصبر ، والتأسي بكل فرعٍ تثنى على الأرض ، وأصله قد ذوى على القبر[٣] ، وهذا أمر لا بدَّ لنا من شرب كاسه وبلوغ أنفاسه ، ونفوذِ سهم المنية في قرطاسه ، وهو ـ أحسن الله عَزاءه ـ أعلمُ بما يقال وأخبر وأجلُّ من أن[٤] ينبَّه لمثل هذا وأكبر :

أنت يا فوقَ أن تُعزَّى عن الأحْباب فوقَ الذي يعزيكَ عقلا

ومن كان مولانا خَلَفه فما غاب شخصه[٥] عن غابه ، ولا ظعن سؤدده عن جنان جَنابه ، فَيَا هَنا دَسْتٍ أنت صدْرُه ، وأُفق منصب [أنت][٦] بدره ، ويا انتصافات

(١) في الأصل : « وعلى » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) من قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي . وديوانه : ٨٤/٤ .
(٣) (أ) : « ثوى في القبر » . وفي (ق) : « ذوي في القبر » .
(٤) في الأصل : « ممن » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « شخص » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٦) زيادة من : (أ) ، (ق) .

ظلامات أقلامك الحاكمة بفضلها[١] ، ويا بشارة دار عدلٍ تواقيعك أربابُ عقدها وحلّها ، فإنا معْشَرَ الأولياء لنضع الجباهَ شكراً على الثَّرى :

وإنّا لنتلو الحمدَ فيكَ مكرّرا وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهرا[٢]

والله يهب مولانا عمراً مديداً ، وعزّاً أكيداً ، ويجعله كجدِّه خالداً يرى كلَّ يوم وليداً ، بمنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٢٦٩ - إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم*

ابن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ الجليل العدل الفقيه الأصيل ، الصدر[٣] شرف الدين أبو الفداء الأنصاري الحرستاني الدمشقي .

روى عن السَّخاوي ، والقرطبي ، والعزّ بن عساكر ، وعتيق حضوراً . وسمع من جدِّه ، وعبد الله بن الْخَشُوعي ، وإسماعيل العراقي ، وعثمان خطيب القرافة ، وجماعة .

وكان جيِّداً حسن الخلق يخدم [في][٤] الدواوين ، ويحضر درس الأمينيّة[٥] ، وله ملك .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع المحرم سنة تسع وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وست مئة بالجويرة بدمشق .

---

(١) (ق) : بفصلها » .

(٢) عجز البيت من قصيدة للنابغة الجعدي ، وصدره :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

ديوانه : ٥١ و ٦٨ و ٧٣ .

* الدرر : ٣٧٩/١ .

(٣) قوله : « ابن محمد » حتى ههنا ليس في (أ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الأميليّة » تحريف .

٢٧٠ ـ إسماعيل بن محمد بن ياقوت*

الصدر الخواجة مجد الدّين السّلامي .

كان من تجّار الخاصّ في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، يدخل إلى بلاد التتار[١] ، ويتّجِر ويتبضّع ، ويعود بالرقيق وغيره من أنواع المتاجر وغرائب البلاد . واجتهد مع النّوين جُوبان ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أن اتفق الصلح بين السلطان الملك الناصر وبين القان بوسعيد ، فانتظم ذلك بسفارته وحسن سَعْيه ، وازدادت وجاهته عند الملكين ، وكان يسفره الملك الناصر ، ويقرّر معه أموراً يريدها ، فيتوجّه ويقضيها على وفق مراده بزيادات فأحبّه وقرّبه ، ورتّب له الرواتب الوافرة في كل يوم من الدراهم واللحم والعَليق والسكر والحلوى والكمّاج والرقاق مما لَعَلّه يبلغ في اليوم مئةً وخمسين درهماً ، وأعطاه قرية « أرّاق » ببعلبك ، وأعطى مماليكه إقطاعات في الحلقة ، وكان يتوجه إلى الأُرد[٢] ويقيم فيه الثلاث سنين والأربعة ، والبريد لا ينقطع عنه ، وتُجهّز التُّحف والأقمشة وغيرها إليه ليفرقها هو على مَنْ يراه من أعيان الأُردو وخواص بوسعيد[٣] ثقة بمعرفته ودربته .

وكان النُّشو ناظر الخاص لا يفارقه ولا يصبر عنه ، ومن أملاكه ببلاد الشرق السّلامية والماحوزة والمراوزة والمناصف . ولمّا توفي الناصر تغيّر عليه الأمير سيف الدين قوصون وأخذ منه مبلغاً يسيراً .

وكان ذا عقل وافر ، وفكر على الإصابة متضافر ، خبيراً بأخلاق الملوك وما يليق

---

* الوافي : ٩/٢٢٠ ، والدرر : ١/٣٨١ .

(١) في الأصل : « الشام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « الأزد » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ق) .
وعبارة الوافي : « وكان إذا سافر إلى بلاد تبريز يقيم بالأُردو » .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « المقرّبين » .

بخواطرها ، درباً بما يتحفه بها من رقيقها وجواهرها ، نُطْقه سعيد ، وخلقه من الانحراف بعيد ، حسن الشكالة ، بهيّ الطلعة ، تضيء كالذبالة .

ولم يزل بمصر في آخر الأمر إلى أن افترش الرغام ، وتشعّث صفوُ سمائه بالموت وغام .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

ودفن بتربته بَرّا باب النصر بالقاهرة .

٢٧١ ـ إسماعيل بن محمّد بن قلاوون*

الملك الصالح بن الملك الناصر بن الملك المنصور عماد الدين ، أبو الفداء .

اختلف الناس من أرباب العَقْد والْحَلّ عندما توجَّه الناصر أحمد أخوه إلى الكرك ، وأقام به وأعرض عن مصر ـ على ما تقدَّم في ترجمته ـ وأرادوا إقامة مَلِكٍ غيره ، فاجتمع المشايخ من مقدَّمي الألوف والأمراء الخاصكية وأصهار السلطان ، فقال الأمير جنكلي[١] بن البابا : يا أمراء ! أنتم أصهار السلطان ، وأنتم أخبر بأولاده[٢] ، فمن علمتوه صالحاً ساكناً عاقلاً ديِّناً ولّوه[٣] الْمُلك . فقالوا : هذا سيدي إسماعيل . فأقامه الأمير بدر الدين وأجلسه على التخت ، وبايعه ، وحلف له ، وحلف بعده الأمراء على مراتبهم والعساكر . وجُهِّز الأمير سيف الدين طُقْتَمُر الصَّلاحي إلى دمشق في البشارة ، وكان ذلك يوم الخميس ثاني عشري شهر المحرّم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٢١٩/٩ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ٣٨٠/١ ، والذيل التام : ٧٦ ، والشذرات : ١٤٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٥/٢ .

(١) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بدر الدين جنكلي » .

(٢) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بأولاده منّا » .

(٣) (خ) : « فولوه » .

وكان شكلاً حسنـا ، ولـه رونق وَسَنـا ، حُلْوَ الوجـه أبيض بصفرة يسيرة ، تعلـوه هيبة الْمُلْك المنيرة ، له في خدّه شامة ظاهرة ، تزيده حُسناً في طلعته السـافرة ، كأنها في ذلك الخد نقطة من ند ، أو يوم وصال جاءت فيه ساعة من صَد .

وكانت أيامه بـالسعـادة آهلـة ، وبصلـة الأرزاق كافلـة ، ولكنـه لما تولّى استولى النساء عليه ، ومال إليهنّ ، وتزوج ابنة الأمير شهاب الدين أحمـد بن بكتمر السـاقي التي من ابنة تنكز ، ثم تزوج ابنة الأمير سيف الدين طُقزتمر الناصري نـائب الشـام ، وحضر الأمير سيف الـدين ملكتمر الحجـازي إلى دمشق خـاطبـاً لها من أبيهـا ، وكان يميل إلى السُّودان من النسـاء ويؤثرهن ، والمـدبر لـدَوْلتـه[1] الأمير سيف الـدين أرغون العلائي المقدم ذكره .

ولما تـولّى الْمُلْـكَ أقرَّ الأمير شمس الـدين آقْسُنقر السّـلاَّري في النيـابـة بمصر ، ثم أمسكه وولّى النيابة الأمير سيف الدين الحاج آل مَلك[2] . وكانت أيامه سعيدة .

ولم يـزل على حـالـه إلى أن ذوى غصن شبـابـه وقُصِف ، ونُضِّـد الجنـدل فـوقـه ورُصِف .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وقلت أنا مضمّناً :

مضى الصَّالحُ المرجوّ لِلبَّـاسِ والنَّـدى ... ومن لم يزَلْ يلقى الْمُنَى بـالمنـائح[3]
فيـا مُلْـكَ مصرَ كيف حـالُـك بَعْـدَه ... إذا نحنُ أثنينـا عليـك بصـالـح

(١) في الأصل : « له وليّه » تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) زاد في (أ) ، (خ) ، (ق) : « الآتي ذكره » .
(٣) (خ) : « للناس » ، تصحيف . والبيتان في المنهل .

٢٧٢ ـ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن سعد الله ، الْحَمْوي*

الشيخ الفقيه المقرئ النحوي جمال الدين أبو الفداء الحنفي ، المعروف بابن الفُقَّاعي .

كان شيخاً فاضلاً ، مناظراً مناضلاً ، مفتياً مفنّناً ، محرِّراً مُقَنّناً ، عارفاً بالقراءات والتجويد ، وحسن الأداء والترتيل والترديد ، مع المعرفة بالفقه والنحو والأدب ، وإليه ينسلون من كل حَدَب .

ولم يزل بحماة إلى أن طرق الموت حِمَاه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

وكان مدرِّساً بمدرسة الطواشي بحماة ، وليها بعده قاضي القضاة ناصر الدين بن العديم(١) ، ومن شعره : ...(٢)

٢٧٣ ـ إسماعيل بن محمّد بن إسماعيل بن علي**

الأمير عماد الدين بن الملك الأفضل بن الملك المؤيَّد .

أحد أمراء الطبلخانات بحماة ، تقدَّم ذكر جدِّه الملك المؤيد صاحب حماة . وسيأتي ذكر والده الأفضل في المحمّدين في مكانه .

كان شكلاً حسناً ، وذا صورة تخجل الأقمار منها سناء وَسَنا ، أشقر يتلألأ وجهه

---

* الدرر : ٣٧٧/١ ، وغاية النهاية : ١٦٧/١ ، والبغية : ٤٥٤/١ .

(١) محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت ٧٥٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) بياض في الأصول .

** الدرر : ٣٧٧/١ .

كالبدر ، ويحكي نَبْت عذاره زعفران الشعر ، عليه خفر أولاد الملوك ، وسلوكه في طريق التجمل والحشمة أحسن السلوك .

ولم يزل على إمرته بجماة حتى اعتُبط[١] ، وانحلَّ من نظام حياته ما كان قد رُبِط .

وتوفي - رحمه الله تعالى - شاباً ، ولم يكمل الخمس والعشرين ، في العشر الأواخر من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة .

وكان قد حجَّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

٢٧٤ - إسماعيل بن نصر الله*

ابن أحمد بن محمَّد بن الحسن بن عساكر الشيخ فخر الدين أبو محمد بن تاج الأمناء .

روى عن ابن اللَّتي ، ومُكَرَّم ، وعمّ والده عبد الرحيم بن عساكر[٢] ، وإبراهيم الْخُشُوعي ، وإسماعيل بن ظَفَر[٣] ، وسالم بن صَصْرَى ، وشيخ الشيوخ ابن حَمويه ، وعبد العزيز الصالحي ، والمخلّص بن هلال ، والعزّ ابن عساكر النسّابة وهو عمّه ، وعتيق السلماني ، وابن الْمُقَيَّر ، والسخاوي ، وعمر بن البَراذعي[٤] ، والقاضي أبي نصر بن الشيرازي ، ومكي ابن علاّن ، والقاضي شمس الدين بن سَنِيّ الدولة[٥] ، وكريمة القرشيّة .

---

(١) مات عبطة : شاباً صحيحاً .

* الدرر : ٣٨٢/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ . وذيول العبر : ٥٩ . والشذرات : ٢٥/٦ .

(٢) أبو نصر (ت ٦٣١ هـ) ، العبر : ١٢٦/٥ .

(٣) (ت ٦٣٩ هـ) ، السير : ٨١/٢٣ .

(٤) (ت ٦٤٧ هـ) ، السير : ٢٦٣/٢٣ .

(٥) يحيى بن هبة الله (ت ٦٣٥ هـ) ، السير : ٢٧/٢٣ .

وكانت لـه إجـازة من الحسن بن الأمير السّيـد[(١)] ، وإسماعيـل بن بـاتكين[(٢)] ، والسُّهروردي وابن القَطيعي ، وابن رُوْزبَـة ، وزكريـا العُلبي[(٣)] ، ويـاسمين بنت البيطار[(٤)] ، وأبي بكر بن كال الحربي[(٥)] ، وعلي بن الجوزي[(٦)] ، وابن بَهْرُوز وجماعة .

قـال شيخنـا البرزالي : قرأت لابني محمـد عليـه (الصحيحين) ، و (سُنن) ابن ماجه ، و (مسند) الدارمي ، و (مسند) عبـد بن حميـد ، وكتـاب (العوارف) للسهروردي ، وأكثر من سبعين جزءاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين عاشر صفر سنـة إحـدى عشرة وسبع مئـة بمنزلـه بباب الناطفيين[(٧)] ، وحضر جنازته الأعيان والوزير والخطيب .

ومولده في صفر سنة تسع وعشرين وست مئة بدمشق .

٢٧٥ ـ إسماعيل بن هارون*

نفيس الدين العبسي الدِّشْناوي الصوفي المعروف بابن خَيْطِيّة .

كان صوفياً بالجامع الناصري بمصر ، وكانت لـه بـالقراءات معرفـة ، ومشـاركـة في النحو والأدب يعرف بها مقدمه ومصرفه .

لم يزل على حاله إلى أن نُزعت نفسُه ، وكسفت بعدما بزغت شمسه .

---

(١) (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٤٤/٢٢ .

(٢) إسماعيل بن علي (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٥٦/٢٢ .

(٣) زكريا بن علي بن حسان (ت ٦٣١ هـ) ، الشذرات : ١٤٤/٥ .

(٤) ياسمين بنت سالم بن علي (ت ٦٣٤ هـ) ، الشذرات : ١٦٩/٥ .

(٥) هبة الله بن عمر (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١٢/٢٣ .

(٦) علي بن عبد الرحمن (ت ٦٣٠ هـ) ، السير : ٣٥٢/٢٢ .

(٧) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية .

* الوافي : ٢٣٧/٩ ، والدرر : ٣٨٣/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود الثلاثين وسبع مئة .

ومن شعره :

قُـلْ لظبـاءِ الكُتُبِ رِفْقـاً على المكْتَئِبِ
رفقـاً بمن بُلِيْ بكم شيخـاً وكهـلاً وصبي
دمـوعُـهُ جـاريـةٌ كالـوابـلِ المنسكبِ
على زمـانٍ مرَّ في لـذَّةِ عَيْشٍ خَصِبِ
لِـذةُ أيـام الصِّبـا يـا ليتَهـا لم تغب
قضَّيت فيهـا وطراً ونلت منهـا أربي[1]
بين حِسـانٍ خُرَّد مُنَعَّمـاتٍ عُـرُبِ
وشـادن مُبْتَسم عن دُرِّ ثغرٍ شَنَبِ
ألفـاظُـهُ تَفْعـلُ مـا تفعـلُ بنتُ العِنبِ

قلت : شعرٌ مقبول غير مردود .

٢٧٦ - إسماعيل بن هبة الله بن علي بن الصَّنيعة*

القاضي عز الدين الإسنائي ، أخو نور الدين ، وهو الأكبر .

سمع الحديث من قطب الدين بن القَسْطَلاني ، واشتغل ببلده على الشيخ بهاء الدين القفطي[2] ، ثم إنه جرى بينه وبين شمس الدين أحمد بن السديد[3] ما فارق إسنا بسببه . ودخل القاهرة ، وقرأ الأصول والخلاف والمنطق والْجَدَل على الشيخ شمس الدين محمد بن محمود الأصفهاني[4] ، ولازمه سنين .

(١) في الوافي : « فيها أربي » .

* الوافي : ٢٣٦/٩ ، والطالع السعيد : ١٦٩ . ووقع في الأصل : « ابن عبد الله » وهو سهو .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله القفطي .

(٣) أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد (ت ٧٠٤ هـ) . الطالع السعيد : ١٠٢ .

(٤) توفي سنة (٦٨٨ هـ) .

وولي الحكم من جهة ابن بنت الأعَز[١] ، ثم ولي من جهة ابن دقيق العيد ، وعمل عليه ، وحَصَل منه كلام ، فجرَّه ذلك إلى أن انتقل إلى حلب ، ناظرَ الأوقاف ، ودرَّس بها ، وظنَّ الشيعة بحلب أن يكون شيعياً لكونه من إسنا ، فصنَّف كتاباً في فضل أبي بكر رضي الله عنه . وأقام بحلب مدة يستدلُّ على فضل أبي بكر[٢] وصحَّة إمامته ، والشيخ نجم الدين بن مَليّ إلى جانبه معيد لا يتكلم[٣] . وصنَّف كتاباً ضخماً في شرح (تهذيب النكت) . وكان في ذهنه وقفة ، إلاّ أنه كان كثير الاشتغال .

وكان بحلب إلى أن وصل قازان إلى البلاد ، فعاد إلى القاهرة ، وأظنّه جاء إلى صفد قاضي القضاة أيام نائبها الأمير سيف الدين كراي[٤] ، فما مكَّنه من الإقامة بها .

وكان كريماً جواداً خيِّراً ، كم بلَّغ آمليه مراداً ، محسناً إلى أهل بلاده ، ومن ورد من تلك الناحية ، واستظل من أقلامه بصِعاده[٥] . اشتهر بالكرم ، وآوى من الفضل إلى حَرَم .

ولم يزل بالقاهرة مقيماً إلى أن نزل به الأمر المكتوب على الرقاب ، وأفضى إلى محلّ الثواب والعقاب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٢٧٧ - إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن جَهْبَل*

القاضي محيي الدين الحلبي ، ثم الدمشقي الشافعي .

(١) في الأصل : « الأغرّ » تصحيف .

(٢) قوله : « وأقام ... » حتى ههنا سقط من (أ) .

(٣) عبارة الطالع السعيد : « وأخبرني ... الأسناني أن بعض الحلبيين أخبره أنه أقام بحلب شهراً يستدل على إمامة أبي بكر ، ونجم الدين بن ملي إلى جانبه معيداً » .

(٤) ستأتي ترجمته .

(٥) جمع صعدة : متن القناة أو الرمح .

* الوافي : ٢٤٠/٩ ، والدرر : ٣٨٣/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، والدارس : ٩٩/١ ، وذيول العبر : ٢١٤ .

ربي هو وأخوه الإمام شهاب الدين أحمد المقدم ذكره يتيمين فقيرين ، فاشتغلا وتفقّها وتميّزا .

وسمع محيي الدين من القاضي شمس الدين بن عطا[١] ، وجمال الدين بن الصَّيْرَفي ، وجماعة . وخرّج له[٢] عنهم علم الدين البرزالي ، وتفقّه بابن المقدسي[٣] ، وبالشيخ صدر الدين بن الوكيل . ودرَّس وأفتى ، وناب في القضاء بدمشق ، وولي تدريس الأتابكيّة[٤] ، وندب لقضاء طرابلس فباشرها .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : ولم يُحْمَد .

قلت : إلاّ أنه كانت له معرفة بالمكاتيب[٥] والأحكام ، ودُربة بفَصْل القضايا المعضِلَة بين الأنام . نقيُّ بياضِ الشيب ، ممسكٌ لما في يده والْجَيْب ، مليح البِزّة ، مليح الشكل ، عليه وقار ، وله في النفوس عِزّة ، حصَّل أملاكاً ، ومَلك دنيا حاولها دراكاً .

ولم يزل على حاله إلى أن قرع الموت صَفاتَه ، وخانه أمَلُه وفاتَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربعين وسبع مئة[٦] .

ومولده سنة ست وستين وست مئة .

---

(١) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن نوح الدمشقي (ت ٦٨٩ هـ) ، العبر : ٣٦٤/٥ ، وعنه في الدارس : ٢٠٢/١ .

(٤) بصالحية دمشق ، أنشأتها أخت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل سنة (٦٤٠ هـ) . الدارس : ٩٦/١ .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) في الأصل : « وستمئة » سهو .

٢٧٨ ـ إسماعيل بن يوسف بن نجم*

ابن مكتوم بن أحمد بن محمد بن سُلَيْم ، الشيخ المقرئ الفقيه المُسْنِد المعمّر ، صدر الدين أبو الفداء السّوَيْدي الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن اللّتي كثيراً ، ومن مُكَرَّم ، وأبي نصر [بن][1] الشيرازي ، وإسماعيل بن ظفر[2] ، والسخاوي ، وعدّة . وتفرَّد بأشياء .

تكاثر عليه الطلبة ، وتلا على علم الدين السخاوي بحرف أبي عمرو ، وابن كثير ، وعاصم . ونزل في المدارس ، وكان آخر من قرأ على السخاوي .

حجَّ سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وحدَّث بالحرم الشريف .

وسمع منه اِبْنا شمس الدين الذهبي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والعلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والوافي ، وابن الفخر ، وخلق كثير .

وكان حسن الأخلاق ، مائلاً إلى الانقياد والاتفاق ، وله عَقار يرتزق منه ، ومُلْكٌ إذا[3] عرض له الملك استغنى به عنه .

ولم يزل على حاله إلى أن اشتهرت وفاة ابنِ مكتوم ، وصحَّ أنه نزل به الأمر المحتوم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شوال سنة [ست][4] عشرة وسبع مئة .

---

* الوافي : ٢٤٦/٩ ، والدرر : ٣٨٤/١ ، والشذرات : ٣٨/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٩/٢ ، وذيول العبر : ٨٩ .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل ، وذيول العبر .

(٢) في المنهل : « مظفر » .

(٣) (أ) : « وإذا » .

(٤) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

ومولده سنة [ثلاث و][1] عشرين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (مسند) الدارميّ ، و (المنتخب من مسند عبد بن حُميد) ، و (جزء أبي الجهم) ، و (الثاني من حديث المخلص) ، و (المئة السريجيّة) بسماعه لذلك من ابن اللَّتي ، و (موطأ) مالك رواية يحي ابن بكير بسماعه له من مكرّم بن أبي الصقر . وكان قد تفرَّد به بدمشق . وروى لنا أيضاً عن السخاوي .

٢٧٩ ـ أسِنْبُغا*

الأمير سيف الدين المحمودي نائب طرابلس .

هو الذي جاء بجلوس المَلك الناصر حسن بن الملك الناصر محمّد على تخت الملك بعد أن[2] قُتِلَ المظفر حاجي ، ووصل إلى دمشق في رابع عُشْري شهر رمضان المعظَّم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحلّف[3] الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام والعساكر ، ورسم له الناصر حسن بنيابة طرابلس عوضاً عن الأمير سيف الدين[4] آقْتَمُر فيما أظنُّ ، وذلك في صفر سنة ستين وسبع مئة . ولم يزل بها نائباً إلى أن عزل بالأمير زين الدين أُغُلْبُك[5] الجاشنكير أمير حاجب حلب .

ثم إنَّ الأمير سيف الدين أسنبغا أمسك وجُهّز إلى الإسكندرية معتقلاً ، ولما أفرج عنه بعد خلع الناصر حسن ، ووصل الملك المنصور محمد إلى دمشق في واقعة الأمير

(١) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في أصول ترجمته .

* الدرر : ٣٨٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ٣٧ .

(٢) ليست في (أ) .

(٣) في الأصل (وكلّف) تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (ق) . وهو آقتمر الحنبلي الصالحي (ت ٧٧٩ هـ) ، الذيل التام : ٢٩٧ ، والشذرات : ٢٦١/٦ .

(٥) ستأتي ترجمته .

سيف الدين بَيْدُمر الخوارزمي[١] إلى دمشق رُسِمَ للأمير سيف الدين أسنبغا بطبلخاناه في حلب ، فتوجَّه إليها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاث[٢] وستين وسبع مئة .

٢٨٠ ـ أَسَنْدَمُر*

الأمير سيف الدين نائب طرابلس .

كان أولاً فيما أظنّ والي البَرّ بدمشق ، ولَمّا جاء العادل كَتْبُغا إلى دمشق في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة عَزَله من ولاية البرّ بدمشق ، وَوَلّى مكانه علاء الدين بن الجاكي ، وكان قد وليها في سنة اثنتين وتسعين وست مئة عوضاً عن طُوْغان لَمّا جُهّز إلى قلعة الروم نائباً ، وفي المحرّم سنة ست وتسعين أمسكه ، وقيده واعتقله بقلعة دمشق ، ونقل إلى طرابلس نائباً في أيام الأفرم عوضاً عن الأمير سيف الدين قُطْلوبَك الكبير في سنة إحدى وسبع مئة ، فمهّد طرابلس ، وأقام الحرمة ، وسفك الدماء بأنواع من الإزهاق[٣] ، لَمّا جاء السلطان من الكرك حضر إليه ، وتوجَّه معه[٤] إلى مصر فولاه نيابة حماة .

ولَمّا توفي الأمير سيف الدين قَبْجَق نائب حلب نقله السلطان إلى نيابة حلب ، فأقام فيها مُدَيْدَة ، وجهَّز السلطان الأمير سيف الدين كراي المنصوري[٥] في عساكر الشام مجرَّداً ، فأقام على حمص مدّة ، ولَمّا كان عصر نهار آخر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ـ فيما أظنّ ـ ساق كراي بالعسكر جريدة من حمص إلى حلب

(١) (ت ٧٨٣ هـ) ، الدرر : ١/٥١٣ .

(٢) قوله : « اثنتين وستين » حتى ههنا سقط من الأصل ، ثابت في (ق) .

* الوافي : ٩/٢٤٨ ، والدرر : ١/٣٨٧ ، والمنهل الصافي : ٢/٤٤٣ ، وذيول العبر : ٦٤ .

(٣) في الأصل (الإرهاق) ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) .

(٥) ستأتي ترجمته .

في ليلة واحدة ، وما[١] خرج أسندمر من داره لصلاة العيد إلاّ وقد أحاطت العساكر بدار النيابة ، ووعّروا الباب عليه بالأخشابِ وغيرها ، وأمسكه كِراي بكرةً نهار عيد رمضان ، وجهّزه إلى باب السلطان على البريد مقيداً ، وكان ذلك آخرَ العهد به رحمه الله تعالى .

وقيل : إنه جهزه إلى الكرك هو والجوكندار[٢] وبَتْخَاص[٣] وغيرهم . وجاء الخبر إلى دمشق بوفاة بتخاص وأسندمر في ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان جباراً يسفك الدماء جهاراً ، ويُجري منها على الأرض أنهاراً . نوَّع الإزهاق ، وعاجَل تلافَ[٤] النفوس بالإرهاق . سلخ وسَلَق ، ووسّط وشنق ، وكحّل وقطع الأطراف ، وبالغ في هلاك الأجساد ، وتعدّى حدّ الإسراف .

وكان منهوماً في الأكل الذريع ، وكأنّ ما يأكله نوع من الضريع . قيل : إنه كان يُعمل له بعد العَشا خروف مطجَّن ، سمين موجّن[٥] ، فيأكله جميعه ، ولا يؤثر به ضَجيعه ، ثم إنه بعد ذلك يَعمل له بيده من الحلاوة السكب صحناً ، ويأكله سخناً .

وكان يحبّ الفضلاء ، ويؤثر النبلاء ، ويسأل عن غوامض ، ويعترض ويناقض ، حضَرتْ منْ عنده مرةً فُتْيا إلى دمشق يسأل فيها : أيُّما أفضل الوليّ أو الشهيد ، والمَلَك أو النَّبي ؟ فصنَّف له الشيخ صدر الدين بن الوكيل في ذلك مجلَّداً ، وصنَّف له الشيخ برهان الدين الفزاري في ذلك جواباً فيما أظن ، وصنَّف كمال الدين بن الزملكاني في ذلك مجلَّداً[٦] مصنفين . وصنَّف له الشيخ تقي الدين بن تيميّة مجلداً .

(١) (أ) : « فما » .

(٢) الجوكندار : لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (أ) : « إتلاف » .

(٥) في الأصل : « خروفاً مطجَّناً سميناً موجّناً » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي . والمُوَجَّن : الغليظ . والمُطَجَّن : المقلوّ في الطاجن .

(٦) قوله : « في ذلك مجلداً » خلت منها : (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولَمّا كان بحلب طلب الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ وكان ذلك قبل صلاة الجمعة ـ وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ والنَّجْمِ إذا هَوى ﴾[1] فقال : هذا الوقت يضيق عن الكلام على هذه المسألة .

ووهبه (أسد الغاب)[2] لابن الأثير في نسخة مليحة ، وقال له : لازِمْني . وكان بعد ذلك لا يفارقه إلى أن جرى ما ذكرت من إمساكه ، وما قدّره الله تعالى من هلاكه ، رحمه الله تعالى .

وكان قد عَمَّر بطرابلس حمّاماً جعل الكواكب في سمائه جاماً ، وأحكمه نظاماً حتى طار في البلاد ذكره ، وضاع في الرياض شكره .

وفيه يقول الشيخ شمس الدين أحمد بن يوسف الطيبي :

زُرْ مَنْزِلَ الأفْراح واللَّذات ... دارَ النعيم ومرتَعَ اللَّذات
دار النَّعيمِ وفي الجحيمِ أساسُها ... تجري بها الأنهارُ في الجناتِ
فَلَكٌ ومن بيض القبابِ بُروجه ... ونجومه من زاهر الجامات
مَغْنىً لهُ مَعْنىً يُمازج ماؤه ... للنّار فهو مُؤلِّف الأشتاتِ
كالخلد مرتفع البناء فضاؤه ... رحبٌ يُسافَر فيه باللحظات
يحكي بخور العود طيبُ بخارها ... والمسك والكافور ممتزجات
وتُضِيء في غسق الدُّجا أكنافها ... كإضاءةِ المصباحِ في المشكاة
فُرِشَتْ بأنواع الفصوص ورُصِّعَتْ ... بجواهرٍ من فاخر الآلات[3]
بِرَك كأفواه الملاح رِضابُها ... عذب شهيّ الرشف في الخلوات
ومنابع قد فُجِّرَتْ بجدائق ... ترخيمها يغني عن الزهرات

---

(١) النَّجم : ٥٣/١ .

(٢) أسد الغابة في تمييز الصحابة ، وهو مطبوع .

(٣) (أ) ، (ق) : « بألوان » .

وجرت أنابيب الحياض بفضةٍ مَحْلولةٍ تَنْصَبُّ في مرآة
تلقى الرَّبيعَ من اعتدالِ هَوائها ومياهها في سائرِ الأوقات
ويَشمُّ منها من يمرُّ ببابها ريّا نسيمِ الروض في الغَدَوات
حمّامنا يشفي السقامَ وماؤه عينُ الحياة تُزيل كل شكاة
بيت تُزان به البيوت كأنّه بيتُ القصيدِ لسائرِ الأبيات
وبرسم مولانا الأميرِ وأمرِه بُنيت على اسم الله والبركات
المالك المخدوم سيف الدين والدنيا أسندمر الكريم الذات
قد ساد بانيها فشاد بناءها بأوامرٍ سيفيّةِ العَزَمات
في دولة الملك الرحيم محمّدٍ الناصرِ المنصورِ في الغَزوات
تمت لخمسٍ قد غدت من هجرة المختار مع سبع كَمُلْنَ مئات[1]

٢٨١ ـ أَسَنْدَمُر*

الأمير سيف الدين العمري ، نائب السلطنة بحماة وطرابلس .

كان شكلاً كاملاً ، مَهيباً هائلاً ، حسنَ الوجه ، يُشْبه البدر ، ويملأ برؤياه العين والصَّدْر .

باشر نيابة حماة مرَّات ، ووجد فيها المسرَّات . وناب في طرابلس مرّة ، وكان في وجه المُلْك غُرَّة .

ولم يزل إلى أن دخل في العَدَم بعد الوجود ، وقُبض وهو بعد الإطلاق في القيود .

وكانت وفاته في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة ، بمحبسه في الإسكندرية .

---

(١) (أ) ، (ق) : « مضت » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٣٨٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٤٥/٢ ، وذيول العبر : ٣٣٣ .

كان من مماليك السلطان محمد بن قلاوون . وتزوج ابنة الأمير سيف الدين الحاج بهادُر المعزّي .

ولما توجّه الأمير سيف الدين طقتمر[١] الأحمدي إلى نيابة حلب خلت عنه حماة فجهز إليها أسندمر العمري ، فكان بها نائباً إلى أن بَرَز يلبغا بظاهر دمشق في دولة[٢] الكامل ، فحضر العمري إليه إلى دمشق ، وأقام عنده ، ولما ملك المظفر حاجي نُقل أسندمر من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس بوساطة يلبغا له ، فتوجه إليها ، وأقام بها إلى أن حضر إلى طرابلس الأمير سيف الدين مَنْكلي بغا الفخري ، مع ما سيأتي في ترجمته .

وتوجَّه أسندمر إلى مصر في أواخر المحرم سنة ثلاث[٣] وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ذبح أرغون شاه بدمشق ، ورسم بنيابة دمشق للأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ، ورسم للأمير سيف الدين قُطْليجا نائب حماة بنيابة حلب ، فرسم لأسندمر العمري بالعود إلى حماة نائباً[٤] ، فحضر إليها في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

وتوجَّه بالعساكر الإسلامية إلى سنجار في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وكان هو المقدم عليها ، وأقام بحماة إلى أن عُزل عنها بالأمير سيف الدين طان[٥] يرق في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وعاد أسندمر إلى مصر على عادته مقيماً إلى أن خُلع السلطان الملك الصالح صالح في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب ، وعزل طان يرق من حماة ، ورُسم لأسندمر العمري بنيابة حماة ، فعاد إليها

(١) (أ) : « طشتمر » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .
(٢) (أ) : « آخر الدولة » .
(٣) (أ) : « ثمان » .
(٤) (أ) : « ثانياً » .
(٥) (أ) : « طاز » . وفي المنهل : « طان يرق » . وانظر تعليق المحقق ثمة .

ثـالث مرّة نـائبـاً ، فحضر إليهـا في العشر الأول من ذي الحجـة سنـة خمس وخمسين وسبع مئة ، وصحبه الأمير سيف الدين طيبغا الماجاري ليقرّه في النيابة بحماة ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن رسم بعزله ، وتولى النيابة الأمير ركن الدين عمرشـاه فوصل العمري إلى دمشق بكرة الأحد سـابع عشري جمـادى الأولى سنـة تسع وخمسين وسبع مئـة ، فوجـد طُلْبَ الأمير ركن الدين عمرشاه خارجـاً من دمشق أميراً إلى أن أمسـك هو والإسماعيلي وابن صُبح ، وجُهِّز إلى الإسكندرية سنـة[1] ستين وسبع مئـة ، فـأقـام بـالحبس إلى أن توفي به في التاريخ .

٢٨٢ ـ أسندمر*

الأمير سيف الدين العمري .

كان أمير خمسين فارساً بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في خـامس عشر ذي الحجـة سنـة أربع وثلاثين وسبع مئـة . ورثه ابنته وبيت المال ، وكان نصيب بيت المال من تركته خمسة وعشرين ألف دينار .

الألقاب والأنساب

☆ **الإسنائي :**

☆ القاضي نور الدين إبراهيم بن هبة الله .

☆ وضياء الدين أحمد بن عبد القوي .

☆ وفخر الدين إسماعيل بن عبد القوي .

☆ وعز الدين إسماعيل بن هبة الله .

---

(١) (أ) : « في أوائل » .

* الوافي : ٢٤٩/٩ ، والدرر : ٣٨٧/١ .

☆ وعبد الرحيم بن علي .

☆ وتقي الدين عبد الملك بن الأعَز .

☆ نور الدين ابن الشهاب الإسنائي علي بن هبة الله .

☆ **الأصفوني :**

☆ علاء الدين علي بن أحمد .

٢٨٣ ـ أصلم*

الأمير بهاء الدين السلاح دار .

كان من جملة المشايخ مقدمي[1] الألوف في أواخر الدولة الناصرية وإلى أواخر[2] دولة الصالح إسماعيل .

كان قد جُرِّد إلى اليمن ، فلما توجَّه وعاد ونُقِلَ عنه كلامٌ إلى السلطان ، فاعتقله ، وبقي في الحبس مدّة تقارب الخمس سنين ، ثم أخرجه وأعاده إلى منزلته .

ثم إنه في آخر أيام الناصر جهَّزه إلى صفد نائباً . وتوفي الملك الناصر وهو بها نائب . ثم إنَّ الأمير قوصون جرَّده مع أَلْطُنْبُغا نائب الشام إلى حلب لإمساك طَشْتَمُر ، فلما كان في أثناء الطريق رُدَّ من قارا[3] ، وانضمَّ إلى الفخري ، وأقام عنده على خان لاجين ، وتوجَّه معه صحبة عسكر الشام إلى مصر ، فرَسَم له الناصر أحمد بالإقامة في مصر على عادته أمير مئة مقدَّم ألف ، وعَمَّر في البرقِيّة عند إصْطَبْله مدرسة مليحة إلى الغاية ، وتربة وربعاً وحوضاً للسبيل .

* الوافي : ٢٨٥/٩ ، والدرر : ٣٨٩/١ ، والسلوك : ٧١٩/٣/٢ ، والخطط : ٣٠٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٥٥/٢ .

(١) (خ) : « ومقدّمي » .

(٢) (أ) ، (ق) ، (خ) : « آخر » .

(٣) مدينة في منتصف الطريق بين حمص ودمشق ، إلى الشمال من النبك .

وكان من الأشكال الحسنة ، قد ألقى إلى سلامة الصدر رَسَنه ، ذا شيبة تقية ، وهمَّة فيها من الشبيبة بقية ، بوجه مشرّب الْحُمْرَة ، كأنما أريق عليها كأس خمرة .

ولم يزل على حاله إلى أن لبس أكفانه ، وغمَّض الموت أجفانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست[1] وأربعين وسبع مئة .

٢٨٤ ـ أصلم*

الأمير بهاء الدين بن دمرتاش .

كان من أمراء دمشق ، يسكن العُقَيبة .

توفي رحمه الله تعالى في رابع ذي القعدة سنة سبع وسبع مئة . وحضر جنازته نائب الشام ، ودفن بالصالحية .

٢٨٥ ـ أصيل الدين**

الصدر الكبير ابن الشيخ الإمام نصير الدين محمد بن محمد الطُّوسيّ .

كان ناظر الأوقاف ، ومنجِّماً عند ملوك التَّتار ، وله جامكية كبيرة . وحُرْمَة[2] وافرة .

توفي رحمه الله تعالى في صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة ببغداد ، ودفن عند والده بمشهد موسى الجواد رضي الله عنه .

---

(١) في المنهل بعد هذا : « وقيل في يوم السبت عاشر شعبان سنة سبع وأربعين .. » .

* الدرر : ٣٨٩/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيه : « أصلم بن مرداش » .

** الدرر : ٣٩٠/١ .

(٢) في الأصل : « وحرفة » ، تصحيف .

٢٨٦ ـ آصوج*

الأمير سيف الدين الواقدي .

أحد أمراء الخمسين بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى فجاءة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

الأنساب والألقاب

☆ **ابن بنت الأعز** : القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب .

☆ **الأعسر** : الأمير شمس الدين سُنقر .

٢٨٧ ـ أغُرلو**

الأمير شجاع الدين ملك الأمراء .

عمل نيابة دمشق لأستاذه السلطان الملك العادل كَتْبُغا ، تولاّها عوضاً عن الحموي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين وست مئة . ولَمّا خُلع[1] من المُلك بقي أغرلو بدمشق أميراً كبيراً .

وكان فارساً بطلاً شجاعاً ، أبلى في الحروب تقدُّماً ودفاعاً ، له في الوقائع صَوْلات ، وحملات وجولات . وكانت الدول تعظِّمه لشجاعته المذكورة وفروسيته المشهورة .

---

* لم نقف على ترجمته .

** الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٢/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه : « أغزلو » ، بالزاي ، وذيول العبر : ١٠٧ ، وفيه : « غرلو » .

(١) (أ) : « خلِع أستاذه » .

ولم يزل على حاله إلى أن اختطفته عُقابُ الموت الكاسر ، ونزل[١] النساء ينـدبنـه حواسر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربته المليحة شمالي الجامع المظفري بجبل الصالحية .

٢٨٨ ـ أُغُرْلُو*

الأمير شجاع الدين السيفي .

كان مملوكَ الأمير سيف الدين بهادُر الْمُعِزّي[٢] ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الباء ، ولما حُبس أستاذُه أخَذَهُ الأمير سيف الدين بَكْتُمر الساقي ، وجعله أمير آخور . ولم يزل عنده إلى أن توفي بكتمر رحمه الله تعالى ، فانتقل إلى عند الأمير سيف الدين بَشْتاك على الوظيفة المذكورة . ثم إنه بعد بشتاك تولى ناحية أُشموم ، وسفك بها[٣] ، ثم إنه جُهِّز نائباً إلى قلعة الشَّوْبَك ، ثم نُقِلَ منها ، وعمل ولاية القاهرة مدةً في أيام الصالح إسماعيل ، ثم إنَّه ولاَّه شدَّ الدواوين ، وتظاهر بعفَّةٍ زائدة ، وأمانة عظمى .

ولَمّا توفي الملك الصالح رحمه الله تعالى كان له في ولاية أخيه الكامل شعبان عنايةٌ تامّة ، فقدَّمه ، وحظيَ عنده ، وفتح له باب الأخذ[٤] على الإقطاعات والوظائف ، وعَمل لذلك ديواناً قائم الذات وسُمِّي[٥] ديوان البذل ، ولَمّا تولّى الصاحب[٦]

---

(١) (أ) ، (ق) : « وترك » .

* الوافي : ٢٩٤/٩ ، والدرر : ٣٩٠/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦٢/٢ ، وفيه : « أغزلو » .

(٢) في الأصل : « المعروف » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي ، والمنهل .

(٣) (أ) ، (خ) ، (ق) : « بها الدماء » .

(٤) في الأصل : « الأحد » تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٥) (أ) ، (خ) : « وسمّاه » .

(٦) (أ) : « الصالح » .

تقي الدين بن مَراجل[١] شاجَحَه في الجلوس والعلامة والتقدم ، ودخلا إلى السلطان الملك الكامل ، فترجح الصاحب تقي الدين ، وعُزِل أغرلو .

ولَمّا كان في واقعة الملك المظفر حاجي كان أغرلو ممن قام في أمره ، وضَرب الأمير سيف الدين أرغون العلائي في وجهه وسكَن[٢] أمره بعد ذلك وخمد . ثم إنه حضر في أيام المظفر حاجي صحبة الأمير سيف الدين مَنْكلي بُغا الفخري ليوصله إلى طرابلس نائباً ، وعاد إلى مصر ، وأمرُهُ ساكن إلى أن قام في واقعة الأمراء سيف الدين مَلَكْتُمر الحجازي ، وشمس الدين أقْسُنْقُر ، وسيف الدين قَرابغا ، وسيف الدين بُزلار[٣] ، وسيف الدين صمغار[٤] ، وسيف الدين إتْمش[٥] ، فكان هو الذي تولّى كِبره ، وأمسك جماعة من أولاد الأمراء ، فعظم شانه ، وعلا مكانه ، وتفخَّم أمرُه ، وأسمعَ زَمْرُه ، وخافه أمراء مصر والشام ، ونام في سَكرةِ باطله وغروره وعينُ الدهر ما تنام . وأقام على ذلك مدة أربعين يوماً ، وأمره يزداد في التعاظم والجبروت سَوْماً[٦] ؛ إلى أن أُتي من مأمنه ، وثار[٧] إليه الحين من معدنه .

وقيل : إنَّ الحرافيش أخرجوه من قبره ، وأقاموه في زيّ عظمته وكبره ، وجعلوا يشاورونه كما كان يفعل ، ويترددون بينه وبين السلطان ، وقد أُضرم غَيْظُه على الأمراء وأشعل ، ويمسكون الأمراء كما كان يمسكهم ويقيدهم ، ويميل لهم إلى مصارعهم ويحيّدهم . ونوّعوا به النكال والمُثلة ، ونصبوه بعد ذلك على أَثْلَة ، فغضب السلطان

---

(١) علي بن عبد الرحيم ، وستأتي ترجمته .
(٢) طمست في الأصل .
(٣) ستأتي ترجمته .
(٤) ابن سنقر (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر: ٢٠٨/٢ ، وفيه : صمعان ، تحريف .
(٥) ويقال أيضاً : أيتمش ، ويتمش ، وستأتي ترجمته .
(٦) (أ) ، (خ) : « شوما » .
(٧) في الأصل : « ونار » ، تصحيف .

لذلك ، وأمر الأوشاقية[1] فنالوا من الحرافيش منالاً عظيماً ، وأذاقوهم من القتل والقطع والضرب عذاباً أليماً ، أخذاً بذلك تِرات تِراتِه ، وكان مشؤوماً في حياته ومماته .

وقيل : إنَّ السبب في قتله حضور رأس يَلْبُغا إلى القاهرة ، فإن الخواص من المماليك السلطانية دخلوا إلى السلطان وقالوا : لابدَّ من قتله ، وجاء الخبر إلى الشام بقتله في مستهلِّ شهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحَسب الناسُ من قتله من الأمراء في مدة أربعين يوماً ، فكان ذلك أحداً وثلاثين أميراً ، وكان في أيامه يخرج من القصر ، ويقعد على باب خزانة الخاص ، ويتحدث في الدولة وفي الخزانة والإطلاق والإنعام ، ويجلس والموقعون عنده ، ويكتبون عنه إلى الولاة ، ولكنه مات هذه الميتة[2] القبيحة ، وفُعلت به هذه الأُحدوثة الفضيحة .

فقلت أنا مستطرداً :

وعاذل قال : عُمْري أسعى لعلك تَسْلُو
أموت منك بغَبْني فقلتُ مَوْتَ أغْزُلُو

٢٨٩ ـ أُغْلُبك*

الأمير سيف الدين بن رُمْتاش ـ بضم الراء وسكون الميم ، وبعدها تاء ثالثة الحروف وألف بعدها شين معجمة ـ الرومي .

كان أولاً مقيماً بصفد على إمرة عشرة ، فوقع منه كلام في حقِّ نائب صفد الأمير شمس الدين سنقرشاه المنصوري ، فضربه قدَّامه واعتقله ، ثم أفرج عنه ، ونقل إلى دمشق .

---

(١) هم الخيّالة .

(٢) في الأصل : « المنية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

* الدرر : ١/٣٩١ .

ولَمّا توجّه السلطان إلى مصر سنة تسع وسبع مئة بالعساكر الشامية ، كان هو من جملة الأمراء السلاح داريّة .

ولم يزل بدمشق على حاله في الأمرة إلى أن جاء أُغُلبك[1] الأمر الذي لا يغالب ، والغريم الذي لا يطالع ولا يطالَب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان لطيف النفس ، شديد الأنس ، تفعل الجفون المريضة فيه ما لا تفعله السيوف الماضية ، وتسكره الريقة الرايقة بخلاف سُكر بنت العنقود الصافية ، ويلعب بالقُبق[2] ويجيد ضرب وتره ، ويتبع أرباب الملاهي ، فما منهم[3] إلاّ مَنْ يعود تابع أثره ، إلاّ أنه كان بطلاً مقداماً ، لا تزلزل له الحروب أقداماً ، صياداً لا يخرج الصيد عن أوامر سهامه ، ولا يفوته من يمينه أو شماله ، أو من خلفه أو من أمامه ، مع الرشاقة الحلوة ، والخفة على ظهر مراكيبه التي هي من العيوب خِلْوَة ، وهو أخو صلاح الدين خليل بن رَمْتاش .

٢٩٠ ـ أُغُلْبُك*

الأمير زين الدين العادلي مملوك العادل كتبغا .

كان من جملة أمراء دمشق المشهورين ، وأعيانهم المذكورين ، وكان ينظر في أوقافّ العادل ، ويجالد عنها ويناظر ويجادل ، فنقل إلى طرابلس أميراً ، وفارق دمشق حسيراً ، فمرض هناك ، ووقع من العلة في شراك[4] واشتراك ، فحضر إلى دمشق ليتداوى ، فما أقام بها ولا آوى .

---

(١) في الأصل « بغلبك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) من ألعاب الرماية ، وهو لفظ تركي .

(٣) (أ) ، (ق) : « فيهم » .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) (أ) : « شَرَك » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان قد ولي البرّ بدمشق في المحرم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة عوضاً عن طرنطاي الحموي .

٢٩١ ـ أفريدون بن محمّد بن محمّد بن علي*

التاجر الأصبهاني .

ورد إلى دمشق ، وأعجبه المقام بها ، وشرع في عمارة المدرسة المليحة الظريفة التي برّا باب الجابية بدمشق[1] سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وأنفق على عمارتها خارجاً عن وقفها مبلغاً يقارب المئة ألف درهم أو يزيد ، ولم [يزل][2] يجتهد في عمارتها إلى أن جاءه الأمر الذي لا يُرَد ، والخطبُ الذي لا يُصدّ ، وما أغنى عنه ماله ، ولا نفعه إلا أعماله .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

الألقاب والأنساب

☆ **الأفرم :** نائب دمشق ، اسمه آقوش .

☆ **الأفضل :** صاحب حماة محمد بن إسماعيل .

---

* الوافي : ٢٩٧/٩ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٧٣/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، والدرر : ٣٩١/١ ، والذيل التام : ١٠٥ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .

(١) الدارس : ١٧٥/٢ ، وما زالت إلى يومنا هذا .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (خ) .

٢٩٢ ـ آقبُغا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف بآقْبُغا عبد الواحد .

تنقلتْ به الأحوال من الجمدارية إلى أن صار أمير مئة مقدّم ألف ، أستاذدار السلطان ، مشد العمائر ، مقدّم المماليك ، أمير منزل خمس وظائف . وتأمَّر ولداه[1] ناصر الدين محمّد وشهاب الدين أحمد ، وكان أخا الخوندة طَغاي ، امرأة أستاذه الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى من حرف الطاء في مكانه .

كان في أيام أستاذه في غاية التمكن والقدرة[2] والتسلط والبأس والجبروت ، لوذكر اسمه للماء جَمَد ، أو مرَّ ذكره على الجمر خَمَد ، ليس لأحد عنده مكانة ، ولا يجد له خضوعاً ولا استكانة .

ولما توفي الملك الناصر ، وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر صادره وسلَّمه إلى الأمير علاء الدين طَيْبُغا المجدي ، وأخذَ منه كلَّ ما يملكه ، وأمر بردِّ كلِّ ما اغتصبه ، وأخذه باليد العَاديَة على الناس ، ولم يبقَ له تصرُّفٌ في ماله ، إلى أن طلَبَ مئة درهم فأعطاه إياها الأمير علاء الدين طيبغا المجدي .

ولما تولّى الملك الأشرف كُجُك أخرجه الأمير سيف الدين قوصون إلى دمشق ، فأقام بها قليلاً ، وتوجَّه[3] مع الفخري إلى مصر ، فرسم له الناصر أحمد بنيابة حمص ، فحضر إليها ، وأقام بها إلى جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ورسم بإحضاره إلى دمشق ، فأتى إليها ، وأقام بها من جملة أمراء المقدمين ، فلما كان في شوّال من السنة المذكورة حضر مرسوم الملك الصالح إسماعيل بإمساكه فأمسك

---

* الوافي : ٣٠٤/٩ ، والدرر : ٣٩١/١ ، وبدائع الزهور : ٥٠٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٠/٢ .

(١) في الأصل : « والداه » تحريف ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٢) مطموسة في الأصل .

(٣) (أ) : « إلى أن توجَّه » .

هو والأمراء الذين اتُّهموا بالميل مع الناصر أحمد وأودع معتقلاً[(١)] بقلعة دمشق ، ثم إنه طُلب بعد قليل إلى مصر ، فتوجَّه به الأمير بدر الدين بَكْتَاش المنكورسي[(٢)] ، وكان ذلك آخر العهد به[(٣)] .

٢٩٣ ـ آقْبُغا*

الأمير سيف الدين الْحَسَني الناصري .

كان رفيعَ المنزلة والمكانة ، مؤثَّل المرتبة من خاطر أستاذه ، ثابت الركانة ؛ إلاّ أنه زاد في دلاله ، وأفرط في اعتدائه ، قوامه بالغ في اعتداله ، فما أفاده سحر أجفانه ، ولا نفعه تبسم ثغره عن أقحوانه ، وهوّن السلطان على قلبه أمْرَه ، وأخرجه إلى دمشق ؛ ولكنْ على إمْرَة ، فأقام بها على غير استقامة ، وأصرَّ على غيّه[(٤)] ، ولم يقبل نصحاً ، ولم يُصْغِ إلى ملامَه ، ولازم الشراب وعاقره ، ونسي أمر تنكز وعواقبه وعواقره ، فكتب إلى السلطان في معناه ، وجعل القلعة مغناه ، ولبث معتقلاً في قلعة دمشق زماناً ، ولم يجد من حادث الدهر أماناً ، ثم إنه فُكَّ صَفَدُه ، وجُهِّز إلى صَفد ، فأقام بها ، وفداءُ سعدِه[(٥)] ما وفد ، إلى أن أذوى الحِمام زهرته ، وأسكنه حفرته .

وتوفي بصفد رحمه الله تعالى .

وكان قد اعتقل بقلعة دمشق زماناً ؛ إلى أن قدم السلطان من الحجاز في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأفرج عنه في المحرم ، وجهّز إلى صفد .

---

(١) (أ) ، (خ) : « في الاعتقال » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في للنهل : « فلما حضر أرسله إلى الإسكندرية فحبس بها إلى قتل سنة أربع وأربعين وسبع مئة » .

* الدرر : ٣٩٢/١ .

(٤) (أ) : « الغيّ » .

(٥) (أ) : « وقد أسعده » .

٢٩٤ ـ أقجبا*

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان أحدَ الأمراء بدمشق . ولي شدّ الدواوين بدمشق بعد الأمير جمال الدين آقوش الرستمي ، وعيّن لتَقْدِمَة الركب الشريف في سنة تسع وسبع مئة ، ودار بـالْمَحْمَل[١] في أول الثلاثـة أشهر على العـادة ، ثم إنـه بَطّل الركب وتوجهـه بسبب مـا بلـغ النـاس من تحرّك السلطـان الملـك النـاصر من الكرك ، وكانت فيـه ديـانـة ، وعِفّـة في المبـاشرات وأمـانـة ، وحفـظ للأموال وصيـانـة ، تنقّل في النيـابـات ، وخرج سـالمـاً ممـا فيهـا من الغيابـات[٢] ، وعمل الشـد ومـا حلّ [ولم يتعرَّض إلى مـا حرَّم ولا مـا حلّ][٣] ، وعمل النيابة بغزّة ، وشرَّف نفسه عن أموال الرعايا ونزَّه ، ثم إنه أقام على إمرتـه ، ومـا أخمـد الله ضوء جمرته .

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت به أم دَفْر ، ورحل إلى الآخرة مع ذلك السَّفْر .

ووفاته رحمـه الله تعـالى في شهر ربيع الآخر سنـة عشر وسبع مئـة . ودفن بتربتـه خارج باب الجابية .

وكان قد باشر نيابة بعلبك ، ومنهـا نقل إلى الشـد بـدمشق ، وبقي مـدة ، ثم تولى نيابة غزّة مدة عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الموفقي[٤] ، ثم عزل وأقام على إمرتـه إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وكان قد ولي الشد أولاً في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

---

* الدرر : ٣٩٣/١ .

(١) المحمل : الموكب الذي يقل الحجاج .

(٢) غيابة كل شيء ماسترك منه ، ومنه غيابات الجبّ .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) ستأتي ترجمته .

٢٩٥ ـ أقجبا*

الأمير فخر الدين الظاهري .

حجَّ بالركب الشامي في سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان من أمراء دمشق الأعيان ، وممن قَدُمَتْ هجرتهم في خدمة السلطان ، ثابت[١] العدالة على الحكام ، ملازم الصلاة في الجامع على مرِّ الليالي والأيام ، شرب كؤوس الصِّبا ؛ فحدّه الدهر ثمانين ، وتشعَّب به سَعْدُ الإمرة في أفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الظاهري في باطن الأرض ، وأقام فيها إلى يوم العرض[٢] ، وحضر جنازته ملك الأمراء وجماعة من الأمراء ، ودفن بسفح قاسيون قبالة زاوية ابن قوام[٣] ، ووفاته تاسع عشري ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٢٩٦ ـ أقجبا**

الأمير فخر الدين الحموي .

نقل من حماة إلى القاهرة ، وأُعْطي شدَّ الشراب خاناه بالقاهرة في أيام الملك الصالح إسماعيل ، وعَلَت عنده رُتْبَتُه ، وغَلَت من قلبه محبته ، وسَمَت مكانته وتأثَّلت ، ووقفت السعود في خدمته وتمثَّلت ، ولم يكن في دولة الصالح[٤] له نظير غير الوزير[٥] ، ولا ضاهاه أحدٌ في حسن السياسة والتدبير .

---

* الدرر : ٣٩٣/١ .

(١) (أ) : « نائب » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « باطن العرض » ، وهو سهو .

(٣) تعرف بالزاوية القوامية البالسية غربي جبل قاسيون على حافة نهر زيد ، أنشأها أبو بكر بن قوام البالسي (ت ٦٥٨ هـ) . الدارس : ١٦٢/٢ .

** الوافي : ٣٠٥/٩ ، والدرر : ٣٩٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٣/٢ .

(٤) (أ) ، (خ) : « عند الصالح » .

(٥) يعني الوزير محمود بن شروين ، كما في الوافي .

وكان يقضي غالب الليل عند السلطان ، وإذا قَرّر عنده أمراً[(١)] لا تسمعه آذان الحيطان ، يساهره ويسامره ، ويأخذ بمجامع[(٢)] قلبه بودٍّ يخامرُه . ثم إنه أُخرجَ من مصر بعد الصالح ، وعاد إليها كرّاتٍ عَوْدَ الطليح ، بل الطّالح .

ثم إنه وَلِي الحجبة آخراً في أيام الملك الناصر حَسَنْ ، واختص بالأمير شيخو فانقاد له بالرَّسَن .

ولم يزل على حاله إلى أن أدناه الجديدان إلى البلى[(٣)] ، وولّى سعدُه مدبراً بعد أن كان مُقْبِلاً .

وتوفِّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

وكان الأمير فخر الدين متَّصفاً بالمروءة في حقِّ مَنْ يصحبُه ، كثيرَ الوُدّ ، نفع جماعةً بصحبته .

ولما توفي الملك الصالح إسماعيل أخرجه الملك المظفر إلى حماة ، وبقي فيها إلى أن أُمسِك يلبغا وأبوه طابطا ، وجُهّزا إلى مصر من حماة ، فتوجَّه الأمير فخر الدين بهما ، ولما وصلوا إلى قاقون[(٤)] أتاهم الأمير سيف الدين منجك ، وجَرَى ما يأتي ذكره في ترجمة يلبُغا ، ثم إنّ فخر الدين توجَّه إلى مصر فرسم له المظفر بالإقامة في القاهرة ، فأقام ، وكان قد خَدَم يلبغا في الطريق ، ولاطفه وصبَّره وسلاّه وثبَّته ، ولم يزل مقيماً بالقاهرة إلى أن تولّى[(٥)] الملك الصالح صالح ، فأخرجه إلى حماة ، فأقام بها ، ولما عاد الأمير شيخو وطاز من حلب في واقعة بيبغاروس عاد معهما ، ودخل الديار المصرية ، وأقام

(١) (أ) ، (ق) : « أمرٌ » .

(٢) (خ) : « مجامع » .

(٣) في الأصل : « أبلاه الجديدين بالبلى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٤) هو حصن بفلسطين قرب الرملة . معجم البلدان : ٢٩٩/٤ .

(٥) (أ) : « توفي » ، ولا وجه لها .

بها ، واختص بالأمير سيف الدين شيخو ، وولاه الحجبة بالقاهرة ، ولمّا جُرِح[١] شيخو انتصب الأمير فخر الدين لخدمته ، وكان يباشر عمل المصلومَة[٢] له بنفسه ، وقيل : إنه ربما أفطر في شهر رمضان لذلك[٣] .

٢٩٧ - أقسنقر*

الأمير شمس الدين السلاّري .

سَيَّرهُ السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد نائباً ، فحضر إليها ، ورأى أهلُها منه من العفة والعدلِ ما لا رَأوه من غيره ، ثم نقله إلى نيابة غزة ، فتوجه إليها .

ومات السلطان ، وتولّى الملك المنصور أبو بكر ، وخُلِعَ ، وتولّى الأشرف كُجُك ، وجاء الفخري لحصار الكرك ، فقام الأمير شمس الدين بنصرة أحمد في الباطن كثيراً ، وتوجَّه الفخري إلى دمشق لَمّا توجَّه أَلْطُنْبُغا إلى حلب ، ليطرد طَشْتمر نائب حلب ، فاجتمع به ، وقَوَّى عَزْمَه ، وقال له : توجَّه أنت[٤] إلى دمشق واملكها ، وأنا أحفظ لك غزة . وقام في هذه الواقعة قياماً عظيماً ، وأمسك الدروب ، فما جاء أحد من دمشق ولا من مصر بريدياً كان أو غير ذلك إلاّ وحمله إلى الكرك ، وحلَّفَ الناسَ للناصر أحمد ، وقام ببيعته باطناً وظاهراً ، ثم جاء إلى الفخري وهو على خان لاجين ، وقوّى عزمه وعضده . ولم يزل عنده[٥] بدمشق إلى أن جاء أَلْطَنبغا من حلب ، والتقوا ، وهرب ألطنبغا ، فاتّبعه[٦] الأمير شمس الدين إلى غزّة ، وأقام بها ، ودخلت العساكر الشامية إلى مصر .

(١) في الأصل و (أ) : « خرج » تصحيف .

(٢) هو إنضاج اللحم ونحوه .

(٣) (أ) : « كذلك » .

* الوافي : ٣١٣/٩ ، والدرر : ٣٩٤/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٩/٢ .

(٤) خلت منها (أ) .

(٥) (أ) ، (ق) ، (خ) : « مقيماً عنده » .

(٦) في الوافي : « فتبعه » .

ولما أمْسَكَ الناصر أحمد طشتمر النائب وتوجه بـه[1] إلى الكرك أعْطى نيـابـة مصر للأمير شمس الدين آقسنقر ، وبقي نائبـاً وأحمـد في الكرك إلى أن تملـك الملـك الصـالح إسماعيل ، فأقره عليها ، فسار فيها سيرة مشكورة ، وأقام فيها مـدة أحـاديثهـا إلى الآن مذكورة ، لا يمنع أحداً شيئاً يطلبه كائناً من كان ، ولا يردُّ سائلاً يسألـه ، ولو لم يكن ذاك في الإمكان ، وارتزق الناس في أيامه ، وغرق الضعفاء في بحر أنعـامـه ، وتقـدم من كان مؤخراً ، وجرى رخاءُ الرخاءِ بأمره مسخَّراً ، حتى كان الناس يطلبون منه ما لا لهم به حاجة ، ولا لهم به ضرورة ، وهو يقضي ما قابل جوده أو واجه .

ثم إنَّ السلطان الملك الصالح إسماعيل أمسكـه ، وأمسـك الأمير سيف الـدين بَيْغرا أمير جاندار[1] والأمير سيف الدين أولاجا الحاجب الآتي ذكرهمـا في موضعيـه ، والأمير زين الدين قراجا الحاجب ، لأنهم نُسبوا إلى الممالأة والمداجاة مع النـاصر أحمـد ، وذلـك في سنـة أربع وأربعين وسبع مئـة ، وكان ذلـك آخر العهـد بـأمره ، والله تعـالى يتولّى البـاطن من سرِّه ، وأُخرج فيما بعـد عن بيغرا وأولاجـا وقراجـا في شهر رمضـان سنـة خمس وأربعين وسبع مئة .

٢٩٨ ـ أقسنقر*

الأمير شمس الدين الناصري .

كان في حياة أستاذه أميرَشكار[3] وزوّجه ابنته ، وجعله أمير مئة مقدَّم ألف . ولـما جاء الناصر أحمد من الكرك جعله أمير آخور ، فلم يرضَ فأخرجه إلى غزّة نائباً ، وأقـام

---

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « خازندار » سهو ، وأثبتنا مـا في النسخ الأخرى ، والوافي ، وفي المنهل : « أميرجنـدار » . وقد تكررت عبارة : « وأمسك الأمير ... » في الأصل .

* الوافي : ٣١١/٩ ، والـدرر : ٣٩٤/١ ، وخطـط المقريزي : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصـافي : ٤٩٦/٢ . ووقع في الأصل : « أقسنقا » .

(٣) هو المشرف على طيور الصيد .

بها إلى أن أمسك الفخريّ ، وتسلطن الملك الصالح إسماعيل فطلبه من غزّة ، وجعله أمير آخور ، وعظمت مكانتُه عنده ، وجهّزه مقدّم العساكر المصرية والشامية لمحاصرة الكرك ، ثم أُبْطِلَ ذلك ، وخرج عوضه في التقدمة الأمير سيف الدين بَيْغرا .

ثم إنه جُهِّز إلى الكرك فأبلى بلاءً حسناً ، وأنكى في ذلك ، وجُرح جراحة مؤلمة ، وعاد إلى مصر ، وأراد التوجه إلى الحجاز بأهله ، فمنع من ذلك ؛ لأن والدة الملك الأشرف كجك[1] عنده زوجة ، فخيف منه ، وأُخرج إلى طرابلس نائباً ، فورد إلى دمشق على البريد ، وعمل النيابة بطرابلس جيداً ، وظهرت عنه مهابة وبطش وقمع للمفسدين ، وعفَّ عن أموال الرعايا ، وأقام نائباً من أوائل شوال سنة أربع وأربعين وسبع مئة إلى بعض شهر ربيع الآخر ، سنة ست وأربعين وسبع مئة ، في أول سلطنة الكامل شعبان ، فطلبه إلى مصر ، وتوجَّه إليها ، وعَظُم أمره وأمر الحجازي إلى الغاية ، فيقال : إنهما أحسّا في الباطن بالغدر من الكامل ، فجهّزا في السرِّ إلى الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، وقالا له : برّز أنت إلى ظاهر دمشق ، فإننا قد عزمنا على أمر . وكان يلبغا إذ ذاك نائب دمشق ، فبَرَّز إلى ظاهر دمشق - على ما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - وراحت الأخبار إلى الكامل بخروج يلبغا واتفاق[2] نواب الشام معه ، فلم يرَ الكامل بُدّاً من تجهيز عسكر إليه ، فجرَّد جملة من عسكر مصر ، وقَدَّم عليها أحد الأميرين ، إمّا الحجازي أو آقسنقر ، فخرجا من القاهرة ، وعادا من بعض الطريق ، واجتمع الناس عليهما في قبّة النصر ، وخرج الكامل[3] ، فَجُرِح[4] الأمير سيف الدين أرغون العلائي ، وانهزم السلطان ، ودخل القلعة ، وطلع الأميران المذكوران إلى القلعة ، وأخذا أمير حاج ، وأجلساه على كرسي المُلْك وحَلَفا له وحَلَّفا له العساكر ، ولقَّباه المظفر ، وزادت عظمة الحجازي وآقسنقر في أيام المظفر .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « وخروج » . وفي الوافي : « وجَمْع » .

(٣) في الأصل : « الكاملي » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، والوافي .

(٤) في الأصل و (خ) : « مخرج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ، وهي أشبه .

فلما كان في يوم الأحد تاسع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة جاء إلى السلطان من كان معهما في الباطن ، وقال[1] : إنهم قد أجمعوا على الركوب غداً إلى قبة النصر ، وأن يفعلوا بك ما فعلوه بأخيك ، فأحضرهم العصر إلى القصر ، وأمسكهم ، وهم الأمير شمس الدين آقسنقر ، والأمير سيف الدين مَلَكْتَمُر الحجازي ، والأمير سيف الدين قرابغا الساقي صهر اليحيوي ، والأمير سيف الدين إتمش ، والأمير سيف الدين صمغار ، والأمير سيف الدين بزلار ، فأمّا الحجازي وآقسنقر فإنهما قتلا في الوقت الحاضر بالقصر ، والبقية جُهِّزوا إلى الإسكندرية ، وقيل : إن السلطان ضرب قرابغا على كتفه بالنِّمْجا[2] ، ثم إنه أمسك الأمير سيف الدين طقبغا العمري ، وأولاد الأمير علاء الدين أيدغمش وابن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وذلك كلّه بتدبير الأمير شجاع الدين أُغُرْلُو .

وكان الأمير شمس الدين المذكور رحمه الله تعالى شكلاً مليحاً ، ووجهاً مع صباه صبيحاً . طويلاً[3] فيه هيف ، لو رآه الحمام لسجع عليه وغرد وهتف ، يكرم من يودّه ، ويُسلفه الإحسان ولا يستردّه ، نفسُه نفس الملوك في العطاء ، وجوده لأصحابه بارز الشخص ما عليه غطاء .

وكان يكتب خطاً قوياً ، متمكن الحروف سويّاً[4] ، وكان إذا كتب لمن يكرمه ويصل حبل وداده ولا يصرمه ، كتب : المملوك أقسنقر سلام عليك .

٢٩٩ ـ أقطاي*

الأمير سيف الدين الجمدار .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وقال له » .
(٢) (أ) : « النمشا » ، وكلاهما صواب ، وهو خنجر مقوّس يشبه السيف القصير ، فارسي معرَّب .
(٣) في الأصل : « طويل » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (خ) ، (ق) ، وهي أحسن .
(٤) (أ) : « سميا » ، ولا وجه لها .
* الدرر : ١/٣٩٤ .

كان يسكن قبالة المدرسة التقويّة داخل باب الفراديس[(١)] ، ثم إنه انتقل بعد ذلك إلى العقيبة[(٢)] ، وكان أمير سبعين فارساً . وكان الأمير سيف الدين تنكز يعظّمه . وهو والد الأمير سيف الدين سَلامش .

وكانت بينه وبين الشيخ[(٣)] علاء الدين بن غانم صحبة ومودّة .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٠٠ ـ أقطاي*

الأمير سيف الدين العمري .

كان من جملة أمراء الطبلخانات بحلب .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ورسم بإمرته للأمير شرف الدين موسى بن الأمير ناصر الدين محمد بن شُهري[(٤)] .

٣٠١ ـ أقْطُوَان**

الأمير علاء الدين[(٥)] الكمالي الحاجب بصفد .

حضر إليها أول أمره مُشِدّ الدواوين ، ووالي الولاة لما كان الجوكندار نائبها ، ثم

(١) أنشأها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه أيوب سنة (٥٧٤ هـ) . الدارس : ١٦٢/١ .

(٢) في الأصل : « العقبة » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) . والعقيبة حي وسط دمشق اليوم .

(٣) في الأصل : « الأمير » ، وهو سهو .

* لم نقف على ترجمة له .

(٤) (ت ٧٨٠ هـ) ، الدرر : ٣٨٠/٤ .

** الوافي : ٣٢٠/٩ ، والدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٥٠٥/٢ .

(٥) في المنهل : « علم الدين » .

إنه أعطي طبلخاناه ، وأقام على ذلك مدة ، ثم رُسِم له بالحجوبية[١] ، وبقي فيها مدّة طويلة ، ثم إنه نقل إلى نيابة القلعة بصفد ، وأقام بها مدة ، ثم أعيد إلى الحجوبية[٢] .

وكان أميراً ذا بَرْكٍ وعُدّة ، يركب وينزل من مماليكه في عدّة ، زائد التجمل في السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وهو رجل طُوال ، لا يُرَدّ عنده من أحد سؤال ، ذو طلعة بهيّة ، وشيبة سنيّة ، عرف الناسَ وأحبُّوه ، ولبَّوه إلى ما يريده وأجابوه . وهو والد الأمير سيف الدين قُرْمشي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف القاف مكانه .

ولم يزل بصفد على حاله إلى أن خرّب الموت ربع حياته ، وقرّر عنده أمر نزله[٣] وبَياته[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكتبت أنا إلى ولده الأمير سيف الدين قرمشي أعزِّيه :

تعزَّ يا مولاي في الذاهبِ ... وارضَ بأمر الطالب الغالبِ
واصبِرْ تَنَلْ أجرَكَ في فَقْدِه ... فليسَ مَنْ يصبرُ بالخائبِ
قد ركبَ الأعناقَ لَمّا مَضى ... لرَبِّه أفديهِ من راكبِ
وباتَ مندوباً لأنَّ العُلا ... أمسَتْ بقَلْبٍ بَعْدَه واجبِ
وفازَ لَمّا حازَ طيبَ الثَّنا ... والذِّكرِ في الحاضِرِ والغائبِ
بكاهُ حتّى مستهلُّ الحيا ... بدمعِهِ المنحدِرِ السَّاكبِ
لم تُرْمَ دونَ النّاسِ من فَقْدِهِ ... فيهِ بسهمٍ للرَّدى صائبِ

(١) في المنهل : « وولي نيابة قلعة صفد ، والحجوبية الكبرى بها » .
(٢) (أ) : « الحجبة » .
(٣) (أ) : « نزوله » .
(٤) في الأصل : « ونبّاته » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

بـــــــلِ الـــــــورَى عمَّهُم رُزْؤه   وكم فـــــؤادٍ بعـــــــدَهُ ذائبِ
ومـــا تَرى في النّـــاس غير امرئ   وعينُــــهُ تبكي على الحـــاجبِ

٣٠٢ ـ أقطوان*

الأمير علاء الدين الظاهري الساقي .

كان صالحاً يقوم الليل ، ويجاهد في المحراب وعلى ظهور الخيل ، ويلازم صلاة الجماعة ، وما لحقوق الله تعالى عنده إضاعة . وكان يحفظ أشياء في الزهد يوردها ، ويأتي بها من حفظه ويسردها .

ناب السلطنة بقلعة الجبل في أيام السعيد بن الظاهر[١] لَمّا توجَّه إلى الشام ، ثم إنه نقل إلى الشام ، وأقام به إلى أن صُرِع الساقي ، وظفر من عمله بالكنز الباقي .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعظم سنة ثمان عشرة وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين أو تجاوزها ، ودفن بالقُبَيْبات[٢] .

٣٠٣ ـ آقوش**

الأمير جمال الدين الشريفيّ .

كان والي الولاة بالصَّفقة[٣] القبليّة بالشام ، تولاّها وهي كثيرة الهرج ، مباحة الدم والفرج ، قد غلب فيها العشير على حكام الدولة ، وكادت قراها تحكي أطلال خَوْلة ، فأطلق فيها سيفه الماضي ، ورفض التغافل والتغاضي ، إلى أن هذَّب تلك الناحية ، وميَّز الفرقة الناجية .

* الدرر : ١/٣٩٤ .
(١) هو الملك السعيد محمد بن الظاهر بيبرس (ت ٦٧٧ هـ) . بدائع الزهور : ١/١/٣٤٢ .
(٢) حيّ في دمشق يطلق عليه الآن الميدان الفوقاني ، وكان قديماً من قرى دمشق .
** الوافي : ٩/٣٢٤ ، والبداية والنهاية : ١٤/١٧ ، وعقد الجمان : ٤/١٥٥ .
(٣) عبارة الوافي : « والي البلاد القبليّة بالشام » .

ولم يزل على حاله إلى أن بغتَه حِمامه ، وانقصف رمحه ، وصَدئ حسامه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

٣٠٤ ـ آقوش*

حسام الدين أبو الْحَمْد الافتخاري الشبلي .

سمع بالقاهرة من ابن رَواج ، والساوي ، وجماعة . وسمع بدمياط (الناسخ والمنسوخ) للحازمي[١] من الجلال الدمياطي . وسمع بدمشق من ابن قُمَّيْرة ، وابن مسلمة ، وسمع منه الطلبة .

وكان متميزاً في الأجناد ، موصوفاً بالسداد ، يكتب خطّاً فائقاً ، راقياً[٢] في درجة الحسن رائقاً ، له عناية بالخطوط المنسوبة وتحصيلها ، وعنده بذل للجمل في تفصيلها .

وحدَّث قديماً مع أستاذه شبل الدولة كافور[٣] خزندار قلعة دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الشبلي في شبكة الموت ، وغرق في بحر الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

٣٠٥ ـ آقوش**

الأمير جمال الدين المطروحي الحاجب بدمشق .

---

* الوافي : ٣٢٥/٩ .

(١) محمد بن موسى (ت ٥٨٤ هـ) ، واسم كتابه : (الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار) مطبوع . الأعلام : ١١٧/٧ .

(٢) في الأصل : « وافيا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٣) الصوابي الصالحي (ت ٦٨٤ هـ) . الشذرات : ٣٨٨/٥ .

** الوافي : ٣٢٥/٩ ، وعقد الجمان : ١١٣/٤ ، وشذرات الذهب : ٤٤٦/٥ .

أباعـه الكسروانيون للفرنج في واقعـة غـازان ، ثم شراه ابن سعيـد الـدَّولَـةُ منهم ، وأعطي طبلخاناه بعد الوقعة .

وكان شيخاً مليح الشيبة ، ظاهر الهيبة ، حاجباً جليلاً ، لا يراه أحـد إلاّ اتَّخـذه خليلاً[١] ، ناهضاً بالأعباء عاقلاً ، لا تجده الدولة عن مصلحتها غافلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن المطروحي على نعشه مُطرحاً[٢] ، وطحنته من المنية تلك الرحى .

وتوفي رحمـه الله تعـالى سنـة تسع وتسعين وست مئـة . بـاشر الطبلخـانـاه قليلاً ، ومات رحمه الله تعالى .

٣٠٦ - آقوش*

الأمير جمال الدين الأفرم ، نائب دمشق .

كان من مماليـك الملـك المنصور قلاوون القُـدُم الجراكسـة ، وهو من أكابر البُرْجيّـة السلاح داريـة . وكان في البرج مُغْرًى بـالنشـاب والعـلاج والصراع واللكام والثقـاف[٣] وتأمّر وهو على هذا .

ولَمّا كان في أيام أستاذه تحدَّث مع بعض الخاصكيـة أن يخرج إلى الشـام ، فعرَّضوا به للمنصور ، فقال : آقوش الأفرم يريد الرواح إلى دمشق ، لا بدَّ له من نيابة دمشق إلاّ ما هو في أيامي .

---

(١) قوله : « لا يراه ... خليلا » ، ليس في (أ) .

(٢) في الأصل : « مطروحا » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، وهي أنسب بالسجعة .

* الـوافي : ٣٢٦/٩ ، والتحفـة : ٢٠٩/٢ ، وتـالي وفيـات الأعيـان : ١٨٠ ، والـدرر : ٣٩٦/١ ، والمنهـل الصافي : ٩/٣ .

(٣) في الأصل : « النفاق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله[١] ، قال : حدثني جلال الدين محمد بن سليمان بن البيّع الموقّع عن الشهاب الرومي أن الأفرم حدَّثه أنه قال : كان يتردد إليّ وأنا بمصر فقير مغربيّ ، كان في القرافة الكبرى ، فقال لي يوماً : ياآقوش إذا صِرْتَ نائبَ الشام أيش تعطيني ؟ فقلت له : ياسيديّ ماأنا قَدْرُ هذا . فقال : لا بدَّ لك من هذا . أيش تعطيني ؟ فقلت : ياسيدي الذي تقول . فقال : تتصدق بألفي درهم عند السيدة نفيسة ، وبألف درهم عند الشافعي . فقلت : ياسيديّ بسم الله . فضحك ، وقال : ماأظنك إلاّ تنساها ، وما تعود تذكرها إلاّ إذا جئت هارباً إلى مصر . قال : فوالله لقد جَعَلْتُ كلام الْمَغْرِبيّ مُمَثَّلاً[٢] بين عينيّ حتى وُلِّيت النيابة ، فأنسانيه الله ، ثم ماذكرته حتى دخلتُ نوبةَ غازان مصرَ هارباً ، فبينما أنا أسير هارباً[٣] إذ مررت بمكان الفقير ، فذكَرْتُ قَوْلَه ، فأحضرت على الفور الدراهم ، وتصدقت بها .

وكان قد نُقِلَ الأفرم إلى الشام قبل النيابة ، وأقام بها مدة طويلة في مجالس أُنْس ولهو وطرب ، يغشى الناس ويَغْشَوْنَه . ولَمّا كانت أيام العادل كَتْبُغا ، وتقدَّم حسام الدين لاجين ، وصار نائب مصر ، اشتدَّ عضد الأفرم به ، لأنهما كانا ابني خالة[٤] ، فلما تسلطن لاجين كان الأفرم بدمشق فطلبه ، وجعله حاجباً ، وبقي بمصر مدة على ذلك ، يبيت[٥] ويصبح بقلعة الجبل . ولما كان يوم الخميس وهو اليوم الذي قُتل فيه لاجين عشيةً ، نزل الأفرمُ تلك الليلة ، وبات في القاهرة في داره ، وهي دار الشريف ابن ثعلب[٦] ، وبات بها هو والأمير شرف الدين حسين بن جندر بك[٧] .

(١) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن محيي الدين بن فضل الله ، (ت ٧٧٧ هـ) .
(٢) (أ) : « متمثِّلاً » .
(٣) (أ) ، (ق) : « أسير في القرافة » .
(٤) في الأصل : « ابنا » .
(٥) في الوافي : « يبيت عنده » .
(٦) هو حصن الدين ثعلب ، ممن ثاروا على الظاهر بيبرس أيام ملكه ، ونادى بالسلطنة لنفسه . البيان والإعراب للمقريزي ص ١٠ .
(٧) في الوافي : « حيدربك » تصحيف ، وستأتي ترجمته .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين حسين بن جندربك . قال : بينا نحن تلك الليلة وإذا بالباب يُطرق وقائل يقول : خَلّوا الأمير يكلّم السلطان ، وآخر في آخر في الحث في طلبه . فهمَّ الأفرم بفتح الباب ، فقلت له : تأنَّ على نفسك ، فخاطري قد حدّثني بأمر ، وأخشى على السلطان من أمرٍ حدث ، فانتبه لنفسه ، وقال : ما العمل ؟ قلت : تحيَّل على مَنْ يخرج إلى السوق ، ويكشف الخبر . فدلّينا مملوكاً من السطح ، فما لبث أن عاد إلينا بالخبر ، فخرجنا على حميّة ، وركبنا وطلعنا إلى خيل[1] الأفرم ، وكانت خارج البلد ، [فأخذنا الخيل][2] وانعزلنا إلى القلوبيّة ، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه واللاّجينية ، ونشر أعلامه ، ودقَّ طبلخاناته ، وبقي يتنقل حول بركة الحجّاج[3] إلى عكرشة إلى المرج إلى ما دون بُلْبَيْس وهو على غاية الحذر ، إلى أن ترددت الرسل بينه وبين أمراء القلعة ، وتأكدت الأيمان بينهم ، فهمَّ بالطلوع إلى القلعة ، ثم إنه ردَّ من الثغرة[4] ، وفلَّ أكثر من كان معه ، وكاد يؤخذ ، فأتى الله بالأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، والأمراء المجرَّدين بحلب ، فانضمَّ إليه الأفرم ، وكان معه إلى أن قتل كُرْجي وطُغْجي[5] ، وتقرر[6] الأمر على طلب السلطان الملك الناصر من الكرك بإجماع رأي سبعة من الأمراء ، كان الأفرم سادسهم ، فتَصْدُر الكتب بخطوط السبعة والأفرم السادس ، ولما حضر السلطان واستقرت دولته بعثه إلى دمشق كالحافظ لها ، فوصل إليها على البريد في ثاني عشري جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وحكم فيها بغير تقليد مدة . انتهى ، أو كما قال .

ثم إن الأفرم سعى لها سَعْيَها ، فجاء تقليده بنيابة دمشق ، وكان هو والجاشنكير متظاهرين لِما يجمعهما من البرجيّة .

(١) في الأصل : « على جبل » تصحيف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « الحاج » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « الثغر » .
(٥) وهما شقيقان . انظر : تحفة ذوي الألباب : ١٨٤/٢ ، وستأتي ترجمة ثانيهما في موضعها .
(٦) في الوافي : « وتقدّر » .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال حدّثني والدي ، قال : دخلت يوماً على الأفرم وهو في بقية حديث [يتشكى][1] فيه من افتئات سَلاّر والجاشنكير[2] وما هما فيه ، ثم التفتَ إليّ وقال : يافلان ! والله هذا بيبرس ، لَمّا كُنَّا في البرج كان يخدمني ويحكّ رجليّ في الحمام ، ويصبّ الماء عليّ ، وإذا رآني والله ما يقعد إلاّ إذا قلت له : اقعد . وأمّا سَلاّر فما هو منّا ولا له قدر ، أيش اعمل في دمشق ؟ والله لولا هذا القصر الأبلق والميدان الأخضر ، وهذا النهر المليح ما خلّيتهم يفرحون بملك بمصر .

وكان الأفرم يقول : لما توجّه الناصر إلى الكرك : والله عملوا نحساً ، كان ابن أستاذنا وهم حوله أصلح .

ولم يزل على هذا حتى تحتّم الأمر ، وخاف القتل ، وانصرف إلى الجاشنكير .

ولما كانت كَسْرة المسلمين ، وجرى من أهل كسروان ما جرى على العساكر أثَّر ذلك في قلبه ، ولما عاد واستقرت الأمور توجه إليهم بنفسه ، ونازلهم[3] ولم يحصل على طائل ، ووصلت الأراجيف بأحاديث التتار ، فعاد عنهم ، ولما قضى الله تعالى بالنصر في واقعة شقحب جعل كسروان دأبه ، وكتب إلى نائب طرابلس ونائب صفد ، وجمعوا الرجال وأحاطوا بالجبل من كل ناحية ، فأظهره الله عليهم وظفَّره الله بهم ، وكتبَ كُتُبَ البشائر بذلك ، وأحسنُ ما وقع فيها كتاب الشيخ كمال[4] الدين محمود بن الزملكاني لأنه افتتحه بقوله تعالى : ﴿ ويَسْألونَكَ عَنِ الجبالِ فَقُل يَنسِفُها رَبِّي نَسْفاً ﴾[5] .

(١) زيادة من : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « سلاّر وبيبرس » .
(٣) (أ) : « وحاصرهم » .
(٤) (أ) : « جمال » ، سهو .
(٥) سورة طه : ١٠٥/٢٠ .

ومُدح الأفرم في هذه الواقعة بعدة مدائح جمعها شمس الدين الطيّبي هي وكثيراً مما كتب في هذه الواقعة ، وسمّاها (واقعة كسروان) ، وزاد تمكن الأفرم في نيابة دمشق إلى أن كان يكتب تواقيع بوظائف كبيرة ، ويبعثها إلى مصر ؛ ليُعلِّمَ السلطان عليها .

وكتبتْ في دمشق عن السلطان بالإشارة[١] العالية الأميريّة الكافلية الجماليّة « كافل الشام أعَزَّها الله تعالى » . وشكا إليه ضوء بن صباح أحد قصّاد الخدمة أن جامكيّته نقصت فقال : مَنْ فعل ذلك ؟ فقال : ابن سعيد الدولة . وكان ابن سعيد الدولة إذ ذاك مشير الدولة وجليس السلطان ، ومكان ثقته ، ولا يُعَلِّم الملك المظفر على شيء حتى يكتبَ عليه ابن سعيد الدولة : « يحتاج إلى الخطّ الشريف » ، فكتب الأفرم إلى ابن سعيد الدولة هكذا ابتداء : « وَالك يابن سعيد الدولة ! ما أنتَ إلاّ ابنُ تعيس الدولة ، وصَلْتَ أنك تقطع جوامك القصّاد الذين هم عَيْنُ الإسلام ، ومن هذا وشبهه ، والله إن عُدْتَ تَعَرَّضْتَ إلى أحد من الشام بعثت إلى من يقطع[٢] رأسك ، ويجيء به في مِخْلاة » ، وجهّز به مملوكاً من مماليكه على البريد قصداً ، وأمره أن يعطيه الكِتاب في وسط المحفل ، ويقول له من نسبة ما في الكتاب ، ففعل ذلك ، فدخل إلى السلطان ، وأراه الكتاب فقرأه ، ثم أطرق زماناً ، وقال له : أرضِ الأفرم ، وإلا أنا والله بالبراءة منك ، والله إن عمل معك شيئاً ما نقدر ننفعك !

ولم يزل على حاله إلى أن حضر السلطان الملك الناصر من الكرك ، وقفز الأمراء إليه ، وبقي الأفرم في دمشق وحده ، فهرب هو والأمير علاء الدين بن صبح إلى شقيف بيروت[٣] ، ثم إن السلطان آمنه فحضر إلى دمشق فأكرمه وأقره على نيابة الشام في الركوب[٤] والوقوف والخدمة ، وقراءة القصص ، وسافر معه إلى مصر على حاله ،

(١) في الأصل : « بإشارته » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بعثت مَنْ يقطع » .
(٣) كذا في الأصول وتحفة ذوي الألباب ، وفي الوافي : « أرنون » ، وهي قلعة مشهورة في جنوب لبنان .
(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « في الركوب والنزول » .

ولَمّا استقر جلوس السلطان على كرسيّ الملك أعطى الأفرم صرخد على عادة العادل كتبغا ، وأخرج سلاّر إلى الشوبك .

ونقل إلى السلطان أن الأفرم وسلاّر يتراسلان فولّى الأفرم نيابة طرابلس ، وقال له : لا تدخل دمشق ، خشية أن تنشب أظافره فيها ، ويقوم أهلها معه محبة فيه ، فتوجَّه إلى طرابلس على مشاريق مرج دمشق في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، وأقام بطرابلس وهو على وَجَل ، ويخرج كل ليلة بعد العشاء هو ومن يثق إليه[1] من دار السلطنة[2] إلى مكان ينامون فيه بالنوبة وخيلهم معهم ، وربما هوَّموا[3] على ظهور الخيل .

ثم إنه أتاه مملوك كان له في مصر ، وقال له : السلطان رسم لك بنيابة حلب ، ورسم لك أن تروح إلى مصر لتلبس تشريفك وتأخذ تقليدك وتعود ، فطار خوفاً ، وكان في مرج[4] ، فأتاه في الحال مملوك صهره أيدمر الزَّرْدَكاش يعرِّفه أنه مأخوذ ، ويحرِّضه على الخروج ، فخرج في الحال .

أخبرني القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، حكى لي عماد الدين إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين الرومي أن الأفرم ما خرج إلى مرج لاجين ، إلاّ بنيّة الهروب . قال : وكنت عنده قبل خروجه إلى المرج المذكور يوماً ، فبينما نحن قعود نأكل إذ جاء إليه مملوك من مماليك قراسنقر ، فسلَّم عليه ، ثم قعد يأكل معه حتى فرغنا ، وخرجت المماليك ، ولم يبق عنده أحد إلا جمدارية النوبة ، وأنا لا غير ، فتقدم إليه المملوك ، وقال له : أخوك يسلِّم عليك ، وقد بعث لك معي هدية ، فقال : وأين الكتاب ؟ قال : ما معي كتاب ، قال : فالمشافهة ؟ قال : ما معي مشافهة ؛ ولكن هدية لا غير .

---

(١) (أ) : « به » .

(٢) في الأصل : « السلطان » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) التهويم : هزُّ الرأس من النعاس .

(٤) كذا في الأصول والوافي ، ولعلّه (مرج حسين) . انظر : معجم البلدان : ٥/١٠٠ .

فقال : هاتها ، فأخرج خرقة وحلَّها ، وناوله تفاحة ، ثم ناوله بعدها مئزراً أسود ، ثم ناوله[١] بعدها نصفيّة ، هكذا على الترتيب ، ثم خرج ، فقال له : اقعد ، فقال : ما معي دستور أن أقعد بعد إيصال الهدية ، فوجم الأفرم ، وسارَّه في أذنه ، وأعطاه نفقة ، وسفّرَهُ لوقته . فلما خرج قال لي : أتعرف أيش هي[٢] الهدية ؟ فقلت له : لا والله يا خوند ، لا يكثر الله له خيراً ، فقال : اسكت ، وَالك ، بعث يقول : إن كنت تريد تشمّ[٣] هَواء[٤] الدنيا مثل ما تشمّ هذه التفاحة فأته في الليل الذي هو مثل هذا المئزر ، وإلاّ فهذه النصفيّة مثل[٥] كفنك . قال : فعجبت لسرعة فطنة الأفرم لقصده وما رمز عليه .

وخرج الأفرم ولاقاه الزَّردكاش ، وسارا معاً ، وعبر الأفرم على مرج الأسل وبه العسكر المصري مجرداً لمنعه من اللحاق بقراسنقر ، فلما أشرف على المرج رأى العسكر قال : شدّوا لي حَماماً ، وكان حصاناً له يعتمد عليه ، فركبه وعليه كبرٌ أطْلَس أحمر وكوفية ، ورمحه بيده ، ثم قال للثّقل يكاسرون ويعبرون ، فلما عبروا لم يتعرض إليهم أحد ، ثم أمر الطلب أن يدخل مفرقاً ، وقال : لأن هؤلاء إذا دخلوا عليهم وما أنا فيهم ظنوا أنني في الصيد ، وما القصد إلاّ أنا ، فما يعارضونهم لئلاّ أجفل أنا ، وكان الأمر كما قال ، لأنهم عَبَروا عليهم مرتين ، ولم يتعرضوا إليهم ، ولما تَعدَّوهم أقبل هو وحده ، وشقّ العساكر ، ولم يفطن له أحد ، ولا عُرف أنه الأفرم . ولما خرجوا من المضيق اجتمعوا ، ورفع العصابة فوق رأسه وسار ولم يتبعه أحد ، ولما قرب من قراسنقر ما اجتمعا إلاّ بعد مُراسلات عديدة وأيمان ومواثيق ، لأن الأفرم تخيَّل في نفسه أن

(١) في الأصل : « ناولها » سهو .
(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « هي هذه » .
(٣) (أ) ، (ق) : « أنك تشم » ، وفي الوافي : « أن تشمّ » .
(٤) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٥) ليست في (أ) ، (ق) ، والوافي .

قراسنقر عمل هذه الفعلة مكيدة عليه[١] ، وكان[٢] حزماً منه . ولما اجتمعا سارا في البرية وقصدا مهنا بن عيسى ، وكان قراسنقر قد ترامى إلى مهنا ، وترامى الأفرم إلى أخيه محمد .

وحكى لي القاضي شهاب الدين ، قال : حكى لي سنجر البيروتي ، وكان أكبر مماليك الأفرم ، قال : لما فارقنا البلاد التفتَ الأفرم إلى بلاد الشام ، وأنشد :

سيــذكُرُني قـومي إذا جَـدَّ جـدّهُم وفي اللَّيلـةِ الظَّلْمـاءُ يُفتَقَـدُ البَـدرُ[٣]

وبكى فقال له قراسنقر : روح بلا فُشار ، تبكي عليهم ولا يبكون علينا[٤] . فقال والله ما بي إلاّ فراق موسى ولدي ، فقال له : أيّ بغّاية بصقْتَ في رحمها جاء منه[٥] موسى وعلي وخليل ، وعدّة أسماء . قال : ولم ندخل ميافارقين إلاّ وقد أملق ونفد ما كان يقوم به إلاّ قراسنقر ، وألجأتنا الضرورة إلى أني كنت أحطب ، والأفرم ينفخ النار ، والمماليك تنام[٦] هنا وهنا ، مافيهم مَن يرحمه ، ولا مَن ينفخ النار عنه ، فيقول لي : والك ياسنجر تُبصِر ؟! فأقول له : أبصرت ، فيتنهد وتتغرغر عيناه بالدموع ، فلما وصلنا إلى بيوت سوتاي أضافنا ضيافة عظيمة ، ونصب لنا خيمة كبيرة كان كسبها من المسلمين أيام غازان وعليها ألقاب السلطان الملك الناصر . فلما قام الأفرم ليتوضأ قال لي : والك ياسنجر ، كيف نعاند القدرة ، ونحن في هذا المكان ، وقد خرجنا من بلاده ، وهو فوق رؤوسنا ، وإذا كان الله قد رفعه ، كيف نقدر نحن نضعه . قال سنجر : ومن حين دخلنا إلى بيوت سوتاي عاد إليه ناموس الإمرة ، ومشت المماليك

(١) في الوافي : « للقبض عليه » .
(٢) (أ) ، (ق) : « وكان ذلك » .
(٣) هو لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ١٤٥ . من قصيدته المشهورة : « أراك عصيّ الدمع » .
(٤) في المنهل : « امش بلا فشار تبكي عليهم ولا يبكون عليك » .
(٥) في الوافي : « منها » .
(٦) في الوافي : « نيام » .

معه على العادة ، وأُجْري علينا من الرواتب ما لم نحتج معه إلى شيء آخر ، ولم يزل[(١)] كذلك حتى وصلنا الأُردو فازداد إكرامنا وتوالى الإنعام علينا .

وركب خَرْبندا يوماً ودار حتى انتهى إلينا ، فوقف ، وخرج له الأفرم وضرب له جوكاً[(٢)] وقدم له خيلاً بسروجها ولجمها وأشياء أُخر ، فقَبِلها ، واستدعى بشراب فشرب منه ، وأمسك له أياق[(٣)] ، فضرب الأفرم له جوكاً وشربه ، فأمر له بخمسين ثوباً[(٤)] ، فقبضناها من خواجا علي شاه[(٥)] ، ثم أعطاه هَمَذان ، فتوجهنا[(٦)] إليها وأقام بها ، وقصدته الفداويّة مرّات ، ولم يظفروا به ، وقفز عليه واحد منهم مرة ، والأفرم قاعد وقدّامه بيطار ينعل له فرساً ، فأمسكه بيده وضمّه إلى إبطه ، ولم يزل كذلك حتى أخذناه وقرره ثم قتله .

قال : وأحضر الأطباء فلؤوا فمي زيتاً وأعطوني محاجم ، وبقيت أمص الجرح ، ثم إنهم عالجوه وبرئ ولم يمت إلا حتف أنفه بهمذان .

وحصل له في سنة أربع عشرة وسبع مئة فالج وهو بهمذان .

قلت : وكان الأفرم ذا قوة ونجدة ، يقاوم في الحروب بعدة ، وما تمتع [أحد][(٧)] بالقصر الأبلق كما تمتع ، ولا ثبت له للهو كما ثبت له[(٨)] وما تتعتع ، وكان مغرى بحب الصيد لا يكاد يملّه ، يطلع الهلال فيه ويبدر ويستهله ، وكانت له خيول تُشد للكرّ ،

(١) في الوافي : « نزل » .

(٢) الجوك : الركوع والجلوس على الركبتين ، وهي عادة المغول في حضرة ملوكهم .

(٣) لم نقف على مدلولها .

(٤) كذا في الأصل ، وفي الوافي ، وتحفة ذوي الألباب : « تومان » ، و « التومان » فرقة من الجيش يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل . وهذا بعيد ، والأظن أنها ضرب من النقد كما يدل عليه السياق .

(٥) ابن أبي بكر التبريزي ، وستأتي ترجمته .

(٦) (أ) : « فتوجّه » .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٨) ليست في (أ) ، (ق) .

وخيـول تُشـد للقَنَص ، وهـو من هـذا السرج إلى هـذا السرج يعـدُّ ذلـك من الفرص ، وكانت أيـامـه ممتزقـة في الصيود ، والقنص بـالجوارح [(١)] والكلاب والفهود ، ومـع هـذا لا يخلُّ بالجلوس للأحكام ، والتصدي لمصالح الإسلام ، وقضاء حوائج الناس ، وإغـاثـة ذوي اللهفات والعُدْم والياس ، وتحصين الحصون ، ومَلْء [(٢)] كل ثغر بما يحتـاج إليـه من الحاصل المصون ، وترتيب رجالـه ، وتفقـد أحوالـه ، وإدرار النفَقـات عليهم ، ووصول الإنعامات إليهم ، وادِّخار السلاح ، وما يحتـاج إليـه من زرديّـات [(٣)] وقِسِيّ وجروخ [(٤)] ورمـاح . ولا يزال يتفقـد هـذا بنفسـه ، ويتـوكل بـأمره في يـومـه كما كان في أمسـه . وقصّـاده لا تزال في بلاد العـدو ، فرقـة داخلين وفرقـة خـارجين ، وبريـد [(٥)] يخفـق إلى باب السلطـان بحركات العـدوّ إن كانوا متحركين أو سـاكنين . إلا أنـه كان يسمع كلام كل قائل [(٦)] ، ويميل إلى مَن لم يكن بطائل ، ويبقى أثر ذلـك في قلبـه كامنـاً ، إلا أنـه لا يرتب تحريك أذى يكون ساكناً .

وكان واسـع السماط ، كثير الانشراح عليـه والانبسـاط ، يتخرق ريحـه كَرَمـاً ، ويضيء جوده للسائرين ضرماً ، لكنه قليل العطاء ، ليس لبخل عنـده ، ولا لإمسـاك يوري زنده ، ولكن لضيق ذات يَدِهِ ، وعُدْم حاصل يضطرب جوده في إنفـاق مَـدَدِه . قال لي مَن اطَّلع على أمره : إنه أكثر ما ملك سبعة آلاف دينار ، وكان خيِّراً عـديم الشَّر والأذى ، لا يحب أن يرى في عين أحد قـذى ، لا يؤثر الظلم ، ولا يفـارق حِمَى الأنـاة والحُلْم ، ما سفك دماً إلا بالشرع ، ولا غلّب أصل مأثمة على فرع .

(١) ليست في (أ) .

(٢) في الأصل : « ووصل » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وفي الوافي : « وسدّ » .

(٣) في الوافي : « زردخانات » ، وهو المكان المخصص لحفظ السلاح والعتاد الحربي ، وقد يطلق على السلاح نفسه .

(٤) جمع جرخ ، عربي ، يطلق على آلة حربية تستعمل لرمي السهام والنفط والحجارة .

(٥) (أ) : « وبريده » .

(٦) في الأصل : « عاقل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

ونادم في دمشق الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبدر الدين بن العطار ، والملك الكامل ، وغيرهم من المطابيع الأفاضل والرؤساء الأماثل ، وأحبه أهل دمشق ، ونقشوا رنكه على أطرزتهم وآلاتهم ، واستعملوه في جميع حالاتهم .

ونظم فيه الشعراء ، ومن أحسن ما جاء فيه قول الشيخ نجم الدين هاشم البعلبكي الشافعي :

سيوفٌ سَقاها مِن دِماءِ عُداتِه وأقسَمَ عن ورْدِ الرَّدى لا يَردّها
وأبرَزَها في أبيضٍ مثلَ كَفِّه على أخضَرٍ مثلَ المِسَنِّ يحدُّها[1]

وكان رَنْكُه غاية في الظرف ، وهو دائرة بيضاء ، يشقها شطب أخضر ، عليه سيف أحمر ، يمر من البياض الذي فوق إلى البياض الذي تحت على الشطب الأخضر . وقيل : إن النساء الخواطي وغيرهن كُنَّ ينقشنه حتى على معاصمهنّ وفروجهنّ .

ولم يزل على حاله في همذان داخل البلاد إلى أن جاءه الأمر الذي لا يرد قدومه ، والخطب الذي لا يصد عن القطع قدومه .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ بهمدان بعد العشرين وسبع مئة[2]، ودفن بها .

وعَمَّر الجامع الذي بالصالحية قبالة الناصرية ، والتربة التي إلى جانبه . وجدَّد جامع التَّوبة الذي بالعقيبة .

ولما كان بصرخد ، كتب إليه الشيخ صدر الدين بن الوكيل قرين فاكهة جهزها وحلوى :

أيا جيرةً بالقصرِ كانَ لَهُم مَغْنَى رَحَلتُم فعادَ القصرُ لفظاً بلا مَعنى
وأظْلَمَ لَمّا غابَ نورُ جمالِه وقد كانَ من شمسِ الضُّحى نورهُ أسْنَى

(١) المنهل الصافي : ١٤/٣ .
(٢) في المنهل : « توفي بالفالج في سنة عشرين وسبع مئة ، وقبل سنة ست عشرة وسبع مئة » .

فلا تَحسَبوا أنَّ الدِّيارَ وحُسنَها زمانكُم لا والذي أذهبَ الحسنى[١]
لقد كانتِ الدُّنيا بكُم في غضارةٍ ونعْمَى فأعْمى اللهُ عيناً أصابَتْنا
ولا رَقَّت الآصالُ إلاّ صبابةً ولا حَرَّكَت ريحُ الصَّبا طرباً غُصنا
يَعِزُّ عليهم بُعدُ داريَ عنهُم وقد كنتُ منها «قابَ قَوسَينِ أو أدْنى»
وأنّي أُلاقي ما لَقيتُ منَ الذي لقلبيَ قد أضْمى وجِسمي قد أضنى[٢]
لقد كنتُم يا جيرةَ الحيِّ رحمةً أياديكُمُ تَمحو الإساءةَ بالْحُسنى

فجاءته الأبيات والهدية صحبة قاصده ، وقد خرج إلى الصيد ، فقال للخزندار : كم معك ؟ قال : ألف درهم[٣] ، فقال : هذا القدر ما يكفي الشيخ صدر الدين ، يا صبيان أقرضوني حوائصكم[٤] ، فأخذ من مماليكه عشرين حياصة وجهّزها قرينَ الدراهم ، وقال لقاصده : سلِّم على الشيخ وقُل له :

على قدرِ الكِسَا مدَّيتُ رجليّ وإنْ طالَ الكِسَا مدَّيت زادَه[٥]

ولم ينتفع بعده أحدٌ بالقصر الأبلق ، لأنّه سكنه مدَّة نيابته ، وهي تقارب الأربع عشرة سنة ، وبعده سكنه قراسنقر أربعة أشهر ، وخرج منه أقبح خروج ، وسكنه كراي مدّة يسيرة وأُمسك منه ، وسكنه نائب الكرك دون السنة وعُزل . وأمّا تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ فما سكنه ولا بات فيه . وأمّا الفخري فنزل فيه ، فجرى له[٦] ما جرى . وأمّا طقزتمر فخرج منه في ليلة عجيبة لَمّا بلغته وفاة صهره الملك الصالح ، وبعد قليل عُزل . وأمّا يلبغا اليحيوي فمنه خرج إلى قبّته في المرّة الثانية ، ومنها هرب ، وجرى له ما جرى ، وأمّا أرغون شاه فمنه أُخرج وذُبح .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وطيبها » .
(٢) (أ) : « قد أظمأ » ، تحريف .
(٣) في الوافي : « دينار » ، سهو .
(٤) ما يشدّ على الخصر .
(٥) الخبر مختصراً في المنهل : ٣/١١ـ١٢ .
(٦) (أ) ، (ق) : « عليه » .

٣٠٧ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين المنصوري ، المعروف بقتّال السبع .

بقي إلى أن عاد السلطان الملك الناصر من الكرك ، وهو أمير كبير ، وعظيم بالبأس والنجدة شهير ، أملاكه موفورة ، ومماليكه[1] تضاهي شموس الأفق وبدوره ، وله الحمّام التي عند حوض ابن هنّس في الشارع ، وانتقلت إلى ملك الأمير سيف الدين قوصون أخيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه الحمام فما أطاق ردَّه قَتّال السبع ، وبطش به غرب المنيّة وهو نبع .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، في تاسع عشري رجب الفرد ، وكان أمير علم .

٣٠٨ ـ آقوش**

جمال الدين البَيْسَري ، أحد الأجناد بطرابلس ، كان له شعر ومُلَح ، ونوادر وفق المقترح ، رأى الأكابر وقاسى أهوال الزمان وهو صابر ، وقارب المئة وهو برمح واحد ، وصحب الدهر فما خانه في المدة إلى أن لحدَهُ اللاّحد .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبعمئة[2] .

قال رأيت في النوم مَنْ أنشدني :

لما بَدا كقضيبِ البانِ مُنعطِفاً   وكانَ يُشْتَمُّ ريحُ المسكِ مِنْ فيهِ

---

* الوافي : ٣٢٥/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢٦/٣ .

(١) (أ) ، (ق) : « أملاك ... ومماليك » .

** الوافي : ٣٣٩/٩ ، والدرر : ٣٩٨/١ ، والمنهل الصافي : ٣١/٣ .

(٢) كذا في النسخ ، وفي المنهل : « توفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وست مئة » .

فقلتُ يـا لائمـاتي انظرْنَ واحـدةً　　«فـذلكُنَّ الـذي لُمْتُنَّني فيـهِ»[١]

قال فحفظتها ، ونظمت :

لامَتْ نسـاءُ زَرُودٍ في هـوى قَمَر　　كلُّ المـلاحـة جـزءٌ من معـانيـه
وقلنَ لَمّـا تَبَـدَّى ليسَ ذا بشراً　　فقلتُ : هـذا الـذي لُمْتُنَّني فيـهِ[٢]

وقال ما كتبَ على قبقاب :

كنتَ غُصنـاً بينَ الرِّيـاضِ رَطيبـاً　　مـائسَ العطفِ من غنـاءِ الحَمـام[٣]
صرتُ أحكي رؤوسَ أعـداك في الـذُّلِّ أبرُغْمي أُداسُ بـالأقْـدام[٤]

وقال :

خَـودٌ من التّرك ذاتُ وَجْـهٍ　　كالبَـدرِ في هـالـةِ الكمـال
جـاءَتْ بكيسٍ بغيرِ يـاء　　تَطلُبُ زُبْـداً بغيرِ دال[٥]

٣٠٩ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الرسمتي .

كان خبيراً كافياً ، عارفاً بالسياسات وافياً[٦] ، له بأس ونجدة ، وفي أخلاقه زعارةٌ

(١) في البيت اقتباس من سورة يوسف ، الآية : (٣٢) .

(٢) في الأصل : « بشرٌ » . والأبيات في المنهل .

(٣) (أ) ، والدرر : « نضيراً » . وفي المنهل : « بين الأنام » .

(٤) في المنهل : « برغم » .

(٥) جاء بعد هذين البيتين في (أ) ما نصّه :
وقال :

أفدي صبيّاً غدا في الترب مضجعه　　وفيـه لـذَّ لجفني الـدمـعُ والسهرُ
تحكي نجـومَ السما أزهـار تربتـه　　لأن طلعتـه تحتَ الثّرى قمرَ

* الدرر : ٣٩٨/١ .

(٦) في الأصل : « واقياً » ، تصحيف .

وحِدَّة ، وولي شدَّ الدواوين بدمشق ، فضاق منه عَطَن الكتّاب ، وبطّل منهم جماعة ، وانفصل غير واحد منهم وتاب ، وحصَّل أموالاً واستفاد أحوالاً . ثم إنه عُزل وولي والي الولاة بالصفقة القبلية ، فمهَّد البلاد ، وأخذ بثأر الطارف والتِّلاد ، وقمع أهل العدوان والفساد ، وأصلح الرعايا فساد .

وكانت ولايته بعد الشريفي ، فخمل به ذِكْرُه ، وبطل بذلك حمدُه وشكره .

ولم يزل إلى أن قشّ الفناء آقوش ، وطفئ نور وجهه بعدما كان كالدينار المنقوش .

ووفاته رحمه الله تعالى في يوم الأحد ثامن عشري جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بتربة الشيخ رسلان[١] .

٣١٠ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين نائب البيرة[٢] ، نُقل إليها بعد موت الأمير شرف الدين موسى أمير حاجب .

وكان الأمير جمال الدين [أمير][٣] حاجب بحلب ، فلما توفي موسى المذكور في نيابة البيرة جُهِّز الأمير جمال الدين إليها ، وجُعل الأمير ناصر الدين محمد[٤] بن شهري أمير حاجب مكانه ، أظنه توجَّه إلى البيرة في جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ست وخمسين وسبع مئة .

وكان المذكور من مماليك الأمير سيف الدين سُودي نائب حلب .

(١) على مقربة من الباب الشرقي لدمشق .

* الدرر : ١/٤٠٠

(٢) من نواحي حلب . وليست التي في الأندلس .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (خ) .

٣١١ - آقوش*

الأمير جمال الدين الرَّحبي - بالراء والحاء المهملة والباء الموحدة - المنصوري .

تولّى مدينة دمشق أكثر من إحدى عشرة سنة ، كان مشكور السيرة ، خيِّر السريرة ، سَهْلَ الانقياد ، لا يزال من الخير في ازدياد ، طالت مدته في ولاية دمشق وكلٌّ يحبّه ، وإذا رأى عليه سوءاً[١] يدفعه بجهده ويَجُبُّه ، قلَّ أن هتك ستراً ، أو رأى شدة تطول إلاّ جعلها بسياسته بتراً[٢] .

ولم يزل على حاله إلى أن نُقل الرحبي إلى رحبة[٣] القبور ، ودعا أهله بالويل والثبور .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وكان قد عزله السلطان الملك الناصر لما توجَّه من دمشق إلى مصر سنة تسع وسبع مئة ؛ لأنه خرج هو والأمير سيف الدين أقجبا الْمُشِد[٤] ليودِّعا السلطان ، فغابا ليلة ، ولما عاد الرحبي أدركه شرف الدين قيران بن الرستمي[٥] متولياً دمشق مكانه فعاد الرحبي ، ولحق السلطان ، وغاب أياماً ، وعاد إلى مكانه واليَ المدينة [وذلك][٦] دون العشرة أيام ، وفرح به أهل دمشق ، وتلقوه بالشموع .

وأمسكه تنكز في ذي الحجة[٧] سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وصادره ولم يعزله .

---

* الدرر : ٤٠٠/١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦

(١) في الأصل : « سواء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « تبرا » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) (ت ٧١٠ هـ) ، الدرر : ٣٩٣/١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٧) (أ) ، (ق) : « ذي القعدة » .

ثم إنه في صفر سنة تسع عشرة ، عاشر الشهر ، رتّبه تنكز في شد الدواوين عوضاً عن فخر الدين أياس الشمسي[١] ، فأقام إلى الحادي والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

وتوفي في التاريخ ، وكان عمره خمساً وخمسين سنة .

وهو من قرية من قرى إربل ، وسبي منها وبيع[٢] ، فأقام بالرحبة مدة ، وانتقل إلى بيت المنصور .

٣١٢ ـ آقوش*

الأمير جمال الدين الكنْجي ، بالكاف والنون الساكنة وبعدها جيم .

كان من الأمراء أولي الدربة ، والعارفين بما يجلّي الكربة ، قد ألف سياسة الباطنية ، ويعلم مالهم في أمورهم من ظاهر ونيّة ، يعيّن لكل مهمّ رجلاً يعرفه ، ويُنفذه في ذلك الشغل ويصرفه ، وحصَّل من الأموال ما يكاثر الأمواه ، وأذهل العقول حتى سدَّ الأفواه .

ولم يزل على حاله حتى قفز الفداويّ الذي لم يُخْطِه ، وخرج إليه كما يقال من تحت إبطه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

وكان في هذه النيابة بمصياف من الأيام الظاهرية ، وعزل منها مرات ، ويعود إليها ، ولعله بلغ من العمر تسعين سنة .

---

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) (أ) : « وأبيع » .
* الدرر : ١/٣٩٩ .

٣١٣ - آقوش بن عبد الله*

جمال الدين الشّبليّ[1] الشافعي .

سمع من ابن عبد الدايم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

٣١٤ - آقوش**

الأمير جمال الدين الأشرفي نائب الكرك .

ولاّه الملك الناصر بعد مجيئه من الكرك نيابةَ دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين كراي المنصوري في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فأقام قليلاً دون السنة ، وعزله بالأمير سيف الدين تنكز ، وتوجَّه إلى مصر ، وأمسكه الملك الناصر ، وبقي في الاعتقال إلى أن أفرج عنه في شهر رجب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

كان معظماً إلى الغاية ، يجلس رأس الميمنة ، ويقوم له السلطان ميزة له عن غيره . وكان لا يلبس مُفَرَّكاً ، ولا مَصْقولاً ، ويتوجه إلى الحمّام بنفسه وهو حامل الطاسة والمئزر ، ويقلب عليه الماءَ ، ويخرج وحدَه من غير بابا[2] ولا مملوك . فاتفق أن رآه بعضُ من يعرفه ، فأخذ الحجر ، وحكَّ رجليه وغسَّله بالسِّدر ، ولم يكلِّمه كلمة واحدة ، ولما خرج وتوجَّه إلى داره طلَبَه وقتله ، وقال : أنا مالي مملوك ، وما عندي غلام ، ما لي بابيّة ، حتى تتجرّا أنت عليّ .

---

* الوافي : ٣٤٠/٩ ، والدرر : ٣٩٩/١ ، والمنهل الصافي : ٣٠/٣ .

(١) في الأصل : « الشملي » ، وفي الدرر : « الشبكي » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

** الوافي : ٣٣٦/٩ ، والتحفة : ٢٢٦/٢ ، والدرر : ٣٩٥/١ ، والمنهل الصافي : ٢٧/٣ .

(٢) خادم الحمّام .

وعمّر جامعاً ظاهر الحسينية ، وكان إذا توجّه إليه عرف الناس خُلُقَه ، فلا يدخل معه أحد من مماليكه ، ويخرج قَوَمَةُ[١] الجامع ، ولم يبق معه أحد ، ويدوّر هو الجامعَ وحده ، ويتفقده ، ويبصر إن كان تحت الْحُصُر تراب ، أو في القناديل تراب ، فأيّ خلل رآه أحضر القيّم وضربه . فلما كان في بعض الأيام وهو بمفرده في الجامع المذكور ، لم يشعر إلاّ وجُنْدِيّ من أكراد الْحُسينية قد بسط سُفْرةً وقصعة لبن ورقاق في وسطها ، وقال : بسم الله . فالتفت إليه وقال : من أعلمك بمكاني أو دلَّك علي ؟ فقال : والله لا أحد . فطلب مماليكه ، وأكل ذلك وأمر له بمبلغ ست مئة درهم .

فاتفق أن [أتاه][٢] كرديٌّ آخر في الجامع بعد ذلك الوقت بمثل ذلك ، فرماه ، وضربه ست مئة عصاً ، وكان قد اتخذ له صورةَ معبدٍ في الجبل الأحمر يتوجَّه إليه وينفرد فيه وحده يومين وأكثر ، وأقل ، ورُبَّما واعَدَ الغلام أن يأتي إليه بالمركوب في وقت ، ثم إنّه يبدو له فيأخذ ذيله على كتفه ، ويدخل القاهرة إلى بيته ماشياً .

وولاّه السلطان الملك الناصر نظر البيمارستان المنصوري ، فكان يدخل بعض الأوقات إلى المجانين ، ويُدخلهم الحمّام ، ويكسوهم قماشاً جديداً ، وأحضر لهم يوما جماعة من الجوالقية ، فغنوا لهم بالكف ، ورقص المجانين .

وكان يبرّ المباشرين الذين به بالذهب من عنده ، ويطلع في الليل قبل التسبيح المأذنة ، ويتفقد المؤذنين ، وكان للبيمارستان به صورة عظيمة ، وأملاكه محترمة لا يُرمى على سكانها شيء من جهة الدولة ولا يتعرض لهم أحد بأذيّة .

أخرجه السلطان في أول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في شهر ربيع الآخر وصل إلى دمشق متوجِّهاً[٣] إلى نيابة طرابلس ، فحضر إليها ، وأقام بها مدة ، وبالغ في طلب

(١) في الوافي : « قوّام » .

(٢) زيادة من المنهل .

(٣) قوله : « وصل ... متوجهاً » ليس في (أ) .

الإقالة ، وأن يكون مقيماً بالقدس ، فرُسم له بالحضور إلى دمشق ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز ، وتلقاه ، وعمل له سماطاً في دار السعادة ، ودخل ليأكل ، وحضر الأمراء فأمسكه على السماط ، وأُودع في قلعة دمشق معتقلاً ، فأقام بها يسيراً . ثم إنه جهز إلى صفد ، وحبس بها في برج ، فدخل إليه بعض أهلها ، وقال : ياخوند ! ماتلبث[1] إلاّ يسيراً ، وتَخْرُج منه ، لأنك دخلت في برج منقلب ، فلما كان بعد أيام أخرجوه منه إلى غزة ، فقال : لأي شيء ؟ فقالوا : ياخوند ! البرج قد انشق ، ونخاف أن يقع عليك ، فقال : صدق[2] القائل ، كان البرج يَنقلب عليّ .

وكانت له أشياء غريبة ، فيما يوقّع على القصص بقلمه ؛ كتب إليه إنسان وهو بدمشق : المملوك يسأل الحضور بين يدي مولانا ملك الأمراء لينهي ضرورته ، فوقّع على جانبها[3] : الاجتماع مقدّر .

وكتب إليه بعض من كان بها مليحاً يطلب إقطاعاً ، فكتب له عليها : مَنْ كان يومه بخمسين وليلته بمئة ماله حاجة[4] بالجندية .

وكتب إليه إنسان وهو بالكرك : إن هؤلاء الصبيان قد كثرت أذيتهم للمملوك . فوقّع له : إن لم تصبر على أذى أولادهم ، وإلاّ فاخرج من بلادهم .

ووقّع لآخر ، وكان قد جرت له كائنة في الليل : قد أحصيناك ، وإن عدت إلى مثلها أخصيناك .

وقال للأمير سيف الدين تنكز لَمّا أمسكه : أمّا أنا فقد أُمسكت ، ولكن خذ أنت حذرك منه .

---

(١) (أ) ، (ق) : « تلبث هنا » .
(٢) (أ) ، (ق) : « صدق ذلك » .
(٣) (أ) : « فوقّع عليها » . والخبر في المنهل .
(٤) (أ) : « أيش يعمل » . والخبر في المنهل .

وأقام في قلعة صفد يسيراً ، ثم إنه رُسِمَ بتجهيزه إلى الإسكندرية ، فأقام بها قليلاً .

وكان في رأسه سِلْعة[١] ، فطلب قطعها ، وشاوروا السلطان على قطعها ، فرسم له بذلك ، فقطعوها ، فمات رحمه الله تعالى في الاعتقال بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وسبع مئة فيما أظن .

وكان يضرب الألْفَ عصا وأكثر ، مات ، تحت ضَرْبه جماعة منهم باردار من باردارية السلطان[٢] رآه وهو يسير برّا باب اللوق ، وقد شتم سقّاء كان عنده وشتم أستاذه ، فأمسكه وأحضره إلى البيت وضربه أكثر من ألف عصا ، وقال : والك أنت والسقاء تخاصمتما ، أنا أيش كنت في الوسط ؟! وكانت هذه الواقعة إحدى الذنوب التي عدّها السلطان عليه .

ومنها أنه قتل جارية السلطان امرأة بكتمر الحاجب بسبب الميراث ، لأن ابنته كانت زوجة بكتمر أيضاً ، فضربها ست مئة عصا . وأشياء غير ذلك .

إلاّ أنه كان زائد الكرم والسماح ، تُقصر عن مباراته في ذلك هُوج الرياح .

كان السماط الذي يمده في بيته في العيد نظيرَ سماط السلطان ، وربما يكون أصلف وألذ وأطيب[٣] وأظرف . وإذا جُرد في مهمّ من الريدانية لا يعرف جنديه يشتري طعاماً ولا عَليقاً ، ولا يدري كل يوم إلاّ وقد صُرف له ما يكفيه من ذلك إلى أن يعود إلى الريدانية تعليقاً ، وإذا مات لجنديه فرس [حمل][٤] كفله إلى مطبخه ، فيصرف له من ديوانه ست مئة درهم ، وقد صار ذلك عادة لا يشاور عليها ، ولا يشار إليها ،

(١) أي غدّة .

(٢) البردار : من يكون في خدمة مباشري الديوان .
وفي المنهل : « بازدار » وهو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده .

(٣) (أ) ، (ق) : « أطعم » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

حتى إن بعضهم تكون فرسه بمئتي درهم ، فيذبحه ، ويأخذ ذلك المبلغ ، وكان في نيابة الكرك من سنة تسعين وست مئة إلى سنة تسع وسبع مئة وله بها آثار حسنة .

٣١٥ - أكرم*

القاضي كريم الدين الصغير ناظِرُ الدولة بالديار المصرية .

كان في الجيش أولاً ، ولما بقي خاله القاضي كريم الدين الكبير ناظر الخاص تولّى هو نظر الدولة . وكان يحبُّ الكاتب الأمين ، ويزيد معلومه وينقله إلى وظيفة أكبر من التي يباشرها ، وكان يحضر مجلس خاله كريم الدين الكبير فيكون واقفاً يرفع رجلاً ويضع أخرى ، وقد يكون في ذلك المجلس جالساً من لا يمكنه الجلوس في دسته ، وإذا كان في مجلسه هابه الناس وعظّموه .

وحكى لي غير واحد أن أمراء العشرات وغيرهم من الأمراء يزدحمون في المشي قدّامه ، ويقعون زحاماً ، ويقال : إن الملك الناصر لمّا كان في الكرك قال : أنا أعود إلى مكان يكون فيه أكرم الصغير يضرب الجند بالعصي[1] وأشفع فيهم ما يقبل شفاعتي ؟!

وكان يضرب الناس ضرباً سمّوه المقترح ، وهو أن[2] تؤخذ يد الإنسان ويضرب من ورائه على أكتافه[3] ، فإذا قعص[4] ضربه آخر من قدّامه على صدره .

ولكنَّ عِفَّته عن مال السلطان مفرطة إلى الغاية ، وتشدُّده على من يخون عن[5] خارج الحد .

---

* الوافي : ٣٤٥/٩ ، والدرر : ٤٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٣/٣ ، وفي الأصل : « إكريم » ، سهو .

(١) (أ) ، (ق) ، والوافي : « بالدبابيس » . وكذا في المنهل .

(٢) في الأصل و (ق) : « وأن » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٣) (أ) ، (ق) ، والوافي : « على ألواح أكتافه » .

(٤) (أ) : « قصع »

(٥) في المنهل : « وتشدده على من يكون خارجاً عن الحد » .

حكى لي أنه جاء إليه الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، وهو في الوجاهة والعظمة عند السلطان ما هو ، فقام لتلقّيه ، وجلس بين يديه ، وقال : ارسم يا خوند ! قال : هذا الكاتب صاحبي ، فشفّعني فيه ، واستخدِمْهُ في الوظيفة الفلانية ، فقال : السمع والطاعة ، كم في هذه الوظيفة في كل شهر ؟ قال ذلك الكاتب : مئة وخمسون درهماً ، وثلاثة أرادب قمحاً ، فقال لصيرفي عنده : اصرف لهذا في كل شهر مئة وخمسين درهماً ، ويجيء إلى الشونة[1] في كل شهر ، ويأخذ هذه الأرادب . فقال الكاتب : ما أريد إلا هذه الوظيفة ، فقال كريم الدين : حتى تعلم يا خوند أنه لصّ ، وما يريد المعلوم ما يريد[2] إلاّ السرقة ، فاستحيا الأمير ومضى .

ولَمّا أُمسك كريم الدين أُمسك كريم الدين الصغير ، وكاد العوام والناس يقتلونه ، وأثبت القضاة فيه محاضر ، منها ما هو بالكفر ، ومنها ما هو بقتل النفوس ، فرأى السلطان أنه ذاهب لا محالة ، فقال : إذا قتل هذا ممن آخذ أنا مالي ؟ اصبروا إلى أن نأخذ مالنا منه ، وتَسَلَّموه أنتم . ثم إن السلطان سلَّمه إلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي[3] ، وبقي عنده مُدَيدة ، ثم إنه أخرجه إلى صفد ناظراً ، فجاء إليها في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وضبطها ، وحصَّل أموالها ، ثم إنه ورد المرسوم بإمساكه فأُمسك ، وضُربت الحوطة على موجوده ، ثم طلب إلى مصر وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ثم إنه جُهز إلى دمشق ناظراً عوضاً عن الصاحب شمس الدين ، فوصل إليها في ثالث عشري شوال من السنة ، فكرهه الأمير سيف الدين تنكز أول حضوره لِمَا كان يبلغه عنه ، ولما باشر عنده ، ورأى عِفَّته وتنفيذه وحُسْنَ مباشرته أحبَّه ومال إليه ميلاً كلِّياً . ثم إنه طُلب إلى مصر فخافه أعداؤه ، وعملوا عليه ، وبَطّلوا ما كان تقرَّر في أمره ، ورموه بكل داهية ، فأقام في بيته بطّالاً .

---

(١) هي مستودع الغلال .

(٢) قوله : « المعلوم ما يريد » ، ليس في (أ) .

(٣) ستأتي ترجمته .

وخرج عليه ليلة وهو خارج من الحمام جماعةٌ بسيوف ليقتلوه ، فداسهم بفرسه ، وضرب بدبّوسه إلى أن خلص منهم بكتفه وهو بمفرده ، ثم عملوا عليه ، فرُسم له بالتوجّه إلى أُسوان ، وجُهز في البحر ، فأُغرق فِرْعَوْنُه في اليم ، وخُسف عُمْرٌ بدره في التم ، وكان ذلك في أواخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان مدبِّراً مصرِّفاً مجمِّلاً للمناصب مشرفاً ، كاتباً ضابطاً ، مقسطاً لا قاسطاً ، ذا مهابة وسطوة ، ورفعة عند الملوك وحظوة ، شديد الانتقام ، تصحُّ بمباشرته الأسقام ، وتتوفر السهام والأقسام ، ويريح قلب السلطان بمرض الأقلام والأجسام ، لا يحابي أحداً ولا يحاشيه ، ولا يراعي مَنْ هو من ألزامه أو حواشيه ، يود الكاتب الخائن أن يرى ملك الموت ولا يراه ، ويود أن يموت جوعاً ولا يُعمل إليه سَيْرَهُ ولا سُراه ، إذا هزّ عاملاً قلت : هذا كميّ هزّ عاملاً ، وإذا طلب ناظراً[1] أنكَرَتْه علائمه ، أو مستوفياً لم تحمله من الحساب قوائمه .

وفيه قلت من قصيدة :

فأكرِم بديوانٍ بهِ قد تَثَّرَت ... بأوراقهِ غَلاّته ودراهمه
وأكرِم بهِ يوماً إذا هزَّ عاملاً ... تخورُ لهُ عندَ الحسابِ قوائمُه[2]

وكان طعامه نظيفاً فاخراً شهياً ، ومرأى أوانيه في كل أوان بهياً ، إلاّ أنه لم يكن في بذخ خاله ، ولا تمييز حاله ، فإن ذاك في عداد الملوك ، ولبس كل ما يلبس من الوشي المحوك .

وكنت قد كتبت إليه وهو بصفد :

عساكَ ترقُّ يا ظبيَ الصَّريمِ ... على صبٍّ منَ البَلوى سقيم
وجدتُ هدى على نارٍ تبدَّت ... بطورِ حشايَ من قلبيَ الكَليم

(١) في الأصل : « عاملاً ناظراً » ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « وأعظم به » .

فإنْ أشكُ الغرامَ نفرتَ عُجباً ... فكيفَ تميلُ معَ مَرِّ النَّسيم
وخطٌّ عذارك المسكيُّ لاماً ... بكهفِ الخدِّ يبدو كالرَّقيم
فذاكَ اخضرَّ لما احمرَّ هذا ... فأبصَرنا نعيماً في جحيم
وأعجبُ كيفَ يبسمُ فيكَ ثغرٌ ... ثَنَاياهُ منَ الدُّرِّ اليتيم(١)
وهَبْ أنَّ القَضيبَ حكاك قدّاً ... فهل للغُصنِ مثلكَ جيدُ ريم
ولكن مثلَ ما حَكتِ الغوادي ... كريمَ الدِّينِ في الفَضلِ العميم
فَتى فاقَ الورى قَدْراً وفَضلاً ... وأينَ اللَّيثُ من ظبي الصَّريم
ودبَّر مُلْكَ مِصْرٍ فازدَهاها ... وأسفرَها عنِ الوَجهِ الوسيم
وحاطَ يراعُه شاماً ومِصراً ... فكانَ على صِراطٍ مُستقيم
تُصرِّفُ كَفُّه رِزْقَ البرايا ... بأمرِ الخالِقِ الرَّبِّ الرَّحيم
إذا رَسَمَتْ أناملُه سُطوراً ... تحارُ لذلكَ الدُّرِّ النَّظيم
فأينَ ابنُ العَميدِ إذا رآهُ ... يخطُّ بنانُهُ وابن العديم
وأينَ كَفاءَةَ الوزراءِ منهُ ... إذا ما قامَ في الأمرِ العظيم
لهُ بأسٌ تخافُ الأُسْدُ منهُ ... ولُطفٌ ليسَ يُعْهَدُ من حليم
أيا مَن سادَ أهلَ الأرضِ طُرّاً ... وأحيا مَيّتَ الجودِ الرَّميم
لَقَدْ وحشْتَ مصرَ وساكنيها ... فما تفترُّ عن ثغرٍ بسيم
ستدخلُها وأنتَ قريرُ عينٍ ... فَتلفيها على العَهْدِ القَديم
وتَطلعُ في دُجاها بدرَ تمٍّ ... فَتَجْلو ظُلمَةَ اللَّيلِ البَهيم
أتيتُكَ إذْ سَبَرْتُ النّاسَ طُرّاً ... فلَمْ أرَ غيرَ ذي نظرٍ سَقيم
وليسَ لِما أرومُ سِواكَ كُفوٌ ... لأنَّ الدَّهرَ قدْ أضحى غريمي
وقُلتُ لمقصَدي أبْشِرْ بنُجْحٍ ... إذا كانَ القُدومُ على كريم
وحَسْبيَ الْمَدح فيكَ عُلوَّ شانٍ ... وفَخْراً بينَ غادٍ أو مُقيم
فلا بَرِحَتْ بكَ الأيامُ تُزهى ... ونحنُ ببردِ ظلِّكَ في نعيم

(١) (أ)، (ق): «منك».

☆ **ابن الأكفاني** : شمس الدين الطبيب ، محمد بن إبراهيم .

٣١٦ ـ الأكُز*

بضمِّ الكاف وإشباعها لتُنْشِئ واواً ، ثم زاي ، الأمير سيف الدين الناصري .

كان أولاً جَمْداراً[(١)] ، وأمَّره أستاذه ، وكان يتحقق أمانته ، فجعله مُشدّ الدواوين ، فعملُ الشَّد أعظمُ من الوزارة ، وتنوَّع في عذاب المصادَرين وغيرهم ، وضربهم بالمقارع ، وأحمى لهم الطاسات وألبسهم إياها ، وأحمى الدسوت ، وأجلسهم عليها ، وضرب الأوتاد في آذانهم ، ودقَّ القصب تحت أظافرهم[(٢)] ، وبالغ وشدَّد .

وجاء لولو غلام قَنْدش الآتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في حرف اللام ، وأقامه السلطان معه مُشِدّ الجهات ، واتفقا على عقاب الناس ، وجمع الله منهما[(٣)] بين الْحَجَّاج والطاعون ، واستخرجا الأموال ، وأزهقا النفوس ، وتضاعف البلاء ، وعمَّ الأذى ، وزاد الشقاء في أيامهما ، وسكنت روعة[(٤)] الأكُز في القلوب ، وكان الكاتب يدخل إليه ميتاً ، ويخرج ميتاً .

ولم يزل كذلك إلى أن لطف الله بالناس ، وقدَّر أنه غضب على لولو المذكور ، فأخذ العصا بيده ، وضربه إلى أن هرب قدّامه ، وهو خلفه إلى أن وصل إلى باب القلعة ، ونزل شاشُه في رقبته ، فراح لولو إلى القاضي شرف الدين النشّو ناظر الخاص ، ودخل عليه وعلى قوصون ، وبذل المال ، واتَّفق أن كان الغلاء في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، فقال السلطان : يا الأكُز لا تدع أحداً يبيع الأردبّ بأكثر من ثلاثين درهماً ، وانزل إلى شُوَن الأمراء وألزمهم بذلك .

---

* الوافي : ٣٤٨/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٥/٣ .

(١) الجمدار : هو الذي يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير . (صبح الأعشى) .

(٢) الصحيح في جمع الظفر : أظفار .

(٣) في الأصل : « بينهما » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في المنهل : « رعبة » .

فأول ما نزل إلى شونة الأمير سيف الدين قوصون ، وأمسك السمسار الذي له ، وضربه بالمقارع ، وأخرق بالأستادار ، فطلع إلى قوصون ، وشكا حاله إليه ، فطلبه ، وأنكر عليه ذلك ، فأساء عليه الرَّد ، فدخل إلى السلطان ، فأخرق السلطان بقوصون ، فأكمنها قوصون[١] للأكُز ، وعمل عليه باتفاق النشْو ، ولم يَزالا عليه إلى أن غضب عليه السلطان ورماه قدّامه ، وضربه بالعِصيّ[٢] ، ورسم عليه أياماً ، ثم إنه أخرجه إلى دمشق في شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي القاضي ضياء الدين يوسف بن الخطيب[٣] محتسب القاهرة قبل إمساك الأكُز بأربعة أشهر أو ما يقاربها أنَّ بعض المشايخ حدَّثه أنه رأى النَّبي ﷺ في النوم وهو جالس في صدر الإيوان والسلطانَ واقفاً[٤] أمامه على رأس الدرج وهو ينكر عليه ، ويقول له : ما هؤلاء الظَّلَمة الذين أقمتهم ، فقال : يا رسول الله من هم ؟ ثم توجَّه وغاب قليلاً ، وأتى بالأكُز ، فقال : اذبحه ، فاتكاه وذبحه ، فقال له : خلِّه الآن . فما كان بعد أربعة أشهر حتى جرى له ما جرى .

وكانت أيامه أيام سَخَط ومحنة ما أسعد من أبعد منزله عن مصر وشحط ، قد تنوع في الظلم والجور ، وتطوَّر في القساوة والجبروت طوراً بعد طور ، وبسط العذاب على الكتّاب ، وأخذ الصالح بالطالح والبريء بالمرتاب .

وقطع جماعةٌ أشجار غيطانهم ، وخربوا ما عُمِّر[٥] من حيطانهم هرباً من الخراج الذي قُرِّر في تلك الأيام على الثمار ، وجباه الظَّلَمة من باعة الأزهار ، ولكن الله لطف ، وما جرى الظلم شوطاً حتى قَطَف ، ولا لوى العدل جيده ، وأعرض حتى عطف .

---

(١) في الأصل : « بقوصون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « بالعصا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٣) يعني ابن خطيب بيت الآبار ، وستأتي ترجمته .
(٤) (أ) : « واقف » ، ولها وجه .
(٥) (أ) : « عمّروا » .

ولما وصل الأكُز إلى دمشق أقام بها دون السنة ، وكَزَ الموت الأكُز ولكز ، ونكره العيش لَمّا ساوره أفعوان الْحَيْن ونكز[١] ، وكان ذلك في سنة ثمان وثلاثين[٢] وسبع مئة فيما أظن .

وكانت مدة مباشرته في القاهرة أكثر من سنتين .

٣١٧ - أَلْبكّي*

الأمير فارس ، أحد مقدّمي الألوف بالديار المصرية ، أظنه ابن أخي الأمير الكبير سيف الدين آلْمِلك الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

أظنه ورد إلى غزة نائباً بعد الأمير سيف الدين دِلَنْجي[٣] في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . وتوجَّه بعسكر غزّة إلى صفد لما كانت العساكر الشامية بصفد في[٤] حصار نائبها أحمد الساقي .

ولما أُمسك المذكور عاد هو إلى غزة ، وأقام بها إلى أن عُزل بالأمير سيف الدين أرغون الإسماعيلي[٥] في العشر الأوسط سنة[٦] اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وتوجَّه إلى مصر ، وأقام بها أمير مئة مقدم ألف ، وحضر صحبة الأمير سيف الدين طاز إلى حلب في واقعة بيبغاروس ، وهو الذي حضر معه[٧] ألطنبغا برناق نائب صفد ، والأمير علاء الدين ألطنبغا مشدّ الشرابخاناه ، والأمير سيف الدين شادي أخو أحمد الساقي

(١) أي لسعه .
(٢) في الأصل : « وأربعين » ، سهو .
* الوافي : ٣٥٢/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، وقد خَلَت من ترجمته (ق) .
(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٤) (خ) ، (ق) » « على » .
(٥) (أ) : « أرغون شاه الإسماعيلي » .
(٦) (أ) ، (خ) : « من سنة » .
(٧) (أ) ، (خ) : « ومعه » .

والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي ، وسيف الدين أسن بك بن خليل الطرقي ومهدي مشد حلب ؛ لأنهم جُهِّزوا معه من حلب إلى دمشق ، واعتقلوا في القلعة إلى أن وُسِّطوا بسوق الخيل في دمشق .

وعاد الأمير سيف الدين ألبكي صحبة السلطان الملك الصالح إلى الديار المصرية ، وأقام بها على الإمرة والتقدمة إلى أن وصل الخبر بوفاته في مصر إلى دمشق في أواخر شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٣١٨ ـ أَلْبَكي*

بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الباء الموحدة وبعدها كاف وياء اخر الحروف .

الأمير فارس الدين الظاهري ، من كبار الأمراء وشجعانهم .

كان في السجن ، ويطلبه الملك المنصور ، ويتحدث معه ، ويعيده إلى السجن ، ثم أخرجه وولاَّه نيابة صفد ، فأقام نحواً من عشرة أعوام .

وكان كلَّما ركب ونزل حلَّ الجمدار شاشه ، وفتحه وتركه ، فإذا أراد الركوب لفَّ هو شاشه بيده مرة واحدة .

وكان مليحَ الشكل ، ليس في وجهه شعر . وكان الأمير سيف الدين بلبان الساقي من أمراء صفد يهيم فيه عشقاً ، ويموت صبابة ووجداً ، وكان كثير الآداب .

حكى لي عنه شيخنا الإمام الخطيب نجم الدين حسن بن الكمال الصفدي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء رئاسة كثيرة وحشمة زائدة . وكان يحادثه ويسامره إلى نصف الليل . قال : ولم أره بلا خفّ قطّ ، ولم يُبْدِ رجله ولا مدَّها ولا كشفها .

---

* الوافي : ٣٥١/٩ ، والدرر : ٤٠٤/١ ، والمنهل الصافي : ٣٧/٣ ، وعقد الجمان : ٢٩١/٤ .

ولَمّا غضب الأشرف بن قلاوون على حسام الدين لاجين وهو على عكا جهزه إلى صفد ليُعْتَقَل بالقلعة ، فأخذ المقرعة الأمير فارس الدين وضربه على كتفه وقال له : ما تمشي إلاّ خواتيني ، وأخذ خوجةً كانت معه وطرطوراً ضمن بقجة ، وضرب الدهر ضرباته ، وجلس حسام الدين لاجين على كرسي المُلك ، ولَمّا تمّ له الأمر سيَّر إلى الأمير فارس الدين يقول له : احتفظ بالبقجة والجوخة والطرطور[1] ، ففرَّ من حمص وهرب مع الأمير سيف الدين قَبْجَق ـ على ما يأتي في ترجمته هناك ـ ومعهما بَكْتَمُر السلاح دار ، وتوجهوا إلى قازان لما بلغهم إسلامه فتلقاهم بالإكرام ، وبالغ في الإحسان إليهم وزوج الأمير فارس بأخته ، وكان يحكي عنها لما حضر إلى الشام : هي مثل هذه الشمس ، ولما عاد قازان تأخروا عنه ، وأُعطي الأمير فارس الدين نيابة حمص .

وكان وَجْهُه من الشَّعْر خالياً ، وبالمحاسن حالياً ، كأنّه طلعة القمر إذا سفر الظلام ، ولبس حلة الكمال والتمام ، خيِّراً وادِعاً ، ساكناً بالحق رادعاً ، لطيف الحركات يتجنب مواقع الهلكات ، قريباً من الناس [للخير][2] رقيباً نجيباً في أفعاله الغريبة ، ينقاد إليها مع الإخلاص جنيباً ، معروفاً بالشجاعة والثبات ، موصوفاً بالفروسية في الكرِّ والفرِّ والالتفات ، أعظمه القان قازان ، وبهره عقله الذي زان ، وقيامه بآداب المغول ، وسياستهم التي يغتال العقول منها غول ، فقرَّبه لَمّا جرَّبَه ، وردَّ به الخطب حين دَرَّبَه ، وزوَّجه بالخاتون أخته ، وزاد فيما خصَّه به من محاسن رختِه ، وأفرط في دنوِّه حتى كاد يجلسه على تخته .

ولم يزل بحمص على نيابته حتى نزل به ما لا يُسمع معه مُشتكى ، وقَرَّح الجفون على ألبكي بالبُكا .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة اثنتين وسبع مئة .

---

(١) الخبر مختصراً في المنهل .

(٢) زيادة من : (أ) ، (ق) .

٣١٩ ـ ألجاي*

الأمير سيف الدين الأبو بكري .

كان أحد الأمراء بدمشق ، يسكن بدار الأعسر .

فيه خير وصلاح ، وجهاد في رضى الله تعالى ؛ إلا أنه لا يحتاج فيه إلى سلاح . يتردد إلى الجامع ماشياً بفَرْدِ مملوك ، ويلازم الصلاة فيه بكرة وعشيّاً ووقت الدلوك ، هذا مع تواضع يزينه ، ويحسِّنه ولا يشينه .

ولم يزل على هذه الطريقة ، والسبيل التي هي مجاز[1] إلى الحقيقة إلى أن ألجي ألجاي إلى الدخول في مَنْ غبر ، فأصبح وقد طاب [مبتدا][2] ذكره والخبر .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي قبله ولده بقليل .

وكان شاباً حسناً ، فذاق فقده ، ورأى الموت بعينه بعده .

٣٢٠ ـ ألجاي**

الأمير سيف الدين الدوادار الناصري .

كان دواداراً صغيراً مع أرسلان المقدم ذكره . ولما توفي استقلَّ ألجاي بالدوادارية .

وكان شاباً طويلاً ، ظريف الحركة هزيلاً تعلوه شقرة ، ولونه يضرب إلى حُمرة ، وكان طويل الروح لا يغضب ، وإن غضب فعلى نفسه ، ولا يواجه إلاّ بما

* الدرر : ٤٠٥/١ .

(١) (أ) : « مجازه » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٥/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩/٣ .

أحبَّ ، مع عفَّة وديانة ، وخبرة تامة وصيانة ، وكان عارفاً بأخلاق أستاذه الناصر ، تُعْقَد على دُرْبَته وآدابه الخناصر .

وثق إليه السلطان كثيراً ، وأحلَّه من قلبه مكاناً أثيراً ، ويكتب خطّاً من أين للروض طلاوته ، أو للوشي رقمه وإجادته ، وله فضائل ، وعنده من العلم مسائل . لازمه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كثيراً ، وكان يُلزمه بالمبيت عنده في القلعة ؛ ليكون له سميراً[١] .

وبقي زماناً لا يؤثر الطبلخاناه مدة تزيد على العشرة أعوام[٢] خوفاً من إخراجه من بيت السلطان . ولما كان قبل موته بسنتين أو ثلاث أعطي طبلخاناه ، واقتنى كتباً نفيسة إلى الغاية ، وعَمَّر له داراً في الشارع ، تأنق في بوّابتها ولم يكمل عمارة[٣] الدار . ولما مرض بالقلعة طلب النزول إلى داره ليُمرَّض[٤] فيها ، فلامه أصحابه وأخصّاؤه ، فقال : أنا أعْرَفُ بِخُلُق أستاذي قد يريد[٥] أن يولي الدوادارية غيري ، فنزل إليها ، وأقام بها مدة يسيرة ، وفرغ عمره ، وتمّ نهيه في الدولة وأمره .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حافلة . ووقع خلاف في وفاته بين الأمير صلاح الدين الدوادار[٦] والقاضي شرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السر ، فقلت أنا : تُقْرَأ نصيبة قَبْرِه ، فقال القاضي شرف الدين : هذا نقش في حجر ، فنظمت أنا ذلك وقلت :

أخالِفُ قوماً جادَلوني بباطِلٍ ... مَتى ماتَ أُلجاي الدّوادار أَوْ غَبَرْ

وصَدَّقني فيه نصيبةُ قَبرِهِ ... وكانَ الذي قَد قُلْتُه النَّقْشُ في الحجرِ

---

(١) طمست في الأصل .

(٢) (أ) : « أيام » سهو .

(٣) ليست في (أ) .

(٤) في الوافي : « ليتمرّض » .

(٥) في الوافي : « قد يكون في خاطره » .

(٦) يوسف بن أسعد ، وستأتي ترجمته .

٣٢١ ـ ألتَمُر*

الأمير سيف الدين الأبو بكري . أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان شكله تامّاً وخَيْرُه عامّاً ، فيه سكون كثير ، وركون إلى الدعة مثير .

وكان له ولدان ، كأنهما فرقدان ، ففرَّق الموت منهم الشَّمل ، وفاضت الجفون عليهم[١] بالهَمْل .

وتوفي رحمه الله تعالى في أربع[٢] وأربعين وسبع مئة . ومات هو وولده الأكبر في دون الشهر .

٣٢٢ ـ ألْدَمِر**

بالهمزة واللام الساكنة والدال المهملة المفتوحة والميم المكسورة وبعدها راء .

الأمير سيف الدين أحد أمراء القاهرة . أظنه كان مُقَدَّماً .

توجَّه إلى الحجاز ، فجرت تلك الفتنة في مكّة ، وقتل هو وولده وغيره . وحصل للسلطان لما بلغه [الخبر][٣] أذى عظيم[٤] ، قام له وقعد ، وبطل السماط ، وجرد من مصر ألفي فارس كل واحد بخوذة وجوشن ومئة فردة نشاب وفأس برأسَيْن[٥] أحدهما للقطع ، والآخر للهَدّ ، ومع كل فارس جملان وفرسان وهجين ، ورسم[٦] لمقدم الجيش

---

* الوافي : ٣٥٣/٩ ، والدرر : ٤٠٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨/٣ .

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (أ) ، (خ) : « تعالى سنة » ، وفي (ق) : « في سنة » .

** الدرر : ٤٠٧/١ .

(٣) زيادة من : (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « عظيماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « ورأس بفأسين » سهو ، وأثبتنا ما في : (أ) ، (ق) .

(٦) (أ) : « ونصب » .

متى وصل إلى الينبع[١] وعدّاه لا يرفع رأسه إلى السماء بل إلى الأرض ، ويسفك الدماء من كل مَنْ يلقاه من العربان ، إلا مَنْ عَلِمَ أنه أمير عرب ، يقيده ويسجنه[٢] معه .

وجرَّد من دمشق ست مئة فارس على هذا الحكم . ومن أعجب ما مرَّ بي أن الناس تَحَدَّثوا وهم في صلاة العيد بالقاهرة بقتلة هذا ألدمر ، ولم يقتل هو ومن معه إلاّ بَعْدَ صلاةِ العصر يوم العيد سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان أمير جاندار ، وأظنه زوَّج ابنَهُ بابنة قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسيأتي ذكر ولده أمير علي في مكانه من حرف العين .

٣٢٣ - أَلْدَمِر*

الأمير سيف الدين المعروف بألدمر عبد الله أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

وكان قد توجَّه أمير الركب في سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وتسخَّط بذلك كثيراً . ولما عاد أقام بدمشق .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، وأعطي خبزه للأمير ناصر الدين محمد بن الخطير[٣] .

٣٢٤ - أُلْجِيبُغا**

الأمير سيف الدين المظفَّري الخاصكيّ .

تقدَّم في أيام الملك المظفر حاجي بن الملك الناصر محمد . لم يكن عنده أحد في

---

(١) (أ) : « البقيع » .

(٢) في الأصل : « ويسحبه » ، تصحيف .

* الدرر : ١/٤٠٧ .

(٣) محمد بن مسعود بن أوحد ، وستأتي ترجمته .

** الوافي : ٩/٣٥٥ ، والدرر : ١/٤٠٦ ، وبدائع الزهور : ١/١/٥٣٤ ، والمنهل الصافي : ٣/٤٤ .

رتبته ، ولم يزل أثيلاً عنده أثيراً ، إلى أن جرى للمظفر ما جرى ، على ما سيأتي في ترجمته . وتولى السلطان الملك الناصر حسن ، فاستمر معظّماً .

وكان أحد أمراء المشْوَر[١] الذين تصدرُ عنهم الأوامر والنواهي إلى [أن][٢] وقع الاختلاف بين[٣] هؤلاء الأمراء ، فأُخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور ، وطُلب[٤] أمير آخور إلى مصر ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

يقال : إنهم اختلفوا بعد إخراج أحمد الساقي إلى صفد ، فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : تخرجُ نائباً إلى[٥] طرابلس . فقال : إذا كان لا بد من خروجي فأكون في حماة . فقالوا له : نعم . وألبسوه تشريفاً ، وخرج . ولَمّا كان في أثناء الطريق ألحقوه بمن قال له : تَروح إلى دمشق أميراً . فجاء إليها . ولم يزل بها على إمرته إلى أن حضر الأمير سيف الدين قُجا السلاح دار[٦] في أثناء شعبان سنة تسع وأربعين فأخذه وتوجَّه به إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير بدر الدين أمير[٧] مسعود بن الخطير ، فأقام بها نائباً إلى أوائل شهر ربيع الأول سنة خمسين وسبع مئة ، وورد كتابه على أرغون شاه نائب الشام ، ويقول فيه : أشتهي أن أتوجَّه إلى الناعم أتصيَّد به ، وما يمكنني ذلك إلاّ بمرسومك . فقال له : بسم الله . المكان مكانك .

فحضر إلى الناعم ، وأقام على بحرة حمص أياماً يتظاهر بالصيد ، ثم إنه ركب ذات ليلة[٨] بمن معه من العساكر ، وساق إلى خان لاجين ، ونزل به ، وأقام من الثانية في

(١) هو مجلس السلطنة يحضره أمراء المئين ، ويسمّون أرباب المشورة .
(٢) زيادة من (خ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٤) في المنهل : « وطلب لاجين إلى القاهرة » .
(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٦) ستأتي ترجمته .
(٧) ليست في (خ) . وفي المنهل : « الأمير بدر الدين الخطيري » .
(٨) (خ) ، (ق) : « في ليلة » .

النهار إلى أن اصفرَّت الشمس ، وركب بمن معه وجاء إلى أرغون شاه وهو مقيم في القصر الأبلق ، وجرى له[١] ما جرى على ما تقدَّم في ترجمة أرغون شاه .

ويقال : إنه ما وصل إلى سوق الخيل حتى قضى لـه الشغل الأمير فخر الـدين أيـاز السـلاح دار . ثم إنـه لـما انفجر الصبـح نـزل بـالميـدان الأخضر ، وطلب أمراء الشـام ، وأخرج لهم كتـاب السلطـان ، وقـال : هـذا مرسوم السلطـان بـإمسـاك أرغون شـاه ، فما شـك أحـد في ذلـك ، واحتـاط على أموال أرغون شـاه وجواهره وجميع موجـوده ، وذلك في يوم[٢] الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول .

ولما كان في يوم الجمعة بكرةً ظهر الخبر أن أرغون شاه ذَبح روحه .

وكان قد جهز بريداً إلى باب السلطان بإمساكه ، ومعه سيفـه ، وأقـام والأمراء في خدمته إلى يوم الثلاثاء ، فتحدث الأمراء فيما بينهم ؛ لأنه أراد أن ينفق فيهم ويحلفهم ، فـأنكروا ذلـك ، ولبسـوا السـلاح ، ووقفـوا بسـوق الخيـل ، ولبس هـو وجمـاعـة من الجراكسة وفخر الدين أياز ومماليكه ، وخرجوا إلى العسكر ، وكانت النصرة لألجيبغـا ، وقتـل جمـاعـة من أمراء[٣] الشـاميين ، ورمـوا الأمير بـدر الـدين أمير مسعـود والأمير سيف الـدين طَيْـدمر أمير حـاجب عن الفرس إلى الأرض ، وقطعت يـد الأمير سيف الدين ألجيبغا العادليّ ، على ما سيـأتي ، وأخـذ ألجيبغـا الأموال والجواهر ، وخرج العصر من دمشق على المِزَّة ، وتوجَّه على البقاع إلى طرابلس ، وأقام بهـا ، فما كان بعـد أيام إلاّ وقد جاءت الملطَّفات إلى أمراء الشام من باب السلطـان بـإنكار هـذه القضيـة ، وأن هذا أمر لم نرسم به ولا لنا به علم فتجتهدوا في إمساك ألجيبغا وأستاذ داره تَمِر بغا[٤] وتجهيزهما والكِتاب الذي ادَّعى أنه منا ، وكتب بذلك إلى سـائر نواب الشـام ، فجردت

---

(١) (ق) ، (خ) : « له معه » .

(٢) (ق) ، (خ) : « نهار » .

(٣) (خ) ، (ق) : « جماعة » . وعبارة الوافي : « من عسكر الشام » .

(٤) ستأتي ترجمته .

العساكر إليه ، وربطوا الطرقات عليه ، وسدّوا عليه المنافس . فبلغه الخبر ، فخرج من طرابلس ، وخرج عسكر طرابلس خلفه إلى أن جاء إلى نهر الكلب عند بيروت ، فوجده موعّراً ، والعساكر عنده ، فوقف من الثانية في النهار إلى العصر ، وكرَّ راجعاً ، فوجد العسكر الطرابلسي خلفه ، فواقفوه . ولم يزل إلى أن كلَّ وملَّ وسلَّم نفسه ، فجاؤوا به إلى عسكر الشام .

وكان أياز قد تركه وانفرد عنه ، وقدم العسكر الشامي بالجيبغا ومعه أياز مقيدين ، واعتقلا بقلعة دمشق ، ثم إنهم جهزوا ألجيبغا مقيداً إلى باب السلطان صحبة الأمير سيف الدين باينجار[1] الحاجب ، فوصل من مصر يوم الأربعاء سيف الدين قُجا السلاح دار ، وعلى يده مرسوم السلطان بأن يُوَسَّط ألجيبغا وأياز في سوق الخيل بحضور العساكر ، ويُعَلَّقا على الخشب حتى يقعا من نتنهما[2] .

فلما كان يوم الخميس ركب العسكر الشامي جميعه والأمير شهاب الدين أحمد الساقي نائب صفد ، وأنزلوا ألجيبغا وأياز ، وعُلِّقت أشلاؤهما على الخشب بالحبال والبَكَر على وادي بردى بسوق الخيل ، وذلك في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة ، وتألم بعض الناس على أَلْجَيْبُغا وتحقَّقوا أن أياز غَرّه وحسَّن له ذلك الفعل ، والله يعلم حقيقة الحال .

وكان أَلْجَيْبغا شاباً غضّاً ، طريّاً في شبيبته بَضّاً ، ييس قدّه قضيباً ، ويميل من الصَّبا غصناً رطيباً ، ممشوق القوام ، مرموق الحسن على الدوام ، لَمّا بقل عذاره ، وطرَّ شاربه ، بدا في سماء الحسن كالبدر إذا حفَّت به كواكبه .

وكان عمره يوم وُسّط تسع عشرة سنة . فيا أسفا له كيف ما تورَّع عما فيه تورُّط ، ويا عجباً له في أول شبابه كيف توسَّط ، قدّ السيف أضلاعه قدّاً ، وألبس كافور جسمه

(١) ويقال له : بينجار ، وستأتي ترجمته .

(٢) الخبر مختصراً في المنهل .

برداً من عقيق دمه به تردَّى ، وعُفِّر جسده في الثرى ، وغسِّل بدموع جماعة من الورى ، وظهر له ثبات عند المات ، وقوة جنان أصمت قلوب عداه بالصُّمات بخلاف أياز فإنه أظهر جزعاً شديداً ، وأعلن بالبكاء صوتاً مديداً .

وقلت أنا في ألجيبغا :

لما بغى ألجيبغا واعتلى إلى السهى في ذبح أرغون شاه
قبل انسلاخ الشهر في جلّق عُلِّق من عُرقوبه مثل شاه

٣٢٥ ـ أَلجيبغا*

الأمير سيف الدين العادلي مملوك العادل كتبغا ، من جملة مقدَّمي الألوف والكبار بدمشق .

كان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد أحبَّه في آخر الأمر ، ومال إليه ، واختص به ، فلما أُمسك وحضر بُشتاك إلى دمشق أمسك ألجيبغا العادلي وطيبغا حاجي ، واعتقلهما بقلعة دمشق ، وأقاما في الاعتقال إلى أن مرض السلطان المرضة التي مات فيها فأفرج عنهما ، وأعيدت إليه الإمرة والتقدمة ، وبقي على حاله كبيراً مشيراً .

ولما كانت واقعة أرغون شاه وركوب العسكر لألجيبغا وقع الأمير سيف الدين ألجيبغا العادلي إلى الأرض عن فرسه ، وتعلَّق بالسرج ليركب ، فضربه بعض مماليك ألجيبغا بالطبر[1] أطار يده من نصف زنده .

ولما توجَّه العسكر إلى سنجار كان هو المقدم عليه . ولَمّا توجهت العساكر إلى صفد لمحاصرة أحمد كان هو المقدم عليها . ولَمّا توجَّه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي

---

* الدرر : ٤٠٦/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٤٧/١٤ .

(١) هو الفأس .

إلى جهة[1] مصر في واقعة بيبغاروس جعله في دمشق نائب الغيبة[2] ، وأقام على حاله والملك الصالح في دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن مرض مرضة طوّل فيها ، وزاره الضيف الذي لا يُرد ، والقادم الذي إذا نزل بالملوك لا يُصدّ .

وكانت وفاته في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان كبير الوجه ألحى ، يرى الناظر في محيّاه حُسْناً وملحاً ، طويل القامة ، عظيم الهامة ، له رغبة في اقتناء الخيول الثمينة ، والمغالاة في أثمانها التي هي في الكثرة مكينة .

وله أرب في المتاجر ، ودأب في تحصيل المكاسب التي تبلغ فيها القلوب الحناجر .

يقال : إنه لَمّا توفي رحمه الله تعالى خلّف من جملة متاجره سُكراً قيمته ثمان مئة ألف درهم ، إلى غير ذلك من الأصناف .

٣٢٦ ـ أُلْطُقُصْبا الناصري*

الأمير علم الدين من قدماء أمراء دمشق . أظنه من مماليك الناصر صاحب الشام .

روى عن سبط السِّلَفيّ .

كان شيخاً عاقلاً ، لا يُرى في القيام إلى الخير متثاقلاً ، ساكناً مهيباً ، عارفاً لبيباً ، أصابه زيار[3] في ركبته ، وهو في حصار قلاع الأرمن سكّن حركاته ، وأزاره هلكاته ، فحمل إلى حلب ، ففارق فيها الحياة ، وبكاه حتى الغمام بدموع المياه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

---

(١) ليست في (خ) .

(٢) هو من يحلُّ محلَّ السلطان أو الأمير في أثناء غيابه .

* الوافي : ٩/٣٦٠ ، والمنهل الصافي : ٣/٥٠ .

(٣) هو اللولب والحبل الذي يجذب به المنجنيق حتى ينحطَّ أعلاه ليُرْمى الحجر .

٣٢٧ ـ ألطنبغا*

الأمير علاء الدين الحاجب الناصري .

ولاّه أستاذه الملك الناصر محمد نيابة حلب بعد سَوْدي[١] ، وصل إليها في أوائل شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فعمل بها النيابة على أتمّ ما يكون من الدُّرْبة ، وأحسنِ ما يكون من المعرفة التي يغنَى بها عن الصصامة والحرْبَة ، وعَمَّر بها جامعاً حَسَناً ، متفرداً بالطلاوة والسَّنا .

ولم يزل بها إلى أن أتى إليه الأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار الناصري في المحرَّم سنة سبع وعشرين ، وتوجَّه به إلى مصر ، وورد إلى حلب الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، على ما مَرَّ في ترجمته ، وأقام بمصر في جملة الأمراء الكبار إلى أن مات أرغون ، فأعاده السلطان إلى حلب ثانياً[٢] نائباً ، وفرح به أهل حلب ، وصل إليها في أوائل جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ولم يزل بها إلى أن وقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، فطلبه[٣] السلطان إلى مصر ، فتوجَّه إليها ، وما أقبل السلطان عليه ، وبقي على باب الإصطبل والسلطان يُطْعِم الجوارح بالميدان ، ولم يستحضره حتى فرغ ، وبقي بعد ذلك مقيماً بالقلعة إلى أن حضر تنكز ، وخرج السلطان وتلقاه إلى سرياقوس وبير البيضاء ، على ما يأتي ذكره في ترجمة تنكز ، إن شاء الله تعالى . ولما استقرَّ تنكز بباب السلطان أُخرج الأمير علاء الدين ألطنبغا إلى غزة نائباً .

---

* الوافي : ٣٦١/٩ ، والتحفة : ٢٤٧/٢ ، والدرر : ٤٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٥٣/٣ .

(١) سودي بن عبد الله الناصري ، (ت ٧١٤ هـ) . (المنهل) .

(٢) ليست في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل « فطالبه » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

وبعد شهر ونصف خرج تنكز من مصر إلى الشام عـائـداً ، فلمـا قـارب غزة تلقـاه ألطنبغا ، وضرب له خاماً كبيراً ، وأنزله عنده ، وعمل له طعاماً ، فـأكل منـه ، وأحضر بناته له فتوجع له[١] ، وأقبل عليه لذلك ، وخلع عليه ، وتوجَّه إلى دمشق .

ولم يزل بغزة نائباً إلى أن أمسك السلطان تنكز ، فرسم لألطنبغـا بنيـابـة الشـام ، فحضر إليهـا يـوم الاثنين سـادس المحرم سنـة إحـدى وأربعين وسبـع مئـة[٢] . ودخلهـا والأمير سيف الدين بُشتاك والحاج أرقطاي وبَرْسْبُغـا[٣] وبقيـة الأمراء الـذين كانوا قـد حضروا عقيب إمساك تنكز .

ولم يزل بـدمشق نـائبـاً إلى أن أُمسـك السلطـان المنصور أبو بكر ، وتولَّى الْمُلْـكَ الأشرفُ كجـك ، وتنفس الأمير سيف الـدين طشتمر بسبب خلـع المنصـور ومحـاصرة الناصر أحمد في الكرك ، فخافـه قوصون ، وكان هو القـائم بتلـك الـدولـة ، فـاستوحى الأميرُ ألطنبغـا عليـه ، وكان في نفس ألطنبغـا من طشتمر ، فجرت بينهما مكاتبـات ومراجعات ، وحمل ألطنبغا حظ نفسه عليه زائداً ، فتجهَّز إليه بالعساكر ، وخرج بعـد صلاة الجمعة من الجامع في مطر عظيم إلى الغاية ، والناس يدعون عليه بعـدم السلامـة ؛ لأن عوام دمشق كرهوه كراهة[٤] زائدة ، وكانوا يسبونـه في وجهـه ، ويَـدْعُون عليـه ، ونشب سنـان شَطْفَتِـه[٥] من خلفـه في بعض السقـائف ، فـانكسر ، فتفـاءل لـه النـاس بالشؤم . ولم يزل سائراً إلى سلميّة ، فورد عليه الخبر بأن طشتمر هرب من حلب ، فساق وراءه إلى حلب ، ونهب أمواله وحواصله وذخائره ، وفرقهـا على الأمراء والجنـد نفقـةً ، وعند خـ ـوجه من دمشق حضر إليها الأمير سيف الدين قُطلوبغـا الفخري ، وملكهـا ،

(١) عبارة الوافي : « فتوجع له تنكز » .

(٢) في المنهل : « ولي نيابة دمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) (ق) ، (خ) : « كراهية » .

(٥) الشطفة : شارة ملكيّة تُحمل كما يُحمل اللواء على رأس أمير الجيش .

وبرز إلى خان لاجين ، وقعد هناك بمن معه من العسكر المصري ، وتردّدت الرُّسل بينه وبين ألطنبغا . ومال الفخري على قوصون ، ومال ألطنبغا إليه .

ولم يزل إلى أن حضر ألطنبغا بعسكر الشام وحلب وطرابلس في عُدّة تزيد على خمسة عشر ألف فارس . وتردَّد القضاة الأربع بينهما ، ووقف الصفان ، وطال الأمر ، وكره العسكر الذين معه مُنابذةَ الفخري ، وهلكوا جوعاً ، وألحَّ ألطنبغا ، وأصرَّ على عدم الخروج عن قوصون ، وأقاموا كذلك يومين . ولما كان بكرة النهار الثالث خامر جميعُ العساكر على ألطنبغا ، وتحيزوا إلى الفخري ، وبقي ألطنبغا والحاج أرقطاي والأمير عز الدين المرقبي[1] والأمير علاء الدين طَيْبغا القاسمي[2] والأمير سيف الدين أَسَنْبُغا بن الأبو بكري[3] ، فعند ذلك أدار ألطنبغا رأس فرسه إلى مصر ، وتوجَّه هو والمذكورون[4] على حميّة إلى مصر .

ولما قاربوها جهَّز دواداره قراتمر إلى قوصون يخبره بوصولهم ، فجهَّز إليهم تشاريف وخيولاً ، وبات على أنه يصبح فيركب للتقاهم ، فأمسكه أمراء مصر ، وقيّدوه ، وجهَّزوه إلى إسكندرية ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمته ، وسيَّروا تلقَّوا ألطنبغا[5] ومن معه ، وأطلعوهم القلعة وأخذوا سيوفهم ، وحبسوهم . ثم بعد يومين أو أكثر جهزوهم إلى إسكندرية ، ولم يزالوا هناك إلى مجيء[6] الناصر أحمد من الكرك .

---

(١) واسمه أيدمر ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، ولم نقف له على ترجمة .

(٣) هو أسنبغا بن بكتمر البو بكري (ت ٧٧٧ هـ) ، والدرر : ٣٨٦/١ .

(٤) في الأصل : « المذكورين » سهو .

(٥) كذا في الأصول والوافي ، وعبارة التحفة : « وسيَّروا من تلقَّى ألطنبغا » .

(٦) (ق) ، (خ) : « إلى حين مجيء » ، وعبارة الوافي : « إلى أن جاء » .

وجاءت عساكر الشام ، واستقرَّ أمرُ الناصر أحمد ، فجهَّز الأمير شهاب الدين أحمد بن صبح إلى إسكندرية ، فتولَّى خنق قوصون وبَرْشْبُغا وألطنبغا وغيرهم في الحبس في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، أو في شهر شوال .

ويُحكى أنه ما جزع عند الموت بل توضّأ ، وصلَّى ركعتين ، وقعد ولفَّ ذقنه بيده ، ووضعها في فيه ، واستسلم لوضع الوَتر في حلقه ، وصبر لأمر الله تعالى وقضائه في خلقه ، وبشَّ للذي أتاه ، وخَنَق ، وتلقاه بالرضى من غير حَنَق .

وكان رحمه الله تعالى خبيراً بالأحكام ، طويل الروح على المنازعات والخصام ، قد دَرِب الأمور وجرَّبها ، وعمَّر الوقائع وخَرَّبها ، وباشر الحصارات ، ودخل إلى بلاد سيس[(١)] في الإغارات ، ورتَّب الجيوش وصفَّها ، وقدَّمها وقت الفرصة وعند الخطر كفَّها ، ودخلها مرات يجتلب ما تحويه ويحتلب ، ويجعل عالِيَها سافلها ، والناس قالوا : سيس ما تنقلب .

وكان ألطنبغا[(٢)] رمّاحاً طُبْجيّاً[(٣)] ، يرمي النشاب ، ويلعب بالرمح ، ويضرب الكرة ، وتنقاد له الفروسية في بُرَة[(٤)] ، ولم يرمِ أحد في بيت السلطان جَنْبَه إلى الأرض ، ولا جعل طوله إذا صرعه وهو عَرْض[(٥)] .

وكان لا يدَّخر شيئاً ، ولا يستظل من الجمع فَيئاً[(٦)] ، ولا يعمر له ملكاً ،

(١) هي سيسية ، وأهلها يقولون : سيس ، بين أنطاكية وطرسوس . (معجم البلدان) .
(٢) في الأصول : « أقجبا » ، سهو .
(٣) الطبجي : المدفعي .
(٤) البُرَة : الخلخال وما يُقيَّد به .
(٥) في الأصل : « وعرض » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .
(٦) في الأصل : « فئة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

ولا يُجرى له في المتاجر حيواناً ولا فلكاً ، وانفصلت في أيامه بدور العدل قضايا مرت السنون عليها لظلام أمرها ، وغموض سرِّها ، وخفاء الحقِّ فيها لدقته ، وغلبة الباطل وعموم مشقته ، وموت الخصوم في تمادي الحال وعدم الناصر ، ورؤية المالك ثمار منافعها وباعه عنها قاصر .

وعلى الجملة كان[(١)] فريداً في أبناء جنسه ، مالكاً بالصبر أمر نفسه ؛ إلاّ أن [سفك][(٢)] الدماء عنده أمر هيِّن ، وإزهاق الروح لا يعبأ به بأمر بيِّن أو غير بيِّن ، فلذلك ما رزق سعادة في نيابة دمشق ومنها تعكّس ، وتنكد عيشه وتنكَّس ، ولو قدر الله تعالى له أن يوافق الفخري ويدخل معه ، وينزله القصر ويجلس هو موضعه لكان الفخري عنده ضيفاً . وما سلَّ أحد في وجهه سيفاً ، ولا وجد له[(٣)] من أحد جَنفاً[(٤)] ولا حَيْفا ، ولكن هكذا[(٥)] قدَّر ، وهذه العقبى جزاء ما صَدّر ، فلا قوة إلاّ بالله .

٣٢٨ ـ ألطُنْبُغا*

الأمير علاء الدين المارِدانيّ الساقي الناصري .

أمَّره السلطان مئةً ، وقدَّمه على ألف ، وزوَّجه إحدى بناته ، وهو الذي عمَّر الجامع الذي برّا باب زُويلة عند المرحّليين ، وأنفق على ذلك أموالاً كثيرة ؛ لأنه مرض

---

(١) في الأصل و(ق) : « وكان » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (خ) .
(٢) زيادة من : (ق) ، (خ) .
(٣) ليست في : (ق) ، (خ) .
(٤) الجنف : المَيْل .
(٥) في الأصل : « هذا » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .
* الوافي : ٣٦٤/٩ ، والدرر : ٤٠٩/١ ، وإعلام الورى : ٢٢ ، وخطط المقريزي : ٣٠٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٦٧/٣ .

مرضة شديدة ، طوّل فيها ، وأعيا الأطباءَ شفاؤه ، وأنزله السلطان من القلعة إلى الميدان على البحر ، ومُرِّض هناك قريباً من أربعين يوماً .

وكان ابن المرواني متولّي القاهرة[١] يقف في خدمته ، ويُحضر له كل ما في برّ باب اللّوق من المساخر وأرباب الملاهي وأصحاب الْحَلَق ، وهو يُنعم عليهم بالدراهم والخلع والقماش .

ونزل السلطان إليه مرّات ، وكان الخاصكية ينتابونه جماعة بعد جماعة ، ويبيتون عنده ، وتصدَّق في تلك الأيام بمئة ألف درهم ، وشرع في عمارة الجامع المذكور . وهو أحد الخاصكية المقرَّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي السلطان ، وتولّى الملك المنصور أبو بكر . فيقال : إنه الذي وشى بأمره إلى قوصون ، وقال له : قد عزم على إمساكك ، وجرى ما جرى على ما يذكر في موضعه في ترجمة المنصور أبي بكر .

وكان الأمير علاء الدين ألطنبغا المذكور عند المنصور أعظمَ مما كان عند والده ؛ لأنه جعله مُوْدَع[٢] سرّه .

ولما تولّى الأشرف ، وماج الناس ، وحضر الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري من[٣] الشام ، وجرى ما جرى على ما تقدم في ترجمة ألطنبغا نائب الشام ، وشغّب المصريين على قوصون ، فيقال : إن ألطنبغا المارداني كان أصل ذلك كلّه ، ونزل إلى

---

(١) هو علي بن حسن المرواني ، وستأتي ترجمته . والخبر في المنهل الصافي : ٦٨/٣ .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « موضع » .

(٣) في الوافي : « إلى » .

الأمير علاء الدين أيْدُغْمِش أمير آخور ، واتفق معه على القبض على قوصون ، وطلع إلى قوصون ، وجعل يشاغله ، ويكسّر مجاذيفه عن الحركة إلى بكرة الغد ، وأحضر الأمراء الكبار المشايخ عنده ، وساهره إلى أن نام ، وهو الذي [حطَّ يده][1] في سيف ألطنبغا نائب الشام لما دخل القاهرة قبل الناس كلّهم . ولم يجسر أحد أن يمدَّ يده إليه .

وكان الأمير سيف الدين بهادُر التمُرتاشيّ ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الباء في الأول ، هو آغا ألطنبغا المذكور[2] وهو الذي خرَّجه وربّاه ، ولما بَدَت منه هذه الحركات والإقدامات قويت نفسه عليه ، فوقف فوق التمرتاشي فما حملها منه ، وبقيت في نفسه . ولما ملك الملك الصالح إسماعيل صار الدست كلّه للتمرتاشي ، فعمل على ألطنبغا المذكور ، ولم يدرِ بنفسه إلاّ وقد أُخرج على خمسة أرؤس من خيل البريد إلى حماة نائباً في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة فتوجّه إليها ، وبقي بها نائباً مدة شهرين وأكثر إلى أن توفي أيدغمش نائب الشام ، ونقل الأمير سيف الدين طُقُزْتمر من نيابة حلب إلى نيابة الشام ، ورُسم للأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني بنيابة حلب ، فتوجّه إليها في أول شهر رجب من السنة المذكورة .

وجاء إلى حماة نائباً الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فأقام ألطنبغا في نيابة حلب مدة يسيرة ، وتمرّض وقاسى شدة ، وحضر له طبيب من القاهرة .

ولم يزل إلى أن كان القبر لجوهرته صدفاً ، وراح شخصه لسهام المنايا هدفاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان شاباً طويلاً رقيقاً ، يُدير من أجفانه رحيقاً ، بوجه قد حلا ، ومن العيب

(١) زيادة من : (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .

قد خلا ، وللبدر قد جلا ، ألطف من مرِّ النسيم ، وألذّ[١] ذوقاً من التسنيم ، مُعَشَّق الخطرة إذا خطا ، متأنق الفترة إذا سطا ، كريم الكفِّ ، حكيم الشروع واللَّف ، حَدْسُه صائب ، ونفسه بالصبر تردّ ناب[٢] النوائب ، عقله أكبر من سنِّه ، وأمره يأتي إليه على ما يغلب في ظنه .

وكان أستاذه له يتذلل ، وهو يجفو[٣] عليه ويتدلل ، وبجناحه طار طاجار[٤] ، وأصبح وهو دوادار ، ولكن خانه الزمان ، ولم يؤخذ له من الحوادث أمان :

وقلت أنا لما بلغتني وفاته :

خُذْ منَ العيشِ ما أتاكَ بتقوى ... واغْتَنِمْه مِن قَبلِ صَرفِ الزَّمانِ
وتأمَّلْ بعَينِ فِكْرِكَ لَمّا ... مارَ[٥] داني الفنا إلى الماردانيِ

٣٢٩ ـ ألطنبغا*

الأمير علاء الدين بُرناق ـ بالباء الموحدة والراء والنون والألف والقاف ـ الجاشنكير نائب صفد .

لما خرج أحمد الساقي وهو بصفد على الملك الناصر حسن وعصي بقلعتها رُسم لهذا الأمير علاء الدين بنيابة صفد ، فوصل إليها وهو نائب عزّة[٦] ـ على ما تقدم في ترجمة

(١) في الأصل : « وألف » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « نائب » .
(٣) في الأصل : « يحنو » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .
(٤) في الأصل : « طار » ، ولا وجه لها ، وطاجار هذا هو سيف الدين الدوادار ، وستأتي ترجمته .
(٥) مارَ يمورُ : تحرَّك .
* الدرر : ٤٠٩/١ .
(٦) في الأصل و (ق) : « هو ونائب غزّة » ، وأثبتنا ما في (خ) ، ويؤيدها ما في الدرر من أنه كان نائباً لغزة قبل نيابته لصفد .

أحمد ـ واستقل بالنيابة من أوائل المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن ورد عليه المرسوم بأن يحضر إلى دمشق ، ويكون مع نائبها الأمير سيف الدين أرغون الكاملي في واقعة بيبغاروس ، فوصل إلى سعسع بالعسكر الصفدي ، وكان نائب دمشق قد خرج منها ونزل على الكسوة ، وجهز إليه طلبه ، فوعده بالوصول إليه ، لكنه استحوذ عليه جماعة ثنوا عزمه عن ذلك ، وسوَّلوا له التوجُّه إلى بيبغاروس ، فدخل دمشق ، وشقَّها ، وتوجَّه إليه ، واجتمع به على خان لاجين ، وجاء معه ، ونزلوا على قبة يلبغا ، وأقاموا هناك مدة أربعة وعشرين يوماً ، ولما هرب بيبُغا هرب ألطنبغا المذكور معه في جملة من هرب ، ووصلوا إلى حلب ، وحاصروا أهلها ، فأسر الحلبيون منهم جماعة وفيهم ألطنبغا بُرناق وعلاء الدين ألطنبغا مُشدّ الشراب خاناه والأمير سيف الدين حاجي أخو أحمد الساقي والأمير سيف الدين أسنبغا الرسولي نائب جعبر وعز الدين مهدي مشدّ حلب[1] ، وأسن بك بن خليل الطُّرقي وبهادر الجاموس فيما أظن ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتسلَّمهم الأمير فارس[2] الدين ألبكي أحد مقدَّمي الألوف المصريين ، وأحضرهم إلى دمشق ، واعتقلوا بقلعتها .

ولما كان ثالث شوال طلع السلطان الملك الصالح من القصر إلى قلعة دمشق وجلس في الطّارمة ، واستقبل سوق الخيل ، وأحضر ألطنبغا بُرناق ، وعُصر ، وقرر على أمور ، ثم إن الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز وسائر أمراء مصر والشام نزلوا ووقفوا على باب خان الملك الظاهر ، واستقبلوا السلطان ، وقُدِّم هؤلاء السبعة[3] المذكورون وفيهم برناق ، ووسِّط الجميع ، وعلَّقوا على نهر بردى في ثالث

---

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) (خ) : « سيف » ، سهو .
(٣) (ق) ، (خ) : « الأمراء السبعة » .

شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة[١] ، وكان ذلك في يوم الاثنين ، فسبحان الدائم الباقي بلا زوال ، مقدّر الآجال .

وكان الأمير علاء الدين برناق رجلاً عاقلاً ، ساكناً لا [يرى][٢] قدمه إلى الشرّ ناقلاً ، بعيداً من الظلم ، مفيداً للأناة والحلم ، لم يشكُ منه أحد من رعايا صفد .

وكان يتخوّل[٣] بعضهم بالعطاء والصّفد ، وعمّر بصفد عمارة ، تطل على بحر طبرية كان يستروح فيها ويصعد بمن يؤثره ، ويحبُّ قُرْبَه إلى أعاليها .

وكانت له ابنة يحبّها حبّاً زاد حَدُّه ، ويوّد أن يفرش لها إذا خطت دون الأرض خدّه ، لا يزال قلبه بها معلّقاً ، وخدّه إذا غاب عنها بالدموع مخلّقاً ، يجلس وهي في صدره ، ويُعيذها من الزمان وغدره ، ويجمع لها الذين يعملون الحلق تحت القلعة ، ويصرف لهم لأجلها الخلعة بعد الخلعة .

ولما خرج من صفد ضمّها إلى صدره وودّعها ، وكاد[٤] من الرِّقة عليها أن يخرج كبده ويقطّعها ، وأذرى الدموع دماء وأجراها من الحرقة عندما فارقها عَنْدَما ، وكان ذلك آخر عهدها به[٥] ، ولم تشاهده والسيف قد جدّ في تمزيق إهابه .

وقلت أنا فيه :

لا تَقرَبِ الشَّرَّ إذا ما بَدا ... فَهُو لِنارِ الموتِ حَرّاقُ
فالسَّيفُ قَد فَرّقَ ألطنبغا ... ولَم يفِدْ بُرناقَ تِرياقُ

(١) انظر في هذه الأحداث : البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ ، الذيل التام : ١٢٤ وما بعدها .
(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « يتحول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وقد سقط قوله : « وكان ... والصفد » من (خ) .
(٤) في الأصل : « وكان » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « بها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

٣٣٠ ـ أَلطُنْبُغا*

علاء الدين الجاوَلي .

هو مملوك ابن باخِل[١] . كان عند الأمير علم الدين سَنْجَر الجاوْلي[٢] دواداراً لما كان في غزة أولاً نائباً ، وكان يحبُّه ويدنيه ويقرِّبه ، ويبالغ في الإنعام عليه ، والإحسان إليه .

وكان إقطاعه [عنده][٣] يعمل عشرين ألف درهم خارجاً عمّا يبرّه ، ويعطيه ويأخذه هو من منفوع الدوادارية .

قال لي : امتدحت الأمين[٤] الأمير مرة بقصيدة كانت ستين بيتاً ، فأمر لي لكل بيت بدينار . وقال لي : لو كانت مئة كانت مئة .

أخبرني من أثق بقوله : أنه كان في إصطبله تسعة عشر سَرْجاً زرجونيّاً[٥] .

ولما شُنِّع على الجاولي أن إقطاعات مماليكه ثلاثون ألفاً وعشرون ألفاً راكَ الأخباز[٦] ، وأعطى ألطنبغا المذكور إقطاعاً دون ما كان بيده أولاً ، فتركه ومضى إلى مصر بغير رضى الأمير علم الدين ، فراعى الناس خاطر مخدومه ولم يجسر أحد على أن يستخدمه ، فأقام في مصر مدة زمانية ينفق من حاصله ، ثم حضر إلى صفد ، فأقبل عليه الحاج أرقطاي نائبها إقبالاً كثيراً ، وكتب له مُرَبَّعة[٧] بإقطاع ، وتوجّه بها إلى

* الوافي : ٣٦٦/٩ ، وفوات الوفيات : ٢٠٥/١ ، والدرر : ٤٠٧/١ ، والمنهل الصافي : ٧١/٣ .

(١) هو عماد الدين بن باخل ، كا في حاشية (المنهل) .

(٢) هو سنجر بن عبد الله الجاولي ، أبو سعيد (ت ٧٤٥ هـ) . ذيول العبر : ٢٤٧ .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٤) ليست في (ق) ، (خ) .

(٥) الزرجون : كلمة فارسية تعني لون الذهب .

(٦) راك الشيء : قدّره ، وعرف كم هو .

(٧) المربعات مراسيم مربّعة تكتب في ورق شاميّ من ديوان الخاص لمنح الإقطاعات .

مصر ، فخرج عنه ، فعاد وجاء إلى دمشق وامتدح الأمير سيف الدين تنكز ، ومدح ناصر الدين الدوادار وناصر الدين الخزندار بقصيدة أوّلها :

قد أيَّدَ الرَّحمنُ ملَّةَ أحمد   بالنَّاصِرَيْن محمدٍ ومحمّدِ

فتوسَّطا له عند مخدومها فأعطاه إقطاعاً في حلقة دمشق ، وكان أمره أحد الأسباب التي أوقعت بين تنكز والجاولي ، وبقي ألطنبغا بدمشق مقيماً ، وأُمسك الجاوْلي ، وأقام في الاعتقال مدة ، ولَمّا أُفرِج عنه توجّه إليه[1] ألطنبغا وخدمه مدة ، ثم إنه أخرجه إلى دمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وجعله من جهته مشداً على الوقف المنصوري .

واجتمعتُ به كثيراً بصفد والقاهرة ودمشق ، وبيني وبينه مكاتبات ومجاراة ومطارحات ومباراة ؛ لأنه كان ينظم الدُّرَّ شعراً ، ويُباهي به النَّثْرة والشّعْرَى[2] ، قد جوَّد المقاطيع ، وأبرزها كأزهار الربيع ، ولكن قصائده دوَّنها في الطبقة ، وبروقها ليست في سماء الإجادة مؤتلقة .

وكان يتمذهب للشافعي ، وله اجتماع بالشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل وغيره من فضلاء العصر ، ويبحث جيِّداً ، ولم يكن عن طرائق الفضل متحيداً . وعقيدته للأشعري منسوبة وفي عداد أصحابه محسوبة .

ولما توجَّه معي إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية سال ذهنه إليه ، وأقبل بجملته عليه ، ومال إلى قوله ، ودار من حوله . ثم إنه بعد فراقه تراجع عنه إلاّ بقايا ، وادَّكر غدوات قربه والعشايا .

وكان وجهاً في حسنه بديعاً ، ومحيّا يَذَر قلب ناظره صريعاً ، مديد القامة ، يرخي على بدر وجهه من شعره ظَلامة .

(١) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وما يتفق مع عبارة الوافي .
(٢) كوكبان .

وكان بالكيمياء مُغْرَى ، قد أنفق فيها مالاً ودهراً . وخرج من الدنيا رحمه الله تعالى وهو يرى كفّه صفراً .

وكان صحيحاً وُدّه ، إذا مَنَحك[1] إخلاصه لا يرده ، قلَّ مَنْ صَحِبْتُه فأنصفني مثله في الحضور والغيبة ، لا أسمع منه كلمة جفاء ، ولا يَبْلُغني عنه غِيْبة . ولم يزل شملي به مَجْموعاً ، وقَوْلي عنده ، كما أمْرُه عندي مسموعاً . إلى أن استقى على غير ظما . وصافحه في قَبْره الحورُ وملائكةُ السّما .

وتوفي رحمه الله تعالى بعلّة الاستسقاء في شهر ربيع الأول ، ثامنه ، سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

كَتَبَ إليّ وقد وَرَدْتُ القاهرة[2] سنة ست وثلاثين وسبع مئة :

إليك صلاحَ الدين أُهْدي تحيَّةً ... كَنشرِ عبيرٍ في الجُيُوب إذا فُضَّا
ومِنْ عَجَبي أنَّ الديارَ قريبةٌ ... وما فُزْتُ مِنْكُمْ بالوِدَاد الّذي أرضى
فمِنْ بعدكم قلبي تألَّف بالأسى ... ومِنْ بَعْدكم لم أذرِ نوماً ولا غَمْضا
وإنّي عَلَى العهد الذي تعهدونه ... مقيما أرى حفظ الوداد لكُم فَرْضا[3]
وأقسمَ قلبي لا يقرُّ قرارهُ ... ولا يرعوي حتى يرى بعضُنا بعضا

فكتبتُ أنا الجواب إليه ارتجالاً :

أيا جيرةً قد عُوّدوا الحِلْمَ والإغْضَا ... وَحبُّهُمُ قَدْ مازَجَ الرّوحَ والأَعْضَا
وَحقّكُمُ ما أهملَ العَبْدُ خِدْمَةً ... لَكُمْ وَجَبَتْ لكنّها بَعْد ذا تُقْضَى
أأنسى جَميلاً منكمُ قَدْ ألِفتُهُ ... وَحُسْنَ وِدَادٍ يُشْبِهُ الزَّهَرَ الغَضّا
ولُطفاً يحاكي نَسْمَةَ الروضِ سُحْرَةً ... فإنّ لها في العَاشِق البَسْطَ والقَبْضَا

(١) في الأصل : « ضحك » تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « من القاهرة » .
(٣) (خ) : « مقيم » .

وأيـــام لهـوٍ قَــــدْ تَقَضَّتْ بقُرْبكم … نُـدَاوِي بهـا مِنْ دَهْرِنـا أَنْفُسـاً مَرْضَى
أَلا خففّــــــوا مِنْ عتبكمْ عَنْ مُحبِّكم … فـذَاك ضَعيفٌ لا يُطيـق بـه نَهْضَـا
فـلا بُـدَّ أَنْ يـأتي ويَـذْكُرَ عُـذْرَهُ … فـإنْ تَقْبَلُـوه رحمـةً قَبِّـلَ الأَرْضَـا

وأَنْشَدني يوماً لنفسه :

انهــلّ أدمعهـــــا دُرّاً وفي فمهـــا … دُرٌّ وبَيْنَهما فَرْقٌ وتمثـــــــــــالُ[(١)]
لأنَّ ذا جــــامِــــدٌ في الثغر مُنْتظَم … وذاك مُنتثِرٌ في الخَــــدّ سيّـــالُ[(٢)]

فأنشدته أنا لنفسي :

غـــــانيـــــةٌ في فمهـــا جَــوْهرٌ … بمثلـــه تبكي هــوىً هـــائـــلا
فراحَ ذا في نظمـــــــهِ واقفـــــاً … ولاحَ ذا مـــع نثره ســــائـــلا

وأنشدني لنفسه أيضاً :

وسُــودٍ صَيَّرتْهـــا السُـودُ بيضـــاً … فـلا تَطْلُبْ من الأيـــام بِيْضـــا
فبعــد السّود ترجـو البيضَ ظلمـاً … وقــد سَلَّتْ عليهـــا السـود بِيْضَـا

وأنشدته أنا لنفسي :

عجبتُ لـــدهرٍ سَرّني زمنَ الصِّبـــا … وكــدَّرَ عَيْشي بـالمشيب انتفـاضُـهُ
فبيَّضَ عُمْري من شبــــابي ســـوادُه … وسَـوَّدَ دَهْرِي من مشيبي بيـاضُـهُ

وكتبتُ أنا إليه من صفد وهو بدمشق أتشوّق إليه في سنة ثماني عشرة وسبع مئة من جُملةِ قصيدة :

بـالله يـابـارقـاً من قـاسيـون بَـدَت … أعـلامُـه خـافقـاتٍ في ديَـاجيـه[(٣)]

(١) (خ) : « مدمعها » : وكذا في المنهل .
(٢) في المنهل : « منتشر » .
(٣) في الأصل : « ياقادماً » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) . وفي (خ) : « في نواحيه » .

قِفْ لي بتلكَ الرّبـا إن شئتَ تُسعفني وانْشُـد فـؤادَ شَجٍ قَـدْ عَـزَّ فـاديـه
ونبّـه الـوُرْقَ والظلمـاءُ عـاكِفـةٌ ليـلاً لتحكي نُـواحِي في نَـواحيـه
وخُـذ أحـاديثَ مـا ترويـه من خبرٍ وحالُ جسمي ضنىً إن كنت تحكيـه[١]
وقُـلْ قَضَى نحبَـه العـاني أسىً وجـوىً ومـا قضى مـا ترجّى من أمـانيـه[٢]
كأنمـا مرَّ عَيْشٌ كان غـانيـة تُجلى بكم ولآليهـا ليـاليـه[٣]
أحبـابَنـا إن تمـادى البُعـد واتّصلت أيّـامـه واستقلّت في تراخيـه
فـلا تضنّـوا على المُضْنَى بطيفكم ففيـه للـوَالـه المشتـاق مـا فيـه
يكفيـه أنْ زارَهُ طيفُ الخيـال ولا يكفيـهِ منكمْ بلى والله يكفيـه
فـالصَبُّ إن عـاقت الأيـام مطلَبـهُ يَرضَى بـدُون المنى أو مـا يـدانيـه

٣٣١ ـ ألطنبغا*

الأمير علاء الدين الخازن الشريفي ، أحد الأمراء الأقدمين بالقاهرة .

لمّا كان الأمير سيف الدين أرغون الكاملي على لُـدّ في واقعـة بيبغـاروس ورسم السّلطان الملك الصّالح صَالح للأمير شهاب الدين بن صبح ، نـائب غزّة بنيـابـة صفـد رسم[٤] للأمير علاء الدين ألطنبغا هذا بنيابة غزة ، فحضر إليهـا في شعبـان سنـة ثلاث وخمسين وسَبع مئة ، وأقـام بهـا نـائبـاً إلى أن تُوُفّي يومَ الأربعـاء رابعَ شهر رجب الفرد سنة ست وخمسين وسَبع مئة .

وكان ساكناً عاقلاً وادِعاً ، لا شرَّ فيه ، طلب لبناته راتباً في السَنَة على ميناء يـافـا

---

(١) (ق) : « وحاكِ جسمي » .
(٢) (خ) : « ما تمنّى » .
(٣) (ق) (خ) : « كأنما كان عيش مرّ » .
* الدرر : ١/٤٠٩ .
(٤) في الأصل : « ورسم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

بخمسة آلاف درهم تميزت[١] في ضمانها ، فأُنْعِم عليهنّ بذلك وما لحق التوقيع يجيء إلى دمشق ويُعَلّم عليه نائب الشام ويجهّزه إلى أنْ مات رحمه الله تعالى .

٣٣٢ ـ ألطنقش*

الأمير سيف الدين الجَمَالي أستاذ الدار .

كان من مماليك الأفرم ، ولما توجّه أستاذُه إلى بلاد التتار وحضر هو إلى مصر حبسَه السُلطان الملك الناصر ، ثم إنه أخرجه وأمَّره فيما بعد طبلخاناه ، ثم جعله أستاذ دار صغيراً وأضاف إليه فيما بعد أستاذ داريّة ابنه آنوك[٢] ، وأقام كذلك إلى أن توفي آنوك وتوفي السُلطان .

ثم توفي هو رحمه الله تعالى بالقاهرة في سادس عشري شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسَبع مئة .

وكان جيداً مشكوراً ، وهو خال الأمير صلاح الدين إيدُغْدي الحاجب[٣] بالشام وَأخَويه .

٣٣٣ ـ أَلِلْمِش**

بفتح الهمزة ، وكسر اللام الأولى ، وسكون اللام[٤] الثانية ، وكسر الميم ، وبعدها شين معجمة .

---

(١) (خ) : « وتميزت » .

* الدرر : ٤١٠/١ ، وفيه : « الطنفش » .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) لم نقف على ترجمته .

** الوافي : ٣٧٠/٩ ، والتحفة : ٢٥٦/٢ ، والدرر : ٤١٠/١ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٣ .

(٤) ليست في (خ) .

الأمير سيف الدين الحاجب ، كان الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - قد جَهَّزَهُ إلى جَعْبَر نائباً ، ثمّ إنّه كتبَ فيه وجَعله أمير حَاجب ، فكان حاجباً كبيراً[1] في آخر أيام تنكز ، وأمسِكَ وهو أمير حاجب .

كان حسن الشكل ذا مَهَابة ، سديد الرأي كثير[2] الإصابة ، مُدَوَّر الوجه حُلْواً ، مملوءاً من العقل ، ومن الكِبْر خِلْوا ، فيه سُكُون ووقار ، وحشمة يشكو الناس منها الافتقار .

ولم يزل على حاله في وظيفته[3] إلى أن حَصَلَ له استسقاء أظمأه إلى الحياه ، وأماته بحسرة نظر المياه . وقد كان توجّه إلى حُولة بانياس ، فمات رحمه الله تعالى هناك وحُمِلَ إلى دمشق وصُلّي عليه في يوم الأربعاء عُشْري ذي القعدة سَنة ست وأربعين وسبع مئة .

٣٣٤ - أَلْماس*

بفتح الهمزة ، وسكون اللام ، وبَعْدَ الميم ألف وسين مهملة . الأمير سيف الدين أمير حاجب الناصري .

كان من أكبر مماليك أستاذه ، ولّما أُخرج الأمير سيف الدين أرغون الدوادار إلى

(١) في الأصل : « فكان حاجبنا » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « كبير » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « وظيفتيه » ، وأثبتنا مافي : (ق) ، (خ) .
* الوافي : ٣٧٠/٩ ، والدرر : ٤١٠/١ ، وضبط مافي مطبوعة الوافي - ظبط قلم - بالضمّ . والمنهل الصافي : ٨٩/٣ ، وفيه : « قلت : وأُلْماس ، بضم الهمزة ، ولام ساكنة ، وميم مفتوحة ، وألف بعدها وسين مهملة ، ومعناه بالتركية : ما يموت » .

نيابة حلب ـ على ما تقدم في ترجمته ـ وبقي منصب النيابة فارغاً منه عظمت منزلة ألماس ، وصار هو في منزلة النيابة ، خلا أنه ما يسمّى نائباً ، يركب الأمراء الكبار والصغار ، وينزلون في خدمته ، ويجلس في باب القلّة[١] في منزلة النائب ، والحُجّابُ وقوفٌ بين يديه . ولم يزل مقدّماً معظماً إلى أن توجه السُلطان إلى الحجاز سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فتركه في القَلْعَة هو والأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، والأمير سيف الدين أقْبُغا عبد الواحد[٢] والأمير سيف الدين طَشْتُمُر حِمّص اَخْضَر ، هؤلاء الأربعة لا غير ، وبقية الأمراء إما معه[٣] في الحجاز وإمّا أنّهم في إقطاعاتهم ، وأمَرَهم أن لا يدخلوا القاهرة حتى يحضر من الحجاز .

ولّما حضر[٤] من الحجاز نقم عليه أمَراً ما صبر عليه ، فأمسَكه إمّا في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وإمّا في أواخر سنة ثلاث وثلاثين ، الصّحيح أنه في عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وأودعه في الاعتقال في بيت أقبغا عبد الواحد ، وبقي ثلاثةَ أيام ، ودخل في العَدم ، وتخضّب السيفُ منه بدَم .

وأمّا أخوه الأمير سيف الدين قَرَا فإنّه قُتِل بالسيف لوقته صَبْرَا ، فأُخذت أموالُ ألْماس وجميعُ مَوْجُوده وموجودِ أقاربه ، وأُخرج أقاربه إلى الشام وفُرِّقُوا .

يقال إن السلطان لما مات بَكْتُمر في طريق الحجاز ـ على ما يأتي ذِكْرُه إن شاء الله تعالى ـ احتاط على موجوده ، وكان في جُملة ذلك حَرَمْدان[٥] ، فأخذه السّلطان

---

(١) كذا في الأصول ، وفي الوافي والمنهل : « القلعة » .
(٢) في الوافي : « أقبغا الأوحدي » . وكذلك في المنهل .
(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٤) (ق) : « قدم » .
(٥) في المنهل : « جزدان » .

وأَوْدَعَه لبعض الجمداريّة ، ثم لمّا وصَل قلعة الجبل واطمأنّ ذَكرهُ السُلطان فأَحضره فوجد ممّا فيه جَوابَ الأمير سيف الدين ألماس إلى الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي ، وفيه : إنني حافظ القلعة إلى أنْ يَرِدَ عليَّ مِنْكَ ما أَعْتَمِدُه ، فكان ذلك سَببَ قَتْله ، والله أعلم .

وكان ألماس أسْمَرَ طُوَالاً من الرجال ، فيه ثباتُ الشيوخ وخِفّة الشباب العِجَال غُتْمِيّاً[1] لا يَفْهم شيئاً بالعربيّ ، ساذَجاً يجلس في بيته فوق لُبّاد على ما اعتاد ورَبي . وكان أوّلا يباري السَّحاب بكرمه ، ويؤوي الناس إلى حَرَمه ، ولكنّه فَهِمَ عن السُلطان أنّ ذلك ما يعجبه ولا يراه ، فيقول به ويوجبه ، فتظاهر بعد ذلك بالخِسَّه ، وكابَرَ فيه حِسَّه ، إلى أن شاع ذاك وذاع ، وملأ به الْمُدُنَ والبقاع . إلاّ أنه كان يَغْمِر المِلْكَ بخمسة عشر ألف درهم وأكثر ، ويَهَبْه لبعض مماليكه ، وهو الذي عمّر الجامع المليح الذي بظاهِر القاهرة في الشارع عند حَدَرة البقر ، وفيه رخام مليح فائق ، وعمّر إلى جانبه هناك قاعة تأنّق[2] فيها ، وكان الرخام يُحمل إليه من جزائر البحر وبلاد الروم ومن الشام ، ومن كل مكان ، ولمّا أُمْسِك وجدوا له أموالاً عظيمة تُكاثر النجوم في اللّيلة الداجنة البهيمَة .

٣٣٥ ـ أَلْمِلِك*

بفتح الهمزة ، وسكون اللام ، وفتح الميم ، وكَسْرِ اللاّم الثانية وبعدها كاف .

الأمير سيف الدين الحاج من كبار الأمراء المشايخ رُؤوس مشايخ المشور[3] في أيام السُلطان الملك الناصر ، تَرَدَّد في الرُسْلِيّة بين الملك المظفر وبين الملك الناصر وهو في

---

(١) الغُتمة : العجمة ، ورجل أغتم : لا يُفصح .

(٢) في الأصل : « تألق » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٣٧٢/٩ ، والدرر : ٤١١/١ ، وخطط المقريزي : ٣١٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٨٥/٣ ، وفيه : « آل مَلْك بن عبد الله » .

(٣) في المنهل : « المشورة » .

الكرك ، فأعجبه عَقْلُه وتأتّيه ، وسَيَّر إليهم يقول : لا يعود يجيء إليّ[١] رسولاً غَيْرُ هذا ، فلمّا قدم مصر عظَّمَهُ .

ولم يزل كبيراً مُوَقراً مُبَجّلاً ، عمّر بالْحُسَينيّة جامعاً مليحاً إلى الغاية ، وله دار عظمى مليحة عند مشهد الْحُسين - رضي الله عنه - داخلَ القاهرة ، ومسجدٌ حَسَنٌ إلى جانبها .

خرّج له شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي (مَشْيَخةً) ، وقرئت عليه مرّاتٍ وهو جالس في شبّاك النيابة[٢] بقلعة الجبل .

ولما تولى الملك الناصر أحمد أَخْرَجه إلى نيابة حماة ، فحضر إليها وأقام بها إلى أن تولّى الملك الصّالح إسماعيل ، فأقدمَه إلى مصر وأقام بها على حاله الأولى .

ولما أُمسك آقسُنقر السَلاّري - نائب مصر المقدَّم ذِكْرهُ - ولاّه النيابةَ مكانَه ، فشَدَّدَ في الخمر إلى الغاية ، وحَدّ الناسَ عليها وَجَنَّاهم[٣] ، وهَدَم خزانة البنُود[٤] ، وأراق خُمورها وبناها مَسْجداً وحَكرها للناس فعمّروها دوراً[٥] ، وأَمْسَك الزمام زَماناً ، وكان يجلسُ للحكم في الشّباك طولَ نهارِه لا يَمَلُّ من ذلك ولا يسأَمُ[٦] ، ويَرُوح أصحابُ الوظائف ولا يبقى عنده إلا النقباء البَطالة .

وكان له في قلوب الناس مهابةٌ وحُرْمَةٌ ، إلى أن تولّى السلطان الملك الكامل شعبان فأخرجه أوّلَ سَلطنته إلى دمشق نائباً عِوَضاً عن الأمير سيف الدين طُقُزْتَمر ، فلمّا كان في أول الطريق حَضَرَ إليه مَنْ قالَ له : الشامُ بلا نائب ، فَسُق لتلحقه .

(١) عبارة الوافي : « يجيئني » .
(٢) المعروف أن الكافل للحكم - إذا كان - ثم النائب ، هو الذي يجلس بدار النيابة . (صبح الأعشى) .
(٣) في المنهل : « وجفاهم » .
(٤) هي خزانة الرايات أو العصائب السلطانية ، وكانت ملاصقة للقصر الكبير .
(٥) قوله : « وحكرها ... دوراً » ليس في (خ) ، والوافي .
(٦) ليس في (خ) .

فخفَّفَ مِنْ جَماعته وَسَاق في جماعةٍ قليلةٍ ، فحضر إليـه مَنْ أَخَـذه وتوجَّـهَ بـه إلى صفـدَ نائباً ، فدخلها في أواخر[(١)] شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة . ثم إنه أُرْجَف النـاسُ أنـه بَـاطَنَ[(٢)] الأمير سيف الـدين قُمَـاري[(٣)] نـائب طرابلس على الهروب أو الخروج[(٤)] على السلطان ، فحضر مِنْ مصر مَنْ كَشَفَ الأمرَ ، وسأل هو التوجُّـهَ إلى مصرَ فَرُسِمَ له بذلك ، فتَوجّه . فلما وَصَل غزةَ أمسكـه نـائبهـا الأمير سيف الـدين أَرَاق[(٥)] ، وجُهّز إلى إسكندريّـة في أواخر سنـة ست وأربعين وسَبع مئـة ، وكان ذلـك آخر العهـد به .

وكانَ خيّراً فيه دينٌ ، وعبـادة نُورهـا على الجبين ، يميل إلى أهل الخير والصّلاح ، ويتخـذ من أدعيتهم السـلاح ، وكان بَرْكُـه مِنْ أحسن مـا يكـون ، وخَيْلُـهُ تكاد[(٦)] إذا جَرَت[(٧)] ترمي الرياح بالسُّكون ، وكان يقولُ : كلُّ أميرٍ لا يقيمُ رُمْحَهُ ويسكب الذَّهبَ إلى أن يُساوي السّنانَ ما هو أمير .

وقلت أنا فيه :

أَلْمَلِـكُ الحَـاجُّ غـدا سعـدُهُ ... يمـلأُ ظَهْرَ الأرض مهما سَلَـكْ
فـالأُمرا مِنْ دونـه سـوقـة ... والملـك الظـاهرُ لي أَلْمَلِـكْ[(٨)]

---

(١) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) (خ) (ق) : « قد باطن » وكذا في المنهل ، وعبارة الوافي : « به أنّه قد باطن » .

(٣) قماري بن عبد الله الناصري (ت ٧٤٧ هـ) .

(٤) في الأصل : « الحروب » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والمنهل .

(٥) أراق بن عبد الله الفتاح ، ترجمته في الوافي : ٣٣٢/٨ ، ولم يذكر سنة وفاته . وفي المنهل : ٢٨٩/٢ وفيه وفاته (٧٤٧ هـ) .

(٦) ليست في (خ) .

(٧) في الأصل : « جرّدت » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٨) في المنهل : « هو آل ملك » .

٣٣٦ ـ أَلْنَاق*

الأمير سيف الدين الناصري ، كان أميراً من جملة أمَراء دمشق يسكن بقرب مسجد الصّفيّ[1] بالعُقَيْبة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد منتصف صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

٣٣٧ ـ أميرَان**

الأمير الشيخ عزّ الدين ، مِنْ بيت الشيخ عَدِيّ بن مُسَافر[2] .

ورد إلى بلاد الشام فأَكْرَمت الدولةُ الناصريّة نُزُلَهُ وعظَّمَتْ مَثْوَاه ، وأُعطِي بدمشق إمْرَةً ، فأقام بها مُدّةً ، ثم أقام بصفَد مُدّة ، ثم عاد إلى دمشق وتَرَك الإمرَة وآثر الانقطاعَ ، وأقام بالمِزّةِ ، وكانت الأكرادُ تَأْتيه من كل قُطْر ، وتَفِدُ عليه مِنْ كلّ فَجٍّ بصفايا أموالِها ونفائسِ ما عِنْدَها تَقَرُّباً إليه . ثم إنّ الأكرادَ المشارقةَ أرادوا الخروجَ على السُلطانِ ، وباعُوا أموالَهم بالهوان ، واشتَرَوا بها أسلحة وخَيْلاً ، ووعدوا رجالاً ممن تَبِعَهُم بالنيابات الكبار ، وكان هو قد نزل بأرض اللَّجُون مِنْ مَرْج بني عامر بصفد ، وبَلغَ السُلطانَ الملك الناصر أنّهم لم يُؤْذُوا أحداً في نفسٍ ولا مالٍ ، فكتب إلى الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ بكشفِ أحوالِهم ، وأَمْسَك السُلطان مَنْ كان بالزاوية العَدويّة بالقَرَافة منهم ، ودَرَّك على أمير طبر ، واختلفت الأخبار عنهم ، فقيل : إنّهم يُريدون سَلطنةَ مِصْرَ ، وقيل : بل يريدون مُلْكَ اليمن . وقلق السُلطان مِنْ أمرهم وأهمَّه ذلك ، فتقدم الأمير سيف الدين تنكز بإحضار الأمير عز الدين

* لم نقف على ترجمة له .

(١) ذكره صاحب الدارس : ٤٠٨/١ .

** الدرر : ٤١٤/١ .

(٢) الهكاري ، من ذريّة مروان بن الحكم ، تنسب إليه الطائفة العدويّة المتصوّفة (ت ٥٥٧) . السير : ٣٤٢/٢٠ .

أَمِيرَان المذكور ، فأُمْسِكَ وأُحضر إليه ، فقال له : أَيْش هذا الذي يفعلُه هؤلاء الأكراد ؟ فقال : يا خوند هذا شيء تخيّلوه في نفوسهم ، فقال له : لأي شيء ما تَمْنَعُهم من هذا ؟ فقال : يا خوند ، هؤلاء يسجدون لي ولغيري مِنْ أهل بيتنا ، لو قلتُ لهم ما عسى أن أقوله ما يسمعونه ، ولكن يا خوند حُطني في هذه القلعة وقد تَفَلَّل جَمْعهم[١] ، فعَلِم تنكز أن الذي يقولُه حَقّ ، فطلع به إلى القلعة ، وطالع السّلطانَ بأمره فانفلّ أمرهم وتفرقوا شَذَر مَذَر ، وتمزّقوا أيدي سَبَأ ، وكان الأكراد يجيؤون بعد ذلك إلى البُرج الذي فيه الأمير عز االدين ويسجدون له[٢] .

ولم يكن لهم بلاغٌ ولا معاش ، إلاّ أنهم يَجلبون المُحمّضات من الأُتْرجّ واللّيمون والكَبّاد ، وغير ذلك من بانياس والأغوار ، وأقصاب السّكر على ظهورهم ، ويَبيعون ذلك بدمشق ، فرخُصَ هذا كلُّه بدمشق في تلك المدة .

وكان طلبه وحبسُه في سَنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وكان الأمير[٣] عز الدين المذكور [من][٤] أحسن الأشكال وأتمّها ، وأصبح الوجوه وأحلاها .

٣٣٨ ـ أمير كاتب*

ابن أمير عُمَر العميد بن العميد أمير غازي ، الشيخ الإمامَ العلاّمة قوام الدين أبو حنيفة الفارابي الأَتْقَاني[٥] ـ بهمزة مفتوحة وتاءٍ ثالثة الحروف ساكنة وقافٍ بعدها ألفٌ ونون ـ الحنفي .

(١) كذا ، وهي ضعيفة ، وعبارة الدرر : حطني في القلعة يتفلّلْ جمعهم ، وهي أصحّ .

(٢) مطموسة في الأصل ثابتة في (ق) والدرر .

(٣) في الأصل : « الأفرم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (ق) .

* الدرر : ٤١٤/١ ، ووفيات ابن رافع : ٣٤٥/١ ، والذيل التام : ١٥٨ ، والبدر الطالع : ١٥٨/١ ، وذيل العبر : ٣١٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٥/١٠ ، والشذرات : ١٨٥/٦ ، والمنهل الصافي : ١٠١/٣ .

(٥) سينقل المؤلف كلام أمير كاتب عن فاراب بعد قليل .

كان قيّماً بمذهب أبي حنيفة شديدَ التعصب على الشافعية ، متظاهراً بالغَضّ منهم وبالطعن عَلَيهم ، يَوَدُّ لو حكم فيهم أو حُكّم في تَلافِهم دون تلافيهم ، لا تأخذه فيهم لَوْمةُ لائم ، ويتمنّى لَوْ ناحَت على مدارسهم الحمائم ، واجتَهدَ في ذاك بالشام وما أفاد ودخل مِصْرَ [وهو مُصِرٌّ][١] على ما عِنْدَه من العناد ، وعمل على قَذْفِهم وقَلْعهم بالقُلَع والمِقْذَاف وطاف عليهم بكؤوسِ خمرٍ خمَرها بالسُّم ودَاف[٢] ، فكفاهم اللهُ محذورَه ، وجعل اللهُ واقعتهم معه على مرّ الأيام مأثوره ، وبدّلَ بِغَيْظه فيهم سُرورَه ، وعكس ما دبرّه فيهم ، ﴿ واللهُ مُتِمٌّ نُورَه ﴾[٣] .

وكان شديدَ الإعجاب بنفسه ، يجيء بالتعظيم من حَسّه وبَسّه ، يظن أن إمَامَه رضي الله عنه لو رآه لجعله أمَامَه ، وأنّ أبا يوسف كان يتأسّف إذا سمع كلامه ، وأنَّ زفر[٤] له زَفراتٍ على لُقيّه وأنّ محمّد بن الحسن ما يُحسن الوصولَ إلى رُقِيِّه ، إلا أنّه شرح الأَخْسيكَثِي[٥] وعُمْرُه دون الثلاثين شرحاً جيداً يُثْني عليه فقهاء مذهبه ويُعَظّمونه ، وكان عارفاً بالعربية واللغة ، قال في آخر شرح الأخسيكثي إنه فرغ منه بتُسْتَر[٦] سنة ست عشرة وسبع مئة ، وقال قبل هذا : فلو كان الأسلافُ في حياةٍ لقال أبو حنيفة : اجتهدتَ ، ولقال أبو يوسف : نارَ البيانِ أوقدت ، ولقال مُحَمَّد : أحسنت ، ولقال زفر : أتقنّت[٧] ، ولقال الحسن : أمْعَنْتَ ، ولقال أبو حفص : أنعمت فيا نظرت ،

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والدرر .

(٢) الدوف : الخلط .

(٣) الصف : ٦١/٨ .

(٤) هو زفر بن الهذيل بن قيس العنبري ، أبو هذيل ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة (ت ١٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٤٣/١ .

(٥) محمد بن محمد بن عمر ، حسام الدين فقيه حنفي (ت ٦٤٤ هـ) له : المنتخب في أصول المذهب ، ويعرف بالمنتخب الحسامي ، وقد شرحه غير واحد ، منهم : شرح الأتقاني ، واسمه : التبيين . الكشف : ١٨٤٨/٢ .

(٦) تُسْتَر : مدينة عظيمة بخوزستان . معجم البلدان ٢٩/٢ .

(٧) في الأصل : « تفننت » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والدرر .

ولقال أبو منصور : حققت ، ولقال الطحاوي : صدقت ، ولقال الكرخيّ : بورك فيما نطقت ، ولقال الجصّاص : أحكمت . ولقال القاضي أبو زيد : أصبت . ولقال شمس الأئمة : وجَدت ما[1] طَلَبْت ، ولقال فخر الإسلام : مهرت ، ولقال نجم الدين النَسفيّ : بهرت . ولقال صاحبُ الهداية : يا غوّاصُ ، البحرَ عَبَرتْ ، ولقال صَاحبُ المحيط : فقت فيما أعلنت وأسررت : إلى غير ذلك من كبرائنا الذين لا يحصى عَدَدُهم . ولقال المتنبيّ : أنتَ من فصحاءِ عبارتهم :

مسكيّة النفحات إلاّ أنها ... وحشيّة بسواهم لا تَعبَقُ[2]

تم ما قاله .

ولم يزل القوام إلى أنْ مال عليه الحَيْن بكَلكلِه ، وأصبح الأتقاني وقد تهدّم من الحفر منزله[3] .

وتوفيّ بالقاهرة رحمه الله تعالى يوم السبت حادي عُشْرَيّ شوّال سنة ثمان وخمسين وسَبع مئة .

وكان لمّا قَدِمَ دمشقَ اجتمع بنائبها الأمير سيف الدين يَلبُغا ـ رحمه الله تعالى ـ وداخَلَهُ واختصَّ به ، وذَكَرَ له مَسْألةَ رفع اليدين في الصلاة ، وادّعى بطلانَ الصلاة ، فقام في دفاعه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ وهّى ما قاله وأفسده ، واستدل على بطلان دعواه ، فرجع الأمير سيف الدين يلبُغا بعد ما كان قد شُرِّبت أَعضاؤه ذلك ، ثم إنه طُلِبَ إلى مصر وراح ، فراج عند الأمير سيف الدين صرغتمش وعظّمَه ، وبنى له مدرستَه[4] بالقاهرة ، وولاّه تدريسها ، وكان قد قام في

---

(١) في الأصل : « فيما » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

(٢) ديوانه ٢/٣٣٨ .

(٣) (ق) ، (خ) : « من الحياة ركن منزله » .

(٤) (خ) : « مدرسة » . وفي المنهل : « وبنى له مدرسة بالصليبة معروفة بصرغتمش المذكور .

أيام الملك الصّالح صَالح على الشافعيّة ، وسَعى في إبطال المذهب من رأس ، وكاد ذلك يتم ، إلاّ أنَّ الله تعالى أعان بلطفه ، ومَنّ بإخمادِ نارِه .

وأخبرني من أثق به أنه كان يأكلُ في كل يومِ أوقيّة فُوم ، وكان يأكل من الزنجبيل شيئاً كثيراً إلى الغاية .

ونقلتُ من خَطّه ماصورتُه : تاريخ قدومنا دمشقَ في الكَرَّةِ الثانية في العاشر من شهر رجب سنة سَبع وأربعين وسَبع مئة ، ثم لبثنا ثَمَّة إلى أن خرجنا منها في ثامن صفر يوم السبت من سنة إحدى وخمسين وسَبع مئة ، وقدمنا مِصْرَ يوم الاثنين ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، قال العبد الفقير إلى الله تعالى أمير كاتب بن أمير عمر المدعوّ بقوام الفارابي الأَتْقَاني : كان تاريخ ولادتي بَأَتْقَان ليلةَ السبت التاسع عشر من شوال سنة خمس وثمانين وستّ مئة ، وفاراب مدينة عظيمة من مدائن الترك تسمى بلسان العوام : أوتراد ، وأتقان اسمٌ لقصبة من قصَبَاتها ، هذا ما أنشأً[1] في أيام دولة السُلطان مالك رقاب الأمم مولى مُلوك العرب والعجم قاهر الكفرة والمشركين ، ناصر الإسلام والمسلمين ، سلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك الناصر بن الناصر ابن الملك المنصور حسن بن محمد بن قلاوون ، خلّد الله ملكه ونوّر مرقد آبائه السَلاطين في مدح المَقرّ العالي المجاهد المؤيّد المظفرّ ذي اليُمنِ والبركات ، والخير والمبرّات ، فريد الدهر وحيد العصر سيف الدين سُيرغتمش[2] أدامَهُ الله في عافيةٍ وافية حين تمّ بناء مدرسته المخصوصة بالحنفيّة بالقاهرة المعزيّة في جمادى الأولى سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، وكان ابتداء العِمَارة في خامس رمضان سنة ست وخمسين وسَبع مئة ، الضّعيفُ أبو حنيفة قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر العميد بن العميد أمير غازي الفارابي الأَتقاني يوم أُجْلِسَ فيها مُدَرِّساً بحضورِ القضاة الأَربعة وجميع أمراء

(١) الأشبه : « ما أنشأه » ، فحذف العائد ، وفاعل (أنشأ) هو قوله فيما بعد : « الضعيف أبو حنيفة » .

(٢) ستأتي ترجمته .

الدّولة مثل المقرّ العالي شيخو ، وحاجب الحجاب طشتمر القاسِمي[١] . وتوقاي الدوادار وغيرهم في الساعة الثالثة من يوم الثلاثاء التاسع من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، والقمر في السُنبلة ، والزهرة في الأوج ، وكان تثليث المشتري والقمر :

أرأيتم مَنْ دَرَأ النُّوَبَا ... وأتى قُرَباً ونفى رِيَبَا
فبدا عَلَماً وسَمَا كَرَماً ... ونَمَا قَدَماً ولَقَدْ غَلَبا
بتُقى وهُدَى ونَدى وَجَدا ... فغدا وشَدَا وجَبى وحَبَا
أَبدى سَنَناً أحيا سُنناً ... حلّى زمناً عند الأُرَبَا[٢]
هذاك سُيرغتْمشْ سَكَبت ... أيّامُ أمارته السُحُبَا
وأزال الجَدْبَ إلى خَصْبٍ ... والضّنْكَ إلى رَغَدٍ قَلَبَا
بإعانةِ جبّارٍ بَرٍّ ... ذي العرش وقد بذل النَشَبا
ملكٌ فَطنٌ ركن لسنٌ ... حَسَن بَسَنٌ ربّى الأدبا
ملكُ الكبرا ملكُ الأمرا ... ملكُ العُلما ملكُ الأُدبا
بحرٌ طامٍ طَوْدٌ سَامٍ ... غَيْثٌ هَامٍ حامي الغُرَبا
بسياستِه وحَمَاستِه ... وسَماحته جَلّى الكُرَبَا
وصيانَته وديانته ... وأمانته حاز الرُّتبا
أبهى أصلاً أسنى نَسْلاً ... أحظى خَصْلاً بذّ العربا
نِعْمَ المأوى مِصرٌ لَمَّا ... شَملت قَوْماً قيلاً نُجُبا
فنَمت نَوْراً وسَمَت نُوْراً ... وعَلَت دُوراً وأرت طَرَبَا
نسَقت دُوْراً وسقت دُرَراً ... ووَعَت غُرَراً وحَوَت أَرَبَا[٣]
وخْطَاء به افتخرت ونَمَت ... وسَمَت وزَرَت وحوت أدبا[٤]

(١) (ت ٧٥٩ هـ) ، الدرر : ٢/٢٢٠ ، وفيه : « القاس » ، تحريف ، والذيل التام : ١٦٤ .
(٢) في المنهل : « صلى زمناً عند الأدباء » .
(٣) (ق) : « نسقت دُرَراً ، وسقت دِرراً » ، والدِرّة : اللبن .
(٤) كذا ، والوخط : الشيب . وفي الأصل : « أربا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

خُـذْ دُرّ ثنـا ثم اجْنِ جنى منهـا ومُنىً فتعي طلبَـا
من كان عَنَى نَسبي علنـاً فـارابُ لنـا نِعْمتَ نسَبَـا
كنـوُّن أبـاً لحنيفـةَ ثُمْـ مَ قـوام الـدين بَـدَا لَقَبَـا
عِش في رجبٍ تَرَ مِنْ عجبٍ من منتجب عجبـاً عَجَبَـا

وأعطاني المقرّ العَالي سُيرغتمش أيّده اللهُ جـائزةَ هـذه القصيـدة يوم أنشـدتها عشرة آلاف درهم ، ومَلأً يوم الدرس بِرْكةَ المدرسةِ بالسُكّر وماءِ الليمون فسقى بـذلـك النـاسَ أجمعين ، وخَلَع عليّ بعد الدرس خلعتين إحداهما فروُ السنجاب ، ظَهـارتـه صُوف أبيض وكفْتُه قندز ، والأخرى فرجيّ من صُوف زيتي ، وخلع على ابني هُمَام الدين أيضاً ، ثم لَمّا خرجتُ من المـدرسـة حملني على بغلـةٍ شهبـاء مشتراهـا ثلاثـة آلاف درهم مع السَرج المُفَصَّص واللجام ، كان اليوم يوماً يؤرخ ، فيالها قصّةً في شرحها طُول .

تَمَّ ما نقلتُه من خطـه رحمـه الله تعـالى ، وتوفي في التـاريخ المـذكور ، ومـا أفـاده الطالع الذي تخيَّره لجلوس الدرس شيئاً ، بل كانت المدّةُ ستة عشر شهراً .

الألقاب والأنساب

أمين الملك :

☆ **الصاحب أمين الدين :** عبد الله ابن تاج الرئاسة .

☆ **الصاحب تاج الدين بن أمين الدين ، المقدم ذكره :** أحمد بن عبد الله .

☆ **أمين الدين ناظر الجيش كاتب طشتمر :** إبراهيم بن يوسف .

☆ إمام المقام : إبراهيم بن محمد بن إمام المشهد المحتسب محمّد بن علي .

الآمِلي :

☆ **عبد الكريم** .

☆ **ابن الأميوطي قاضي الكرك :** محمّد بن أحمد أمير سلاح بكتاش .

الأمشاطي :

☆ **الأديب :** أحمد بن عثمان .

٣٣٩ ـ أنَّاق*

الأمير سيف الدين الناصري ، أحد الأمراء بالديار المصريّة ، تزوج ابنة الأمير سيف الدين أرغون النائب .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شهر رمضان سنة [ست][1] وثلاثين وسبع مئة ، وكانت زوجته قد توفيت قَبلَهُ بشهر واحد .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن الأنباري شيخ المُستنصريّة ببغداد :** عبد الله بن أبي السعادات .

☆ **الأَنْدَرَشي أبو العَبّاس :** أحمد بن سَعدٍ النحوي .

٣٤٠ ـ أنَسُ بن كتبغا**

الملك المجاهد ابن السُلطان الملك العادل كتبغا المنصُوري .

كان مليحَ الشَّكْل شجاعاً ، بطلاً في الحروب نَفّاعاً ، عليه مهابة وَوَقار ، وله جلالة الملك مع بعض افتقار . كان السلطان الملك الناصر يحبُّه ويعظّمُه ويُجلّه

* الدرر : ٤١٦/١ .

(١) زيادة من (ق) يقتضيها السياق .

** الدرر : ٤١٧/١ .

ويُقَدِّمه ، وإذا حضر إليه قام لَهُ ورَحَّبَ به ، وبالبِشْر قابله وأخذ بيده وأجلَسَه إلى جانبه ، وربّما قدّم له بَعْضَ مراكبه ، إلا أنه كان قد عَمِيَ ، وبرد حَظه بعدما حَمي .

ولم يزل على حاله إلى أن ابتلعَهُ الجَدَث ، وأخذه ما قَدُمَ ومَا حَدَث .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر المحرّم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وقد تجاوز الخمسين ، وكانت جنازته مشهودة ، ودفن بالقرافة في[1] تربتهم .

٣٤١ ـ أَنَص*

بفتح الهمزة والنون وبعدها صاد مهملة . الأمير سيف الدين النائب بثغر بَهَسْنَى[2] .

لَمَّا توجه الأمير بدر الدين أمير[3] مسعود بن الخطير إلى نيابة طرابلس في نوبة الأمير سيف الدين يلبُغا اليَحيَوي رُسم للأمير سيف الدين أَنَص بنيابة غزة[4] مكانه ، وحضر إليه مَنْ أَخَذه من بَهَسْنى وتوجّه به إلى غزة[4] ، ثم إنه طُلب عُقيب ذلك إلى مصر في جُمَادى الأولى والآخرة وشهر رجب سنة ثمان وأربعين وسَبع مئة ، فأقام قليلاً وجلس في جُملة أمراء المَشْوَر ، ثم عاد إلى غزّة مَقُدَّم عسكر ، على عادة نوّابها .

ثم إنه رُسم له بالتوجّه إلى قلعة الروم[5] نائباً في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين ، فتوّجه إليها وأقام بها إلى أن سكنت حركته وذهبت من عمره بركتُه .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء ثاني ذي الحجّة سنة خمسين وسبع مئة .

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) .

* الوافي : ٤٢٤/٩ ، والدرر : ٤١٨/١ ، والمنهل الصان : ١٠٤/٣ .

(٢) من أعمال حلب . معجم البلدان : ٥١٦/١ .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) ما بين غزة وغزّة سقط من (خ) .

(٥) في الوافي : « قلعة المسلمين » ، وكذا في المنهل ، وهي تقع جنوب غرب الفرات ، من جند قنسرين ، سميت بذلك لما فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون . صبح الأعشى : ١٢٠/٤ .

وكان شيخاً طُوَالا ، وَجْهُه بحُمْرَته وبياضِ شيبه يتَلالا ، عظيم الحرمة ، كأنّه هِمٌّ وهو شهاب الهِمَّة[1] ، فسبحان من خَرَّبَ جِسْمَهُ وأَذْهَب رَسْمَه .

٣٤٢ ـ آنُوْك *

بألف ممدودة مفتوحة ، ونون مضمومة ، وواو ساكنة ، وكاف : ابن محمّد بن قلاوون هو سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر ابن الملك المنصور من الخوندة طُغَاي الآتي ذكرها في مكانه إن شاء الله تعالى .

لم يكن عند أبيه أَعزُّ منه على كَثْرةِ أَوْلاَده ، وهو أحسَنُ الإخوة ، كان أخوه الناصر أحمد والمنصور أبو بكر وإبراهيم أكبر سناً منه ، وهو وَحْدَه أمير مئة مقدَّم ألف ، والباقون أمراء أربعين ، وكان يحمل رَنْكَ جَدِّه المنصور .

وزَوَّجَه السُلطانُ وهو ابنُ عَشْر سنين أو دُونَها بنتَ الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي ، وكان له عُرْس عظيمٌ ليلة[2] الجمعة حادي عشر شعبان سنةَ اثنتين وثلاثين وسبع مئة حَضَرَهُ الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، والأمير سيف الدين طَيْنَال[3] نائب طرابلس فيما أظن ، ونصبَ الأميرُ سيف الدين قوصُون صاريَيْن في الرحَبة قدّام الإيوان ، عليهما أنواعٌ من الصور والبارود والنفط غَرِمَ عليهما ثلاثين ألف درهم ، واجتمع الشمع بالنهار في الإيوان من قبل الظهر ، وعُرِض على السُلطان وهو جالسٌ على باب القصر على المصطبة الواحدة ، وآنوك على المصطبَة الأخرى ، وإذا عَرضَ الأمير الشمع المختصّ به باس الأرضَ وباس يدَ السُلطان ثم يبوس يد آنوك فُعِل ذلك أربعَ خَمْسَ مرار[4] ، ثم مَنَعَ السُلطان من بوس يد آنوك ، ولم يزل الشمع يُعْرَض إلى بعد المغرب ، ولم يكمل عَرضهُ ، وكان مهمّاً عظيماً .

---

(١) الهِمّ والهِمّة : الشيخ الفاني .

* الوافي : ٤٣١/٩ ، والدرر : ٤١٨/١ ، وبدائع الزهور : ٤٧٧/١/١ ، والمنهل الصافي : ١٠٨/٣ .

(٢) (خ) : « يوم » .

(٣) لم يذكره صاحب المنهل فيما نقله عن الصفدي .

(٤) في المنهل : « فعل ذلك ثلاث أو أربع أمراء » .

ورأيتُ أنا أبا العَرُوس وهو الأمير سيف الدين بَكْتُمر السَاقي وقد شَدَّ وسْطَه وفي يده عَصًا ، لا لأنه أبو العروس ، بل لأنّه عرسٌ ابن أستاذِه ، ورأيت الجَهاز لَمَّا حُمل من دار أبي العُرُوس التي على بِرْكَة الفيل ممدوداً على رُؤوس الحَمّالين ، وكان ثماني مئة حَمّال وستة وثلاثين قطاراً[1] ، غير الحُليّ والمصاغ والجواهر ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة بَكْتُمر في حرف الباء . ولّما صمدوا الشُوار[2] المذكور دخل السُلطان ورآه[3] فما أعجبه ، وقال : أنا رأيت شُوار بنتِ سُلاَّر وهو أكثر من هذا وأحسَنُ ، على أن هذا [يا أمير][4] ما يقابَل به آنوك ، والتفت إلى الأمير سيف الدين طُقُزْتُمر والأمير سيف الدين أقْبُغا وقال : جهّزا بنتيكما ، ولا تتخاسَّا مثل الأمير .

قلت : أخبرني المهذّب كاتب بكتمر أنّ الذهب الذي دخل في الزَّرْكَش والمصاغ ثمانون قنطاراً ، يعني بالمصري . وكان القاضي شرف الدين[5] ناظر الخاص كاتب آنوك ، والأمير سيف الدين ألطُنْقُش[6] أُستادار السُلطان أستاذ داره .

وأخبرني من لفظه شرف الدين النشّو ناظر الخاص قال : الذي تحت يدي لسيدي آنوك ، ويد خزنداره ست مئة ألف دينار غير ماله تحت يدي من المتاجر في جميع الأصناف .

وكان إخوته الكبار يركبون وينزلون في خدمته ويخلع عليهم ويعطيهم .

وُصِفَ له ابن قيران الأعمى وهو من أهل القاهرة يلعب الشطرنج عاليَة ، فعجب منه وأحضره ولعب قدامه فأعجبه وأثنى عليه ، فقال له يا خوند : لأي شيء ما تلعب

(١) في المنهل : « قطار بغال » .
(٢) الشوار : متاع العروس وزينتها . وفي المنهل : « مدوا الشوار » .
(٣) في الوافي والمنهل : « رآه » .
(٤) ثابتة في (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٥) (خ) : « شرف الدين النشو » .
(٦) سلفت ترجمته .

الشطرنج ؟ فقال : الملوك ما يصلح لهم الشطرنج [حسام الدين لاجين ما قُتل إلاّ وهو يلعب الشطرنج][١] .

وكان كثير الميل إلى اقتناء الأبقار والأغنام والإوز والبط ، وما أشبه ذلك . سمعته وهو يقول لمجد الدين رزق الله[٢] أخي النشّو : والله يا رزق الله أنا أحبّ البقر أكثر من الخيل .

وكان كثيرَ الحَركة سريعَ التنقُّل مالـه قرارٌ على الأرض ولا لُبْثٌ ، وَجُدّر[٣] فتغيّرت محاسِنُه .

وتوفي قبل والده بما يقارب نصف سنةٍ ، ووَجِد عليه وَجْداً كثيراً وذلك في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى ذا صورة تروي الأقمارُ المحاسن عنها ، ويستمد النهارُ ضياءَهُ منها ، لم ترَ عيني مثلَ حلاوة عينه المجذّبَة ولا مثلَ امتداد حواجبه المقوسة - واحتجت لأجل السجع أن أقول : المحدَّبهْ - ولا وقع ناظري على مثله في أولاد الأتراك ، ولا دارت في عصره على مثله الأفلاك ، كأنَّ محاجره أثَرُ ظُفر في تفاحة ، ونَكْهَتَه شَذَا زهرات نفّاحة ، يَبْسم عن دُرٍّ صَدفُه مَرْجان ، ويسيل سَالفه مسكاً ضمّه من كافور خديه مَرْجَان . إذا خطا قلت : هذا غصنُ بان ، يميس من أردافِه على كثبان ، تعلوه مهابة الملك وبهاؤه ، وتلوحُ عليه عظمته - على صغر سنه - وسناؤه ، هذا إلى شكل قد أتم الله خَلْقَه ، وزيّنه لَمَّا لطّف[٤] خَلقهْ .

كان جسمه من الزَّبد مُجَمَّد ، وكمالُ جماله مَنْ رآه صلى على محمّد ، رأيته ليلةً وقد

(١) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٢) ابن فضل الله ، وستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « وجدّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٤) مطموسة في الأصل .

أمر السُلطان للنشّو أنْ يَعْمَل له مولداً للنبي ﷺ ويجمعَ له الفقراء بعد الختم في جامع القلعة فصنع له ذلك [وجاءت مشايخ الصوفية، وعملوا سماعاً على باب دور السلطان ، والنشّو واقف ، وذلك][1] في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسَبع مئة ، ووقف أقبغا عبد الواحد وألطنقش الأُستاذدار في خدمته طُول تلك الليلة ، ودخل هو ورقَص ، وحكاه البدرُ فزاد هو والبَدْرُ نَقَص ، ما خطر إلا وبانت[2] خَجْلَةُ الأغصَان ، ولا تَثَنّى إلاّ وقُلْت : هذا قضيب النقا وأوراقه القُمصَان ، ورقص إخوته جُملةً مَعَه . ونظرهم الناس فقالوا : هذه كواكب السماء مجتمعة ، ولم يَنَم تلك الليلة فرحاً بما رآه ، ولا استقر على الأرض لِمَا فارقه من الحجر عليه ونآه .

وخلَع في تلك الليلة على جماعة المغاني[3] والذين قرؤوا القرآن والسبع المثاني ، ونقّط بجمل من الذَّهَبْ ، وفاق الريح لما جاء وَوَهَبْ ، وكانت ليلة ما عهد الناس مثلها في عصرهم ولا رأوه ذاك الوقت في مصرهم . ولكنه تجدَّر قبل موته بقليل ، وتحدّر ذاك الحَبُّ اللؤلؤي على خدّه الأسيل . فأطلعَ الله النجوم على صفحة البدر ، وضمّ ذاك الجوهر على وجهه وكأنه[4] حليٌ نثر في صدر ، فَغَيَّرتْ من محاسنه شيئاً ، ونسخت من ظلها فيئاً ، ولكن معالم جماله[5] كما هِيْ ، وتخاطيط وجهه للشموس والأقمار تضاهي . ولمّا توفي رحمه الله تعالى وَجد أبوه عليه وَجْداً عظيماً ، وكتم حزنه وأسفه عليه حتى راح كظيماً ، ونثر عليه عِقدَ دموعٍ كان في عينيه نظيماً .

وقلت أنا فيه :

مضيتَ وكنتَ للدنيا جَمالا ... وَجَرّعْتَ الكواكبَ فيك فَقْدَكْ
ومِنْ عَجَب الليالي فيك أن لا ... يموت أبوك يا آنوك بَعْدَكْ

(١) ما بين حاصرتين سقط من الأصل ، وهو ثابت في (خ) ، (ق) .
(٢) (خ) : « إلاّ ورأيت » .
(٣) (ق) ، (خ) : « الأغاني » .
(٤) (خ) ، (ق) : « فكأنه » .
(٥) في الأصل : « جمالي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وفي (خ) : « وجهه » .

وكان ذلك منّي كِهانة في حقه ، ولم يكمل من السنة نصفها حتى لحقَه ، وصَرَفه صَرف الزمان[١] فيما احتاجَ إليه من النفقة .

٣٤٣ ـ أوتامِش*

الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان مملوكَ الأشرف خليل ، ولاّه الملك الناصر نيابة الكرك ، وكان يَرْكَن إلى عقله ويسمّيه الحاج ، وأرسلَه غير مرّة إلى القان بوسعيد ، وتوّجه مرّة بِطُلبِه وطبلخانته[٢] إلى تلك البلاد ، وكان أولئك القوم يعظّمونه أيضاً ويَرْكَنون إلى عقله لأنه كان يعرف بالمغلي لساناً وكتابةً ، ويدْرِب آدابَ المُغْل ويحكم في بيت السّلطان [بين الخاصكية][٣] بالياسة واليسق[٣] الذي قرره جنكزخان [ويعرف سترة جنكزخان][٤] ويطالعها ويراجعها ، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم ، ويستَحضر تواريخهم ووقائعهم ، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتابٌ إلى السّلطان بالمغلي يكتب هو الجوابَ عنه[٥] ، وإذا لم يكن حاضراً كتبه الأمير سيف الدين طاير بُغَا خال السّلطان[٦] .

أخبرني مَنْ أثق إليه عن الأمير سيف الدين الحاج أرقطاي ـ وكان يدّعي أنه

(١) في الأصل : « الدين » ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٤٤٠/٩ ، والدرر : ٤٢٢/١ ، والمنهل الصافي : ١١٢/٣ ، وفيه في آخر ترجمته : « وقيل إن اسمه أرتامش » بالراء .

(٢) زيادة ثابتة في : (ق) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) عبارة الوافي : بين الخاصكية باليسق . واليسق أو اليزق : كلمة مغولية تعني السياسية ، وهي قوانين وضعها جنكزخان ، وقررها من ذهنه ، رتّب فيها أحكاماً ، وحدّ فيها حدوداً ، وسمّيت أَلياسة الكبرى . وأَلياسة : تعني القانون في المغولية .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) (ق) والوافي : « عنه بالمغلي » .

(٦) عبارة الوافي : « نسيب السلطان » ، وكذا في المنهل . وطاير بغا توفي سنة (٧٣٨ هـ) . (حاشية المنهل) .

أخوه ـ قال : كنت ليلة أنا وهو نائمين في الفراش وإذا به قال : أرقطاي لا تتحرك ، مَعَنا عَقْرَب ، ولم يزل يُهمهم بشفتيه ، وقال : قم ، فقُمْنَا فوجدنا العقرب قد ماتت ، وكان يعرف رُقىً كثيرة منها ما يقوله على العقرب وهي سارحة فتموت ، ومنها رُقْيَة لوجع الرأس . وكان مُغْرًى بلعب النَّرد .

أخرجه السلطان إلى صفد نائباً[1] عن الحاج أرقطاي في سنة ست وثلاثين وسَبع مئة ، فتوَجّه إليها وأحسن إلى أهلها ، ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام .

ولم يزل فيها على حاله إلى أن عُطلت حواسُه ، وبَطلت أنفاسُه .

وتوفّي رحمه الله تعالى في أواخر سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ـ فيما أظن ـ ودفن في تربة الحاج أرقطاي ، جوار الجامع الظاهري بصفد .

وكان مشهوراً بالخير ، والسكون الذي لا يرتاع معه الطير ، صاحباً لصاحبه في السرّاء والضرّاء ، مالكاً قَلْبَ مَنْ يعرفهُ بخلائقه الزَّهراء ، ولكنه كان يُنَكِّدُ عَيْشُه ويثارُ طيشُه بوَجَعِ المفاصل الذي يعتريه ، وتَطُول مدته حتى يقول :

ألاَ موتٌ يباعُ فأشتريه ....(٢)

وهو الذي توجّه إلى دمرتاش وأحضره من البلاد الرُوميّة ، على ما سيأتي في ترجمته .

☆ **الأوحَد بن الزاهر** : شادي ، وولده الأمير صلاح الدين يوسف ، وولده علي بن يوسف .

---

(١) (ق) ، والوافي : « نائباً عوضاً » .

(٢) صدر بيت ارتجله المهلبي الوزير ، وعجزه : « فهذا العيش ما لا خير فيه » انظر الخبر مفصلاً في أخبار المهلبي في يتيمة الدهر : ٢/٢٢٤ .

٣٤٤ ـ أَوْرَان*

بَفَتْح الهَمْزة ، وسكون الواو ، وبعدها راء وألفٌ ونون ، سيف الدين الحاجب بدمشق .

أنشأه الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، ثم إن الأمير سيف الدين تَنْكز أحبّه وقَرَّبَهُ وأعطاه عَشرة وإمرَةَ طبلخاناه[(١)] ، وجعله حاجباً بدمشق . ولم يزل عنده مكيناً إلى أن جَرَى لَهُ ماجرى مع قَطْلُوبغا الفخري ـ على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة الفخري ـ فانحرف عنه وأبغضه وأبعده .

ولم يزل على ذلك إلى أن أطفأ الله مصباحه ، ولم يطلع للحياة صباحه .

وتوفي رحمه الله تعالى ـ فيما أظن ـ سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وكان قد لبس للإمرة في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وتوجّه إلى ولاية الولاة بالقبليّة .

٣٤٥ ـ أَوْرَان**

الأمير سيف الدين السلاح دار ، أحد[(٢)] مقدّمي الألوف بدمشقَ .

ولم يزل على حاله إلى أن ضمّت أَوْرَامُ الأرض أَوْرَان ، ولم يعد لمائه في[(٣)] الحياة فَوَرَان .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق ، في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٤٤١/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٣ ، وفيه أُورلن ، ضبط قلم بضم الهمزة .

(١) في المنهل : « وأنعم عليه بإمرة عشرة ، ثم طبلخاناه بدمشق » .

** الوافي : ٤٤٢/٩ وفيه وفاته (٧٣٣ هـ) ، والدرر ٤١٩/١ ، والمنهل : ١١٣/٣ .

(٢) في الأصل : « إحدى » سهو ، وأثبتنا ما في : (ق)ل والوافي .

(٣) (في الأصل : « بعدَ » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وهي أولى .

٣٤٦ ـ أُوْلاجا*

بضمّ الهمزة ، وسكونِ الواو ، وبعدها لام ألف وجيم وبعدها ألف : الأمير سيف الدين .

كان هو وأخوه الأمير زين الدين قَرَاجا[١] في أيام الملك الصّالح إسماعيل حاجبَيْن بمصر ، والنائبُ شمسُ الدين آقْسُنقر السَلاّري المقدم ذكره ، والأمير سيف الدين بَيْغَرا الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف البـاء ، فوُشي بهم إلى السُلطـان ، ونُسبوا إلى أنهم في الباطن مع الناصر أحمد ، وربّما أنهم يكاتبونه ، فَأُمْسِكوا جميعاً في أول سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وقضى الله أمره في النائب ، وبقي البقيّة ، فشفع فيهم الأمير طُقُزتمر[٢] نائب الشام ، فأُفْرِجَ عنهم في شهر رجب الفرد سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وتُرِكَ[٣] الأمير سيف الدين ، وجُهِّز أُوْلاجا وأخوه إلى دمشق ، فأقاما بها بطّالين إلى أن توفي الملك الصالح رحمه الله تعالى ، وتولى الْمُلْكَ الكاملُ شعبان ، فأُعطي أولاجا طبلخاناه ، وجُهِّز إلى حمص نائباً ، فأقام بها مدّة ، ثم نُقِلَ إلى نيابة غَزَّة ، وفي تلك الأيام بَرَّز يَلْبُغا اليحيوي نائبُ الشام إلى الجسُورة ، وخرج على الكامل وحضر إليه نائبُ حمص ونائبُ حماه ، ونائبُ طرابلس ونائب صفد ، والأمير سيف الدين أُولاجا طَلَبَهُ فلم يحضر إليه ، وأقام في غزة إلى أن خُلِع الكامل ووُلّي المظفر حاجّي فَرَسِمَ لأُولاجا بالعَوْدِ إلى حمص نائباً ، فأقام بها .

ولّما خرج يلبغا ثانياً[٤] على المظفر سيّر إليه وطَلَبه فدافعه ومَاطله ، ولم يحضرُ إلى أن انفصلت القضيّة وأُمسك الأمير سيف الدين يلبغا ، ورُسِمَ للأمير سيف الدين

* الوافي : ٤٥٤/٩ ، والدرر : ٤١٩/١ ، والمنهل الصافي : ١١٥/٣ .
(١) في الأصل : « قرا » ، سهو ، وستأتي ترجمته .
(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « سيف الدين طقزتمر » .
(٣) في الأصل : « ونزل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « نائباً » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (خ) ، (ق) .

أرغون شاه بنيابة الشام ، ورسم لأُولاجا بنيابة صفد ، فتوجّه إليها في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان قد تعلّق بـه وَخَم عظيم من حمص فزاد ضَعْفُـه بصفد ، وطلب طبيباً من دمشق ، فجُهِّزَ إليه وعالجه وتماثل من الضعف ، ثم إنـه نقض عليه الوَخَم الحمصي ، فتعَلّل ، ولم يزل إلى أن أُولِج أُولاجا في الأرض ، وسكنهـا إلى يوم العَرْض .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وأوصى إلى ثلاثـةٍ : دوا داره ، وأستـاذ داره ، وآخر من ممـاليكـه ، وجعل النـاظرَ عليهم الأمير سيف الدين أرغون شاه نائبَ الشام ، وباشر هذه النيابات الثلاث مبـاشرة حَسُنَ فيها الثناءُ عليه ، وأُهديت أنواع الشكر من الأنام إليـه ، عفـافٌ وأمـانـة وخِبْرَة تامة وديانة ، وعَدْلٌ في قضاياه وصِيَانة ، لم يتعرض إلى أموال الرَّعايا ولم يَتَعَرَّض أحـداً فيُصْميه في الرّمايا ، وتـأسف عليـه أهل البلاد وودوا لو دام لهم بقـاؤه ولو كانوا معـه في جدالٍ وجلاد . وقَدِمَ على ربّه وترك أوِدَّاءه ، وعَدِمَ شخصُه وأبقى ثناءه .

٣٤٧ ـ أولاق*

الأمير سيف الـدين ، كان من جملـة أمراء دمشق يسكن فـوق المـدرسـة الشـاميـة البرانية ، وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين كوكنجار[١] ولم يدخل بها .

وتـوفي رحمـه الله تعـالى في خـامس عشري شهر ربيـع الآخر سنـة اثنتين وثـلاثين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٣٤٨ ـ أيَاز**

بفتـح الهمـزة ، وبعـدهـا يـاء آخر الحروف ، وبعـد الألف الثـانيــة زاي : الأمير فخر الدين السلاح دار .

---

* الدرر : ٤١٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

** الوافي : ٤٥٩/٩ ، وتـالي وفيـات الأعيـان : ١٨٩ ، والـذيل التـام : ١١٠ ، والـدرر : ٤٢٠/١ ، والنجوم =

أظنه كان في مِصْرَ قبل خروجه إلى الشام من بعض مُشِدِّي العمائر[(١)] السُلطانية ، ثم إنه خَرَج في حياة السُلطان إلى طرابلس أميرَ عشرة ، ثم نُقل إلى دمشق على عَشْرة في أواخر أيّام الأمير سيف الدين تَنكز ، فأقام بها إلى أن توجّه صُحْبَةَ العساكر إلى مصر مع الفخري ، فرُسم له هناك بإمرة طبلخاناه ، وحضر عليها إلى دمشق . ثم إنه وَلي شدّ الدواوين بالشام عوضاً عن الأمير سيف الدين ينجي[(٢)] السلاح دار ، وباشره جيداً بحُرْمَةٍ ومهابة .

ثم إنّه عُزل في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر وصار حاجباً ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي الأمير سيف الدين أَللِمِش أمير حاجب المقدّم ذكره في أيام الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، فولي الحجوبيّة الكبرى وأحبّه يلبغا ، وصار حظيّاً عنده لا يفارقه سَفَراً وحضراً[(٣)] .

ولم يزل على ذلك إلى أن طلبه الملك المظفر حاجّي إلى مصر ، فتوجه إليها ، ونزل عند الأمير سيف الدين أُلجيبغا الخاصكيّ المقدم ذكره ، ورُسم له بنيابة صفد ، فوصل إليها وأقام بها ، وبعد حضوره[(٤)] إليها بقليل خرج يَلْبُغا على المظفر ، وجرى له ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في ترجمته ، وهرب ، فرُسم للأمير فخر الدين بأن يركب خلفه ، فحضر بعسكر صفد إلى دمشق وتوجّه بهم وبعسكر دمشق إلى حمص ، وأقام عليها . ولّما أُمسك في حماة عاد بالعسكر وتوجّه إلى صفد ، ورُسم له بنيابة حلب في شهر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة توجه[(٥)] إليها وأقام بها .

= الزاهرة : ١٠/٢٤٥ ، والمنهل الصافي : ٣/١١٩ .

(١) مشد العمائر : هو من يشرف على إعمار البيوت . زغل المناصب : ١٧٥ .

(٢) في الأصل ، و(ق) : « بينجي » ، تصحيف ، وستأتي ترجمته .

(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي : « ولا حضرا » .

(٤) (خ) : « وصوله » .

(٥) (ق): « فوجه » ، (خ) : « فتوجّه » .

ولمّا كانت أول دولة الملك الناصر حسن حضر إليه الأمير ركن الدين عمرشاه[(١)] يطلبه إلى مصر على البريد مُخِفّاً ، فقابل ذلك بالطاعة ، فلما كان في الليل بلغ عمرشاه أنّه ربما قد عَزَم على العصيان ، فأركَبَ الأمراء والعسكر الحلبي وأحاطوا بدار النيابة ، فلمّا أحسّ بهم خَرَج إليهم وسلّم سيفه بيده إلى عمرشاه وقال : أنا مملوكُ السُلطان وتحت طاعته الشريفة ، فأمسَكُوه وقيّدوه واعتقلوه بقلعة حلب ، وطولع السُلطان بأمره ، وكان ذلك في العشر الأوسط من شوّال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأحضره[(٢)] الأمير سيف الدين بِلْجك[(٣)] إلى قلعة دمشق مكبّلاً بالحديد ، فأقام بها معتقلاً في القلعة أياماً يسيرة ، ثم إنه طُلب إلى مصر[(٤)] ولمّا وصلها جُهز إلى الإسكندرية .

وحكى لي من أثق به أنه لمّا وصل إلى دمشق أدخله الأمير سيف الدين أرغون شاه إليه في الليل فقال له : والله ياخوند رأيت في الطريق فلاحاً يسوق حماراً أعرجَ معقوراً وهو في أنحس حال فتمنيّتُ لو كنتُ مثلَه [فَرَقَّ له][(٥)] .

ولم يزَل معتقلاً بالإسكندرية إلى أنْ أُفْرِجَ عنه وجُهّز إلى دمشق ليتوجّه إلى طرابلس ويقيم بها بطالا ، فوصل في خامس عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وفي أوائل جمادى الأولى أعطي طَبْلَخاناه سُنقر الجمّالي بها ، ثم إنه نُقل إلى دمشق فأقام بها ، وأخذت المراسلات تدور[(٦)] بينه وبين الأمير سيف الدين أُلجيبغا نائب طرابلس إلى أن جرى ما جرى منه ومن أُلجيبغا ، على ما تقدم في ترجمة الجيبغا . وهرب من دمشق مع الجيبغا ، ولمّا أمسك الجيبغا فارقه أياز وانفرد عنه في ثلاثة أنفار من مماليكه ، فأمسكه ناصر الدين ابن المعين وبعضَ أجناد بعلبك في قرية العاقورة

(١) عمرشاه التركي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١٩٨/٣ .
(٢) (خ) : « وأحضر » .
(٣) كان حيّاً سنة (٧٥٢ هـ) ، ولم يذكر الصفدي وفاته . الوافي : ٢٨٥/١٠ .
(٤) انظر : البداية والنهاية : ٢٢٥/١٤ .
(٥) زيادة من (خ) ، (ق) ، والوافي .
(٦) ليست في (خ ٩ .

وقد لبس لبسَ الرهبان ، وأحضره إلى بعلبك فقيّدوه ودخلوا به القلعة ، ولّما بلغ الخبرُ العسكر الشامي أخذوه من بعلبك وجاؤوا به إلى دمشق هو والجيبغا مكبّلين في الحديد وجرى لهما ما جرى ، ووسّطوه في سوق الخيل بدمشق هو وألجيبغا على ما تقدّم في ترجمة ألجيبغا ، وجزع جزعاً عظيماً وهلع وذل وخضع ، وأخذ سكيناً من واحدٍ كان واقفاً إلى جانبه وأراد يذبحُ بها نفسه أو يجرح غيره فأعجلوه وضربوه بالسيف ، ووسّط فخاض السيف في أحشائه واستقى نفسه من قليب قلبه برشائه ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة .

وقلت فيه :

لما أنار أيازُ في أُفْق العُلاَ   خَمَدت سَريعاً لامعات علوّه
بالأمس أصبح نعمة لصديقه   واليوم أمسى رحمة لعدوّه

وكان رحمه الله تعالى جيداً في حق أصحابه ، مثابراً على تقدمهم فَرِحاً بهم في رِحابه يبذل مهجته دونهم قبل مَالِه ، ويجتهد في حق كل منهم حتى يصل إلى بلوغ آماله . وأحبّه أهل حلب كثيراً ووجدوا به فرشَ أيامه وثيرا ، لأنه عاملهم بلطفٍ زائد ولين جانبٍ وخضوعٍ قرنه بجُودٍ ، لم يُرَدّ أحد[1] منهم وهو خائب ، إلاّ أنه تحامل على أرغون شاه وزاد ، وغدر به وكاد ، وبعض من اطّلع على باطن أمرِه بَسَط عُذره ، والله تعالى يتوّلى ظاهر أمره وسرّه .

٣٤٩ ـ أياس*

الأمير فخر الدين الشمسي مملوك الأمير شمس الدين سُنقر الأعسر الآتي ذِكْرُه إن شاء الله تعالى في مكانه .

كانت له معرفةٌ ودُرْبَه ، وقوّة نفسٍ يعدّ بها أن الناس مِنْ رَجُلٍ والأرضَ من

(١) (خ) : « لم يردَّ أحداً » .

* الدرر : ١/٤٢٠ .

تربه ، وحزم يؤدّيه إلى أنّ الإنسان كيفما كان فهو في دار غربه ، فلهذا عمل شدّ الدواوين وما حَل ، وفعل فيه ما حَرّم وما حَلّ . ثم إنه عُزِلَ وتوجه إلى طرابلس ، وكان فيها مَصْرَعُه ، وترك من دمشق مَرْبَعه ومَرْتَعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكان نائباً بقلعة الروم ، ثم نقل منها إلى حَماة ، ثم إنّه رُسِمَ له بشدّ الدواوين بدمشق ، فوصل إليها وباشر ذلك عوضاً عن الأمير زين الدين كَتْبغا في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، وصلى الجمعة بالخلعَة مع نائب دمشق في المقصورة ، ولم يزل به إلى أن عُزِل الأمير سيف الدين طوغان .

جاء من القاهرة في ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وفي ذي الحجّة توجه الأمير فخر الدين أياس المذكور من دمشق إلى طرابلس ليكون بها مقيماً في جملة الأمراء ، وعزل من شدّ الدواوين بدمشق .

٣٥٠ ـ أَيان*

بفتح الهمزة ، والياء آخر الحرف ، وبعد الألف نون : الأمير سيف الدين السّاقي الناصريّ .

كان أميراً بمصر يَسْكُن حِكْرَ جَوْهَر النوبي[١] ، اشترى دارَ الأمير شرف الدين حسين بن جُنْدُربك[٢] ، ولمّا عاد أمير حسين إلى القاهرة أراد ارتجاعها ، فدخل أيان على الأمير سيف الدين بَكْتُمر الساقي فمنعه منها ، وكان السّلطان قد رسَم بإعادتها ، ثم

---

* الوافي : ٤٦٨/٩ ، والدرر : ٤٢١/١ ، والمنهل الصافي : ١٢٦/٣ .

(١) حكر جوهر النوبي : نسبة إلى جوهر أحد الأمراء في الأيام الكاملية ، وكان تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي . (الخطط ١١٨/٢ ، عن حاشية المنهل) .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) . الوافي .

إنَه أُخرج[1] إلى دمشق أميراً ، فمكث بها مُـدّة . ثمّ إنّ قوصُون طلبـه إلى مصر بعـد خلع المنصور ، فتوجه إليها ، ولمّا جرى لقوصون مـا جرى عـاد إلى دمشق حـاجبـاً صغيراً ، وعَظُم إلى أن توجَّه إلى حمص نائباً ، وأقام بهـا قريبـاً من تسعـة أشهر ، ثم عُزل بـالأمير سيف الدين قُطْلُقْتُمر الخليلي[2] ، وتوجّـه أيـان السّـاقي إلى غزة نـائبـاً ، فتوجـه إليهـا مكرهاً ، وأقام بها مدة شهر أو أكثر ، ومرض مُدّةَ اثني عشر يومـاً فكان بهـا أيّـانُ وفـاة أيَان ، وأصبح خبراً بعد العَيَان ، وحُمل إلى القدس ودفن به .

وكانت وفاته في ثالث شهر رجب سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان شديـد الوطـأة والعَبْسَـة ، طويل النفس في الجَلْسَـة ، لا يراعي خليلا ، ولا يحترم مَنْ كان جليلا .

٣٥١ ـ أيبك*

الأمير عـز الـدين التركي الحمـويّ نـائب السّلطنـة بـدمشـق ، تـولاّهـا بعــد الأمير علم الدين الشجاعي في شوال سنة إحدى وتسعين وست مئة ، ثم إنه عُزل عنهـا في سنـة خمس وتسعين وست مئة ، وَوَلّى العادلُ مكانه مملوكَـه أغزْلو[3] ، وأُمسـك بـالقـاهرة في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة وجُهِّز إلى قلعة صرخد .

ثمّ إنه وُلّي نيابة حمص ، فوصل إليها وأقام بها شهراً واحـداً إلى أن حُمّ أمر الحموي ، فقضى نحبه ولحق مِنَ الأموات صَحْبَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وسبع مئة في عشري شهر ربيع الآخر .

---

(١) (خ) : « خرج » .

(٢) ستأتي ترجمته .

* الـوافي : ٤٧٩/٩ ، والتحفـة : ١٩١/٢ ، والـدرر : ٤٢٢/١ ، والمنهـل الصـافي : ١٣٢/٣ ، وعقـد الجمـان : ٣٤٠/٤ ، وفيات سنة (٧٠٣) ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(٣) في عقد الجمان : « غرلو العـادلي » . وفي البـدايـة والنهـايـة ، ٩٤/١٤ : غرلو بن عبـد الله ، توفي سنـة (٧١٩ هـ) .

وكان معروفاً بالشهامة ، موصوفاً بالحزم في الظعن والإقامة ، عنده اتضاع ، وسكونٌ يألفه[(١)] من الرضاع ، ولما توفي في حمص نقل إلى تربته[(٢)] التي هي شرقي عَقَبة دُمَّر[(٣)] .

٣٥٢ ـ أَيْبَك*

الأمير عز الدين الموصليّ المنصوري نائب طرابلس .

كان مهيباً ذا وقار ، كأنَّ مَشِيبَهُ خليطُ ثلج وَقَار ، مجاهداً في الفرنج والتتار ، مباعداً ما يُكْسِبُ الآثام والأوزار . سيرتُه جميلة ، وثناؤه يحكي نَفَسُه زَهْرَ خميلة . من خير أمراء دهره وأشرفِ أبناء عصره ، ولم يزل إلى أن أُبعد الموصلي عن أحبابه ، وانفرد عن لِدَاتِه وأترابه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة ثمان وتسعين وست مئة .

أَيْبَك**

الأمير عز الدين الطويل المنصوري الخزندار .

كان أميراً دَيِّناً ، مُؤَهّلاً للصّلاح مُعيِّنا ، يواظب على التبكير إلى الجمعة ، ويواصل التكبير بالتهليل مع إرسال الدمعة ، تأمرّ على الحج غَيْرَ مَرَّة ، ولم يظلم أحداً بعصمة الله مِثْقَالَ ذرّة ، طعَنَ في سنّه ، وكم طَعَن في قِرْنه ، ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن مضى لربّه حميداً ، وترك ﴿ مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً ﴾[(٤)] .

---

(١) (ق) : « ألفه ».

(٢) (ق) : « تربته بدمشق » .

(٣) معجم البلدان : ٤٦٣/٢ . وفي عقد الجمان ، والمنهل : « غربي زاوية ابن قوام » .

* الوافي : ٤٧٨/٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦ ، والمنهل الصافي : ١٣٣/٣ .

** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٤٤٧/٤ ، وفيات سنة (٧٠٦ هـ) .

(٤) المدثر : ١٢/٧٤ ـ ١٣ .

ووفاته رحمه الله تعالى يوم الأربعاء حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ست وسبع مئة[1] .

٣٥٤ ـ أيبك*

الأشكري الأمير عز الدين ، أحد الحجاب بدمشق .

كان من جملة أمراء الطبلخانات بها .

وتوفّي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة .

٣٥٥ ـ أيبك**

الأمير عز الدين الزويزاني الحاجب .

تجاوز السبعين ، وتوفي بقرية من قُرَى الساحل في مستهل شعبان سنة تسع وتسعين أو سنة سبع مئة .

٣٥٦ ـ أيبك***

الأمير عز الدين الرحّالي ، بالحاء المهملة المشددة .

كان بنابلس أظنه والياً .

توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع وسبع مئة ، وكان له أولاد ملاح فضلاء .

٣٥٧ ـ أيْبك****

النجيبي .

(١) في عقد الجمان : « ودفن بقاسيون » .

* الدرر : ٤٢١/١ .

** لم نقف على ترجمة له .

*** الدرر : ٤٢٢/١ .

**** الدرر : ٤٢٣/١ ، وعقد الجمان : ٢٠٥/٤ ، وفيات سنة (٧٠١) ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ .

الأمير عز الدين الدوادار .

كان أَحَدَ الأمراء ، وفرداً في الكبراء ، وولي البَرَّ فصدق في أقواله وبَرّ ، فشُكِرَتْ سِيْرتُه وما سَكِرَت بل صَحَتْ ، وصحّت سَريرته ، ولم تطل مدّة الولاية ، ولا امتدت به إلى غاية ، إلى أن خَمَدت جمرته ، وانجلت من خمار الحياة غمرته .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة إحدى وسبع مئة .

٣٥٨ ـ أيبك*

الأمير عز الدين الجمالي .

تولّى نيابةَ قلعةِ دمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بلبان البدري في ثامن عشر جُمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ثم ورد المرسوم بأن يكون الأمير سيف الدين بُهادر الشمسي أحدَ الأمراء بدمشق نائباً بقلعة دمشق ، ويكون الأمير عز الدين أيبك نائباً[1] بالقلعة ، وذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة . ثم إنه ورد المرسوم بأن يتوجه إلى نيابة الكرك في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، فتوجه إليها وعُوِّض عنه في نيابة دمشق بالأمير سيف الدين بهادر الشمسي .

٣٥٩ ـ أيبك**

الأمير عز الدين المعروف بكرْجي .

من كبار أمراء دمشق ومُقَدّميهم ، كان شجاعاً فارساً مقدّماً مجاهداً يحفظ أحاديث الجهاد .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

* الدرر : ١/٤٢٣ .

(١) (ق) : « واليا » .

** لم نقف على ترجمة له .

٣٦٠ ـ أيْبَك *

الأمير عز الدين المعروف بالبُدَيوي الظاهري ، الجَمْدار المُشد على الأملاك الظاهرية .

كان له فَهْمٌ ومَعرفة .

توفي بدار الحديث الظاهريّة في ثاني عُشْرَيّ المحرم سنة تسع وسبع مئة .

٣٦١ ـ أَيْتَمُش**

الأمير سيف الدين المحمّدي .

كان أحدَ أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وكان سكنه بظاهر دمشق بناحية مسجد القصب ، وهو والد خليل الذي يأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

كان الأمير سيف الدين تنكز يكرُمه وله عنده منزلة يرعَاها .

وتوفي رحمة الله تعالى في يوم السبت سابع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

٣٦٢ ـ أَيْتمش***

الأمير سيف الدين الأبو بكري الناصري .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

* الدرر : ١/٤٢٢ .

** الدرر : ١/٤٢٤ .

*** لم نقف على ترجمة له .

٣٦٣ - أيْتمش*

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وتاء ثالثة الحروف ، وميم بعدها شين معجمة : الأمير سيف الدين الجَمْدار الناصريّ .

كان من مماليك الملك الناصر ، أَمَّرهُ طبلخاناه هو وستة أمراء في يوم واحد ، وكان هو والأمير ناصر الدين محمّد بن أرغون النائب[(١)] وبَيْدمر البدري ، وذلك فيا يقارب سنة أربع عشرة[(٢)] وسبع مئة .

كان كثير السكون والأناة ، بعيداً من الشر والرداة ، وافر الحشمة والأدب ، حازم الرأي لا يقع في أمر يسوؤه فيه من عَتَبْ ، ليس فيه شرٌّ ألبتّه ، إذا رأى دنَسَ عيبٍ قرصَهُ وحتّه ، يجود في موضع الجُود ، ويحفظ ما هو في يده موجود .

وليَ الوزارة في أيام الصّالح إسماعيل ، ثم عُزِلَ منها ، ووليَ الحجوبيّة بالدّيار المصريّة ، وتزَوّج ابنَته الأميرُ علاء الدين مُغُلْطاي أمير آخور ـ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الميم موضعه ـ ولَمَّا قُتل أرغون شاه نائب الشام ـ على ما تقدم في ترجمته ألزَمَه الأمراء أرباب الحلّ والعقد بالديار المصريّة أن يتوجّه إلى دمشق نائباً ، فامتنع ، فما فارقوه حتى وافق ، ودخل إلى دمشق على خَيْلِه في نفرٍ قليل مِنْ جماعته في حادي عشر جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها لا يَرُدُّ مَرسُوماً ، ولا يَعزل ولا يُوَلّي طَلَباً للسلامة ، ولم يزل بها إلى أن خُلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى الملك الصّالحُ صَالح ، فحضر إليه الأمير سيف الدين بُزْلار ، وحلّفه وحلّف جميع العسكر ، ثم إنه طُلب إلى مصر ، فخرج من دمشق يوم الخميس ثالث عشر[(٣)] شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وخرج العسكر معه إلى الجَسُورة ، وودّعوه .

* الوافي : ٤٨٢/٩ ، والتحفة : ٢٨٣/٢ ، والدرر : ٤٢٤/١ ، وإعلام الورى : ٢٠ ، والمنهل الصافي : ١٣٧/٣ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « أربع وعشرين » .

(٣) في الوافي : « عشرين » .

ولما وصل مصر دخل إلى السّلطان وسلّم وقبّلَ الأرض ، وسلم على الأمراء ، وتوجّه إلى الأمير سيف الدين قُبْلاي - الآتي ذِكْرُه - نائبِ مصر ، فأمسَكَه ، وجُهِّز إلى الإسكندريّة ، ولم يزل بها إلى أن ورَدَ المرسُوم على نوّاب الشام ومضمونه أنَّ الأمراءَ ببابنا الشريف ، وقفوا لنا وشفَعوا في الأمير أيتمش ، وسألوا الإفراج عنه لأنَّ ذنبه كان خفيفاً ، فَتُعَرِّفُونا ماعندكم في هذا الأمر . فأجاب الجميع بأن هذا مَصْلَحة ، فأُفرج عنه وجُهِّز إلى صفد ليكون بها مقيماً بطّالاً إن اشتهى يركب وينزل ، وإن اشتهى يحضر الخدمة ، ووصل إليها في أوائل العشر الأواخر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن طَلَبه بيْبُغَاروس لّما ورد دمشقَ خارجاً على السّلطان ، فاعتذر بأنه ضعيف ، فأخذوه في مَحَفّة وأقام عنده على قبّة يلبغا ، ونفع أهلَ دمشق وشفع فيهم مرات .

ولّما هرب بيبغا توجّه هو إلى السلطان الملك الصّالح وحضر معه إلى دمشق ، وأقام إلى أن توّجه السّلطان إلى مصر في سابع شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بعد أن خلَعَ عليه ، وولاّه نيابة طرابلس فتوّجه إليها .

ولم يزل بها مقيماً في نيابتها إلى أن جاء إلى دمشق من ينعاه ، وتألّم له من كان يودّه ويرعاه .

وتُوفي رحمه الله تعالى في سلخ شهر رمضان بطرابلس ، وذلك في سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وله بدمشق داران : دار الأمير سيف الدين ينجي التي بَرّا باب السَلاَمة ودار طيبغا[1] حاجي التي في الشرف الأعلى الشمالي . وكانت ابنتاه إحداهما مع الأمير علاء الدين مُغُلْطاي القائم في تلك الدولة بإمساك النائب بيبغاروس والوزير منجك وغيرهما ، والأخرى مع الأمير سيف الدين طشبُغا الدوادار ، وهو نائب الشام ، فكان هو وصهراه عبارة عن تلك الدولة .

(١) في الأصل : « طنبغا » ، تصحيف .

٣٦٤ - أَيْدغْدي*

الأمير علاء الدين شُقَيْر .

لمّا كان أميراً بدمشق كان عند الأفرم حَظِيّاً ، مُلازَمه بُكْرَة وعشيّاً ، وكان ينادمه ويخلو معه على شرابه ، ويَشْركهُ في لذّاته ونَيْلِ آدابه ، ولمّا حضر الملك الناصر محمّد من الكرك استحال على الأفرم ، واختص بالناصر ، وكان يحرق عليه الأُرَّم[1] ، وربّما أنّه الذي أوقد جَمْرَ الغضبِ عليه وأضرم . وصار عند الناصر من الخواصّ المقربين وأمراءِ الْمَشْوَر المدّربين ، وربّما أفضى إليه بأسرار وتسلط به على إطفاءِ شَرارِ جماعة من الأشرار ، ولكنه بعد قليل مجّه ، وجادله فجدّله لَمَّا حَجَّه ، وقبض عليه وعلى غيره وقصّ جناحَ النجاح مِن طَيْره ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان آيدُغدي شقير وبكتمر الحاجب وشرف الدين أمير حسين بن جندر هؤلاء الثلاثةُ أمراء عند الناصر محّد ثلاثةَ الأثافي والأصحاب الذين لا يخفى من السُلطان عنهم خافي[2] ، وهم مَوْضع سِرّه ، وجعل الثلاثةَ أمراءَ مئين ومُقَدَّمي ألوف ، وكان أكبرُهم رُتبةً أيدغدي .

حكى لي الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر قال : قال لي السلطان مَرّة : يا أمير شرف الدين قطّ ما أستشيرك[3] في أمر أحد وإمساكه فتقول لي : أمسكه ، بخلاف الأمير علاء الدين أيدغدي . قال : قلت[4] له : يا خوند أيش هو أنا وأيش هو

---

* الدرر : ١/٤٢٥ .

(١) في اللسان : « فلان يحرق عليك الأُرَّم : إذا تغيّظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض ، وقيل : الأرّم : أطراف الأصابع » .

(٢) كذا في الأصل بإثبات الياء للوقف .

(٣) في الأصل : قطّ استشيرك ، وأثبتنا ما في (ق) ، والظاهر أنه يريد : ماأستشيرك قطّ .

(٤) (ق) : « فقلت » .

أيدغدي حتى تُشاورنا أنت ، ما تقلق في الليل ؟ فقال : بلى والله ، قلت : ذاك الوقت أطلبْ من الله ، ومهما حَسَّنه اللهُ تعالى في عقلك افعل به واعمل عليه ، قال : ولم يكن إلا[1] بعد أيام قلائل حتى أمسكه ، وما أثنى عليه بخير .

وداره بدمشق معروفة تحت مِئذنة فيروز ، وهي دار حَجّاج بن مَسْلَمة[2] بن عبد الملك بن مروان ، وكثيرٌ من الناس يظنها دارَ الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وإنما هي كانت أولاً للحَجّاج ، ولما ولد حجاج بن عبد الملك سماه والده حجاجاً باسمه وقال :

سمّيته الحَجَّاجَ بالحَجَّاج بالناصح الْمُعَاون الدمَّاجِ
نُصْحَاً لعمري [غير][3] ذي مداجي

فوهب الحجاج بن يوسف داره هذه التي بدمشق له ، وهذه الدار كانت للأمير علاء الدين أيدغدي شقير ، ثم إنها اتصلت للأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، ثم للأمير سيف الدين بَلْبَان طُرْنَا[4] ، ثم للأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، ثم للأمير نور الدين بن الأفضل .

٣٦٥ - أَيْدُغدي*

الأمير علاء الدين الظَّهري .

كان أميرَ عشرة ، وكان نقيبَ النقباء بدمشق ، وكان شيخاً قد أسَنّ ، وسَلَك كُلَّ

---

(١) ليست في (ق) .
(٢) كذا في الأصل و (ق) ، والصحيح : حجّاج بن عبد الملك ، كما سيأتي . وهذا الخبر حتى آخره ساقه الصفدي في ترجمة حجّاج بن عبد الملك . في الوافي : ٣١٦/١١ .
(٣) زيادة من (ق) والوافي .
(٤) في الوافي : ٣١٦/١١ : بليان طرفا ، تحريف ، وستأتي ترجمته .
* الدرر : ٤٢٥/١ .

طريق عَنّ ، قد مَخَض التجارب ، وعرض للتصَالُح والتحارُب ثَوّر[1] نعمَة طائلة وسَوّر أملاكاً هائلة . وكان يحفظ (كفاية المُتَحفّظ)[2] ويسردها ، ويعرف حُلَى الأنبياء عليهم السلام ويوردها . ولما أُمسِكَ تَنْكز أُخرج من نقابة النقباء وجُهّز إلى نيابة قلعة صَرْخد ، فأقام فيها مُدّة ، وحضر إلى دمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يجد له الظهيريّ ظهيراً ، وخَمَل ذكره بعد أن كان شهيراً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

٣٦٦ - أَيْدُغْدي*

الأمير الكبير علاء الدين الخوارزمي ، أمير حاجب بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الأحد ثاني عشر شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان توّجه رسولاً إلى الغرب ، وكان شيخاً طُوَالاً[3] تامّ الهيئة ، عنده فهمٌ ومعرفة ، وله كتبٌ يطالع فيها ، وَعَلى ذهنه أشياء حسنة من تاريخ وغيره .

٣٦٧ - أَيْدُغْمش**

بفتح الهمزة ، وسكون الياء آخر الحروف ، وضمّ الدال المهملة ، وسكون الغين المعجمة ، وبعد الميم شين معجمة : الأمير علاء الدين أمير آخُور الناصري .

---

(١) في الأصل : « نور » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) . وثوّر : تعني جمعَ عدداً كبيراً من مال ورجال .

(٢) هو كفاية للتحفظ في اللغة لمحمد بن أحمد الخوئي (ت ٦٩٣ هـ) ، الكشف : ١٥٠٠/٢ .

* الدرر : ٤٢٥/١ .

(٣) (ق) : « طويلاً » .

** الوافي : ٤٨٨/٩ ، والتحفة : ٢٥٨/٢ ، والدرر : ٤٢٦/١ ، وخطط القريزي : ٤٥/٢ ، والمنهل الصافي : ١٦٥/٣ .

كان أولاً من مماليك الأمير سيف الدين بلبان الطبّاخي[١] الآتي ذكره ، ولما جاء الناصريّ[٢] من الكرك ولاّه أميرَ آخور عوضاً عن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، وأقام على ذلك إلى أن توفي الملك الناصر .

وكان ممَّن قام مع قوصون في أمر المنصور أبي بكر ، ثمّ إنّه وافَقَهُ على خَلْعِه ، ولولا اتفاقُه معه[٣] لم يتم لقوصون أمرٌ . ثم إنّه لَمَّا هَرَب مِن الفخري[٤] ـ على ما تقدّم في ترجمة ألطنبُغا ـ وقارب بُلْبيس اتفق الأمراء مع أَيْدُغْمش على قوصون وحِزْبه ، فوافقهم على ذلك ، وقَبض على قوصون وجماعته ، وجهَّزهم إلى الإسكندرية ، وجهزّ من تلقّى ألطنبغا ومَنْ مَعَه وأمسَكهم ، وجهّزهم إلى الإسكندرية أيضاً ، وكان أيدغمش في هذه المرّةِ هو المشارَ إليه ، وجهّز ولده ومعه جماعةٌ من الأمراء المشايخ إلى الناصر أحمد إلى الكرك . ولّما استقرّ أمرُ الناصر أحمد في مصر أُخرج أيدغمش إلى حلب نائباً ، فلمّا وصل إلى عين جالوت لحق به الفخريُّ مستجيراً به ، فأكرم نُزُلَه وأَضَافه ونَوَّمَه في خيمة عنده ، واطمأن الفخريُّ وخلع آلة سلاحه ومماليكه ، و [لمّا][٥] كان بكرة أمسكه وجهزّه إلى الناصر[٦] . ثمّ إن أيدغمش توجّه إلى حلب ولم يزل بها مقيماً إلى أن تولى الصّالح فرُسِم له بنيابة الشام ، وحضر إليه الأمير سيف الدين ملكتمر السرجوَاني[٧] وأخذه من حلب وأتى به إلى دمشق ، فدخلها بُكْرَةَ الخميس عشرين[٨] صفر سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى يوم الثلاثاء بُكرة ثالث جمادى الآخرة من السنة

(١) توفي سنة (٧٠٠ هـ) كما سيأتي في ترجمته .
(٢) (ق) : « الناصر » ، (خ) : « الملك الناصر » .
(٣) في الأصل : « معهم » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٤) هو قطلوبغا .
(٥) زيادة من : (ق) ، (خ) .
(٦) بعد أن جاءه كتاب السلطان بالقبض عليه ، كما في الوافي .
(٧) (ت ٧٤٧ هـ) ، الدرر : ٣٥٩/٤ .
(٨) في الأصل : « عشري » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

المذكورة ، وعاد بعد ما أطعم طيُورَه ، ونزل وجلس في دار السعادة وقرئت عليه قصصٌ يسيرة ، وأكل الطعام وعلَّم فوطة[١] العلائم ، وعرض طُلْبَه ومَضَا فيه ، وقدَّم جماعةً [وأخرّ جماعة][٢] ، ودخل ديوانه وقرؤوا عليه مخازيم[٣] ، فقال لهم : هؤلاء الذين تزوّجوا من جماعتي ، اقطعُوا مرتّبهم ، وأكل بعد ذلك الطاري[٤] ، وجلس هو والأمير رملة بن جمّاز[٥] يتحادثان ، فسمع حسَّ جماعةٍ من جَوارِيه[٦] يتخاصَمْنَ ، فأخذ العصا ودخل إليهن وضرب واحدة منهنّ ضربتين وأراد أن يضربها الثالثة فسقط ميّتاً ، فَجَأَهُ[٧] الموت فَجْأة وما سُمع له نَبْأه . فأمهلوه إلى يوم الأربعاء بكرة ، وغُسِّل ودفن خارج ميدان الحَصَا في تربةٍ عُمِّرت له هناك .

وكان زائد الجود بالغَ الإكرام للوفود ، قلّ من سَلَّم عليه إلاّ وسَاق وفد الخلعة إليه . وكان الملك الناصر محمد قد أمرّ أولاده الثلاثة : أمير علي ، وأمير حاج ، وأمير أحمد لعلوّ مكانته عنده وما يراه منه إذا[٨] أورى زنده ، وكان قد بلغَ الملكَ الصّالح أنه ربّما يباطن الناصر أحمد ، ويلاحظ دولتك بَطَرْف أَرْمَد ، فأمر من يحضرُ للقبض عليه ، فتلقاه الأمير أيان الساقي[٩] في قَطْيَا[١٠] ، وقد توجه للقبض عليه فأعلمه بموته ورَدّه .

ولم أعهد أنا في عمري إلى حين تسطيرها في سنة ست وخمسين وسبع مئة أحداً من نُوّاب الشام توفي بدمشق غير هذا الأمير علاء الدين أيدغمش .

(١) في الوافي والتحفة : « علّم على فوطة » ، ولم يتضح مراده .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي ، والمنهل .

(٣) كذا في الأصول ، وعبارة الوافي : « فرأوا عليه مخازيم » والمخازيم : سجل القيد اليومي ، ويقوم بعملها الجهبذ . (عن حاشية المنهل) .

(٤) من أسمطة السلطان ، ومنه مأكوله .

(٥) ترجم له صاحب الدرر : ١١١/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٦) في الأصل : « جواره » ، تحريف .

(٧) (ق) : « فجاءة » .

(٨) (خ) : « إلاّ » .

(٩) (ت ٧٤٦ هـ) ، الدرر : ٤٢١/١ .

(١٠) قرية في طريق مصر كما في معجم البلدان : ٣٧٨/٤ .

٣٦٨ ـ أيدكين *

الأمير علاء الدين الأركشي[١] .

كان أوّلاً برُمْح واحد يَسُوق في البريد من جُملة بريديّة مصر ، وكان مُحَذلقاً ، توجه إلى البلاد الشرقية وعاد في مهم ، فراج عند السلطان الملك الناصر محمّد ، وحكى له أنه مرت به أهوالٌ عظيمة في سفرته وتحيّل بحيل كثيرة حتى نجا ، وذكر للسّلطان شيئاً يُسْتَحْيَا من ذكره ، فضحك السّلطان من ذلك وأمّره ووَلاَّه القاهرة ، فظلم وجار وأشبهت أيامُه الظلم ، وتاه في الولاية وزاد ، ولم يعبأ بأحد من الخاصكية ، فاتفقوا عليه وشكِوه إلى السلطان ، فعزله .

وما أظنّه أقام أكثر من سنة ، وعاد إلى دمشق وكان السلطان قد ولاّه بعدما عزل الأمير ناصر الدين محمّد بن الْمُحسني[٢] في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكانت من غرائب السّلطان عزل مثل هذا وولاية هذا ، وكان قد عُزل من ولاية القاهرة في حادي عُشْرَي جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وتولاها بعده سيف الدين بلبان الحُسَامي البَريدي .

٣٦٩ ـ أَيْدَمُر*

الجناحي ، الأمير عز الدين .

كان نائباً بغزّة ، له أموالٌ كثيرة ، وفُرشُ سعادته وَثيرة ، وفِكْرَتُه في تَحْصيل المال للاكتساب مُثيرة ، حصّل من الذهب مالو فَرَّقَهُ على العفاة لَمَا ذهب ، وملك من العَيْن جُمله ، تعجز المطايا عن النهوض به وما تطيق حَمْلَه ، إلاّ أنّه درب السياسة ، واتّصف بالرياسة .

* الدرر : ٤٢٨/١ .

(١) (ق) ، وبعض أصول الدرر : « الأزكشي » .

(٢) ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وسقطت سنة وفاته ، ويفهم من كلامة أنّه كان حيّاً سنة ٧٥٤ هـ .

* عقد الجمان : ٤٨٥/٣ ، وفيات (٦٩٨ هـ) .

ولم يزل بغزةَ إلى أن قصّ الموت مِنَ الجناحيِّ جَنَـاحَـه ، وأراه في قَبْره إمّـا خيبتـهُ وإمّا نجاحه .

وتوفي رحمه الله تعـالى في شهر ربيع الأول سنـة ثمـان وتسعين وست مئـة ، وخلّف تركة هائلة من جملتها مَا لا ورد به ذكر في وصيّة ، ولا عَلِمَ به أحد ، بل تبرّع بإحضاره فخر الدين العزازي[1] وكانت هذه[2] الجملة ، ذهباً وغيره ، ما قُوِّم بستين ألف دينار .

٣٧٠ ـ أَيْدُمُر *

الزرْدَ كاش الأمير عز الدين .

قَفَّـز[3] مـع الأفرم لأنـه كان صِهْرَه ولاقَيَـا قرا سُنقر ، ودخـلا بـلاد التتـار إلى خَربندا ، كما تقدم في ترجمة الأمير جمال الـدين آقوش الأفرم ، وطلب ابنـه وابن الأفرم إلى الديار المصريّة فتوجها .

٣٧١ ـ أيْدمُر**

الأمير عز الدين الظاهري .

كان نائبَ الشام في الأيَّام الظاهريّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة سبع مئة بربـاطـهِ بالجبل ، ودُفن هناك بالتربة على نهر ثُورا قبالةَ المدرسة الماردانيّة الحنفيّة .

وكان السُلطان قَدْ وَلاَّه نيابة الكرك ، فأقـام هنـاك إلى أن حضر السُلطـان الملـك

(١) (ق) : « الغرازي » ، ولم نقف على ترجمته . وفي عقد الجمان : « التاجر بقيسارية الشرب » .

(٢) ليست في (ق) .

* لم نقف على ترجمته .

(٣) التقفيز : النقش بالحناءة ، والمراد ههنا الملازمة وشدّة القرب .

** التحفة : ١٧٢/٢ ، والدرر : ٤٣٠/١ ، وعقد الجمان : ١٥٤/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠) .

الظاهر إلى الكرك في المحرّم سنة سبعين وست مئة[١] وعاد منها وأخذ الأميرَ عز الدين معه إلى دمشق فولاّه نيابتها عوضاً عن الأمير جمال الدين النجيبي[٢] فأقام بها .

٣٧٢ ـ أيدمُر*

الأمير عز الدين دُقْمَاق نقيبُ العساكر المصريّة .

كان محبوباً إلى الناس ، فيه خيرٌ ورحمة .

توفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

٣٧٣ ـ أيدمُر**

الأمير عز الدين المَرْقبي .

كان من خواصّ الأشرف ، وأقام أميراً بدمشق مُدّة ، ثم إنَّه نُقل إلى طرابلس على إقطاع إمرة ، فأقام بها إلى أن توفي هناك في سنة أربع وأربعين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

وكان شكلاً مليحاً .

٣٧٤ ـ أيدمُر***

ابن عبد الله عز الدين السَّنَائي .

---

(١) في الأصل : « وسبعمئة » ، سهو .

(٢) أبو بكر بن أيبك ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٤٣٠/١ .

** الدرر : ٤٣٠/١ ، والسلوك : ٥٨٥/٣/٢ .

*** الوافي : ١٥/١٠ ، وفوات الوفيات : ٢١٤/١ ، والدرر : ٤٢٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٧٩/٣ ، وفيه « السناني » بنونين . وعقد الجمان : ٤٨١/٤ ، في وفيات سنة (٧٠٧ هـ) . وذكر غير الصفدي أن وفاته سنة (٧٠٧) .

كان جنديّا ، كم اعتقل للغزاة رمحاً وتقلّد هنديا ، وله معرفة بالتعبير[١] ، وكلامه في ذلك ألطفُ من نسمة عبير ، وله[٢] معارفُ أدبيّة ، وصَوارف إلى النكت العربية ، ولم يزل يصوغ شعره إلى أن أظلم الوجود في عين السَّنائي ، وقَرّبَ إليه من الحتف ما هو نائي .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في أول جُمادى الأولى سنة سبع مئة[٣] ، على ما ذكره الأُدْفُوي في تاريخه (البدر السافر) .

وكان عتيقَ أَقْطُوَان الحاجبي[٤] والي قَلْيُوب ، ووَرِثَه ابنه إبراهيم بالولاء .

ومن شعره :

تَخِذَ النسيمَ إلى الحبيبِ رَسُولا ... دنفٌ حَكَاه رقّةً ونُحُولا
يُجَري العُيونَ من العيونِ صبابةً ... فَتَسيل في أثر الغريق سُيُولا
ويقول من حَسد له : ياليتني ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا[٥]

ومنه :

بعلبكُ دارٌ ولكنها ... دارٌ بلا أهل وجيران
كأنها ليلةُ وَصْلٍ مضت ... وأهلها ليلةَ هجران[٦]

وأنشدني من لفظه العلامة أبو حيّان قال : أنشدنا المذكور لنفسه :

---

(١) في الوافي : « بتعبير الرؤيا » .
(٢) (ق) : « ولديه » .
(٣) في عقد الجمان : « ودفن بمقابر الحمزيين بدمشق » .
(٤) المعروف بالكمالي ، ترجم له الصفدي فيما سلف .
(٥) في الوافي : « من جسد » ، ولا وجه لها . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ياليتني اتخذتُ مع الرَّسولِ سبيلاً ﴾ الفرقان : ٢٥/٢٧ .
(٦) المنهل الصافي : ٣/١٨٠ .

سَفَرت فخلتُ الصبحَ حين تَبَلَّجا في جنح فَوْدٍ كالظَّلام إذا سجا[١]
فتانةٌ فتّاكةٌ من طرفها كم حاول القلبُ النجاةَ فما نجا
نَحَلَتْ نَضيرَ الغصن قامَةَ قَدِّها وحَبَتْ مهاةَ الجزع طرفاً أدْعَجا
تَفْتَرّ عن بَرَدٍ تقيٍّ بَرْدُه بالرَّشف حَرَّ حُشَاشتي قد أثْلَجا
ما إنْ دخلتُ رياض جَنّةِ وجهها فرأيت عنها الدهر يوماً مَخْرَجا
وَلَمَا رشفت رحيق فيها ظامياً فازددت إلا حُرْقَة وتوهجا[٢]
تعطو برخص طَرَّفته بعَنْدم وتُريك ثَغْراً كالأَقاح مُفَلّجا
أَنّى نظرتَ إلى رياضِ جمالها عاينتَ ثَمَّ مُفَوَّفاً ومُدَبَّجا
زارت وعُمر الليل في غُلَوائِه فغدا من الشمس البهيّة أبهجا
وسرى نسيم الروض ينكر إثرها فتعرَّفَت آثاره وتأرَّجا

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه :

وَرَدَ الوَرْدُ فَأَوْرِدْنا المدامَا وأرِحْ بالراح أرْوَاحاً هُيامى
واجْلُها بِكْراً على خُطَّابها بنتَ كَرْم قد أبَت إلاَّ كراما[٣]
ذات ثغرٍ لؤلؤي وَصْفُه في رحيقٍ رَشْفُه يَشْفي الأُواما[٤]
بُرقِعَت باللؤلؤ الرطب على وَجْنَةٍ كالنار لا تألو ضِراما[٥]
أقبلت تسعى بها شمسُ الضّحى تُخجل البدرَ إذا يبدو تَماما[٦]
بجفون بابليّ سِحْرُها سُقْمُها أَبْدَى إلى جسمي السَّقاما[٧]

(١) (ق) : « دجا » . وفي عقد الجمان : « شجا » .
(٢) كذا في الأصل و (ق) والفوات : « ولها » ، وفي الوافي وعقد الجمان : « لما » .
(٣) في عقد الجمان : « الكراما » .
(٤) (ق) ، وعقد الجمان : « ثغر جوهري » ، وفي الوافي : « جوهري رصفه » .
(٥) في عقد الجمان : « وجنتها » ولا يستقيم بها الوزن .
(٦) في عقد الجمان : « ضحى » .
(٧) في عقد الجمان : « أهدى إلى » .

ونضيرُ الـــورد في وجنتهـــا   نَبْتُـــه أنْبَت في قَلْبي الغرامـــا[١]
ودّت الأغصـــانُ لّمـــا خَطَرت   لـو حكت منهـا التثني والقَـواما
قـــال لي خـــالٌ على وجنتهـــا   حين نـادَيْتُ: أَمَـا تخشى الضِّراما
منــــــذ ألقيتُ بنفسي في لَظَى   خــدِّهـــا ألفيتُ بَرْداً وسَـلاَمـــا

قلت : شعر متوسط .

٣٧٥ ـ أَيْدمُر*

الأمير عز الدين الخطيري .

حبَسَه السُلطان بعد مجيئه من الكرك ، فسعى لـه مملوكـه بـدر الـدين بيلبـك[٢] أستاذ داره مع الأمير سيف الدين طغـاي الكبير ـ الآتي ذكره في حرف الطـاء مكانـه ـ ولما خرج طلب حسَابه من مملوكه المذكور ، فقال له : سَعيتُ لك بـه إلى أن خُلِّصْت . ثم إنـه عظم شـأنـه عنـد السلطـان ، وكان يجلس رأس الميسرة ، وأعطـاه إقطـاع مئـة وعشرين فـارسـاً[٣] ، وكان لا يمكّنـه السُلطـان من المبيت في داره بـالقـاهرة ، ولـه دار مليحة في رُحَيْبَة العيد[٤] فينزل إليها بكرة ، ويطلعُ إلى القلعة بعد العصر ، كـذا أبـداً ، وكانوا يرون ذلك تعظيماً له .

وكان في الأصـل مملـوكَ شرف الـدين أوحـد بن الخطير والـد الأمير بـدر الـدين مسعود الآتي ذِكْرُه ـ إن شاء الله تعالى ـ مكانه ، وكان لا يلبس قِباءً مطرّزاً ، ولا يـدع أحداً عنده يلبسُ ذلك . وكان يُخرِجُ الزكاة .

---

(١) في الأصل : « ونظير » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي ، والوفيات ، وعقد الجمان .

* الوافي : ١٧/١٠ ، والدرر : ٤٢٩/١ ، وخطط المقريزي : ٣١٢/٢ ، والمنهل الصافي : ١٨٠/٣ . والـدرر : ٤٥٨/١ .

(٢) (ت ٧٠٦ هـ) ، الدرر : ٥١٥/١ .

(٣) في المنهل : « وأنعم عليه بإمرة مئة وتقدمة ألف ، وزيادة عشرين » .

(٤) في الوافي : « رحبة العيد » ، وفي المنهل : « رحبة باب العيد » . وانظر حاشيتي المنهل والوافي .

وكنت يوماً عند أستاذداره هذا بدر الدين بيلبك وقد زوّج السّلطان ابنته بالأمير سيف الدين قوصون وقد ضربوا لدور الأمير عز الدين الخطيري دينارين وَزْنُها أربع مئة دينار وعشرةُ آلاف درهم برسم النقوط خارجاً عن عشرة تفاصيل قماش حرير ملوّنة . وقالوا له : ياخوند هذا السكّر الذي [يعمل][(١)] في الطعام ما يضر أن نعمله غير مكرر ؟ فقال : لا ، فإنه يبقى في نفسي أنه غير مكرر[(٢)] .

وعمّر الجامع المشهور في رَمْلَة بولاق على البحر وإلى جانبه الربع المشهور ، يُقال إنه غرم عليهما نحواً من أربع مئة ألف درهم ، وأكله البحر في حياته ، ثم إنه رمَّه وأَصْلَحه بجملة من المال .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع الخطيري من الموت في خَطَرْ ، وراح كأنه لم يفز[(٣)] بأمنية ولا وطر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن[(٤)] .

وخلّف ولدين أميرين : علياً ومحمداً .

وكان ذا شيبة مبيضّة ، كأنها في النقاء تجسّدت من دموع مرفضّة ، أو تكَوَّنت من أزاهرِ روضةٍ غضَّة ، بوجه يُقْطَفُ الوردُ من وَجَناته ، والجُلّنارُ من خمائله وجَنّاته ، كريمَ الكف إذا نوَّل ، كبير النفس إذا أعطى أحداً أَوْ خَوَّل ، فيه تجمّلٌ وحِشمة ، وله همة وعزمَة .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي ، والمنهل .

(٢) زاد في المنهل : « فلا تطيب » .

(٣) في الأصل : « يقيم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في المنهل : « في أوائل شهر رجب سنة سبع وثلاثين وسبع مئة » .

٣٧٦ ـ أَيْدمُر*

الأمير عز الدين[١] أحد الأمراء بالديار المصريّة .

وَلاَّه الملك الصّالح نيابةَ غَزَّة ، فتوّجه إليها وأقام بها مُدّة ، ثم إنّه استعفى بعد موت الصّالح وعاد إلى القاهرة .

ولّما كانت الكائنة على يلبُغا اليحيوي في الأيام المظفريّة رُسم له أن يتوجّه إلى دمشق للحَوْطة على موجود يلبغا والأمراءِ الذين كانوا معه من إخوته وغيرهم ، فحضر إليها ومعه الأمير نجم الدين بن الزيبق[٢] في جُمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بدمشق مُدّة تزيد على الثلاثة أشهر إلى أن أباع[٣] موجودَهم ، وتوجَّهَ بالأموال جميعها إلى مصر هو والأمير شمس الدين آقسنقر أمير جاندار الذي أحضر أرغون شاه إلى نيابة دمشق ، ولّما وصلا بالمال إلى المظفر لم يلبثا إلاّ قليلاً ، قريباً من الشهر ، وخرجوا على المظفر ، ولم يكن معه أحد من الأمراء إلا الأمير عز الدين الزرَّاق وآقسنقر وأيدمر الشمسي ، فنقم الخاصكيةُ عليهم ذلك ، وأخرجوهم إلى الشام ، فوصلوا إلى دمشق نهار العيد أول شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . ورُسم للزرَّاق بالمقام في دمشق ، ثم ورد مرسوم الملك الناصر حَسَن بتوجهه[٤] إلى حلب ، فتوجّه إليها في العشر الأوسط من شوال سنة وَرَدَ[٥] منشوره إليه فيا بعد بإقطاع الأمير سيف الدين أَسَنْدَمُر الحسني .

وكان دَيّناً ، وطيء الجانب ليّناً ، فيه خير وبِرّ ، وحِفْظٌ لما عنده من عهد وسِرّ .

* الوافي : ١٠/١٨ ، والدرر : ١/٤٢٩ ، والمنهل الصافي : ٣/١٨٢ .

(١) في الوافي ، والدرر : « عزّ الدين الزراق » ، وزاد في الدرر : العلائي الجمقدار . وفي المنهل : « المعروف بالزراق » .

(٢) هو داود بن الزيبق ، وستأتي ترجمته .

(٣) في الوافي : « باع » .

(٤) في الأصل : « يتوجه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٥) (ق) ، (خ) : « شوال وورد » ، وفي الوافي :« شوال ثم ورد » .

ولم يزل على حالـه إلى أن فرغ أجل الزَرَّاق ورِزْقُـه ، واتّسع عليـه من المـوت خَرْقُـهُ ، وتوفي رحمه الله تعالى[١] .

وكنت أنا بالقاهرة ـ في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكتبتُ تقليده بنيابة غزة ارتجالاً من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي زاد أولياءَ دولتنا القاهرةِ عزًّا ، وجعل أصفياء أيـامنـا الزاهرة كُفـاة تعود[٢] الممالـك بهم حِرْزاً ، وجرَّدَ مِنْ أنصـارنـا كلَّ نَصْل رَاعَ حَـداً وراق هـزّاً ، ووفّـق آراءنا الشريفة لأن يكون مَنْ نعتمد عليه يُسْنَدُ إليه العز ويُعْزَى . نحمده على نِعَمِـه الّتي عَمَّت ، ومِننه التي طَلَعت أقمارها وتمّت ، وعوارفِـه التي نَمَت أزهـارُهـا ففـاحت شـذىً ونمّت ، وأياديه التي قادت[٣] الألطاف إلى حَرَمنا وزَمَّت .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهـادةً مهـدّ الإيمـانُ قَصْـدَهـا ، وجـدَّدَ الإيقان عَهْدَها ، وشيّد الإدمان مَجْدَها ، وأيّد البرهانُ رُشْدَها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هـدَى بـه الأُمّـةَ ، وبـدا[٤] بـه الأمورَ المهمّـة ، وجلا بأنوار بِعْثَته من الكفر الدياجيَ الْمُـدْلهمّـة ، ونفى بـإبلاغ رسـالاتـه[٥] ثبوت كلّ ثبـور ، وألَم كلّ ملمّـه ، صلى الله عليـه وعلى آلــه وصحبــه الـذين تـلألأت أنـوارهم ، وتوضحت في آفاق المعالي أقمارهم وتوشَّحت بلآلي السيـادة أزهـارهم ، وتفتحت للسعـادة بصائرهم وأبصارهم ، صلاةً ظلالُ رُضوانها مديدة ، وخِلالُ غفرانها عَديـدة ، مـا افترَّ ثَغْرُ صُبْح[٦] في لَعَسِ ظلام ، واهتز في الحرب قَدُّ رمحٍ ، وتورد بالدم خَدّ[٧] حسـام ، وسلم ، وبعد :

(١) كذا ، ولم يذكر سنة وفاته ، وخلا منها الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه توفي في حدود الستين وسبع مئة .
(٢) في الوافي : « يقود » .
(٣) في الأصل : « فادت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٤) سهّلت الهمزة .
(٥) في الوافي : « رسالته » .
(٦) (خ) : « صباح » .
(٧) في الوافي : « قد » .

فإنّ ممالكنا الشريفة منها ماهو عالي المكانة ، داني المكان مُوَفَّر الاستكانة ، مُوَفَّى النعمة بالسكّان ، مُوَطَّأ الأكناف ، مُوَطَّد الأركان ، مُوَسَّع الأفنية ، مُوَشّع الأفنان ، وقد جاورَ الأرض الْمُقَدَّسة ، وبَرَز رافلاً من خمائله في حلله المقندسة[١] ، ونوّه الذكرُ مَحَاسنه لما نوّع الاعتدالُ خيره وَجنّسه . كم فيه من كثيب رمل أَوْعَسْ[٢] ، وحديقةٍ إذا بكى الغمام عليها تبسم ثغر زهرها الألعس ، وروضٍ حكى القدّ[٣] الأملدَ قضيبَه الأملس ، قد اكْتَنفه البرّ والبحر ، وأحاطت به المحاسن إحاطةَ القلائدِ بالنحر[٤] ، وبرز بين مصر والشام برزخا ، وكثرت خيراته فهو لا يزال مَهَبّ[٥] رُخاء الرَّخا ، وإلى غزة ترجع هذه الضمائر ، وعلى سرها تدل هذه الأمائر ، كاد النجم ينزل إلى أرضها ليتنزه ، وقصرّ وصف الواصف عنها ولو أنه كُثَيّر وهي عَزّه ، وكانت غُرَّة في وجه الشام فنقَّطها سوادُ العين بإنسانه فصارت غَزّه ، وكفاها فخراً بما يُرْوَى عنها أن الإمام الشافعي رضي الله عنه منها .

ولما كان المجلس العالي الأميري وألقابُه ونُعوته من أعيان هذه الدولة ، وأعوانِ هذه الأيام التي زانها الصَّوْن والصّولة ، قد اتصف بالحلم والباس ، والأناة والإيناس ، والمهابة التي طَوْدُها راسخٌ رَاس ، والشجاعةِ التي مرامها صَعْبُ المِراس ، طالما جُرّد منه حسام[٦] حُمِدَت مضاربه ، وجُهِّز في جيشٍ نَصرهُ الله على مَنْ يحاربه ، وأَطلع في[٧] أفق مهمٍّ شريف أحدقت به كواكبه اقتضت آراؤنا الشريفة إعلاء رتبته وإدامة بهجته وسرور مهجته وتوفير حركته ، وأَنْ نُفَوِّض إليه تقدمة العسكر المنصور بغزّة المحروسة ،

(١) في الوافي : « المقدسة » .
(٢) أي : سهل ليّن .
(٣) في الأصل و (ق) : « وروضة حكى القضيب ، وأثبتنا ما في الوافي وهو أنسب .
(٤) في الوافي : « القلادة » .
(٥) في الأصل : « وهب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٦) في الوافي : « حساماً » .
(٧) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

فلذلك رَسِم بالأمر العالي[١] المولوي السلطاني الملكي الصّالحي العمادي أن يستقر فيما أشرنا إليه من ذلك ، اعتماداً على ما قلناه[٢] من همّته ، واستناداً إلى ما جرّبناه من شيمته[٣] ، واجتهاداً في وقوع اختيارنا الشريف لِمَا أحمدنا في الإخلاص من[٤] ثبوت قدمه ، واعتقاداً في نهوضه بهذا الأمر الذي ألبسناه حُلَلَ نِعَمه ، وارتياداً لاحتفاله بهذا المهم الذي لا يزال طائعاً طائفاً بحَرَمِه ، فليستقر فيما فوّضناه إليه مجتهداً في رضى الله تعالى ، فإن ذلك أَوْلَى ما نطق به اللسان ، ورضى خواطِرنا الشريفة ، وهو[٥] مغدوق برضى الله الذي أمر بالعدل والإحسان ، معتمداً على طلب الحق الجليّ ، والإقبال على الْمُستغيث به بوجه وَضِيّ ، وخُلُق رضيّ وعزم مَلِيّ ، حتى يُنصف المظلوم من ظالمه ويُرشدَ الضالَّ عن الصواب إلى معالمه ، ويَبْسُطَ العدل في رعايانا ، ويُجريهم على ما أَلِفوه من الأمن والمَنّ من سجايانا ؛ لأن العدل يُعَمِّر البلادَ ، والجَوْرَ يُدمِّر العبادَ ، والحاكمُ العادلُ من المطر الوابل ، والأَسَدُ إذا حَطَم خير من الوالي إذا ظَلَم ، وهو يَعْلَمُ أمرَ هذه الدنيا وما إليه تَؤُول ،ويتحقق أنّه[٦] راعٍ وكل راع مسؤول . والشرع الشريف فليتقدم برفع مَنارِه ، وتعظيمِ شِعَارِه ، فإنه المحجّةُ السَّويّة والحجّة القَويّة ، فما شددنا السيف إلاّ لنُصرةِ الشرع ، ولا نعتقد إلا أنّه الأصلُ وبقيةُ السياسات فَرْع . والعَسْكر المنصُور ، فهم منا بمرأى ومسمع ، وعنايتُنا بهم تامّةٌ تَمْنَحهم الخيرَ وللشرِّ تدفع[٧] ، فليُراع حالَهم ويَرْعَهَا ، ويتّبعْ أصول[٨] أمورهم وفَرْعَها : إقطاع من مات منهم إلى رحمة الله تعالى لولده أو لقريبه ، وكبيرهم وصغيرهم معامل بتوقيره وتوفير نصيبه

(١) في الوافي : « الشريف العالي » .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « علمناه » .

(٣) في الوافي : « من همه ... من شيمه » .

(٤) ليست في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٥) ليست في (خ) .

(٦) (ق) ، (خ) ، والوافي : « أنّه الآن » .

(٧) في الوافي : « تمنع » .

(٨) في الوافي : « أصل » .

وليُلزِمْهُم بعمل الأيزاك[١] المهمّة ، والركوب في كل موكب ، والنزول في كل خدمة ، حتى يَكونوا على أُهبَّة لورود المهمّات الشريفة والحركات التي هي بهم في كلّ وقت مُطيفة ، والوصايا كثيرة ، وتقوى الله تعالى مِلاك الأمور ، وفِكاك الأعناق من الأوزار وشِباك الأجور ، فلا يبرح مِنْ حَرَمِها المنيع ولا يسرح في سوى روضها المَريع ، فإنّ مَن لازمها سَعِدَ دنيا وأخرى ، وحاز في الدارين مَنْقَبة وفخراً ، والله يزيده ممّا أولاه ، ويُفيده الإعانة على ما وَلّاه . والخطّ الشريف ـ أعلاه الله تعالى ـ أعلاه حجةٌ في ثبوت العمل بما[٢] اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

٣٧٧ ـ إيْرَنْجي*

بكسرة الهمزة[٣] وسكون الياء آخر الحروف ، وراء بعدها نون ساكنة وجيمٌ وياء آخر الحروف : النُّوَيْن التتري خال القان بوسعيد .

لَمّا تبرّم بوسعيد من[٤] نائبة جُوبان[٥] واستيلائه على الأمور واحتجاره عليه ، تنفس إلى مقدمين يكرهون جوبان منهم إيْرنجي هذا وقُرْمُشي[٦] ودقماق[٧] ، فقالوا له : إن أردت[٨] قتلناه . واتفقوا على أن يبيّتوه ، وذلك في جمادى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ووافقهم على ذلك أخو دقماق ومحّمد هريرة[٩] ويوسف بكتا[١٠] ويعقوب

(١) جمع يزك ، وهي طلائع الجند .

(٢) في الأصل : « مما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) ، والوافي .

* الوافي : ٢٢/١٠ ، والدرر : ٤٣٠/١ ، والمنهل الصافي : ١٨٦/٣ .

(٣) في المنهل : « بفتح الألف » .

(٤) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٥) جوبان النوين ، وستأتي ترجمته .

(٦) ابن اقطوان ، وستأتي ترجمته .

(٧) ترجم له صاحب الدرر : ١٠١/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٨) في الوافي : « إن رسمت » . وفي المنهل : « إن شئت » .

(٩) في المنهل : « أخو دقماق الأمير محمد ، ويوسف بكتا ، ويعقوب المسخرة » .

(١٠) في الوافي : « بَكتَا » .

المسخر[١] ، فهيّأ قُرمشي دَعوةً ، ودعا جوبان إليها فأجاب ، ونَفَّذ له تَقْدِمة سنيّة فقبلها ، فنصَحَه تتريّ ، فتحفّظ في الهروب ، وترك خيامه ، وأقبل قُرمشي في عشرة آلاف ، وسأل عن جوبان ، فقيل : في مخيّمه ، فهجم عليه ، وثار[٢] أجناد جوبان في السلاح ، والتحم القتال ، فقُتِل نحو ثلاث مئة ، ونَهبَ قُرمشي حَواصل جوبان ، وسَاق في طَلَبه ، وهرب هو إلى مَرَنْد[٣] معه ولدُه حسن وابنان ، فأكرمه صاحب مَرَنْد ، وأَمَدَّه بخيل ورجال ، وأتى تبريز ، فتلقاه علي شاه وزيَّن البلدَ له ، وجاء في[٤] خدمته إلى بوسعيد ، وأثنى على جوبان وعلى شفقته وأنّه والد ، ثم دخل جوبان وبيده كَفَنٌ وهو باكٍ وقال : يا خوند قُتِلَتْ رجالي ونُهِبَتْ أموالي ، فإن كنت تريد قتلي فها أنا قد حضرت ، وقد صرت في تصرفك ، فتنصّل القان وتبرّى ممّا جرى ، وقال له : حاربهم فهؤلاء أعداؤنا قال : فيساعدني القان ، فجهز له جيشاً مع طاز بن النوين كتبغا ومع قراسنقر ، وركب القان مع خواصّه مع العسكر . وأما إيرنجي فإنه قصد تبريز في طلب جوبان ، فأُغلق البلد في وجهه ، وخرج الوالي إليهم ، فأهانوه وعلقوه منكوساً حتى وزن أربع مئة [ألف][٥] درهم ، ثم ساروا إلى رَنكان ، فالتقى الجمعان ، فلما رأى إيرنجي القان وراياته سُقط في يده وقال لأصحابه : السُلطان علينا فما الحيلة ؟[٦] فقال قرمشي : لا بد من الحرب ، فالسُلطان معنا ، وسيّر قُرمشي إلى جُوبان وقال : أنا معك ، والتحم القتال وانكسر إيرنجي ، وتحوّلت[٧] غالب عسكره إلى تحت رايات السلطان ، ثم أُسِرَ إيرنجي وقرمشي ودُقماق ، وعقد لهم مجلس

---

(١) (ق) ، والوافي : « المسخرة » .

(٢) في الأصل : « وأثار » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٣) من مدن أذربيجان ، معجم البلدان : ٥/١٠١ .

(٤) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٦) (ق) ، والوافي : « فما العمل » .

(٧) (ق) ، والوافي : « وتحول » .

بالسُلطانيّة[١] فقالوا : ما تحركنا إلاّ بأمر القان ، فأنكر وكذّبهم وأمر بقتلهم ، فقال إيرنجي : هذا خَطُّكَ معي أنا ، فأنكر وجحد ، فضرب إيرنجي بسيخ في فمه فهلك[٢] ، وطيف برأسه في خراسان والعراق ، وذلك في سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وقُتل قُرمشي ودقماق وأمسك أمراؤهم ، وتمكن جوبان وأباد أضداده ، وكان دقماق مسلماً يُحبّ العرب ويكثر الصدقة ، فحلقوا ذَقْنَه وطِيف به ، ثم رموه بالنُشّاب ، وباد من المُغْل خَلْقٌ كثير في تلك الواقعة .

وكان إيرنجي هذا في حشمته فريداً ، وفي عَظَمته وحيداً ، وفي أصله مجيداً ، وفي إحسانه مُجيداً[٣] ، له مهابة في السياسة ، وقُدْرَة على اتبّاع الياسة ، ولكن البغي على جوبان صَرَعَه ، وضَرَب بابَ هلاكِه وقَرعَه ، ودخل السيخ فَمَه قال له البغي : قد زدتَ فَمْهْ[٤] .

☆ **الأيكي :** الشيخ شمس الدين محّمد بن أبي بكر .

٣٧٨ ـ أيمن بن محّمد البُزُولي*

بالباء الموحدة والزاي والواو واللام : الأندلسي الأصل ، التونسي أبو البركات .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : هو جندي ، أنشدَنا له بَعْضُ أصحابنا يهجو أبا سلامة ناجي بن الطوّاح التونسي أحد الطلبة الأدباء بتونس ، وكان طويلاً رقيقاً ، فيه انحناء :

نـاجٍ من النَّجْـو مُشْتَـقّ ومـا العَـذِرَهْ   يوماً بأَنْجَسَ مِنْ أَرْهَاطـه القَـذِرَهْ[٥]

---

(١) عاصمة الدولة الإيلخانية في عهد بوسعيد بعد تبريز .

(٢) في الوافي : « فتلف » .

(٣) في الأصل : « بوجيدا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) أي : فكفّ ، اسم فعل أمر .

* الوافي : ٣٣/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٦٨/١٤ ، والدرر : ٤٣١/١ .

(٥) في الأصل : « من العذرة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

جِنْس الخراء طويلٌ رَقّ منحنياً كبائلٍ قائمٍ والأرضُ مُنْحَدِرَهْ[١]
غَذَتْهُ ألبانَ فِسق أُمُّهُ وأبى أبوه إلاّ الخنا والفَرْعُ للشجرَهْ

قلتُ : أظن أيمن هذا أبا البركات المعروف بعاشق النبي ، وهو أيمن بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، أربعة عشرة محمداً ، أتى إلى المدينة الشريفة ، وأقام بها .

وأخبرني غيرُ واحد أنه كان أوّلاً كثيرَ الهجو والوقيعة في الناس ، لكنه تاب إلى الله تعالى بعد ذلك وأقلعَ وأناب ، وألزم نفسه أنه[٢] ينظم كلّ يوم قصيدةً يمدح بها سيّدنا رسول الله ﷺ ، وأنه في وقتٍ عَزَم على العود لزيارة أهله بالمغرب ؛ فرأى النبيَّ ﷺ في النوم وقال له : يا أبا البركات كيف ترضى بفراقنا ؟ أَوْ ما هذا معناه ، فعاد وبطّل المُضِيَّ إلى أهله ، وسمى نَفْسَه عاشق النبي .

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الفاضل بهاء الدين محمد بن علي المعروف بابن إمام المشهد ، قال : أنشدني أبو البركات أيمن لنفسه :

فَرَرْتُ من الدّنيا إلى ساكنِ الحمى فرارَ محبٍّ عائذٍ بحبيب
لجأتُ إلى هذا الجَنابِ وإنّما لجأت إلى سامي العمادِ رَحيب
وناديتُ مولايَ الذي عنده الشِّفا لداءٍ عَليلٍ في الديار غريب[٣]
أَمولاي دائي في الذُّنوب وليس لي سواك طبيبٌ يا أجلَّ طبيب
تناومتُ في إظلام ليلِ شبيبتي فأيقظني إشراق صبحِ مشيبي[٤]
وجئتك لمّا ضاق ذَرْعي بزَلّتي وأشفقت من جُرْمي مَجيء سليب[٥]

(١) في الوافي : « حبس » .
(٢) (ق) : « أن » .
(٣) في حاشية (ق) عن ذهبيّة العصر لابن فضل الله : « نداء عليل » .
(٤) في الأصل : « إطراق صبح » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٥) في الوافي : « بمحي سليب » ، تحريف .

ومـا أرتجي إلا شفـاعتـك التي بهـا يَبْلُـغ الراجي ثـواب مُثيب
فقـال: لـك البشرى ظفرت من المنى بـأسعـد حـظ وافرٍ ونصيب[١]
فـدامت مسرّاتي وزادَت بشـائري وطـاب حُضـوري عِنْـدَه ومَغيبي
أنـا اليـومَ جـارٌ للنبيّ بطيبـةٍ فـلا طِيبَ في الـدنيـا يقـاس بطيبي

ومن شعره أيضاً :

حللتُ بـدارٍ حلّهـا أشرفُ الخلـقِ مُحمَّـدٌ المحمـودُ بـالخَلْـقِ والخُلْـق
وخَلّفتُ خلفي كل شيء يعـوقُني عن القصـد إلاّ مـا لَـدَيّ مِنْ العشـق
ومـا بيْ نُهـوضٌ غيرَ أنّيَ طـائر بشَوْقي وحسنُ العَـوْن من واهب الرزق
مُحمَّـدُ يـا أوفى النبيينَ ذِمَّـةً ظمئتُ وقَـدْ وافيتُ بـابـكَ أَسْتَسْقي
تَعـاظَمَ إجرامي وجَلّت خطيئتي وأشفقتُ مِنْ فِعْلي القبيـحِ ومِنْ نُطْقي
وأنت شفيـعٌ في الـذنـوب مُشَفَّـعٌ فخـذ لي أمـانـاً في القيـامـة بـالعتق
صـلاةٌ وتسليمٌ عليـك ورحمـةٌ على الآل والصَّحْب الكرام أولي الصّدق[٢]

وجدت ما هو منسوب إليه من تثمين الأبيات المشهورة :

للعـاشقينَ انكسـارُ وذلّـة وافتقـارُ
وللمِـلاح افْتِخـارُ وعِـزَّةٌ واقتـدارُ
وأهْـلُ بَـدْري أشـاروا وَوَدَّعُـوني وسَـاروا[٣]
يـا بـدرُ أهلُـك جـاروا وعَلّمـوك التجرّي
كتبت والـوجـدُ يُمْلي جـدَّ الهوى بعـد هَـزْلي
وحَـارَ ذِهْني وعَقْلي مـا بين بـدر وأهـل
يـا بـدرُ فـاحْكُمْ بعَـدْل إذا أَتَـوْك بعَـذْلي

(١) في حاشية (ق) عن ذهبية العصر : « من الرضى » ، وكذا الرواية في الوافي .
(٢) في الوافي : « أولي السبق » .
(٣) في الأصل : « أساروا » ، وأثبتنا ما في (ق) .

وحرَّموا لك وَصْلي وحَلَّلوا لك هَجْري
لولا هواك المرادُ ما كنتُ ممَّن يُصَادُ
ولا شَجاني البِعادُ يا بدر أهلك جاروا
غلطتُ جارُوا وزادوا لكنهم بك سادُوا
دع يفعلوا ما أرادوا فإنهم أهل بدر

وقد سبقه إلى مثل ذلك أبو عبد الله محمد بن جابر[١]، فقال :

لم يبقَ فيّ اصطبارُ مذ خلّفوني وساروا
وللحبيب أشاروا جارَ الكرامُ فجاروا
لله ذاك الأُوارُ بانوا فما الدارُ دارُ
يا بدرُ أهلك جاروا وعلموك التجرّي

☆ ☆ ☆

كانوا من الودّ أهلي ما عاملوني بعذلي
أَصْمَوا فؤادي بنبلِ يا بين بيّنت نكلي
يا روح قلبيَ قل لي أَهُمْ دعوكَ لقتلي
وحرّموا لك وصلي وحللوا لك هجري

☆ ☆ ☆

حسبي وماذا عناد هُمُ المنى والمراد[٢]
وإن عن الحق حادوا أو جاملوني وجادوا
يا من به الكلّ سادوا والكلّ عندي سداد
فليفعلوا ما أرادوا فإنهم أهلُ بدر

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) في الأصل : « هو المنى » ، وأثبتنا ما في (ق) .

قلت : الأول أحسن وأكثر مناسبة بالأصل .

قلت : وأقام في المدينة الشريفة ينظم كل يوم قصيدة ، ويؤم الضريح الشريفَ ووصيده ، فيفوز بالصّلات العتيدة ، والهبات التي رياح هباتها مديدة ، فواصل الله له الرضى من عاشق ، وجعل تربته رَوْضاً لناظر ومِسْكاً لناشق .

ولم يزل على حالِه إلى أن دنا من قبره فتدلّى ، وأعرضَ عن الحياة وَوَلَّى .

وتُوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٣٧٩ - إيوان*

الأمير سيف الدين الناصري ، أخو الأمير سيف الدين بُشتاك .

لمّا أُمْسِكَ أخوه وقُتل أُخرج هو إلى حلب فأقام بها أميراً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر صفر في طاعون حلب سنة تسع وأربعين وسَبع[1] مئة .

٣٨٠ - أيوب**

ابن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم بن طارق بن سالم ، الإمام بهاء الدين أبو صابر بن النحاس الأسدي الحلبي الحنفي ، مدرس القليجيّة[2] ، وشيخ الحديث بها .

قد سمع من مُكَرَّم ، والموفّق يعيش ، وابن رواحة ، وابن خليل ، وجماعة بحلب ، وقال إنه سمع (الصّحيح) من ابن رُوْزبة ، وسمع ببغداد من الكاشْغَري[3] .

* لم نقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « وتسعمئة » ، سهو .

** الوافي : ٣٦/١٠ ، والشذرات : ٤٤٥/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٣ ، وعقد الجمان : ١٠٤/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .

(٢) مدرسة القليجية بدمشق ، أوصى بوقفها الأمير علي بن قليج النوري إلى قاضي القضاة ابن سني الدولة ، وعمرت بعد وفاته (٦٥٤ هـ) . (الدارس) .

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن يوسف الكاشغري (ت ٦٤٥ هـ) ، السير : ١٤٨/٢٣ .

لم يزل بمدرسته في الإفادة ، وألِفَ هو هذه العادة ، ورآها كما يرى المحبُّ محبوبته الغادَه ، إلى أن نَحا النحاسَ حَيْنُه وتولع به بَيْنُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٣٨١ - أيوب بن سليمان بن مظفر*

الشيخ المقرئ المعمّر نَجْمُ الدين ، مؤذن النجيبي .

كبير المؤذنين ، كان يخرج بالسّواد أمام خطباء الجامع الأُموي بدمشق ، كان صوتُه عالياً ، إلاّ أنه في الطرب غالياً ، وله أخلاق مرتاضَة وحركاتٌ تُداوي من الصاحب أَمْراضَه ، وله عِدّةُ أولادٍ يَجْمع شَمْلَهم ويلتزمُ حَمْلَهم .

ولم يزل على حاله إلا أن تعيّن النجيب على النجيبي ووَجَبْ ، وقضى الناسُ من أمره العَجَبْ .

وتُوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة ، وعاش تسعاً وثمانين سنة .

☆ **أيّوب** : بن أحمد بن النجم ، المعروف بنجم الحطّيني ، يأتي ذكره في حرف النون مكانه .

٣٨٢ - أيوب بن نعمة**

ابن محّمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر ، الشيخ الْمُعمَّر الْمُسْند زين الدين النابلسي الْمَقْدِسي الكحّال .

اشتغل على طاهر الكَحّال ، وبَرَع في الصنعة وتميزّ وتكسب بها .

* الوافي : ٤٧/١٠ ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٢٦/٣ .

** الوافي : ٥٤/١٠ ، والدرر : ٤٣٤/١ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٢٨/٣ .

سمع من الْمُرسي ، والرشيد العراقي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، وعبد الله بن الخُشوعي ، وجماعة ، وروى الكثير .

وسمع منه الكبير والصغير . وتفرّد في مصرَ والشام بما رواه ، وساد بما عنده مما ضمّه من الرواية وحواه ، وانجفل إلى مصر وأقام بها اثنتين وعشرين سنة يعالج الناس بالكحل ويخصّب أنوار العيون بعد المحل ، ثم إنه رجع إلى دمشق وعجز وشاخ ، وطفئ جَمْر شبابه وباخ .

ولم يزل على حاله إلى أن أغمض الكَحّال عَيْنَه فما فُتحت ، وقيّد العُدْمُ حواسَّه فما سَرحت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة . وخُرِّجَت له مشيخة ، وأجاز لي بخطّه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٣٨٣ ـ أيّوب الملك الصالح*

ابن الكامل بن الموحِّد بن الْمُعَظَّم توران شاه بن الصالح بن الكامل بن العادل صاحب حصن كيفا .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة قاصداً الحج ، وتوجَّه إلى خدمة السلطان الملك الناصر ، وحجّ وعاد مسرعاً خوفاً على بلده ، وجاء الخبر في ذي القعدة أنه حالَ وصوله إلى الحصن تلقّاه أخوه وهيّأ له مَنْ قتله وقَتَل ولده ، واستقل أخوه بمُلْك حصن كيفا .

---

* الوافي : ١٠/٥٥ ؛ والدرر : ١/٤٣٣ .

٣٨٤ ـ أيّوب السّعُودي*

الشيخ المبارك بزاوية الشيخ أبي السعود بباب القنطرة بالقاهرة .

كان يَـذْكُر أنّـه رأى الشيخ أبـا السّعود[(١)] ، وأنـه سَلـك ورآه في طريق الصعـود . وضَعُفَ في آخرِ عُمْرِه ، وذاق من العجـز والكبر وبـالَ أمرِه ، فكان يُحْمَـلُ لحضـورِ الجماعه ، ويجد لذلك ألَماً أودعه صُحُفَه وما أضاعه .

ولم يزل على حاله إلى أن استوفى أجلَه ، وظن أن الموت جاء[(٢)] على عَجَلة .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول صفر سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بـالقرافـة في زاوية الشيخ أبي السُعود . وقال جماعة : إنهم ما رأوا مِثْلَ جنازتـه ، وكان قـد قـارب المئة .

* الدرر : ١/٤٧٠ .

(١) أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان الباذبيني شيخ الفقراء السعودية (ت ٧٤٤ هـ) ، وستأتي ترجمته

(٢) (ق) : « جاءه » .

حرف الباء

٣٨٥ ـ بَاشقَرْد*

بباء موحّدة ، وبعد الألف شين معجمة وقاف مفتوحة وراءٌ ساكنةٌ ودال مهملة : الأمير ناصر الدين بن عبد الله الناصري .

سُجِنَ بالديار المصرية عقيب كسرة حمص ، وبقي في الاعتقال إلى أن أُفرج عنه ، وحضر إلى دمشق فبقي بها نحواً من عشرة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثالث عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

قرأ عليه الشيخ علم الدين البِرْزَالي مجلس (البطاقة) بسماعه من عبد الله بن علاّق ، عن البوصيري .

وكان من أكابر الأمراء وأفاضل النبلاء ، عقله غزير ، وفَضْله مُثْلُ أدبه كبير ، له حُرمَة زائده ، ووجاهة لم تكن عن القبول حائلة ولا حائده ، وله نظم يَرُوق ، وقريض يعلو إلى الأثير إن لم يصل إلى العَيُّوق[1] .

أخبرني شيخنا نجم الدين الصّفدي[2] عمّن أخبره عنه أنه قال : بقيت عشرين سنة لا أتلفظ باللغة التركية حرصاً مني على إتقان العربيّة .

---

* البداية والنهاية : ١١٤/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/١ .

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن .

(٢) حسن بن محمد ، وستأتي ترجمته .

اللقبُ والنسبُ

☆ **البابي** : محمد بن عمر .

☆ **البابري** : سيف الدين أبو بكر .

☆ **البابصيري** : عبد العزيز بن أبي القاسم .

☆ **ابن باتكين** : مُحيي الدين أحمد بن نصر الله .

☆ **البانياسي الكاتب** : تقي الدين أبو بكر بن محمّد .

☆ **الباردي** : صدر الدين سليمان بن عبد الحليم .

☆ **الباجريقي** : جمال الدين عبد الرحيم بن عبد المولى ، وولده الشيخ محمّد .

☆ **البارنباري** : تاج الدين محمّد بن محمّد ، وجمال الدين عبد المحسن بن حسن .

☆ **البارشاه الحنفيّ** : ركن الدين عبيد الله .

☆ **ابن البارزي** : فخر الدين عثمان بن محمّد .

☆ **والبارزي** : محمد بن عبد الرحيم ، وقاضي القُضاة شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم ، وقاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم .

☆ **الباجي** : الشيخ علاء الدين الأصولي علي بن محمّد .

☆ **البالي** : علي بن محمّد .

☆ **البالسي** : محمّد بن عقيل ، ومحمّد بن علي .

☆ **الباذراي** : محمّد بن محمد بن حيدرة .

٣٨٦ ـ بُتْخاص*

بضم الباء الموحّدة ، وسكون التاء ثالثة الحروف ، وبعدها خاء معجمة وألف وصاد مهملة : الأمير سيف الدين .

كان بدمشق من جملة أمرائها ، ثم حضر إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين كراي المنصور[١] ، وأقام بها ست سنين ، وعزل[٢] وتوّجه إلى مصر ، وهو من جُملة الأمراء البُرجيّة .

ولما كان بصفد أظهر المهابه ، ومزّق من المؤذي إهابه ، وتَنَوَّع في إتلاف النفوس ، وفَصْلِ الأجساد عن الرؤوس ، ومهّد جبلَ عاملِه ، وروّى سيفه منهم[٣] وعَامِله ، أمسك سابق شَيْخَيْن[٤] وأذاقه الحَيْن في الحِيْن ، وسمَّر أولاده تحت القلعة على الخشب ، وأراهم أباهم وقد طار من المنجنيق في الهواء وانقلب ، ووَسَّط جماعةً كثيرة وشَنَق ، وخنق آخرين من غيظه والحَنَق ، وسمَّر جماعة على الجمال وطاف بهم البلد ، وأنزل بهم أنواعاً من النكال والنكد ، قد تقمّصَ القساوة والتجبُّر ، وزاد في التعاظم والتكبّر .

ولم يزل بمصر مقيماً من جملة الأمراء إلى أن حضر الملك الناصر من الكرك فَعَزم على إمساكه ، وكان في القلعة ساكناً في برجٍ من أبراجها[٥] ، فلما أحسّ بذلك عَصَى في داره ، وأغلق الأبواب ، ورمى الناس بالنشّاب من أعلى داره مِن شبّاك ، وكان ذلك بعد مغيب الشمس ، فرسم السلطان بإحراقِ داره ، وأن يُرمى فيها قوارير النفط .

أخبرني من لفظه الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر قال : جئت إليه

* الوافي : ٧٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، والدرر : ٤٧٢/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣٧/٣ .

(١) في الوافي : « المنصوري » ، وكذا في المنهل .

(٢) (ق) : « وعزل منها » .

(٣) (ق) : « من دمهم » .

(٤) لم نقف على ترجمة له .

(٥) (ق) : « بروجها » .

ووقفتُ تحت الشباك وناديته : يابُتْخَاص ، أنا فلان ، والك ، أيش هذا الذي تعمل ؟ تعال بلا فُشار ، وانزل كلّم أستاذك ، فإنه يطلبك ليتحدّث معك في أمرٍ يريده ، ترمي بالنشاب ! تعال انزل ، ونفرتُ في مماليكه ، ونفرت في[1] الذين جاؤوا إليه من عند السلطان . قال : فانفعل لِما قلته ، ونزل ، فأخذناه وأتينا به السلطان ، فأمر باعتقاله ، وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك سنة عشر أو سنة إحدى عشرة وسبع مئة ـ فيما أظن ـ فباد وما أغنى عنه تجبُّره ، ولا دافع عنه تكبُّره .

وجاءت الأخبار أنه توفي في حَبْس الكرك هو وأسندَمر نائب طرابلس في القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ولم يَبْلغنا عن أحد من غيره مِن الأمراء الذين أمسكهم السُلطان الملك الناصر من بعد الكرك وإلى أن مات أنه مانَعَ عَنْ نفسه أو دافع .

٣٨٧ ـ بُتْخَاص*

الأمير سيف الدين العادلي مملوك السلطان الملك العادل كتبغا ، قتله حسام الدين لاجين ، وقتل خوشداشه[2] الأميرَ بدر الدين بكتوت الأزرق في يوم الاثنين ثامن عُشري المُحرّم سنة ست وتسعين وست مئة ، على ما سيأتي في ترجمة بكتوت .

☆ **البجدي :** محمد بن أحمد

☆ **ابن بحيح الحنبلي :** زين الدين عمر بن سعد الله .

☆ **ابن البخاري :** محمد بن علي ، وشمس الدين محمود بن أبي بكر الحنفيّ .

☆ **ابن البخاص :** ناصر الدين محمّد بن عمر .

---

(١) ما بين : « نفرت ونفرت » ، سقط من الأصل ، وهو ثابت في (ق) ، والوافي .

* ذكره صاحب عقد الجمان : ٣٤٨/٣ ، في أحداث سنة « ٦٩٦ هـ » .

(٢) فارسية ، تعني الزميل في الخدمة .

٣٨٨ ـ بدر*

الأمير بدر الدين أبو المحاسن الطَواشي الحبشي الصّوابي ، وهو منسوب إلى الطواشي صواب العادلي[(١)] .

كان إقطاعه مئة فارس ، حج بالناس غَيْرَ مرّة ، وأقام أميراً مقدّماً أكثر من عشرين سنة ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي جزءاً سمعه من ابن عبد الدائم ، وكان بالشجاعة موصوفا ، وبالفروسيّة معروفا ، قد مارس الحروب ، وعرف الفَرَّ والكَرَّ على الكروب ، يطرق ويتعقل ، ويدور على مَظانّ الصّواب بفكره ويتنقّل ، مع التثبت والرزانة[(٢)] ، وملازمة الخير والديانة ، ومواصلة البِرّ ، وإسداء المعروف في الجَهْر والسر ، يَعمّ غلمانه وأصحابه بنواله ، ويغنيهم بجوده عن سؤاله .

ولم يزل على حاله إلى أن انمحق بَدْرُه وانطبق عليه قَبْرُه .

وكانت وفاته فجأة بقرية الخيارة ظاهر دمشق ، ونقل ودفن بتربته التي بناها بلحف الجبل شمالي الناصرية ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة في جمادى الأولى ، وقد نيّف على الثمانين .

اللقبُ والنسَبُ

☆ **البَدْري** : نائب صفد وحمص وغيرِهما ، الأمير سيف الدين بلبان ، وأولادُه : الأمير سيف الدين محمّد الحاجب ، والأمير علاء الدين [عليّ][(٣)] .

☆ **البدري** : نائب حلب ، الأمير سيف الدين بيدَمُر .

---

* الوافي : ٩٥/١٠ ، والشذرات : ٤٤١/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٤٣/٣ .

(١) (ت ٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٢) في الأصل : « الدراية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٣) زيادة من (ق) .

٣٨٩ - بُرَاق*

الشيخ الفقير كبير الطائفة المنسوبين إليه . وَرَدَ إلى دمشق سنة خمس وسبع مئة ، وقيل : سنة ست في جُمادى الأولى في زمن الأفْرَم ، ومعه جماعة كبيرة من أتباعه بعُدّة وافرة ، كانوا مئة ، وكان من جملة مريدي شيخٍ كان في بلاد الروم ، ولما ورَد خرج القاضي قطب الدين ناظر الجيش[1] إلى القابون وعَرضهم واستسماهم وحَلاّهم وعَدّهم ، وجُهِّزَت بذلك ورَقةَ طيّ المطالعة إلى أبواب السُلطان ، وكان شعاره حَلْق الذقن كلّها ، وتَرْكُ الشارب فقط ، وحَمْل الجوكان[2] على الكتف ، ولكلّ منهم قَرْنا[3] لُبّادٍ يُشبهان قَرْني الجاموس ، وهو مُقَلَّد بجبلِ كعاب بقر[4] قد صبغت بالحنّاء ، وعليهم الأجراس ، وكلٌّ منهم مكسور الثنيّة العليا ، إلاّ أنه كان يلازم العبادة والصلاة ، وكان معه محتسبٌ يؤدّب أصحابه ، كلُّ من ترك منهم[5] سُنَةً من السنن ضربه عشرين عَصًا تحت رجليه ، ومعه طبلخاناه ، وقيل له : يا شيخ لأي شيء ظهرت بهذا الشعار ؟ قال : أردت أن أكون مَسْخَرةً للفقراء .

وأول ما ظهر بتلك البلاد ذُكِر للقان غازان ، فأحضره وسلَّط عليه سَبُعاً ضارياً ، فركب على ظهره ، ولم ينل منه شيئاً ، فأعْظَمَ ذلك غازان ، ونَثَر عليه عشرة آلاف دينار رائج ، فلم يتعرض لشيء منها .

ولما أراد الدخول على الأفرم إلى الميدان أرسلوا عليه نعامة كان قد عَظُم أمْرُها وتفاقم شرُّها ، فلا يكاد أحدٌ يقاومها ، فلّما عرضوه لها قصدته ، فتوجه إليها وركَب

---

* الوافي : ١٠٦/١٠ ، والدرر : ٤٧٣/١ ، والمنهل الصافي : ٣٤٧/٣ .

(١) ابن شيخ السلامية ، موسى بن أحمد ، وستأتي ترجمته

(٢) الجوكان : المحجن أو الصولجان الذي تضرب به الكرة . (صبح الأعشى ٤٥٨/٥) .

(٣) في المنهل : « وفي رأسه قرن لباد » .

(٤) في الدرر : « بفرو » .

(٥) ليست في (ق) ، والوافي .

عليها فطارت به في الميدان تقدير خمسين ذراعاً ، إلى أن قَرُبَ من الأفرم ، فقال له : أطير بها إلى فوق شيء آخر ؟ فقال : لا . ثم إن الأفرم أحسن تلقِّيَه وأكرمَ نُزُلَه ، وطلب التوجّهَ إلى القدس ، فرتّب له رواتب في الطرقات ، فما قبلها ، وأعطاه الأفرم من خزانته ألفي درهم ، فما قبضها ، وأخذها جماعته ، وزار القدس ، وأظنّه طلب الدخول إلى مصر فما مُكِّن ، وعاد ودخل البلاد وتوجّه صحبة قطليجا نائب غازان إلى جبال كيلان لمّا حاربهم غازان بسبب ماطلبه منهم من فتح الطريق إلى بلاده وقالوا له : لاسبيل إليه لأنه يضرّنا ، فأمسكوه وقالوا : أنت تقول إنك مُسلمٌ وشيخ من الفقراء ، وتحضر مع هؤلاء أعداء الدين ، وسَلَقُوه في دَسْت ، وألقوه بعد ذلك في طَسْت ، وذلك في سنة سبع وسبعُ مئة .

وكانوا أشكالاً غريبه ، ولهم أحوال عجيبه . تَفِرّ العقولُ إذا أقبلوا ، وتتعجب منهم إذا نقَّروا وطبّلوا . تتحرك عليهم تلك الكعاب ، ويهول مرآهُمُ العجوزَ والكَعَاب ، قرونٌ من اللبّاد مَعَقّفه ، وشوارب فوق شفاههم موقّفَه ، وعلى أكتافهم تلك الجواكين ، وهيأتهم كما يقال : ماتنقطعُ بالسكاكين ، إذا خطروا صوّتت تلك الأجراس وجَعَلُوا ربوع العقول في عداد الأدراس ، قَصَّهمُ الناسُ في الخيال ورقّصُوهم ، وبخسوهم ماقصدوا به ونقصوهم ، واشتغل الناس بهم زماناً بعد ذهابهم ، ونظموا فيهم أشعاراً لم تكن داخلة في حسابهم .

أنشدني من لفظه الشيخ يحي الخبّاز الحموي[1] قال : أنشدني من لفظه لنفسه سراج الدين المحارّ[2] :

جَتْنَـا عجم من جُـوّا الروم ... صُـوَر تحير فيهـا الأفكار
لهم قرون مثـل الثيران ... إبليس يصيـح منهم زنهـار

---

(١) يحي بن محمد بن زكريا العامري (ت ٧٧٣ هـ) ، الدرر : ٤٢٦/٤ .

(٢) عمر بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

جـا كلّ واحـد لُـو شـارب ... طـويـل ودقنـو محلـوقـهْ
كِنُّـو على فمّـه غرّه[(١)] ... بـلا خيـاطـة ملـزوقـهْ
أقـوام خـوارج غيريّـه ... مثـل البهـائم مَرْزُوقـهْ
شي مـا نظرنـاه في الـدنيـا ... ولا سمعنـاه في الأخبـار
مـا أنزل الله بو [من][(٢)] سلطـان ... ولا رضي عنُّـو المختـار
الشيـخ براقَ الّي اغـواهم ... واختـار لهم هـذا الحُـلاّس
أكَسى المريـد منهم قرنين ... وأعطـاه قـلاده من أجراس
وأمّـا الكعـاب المصبـوغـة ... قـال هِي سُبَح هـذي الأجنـاس
وأيـا مكان حَلّـوا فيـه ... يسبّحـوا تسبيـح الغـار
وإن زَفَروا تَسْمَـع أصـوات ... مقـارع أهـل النّـار في النّـار
أعـزّ من تبصر فيهم ... قبض الـدكاكين في الأسـواق
خَـذْ من صغرهم عـوّدهم ... لحس الـزبـادي والأمراق
مـا يعرفـوا آداب النـاس ... ولا إيش يكون حُسن الأخـلاق
ومحتسبهم قـال لي انسـان ... كان يربّيـه واحـد خمّـار
تعِبْ عليـه حتى أنُّـوجـا ... مثلـو محـارف[(٣)] قُـودِ بشْلاَر[(٤)]
جـازوا القرم ورامـوا فيهـا ... غـارة في سـوق الجـزارينْ
على اللّـوَايـا المعلـوفـه ... وأكثرهـا مـع ذا السَـلاّخينْ
وراح يجردهم مـاعُـو ... دائم في سـوق الطبـاخين
ويطلب البنجـك منهم ... المخبـوز الخـاص والخُشكار
وهـو يـدور بين البلـدان ... دائم ويعمـل ذا البيكار

(١) في الوافي : « عثرة » .
(٢) زيادة من (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « مخارف » .
(٤) في الوافي : « شلار » .

يـــا شيـخ براق والله إنــــك قد جيت في الـدنيـا بـدعـهْ
ومـــا رأينـــاك في جـــامـع صَلّيت سـوا إن كان جمعـــهْ[1]
وكان مرادك أن تُشهر لــك في بـلاد الشـام سُمْعَـهْ
وجئت إليهم[2] في حــالــه ظهر عليـــك فيهــا إنكار
ومـــا رأينـــا من قبلـــك فقير بسبعين جـوكنـــدار
يـــا من لا يتحقّـق شكلـو أقِف تقـل لـك كيف وصفُـو
إنســان قرونـو فـوق راسـو وجـوكانـو من فـوق كتفُـو
وسيف خشب مغمـود مـاعـو والطبلخـــانــه[3] من خلفـو
يُصَنّجُـو بــــالصّينيّـــة والطبـل مُكّـه والمـزمـار
شي تضحـك النـاس من فعلـو وقـط مـا يُرضي الحُضّـار
يــاشيـخ براق إن كان تعمـل شغـل الفقيري من حَقّـا
تقـــوّ[4] من زاد التقـــوى واركب طريـق أهـل الخرقـا
ولا تغرّك ذي الــدنيـــا والآخرة خير لـــك وأبقى
ونْ كان في عـزمـك تبقى[5] حليـق ومـا تخشى من عـار
الـواجب إنـــك تتبّـع[6] طريـق حميـد ذاك الْمَحّـار
انت الغريب جيت في فنـــك وَنَـا الـوحيـد جيت في فني
نظمت أحسن مـــا يُنْقـل عنــك ومــا يُرْوَى عني
قطعـة مـا يسمعهـا إنسـان إلا ويطلبهـــا منّي

(١) في (ق) والوافي : « يوم جمعة » .
(٢) في الوافي : « ليهم » .
(٣) في الوافي : « والطبلخاه » .
(٤) في الوافي : « تقوّى » .
(٥) في الوافي : « ماتبرح » .
(٦) (ق) : « تبتع فيها » .

تبقى على مرّ الأزمـــــــان تـــــــــدور على روس الأدوار
وكنيتي مـــا احــلا مـــاجت مخفيّـــة بين هـــذي الأسطـــار

قـال شيخنـا علم الـدين البرزالي : كان من قريـة من قرى دوقـات[1] ، وكان أبوه صاحب إمرة وولاية ، وكان عمّه كاتباً مجيداً معروفاً ، وسـافر هو - يعني بُرَاق - وخـدم الشيخ شريق القرمي[2] وتَتلمذ له ، وهو الذي سمّاه بهذا الاسم فإنـه أكل من قَيْئـه فقـال له : أنت برقي ، وهي بالقبجاقية : « كَلْبٌ » . قال : ومّما يثنى به عليه أنه هو وجماعته يلازمـون الصـلاة ، ومَنْ فـاتتـه صـلاة في وقتهـا ضُرب أربعين سـوطـاً ، ولهم ذكر بين العِشائَيْن ، وكَرَمُهُ زائد .

٣٩٠ - بُرَاق*

الأمير سيف الدين أمير آخور الإسطبل السلطاني بدمشق المحروسة .

أصله من مماليك الأَفْرَم - فيما أظن - وولي هذه الوظيفة بعد شهاب الـدين الصوابي لّما مات في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأقام فيها إلى أن مرض بعلة الاستسقاء .

وتـوفي رحمـه الله تعـالى في يـوم الجمعـة ثـامن عشري شهر ربيـع الأول سنــة سبـع وخمسين .

وكان جيّداً خيّراً يتغالى في محبّة الشيخ تقي الدين بن تيمـيّـة وأصحـابـه ، ويحفـظ كثيراً من الأحاديث . وكان كثيرَ الشفقة على خيل البريد إلى الغايـة ، لا يسمح بخروج الفرس من عنده إلاّ بَعْد شدّة شديدة ومدة مديدة . ولّـا وَرَد السُلطـان الملـك الصـالح صّالح إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة رسم لـه بعشرة ، وكان من جملـة أمراء

(١) دوقات : ويقال « توقات » : بلدة في أرض الروم ، كانت ذات قلعة حصينة . (معجم البلدان) .
(٢) لم نقف على ترجمته .
* الدرر : ١/٤٧٤ .

العشرات بدمشق ، وهو الذي وقف المحيّا[1] في جامع الأمير سيف الدين تنكز بدمشق ، ووقف عليه حوانيت بحمص .

☆ البِرْزَالي : الشيخ علم الدين القاسم بن محمّد بن يوسف ، وبهاء الدين محمّد بن يوسف بن محمّد .

٣٩١ ـ بَرَسْبُغا*

الأمير سيف الدين الحاجب الناصري .

ولاّه أستاذُه الملك الناصر الحجوبيّة ، فكان دون الأمير بدر الدين أمير[2] مسعود بن الخطير ، ثم إنّه بعد قليل عظم عند السّلطان ، وكان يجهِّزه كاشفاً . ثم إنّه لّما أُمسك النشّو ناظر الخاص وأقاربُه وجماعته سَلّمهم إليه ، فعاقبهم وصادَرَهم ، ولم يكن له غرض في إتلافهم ، ولكن أمسكه يوماً الأمير سيف الدين بُشْتاك وتوعّده على عدم إتلافهم ، فهلكوا عنده في العُقوبة . ثم إنه حضر مع الأمير بُشتاك إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، وسُلّم إليه أهلُ البلد المصادرون وجماعة تنكز ، فعاقبهم واستخرج الأموال منهم ، وكان مقيماً بالنجيبيَّة على الميدان ، وكان يعاقب الناس في النهار وفي الليل ، ولم يكن في نفسه ظالماً ولا شريراً ، لأنني أنا كتبتُ عنه إلى الأمير سيف الدين قوصون عدّة مطالعات وهو يقول فيها : يا خوند أدركْ أهلَ دمشق ، وادْخُل فيهم الجنة ، فإنني بَسَطْتُ عليهم العقاب ، وأخذت جميع ما يملكونه ، ولم يبق معهم شيء ، وهؤلاء ما هم مثل أهل مصر بل هم أناس محتشمون ما يحملون إهانة[3] ، ويكتب إلى السلطان أيضاً ببعض ذلك .

---

(١) كذا ولم يتبيّن مراده .

* الوافي : ١١٤/١٠ ، والدرر : ٤٧٤/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/٣ .

(٢) ليست في (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « إهنة » .

ولمّا حضر أولاً من مصر حضر معه مقدّم يَضرب بالمقارع ، فلما رآه بعد يومين وهو نَحس[١] في حق المصادرين نفاه ، وقال : متى بتَّ في دمشق قتلتك .

ولم يَزَل يتلطَّف إلى أن رُسم له بالعَود إلى مصر ، وكان قد أقام بعد بشتاك مُدَيْدَة ، فتوجَّه ، ولم يزل على ذلك والسّلطان يسلّم إليه المصادَرين . وهو الذي ضرب الصاحب أمين الدين إلى أن مات .

ومات السلطان وتولّى ولده الملك المنصور أبو بكر ، فانتحس عنده وعند قوصون ، وأريد إخراجه إلى الشام ، ثم إنّه تدارك أمرَه عند قوصون فرضي عليه . ولما ملك الأشرف كجك بعد المنصور وجاء الفخري إلى دمشق أُخرج بَرَسْبُغا في جماعة من العسكر المصري إلى غزة فَوَصل إليها ، وأقام بغزة مدة إلى أن وصل إليه الأمير علاء الدين ألطنبغا مهزوماً ، فتوجه معه[٢] ، فلمّا قاربوا مصر أُمسك الأمير سيف الدين قوصون وجُهّز إليهم من أمسكهم[٣] ، فهرب بَرَسْبُغا إلى جهة الصعيد فجُهز وراءه[٤] من أمسكه ، وأحضره ولمّا وصل إلى القاهرة جُهّز إلى الإسكندريّة واعتُقل بها ، وبقي هناك إلى أن حضر الناصر أحمد من الكرك ، وجاء الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، والأمير سيف الدين طشتمر حمّص أخضر ، فجُهز الأمير شهاب الدين أحمد[٥] بن صبح إلى الإسكندريّة ، فتولى قَتْلَ ألطنبغا وقوصون وبُرُسبغا ، وذلك في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان بَرسبغا ـ كما تقدم ـ ليّنَ الجانب سليمَ الباطن ، يُرَى وهو للظلم مجانب ، تغلبُه الرقة والرحمة ، وتستولي عليه الشفقة على من تنزل به النقمة ، إلاّ أنه كان يلجأ

(١) كذا ، ولعلها « يبخس » .
(٢) (خ) : « معهم » .
(٣) في الوافي : « يمسكهم » .
(٤) (خ) : « فجهزوا له » .
(٥) ليست في (خ) . وفي المنهل : « أحمد بن صبيح » .

إلى التظاهر بالشر ،. والوثوب على أهل الأموال بالكر دُون الفَرّ ، وما أفاده خَيْر الباطن شيئاً مع شر الظاهر ، ولا أعاده الدخول في الظلم إلا إلى نجاسة الهلاك دون ماللنجاة من الطاهر . وقابل شخص المنيّة واعتنق ، وخانه الزمان فأودعَهُ السجن إلى أن اختنق .

٣٩٢ - بُرْناق*

الأمير سيف الدين المحمّدي .

كان قد ورد إلى دمشق ، ولّما أُمسك الأمير سيف الدين جَرَكتمر الماردانيّ[١] في دمشق عند قدومه من الحجاز في سنة اثنتين وستين وسبع مئة جَهّز الأَمير سيف الدين بُرناق معه إلى مصر ، ولما عاد من ذلك رُسم له بنيابة قلعة دمشق ، فلبس تشريفَةً بدار السعادة وتوجه إلى القلعة ، وذلك في يوم الاثنين سادس عشري صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء حادي عشر شعبان سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن برق** : والي دمشق شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ، والده أبو بكر بن أحمد .

☆ **ابن البُرْطاسي** : شرف الدين عيسى بن عمر .

☆ **البرلّسي** : برهان الدين إبراهيم بن أحمد ناظر بيت المال .

☆ **ابن البرهان** : الطبيب محمد بن إبراهيم .

* الدرر : ٤٧٦/١ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ .

(١) في الدرر : ٥٣٤/١ ، أنه مات قبيل السبعين .

☆ **البَرَواني** : الأمير علم الدين سنجر ، وابنه بهاء الدين محمد بن القاسم .

☆ **البزاغي** : التاجر الشاعر أحمد بن خليل .

٣٩٣ - بُزْلار*

بضم الباء الموحّدة وبعدها زاي ساكنة ولام وألف وراء : الأمير سيف الدين أمير سلاح الناصري أحد أمراء المئات ومُقَدّمي الألوف بالقاهرة .

كان قد وَرَدَ إلى دمشق في البريد نهارَ الجمعة عاشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ليُحلِّف الأمير سيف الدين أيْتِمِش نائب دمشق والعساكر بها للسلطان الملك الصالح صالح ابن السلطان الملك الناصر محمد ، ونزل بالقصر الأبلق ، وحلّف الناس ، واحتفلوا[1] بأمره ، وقدّموا له أشياء مليحة ، كلّ أحدٍ من الأمراء والمتعممين ، وعاد ومعه شيء كثير من الخيل والقماش وغير ذلك .

ولم يَزَلْ بمصر على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وورد خبره إلى دمشق في أوائل ذي القعدة سنة ستّ وخمسين وسبع مئة .

وهو الذي ساعد الأمير سيف الدين طاز على إمساك بيبغاروس في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة لَمّا كانوا في طريق الحجاز ، وكان يُحَدّث نَفْسَه بنيابة دمشق ، فسبقه الأجل وأخذه على عَجَل .

٣٩٤ - بَزُوجي**

بالباء الموحدة والزاي المفتوحة والواو الساكنة والجيم والياء : الأمير سيف الدين أحد أمراء العشرات بدمشق .

---

* الدرر : ١/٤٦٧ .

(١) في الأصل : « واحتلفوا » ، تحريف .

** الدرر : ١/٤٧٧ .

كان قد تَقَدّم في أيام قوصون وأعطاه طبلخاناه ، فلمّا زَالت دَوْلَة قُوصون أُخرج إلى دمشق بطّالاً ، ورُتِّب لـه على سُوق الغنم ، في كلّ يوم عشرون دِرْهَماً ، وأقـام إلى أن حَضَر الملك الصالح صالح إلى[1] دمشق فأعطي عشرة ، فـأقـام عليهـا إلى أن توفي رحمـه الله تعالى يوم الثلاثـاء سـادس عشر[2] شعبـان سنـة ست وخمسين وسبع مئـة بـدمشق ، وتوفي ابنه بعده بجمعة واحدة .

٣٩٥ ـ بَشْتَاك*

بفتح البـاء المـوحـدة وسكـون الشين المعجمـة وتـاء ثـالثـة الحروف وبعـدهـا ألف وكاف : الأمير سيف الدين الناصري .

قرَّبَهُ السلطانُ وأدناه وأعلى مَحلَّه ، وكان يسمّيه بعد موت بكتمر الساقي بـالأمير في غيبتـه ، وكانَ زائـد التيـه والصّلف ، لا يُكَلِّم أستـاذ داره وكاتِبَـه إلا بترجمـان . وكانَ يَعْرِف بالعربيّ ولا يتكلَّمُ به ، وكان إقطاعه سبع عشرة طبلخـانـاه ، أكبر[3] من إقطـاع قوصون ومَا يعلم قوصون بذلك .

ولّـا مـاتَ الأمير سيف الـدّين بكتمر السـاقي ورثـه في جميـع أحـوالـه ، في داره وإصطبله الذي على بركة الفيل ، وفي امرأته أم أمير أحمـد ، واشترى جـارِيَتَـه خُوبي[4] بستة آلافِ دينار ، ودَخَل معها ماقيمته عشرة آلاف دينار ، وسيأتي ذكرها إن شـاء الله تعالى ، وأخذ ابن بكتمر عنده . وكانت الشرقيّة تُحمى له بعد بكتمر الساقي .

وزاد أمرُه وعَظُمَ مَحَلُّه وثقل على السلطان ، وأراد الفتـك بـه فمـا تمكّن ، وتوجّـه

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

* الوافي : ١٤٢/١٠ ، والدرر : ٤٧٧/١ ، والمنهل الصافي : ٣٦٧/٣ .

(٣) (خ) : « أكثر » .

(٤) ستأتي ترجمتها .

إلى الحجاز ، وأنفق في الأمراء وأهل الركب والفقراء والمجاورين بمكة والمدينة شيئاً كثيراً إلى الغاية ، وأعطى من الألفِ دينار إلى الدينار على مراتب الناسِ وطبقاتهم . ولمّا عاد من الحجاز لَم يَدْرِ به السلطان إلا وقد حضر إليه في نفر قليل من مماليكه ، وقالَ : إنْ أردت إمساكي فها أنا قد جئت إليك برقبتي . فكَابَره السلطان وطيّبَ خاطِرَهُ ، ورُمي بأوابد ودواهي من أولاد[1] الزنا ، وكان السبب في تقدّمه أن قال السلطان يوماً لمجد الدين السلامي : يامجد الدين ، أريد أن تُحضر من البلاد مملوكاً يشبه بوسعيد - يعني ملك التتار - . فقال : هذا مملوكُك بشتاك يشبهه ، وكانَ ذلك سبباً لتقدمه[2] .

وجرّده السلطان لإمساك الأمير سيف الدين تَنْكز ، فحضر إلى دمشق بعد إمساكه هو وعشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وفي خدمته الأمير سيف الدين أرقطاي وبَرسْبُغا وطاجار[3] الدوادار وغيره . وحال نَزوله حلّف الأمراء كلّهم للسلطان ولذرّيته ، واستخرج ودائع تنكز وعرض حواصله ومماليكه وجواريه وخيله وكل ما يتعلق به ، ووسّط طَغَاي وجُنْغَاي مملوكَيّ تنكز في سوق الخيل ، ووسّط أوران أيضاً بحضوره يوم المواكب ، وأقام بدمشق خمسة عشر يوماً أو حولها ، وعاد إلى مصر ، وبقي في نفسه من دمشق وما يجسر يفاتح في ذلك السلطان ، فلمّا مرض السلطان وأشرف على الموت ألبس[4] الأمير سيف الدين قوصون مماليكه ، فدخل بشتاك وعرّف السلطان ذلك ، فقال له : افعل أنت مثله ، ثم إنه جمع بينهما وتصالحا قُدّامه ، ونصّ السلطان على أنّ المُلك بعدَه لولده المنصور أبي بكر ، فلم يوافق بشتاك ، وقالَ : ماأريد إلاّ سيدي أحمد .

---

(١) (خ) ، (ق) : « أمر » .

(٢) (ق) ، (خ) : « لتقريبه » .

(٣) هو طاجار بن عبد الله الناصري (ت٧٤٢ هـ) . (المنهل) .

(٤) (خ) : « لبّس » .

ولمّا مات السلطان وسُجّي ، قام قوصون إلى الشُّبّاك ، وطلب بشتاك ، وقال : يا أمير تعالَ ، أنا ما يجيءُ مني سلطان ، لأني كنتُ أبيعُ الطسما[1] والبُرغالي والكشاتوين . وأنت اشتريت مني ، وأهل البلاد يعرفون ذلك مني ، وأنتَ ما يجيء منك سُلطان لأنك كنت تبيع البوزا وأنا اشتريت منك ، وأهل البلاد يعرفون ذلك منّا ، ولا يكون سلطاناً من بيع الطسما والبُرغالي ولا مَن عُرِف ببيع البوزا ، وهذا أستاذنا هو الذي أوصى لمن هو أخبرُ به من أولاده ، هذا هو في ذمته وما يسعنا إلاّ امتثال أمره حيّاً وميتاً ، وأنا فما[2] أخالفك إن أردت أحمدَ أو غيره ، ولو أردت تعمل كل يوم سلطاناً ما خالفتك . فقال بشتاك : كل هذا صحيح والأمر أمرك . وأحضر[3] المصحف وحلفا عليه بعضاً لبعض ، وتعانقا وتباوسا ، ثم قاما إلى رِجْلَيّ السلطان فقبلاهما ووضعا أبا بكر ابن السلطان على الكرسي ، وبَاسَا له الأرض ، وحلفا له وسَمَّياه المنصور .

ثم إنَّ بشتاك طلب من السلطان الملك المنصور نيابة دمشق ، فرسم له بذلك وكتب تقليده ، وبَرّز إلى ظاهر القاهرة ، وبقي هناك يومين ثلاثة ، ثم إنّه طلع إلى السلطان ليودّعه ، فوثب عليه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وأمسك سيفه ، وتكاثروا عليه فأمسكوه وجهّزوه إلى الإسكندرية واعتقلوه بها ، ثم إنه قُتل في الحبس في أول سلطنة الأشرف كُجُك في شهر ربيع الآخر تقريباً[4] سنة اثنتين وأربعين وسبع مئةٍ .

وكان رحمه الله تعالى شاباً أبيض اللون ظريفا[5] ، مديد القامةِ نحيفا ، خفيف

(١) في الوافي : « الطمسا » .
(٢) في المنهل : « ما » .
(٣) (ق) ، (خ) ، والوافي والمنهل : « وأحضرا » .
(٤) ليست في (خ) .
(٥) (ق) : « طريفاً » .

اللحية كأنها عِذار ، أوليقة[١] عنبر دارَ بها البركار[٢] ، على حركاته رشاقه ، وفي سكناته لباقه ، حسَنَ العمّة يتعمّم الناسُ على أنموذجها ، وكأنهم يتناولون منها[٣] حلوى فالوذجها ، إلاّ أنه ـ رحمه الله كانَ غيرَ عفيف الفرج ، زائد الهرج والمرج ، لم يَعفّ عن مليحة ولا قبيحة ، ولَم يدعْ أحداً[٤] يفوته ولو كانت بفرد عينٍ صحيحة ، يمسك حتى نساء الفلاّحين ، ومن هي من زوجات الملاّحين ، واشتهر بذلك ورُمي فيه بأوابد ، وأثار الناس عليه من ذلك لبؤاتٍ لوابد .

وكان زائد البذخ ، منهمكاً على ما يقتضيه عنفوان الشبيبة والشرخ ، كثير الصلف والتيه ، لا يُظهر الرحمة ولا الرأفة في تأتيّه .

ولّما توجه بأولاد السلطان ليفرجهم في دمياط رأيته في كل يوم يذبح لسمَاطه خمسين رأس غنم ، وفرساً لا بد منه ، خارجاً عن الإوز والدجاج . وأخبرني سيف الدين طغاي مملوك الأمير شرف الدين حسين بن جندر ، وكان أمير مجلس عنده قال : لنا راتبٌ[٥] في كل يوم من الفحم برسم المشوي مبلغ عشرين درهماً خارجاً عن الطوارئ ، وأطلق له السلطان في كل يوم بقجة قماش من اللفافة إلى الخف إلى القميص واللباس والملوطة والبغلَطاق والقباء ، والقباء الفوقاني بوجه إسكندري على سنجاب طري بطرز زركش رقيق وكلوتة وشاش ، ولم يزل يأخذها إلى أن مات السلطان ، وأطلق له في يوم واحد ثمن قرية « يبنى » بساحل الرملة مبلغ ألف ألف درهم ، وهو أول أمير أمسك بعد وفاة الملك الناصر ، وما أغنى المسكين عنه مالُه ، وأوبقته في السجن أعماله . وقلتُ أنا فيه :

(١) الليقة : شيء أسود يُجْعَلُ في الكُحل ، والطينة اللّزجة .
(٢) (خ) : « البيكار » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) (خ) : « واحدة » .
(٥) في الوافي : « قال لنا : رأيت » ، تحريف .

قـالَ الـزمـانُ ومـا سَمِعْنَـا قـولَـه والنـاسُ فيـه رهـائنُ الأشراكِ
من ينصر المنصـور من كيـدي وقـد صـاد الردى بشتـاك لي بشبـاكِ (١)

اللقبُ والنَّسب

☆ **البَطَرني** : المقرئ أحمد بن موسى .

☆ **البَصْروي** : الأمير نجم الدين ، الوزير محمد بن عثمان ، وأخوه فخر الدين المحتسب سليمان بن عثمان .

☆ **ابن البصّال** : محمد بن محمود .

☆ **ابن البُصَيص** : موسى بن علي .

ابن بُصاقة : جمال الدين الحَيسوب عبد الكافي بن عثمان .

☆ **ابن بُصحان** : محمد بن أحمد .

☆ **ابن البعلبكي** : فخر الدين عبد الرحمن بن محمد .

☆ **ابن البُشْطَاري** : عثمان بن محمد ، ومحمد بن عثمان .

٣٩٦ ـ بُغَا*

الدوادار الناصري .

كان مع الأمير سيف الدين أُلْجاي دواداراً صغيراً ، ولما مات أُلْجاي ظنّ بُغا أن السُلطان مَا يَعدِل عَنْهُ ، لأنَّ بُغا كان أقدم من أَلجاي وأكبر في بيت السلطان ، فولّى

(١) البيتان في المنهل : ٣٧١/٣ .

* الوافي : ١٧٥/١٠ ، والدرر : ٤٧٩/١ .

السلطان الدَوادريّة صلاح[١] الدين يوسُف بن أسعـد الآتي ذكره إنْ شـاءَ الله تعـالى في حرف اليـاء مكانـه ، فيَئس بعـد ذلـك بُغـا من هـذه الـوظيفـة . ولما عَـزَل السلطـانُ صلاحَ الدين المذكور من الدواداريّـة وأخرجـه إلى صفـد ، استقل بُغـا بـالـدواداريّـة ، واتفق له[٢] في دواداريته قدّم قصّة إلى السلطان على لسان ابن الـدجيجـاتي[٣] التـاجر ، وكان النشو ناظر الخاص قد رَمَى عليه شيئاً من متجر الخـاص ، فلمّـا علم النشو بـذلـك عمل له عند السلطان ، وسَاعده غيره على ذلك ممن يكرهـه ، وكان على ذهن السلطـان منه أنه فيه لعبٌ ، فعزله السلطان وأخرجه إلى صفد ، فأقام بها مدة يسيرة .

وتوفي بُغَا ، ولم ينل من الدنيا مَابَغَى ، وذلك في سنة سبع مئة فيما أظن .

وكان رحَمَهُ الله تعالى يغلبُ عليه الخير والرأفه ، وعنده من الرحمة التي لا يميل معها على ضعيف ولا يستأصل شـأفـه ، سـاكنـاً قليل الكلام ، لا يسمع في أحـد مـا يؤلمـه من الملام ، إلاّ أنـه كان يميـل إلى الشبـاب ، ويروقـه الثنـايـا العـِذَاب . وكانت بـه قرحـة تلازمه ، وتُشَدُّ لها من الألم حيازمه ، فربما انقطع لأجلها عن الخدمه ، ووَجَـدَ الطـاعنُ عليه مكان الصدمه ، ويظهر أن الانقطاع لضعفه المعلوم من القرحـه ، ويخلو بـأولئـك الشباب على الشراب لاقتطاف ثمرات المسرّة والفرحه ، فما أثّر ذلـك خيراً عليـه ، وذاق ثمرة ما جناه وجلبه إليه ، فَسُلّ من تلك الوظيفة كالشعرة من العجين ، وتمكن منـه من كانوا بإخراجه لَهِجين ، ولم يكن له إمرة طبلخاناه ، إنما كان أمير عشرة إلى آخر وقت .

٣٩٧ ـ بَغْداد*

بنت النُوين جوبان[٤] زوج بوسعيد .

(١) (ق) : « للأمير صلاح » .
(٢) (ق) : « أنّه » .
(٣) في الأصل : « الدجيجاني » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .
* الوافي : ١٠/١٧٥ ، والدرر : ١/٤٨٠ ، والمنهل الصافي : ٣/٣٨١ .
(٤) (ق) : « جوبان الخاتون » .

كان بوسعيد[١] يحبها ويميل إليها ميلاً عظيماً ، وكان أبوها يفهم ذلك فلا يدعها تقرب الأردو[٢] ، ولكن تكون غائبة مع زوجها الشيخ حسن[٣] هُنَا وهنا ، فما كان إلا أن قتل بوسعيد أخاها خواجا[٤] ، وهرب أبوها جوبان ، ثم قُتل ، ودَخَل أخوها تمرتاش[٥] إلى مصر وحصل لبوسعيد الذي كان يرومه مِنْ قربها ، فأخذها من زوجها ، وأخذها عنده ، وصارت عنده في مكانة عليا ، وآثرها على مملكة الدنيا ، وكان لا يصبر عنها ، ولا يَرى أن الشمس تدنو منها ، لِما حازته من الحسن البارع ، والجمال الذي لم يقرع السمعَ بمثله قارع ، تثنّى ولا غصن بانةٍ وَريق ، وتَبَسَّمُ ولا قلادة جوهر في سَفَط عقيق ، وترنو بعين ما نُفثَ السحرُ إلا من جفونها المكحّله ، ولا فتكت القواضِبُ إلاّ من فَترتها المفحّلِه ، وجهها يشبه البدر لولا كَلَفه ، ورائيها يحيا بنظرها إلا أنه يؤدّيه إلى ما فيه تلَفَه .

أخبرنا[٦] الخواجا مجد الدين السَلاّمي قال : لم يكن في الأردو لها نظير ، وإذا خطت قلتَ : هذا غُصْنٌ والقلوبُ عليه تطير ، وكان لها في الممالك القانيّة الأحكام النافذه ، والمراسيم التي إذا برزت كانت على الأرواح [آتية ، وبالأنفاس][٧] آخذه ، ولها هي من النساء وزيرة أيضاً تحكم حكم الوزير ، وتتحدث فيما تشاء من الجليل والحقير ، وتركب بغداد في مَوكب حفل من الخواتين ، وتشدّ في وسطها السيف ، ولكل نُوَين إليها رحلة الشتاء والصيف . ونفذت أحكامها وجالت ، ومضت أوامرها

---

(١) (ق) : « السلطان بوسعيد » . وكذا في المنهل .

(٢) في المنهل : « بلاد الأردو » .

(٣) هو حسن بن أرتنا (ت٧٤٨ هـ) . (المنهل) .

(٤) في الوافي : « دمشق خواجا ، وفي المنهل : « دمشق خجا » ، وقد ذكر دمشق هذا في ترجمة أبيه جوبان في الوافي : ٢٢١/١١ .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) (ق) : « أخبرني » .

(٧) زيادة من (ق) .

وصالت ، وهرب منها علي باشا خال بوسعيد ، ولم يقرب الأردو خوفاً منها ، فهو بقرابته لذلك بعيد ، ولم تزل على ما هي فيه من الحكم وخَدُّ الأردو بها مورِّد قانٍ ، والناس تحت أوامرها وكيف لا وهي تحكم على نفس القان ، لا يأخذه فيها لومة لائم ، ولا يَسْمَع فيها عَذْلاً ولو كان من أسجاع الحمائم ، إلى أن مات القان بوسعيد ، وتولى القان أربكوون[1] المقدّم ذكره ، فأغصَّها بريق حُسَامه ، وجعَل فمها بالدّم وَرْدَةً بعد ما كان كالأقحوانِ في ابتسامه ، وذلك في سَنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكانت كثيرة التنقيب على أخبار أخيها تمرتاش .

أخبرني من لفظه الخواجا مجد الدين السَلاّمي ، قال : لما كنت بالأردو وعزمت على الحضور إلى خدمة السلطان ، دخلت عليها أخدمها وأودّعها ، فقالت : يا خواجا ، سلّم على السلطان وقل له أنا بنته وجاريته ، وأشتهي لا[2] يخباني عن حاجةٍ ، فأنت ترى تصرّفي وأمري في الأردو والممالك ، فلا يكن يطلب حاجة من غيري ، قال : فضربت لها جوكاً [ودعوت لها ، فقالت : يا خواجا ؛ أريدك تطلب أخي من السلطان حتى أراه . قال : فضربت لها جوكا][3] ، وبهتُّ حَيْرةً لا أدري ما أقوله ، ثم ألهمني الله أن قلت : والله يا خوندَكار ما أنا قدر هذا الكلام ، هذا ما يتحدث فيه إلاّ قان كبير[4] مثله ، فقالت : صدقت إلاّ يا[5] خواجا ما يجيء أحد من عندكم وأسأله عن أخي فيقول إنه رآه ، فقلت : يا خوند كار ، لما خرج[6] أخوك إلى المسلمين قالَ له السلطان : أي البلاد تريد حتى أعطيك ، فخاف أن يطلب دمشق أو

(١) في المنهل : « أربكون » .
(٢) في الوافي : « أن لا » .
(٣) زيادة من (ق) .
(٤) في الأصل : « كثير » ، تصحيف .
(٥) أي : لابدَّ .
(٦) (ق) : « راح » .

حلب أو غيرهما من هذه البلاد التي [هي][1] قريبة إلى هذه البلاد فيتهمه أنه يريد العود ، فطلب منه إسكندريّة ، وهي خلف مصر من[2] ذلك جانب فالذي يروح من عندكم إلى مصر ما يعبر إلى[3] إسكندرية ولا يصل إليها ، فلهذا ما يراه[4] ، فهزّت رأسها ، وقالت : يكون ..

اللقب وَالنّسب

☆ ابنُ البَقَقي : فتح الدين أحمد بن محّمد .

☆ البِقْرَاطُ : محّمد بن عبد الرحمن .

٣٩٨ ـ بُكَا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف ببُكا الخضري[5] .

كان من جملة الأمراء بالدّيار المصريّة ، وكان ممنّ حضر مع بشتاك إلى دمشق بعد إمساك تنكز وعاد معه ، ولم يزل بالديار المصرية على حاله إلى أن خاض السيف في أحشائه وجعله دَلْوين ، إلاّ أن كّلاً منهما غَنِّي عن رشائه ، لأنه نُسبَ إلى الميل مع النّاصر أحمد والخروج مع رمضَان[6] على الملك الصّالح إسماعيل ، فوُسِّط في سوق الخيل هو وثلاثة من مماليك السلطان ، وعُلّقوا على باب زُوَيلة ثلاثة أيام ، وذلك في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إلى » .

(٣) (ق) ، والوافي : « على » .

(٤) في الوافي : « ما يرونه » .

* الوافي : ١٠/١٨٤ ، والدرر : ١/٤٨٠ ، والمنهل الصافي : ٣/٣٨٣ .

(٥) في حاشية (خ) : « الحَضْري » .

(٦) هو رمضان بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤٣هـ) . الدرر : ٢/١١١ .

٣٩٩ - بكّار*

ابن الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن الواني ، سيف الدين البَريدي أخو الأمير علاء الدين بن الفَرَّا ، وسيأتي ذكر أخيه في حرف العين إن شاء الله تعالى .

توفي في رابع عشر جمادى الأوّلى سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة وعمره[1] نحو الستين .

٤٠٠ - بكتاش**

الأمير بدر الدين نقيب النقباء بالديار المصريّة ، أظنه تولاّها بعد الأمير صارم الدين صاروجا .

ولم يزل بدر الدين[2] رجلاً جيداً محسناً إلى الناس .

توفي رحمه الله تعالى في آخر جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

٤٠١ - بكتاش***

الأمير بدر الدين المنكورسي أحد المنصوريّة .

كان من قدماء الأمراء . ولي نيابة بعلبك مرات ، وفي آخر مَرّة[3] طلب الإقالة منها في سنة أربع وخمسين[4] ، ورسم لابنه[5] بالتوجه في مقدمة الرّكب ، فاحتاج أن يكون هو معهُ ، فتوجه أمير الركب وعمل الإمرة على ما يجبُ من الحرمة وعلّو الهمة .

* الدرر : ١/٤٨٠ .

(١) خ : « وعمّر » .

** الدرر : ١/٤٨٢ .

(٢) (ق) ، (خ) : « وكان بدر الدين » .

*** الدرر : ١/٤٨١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

(٣) (ق) ، (خ) : « أمره » .

(٤) (ق) ، (خ) : « وسبعمئة » .

(٥) (خ) : « ورسم له » .

ومتعه الله بحواسّه وعقله إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، في أوائل شعبان سنة سبع وخمسين وسبع مئة . عن مئة وسبع سنين ، أخبرني [بذلك][1] ولده الأمير زين الدين عبد الرحمن .

وكان قد باشر [شدّ][2] الأوقاف بدمشق في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وعملها على القالب الجائز بجاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، وفي آخر أمْرِه اتّحد بالأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، ولما أمسك كان المنكورسي أيضاً في جُمْلَة من أُمسك بسببه ، وصودر ، وأخذ منه مئتا ألف درهم ، في غالب ظني ، وكان يبالغ في اقتناء المصاحف العالية الغالية الأثمان وغيرها من الكتب ، ونَزَل[3] وهو [في][4] نيابة بعلبك أخيراً عن إقطاع الإمرة لولده .

٤٠٢ ـ بكتاش *

الأمير بدر الدين أمير سلاح الفَخْري .

كان من مماليك الأمير فخر الدين ابن الشيخ ، وعاد من أكابر الأمراء الصّالحية ، يتردّدُ في الغزوات ، ويجوب إليها الفلوات . وكان بالخير مشهورا ، وبالصدقات وهو أمير مأمورا ، وافر الحُرْمَة في كل دَوْلَه ، فارسَ الجوّ في كل جَوْلَه . لا يعارِضُ مَنْ يُقَدِّمُهُ سَعْدُه ، ولا يقارب من أخرّه حظّه وبُعْدُه . أقامَ أميراً دهراً طويلا ، ورأى من الإقبال حظاً جزيلا .

ولما كان في سنة ست وسبع مئة طلب النزول عن الإمرة ، ولزم داره إلى أن نزل به الأمر المحتوم ، وأصبح وطينُ الأرض عليه مختوم ، وذلك في شهر ربيع الآخر من

---

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .
(٢) زيادة من (ق) ، (خ) .
(٣) في الأصل : « وترك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .
(٤) زيادة من (خ) .
* الوافي : ١٨٨/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٥٦ ، والدرر : ٤٨٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣٨٥/٣ .

هذه السنةِ المذكورة . وكان رحمه الله تعالى لَمّا قُتَلَ السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين في سنة ثمان وتسعين وست مئة قد جُرِدّ إلى سيس هو وجماعة من أمراء مصر ، ولّما عادوا منها وقَربُوا من مصر أُخبر بما جرى مِنْ طُغْجي وكُرْجي في حَقّ لاجين ، على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة لاجين[١] في مكانه من حرف اللام[٢] . ولما عزم على الدخول إلى القاهرة طلبَ الأمراء الذين معه ، ومَشَوا في خدمته ، وركب طُغْجي لتلقيه ، فلمّا رآه قال : كان لنا عادة من السلطان أنّا إذا قدمنا يَتَلقّانا ، وما أعلمُ ما أوجب تأخيره ، فقال طُغْجي : ما علم الأمير بما جرى ، وأنّ السلطان قُتل ؟ فقال : ومَنْ قتله ، فقال كرد الحاجب : قتله طغجي وكرجي ، فأنكر عليهما ، وقال : كلما قام للمسلمين [سلطان][٣] تقتلونه ؟ تقدّم عني لا تلتصق إليّ[٤] ، وساقَ أمير سلاح ، وتركه ، فتيقنّ طغُجي أنّه مقتول ، فأراد الهروب ، فانقضّ عليه بعض الأمراء وأمسكه بدبّوقته وضربه بالسيف ، وتكاثروا عليه فقتلوه ومعه ثلاثة أخر ، وركب كرجي في جماعة لنصرته فركب الجيش معه في خدمة أمير سلاح ، وقتلوا كرجي والكَرموني ، ودخل أمير سلاح وقعد والأمراء معه ، ورتّبوا حضور السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ، وإعادته إلى السلطنة ، وهذه المرة الثانية من حضُوره من الكرك .

٤٠٣ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الأبوبَكري المنصوري .

كان من كبار الأمراء مُقَدّمي الألوف ، وممّن هو للشجاعة حليف ، وللفروسية

(١) (ق) : « السلطان لاجين » .

(٢) في الأصل : « الميم » سهو .

(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « بي » .

* الدرر : ٤٨٢/١ .

أُلوف ، له الوجاهة الكامله ، والنَباهة التي لم تكن في ذكرها خامله ، يُعَظّمه وجوه الدولة والسلطان ، وَصَيتُه قد ملأ الأوطان .

لم يزل في معارج سُعوده ، ومراقي عُلُوِّه وصعوده ، إلى أن أصابته عين الكمال فهبَط ، وجَرّد الخطب له سَيْفَه واخترَط ، وذاك أن السلطان الملك الناصر محمّد رسمَ بأن يتوجّه إلى صفد هو(١) وأولاده وجماعته وحاشيته ، فقال : أريد أن أعرف ذنبي ما هو ، فتأذى السلطان منه ، وأمسكه وحَبَسه في القلعة ، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال إلى أن توفي بقلعة الجبل في الاعتقال في نصف شعبان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وأُخرِجَ ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى .

٤٠٤ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين السلاح دار الظاهري المنصوري .

كان من الأمراء المشاهير ، وممّن تتشرف بألقابهِ التقاليد وتتجمّل المناشير ، أحد مُقَدّمي الألوف ، ومن هو بالإقدام [موصوف](٢) ، وبالشجاعة معروف ، خاف من السلطان حسام الدين لاجين ، فنجا برأس طِمِرَّة ولجام(٣) ، وسكر غَمّاً ولم يطفْ عليه للموت جَام ، وفرّ هو والأمير سيف الدين قَبْجق والأمير فارس الدين ألبكي ودخلوا إلى عند القان غازان ، وجرى ما يأتي ذكره في ترجمة قبجق ، وكان قد وصل من الديار المصرية إلى دمشق مجرداً في ثلاثة آلاف فارس هو مقدّمها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتوجه بالعسكر وأقام على حمص ، وحضر إليه الأمير سيف الدين

(١) (ق) : « نائباً هو » .

* الدرر : ١/٤٨٢ .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) عجز بيت للحارث بن هشام ، تمامه :

تركَ الأحبّة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأس طمرّة ولجام

لاجين قبجق وبلغهم ما اعتمده الأمير سيف الدين منكوتمر نائب السلطان حسام الدين لاجين ، فتحققوا أنه ما يبقي عليهم ، فتوجهوا إلى بلاد التتار في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وتألم الناس لذلك ، ووصل الخبر إلى الشام بعد رحيلهم بقتل السلطان ومنكوتمر ، وفي جمادى الأولى وصل الأمير سيف الدين بَلْغَاق[1] وذكر أن قبجق وبكتمر وألبكي وصلوا إلى رأس العين ، واحتاط عليهم جمع من التتار ، وأنه قد يُئس من رجوعهم إلى بلاد الإسلام .

٤٠٥ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الحاجب .

كان أولاً أمير آخور ، ثم قَدِمَ دمشق وتولّى بها شد الدواوين في أيّام الأفرم ، ولم يكن لأحد معه كلام في صَرف ولا في عزل . ثم وُلّي الحجوبيّة ، وتوجّه إلى صفد كاشفاً على الأمير ناهض الدين عمر بن أبي الخير والي الولاة . ومُشد الدواوين بصفد ، ونزل بالميدان ، وكان معه القاضي معين الدين بن حشيش وحَرّر الكشف ودقّقه ، حتى قال فيه القاضي زين الدين عُمَر بن حلاوات[2] [موقّع صفد][3] :

يا قاصداً صَفَداً فَعُد عن بلدةٍ ... مِنْ جَوْرِ بكْتُمر الأمير خرابُ
لا شافعٌ تُغْني شفاعَتُه ولا ... جانٍ لَه مّما جناهُ متَابُ
حَشْرٌ وميزان ونَشْرُ صَحائفٍ ... وجرائِدٌ معروضةٌ وحسابُ
وَبها زبانيةُ تحثّ على الوَرى ... وسلاسلٌ ومقامعٌ وعقاب
ما فاتهم من كلٍّ ما وعدوا به ... في الحشرِ إلا راحمٌ وهّابُ

(١) ستأتي ترجمته .

* الوافي : ١٠/١٩٠ ، والدرر : ١/٤٨٣ ، والمنهل الصافي : ٣/٣٨٦ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) زيادة من (ق) ، والوافي .

قلتُ : وهذه أبيات لسِبط التعاويذي[١] معروفةٌ في ديوانه وأوّلها :

يـا قـاصـداً بغـداد جُزْ عن بلـدةٍ للجَـور فيهـا زخرةٌ وعبـاب

وهي سَبَعةَ عشر بيتاً قالها في الوزير ابن البلدي[٢] ، فأتى ابن حَلاوات بالبيت الأوّل وليس للفاء في (فَعُدْ)[٣] محل .

وكان الأمير سيف الدين خبيراً بالأمور ، بصيراً بحوادث الدهور ، طويلَ الروح في الأحكام لا يَملّ من تطويلها ، ولا يهابُ ما يأتي به الخصوم في تهويلها ، لو قعد في الحكم الواحد بين اليهودي والأمير ثلاثة أيّام ، لم يلحقه سَأَمٌ ولا يَصُدّه احتشام ، مع معرفة تامّه ، وخبرة بالسياسة عامّه ، لم يُرَ مثله في حَقّ أصحَابه ، ولا أذكر منه لهم في [حالتي][٤] بُعْدِه واقترابه ، يفكّر في مصالحهم وهم[٥] غُيَّب ، ويَتَفقّدُهم أبداً ، ومن جفاه عتب عليه وعَيَّب ، نفع بجاهه جماعةً كثيره ، وَوفّر عليهم أموالاً أثيره ، إلاّ أنه كان مُبَخَّلا ، ساقط الهمة في ذلك وإن كان مبجّلا ، له متاجر وأملاك ، وسعادة لا تدور على مثلها الأفلاك ، وله أموال كالبحر العَجَّاج ، أو التراب الذي تثير الريح منه العَجَاج ، ومع ذلك فله قُدُور تُكْرَى للحِّمص والفول ، وغير ذلك من العُدَدَ والآلات التي يعتري الشمس منها أفول .

ولم يزلْ على حالِه إلى أن مَلأ التراب عينَه ، واقتضى الأجل منه دَيْنه ، وذلك في سنة سبع وعشرين وسبع مئة[٦] .

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله (ت ٥٨٣ هـ) ، والأبيات في وفيات الأعيان : ٤/٤٦٦ .

(٢) هو أحمد بن محمد بن سعيد ، وزير الخليفة المستنجد بالله ، أشار إليه صاحب الوفيات في ترجمة ابن التعاويذي .

(٣) (ق) ، والوافي : « في قوله : فعد » .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) في الأصل : (وهو) ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) كذا في الأصل ، وفي (ق) : « ثمان وعشرين » ، وهذا يخالف ما في الوافي أنه توفي سنة (٧٣٨) . وانظر ما في حاشيته ثمة . وكذلك وفاته سنة (٧٣٨) في المنهل .

ولّما قدم السلطان من الكرك إلى دمشق ولاّه الحجوبيّة ودخل مصر وهو حاجبٌ ، ثم أخرجه نائباً إلى غزّة ، فأقام بها قليلاً في سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنّه طلبه إلى القاهرة وولاّه الوزارة بالديار المصرية عوضاً عن الصّاحب فخر الدين بن الخليلي[١] في شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة ، ثم إنه قبض عليه في سنة خمس عشرة وسبع مئة مستَهَل شهر ربيع الأول لّما قبض على أَيْدُغدي[٢] شقير ، وبقي في الاعتقال مدة سنة ونصف ، وأخذَ لَهُ من ماله شيئاً كثيراً ، ثم إنه أفرج عنه وجَهَّزه نائباً إلى صفد في سنة ست عشرة وسبع مئة وأنعم عليه بمئة ألف درهم ، فأقام بها عشرة أشهر ، ثم طلبه إلى مصر وكان من جملة أمراء المَشْوَر ، وإذا تكلّم السلطان في المشور لا يَرُدّ عليه غيره لَما عنده من المعرفة والخبرة .

أخبرني الأمير شرف الدين حُسَين قال : إذا جلسنا للمَشْوَر ما فينا أحد يعترض على السلطان ويرد عليه ويقول : جَيّد ، أوْ ما هو جيدّ إلاّ بكتمر الحاجب . قلتُ له : فأنتم ما تقولون ؟ قال : مهما قاله قلنا : هذا هو الرأي المبارك .

وكان قد تزوّج ابنة الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك ، وعمّر له بمصر داراً ظاهر باب النصر على القاهرة ، وعَمّر هناك مدرسة إلى جانبها ، وفي آخر أمره سُرق له مال كثير من خزانته ادّعى في الظاهر أنه مبلغ مئتي ألف درهم ، وكان في الباطن على ما قيل سبعُ مئة ألف أو أكثر ، فما جسَر يتفوّه[٣] خوفاً من السلطان ، وكان الأمير سيف الدين قَدودَار[٤] والي القاهرة ، فرسم السلطان له بتتبُّع هذه العَمْلَة ، فيقال إن بكتمر الساقي والوزير مغلطاي الجمالي والقاضي فخر الدين ناظر الجيش عامَلوا في الباطن عليه ، فشرعوا يُحَجفّون[٥] عن المتهمين ، فإذا قال السلطان للوالي : أيش

(١) عمر بن عبد العزيز ، وستأتي ترجمته .
(٢) في الوافي : « أيدغوي » ، تحريف . وهو أيدغدي المنكوتمري (ت ٧١٥هـ) . (الدرر) .
(٣) (ق) : « يتفوّه به » .
(٤) ستأتي ترجمته .
(٥) الحجف : التغطية ، وأصله الترس .

عَملت في عَمْلَة الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ؟ يقول القاضي فخر الدين : ياخوند لعن الله ساعة هذه العَملة ، كل يوم يموت الناس تحت المقارع ، وإلى متى يُقتل المتهم الذي لا ذنب لهُ ، ثم إنه في آخر الحال وقف الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب في دار العدل وشكا وتَضَوّر[1] ، فأحضر السلطان الوالي وسبّهُ ، وأظهر[2] غضباً عظيماً ، فقال : ياخوند ، اللصوص الذين أمسكتهم وعاقبتهم أقرّوا أنَّ سيف الدين بَخْشي خزنداره اتّفق معهم على أخذ المال وجماعة من ألزامه الذين في بَابه ، فقال السلطان للجَمالي الوزير : أحضر هؤلاء المذكورين ، وعاقبهم . فأحضرهم وعاقبهم وعَصَر هذا بخشي ، وكان عزيزاً عنده قد زوجه ابنته وهو واثق بعقله ودينه وأمانته ، فقال بخشي : ياخوند أنا والله المال الذي تحت يدي لأستاذي ما يدري ما هو فما أخلي[3] غيري يأخذ معي ماأردت أن أسرقه .

ولما بلغ الأمير سيف الدين بكتمر عَصْرُ بخشي وجماعته عَلِمَ أنَّ مالَه قد راح ، فحصلَ له غيظٌ عظيم وغمٌّ وغبن ، فمات فجأة من الظهر إلى العصر .

وكان حريصاً على اقتناء الأملاك وإنشاء العمائر[4] في كل مدينةٍ بالقاهرة والشام بحيث إنَّه له في كل مدينة ديوان له مباشرون . وقلتُ أنا أشير إلى كثرة أمواله :

وصاحب أشأَمَ مَنْ قاشر مِنْ شؤمه يَفتَقر الصّاحبُ
يذهب ما قد حازَ من عَيْنه لو أنه بكتَمُر الحاجبُ

٤٠٦ - بكتمر*

الأمير سيف الدين الْمَنْصُوري أمير جاندار .

(١) في الأصل : « وتضرّر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٣) عبارة الوافي : « فما احتاج أخلّي » ، وهي أنسب .
(٤) (ق) : « العمائر ومشتراها » .
* الوافي : ١٠/١٩٨ ، والمنهل الصافي : ٣/٣٩٨ . والدرر : ٢/١٨ .

وكان أوّلاً جوكنداراً[١]، ويدعوه السلطان الملك الناصر ياعَمّي، وكان من أولاده أكبرهم يُدعى ناصر الدين محمد، لم يكن في مصر مَنْ يَلْعب الكرةَ مثله، ويدعوه السلطان: أخي، وكان لا يفارقه.

وَكان بكتمر في أيّام سَلاّر والجاشنكير أحدَ أرباب الحلّ والعَقْد، ثم إنّهما عَملا عليه وأخرجاه إلى الصُبيبة[٢] نائباً، فوصل إليها في شهر ربيع[٣] الآخر سنة سبع وسبع مئة، فأقامَ بها مُدّةً.

ولمّا توفي سُنقر شاه[٤] نائب صفد رُسم له بنيابة صفد في شعبان سنة سبع وسبع مئة، فحضر إليها ومعه ثماني مئة مملوك[٥]، فإذا ركبَ فيهم كانوا قريباً من عسكر صفد، فأقام بها قريباً من سنتين. ولمّا خرج السلطان من الكرك لاقاه الأمير سيف الدين بكتمر إلى دمشق، وتوجّه معه إلى مصر، وأقرّه في النيابة بمصر. ولم يزل في النيابة إلى أن أمسكه واعتقله، فأخذه إلى الأموات ونَقَله.

وكان بكتمر الجوكندار خَيِّراً ساكنا، مائلاً إلى المسالمة راكنا، لا يَرى سَفْك دَم، ولا يعتني بالقَصَاص ولا النقم، وإذا جاؤوه بقاتل ضَرَبه ضرباً مبرّحاً. وقالَ مصرّحاً لا ملوحا: الحيُّ خيرٌ من المَيتْ، فليقم هذا من السجن في بَيْت، إلاّ أنه يضر به ما يقارب السبع مئةَ عَصَا، إلى أن يلوك من الألم الحصى، فكثر بذلك العبث والفساد في بلاد صَفَد، وزاد المتحرِّم وحَشَد.

وحجّ حِجّة وأنفق فيها أموالاً عظيمه، وأعطى الفقراء والمجاورين بالحَرمين ماجلّى به لياليهم البهيمه، وحَملَ إلى مكة القمح، وفَرّقه فيها بكفّه السمح، وأنشأ

(١) في الأصل: «جوكندار»، وأثبتنا ما في (ق).

(٢) قلعة الصبيبة: كانت ولاية صغيرة، ثم أضيفت إلى بانياس (صبح الأعشى: ١٠٤/٤، ٢٠٠).

(٣) سقطت من الأصل، وهي ثابتة في (ق).

(٤) توفي سنة (٧٠٧ هـ) الدرر.

(٥) عبارة الوافي: «وكان له مئة مملوك».

بصفد مكاناً يعرف بالمغارة والصهريج ، وعَمّرهَ بنفسه وبمماليكه من غير ترويج ، ودفن به إحدى زوجاته أمَّ بنيه ، ورتّب له على الديوان ما يكفيه .

ولّما كان بمصر وهو نائب نزلَ السلطان إلى المطعم ، خرج من السرج ومالَ إليه وقالَ : يا عمّ ما بقيَ في قلبي من أحد من هؤلاء الأمراء أن أمسكه إلاّ فلان وفلان ، وذكرَ له أميرين ، فقالَ له : ما تطلع من المطعم إلاّ وتجدني قد أمسكتهما ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ، فقال السلطان : لا ياعم ألاَدَعْهُما إلى يوم الخميس أو يوم الجمعة نمسكهما بعد الصلاة ، فقال : السمعُ والطاعة .

ثم إنه جَهَّز له[١] تشريفاً كاملاً ومركوباً هائلاً وإنعاماً من الذهب . فلمَّا كان يوم الخميس قال له : غداً نمسكهما ، فلمّا كان يوم الجمعة ، قالَ له في الصلاة : أين هما ؟ قال : حاضران ، فقال : بعد الصلاة تَقَدّمْ بما قلتُ لك . فلّما انقضت الصلاة ، قال : والله يا عم ما [لي][٢] وجه أراهما وأستحيي منهما ، ولكن إذا دخلتُ أنا إلى الدُّور أمسكْهُما أنت وتوجَّه بهما إلى المكان الفلاني ، تجد منكلي[٣] ، وقَجْليس سَلِّمْهُما إليهما ورُوح . فلما أمسَكَهُما وتوجّه بهما إلى ذلك المكان وجد الأميرين منكلي بغا وقجليس هناك ، فقاما إليه وقالا له : عليك سمع[٤] وطاعة لمولانا السلطان ، وأخذا سَيفه ، فقال [يا][٥] خوش داش ، ما هو هكذا الساعة كا فارقته ، وقال : أمسك هذين وتوجّه بهما إلى فلان وفلان وسلمهما ، فقالا له : والساعة قبل حضورك قال لنا : إذا جاءكا ومعه فلان وفلان فأطلقاهما وأمسكاه . وكان ذلك آخر العهد به ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة فيما أظن .

---

(١) (ق) : « إليه » .

(٢) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٣) (ق) ، والوافي والمنهل : « منكلي بغا » . وفي المنهل : « وقجماس » .

(٤) في الوافي والمنهل : « سمعاً » .

(٥) زيادة من (ق) ، والوافي . وفي المنهل : « يا خجداشية » .

ولما كان في صفد كانت كُتُبُ السلطان ترد من الكرك إلى ابنه الأمير ناصر الدين محّمد يقول له : ياأخي تقول لعمي كذا وكذا وطوّل روحك إلى أن يقدّر الله الخير .

٤٠٧ ـ بكتَمُر*

الأمير سيف الدين الساقي الناصري .

كانَ أوَّلاً مِنْ مَماليك المظفر بيبرس الجاشنكير ، ولمّا استقر السلطان بعد مجيئه من الكرك أخَذه ودخل في مماليكه ، ولهذا كان غريباً في بيت مَالَهُ[1] خوش داش ، جَميعُ الخاصكيّه مع أرغون الدوادار ، ولمّا أمْسَك السلطان الأمير سيف الدين طغاي الكبير ، وكان تنكز في دمشق يترامى إليه ويتعلق عليه ، جَهَّز السلطان يقول له : هذا بكتمر الساقي يكون لك بدلاً من طغاي ، واكتب إليه بما تريد من حوائجك ، وعَظُم بكتمر وعلا محلُّه وطار ذِكْرُه ، وكان السلطان لا يفارقه ليلاً ولا نهاراً إلا إنْ كان في الدُّور ، وهو إمّا أن يكون في بيت بكتمر أو بكتمر عنده ، وزوَّجَهُ أمَّ أحمد ابنه وهي جارية السلطان وحظيّته ، ولا يأكل السلطان إلاّ في بيت بكتمر مما تطبخه له أم أحمد في قِدْر فضّة وينام عندهم ويقوم ، وكان الناس ما يعتقدون إلاّ أن أحمد وَلد السلطان مما يطيل حمله وتقبيله ، وقد تقدم ذكر أحمد المذكور في الأحمدين .

ولمّا شاع ذكر بكتمر وقُربهَ من السلطان ، وتسامَعَ الناس به قدّموا له غرائب كلِّ شيء ، وأهدَوا إليه كلَّ شيء نفيس ، ومهما حُمل إلى السلطان من نوّاب الشام وغيرهم كان له مِثْله أو قريباً منه ، والذي يجيءُ للسلطان غالبُه يصل إليه ، إلى أن عظمت أمواله وظهرت أعماله .

وكان من أحسن الأشكال وأظرف الأشخاص التي تزول برؤيتها الأنكاد والأنكال ،

---

* الوافي : ١٩٣/١٠ ، والدرر : ٤٨٦/١ ، وبدائع الزهور : ٤٦٤/١/١ ، والشذرات : ١٠٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٩٠/١٣ .

(١) أي ماله فيه .

طَلْق المحيّا بسّاما ، حلو الكلام كأن ألفاظَه الدرُّ نظاما ، كأنما جسمه بُلّار ، وخدّاهُ ذوبُ عقيـق أو جلّنـار ، أشقر بَحـواجب سـود وعيـون مثلهـا ، وجفـون قلّما يُرى في النـاس مثلها ، مستعذباً[1] لطيفاً بمن يقصـده ، رؤوفـاً بمن يلتجئ إليـه ويرصـده ، لا تُردُّ لـه إشاره ، ولا يعطّل السعدُ عِشارَه ، فهو عبارةٌ عن الـدولـة وسلطـانهـا ، وهو المتمتع بنيل أوطارها في أوطانها ، وإذا ركب كان بين يديه مئتا عصا نقيبٍ ، وإذا نزل إلى إصطبله فهي زورة حبيب غَفَل عنها الرقيب ، عَمَّرَ لـهُ السلطـانُ إصطبلاً على بِرْكَـةِ الفيل على الجسر الأعظم ، وفيه دار قلَّ أن رأت مثلها العيَون[2] ، أو اقتضتها من الأماني ديون .

أخبرني نور الدين الفيّومي ، وكان شاهداً على هذه العمَارة وهو صاحبي ، أنَّ نفقة هـذه العمَـارة في كل يوم مبلغ ألف وخمس مئـة درهم مع جـاه العمل . لأن العَجَـل من عند السلطان ، والحجّارين والفعول من المحابيس ، فقلت له : فكم[3] مقـدار ذلـك لو لم يكن جاه ، فقال لي : على القليل في كل يوم ثلاثة آلاف درهم ، وأقـاموا يعمّرون فيهـا مـدة[4] أشهر . وخَرَجْتُ أنـا من القـاهرة وهم يعملون في الجل[5] ولم يصلـوا إلى الرخـام والمنجور وعِرْق اللؤلؤ والسقوف المدهونة باللاّزَوَرْد والذهب .

ولمَّا توفي في طريق الحجاز عائـداً في سنـة ثلاث وثلاثين وسبع مئـة[6] ، خلّف من الأموال والقماش والأمتعة والأصناف والزرد خاناه ما يَزيـد على الحـد ويستحي العـاقل من ذكره .

أخبرني المهذب كاتبُه قال : أخذ السلطان من خيله أربعين فرساً ، قـال : هـذه لي

---

(١) (ق) : « مستعرباً » .

(٢) في الأصل : « العيون مثلها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وهو أنسب للسجعة .

(٣) (ق) والوافي : « فكم يكون » .

(٤) (ق) والوافي والمنهل : « مدة عشرة أشهر » .

(٥) كذا في الأصل و (ق) ، وفي الوافي : « الجرش » . وفي المنهل « الحوش » .

(٦) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٣٦هـ) .

ما وهبته إياها ، وأَبَعْنَا الباقي من الخيل ، على ما نهبه الخاصكيّة وأخذوه بثمن بخس بما مبلغه ألف[١] ألف درهم ومئتا ألف درهم وثمانون ألف درهم ، خارجاً عمّا في الجُشَارات[٢] ، وأُنعم السلطانُ بالزرد خاناه وَالسلاح خاناه التي له على قُوْصون بعد ما أخذ منها سَرْجاً وسيفاً .

قال لي المهذب كاتبه : القِيْمَةُ عن ذلك ست مئة ألف دينار ، وأخذ له السلطان ثلاثة صناديق جوهراً مثمناً لا يُعْلَم قيمة ذلك ، وأبيع له من الصيني والكتب والختم والربعات والحمايليه ونُسَخ البخاري المختلفة ومن الأدوية الفولاذ والمطعمة والبصَم[٣] بسفط الذهب وغير ذلك ، ومن الوبر والأطلس وأنواع القماش السكندري والبغدادي وغير ذلك شيءٌ كثير إلى الغاية المفرطة ، ودامَ البيعُ لذلك مُدّة شهور ، وامتنع القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص من حضور بيع موجود بكتمر واستعفى ، قلت له : لأي شيء فَعَلْتَ ذلك ؟ قالَ : ما أَقْدِر أصبر على غبن ذلك لأن المئة درهم تباع بدرهم .

ولّما خرج السلطان[٤] خرج بتجمّل زائد وحشمه عظيمة ، كنت في سريا قوس فرأيت ما هالني ، وخرج ساقه للناس كلهم ، وكان ثقله[٥] وحاله نظير ما للسلطان ، ولكن يزيد على ذلك بالزركش وآلات الذهب .

ووجدوا في خزانته في طريق الحجاز بعد موته خمسَ مئة تشريف منها ما هو أطلس بطرز زركش وحوايص ذهب وكلوتات زركش ، وما دون ذلك من خلع أرباب السيوف وأرباب الأقلام ، وَوَجُدوا على ما قيل قُيُوداً وزناجير ، والله أعلم بحقيقة الباطن في ذلك .

---

(١) في الوافي والمنهل : « ألفا » .

(٢) هي المراعي .

(٣) كذا في الأصل ، وفي (ق) ، والوافي : « يصم » ، ولم يتضح مراده .

(٤) (ق) : « مع السلطان » . وفي المنهل : « ولما توجه السلطان إلى الحجاز توجه معه سنة ٧٣٢ » .

(٥) (ق) : « نقله » . وفي المنهل : « وكان ثقله وبركه نظير .. » .

وتَنَكَّر السلطانُ له في طريق الحجاز واستوحش كلٌّ منهما مِنْ صاحبه ، فاتفق أنهم في العَوْد مرض وَلَدُه أحمد ، ومرض بكتمر والده[١] بعده ، ومات ابنه قبله بثلاثة أيام . وعمل السلطان لأحمد تابوتاً وغشّاهُ بجلدِ جمل وحمَلَه معه . ولمّا مَات بكتمر أمَرَ السلطان للأمير سيف الدين بهادُر المعزّي أن يدفنهما في الطريق عند نخل ، وحث السير بعد ذلك .

وكان السلطان بعد ذلك[٢] في تلك السَّفْرة كلّها لا ينام إلا في برج خشب وبكتمر عنده ، وقوصون على الباب ، والأمراء والمشايخ كلُّهم حولّ البرج ينامون بسيوفهم ، فلما مات بكتمر ترك السلطان ذلك ، فعلم الناسُ أنَّ ذلك الاحتراز كان خوفاً من بكتمر ، وقيل : إنه دَخل إليه السلطان وهو مريض في دار الحجاز فقال[٣] : بيني وبينك الله ، فقال : كلٌّ من عملَ شيئاً يلتقيه .

ولمّا مات صرخت أم أحمد وبكت وأعوَلت إلى أن سمعها الناس تتكلم بكلام قبيح في حقّ السلطان من جملته : أنت تقتل مملوكك أنا ابني إيش كان[٤] ؟ فقال لها : بس تفشرين ، هاتي مفاتيح صناديقه فأنا كلّ شيء أعطيته من الجوهر أعرفه واحداً واحداً ، فرمت بالمفاتيح إليه فأخذها . ولما حضر السلطان أظهر الندمَ عليه والحزن والكآبة ، وأعطى أخاه قُماري إمرة مئة وتقدمَة ألف ، وكان يقول : مَا بقي يجينا مثل بكتمر ، ثم إنه أمر بحمل رمّته ورمّةِ ولده من طريق الحجاز ودفنهما في تربته بالقرافة .

وكان للزمان به جمال وَعلى الملك به رونق .

جاء أحمد بن مهنّا[٥] بعد قدوم السلطان من الحجاز ودخل يوماً إلى قاعة الإنشاد وقال لنا سِرّاً : بيت السلطان الآن يعوز شيئاً ، وذلك الشيء كان بكتمر الساقي .

---

(١) في الأصل : « ولده » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) قوله : « بعد ذلك » خلَتْ منه (ق) .

(٣) (ق) : « فقال له » .

(٤) عبارة الدرر : « أنت تقتل مملوكك فإنني إيش عمل » .

(٥) هو أمير آل فضل (ت ٧٤٧ هـ) . (المنهل) .

وقيل : إنَّ السلطان كان يسير في طريق الحجاز وراء[1] محفّة بكتمر وهو فيها مريض قَدْر رمية نشّاب ، فإذا وقفوا به وقف وإذا مشَوا به مشى ، ويُجهّز إليه بُغَا الدوادار لكشف خبره ، فلما جاء إليه وقال : ياخوند ، مات ، ساق في مماليكه الخواص ، وقال للحاج بهادر المعزّي : ياأمير قف وغسّله وادفنه ، وخلاّه وسار يَحُثُّ السير ، فعند ذلك نزل الأمير سيف الدين قوصون عن هجينه بعد ما عرّج عن الطريق ، يُظهر أنه يُريق الماء واستند إلى الهجين وجعل يبكي والمنديل على عينيه ، فقال له المملوك الذي معه : ياخوند ليش تبكي ، مَا كان بكتمر عدوّك ؟ فقال : والك أنا ما أبكي[2] إلا على نفسي هكذا يُفعل ببكتمر ؟! ومَنْ فينا مثل بكتمر ؟! ومن بقي بعد بكتمر ؟! ما بقي إلا أنا .

وكان قَصر بكتمر في سريَا قوس بخلاف قصور بقيّة الأمراء لأنّه قبالة قصر السلطان بحيث إنها يتحادثان مِن داخل القصر . وعمّر له بالقرافة خانقاه وتربةً مليحتين ، وكان في إصطبله على البِرْكَة مئةُ سطلِ نحاس لمئة سائس ، كل سائس على ستة أرؤس غير ماله في الجشارات والقرايا ، ومع هذه العظمة والتقدم والتمكن لم يكن له حماية ولا رعاية ولا لغلمانه ذكر ، ومن المَغْرب يغلق باب إصطبله وما لأحدٍ به حس ، وكان يتلطف بالناس ويقضي حوائجهم ويسوسهم أحسن سياسة ، وما يخالفه السلطان في شيء ، وكان يحجر[3] على السلطان ويمنعه من مظالم كثيرة ظهرت من السلطان بعد موت بكتمر رحمه الله تعالى .

ولمّا تزوّج آنوك ابنُ السلطان ـ على ما تقدّم في ترجمته ـ كنت أنا بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ورأيت الشوار الذي حُمل من داره التي على بركة الفيل إلى القلعة . وكان عدة الحمّالين ثمان مئة حمّال . الساند الزركش عشرة على أربعين حمّالاً ،

(١) في الأصل : « ورأى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « نبكي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .
(٣) في الوافي : « يحجز » .

المدوّرات[١] ستة عشر حمّالاً ، الكراسي اثني عشر حمّالاً . كراسي لطاف أربعة حمّالين ، فضّيات تسعة وعشرين حمّالاً ، سُلّم الدكك أربعة حمالين ، الدكك والتخوت الأبنوس المفضضة[٢] والموشقة مئة واثنين وستين حمالاً ، النحاس الكُفت ثلاثة وأربعين حمّالاً ، الصيني ثلاثة وثلاثين حَمّالاً ، الزجاج المذهّب اثني عشر حمّالاً ، النحاس الشامي اثنين وعشرين حمّالاً ، البعلبكي المدهون اثني عشر حمّالاً ، الخونجات والخافي والزبادي النحاسي تسعة وعشرين حمالاً ، صناديق الحوائج خاناه ستة حمّالين ، وغير ذلك تتمة العدّ[٣] ، والبغال المحمّلة الفرش واللحف والبسط والصناديق التي فيها المُصاغ تسعة وتسعين بغلاً .

وقال لي المهذب الكاتب : الزركش والمُصاغ ثمانون قنطار ذهب بالمصري .

وكان ممّا لبكتمر على السلطان من المرتّب في كل يوم مخفيتان يأخذ عنهما من بيت المال في كل يوم سبع مئة درهم ، كلّ مخفية ثلاثة مئة وخمسون درهماً . وكان السلطان إذا أنعم على أحد بشيء أوولاّه وظيفة حتى يبوس الأرض ويبوس يده ، يقول له : روح إلى الأمير وبوس يده .

وعلى الجملة فكان أمره غريباً ، ولقد كان رحمه الله تعالى أهلاً لتلك النِعم الجمةِ لأنه كان جيّد الطباع حَسنَ الأخلاق ليّن الجانب سهلَ الانقياد ، رحمه الله تعالى .

وكنت قد قلتُ :

بذلتُ مَوجوديَ إذ زارني حبّي وادّنت على البَاقيْ[٤]
فقال لي دُم هكذا قلتُ هَل تحسبني بكتَمُر السَاقيْ

(١) (ق) : « المزورات » .
(٢) في الوافي : « والمفضضة » .
(٣) (ق) : « العدّة » .
(٤) (ق) : « من الدّيْن » ، وفي الأصل : « أذنت » ، ولا وجه لها .

٤٠٨ ـ بكتمر*

الأمير سيف الدين الحُسامي .

كان بدمشق حاجباً ، ثم إنه وليَ الشد ، ثم ولي مكانه في الشد الأمير جمال الدين آقوش الرُّسْتمي ، وأُعيد سيف الدين بكتمر إلى الحجوبيّة بدمشق ، وفرح بإقالته من الشد ، وكانَ عَزله من الشد في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

ثم إنّه توجّه لولاية الولاية بالقبليّة ورُسِمَ بطَلَبه إل مصر ، فتوجّه في شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ولما وصل إلى القاهرة ولاّه السلطان ثغر الإسكندرية ، فأقام بها إلى أن ورد البريد إلى دمشق وأُخْبَرَ بوفاته في ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وقال[1] : وفاته في خامس شهر رمضان ، وتولّى عوضَه صلاح الدين دوادار قبجق .

٤٠٩ ـ بكتوت**

بدر الدين بن عبد الله المحمّدي .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدين قال : اشتغل عليَّ بيسير من النحو ، وأنشدني لنفسه :

بجلقٍ لي حبيبٌ ... بوصله لا يَجُودُ
فقلبُه قاسيونٌ ... ودمع عيني يزيدُ

وأنشدني لنفسه أيضاً :

مَنْ لي بظبيٍ غريرٍ ... باللحظِ يسبي الممالكْ

* تالي وفيات الأعيان : ١٩٣ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٨٧/١ .

(١) كذا في الأصل و(ق) ، والأشبه (قيل) ، وممن قالوا بذلك ابن كثير .

** الوافي : ٢٠١/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤١٢/٣ ، والدرر : ٤٨٨/١ ، وترجمته فيه أوفى مما عند الصفدي .

إذا تبـــــدَّى بليـــــل جـلاَ سنـاهُ الحـوالـــك
من حُــور رضــوانَ أنهى لكنــه نَجْـل مَـــالـــكْ

قلتُ : شعر متوسط فارغ .

٤١٠ ـ بكتوت*

الأمير سيف الدين شكار ، نائب السلطنة بثغر الإسكندرية .

كان قد عُزل من النيابة ، وبقي مدةً إلى أن توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في أواخر شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٤١١ ـ بكتوت**

الأمير بدر الدين الأزرق مملوك السلطان الملك العادل كتبغا .

أمسكه حسام الدين لاجين وقتله ، وقَتل خوشداشه بُتْخَاص .

وكانَ الخُلْفُ قد وقع على اللجون في مَرْج بني عامر ، ولمّا بلغ ذلك الملكَ العادل خرج من الدهليز ولم يفطن به ، وتوجَّه إلى جهة دمشق وساق حسام الدين لاجين للخزانة ، والعساكر بين يديه ، وذلك يوم الاثنين ، ثامن عشري المحرم ، سنة ست وتسعين وست مئة .

٤١٢ ـ بكتوت***

الأمير بدر الدين القَرْمَاني .

كان عنده معرفه ، والتفاتة إلى حُبّ الدنيا مُشْرِفَه ، وتَهوُّر يقدم به على الخَطَر[1] قبل أنْ يعرف مَصْرِفَه .

---

* الدرر : ٤٨٩/١ .

** انظر : عقد الجمان : ٣٤٧/٣ ، ٣٤٨ ، أحداث سنة (٦٩٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٣٤٧/١٣ ـ ٣٤٨ ، أحداث سنة (٦٩٦ هـ) .

*** الدرر : ٤٨٩/١ .

(١) في الأصل : « الخطو » ، وأثبتنا ما في (ق) .

عالج صناعة الكيمياء حتى في الاعتقال ، وكان الأَولَى به الفكر في الخلاص من تلك الضائقة والانتقال[1] ، وتنفس على تنكز فما نفسّ له خناقا ، وضَرَب عليه في القلعةِ من البرج رِوُاقا .

وكان قد باشر شدَّ الدواوين بدمشق سنة إحدى عشرة وسبع مئة في شهر رمضان عِوَضاً عن الأمير سيف الدين طوغان ، ثم إنّه عُزِل بفخر الدين أَيَاس الشمسي ، وجُهّز إلى الرحبَة ثانياً في أول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وتوجّه إلى نيابة حمص عوضاً عن الحاج أرقطاي في جمادى الأولى سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن حَضَر الأمير سيف الدين البَدْري عوضاً عنه في صفر سنة تسع عشرة وسبع مئة .

وحضر إلى دمشق ثم جُرِّد إلى سِيْس صحبَةَ العسكر في سنة عشرين وسبع مئة ، وعاد . ولم يزل بدمشق إلى أن وقع له ما وقع مع الأمير سيف الدين تنكز ، فأمَرَ باعتقاله في قلعة دمشق في آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبع مئة ، ولم يزل في الاعتقال إلى أن ورد المرسوم بتجهيزه إلى مصر مُقَيَّداً في حادي عشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وفي مستهل المحرّم سنة أربع وثلاثين أُفرجَ عنه وعن الأمير بهاء الدين أصلم وأخيه قُرْمشي[2] .

٤١٣ ـ بكتوت*

الأمير سيف الدين الغَرْزي العزيزي الناصري .

كان حاجباً بالشام مشكور السِّيرة ، له همة مع كبر سنّه ، مواظباً على المشي إلى الجامع في أوقات الصلوات وحده ويحمل نَعْله بيده[3] ، وسَمَع من النجيب عبد اللطيف الحرّاني هو وأولاده ، وما روى شيئاً ، وكان من أعيان الأمراء .

(١) في الأصل : « الاعتقال » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٢) في الأصل : « قرمسي » ، تصحيف ، وستأتي ترجمته ن
* الوافي : ٢٠٠/١٠ .
(٣) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (ق) .

توفي رحمه الله تعالى خامس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

٤١٤ ـ أبو بكر بن إسماعيل*

ابن عبد العزيز ، الشيخ الإمام العَالِم الفقيه البارع المفتي مجد الدين السنْكلوني : بالسين المهملة وبالنون الساكنة والكاف وبعدها لام وواو وميم ، و« سنكلونة »[١] قرية من أعمال بُلبَيْس ، والناس يقولون : الزنكلوني .

تفقه على جماعة ، وسمع من الأبرقوهي ، ومحمد بن عبد المنعم[٢] ، وعَليّ بن الصوّاف[٣] ، ويحيى بن أحمد الصوّاف[٤] ، وعِدّة . ولازم الحافظ سعد الدين[٥] وسمع منه في (المسند) ، وصنّف التصانيف منها : (شرح التنبيه)[٦] في خمس مجلدات ، و (شرح التعجيز)[٧] في ثمانية ، و (شرح المنهاج)[٨] ولم يطوّله ، واختصر (الكفاية) لابن الرفعة[٩] .

وخرّج له الشيخ تقي الدين بن رافع (مشيخة) ، وحدّث بها ، وأخذ عنه

---

* الوافي : ٢٢٦/١٠ ، وفيات ابن رافع : ١٠١/١ ، والدرر : ٤٤١/١ ، والشذرات : ١٢٥/٦ ، وحسن المحاضرة : ٢٤٠/١ ، وذيول العبر : ٢١٢ .

(١) في الوافي : « وسنكلوم » .

(٢) (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .

(٣) علي بن نصر الله بن عمر (ت ٧١٢ هـ) ، والشذرات : ٣١/٦ .

(٤) (ت ٧٠٥ هـ) ، الشذرات : ١٣/٦ .

(٥) لم نهتد إلى ترجمته .

(٦) واسم الشرح تحفة التنبيه . الكشف : ٤٩٠/١ .

(٧) واسمه الشرح الواضح الوجيز . الكشف : ٤١٨/١ .

(٨) الكشف : ١٨٧٣/٢ .

(٩) هو أحمد بن محمد الأنصاري (ت ٧١٠ هـ) ، واسم كتابه : (كفاية النبيه في شرح التنبيه للشيرازي) . إيضاح المكنون : ١٥٨/١ .

شمس الدين السروجي (١) وابن القطب (٢) وأبو الخير الدهلي (٣) . وممن تفقّه عليه أقضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء السبكي الشافعي وغيره .

ودَرَّس بجامع الحاكم وبالبَيْبَرْسيّه ، وأعاد بأماكن ، وعُرض عليه قضاء قوص فامتنع .

وكان قد برع في الْمَذْهب وحَمل عِلْمَه الْمُذهَب ، وشارك في العربيّةِ والأصول ، وجادَل لا بل جالدَ بالنُصُول ، مع تصوَّن ووقَار ، وعبادةٍ ورفض للدنيا واحتقار .

ولم يزل على حاله إلى أن هُدم من المجد ركنُه المشيد ، وأصبح بعد ما كان فوق الأرض وهو تحت الصّعيد .

ووفاته في سابع شهر ربيع الأول سنة أربعين (٤) وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وسبعين وست مئة .

٤١٥ ـ أبو بكر بن عبد الله*

ابن أحمد بن منصور بن أحمد بن شهاب ، الصاحب ضياء الدين النشائي بالنون والشين المعجمَة وألف ممدودة بعدها ياء النسبة .

ووزر أيام الملك المظفر ركن الدين بَيْبَرسْ الجاشنكير ، وكان قد وليها في سنة ست وسبع مئة بعد عزل الصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا (٥) في شهر المحرّم ،

(١) محمد بن علي بن أيبل السروجي ، ت٧٤٤ ، وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) محمد بن موسى (ت٧٦٥ هـ) ، الشذرات : ٢٠٧/٦ .
(٣) سعيد بن عبد الله (ت٧٤٩ هـ) ، والشذرات : ١٦٣/٦ .
(٤) في الأصل : « سنة ستة وأربعين » ، وهو سهو .
* الوافي : ٢٣٧/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٤٧ ، والدرر : ٤٤٤/١ .
(٥) ستأتي ترجمته .

وولي أيضاً تدريس قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه ومشيخة الميعاد بجامع ابن طولون .

ونظر الأحباس في ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان ابن سعيد الدولة[1] معه مشيراً ، وكان[2] الأمر كلّه لابن سعيد الدولة والاسم لضياء الدين . وولي نظر النظّار بالقاهرة ، ثم تولّى نظر الخزانة قبل موته .

وكان الصاحب ضياء الدين مشكور السيره ، طاهر السريره ، فقيهاً فاضلا ، حبراً مناظراً مناضلا ، يعرف الفرائض جيدا ، وغالبُ أقرانه يكون فيها عنه متحيّدا ، وهو معروف بصحبة الشيخ شرف الدين الدمياطي[3] ، وله أَخْذٌ في الحديث وتعاطي[4] .

ولم يزل على نظر الخزانة إلى أن فَكَّ من النَّشائي خَتْمُ عمره ، ومُحي من الوجود رَسْمُ سَطره .

ووفاته رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة .

وفيه قال :

إن بكى الناسُ بالمدامع حُمْراً ... فهو شيءٌ يُقال من حِنَّاءِ

فاختم الدَّسْت بالنّشائي فإني ... لأرى الختم دائماً بالنَّشاءِ

٤١٦ ـ أبو بكر بن محمد بن قلاوون*

السلطان الملك المنصور سيف الدين ابن السلطان الملك الناصر[5] محمد بن السلطان الملك المنصور .

---

(١) (ت٧٠٩هـ) ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ .

(٢) (ق) : « فكان » .

(٣) عبد المؤمن بن خلف ، وستأتي ترجمته . وفي الوافي : « سيف الدين الدمياطي » .

(٤) كذا ، لتتم السجعة .

* الوافي : ١٠ / ٢٥٠ ، والدرر : ٤٦٢/١ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .

(٥) ليست في (خ) ، والوافي .

وَصَّى أبوه الناصرُ له بالْمُلْك بعده ، وقام في صفّه قوصون ، وقام بشتاك في صفّ أخيه أحمد ، وجرى ما ذكرته في ترجمة بشتاك . وجلس على كرسي الملك في يوم الخميس عشري[1] ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، ثاني يوم وفاة[2] والده ، واشتمل المنصور على طاجار الدوادار ، فيُقال إنَّه حَسّن له القبض على قوصون ، وقال له : ما يتم لك أمرٌ وقوصون هكذا ، فتحدّثوا في إمساكه وعنده جماعة من خواصّ والده ، فنقلوا ذلك لقوصون ، فاتفق قوصون مع أيدغمش أمير آخور وغيره من الأمراء وخَلَعوه ، وأراد الركوب فخذله أيدغمش ، ولو قَدَّر الله بالركوب لنجا . ولم يمضِ لقوصون أمر ؛ لأن الناس إذا ركبوا طلبوا السلطان وانضمّوا عليه .

ثم إن قوصون أجلس الملك الأشرف كجك على كرسي الْمُلْك وحلَّفوا له العساكر ، وكان صغيراً تقدير عمره ستٌّ سنين وما حولها ، وجلس قوصون في النيابة ، وجهّز[3] المنصور إلى قوص ومعه الأمير سيف الدين بهادر [بن][4] جركتمر مثل الترسيم عليه ، ومعه أخَوَيه[5] يوسُف ورمضَان وغرّقُوا طاجار الدوادار ، وقتلوا بشتاك في السجن ، واعتقلوا جماعة من الأمراء الذين حوله[6] .

ثم إن قوصون كتب إلى عبد المؤمن[7] متولي قوص ، فقتله وحمل رأسه إلى قوصون سِرّاً في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، وكتموا ذلك ، فلّما أُمسك قوصون تحقَّقَ الناسُ ذلك ، وجاء من حاقق بهادر ، وطلبوا عبد المؤمن واعترف بذلك ، وسمَّره الملك الناصر أحمد بالقاهرة ، وكان لـمّا استقر أمرُ المنصور ألبس الأمير سيف الدين طقزتمر تشريف

(١) في (ق) ، (خ) ، والوافي : « عشرين » .
(٢) (ق) ، (خ) : « من وفاة » .
(٣) في الوافي : « وجهّزوا » .
(٤) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .
(٥) أي : وجّهز أخويه ، وفي (ق) و (خ) : « أخوته » ، وهي بعيدة . وعبارة الوافي : « وأخويه » .
(٦) (ق) ، (خ) : « الذين كانوا حوله » .
(٧) هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب ، المعروف بابن المجير التاجر (ت ٧٤٢ هـ) ، الدرر : ٢/٤٢٠ .

النيابة بمصر وهو حموه ، وألبس الأمير نجم الدين محمود بن شروين[١] تشريف الوزارة ، ومشت الأحوال على أحسن ما يكون ، وانتظمت الأمور ، وحلّف نُواب الشام وعساكره ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا جرى خِلاف ولا سُلَّ سيف ، ولا سُفك دم ، « ولو تُرِك القطا ليلاً لناما »[٢] ولكن لمّا أرادوا خَلْعَه رَمَوْه بأوابدَ ودواهي ، وادَّعَوا أنه يركب في الليل في المراكب على ظهر النيل ، وقالوا أشياء اللهُ أعلم بأمرها .

وكان رحمةُ الله تعالى شاباً حُلْوَ الصورةِ أسمر اللون مليح الكون ، في قوامه هَيف ولين ، وحركةٌ داخلة تنتهي إلى تسكين ، وهو أفحَلُ إخوته وأشجعهم ، وأقربهم إلى دواء الملك وأنجعهم ، وكرمه زائد التخرّق في العطاء ، والتوسع في كشف الغطاء ، حُمل إليه مال بشتاك ومال آقبغا عبد الواحد ومال برسبغا ، ممّا يقارب أربعة آلاف ألف درهم ، ففرَّقَهُ جميعه على خواصّ أبيه مثل الحجازي ويلبغا وألطنبغا المارداني وطاجار الدوادار .

وكان والده رحمه الله قد زوّجه ابنة الأمير سيف الدين طقزتمر ، ولمّا جاء أخوه الناصر أحمد عمل الناس عزاءه ودار في الليل جواريه بالدرادك[٣] في شوارع القاهرة ، وأبكينَ الناس ورحموه وتأسفوا على شبابه لأنه خُذِلَ وأُخذ بَغْته وقُتل غضّاً طريّاً ، ولو تُرك لكان ملكاً سَؤوساً .

كان في عزمه أن يُحيي رسوم جَدّه الملك المنصور قلاوون ، ويجري الأمور في سياسة الملك على قواعده ويُبطِل ما أحدثه أبوه من إقطاعات العربان وإنعاماتهم .

وكانت مُدَّةُ ملكه شهرين وأياماً .

وقلت أنا في عزائه مُضَمِّناً :

---

(١) ستأتي ترجمته .
(٢) من أمثال العرب . فصل المقال : ٣٨٤ .
(٣) في الوافي : « الدادرك » ، ولم يتضح معناها .

أقول وقد دارت جواري الدرادك لقبر ثوى بين اللّوى فالدّكادك
أتبكين عَجْزاً كونها ما تهلّلت نواجذُ أفواه المنايا الضواحك
لقد خُذل المنصور ظلماً ومادجا نهارٌ وغاةٌ من غبار السنابك
فصبراً على رَيْبِ الزمان وغدره «فما الناسُ إلاّ هالك وابن هالك»[1]

٤١٧ ـ أبو بكر بن محمد*

ابن الرضيّ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجَبَّار المقدسيّ الجَمَّاعيلي الصالحي القطّان .

الشيخ الصالح المقرئ ، مسند وقته ، أجاز له عيسى الخياط[2]، وسِبْط السِّلَفي[3] ، وسِبْط الجوزي[4] ، ومجد الدين بن تيميّة ، وخَلْق ، وحضر خطيب مَرْدا ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي[5] ، ثم سمع منه في سنة سبع ، ومن إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، ومن ابن عبد الدايم والرضية بن البُرْهان (صحيح) مسلم ، سوى فَوْت مجهول يسير . وحضر أيضاً محمد بن عبد الهادي[6] ، وتفرَّد بأجزاء وعوَال ، وروى الكثير .

وكان فيه غزير النوال . وكان شيخاً مباركا ، مكباً على التسميع لا تاركا ، حَسَنَ الصّحْبَه ، صادقَ المحبّه ، حَميد الطريقه ، يُجَمِّلُ بحاسنة فريقه .

---

(١) ضمن صدر بيت لأبي نواس ، وهو في ديوانه : ٦٢١ ، وروايته فيه :
أرى كل حي هالكا وابن هالك وذا نسب في الهالكين عريق

* الوافي : ٢٥٢/١٠ ، والدرر : ٤٥٩/١ ، وذيول العبر : ٢٠٠ .

(٢) هو عيسى بن سلامة الحراني (ت ٦٥٢هـ) ، السير : ٢٨٠/٢٣ .

(٣) عبد الرحمن بن مكي (ت ٦٥١هـ) ، والسير : ٢٧٨/٢٣ .

(٤) يوسف بن قزاعلي (ت ٦٥٤هـ) ، والسير : ٢٩٦/٢٣ .

(٥) ابن يوسف الجماعيلي (ت ٦٥٨هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

(٦) (ت ٦٥٨هـ) ، السير : ٣٤٠/٢٣ .

حَـدَّثَ بـأمــاكن ، وأكثر عنــه ابن المُحِبّ[(١)] ، وأولاده ، وأخـوه ، والسّروجي ، والدَهْلي ، وابنا السفاقسي[(٢)] ، وخَلْق .

ولم يزل على حاله إلى أن انطبقت عليه الغَبْرَا ، وحُجِبَتْ عنه الخضرا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة[(٣)] .

أجاز لي بخطه في دمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٤١٨ ـ أبو بكر بن يوسف*

ابن أبي بكر بن محمود بن عثمان بن عَبْدَة ، الإمـام المـدّرس بقيّـة المشـايخ ، زين الـدين المِزّي الدمشقي الشـافعي ، يُعرف بـالحريري ، لأنّ أمّـه تزوّجت بـالشمس الحريري[(٤)] نقيب ابن خلكان ، فربّاه .

تلا بالسبع على الزواوي[(٥)] وغيره ، وسمع من الصـدر البكري[(٦)] ، وخطيب مَرْدَا ، وجماعة . ودَرس (التنبيه) وغيره ، ودَرَّس بالقليجيّة الصغرى وغيرهـا ، ووَلي مشيخـة القراءات والنحو بالعادليّة مدة ، وسَمَّع ابنَه وابنَ ابنه شرف الدين .

---

(١) عبد الله بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « وابن السفاقسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي . وابنا السفاقسي هما : إبراهيم بن محمد ، وقد سلفت ترجمته . وأخوه : محمّد ، وستأتي ترجمته .

(٣) والأشبه أنّه ولد قبيل هذا التاريخ ، يؤنس بذلك تواريخ وفيات مشايخه .

* الـوافي : ٢٦٩/١٠ ، والـدرر : ٤٦٨/١ ، والشـذرات : ٧١/٦ ، وغـايـة النهـايـة : ١٨٤/١ ، والـدارس : ٢٠٧/٢ ، وذيول العبر : ١٤٦ .

(٤) محمد بن عثمان ، وسيأتي ترجمته .

(٥) عبد السلام بن علي (ت ٦٨١هـ) ، غاية النهاية : ٨٣٦/١ .

(٦) الحسن بن محمد (ت ٦٥٦هـ) ، والشذرات : ٢٧٤/٥ .

وسَمع منة قاضي القضاة عز الدين بن جماعة وابنُه والطلَبة .

وكان ودُّه صحيحا ، وانحرافه عن أصحابه شَحيحا ، يصحب الناس ، ويجانب الأدناس ، بادي الخير لمن يعرفه ، يَقْدر على الشر فيصرفه .

ولم يزل على حاله إلى أن نعي لمعارفه ، وأنْفَقَهُ الموتُ في مَصارفه .

ووفاته ، رحمه الله تعالى ، في نصف شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

٤١٩ ـ أبو بكر بن أحمد*

ابن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الشيخ الصالح العالم العامل الزاهد العابد ، صفيّ الدين السّلامي .

كان رجلاً صالحاً سعيداً ، سافر إلى البلاد في التجارة ، وكان موصوفاً بالأمانة والديانة ، ثم إنّه ترك ذلك وانقطع بالقدس مُدّة ، ثم انتقل إلى المدينة النبويّة في سنة عشر وسبع مئة واستوطنها ، ويحج في كلّ سنة ويعود إلى المدينة ، وربَّما أقام بعض السنين في مكّة ، وحدّث بالحجاز (بجزء الأنصاري) بسَماعه من ابن البخاري .

وتوفي في سادس عشري ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٤٢٠ ـ أبو بكر بن أيبك**

الأمير حسام الدين بن النجيبي .

كان آخر أمْره أمير عشرين فارساً بدمشق ، كان من بقايا الناس وممن تأخر فيه

---

* الدرر : ١/٤٣٩ .

** الدرر : ١/٤٤١ .

رَمَق الإكرام والإيناس ، يصحب أهل العلم ويودّهم ويكرمهم ولا يصدّهم ، ويأنس بالفقراء[١] والصلحاء ، ويحنو على المساكين والضعفاء ، وكان يعمل المولد النبوي في كل سنة ويدعو لمأدبته الجَفَلَى ، ويحشر إليها الناس من أهل الحضارة والفلا ، ويتنوّعُ في الأطعمة والمشروب والفواكه ، ويحتفل بذلك فما يُرَى له فيه مُشَارِك ولا مشاكِه . وولي عدّة ولا يات وباشر في عدة جهات ، إلى أن سرى الفساد إلى كونه . وطَرِدَ الحفاظ عن صونه .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي القعدة سنة ست وخَمْسين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى يحبه ويكرمه ، وولاّه شَدَّ الأوقاف بدمشق في يوم السبت تاسع جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عوضاً عن ناصر الدين بن بكتاش .

٤٢١ ـ أبو بكر بن أحمد بن عبد الدايم*

ابن نِعْمَة المقدسي الصالحي ، الشيخ الصالح الُمعَمّر اليقظ ، مسند الوقت يعرف بالمحتال .

سمع سنة ثلاثين وست مئة على الفخر الإربلي ، وسمع (الصحيح) كلَّه على ابن الزَّبيدي ، وسمع من الناصح بن الحنبلي ، وسالم بن صَصْرَى ، وجعفر الهمداني ، والشيخ الضياء وجماعة ، وأجاز له ابن رُوزبه وأقرانه من بغداد .

وحجَّ ثلاث مرات ، وأضرَّ قبل موته بأعوام ، وثقل سمعه ، ولكن كان ذا همةٍ وجلادة وفهم .

---

(١) في الأصل : « الفقراء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

* الوافي : ٢٢٢/١٠ ، وذيل العبر : ٩٨ ، والنجوم : ٢٤٢/٩ ، والدرر : ٤٣٨/١ ، والشذرات : ٤٨/٦ .

وحدَّث في زمان والده ، وروى عنه ابن الخبّاز[١] ، وابن نفيس[٢] ، والقدماء ، وعاش كأبيه ثلاثاً وتسعين سنة .

انتهى إليه عُلُوّ الأسناد ، وأصبحت الرواية به واريةَ الزناد ، وراج كوالده في الإسناد ، كالرمح أنبوباً على أنبوب ، وكل مُحَدّث إليه يقرع الظنبوب[٣] ، وله أذكار وعبادَه ، وفيه رغبة عن الدنيا وزهَاده ، وحدّث بـ (الصحيح) غير مرّه ، وصار ذلك له عادةً مُسْتَمرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن أتى الفناء إلى ابن عبد الدائم ، واتصل بمن هو على كل نفس قائم .

ووفاته تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس أو ست وعشرين وست مئة .

٤٢٢ ـ أبو بكر بن عمر*

ابن أبي بكر الشقراوي ، بالشين المعجمة والقاف والراء ، نسبة إلى وادي الشقراء بدمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، وغيره .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٤٢٣ ـ أبو بكر بن شرف**

ابن مُحْسِن بن معن بن عمَّار ، الشيخ الإمام تقي الدين الصالحي الحنبلي .

---

(١) محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته . وقع في بعض أصول الوافي : « ابن النجار » .

(٢) علي بن مسعود ، وستأتي ترجمته .

(٣) هو عظم مقدم الساق ، يضرب مثلاً لمن يجدّ في الأمر .

* الوافي : ٢٤١/١٠ ، والدرر : ٤٥١/١ .

** الوافي : ٢٣٥/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٤١/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/١ .

٤٢٥ ـ أبو بكر بن عمر [1] بن الجزري*

الشيخ الإمام الزاهد الورع تقيّ الدين المعروف بالمقصّاتي [2] .

كان رجلاً صالحا ، لا يزال ميزانُ حَسَناته راجحا ، عارفاً بالقراءات السبع ، يرمي فيها عن قوس هي من النبع ، واظبَ على إقراءِ القرآن بالعراق والشام أكثر مَن خمسين سنه ، وجاهد على القراءة بها [3] بمقلة وَسِنَه .

وكان عنده وَرَعٌ واجتهاد ، وصَبرٌ على الطلبَة ومتابعة الأوراد ، وكان ينقل من الشواذ كثيرا ، ويروي منها محاسن ، وجوهُهَا في العربيّة ناضرة ولم تجد لها نظيرا .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصّ جناح المقصّاتي بجَلَم [4] الموت ، ودخل مع من دخل في نسخة الوجود بالفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت حادي عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بالجزيرة ، وتجاوز الثمانين ، ونشأ بالموصل وأقام ببغداد ودمشق ولازمها إلى أن مات .

وكان يعرف القراءات العشرة وغيرها ، وعندها طرف من العربيّة ، وروى القراءة و (التيسير) من الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش البغدادي ، ووليَ إمامة الرباط

---

* الدرر : ٤٥٣/١ ، وغاية النهاية : ١٨٣/١ ، والدارس : ٩٠/١ ، وذيول العبر : ٧٤ ، والبداية والنهاية : ٧٠/١٤ .

(١) « ابن المشيع » ، كما في الدارس والدرر ، وفي البداية : « السبع » ، وفي الغاية : « مشبع » . وفي ذيول العبر : « أبو بكر بن محمد بن المشيع » .

(٢) في البداية والنهاية : « المقصاي » .

(٣) (ق) : « التلاوة فيها » .

(٤) الجلم : ما يقص به .

وكان يَسْرد الصوم ، ويتعبّد في الليلة واليَوم ، ويَكثر المجاورة بمكة والمدينة والقدس ، ويخلو بنفسه في هذه الأماكن الشريفة فيجد البركة والأُنس . وكان ذا شَيْبة بيّضتها الليالي ، ونوّرتها المعالي . وتَنَجَّزَ توقيعاً من السلطان الملك الناصر بأن يقيم حيثُ شاء من المساجد الثلاثة ويكون [معلومه][(١)] راتباً من بعده لأولاده ولأولاد أولاده أبداً ، ولم أره يكتب شيئاً ؛ لأنَّ صاحبَ الديوان كان يُجلّه لتجلّيه ، وجاور بمكّة وأقام بها أخيراً ، ثم إنه أتى إلى القدس الشريف وأقام به مُدَّة إلى أن كَرَّم الله لقاء ابن المكَرم ، وخلّصهُ ممن تَجَرَّا أو تجرّم .

ووفاته بالقدس في أواخر شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر ، رحمه الله وعفى عنه .

٤٢٨ ـ أبو بكر بن عمر بن السلاّر*

بتشديد اللام بعد السين المهملة ، وبعد الألف راء ، الفاضل ناصر الدين .

رَوَى عن ابن عبد الدائم . وكتب عنه الشيخ علم الدين البِرْزالي وغَيْرُه .

وكان ذا جَلَدٍ على الجدال ، وقُدْرَةٍ على المناظرة والاستدلال ، جيّدَ العِباره ، بديع الكناية والاستعاره ، تفنَّنَ في الفضائل ، وتوسَّع في إيراد الدلائل ، ونَظم شعراً كثيرا ، وعلا به مَحَلاًّ أثيرا ، وهو من بيت حشمة وإماره ، وللرياسة عليه دليلٌ وأَمَاره ، مع عِزّة في نفسه ، وإعراضٍ عمّا في[(٢)] أبناء جنسه ، وهِمَّةٍ تبلغ الثريّا ، وعَزْمةٍ يتضوّع بها المجدريّا .

ولم يزل على حاله إلى أن استجنّه الضريح ، وعَدَل الفناء إليه دون الكناية بالصريح .

(١) زيادة من الوافي ، وفي (ق) : « يكون راتبه .. » .

* الوافي : ٢٣٩/١٠ ، والدرر : ٤٥١/١ .

(٢) (ق) : « في يد » .

ووفاته[١] رحمه الله تعالى في شهر الله المحرّم سنة ست عشره وسبع مئة .

أخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال[٢] قال : جرت بيني وبينه مباحث كثيرة في أصول الدين . وأثنى عليه شيئاً[٣] كثيراً .

ومن شعره ما كتبه إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم مع زنبيل أهداه وفيه تين :

يا سَيِّدي وأجلَّ الناس منزلةً ... عِنْدي وأرعاهُمُ للعَهْدِ والذّمَم
لا تَسْتَقِلّنّ شيئاً قد أتاك وقد ... علمْتَ أنَّ الهدايا مبلغُ الهمم
وقد بَعَثْتَ بشيء فيه واحدةٌ ... تكفي الخلائق من عرب ومن عجم
له الورى لازموا إلا القليل تُقىً ... وضيَّعوا كل ذي قربى وذي رحم
وغيرُ بِدعٍ إذا سرنا مسيرهم ... والناس أشبه بالأزمان في الشيم
ولو قَدرْتُ على ما أرتضيه لكم ... سَيَّرت شمس الضحى والبدر في الظلم
وقد أشرت بِزَنْبيلي إلى صفتي ... من كُدْيَتي لذوي الأيسار والعَدَم

فكتب الجواب إليه في غير الوزن ، وهو تقصير :

يا خير مَنْ أمسكت أنامله القرطاسَ للرقمِ فيه بالقَلمِ
وخيرَ مَنْ خَصّه الإله وإن ... عَمَّ البرايا بالعِلْمِ والعلمِ
ومَنْ له منطقٌ بلاغَتُهُ ... قد بلّغته جَوَامِعَ الكَلِمِ
من ذا يطيق الجواب عن أدبٍ ... مُنَثّرٍ جَوْهَراً ومنتظمِ
موجّهاً أتعبت غوامِضُهُ ... مقاصِداً كل مِدْرَهٍ فَهِمِ[٤]

---

(١) في الأصل : « وفارته » .

(٢) هو حسن بن محمد الصفدي ، وستأتي ترجمته .

(٣) (ق) : « ثناء » .

(٤) المدره : السيد الشريف .

ألغـزَ فيـــه محبّبــاً وكنى   عمّـا تـلاه الـزيتـون في القسمِ
لفــظٌ لــه معنيـــان مشترك   دلّ على مفعم ومهتضمِ
حقّق فكري بالحدس مقصدَه   وليس فكري عنـــدي بمتّهمِ
للغير مـــا قـــد أتى مغــايرةً   إلى فقيرٍ أشقى من العـــدمِ[(١)]
فتينُ حـوران مِن مـآكِلِـــهِ   لا أحـورٌ بـالجمـــالِ مُتّسمِ
أنـزلـــه الله بـــالأثير إذا   مـا دار مثـل الكثبــان والأكمِ
مركـزه والمحيـط منـه بـه   لربّـــه نعمَـــةٌ من النّعمِ
من اصطكاك الأجرام فيه لها   بمٌّ وزيرٌ يـــطيّبَ النغمِ
وَرُبّما عـــاد ربّــه وَلَـــهُ   مـــدارع كالمـــداد للقلمِ
لكنّ ذا أُصْفَرٌ وذاك غـــدا   كالقــارِ من حُلكـــةٍ وكالفحمِ
مضمّخــاً من لطيمـــةٍ خلـق الخَـلـوق منهـــا للمعَسر اللطمِ
لا زال تينُ الـوتين ملتقطــاً   لـه وتين الأشجــار من قسمي
وقـــد اعتصّ الـزنبيـل من ذلـــك التيـــن زبيبــاً تراهُ كالغَنَمِ
وهـو كثير من يـابس صفرت   وَطــاتـــه من نـوائب حُطَمِ
مِن ابن هاني شيخ القريض ومن   ميمون قيس وأشجـع السلمي[(٢)]
وهم ملـوك القريض قـادتـه   ومُنْشِـؤوه من سـالف القـدمِ
فمـا عسى أن يقـولَـهُ رَجُـلٌ   جُمّيز بستـانِ رَاســه بَلمي

ومنه :

إن عتبنـا فَعُـذرنـا قـد تحقـقْ   حين فـارقتم الرفـاق وجلـق[(٣)]
كنتم رُوحَهُم فصاروا جسُوماً   مُـزّقت بـالغرام كُـلّ ممـزّق
وكـذا الروح إذ تفـارق جسماً   بعـد وصـل أوصـالـه تتفرّق

(١) (ق) : « إلى فقر » .
(٢) أبو نواس الحسن بن هانئ ، والأعشى ميمون بن قيس .
(٣) في الأصل : « خير فارقتم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

ومنه ، دوبيت :

يـا حُسْنَ ذؤابـةٍ بَـدت للنـاس   في أسمر رمـحٍ قـدّه الميـاس
مـا وَاصَـل إلا قلت إني مَلـكٌ   أولـوه لـواءً من بني العبّـاس(١)

ومنه :

وشـادن زارني ليـلاً فقلت لـه :   في حسن وجهك ما يغني عن القمر
فخلّنـا بـك نخلـو لا سمير لنـا   ففي حديثك مـا يغني عن السمر

وأنشدني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه ابن السَلاّر :

لعمرك مـا مصرٌ بمصر وإنّما   هي الجنّـةُ العُليـا لمن يتفكّرُ
وأولادها الوِلـدان من نسل آدم   وروضتها الفردوس والنيل كوثرُ

ومن نظمه القصيدةُ الميّة التي سمّاها (القصيدة المُشِيعَة لعقيدة الشِّيْعَة) ، أوّلها :

سلام على أهل الهدى والتعَلّم   لطُرقْ الهـدى من آخر ومقـدّمِ

٤٢٩ ـ أبو بكر بن أحمد بن محمد*

ابن النجيب بن سعيد ، الشيخ الأمين المقريء(٢) ، شرف الدين الخلاطي الدمشقي سبط الشيخ أحمد إمام الكَلاّسَة .

سمع من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرمَاني ، وابن أبي اليسر ، وعلي بن الأوحد ، ومحمد بن النشبي ، والمجد محمد بن عساكر ، وغيرهم .

---

(١) في الوافي : « خلت أني » .

* الدرر : ١/٤٤٠ .

(٢) في الأصل : « المغزي » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

وكان رجلاً جيداً ، ولي إمامة الكلاسَة ، وتركها ووليَ إمَامة مشهد ابن عروة[(١)] ، وله إثبات وإجازات .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رافقته في الحج سنة عشر وسبع مئة ، وقرأت عليه ببطن مَرٍّ[(٢)] ، وبمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة . وكان ابتداء مَرضه في العشر الأواخر من شهر رمضان ، صلى ودعا ، وحضر إلى بيته وهو لا يتكلم ، ثم إنه مرض وتغيّر ذهنه ، واستمر على ذلك إلى أن مات ، وحرص أهله على أن يجيبهم أو يتكلم معهم فلم يسمَعُوا منه شيئاً ، وكانَ يظهر عليه أنه يفهم كلامهم ، و يبكي رحمه الله تعالى .

٤٣٠ ـ أبو بكر بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي بكر بن خِلكان : الشيخ القاضي نجم الدين بن القاضي بهاء الدين .

سمع (المقامات) من ابن أبي اليسر ، وكتب عنه من شعره ، وحَدَّث بالإجازة عن سبط السِّلَفي .

كان فقيهاً يعرف الفرائض ، ويُجيد ما في مسائلها من الغوامض ، وتولّى ببعض البلاد الشامية والنواحي التي يغلبُ على أهلها العَاميّة ، إلا أنه كان في عقله اضطراب ، بل في عقيدته الباطلة ، ورُمي بأشياء ما نجا معَها من السيف إلا لما لأجله من المدافعة والمماطلة . وكان يعتقد أنَّه يكون له دوله ، وأن تسل السيوف إذا مشى حَولَه .

(١) محمد بن عروة الموصلّي (ت ٦٢٠ هـ) ، والمشهد هو دار للحديث في الجامع الأموي ، ويعرف قديماً بشهد علي . الدارس : ٦١/١ .

(٢) موضع من نواحي حي مكّة . معجم البلدان : ٤٤٩/١ .

* الدرر : ٤٥٥/١ .

ولم يزل على ذلك إلى أن مات بغصّته ، ولم يحصل له من الملك بعض حصّته .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وقد قارب الثمانين ، وكان بالمدرسة الناصريّة بالقاهرة .